

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الخامس

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم⁽¹⁾)

نبدأ في هذا الجزء بتمام القول في نيران العرب والعجم، ونيران الديانة ومبلغ أقدارها عند أهل كل ملة⁽²⁾ وما يكون منها مفخراً، وما يكون منها مذموماً، وما يكون صاحبها بذلك مهجوراً. ونبدأ بالإخبار عنها وبدئها⁽³⁾، وعن نفس جوهرها، وكيف القول في كُمنها وظهورها، إن كانت النار⁽⁴⁾ قد كانت موجودة العين قبل ظهورها، وعن كونها، على المجاورة كان ذلك أم على المداخلة⁽⁵⁾، وفي حدوث عينها إن كانت غير كامنة، وفي إحالة الهواء لها والعود جَمراً⁽⁶⁾، إن كانت الاستحالة جائزة، وكانت الحجّة في تثبيت الأعراض صحيحة⁽⁷⁾، وكيف القول في الضرام الذي يظهر من الشجر، وفي السرّر الذي يظهر من الحجر. وما القول في لون النار في حقيقتها. وهل يختلف السرّر⁽⁸⁾ في طبائعها، أم لا اختلاف بين جميع جواهرها، أم يكون اختلافها على قدر اختلاف مخرجها ومداخلها، وعلى قدر اختلاف ما لا قاهها وهيجها؟

- (1) قبل البسملة في كل من هـ، ش: «أول المصحف الخامس من كتاب الحيوان في الكلام على بقية النيران».
- بدل هذا الكلام في ش: «وبه ثقّتي».
- (2) الملة، بالكسر: الشريعة، أو الدين. وكلمة: «أهل» ساقطة من هـ.
- (3) ش: «وبدئها» بالنون بدل الهمزة.
- (4) ش، هـ: «الدار» تحريف صوابه في ط. وفي هـ زيادة واو قبل «إن».
- (5) المجاورة: مذهب كلامي يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض، كالماء بالمداد، والدقيق بالماء، والزيت بالخل. انظر الفصل (5: 61) وحواشي الحيوان (4: 118). ش: «المجاورة» تحريف. وأما المداخلة فهي مقالة كلامية تقوم زعموا أن الألوان، والطعوم، والروائح، والأصوات، والخواطر، أجسام، وأن الجسمين من تلك الأجسام يتداخلان في حيز واحد، ويكونان جميعاً في مكان واحد. انظر المصدرين المتقدمين والفرق 122.
- (6) أي في تحويل الهواء للنار والعود إلى جمر. في الأصل: «وفي استحالة»، صوابه ما أثبت. وفي ط، هـ: «الهوى» وهو تحريف. وفي هـ: «والعود جمل» محرف.
- (7) تثبيت الأعراض: أي إثبات القول بها. وبين المتكلمين خلاف في ذلك: فذهب هشام بن الحكم إلى القول بأنه ليس في العالم إلا جسم، وأن الألوان والروائح والأصوات والحركات، أجسام، وذهب النظام إلى مثل هذا سواء بسواء، إلا الحركات، فإنه قال: هي خاصة أعراض. وذهب ضرار بن عمرو، والنظام والنجار إلى أن الأجسام مركبة مما يسميه غيرهم أعراضاً، وذهب سائر الناس إلى أن الجسم هو كل ما كان طويلاً عريضاً عميقاً شاغلاً لمكان، وأن كل ما عده من لون أو حركة، أو مذاق، أو طيب، أو مجسة، عرض. الفصل (5: 66) والفرق 114، 122 والمواقف 355، 621، في الأصل: «ثبت» وجهه ما أثبت. ش، هـ: «الأعراض» تحريف.
- (8) الشرار، كسحاب: الشر الذي يتطاير من النار، واحده شرارة. قال:

أَوْ كَشَرَارِ الْعَلَاةِ يَضْرِبُهَا أَلْقَيْنَ عَلَى كُلِّ وَجْهَةٍ تَثْبُ

(قول النظام في النار)

ونبدأ، باسم الله وتأييده، بقول أبي إسحاق ⁽¹⁾.
قال أبو إسحاق: النار اسمٌ للحَرِّ ⁽²⁾ والضياء. فإذا قالوا: أحرقت أو سخنت، فإنما الإحراق والتسخين لأحد هذين الجنسَيْن المتداخلين، وهو الحرُّ دون الضياء.
وزعم أن الحرَّ جوهرٌ صَعْدٌ ⁽³⁾. وإنما اختلفا، ولم يكن اتِّفاقهما على الصعود موافقاً بين جواهرهما ⁽⁴⁾؛ لأنهما متى صارا من العالم العلويِّ إلى مكانٍ ⁽⁵⁾ صار أحدهما فوق صاحبه.
وكان يجزم القول ويبرم الحكم بأن ⁽⁶⁾ الضياء هو الذي يعلو إذا انفرد، ولا يُعلَى.
قال: ونحن إنما صرنا إذا أطفأنا نارَ الأتون ⁽⁷⁾ وجدنا أرضه وهواه وحيطانه حارة، ولم نجدَها مضيئة ⁽⁸⁾، لأن في الأرض، وفي الماء ⁽⁹⁾ الذي قد لابسَ الأرض، حرّاً ⁽¹⁰⁾ كثيراً، وتداخلاً مُتَشَابِهاً؛ وليس فيهما ⁽¹¹⁾ ضياء. وقد كان حرُّ النارِ هَيَّجَ تِلْكَ الْحَرَارَةَ فَأَظْهَرَهَا، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ضِيءٌ مِنْ مُلَابَسِ فَهَيَّجَهُ الضياءُ وأظهره ⁽¹²⁾، كما اتصل الحرُّ بالحرِّ فأزاله من موضعه، وأبرزه من مكانه. فلذلك وجدنا أرضَ الأتون، وحيطانها، وهواها حارة، ولم نجدَها مضيئة ⁽¹³⁾.

وزعم أبو إسحاق أنَّ الدليل على أن في الحجر والعود ناراً مع اختلاف الجهات ⁽¹⁴⁾ - أنه يلزم من أنكر ذلك أن يزعم أن ليس في السَّمْسِم دُهنٌ ولا في الزَّيتون زيت.

(1) هو إبراهيم بن سيار النظام، شيخ الجاحظ.

(2) ط: «للحرق» ش: «للحرف» صوابهما ما أثبت من هـ.

(3) هذا رأي النظام. فهو يذهب إلى أن الحر جوهر وجسم من الأجسام، لا عرض من الأعراض. انظر التنبيه الثامن من الصفحة السابقة.

(4) هـ: «جواهرها».

(5) أي إلى مكان من العالم العلوي.

(6) في الأصل: «فان» وجهه ما أثبت. أي يقطع الحكم بما سيأتي.

(7) الأتون، كتنور، وقد يخفف، ونسب الجوهري التخفيف للعمامة وقال: هو الموقد. وقال غيره: هو أخدود الجبار والخصاص ونحوه، تاج العروس. وقال العلامة نصر في تحقيق القاموس: «وكانها في نسخة عاصم: الخباز، بالخاء والباء والزاي».

(8) الكلام بعد هذه الكلمة إلى كلمة «مضيئة» الآتية، شاقط منش.

(9) ط: «المادي» صوابه في هـ. والمراد بالماء الرطوبية.

(10) في الأصل، وهو هنا ط، هـ: «حدا» بالبدال، صوابه ما أثبت.

(11) في الأصل: «فيها».

(12) في الأصل: «فهيجها الضياء وأظهرها». والقول يقتضي ما أثبت.

(13) أنت الضمائر في عبارته لما أنه أعادها إلى «أرض» وهي مؤنثة. وأما «الأتون» فمذكر.

(14) أي مع اختلاف الجهة التي يصدر منها النار، وهي حجر القدح وعود الزند. وكلمة «مع» ليست بالأصل. وبدلها في ش، هـ: «أن في». وقد أصلحت العبارة بما ترى. والعبارة في ش، هـ: «وزعم أبو إسحاق على أن الدليل أن في» إلخ، مع وضع كلمة «الجبر» مكان «الحجر» في هـ. تحريفان.

ومن قال ذلك لزمه أن يقول: أن ليس في الإنسان دم، وأنّ الدّم إنما تَخَلَّقَ عند البَطِّ⁽¹⁾، وكان ليس بين من أنكر أن يكون الصَّبْرُ⁽²⁾ مرّ الجوهر، والعسل حُلُوّ الجوهر قبل ألاّ يذاقاً⁽³⁾، وبين [من أنكر كون الزيت في⁽⁴⁾] السمسَم والزيتون قبل أن يُعصرا⁽⁵⁾ - فَرَقَ .

وإن زَعَم الزاعم أن⁽⁶⁾ الحلاوة والمرارة عَرَضَانِ، والزيت والخلّ جوهر، وإذا لزم من قال ذلك في حلاوة العسل، وحموضة الخلّ، وهما طعمان - لزمه مثل ذلك في ألوانهما، فيزعم⁽⁷⁾ أنّ سواد السَّيِّج⁽⁸⁾، وبياض الثلج وحُمْرَةُ العُصْفَر، وصُفْرَةُ الذهب، وخُضْرَةُ البَقْل، إنما تحدث عند رؤية الإنسان، وإن كانت المعاينة والمقابلة غير عاملتين⁽⁹⁾ في تلك الجواهر.

قال: فإذا قاس ذلك المتكلّم في لَوْن الجسم بعد طعمه، وفي طوله وعرضه وصورته بعد رائحته، وفي خِفَتِه وثقل وزنه، كما قاس⁽¹⁰⁾ في رخاوته وصلابته - فقد دخل في باب الجهالات، ولحق بالذين زعموا أن القرية ليس فيها ماء، وإن وجدوها باللمس ثقيلة مزكورة⁽¹¹⁾ وإنما تَخَلَّقَ عند حلّ رباطها. وكذلك فليقولوا في الشمس والقمر، والكواكب، والجبال، إذا غابت عن أبصارهم.

- (1) البط: شق الجرح بالمبطة، وهي المبضع. ط، ش: «الشرط» وهما بمعنى، وأثبت ما في هـ. وفي ط، س أيضاً: «يخلق» وقد أثبت من هـ: ما ارتضاه الجاحظ في نحو هذه العبارة عند كلامه الآتي في (القرية) س10.
(2) الصبر، ككتف، ولا يخفف إلا في ضرورة الشعر، عصارة شجر مر. القاموس. قلت: يشير بذلك إلى نحو ما أنشده الجوهري في الصحاح (1: 344) من قول الراجز يصف سم حية:

أَمْرٌ مِنْ صَبْرٍ وَمَقْرٍ وَخَضَضٍ

قال ابن بري: صواب إنشاده: «أمر» بالنصب. وأورده بظاءين، أي «حفظ». انظر اللسان (6: 122) - وقبلة:

أَرْقَشَ ظَمَانٌ إِذَا غُضِرَ لَفْظٌ

- (3) ش: «أن لا يذاق» بالإنفراد، وهو جائز.
(4) تكملة ضرورية، أثبتتها مساوقة لعبارة الجاحظ، وليست بالأصل.
(5) ش: «يعصر» بالإنفراد.
(6) ط: «أن».
(7) الزعم: القول يشك فيه سامعه، أو الكذب. وهو يتعدى بنفسه، يقال: زعمه. وفي ش، هـ: «وإن زعم الزاعم بأن». وإدخال الباء على المعمول محمول على الزيادة. ومنه قول النابغة:
زعم الهمام بأن فاهها بارد عذب إذا قبلته قلت اردد
وقوله أيضاً:

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود

في أحد وجهي تأويله، أي وزعم بذلك.

- (8) السبيج، بالتحريك وآخره جيم: خرز أسود. وقال البيروني في الجماهر 199: «حجر أسود حالك صقيل رخو جداً تأكل النار فيه». وهو معرب «شبه» الفارسية. انظر معجم إستانجاس 732 والجماهر والمعرب 183 دار الكتب. وفي اللسان، «سبه» تصحيف. ط: «المسيح» هـ: «السبيج»، صوابهما ما أثبت من ش.
(9) هـ: «حاملتين» محرف. ط: «عاملين». وأثبت ما في ش.
(10) في الأصل: «قال» باللام. صوابه ما كتبت.
(11) المزكورة، بالزاي: المملوءة. ذكر الإناء والسقاء: ملاءه، وكذلك ذكره تزكيراً. ط، هـ: «مؤكدة» س: «موكوة»، صوابهما ما أثبت.

قال: فمن هرب عن الانقطاع⁽¹⁾ إلى الجهالات، كان الذي هرب إليه أشد عليه. وكان⁽²⁾ يضرب لهما مثلاً ذكرته لظرافته⁽³⁾: حُكِيَ عن رجلٍ أحْدَب سَقَطَ في بئرٍ، فاستوت حَدَبَتُهُ وَحَدَّثَتْ له أذْرَةٌ في حُصِيَّتِهِ⁽⁴⁾، فَهَنَّاهَ رجلٌ عن ذهاب حَدَبَتِهِ⁽⁵⁾، فقال: الذي جاء شرٌّ من الذي ذهب!

(رد النظام على ضرار في إنكار الكمون)

وكان أبو إسحاق يزعم أن ضرار بن عمرو⁽⁶⁾ قد جَمَعَ في إنكاره القولَ بالكمون⁽⁷⁾ الكفرَ والمعاندة؛ لأنه كان يزعم أن التوحيد لا يصحُّ [لا⁽⁸⁾] مع إنكار الكمون، وأن القولَ بالكمون لا يصحُّ إلا بأن يكون في الإنسان⁽⁹⁾ دمٌ. وإنما هو شيءٌ تَحَلَّقَ⁽¹⁰⁾ عند الرؤية. قال: وهو قد كان يعلم يقيناً أنَّ جوفَ الإنسان لا يخلو من دم.

قال: ومن زعم أن شيئاً من الحيوان يعيش بغير الدم، أو شيء يشبه الدم، فواجبٌ عليه

(1) قطعه بالحجة: بكنه، أي غلبه.

(2) أي النظام.

(3) الظرافة، بالطاء المعجمة: مصدر ظرف: أي صار ظريفاً. وفي القاموس: «ظرف ككرم ظرفاً، وظرافة، قليلة». وفي اللسان: «ويجوز في الشعر ظرافة»، ثم قال بعد ذلك: «ظرف الرجل بالضم ظرافة فهو ظريف».

(4) الأذرة، بالضم: نفخة في الخصية، والوصف منه «آدر».

(5) الحدبة، بالتحريك: موضع الحدب في الظهر النائي، والحدب، بالتحريك: دخول الصدر وخروج الظهر، ويقابله القعس. وهناه: مخفف هنأه بالتشديد وهناه بالتخفيف: قال له ليهنئك. «وعن» هنا بمعنى التعليل. وفي الكتاب: ﴿وَمَا كَانَتْ آسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ [التوبة: 114]، و: ﴿وَمَا تَحْنُ بِتَارِكِي﴾، **الْهِنَانُ عَنْ قَوْلِكَ** [هود: 53].

(6) ضرار بن عمرو، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية. وكان في بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلي. ثم خالفه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر. الاعتقادات للرازي 69 والفرق 201، ويحكي عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبي بن كعب، ويقطع بأن الله تعالى لم ينزله الملل والنحل (1: 115). قال أحمد بن حنبل: شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضي، فأمر بضرب عنقه فهرب. وقيل: إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه. لسان الميزان (3: 203). وفي العرب ضرار بن عمرو الضبي الذي كان معاصراً للمنذر. وروى له الجاحظ في البيان (1: 193) بياناً عالياً. وهو القائل: «من سره بنوه ساءته نفسه». المعارف 34 والميداني (2: 228) وعيون الأخبار (2: 320).

(7) الكمون: مذهب كلامي يزعم أصحابه أن النار كامنة في الحجر وفي دهن السراج، كما يكمن الدم في الإنسان، والعصير في العنب، والزيت في الزيتون. وذهب ضرار بن عمرو إلى إنكار الكمون. وممن ذهب إلى إنكاره أيضاً الباقلاني وسائر الأشعرية. والحق أن في الأشياء ما هو كامن كالدُم في الإنسان، والعصير في العنب، وفيها ما ليس كامناً، كالنار في حجر القدح. وانظر تفصيل الكلام في الفصل (5: 61-62).

(8) تكملة ضرورية، بدونها لا يستقيم الكلام، لأن صاحب الزعم هو ضرار، منكر الكمون.

(9) هـ، ش: «إنسان».

(10) ط، ش: «يخلق»، وأثبت ما في هـ.

أن يقول بإنكار الطباع⁽¹⁾؛ ويدفع الحقائق بقول جهم⁽²⁾ في تسخين النار وتبريد الثلج، وفي الإدراك والحس، والغذاء والسّم⁽³⁾. وذلك باب آخر في الجهالات.

ومن زعم أن التوحيد لا يصلح إلا بالأ يكون في الإنسان دم⁽⁴⁾، وإلا بأن تكون النار لا توجب الإحراق، والبصر الصحيح لا يوجب الإدراك - فقد دلّ على أنه في غاية النقص والغباوة، أو في غاية التكذيب والمعاندة.

وقال أبو إسحاق: وجدنا الحطب عند انحلال أجزائه، وتفرّق أركانه التي بُني عليها، ومجموعاته التي رُكّب منها وهي أربع: نارٌ ودخان، وماءٌ، ورَمَادٌ، ووجدنا للنار حرّاً وضياءً، ووجدنا للماء صوتاً⁽⁵⁾، ووجدنا للدخان طعماً ولوناً ورائحةً، ووجدنا للرَمَادِ طعماً ولوناً ويُبْساً، ووجدنا للماء السائل من كل واحد من أصحابه⁽⁶⁾، ثمّ وجدناه ذا أجناس رُكّبَت من المفردات. ووجدنا الحطب رُكّب على ما وصفنا، فَرَعَمْنَا⁽⁷⁾ أنه رُكّب من المَزْدَوِجات، ولم يُرَكّب من المفردات.

قال أبو إسحاق: فإذا كان المتكلّم لا يعرف القياس ويُعطيهِ حقه فرأى أنّ العود حين احتكّ بالعود [أحدث النار⁽⁸⁾] فإنه يلزمه في الدخان مثل ذلك، ويلزمه في الماء السائل مثل ذلك. وإنّ قاس قال في الرَمَادِ مثل قوله في الدخان والماء. وإلا فهو إما جاهلٌ، وإما متحكم.

وإن زعم أنه إنما أنكر أنّ تكون النار كانت في العود، لأنه وجد النارَ أعظم من العود، ولا يجوز أن يكون الكبير في الصغير، وكذلك الدخان - فليزعم أن الدخان لم يكن في الحطب، وفي الزيت وفي النُفْطِ.

فإن زعم أنهم سوا، وأنه إنما قال بذلك لأنّ بدّن ذلك الحطب لم يكن يسعّ الذي

(1) يراد بإنكار الطباع القول بأن ليس في النار حر، ولا في الثلج برد، ولا في العالم طبيعة أصلاً، وإنما يحدث حر النار وبرد الثلج عند الملامسة. الفصل (5: 14-15). وقد أوغل الجاحظ في إثبات الطباع حتى زعم أن الله لا يدخل النار أحداً، وإنما النار تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها. (الفرق 161 والمواقف 624 س4).

(2) ط، ش: «في قول» وأثبت ما في هـ. وجهم هذا، هو جهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية المجبرة، قتل سنة ثمان وعشرين ومائة. لسان الميزان (2: 142). وتفصيل مذهبه في الفرق 199 والميلل والنحل (1: 109) واعتقادات الرازي 68، وقد بالغ جهم في إنكار الطباع حتى قال: ليس في الشجرة طبيعة الإثمار، ولا في الماء طبيعة الجري، ولا في الأرض طبيعة الإنبات، وإنما يثبت الإثمار والجري والإنبات على المجاز. وقال أيضاً: لا يفعل الإنسان شيئاً إلا على المجاز والفاعل هو الله.

(3) السم: مصدر سمه يسمه فهو مسموم. وفي الأصل: «الشم» بالشين المعجمة، صوابه ما أثبت.

(4) أي بإنكار كمون الدم في الإنسان، وهو قول ضرار بن عمرو. وفي الأصل: «إلا بأن يكون» وصحته بما ترى.

(5) يعني الصوت الذي يحدث عند احتراق الحطب من انفجار الرطوبات التي فيه.

(6) كذا جاءت هذه العبارة مضطربة.

(7) في الأصل: «زعمنا»، وقد أزلت تفكك العبارة بزيادة الفاء.

(8) بمثل هذا يتم الكلام، واعتمدت في إثباتها على ما ورد في السطر التاسع من الصفحة التالية.

عاین من بَدَنِ النارِ والدخان، فليس ينبغي لمن أنكر كُموَنَها من هذه الجهة أن يزعم أن شَرَرَ القَدَاحَةِ والحَجَرِ لم يكونا كامنين في الحَجَرِ والقَدَاحَةِ^(١).

وليس ينبغي أن يُنكَرَ كُموَنَ الدم في الإنسان، وَكُموَنَ الدُّهْنِ في السمسم، وَكُموَنَ الزيت في الزيتون. ولا ينبغي أن يُنكَرَ من ذلك إلا ما لا يكون^(٢) الجسمُ يَسَعُهُ في العين.

فكيف وهم قد أَجَرُوا هذا الإنكارَ في كلِّ ما غابَ عن حواسِّهم من الأجسام المستترة بالأجسام حتى يعود بذلك إلى إبطال الأعراض^(٣)؟! كنحو حموضة الخل، وحلاوة العسل، وعدوية الماء، ومرارة الصبر^(٤).

قال: فإن قاسوا قولهم وزعموا أن الرمادَ حادثٌ، كما قالوا في النار والدخان، فقد وجبَ عليهم أن يقولوا في جميع الأجسام مثل ذلك كالدقيق المخالف للبرِّ في لونه^(٥)، وفي صلابته، وفي مساحته، وفي أمورٍ غير ذلك منه. فقد ينبغي أن يزعمَ أن الدقيقَ حادثٌ، وأن البرَّ قد بطلَ.

وإذا زعم ذلك زعم أن الزُّبْدَ الحادثَ بعد المَخْضِ لم يكن في اللبن، وأن جُبْنَ اللبن حادثٌ، وقاسَ ماءَ الجُبْنِ على الجبن. وليس اللبن إلا الجُبْنُ والماء.

وإذا زعم أنهم حادثان، وأن اللبن قد بطلَ، لزمه أن يكون [كذلك]^(٦) الفَخَّارُ، الذي لم نَجِدْه حتى عَجَبْنَا الترابَ اليابسَ المتهافَتَ على حَدَثِهِ، بالماءِ الرُّطْبِ السَّيَالِ على حَدَثِهِ، ثم شَوِينَاهُ^(٧) بالنارِ الحَارَّةِ الصَّعَادَةِ^(٨) على حَدَثِهَا. ووجدنا الفخارَ في العينِ واللمسِ والذَّوقِ والشَّمِّ، وعند الثَّقَرِ والصَّكِّ - على خلاف ما وجدنا عليه النارَ وحدها، والماءَ وحده، والترابَ وَحْدَهُ؛ فإن^(٩) ذلك الفخار هو تلك الأشياء. والخطب هو تلك الأشياء^(١٠)، إلا أن أحدها من تركيب العباد، والآخَرُ من تركيب الله. والعبد

(١) يشير بذلك إلى أن الشر الذي يطير من الحجر أصغر بدنًا من الحجر والقداحة.

(٢) ش: «ما يكون»، صوابه ما أثبت من ط، هـ.

(٣) في الأصل: «إلى أن طال في الأعراض»، وهو كلام محرف.

(٤) انظر الكلام على «الصبر» في ص 5.

(٥) لأن البر أسمر والدقيق أبيض. ش، هـ: «كونه» بالكاف، وأثبت ما في ط.

(٦) ليست بالأصل. وبها يستقيم الكلام.

(٧) ط: «سويناه» هـ: «سويناه»، صوابهما ما أثبت من ش.

(٨) أي التي من طبعها الصعود إلى أعلى. ط: «الصفارة» وفي ش، هـ: «الصفافاة» محرف.

(٩) في الأصل: «فإن كان».

(١٠) في الأصل: «وتلك الأشياء»، بسقوط الهاء من «هو».

لا يقلبُ المَرَكَبَاتِ عن جواهرها بتركيبه ما ركب منها. والحَجَرُ متى صَكَّ بيضةً كسَرَهَا، وكيف دارَ الأمرُ، وسواءَ كانت الرِّيحُ تقلبه أو إنسانٌ⁽¹⁾.

فإن زعموا أن الفخار ليس ذلك التُّرابُ، وذلك الماءُ وتلك النارُ، وقالوا مثل ذلك في جميع الأخبصة والأنبذة⁽²⁾، كان آخرُ قياسهم أن يُجيئوا بجواب أبي الجهجاه⁽³⁾؛ فإنه⁽⁴⁾ زعم أن القائم غيرُ القاعد⁽⁵⁾، والعجين غيرُ الدقيق. وزعم⁽⁶⁾ - ولو أنه لم يقل ذلك⁽⁷⁾ - أن الحَبَّةَ متى فُلقت فقد بطل الصحيح، وحدثَ جِسْمان في هيئة⁽⁸⁾ نصفَي الحَبَّة. وكذلك إذا فُلقت بأربع فلق⁽⁹⁾، إلى أن تصيرَ سَوِيْقاً، ثم تصيرَ دقيقاً، ثم تصيرَ عجينةً، ثم تصيرَ خُبْزاً، ثم تعودَ رجيعاً وزُبْلاً، ثم تعودَ رِيحَاناً وَنَقْلاً، ثم يعودُ [الرجيع⁽¹⁰⁾] أيضاً لبناً وزُبْداً؛ لأنَّ الجَلَّالة⁽¹¹⁾ من البهائم تأكله، فيعودُ لحمًا ودمًا.

وقال⁽¹²⁾: فليس القولُ إلا ما قال أصحابُ الكُمُونِ، أو قولُ هذا.

(ردُّ النظام على أصحاب الأعراض)

قال أبو إسحاق: فإن اعترض علينا مُعْتَرِضٌ من أصحاب الأعراض⁽¹³⁾ فزعم أن النارَ لم

- (1) تقلبه، أي تحاول قلبه عن جوهره، فإن الرِّيحَ والإنسانَ لا يستطيعان ذلك. فالحجر الذي كونه الرِّيحُ، أو الذي صنعه الإنسان كما فعل بالفخار: يحتفظ بجوهرته الحجرية التي تكسر البيضة حين الصك. ونحو قول الجاحظ: «سواء كانت الرِّيح» إلخ عبارة صحيحة، أسلفت عنها قولاً في تذييل الجزء الرابع ص 305.
- (2) الأخبصة: جمع خبيص، وهو ككريم: ضرب من الحلواء المخبوصة، أي المخلوطة. وقد ذكر البغدادي (في كتاب الطبخ) ست صفات لعمله، إحداها: «يؤخذ رطل شيرج ويطرح عليه نصف رطل ماء ونصف درهم زعفران ورابع رطل من الدقيق السميد ويداف - أي يخلط - بأوقية ماء ورد ورطل عسل في موضع واحد، ويغلي ويحرك بإسظام حتى يطلق الدهن. ومن أراد طرح فيه كفا من الخشخاش، وخمسة دراهم فستق مقشر، ويغرف ويجعل تحته وفوقه السكر المدقوق ناعماً». هـ: «الأخبطة» محرف. وأما الأنبذة فجمع نبيذ.
- (3) هو أبو الجهجاه النوشرواني، روى عنه الجاحظ خبراً في البخلاء 36: «حدثني أبو الجهجاه النوشرواني قال: حدثني أبو الأحوص الشاعر قال: كنا نفطر عند الباساني فكان يرفع يديه قبلنا ويستلقي على فراشه، ويقول: إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً». ولم أعثر له على غير هذه الترجمة.
- (4) في الأصل: «فإن».
- (5) ط: «القاعدة»، صوابه في ش، هـ. يريد أن الشخص حين يقوم غيره حين يقعد.
- (6) ط، هـ، ش: «وزعموا» تصحيحه من ش. والضمير لأبي الجهجاه.
- (7) أي قياساً على مذهبه ولو لم يقله. والعبارة في أصلها: «أنه لو لم يقل ذلك». محرفة.
- (8) ط، هـ: «هيئته»، صوابه من ش.
- (9) «وكذلك» هي في أصلها: «كانت» محرفة. وفلق، كعنب: جمع فلقة، بالكسر، أي قطعة.
- (10) ليست بالأصل. وبها يلتزم الكلام.
- (11) الجلالة: التي تأكل الجلة والعذرة. والجلة، بالكسر: البعر، كما في اللسان.
- (12) أي أبو إسحاق. وفي الأصل: «وقال أبو الجهجاه».
- (13) انظر القول في أصحاب الأعراض في التنبيه الثامن ص 3.

تكن كامنةً، وكيف تكمنُ فيه وهي أعظم منه؟ ولكنَّ العودَ إذا احتكَّ بالعودِ حَمِيَّ العودان، وحمي من الهواء المحيط بهما الجزء الذي بينهما، ثم الذي يلي ذلك منهما، فإذا احتدم رقٌّ^(١)، ثم جفَّ^(٢) والتهب. وإنما النارُ هواءٌ استحالَ.

والهواء في أصل جوهره حارٌّ رقيق، وهو جسم رقيق، وهو جسمٌ^(٣) خَوَّازٌ، جيّد القبول، سريع الانقلاب.

والنار التي تراها أكثرَ من الحطب، إنما هي ذلك الهواء المستحيل، وانطفأؤها بطلان تلك الأعراض الحادثة من النارية فيه. فالهواء سريع الاستحالة إلى النار، سريع الرجوع إلى طبعه الأول. وليس أنها إذا عُدِمَتْ فقد انقطعت إلى شكل لها علويٌّ واتصلت، وصارت إلى تِلادها^(٤)، ولا أن^(٥) أجزاءها أيضاً تفرقت^(٦) في الهواء، ولا أنها^(٧) كانت كامنةً في الحطب، متداخلةً منقبضة فيه، فلما ظهرت انبسطت وانتشرت. وإنما اللَّهَبُ هواءٌ^(٨) استحال ناراً؛ لأنَّ الهواء قريبُ القرابة من النار، والماء هو حجازٌ بينهما، لأنَّ النار يابسةٌ حارة، والماء رطبٌ بارد، والهواء حارٌّ رطب، فهو يُشبه الماء من جهة الرطوبة والصفاء، ويُشبه النار بالحرارة والخفة فهو يخالفهما ويوافقهما؛ فلذلك جاز أن ينقلب إليهما انقلاباً سريعاً، كما ينعصر الهواء إذا استحال رطباً وحدث له كثافة، إلى أن تعود أجزاءه مطراً. فالماء ضدَّ النار، والهواء خلافٌ لهما، وليس بضدٍّ. ولا يجوز أن ينقلب الجوهر إلى ضده حتى ينقلب بَدِيًّا^(٩) إلى خلافه. فقد يستقيم أن ينقلب الماء هواءً، ثم ينقلب الهواء ناراً، وينقلب الهواء ماءً، ثم

(١) في اللسان: «الأزهري: الحدم: شدة إحماء الشيء بحر الشمس والنار. تقول خدمه كذا فاحتدم. وقال الأعشى:

وإدلاج ليل على غرة وهاجرة حرها محتدم

(٢) «جف» بالجيم، من الرطوبات التي به.

(٣) خوار، وزان كنان: أي ضعيف. وكلمة «رقيق» الثانية ساقطة من ش. وكلمتا «وهو جسم» ساقطتان من ط، ش.

(٤) التلاد، بالكسر: أصل معناه المال القديم الأصلي، فكأنه يريد أن يقول: تعود إلى معدنها وأصلها الأول. وفي اللسان: «قال أبو منصور: سمعت رجلاً من أهل مكة يقول: تلادي بمكة. أي: ميلادي». والفلاسفة الأولون يعللون صعود النار إلى أعلى بأنها توافقه إلى موطنها الأول. والعبارة في أصلها: «فقد انقطع إلى شكل لها علوي واتصل وصار إلى تلاده». والوجه ما أثبت، إذ الكلام في «النار».

(٥) في الأصل: «ولأن».

(٦) في الأصل: «تقرب»، وهو تحريف.

(٧) الواو ساقطة من ط، ش. وفي الأصل: «لأنها» صوابه ما أثبت.

(٨) في الأصل: «هو»، تحريف. وانظر بقية القول.

(٩) بديا: أي بدءاً وأولاً. وفي حديث سعد بن أبي وقاص قال يوم الشورى: «الحمد لله بديا». وفي تعقيب اللسان على هذا الحديث: «البدئي بالتشديد: الأول». وفيه: «وأصله الهمزة؛ وإنما ترك لكثرة الاستعمال». قلت: وقد وردت: «بديا» في مواضع من الحيوان، أذكر منها (4: 117، 184). وجاءت «بديثاً» على الأصل في نسخة كوبريلي من (3: 151).

ينقلب الماء أرضاً. فلا بدّ في الانقلاب من الترتيب والتدريج⁽¹⁾. وكلّ جوهر فله مقدمات؛ لأن الماء قد يحيل الطين صخراً، وكذلك في العكس، فلا⁽²⁾ يستحيل الصخرُ هواءً، والهواءُ صخراً، إلا على هذا التنزيل والترتيب⁽³⁾.

وقال أبو إسحاق لمن قال بذلك من حُذّاق أصحاب الأعراس: قد زعمتم أن النار التي عاينّاها لم تخرج من الحطب، ولكنّ الهواء المحيط بهما⁽⁴⁾ احتدّم واستحال ناراً. فلعلّ الحطب الذي يسيل منه الماء الكثير، أن يكون ذلك الماء لم يكن في الحطب، ولكنّ ذلك المكان من الهواء⁽⁵⁾ استحال ماء. وليس ذلك المكان من الهواء أحقّ بأن يستحيل ماءً من أن يكون سبيل الدخان في الاستحالة سبيل النار والماء. فإن قاس القوم ذلك، فزعموا أن النار التي عاينّاها⁽⁶⁾، وذلك الماء والدخان في كثافة الدخان وسواده، والذي يتراكم منه في أسافل القدور⁽⁷⁾ وسُقف المطابخ⁽⁸⁾ إنما ذلك هواء استحال، فلعلّ الرماد أيضاً، هواء استحال رماداً. فإن قلت: الدخان⁽⁹⁾ في أول ثقله المتراكم على أسافل القدور، وفي بُطون سُقف⁽¹⁰⁾ مواقد الحمامات، الذي [إذا⁽¹¹⁾] دُبّر ببعض⁽¹²⁾ التدبير جاء منه الأنقاس⁽¹³⁾ العجيبة أحقّ بأن استحال أرضياً⁽¹⁴⁾. فإن قاس [صاحب⁽¹⁵⁾] العَرَضِ، وزعم أن الحطب انحلّ بأسره، فاستحال بعضه رماداً كما قد كان بعضه رماداً⁽¹⁶⁾ مرةً، واستحال بعضه ماءً كما كان بعضه ماءً

(1) في الأصل: «فلا بد من الانقلاب في الترتيب والتدريج»، تحريف.

(2) في الأصل: «قد».

(3) ط، هـ: «ولا ترتيب». وأثبت صوابه من ش.

(4) ش: «بها»، والضمير للنار والحطب.

(5) في الأصل: «الماء». (6) ش: «عائنا».

(7) في الأصل: «القدر» بالإنفراد، والمقابلة والسياق يقتضي الجمع.

(8) السقف، بضمّتين: جمع سقف، بالفتح. ومثله السقوف.

(9) في الأصل: «الرماد». وهو سهو أو تحريف.

(10) هـ: «مسقف» محرف. وانظر التنبيه الثامن.

(11) بهذه الكلمة يلتئم القول، وليست بالأصل.

(12) ط فقط: «بعض» بإسقاط الباء الأولى.

(13) الأنقاس: جمع نقس، بكسر النون وإسكان القاف، ويقال أيضاً بفتح النون، كما في صبح الأعشى (2: 461).

ولم يذكر هذه صاحب اللسان والقاموس، وهو المداد والحبر. وفي الأصل: «الأنفاس» بالفاء، تصحيف ما أثبت. وقد فرق صاحب صبح الأعشى في (2: 465) بين صناعة المداد وصناعة الحبر، وهو اصطلاح صناعي لا لغوي، فإن اللغويين لا يفرقون بينهما. ويفهم منه أن الدخان يدخل في صناعة المداد، وأما في صناعة الحبر، فلا يدخل إلا في الصنف الأول، يعني به الذي يكتب به على الكاغد أي الورق. أما الصنف الثاني من الحبر وهو الذي يكتب به على الرق: أي الجلد الرقيق، فلا يدخل الدخان في صنعته.

(14) كلمة «استحال» ساقطة من هـ. وموضعها أبيض في ش.

(15) ليست بالأصل، والمراد بصاحب العرض من يزعم أن المواد مكونة من عدة أعراس. وزعيم هذا المذهب هو

ضرار بن عمرو صاحب الضرارية. انظر التنبيه السادس من ص 6.

(16) في الأصل: «ماء» محرف.

مرة، وبعضه استحال أرضاً، كما كان بعضه أرضاً مرة، ولم يقل إن الهواء المحيط به استحال رماداً، ولكن بعض أخلاط الحطب استحال رماداً ودخاناً، وبعض الهواء المتصل به استحال ماءً وبعضه استحال ناراً، على قدر العوامل، وعلى المقابلات له. وإذا قال صاحب العرض ذلك كان قد أجاب في هذه الساعة على حد ما نزلته لك. وهذا باب من القول في النار. وعلينا أن⁽¹⁾ نستقصى للفريقين. والله المعين.

(رد على منكري الكمون)

وباب آخر، وهو أن بعض من ينكر كمون النار في الحطب قالوا: إن هذا الحر الذي رأيناه قد ظهر من الحطب، لو كان في الحطب لكان واجباً أن يجده من مسه كالجمر المتوقع، إذا لم يكن دونه مانع منه. ولو كان هناك مانع لم يكن ذلك المانع إلا البرد؛ لأن اللون والطعم والرائحة لا يفسد الحر، ولا يمانعه⁽²⁾ الذي يضاده، دون الذي يخالفه ولا يضاده⁽³⁾.

فإن زعم زاعم أنه قد كان هناك من أجزاء البرد ما يعادل ذلك الحر ويطاوله، ويكافيه ويوازيه؛ فلذلك صرنا إذا مسسنا⁽⁴⁾ الحطب لم نجده مؤذياً، وإنما يظهر الحرق ويحرق لزوال البرد، إذا قام في مكانه وظهر الحر وحده فظهر عمله. ولو كان البرد المعادل لذلك الحر مقيماً في العود على أصل كمونه فيه. لكان ينبغي لمن مس الرماد بيده أن يجده أبرد من الثلج، فإذا كان مسه كمس غيره، فقد علمنا أنه ليس هناك من البرد ما يعادل هذا الحر الذي يحرق كل شيء لقيته.

فإن زعم أنهم خرجا جميعاً من العود، فلا يخلو البرد أن يكون أخذ في جهته، فلم وجدنا الحر وحده وليس هو بأحق أن نجده من ضده. وإن كان البرد أخذ شملاً، وأخذ الحر جنوباً، فقد كان ينبغي أن يجمد ويهلك ما لاقاه⁽⁵⁾، كما أهلك الحر وأحرق وأذاب كل ما لاقاه. قالوا: فلما وجدنا جميع أقسام هذا الباب، علمنا أن النار لم تكن كامنة في الحطب.

قال أبو إسحاق: والجواب عن ذلك أنا نزعنا أن الغالب على العالم السفلي الماء والأرض، وهما جميعاً باردان، وفي أعماقهما وأضعافهما من الحر ما يكون مغموراً ولا يكون غامراً⁽⁶⁾، ويكون مغموراً ولا يكون قامعاً؛ لأنه⁽⁷⁾ هناك قليل، والقليل ذليل، والذليل

(1) هذه الكلمة ساقطة من ش، هـ.

(2) تكلمة ضرورية ليست بالأصل. والمراد أنه لا يمانع الحر إلا مضاده وهو البرد.

(3) الكلام من مبدأ «دون» شاقط من ش.

(4) في القاموس: «مسسته»، بالكسر أمسه مساً ومسيساً ومسيسي كخلفني؛ ومسسته كصترته: أي لمسته.

(5) يجمد، بالجم: من الإجماد، وفي الأصل: «يجمد» بالخاء. والوجه ما أثبت. هـ: «يهلك بالأقسام»، تحريف.

(6) ط، ش: «معموراً» و«غامراً» بالعين المهملة فيهما، صوابه ما في هـ.

(7) أي الحر، وفي الأصل: «لأن».

غريب، والغريب محقور. فلما كان العالم السفلي كذلك، اجتذب⁽¹⁾ ما فيه من قوة البرد وذلك البرد⁽²⁾ الذي كان في العود عند زوال مانعه؛ لأن العود مقيم في هذا العالم⁽³⁾. ثم لم ينقطع ذلك البرد إلى برد الأرض، الذي هو كالقرص له⁽⁴⁾، إلا بالطفرة⁽⁵⁾ والتخليف⁽⁶⁾، لا بالمرور على الأماكن والمحاذة لها⁽⁷⁾ وقام برد الماء منه مقام قرص الشمس من الضياء الذي يدخل البيت للحرق الذي يكون فيه، فإذا سدد فمع السد ينقطع إلى قرصه، وأصل جوهره. فإذا أجاب بذلك أبو إسحاق لم يجد خصمه بدءاً من أن يبتدىء مسألة في إفساد القول بالطفرة والتخليف⁽⁸⁾.

ولولا ما اعترض به أبو إسحاق من الجواب بالطفرة في هذا الموضوع، لكان هذا مما يقع في باب الاستدلال على حدوث العالم.

(قول النظام في الكمون)

وكان أبو إسحاق يزعم أن احتراق الثوب والحطب والقطن، إنما هو خروج نيرانه منه، وهذا هو تأويل الاحتراق، وليس أن ناراً جاءت من مكان فعملت في الحطب، ولكن النار الكامنة في الحطب لم تكن تقوى على نفي ضدها عنها، فلما اتصلت بنار أخرى، واستمدت منها، قويتا جميعاً على نفي ذلك المانع، فلما زال المانع ظهرت. فعند ظهورها تجزأ⁽⁹⁾ الحطب وتجفف وتهافت؛ لمكان عملها فيه. فأحراقك للشيء إنما هو إخراجك نيرانه منه. وكان يزعم أن حرارة⁽¹⁰⁾ الشمس، إنما تحرق في هذا العالم بإخراج نيرانها منه. وهي

(1) اجتذب: امتص. وهذه الكلمة محرفة في الأصل، ففي ط: «حدث» و هـ: «أحدث» و ش: «جذب».

(2) أي وذلك هو البرد.

(3) أي العالم السفلي.

(4) يشير بذلك إلى أن برد العود الذي كان قد اكتسبه من الأرض، إذا أراد الاتصال ببرد الأرض مرة أخرى، وذلك حين إشعال العود، فإن ذلك الانقطاع والانتقال لا يكون إلا بالطفرة، وهي مذهب كلامي سيفسر عقب هذا. وقد جعل الجاحظ منزلة برد الأرض من برد العود، كمنزلة قرص الشمس من ضيائها، فإن الأول أصل الثاني. و«كالقرص» هي في أصلها: «كالعرض»، تحريف اتضح لك صوابه مما بينت.

(5) الطفرة، معناها اللغوي: الوثبة. والمراد بها هنا المذهب الكلامي المنسوب إلى إبراهيم النظام كما في الفصل (5: 64)، وهي دعواه أن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها ذلك المار، ولا مر عليها، ولا حاذها، ولا حل فيها. انظر أيضاً الفرق بين الفرق 124 س 6، 7، 15.

(6) كذا في هـ. والتخليف: الترك. وفيه معنى الطفرة. ش، ط: «التحطيف» بالحاء المهملة بعدها طاء مهملة. وليس لها وجه.

(7) في الأصل: «على الأمور بالأماكن والمجاورة لها». وأصلحت العبارة على ضوء تفسير كلمة «الطفرة» السابق.

(8) ط، ش: «التحطيف» صوابه من هـ. وانظر التنبيه السادس من هذه الصفحة.

(9) هـ: «تجزأ».

(10) في الأصل: «حر». والضمير بعده لمؤنث.

لا تُحرق ما عقد العَرَضُ وَكَثَّفَ تلك الندَاوة^(١) ؛ لأن التي عقدت تلك الأجزاء من الحر أجناس لا تحترق، كاللون والطعم والرائحة، والصوت. والاحتراق إنما هو ظهور النار عند زوال مانعها فقط.

وكان يزعم أن سمّ الأفعى مقيماً في بدن الأفعى، ليس يُقتل، وأنه متى مازَجَ بدنًا لا سمّ فيه لم يقتل ولم يُتلف، وإنما يتلف الأبدان التي فيها سموم ممنوعة مما يُضادُّها. فإذا دخل عليها سمّ الأفعى، عاون السم الكامن ذلك السمّ الممنوع على مانعه. فإذا زال المانع تلف البدن. [فكان^(٢)] المنهوش عند أبي إسحاق، إنما كان أكثر ما أتلفه السمّ الذي معه.

وكذلك كان يقول في حرّ الحمام، والحر الكامن في الإنسان: أَنَّ الغَشِيَّ الذي يعتره في الحمام [ليس^(٣)] من الحر القريب، ولكن من الحر الغريب، حرّ الحر الكامن في الإنسان، وأمدّه ببعض أجزائه، فلما قوي عند ذلك على مانعه فأزاله، [صار^(٤)] ذلك العمل الذي كان يُوقعه بالمانع^(٥) واقعاً به. وإنما ذلك كماء حار يحرق اليد^(٦)، صَبَّ عليه ماءً بارداً، فلما دخل عليه الماء البارد صار شُغْلُهُ بالداخل، وصار من وَضَعَ يده فيه ووضع يده في شيء قد شُغِلَ فيه بغيره. فلما دفع الله، عز وجل، عنه^(٧) ذلك الجسم الذي هو مشغول به، صار ذلك الشُغْلُ مصروفاً إلى من وضع يده فيه؛ إذ كان لا ينفك من عمله.

وكان مع ذلك يزعم أنك لو أطفأت نَارَ الأَثُونِ^(٨) لم تجد شيئاً من الضوء، ووجدت الكثير من الحر؛ لأن الضياء لما لم يكن له في الأرض أصل ينسب إليه^(٩)، وكان له في العلوّ أصل، كان أولى به^(١٠).

وفي الحقيقة أنهما جميعاً قد اتصلا بجوهرهما من العالم العلوي، وهذا الحر الذي تجده^(١١) في الأرض، إنما هو الحر الكامن الذي زال مانعه. هكذا كان ينبغي أن يقول. وهو قياسه.

(١) الندَاوة، كسحابة: مصدر ندي يندي. ويقال لها أيضاً: «الندوة» كفتوة. وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في هـ.

(٢) الزيادة من ش، هـ ويصح أن تقرأ بالهمز: «فكان» فينصب الاسم بعدها.

(٣) التكملة من ش، هـ.

(٤) بمثل هذه الكلمة يلتزم القول.

(٥) في الأصل: «توقعه». والضمير الحر، وهو مذكر. هـ: «بالموقع» مصحفة.

(٦) ط: «الماء» صوابه ما أثبت من ش، هـ.

(٧) ط: «عند» بالبدال، تصحيحه من ش، هـ.

(٨) الأثون، كتثور، وقد يخفف. سبق الكلام فيه في التنبيه السابع من ص 4.

(٩) في الأصل: «لو لم يكن». إلخ، وهو تحريف. وفي ش: «نسب إليه».

(١٠) أي كان العلو أولى به.

(١١) ش: «تجده» بالنون.

وكان يزعم أنك إن أبصرت مصباحاً قائماً إلى الصُّبح^(١) أن الذي رأيته في أول وهلة قد بطلَ من هذا العالم، وظفر من الدهن^(٢) بشيء من وزنه وقدره بلا فضل^(٣)، ثم كذلك الثالث والرابع والتاسع. فأنت إن ظننت أن هذا المصباح ذلك، فليس به، ولكن ذلك المكان [لما كان^(٤)] لا يخلو من أقسام متقاربة متشابهة، [و^(٥)] لم يكن في الأول شية^(٦) ولا علامة، وقع عندك أن المصباح الذي رأيته مع طلوع الفجر، هو الذي رأيته مع غروب الشَّقَق.

وكان يزعم أن نار المصباح لم تأكل شيئاً من الدُّهن ولم تشربه⁽⁷⁾ ، وأن النار لا تأكل ولا تشرب ، ولكن الدهن ينقص على قدر ما يخرجُ منه من الدخان والنار الكامنين ، اللذين كان فيه . وإذا خرج كلُّ شيء فهو بطلانه .

(المجاز والتشبيه بالأكل)

وقد يقولون ذلك ⁽⁸⁾ أيضاً على المثل ، وعلى الاشتقاق ، وعلى التشبيه .

فإن قلتم: فقد قال الله عز وجل في الكتاب: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾^(٩) ﴿عَلِمْنَا أَنَّهُ لَافْتِنَةٌ﴾. إنما كلمهم بلغتهم.

وقد قال أوسر بن حَجَر^(١٠):

- (1) ش، هـ: «أَنْتَ وَإِنْ» بزيادة واو. وفي ب: «إلى الصلح» باللام. وهما تحريفان.
- (2) ط، هـ: «الدهر» بالراء، صوابه بالنون كما في ش.
- (3) الفضل، بالضاد المعجمة، بمعنى الزيادة. وفي ط: «بالأفضل» وهـ: «بلا فصل» بالصاد، بمعنى الفرق، والأولى محرفة. وأثبت ما في ش.
- (4) ليست بالأصل. وبها يصلح الكلام.
- (5) تكملة ضرورية.
- (6) الشية، كعدة: اللون يخالف معظم اللون. والمراد بها هنا العلامة المميزة. وليس يعني أنه ليس في المصباح الأول شية مطلقاً، ولكنه يريد أنه لا يميز المصباح الأول من الثاني علامة خاصة، بل العلامات فيهما واحدة. وفي الأصل: «شبه» بالباء الموحدة، صوابه ما أثبت.
- (7) ش: «لم يأكل»، و«لم يشربه».
- (8) أي الأكل ومشتقاته.
- (9) الآية 183 من سورة آل عمران. وتماهما: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَاقِينَتَ وَإِلَازِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. والكلام في بني إسرائيل، زعموا أن علامة النبوة أن تنزل نار من السماء فتأكل قربان النبي. والقربان: ذبائح كانوا يذبحونها، وهو مصدر قرب يقرب، وقرئ: «بقربان» بضمين. انظر الزمخشري.
- (10) ينعت صانع قوس، أجهد نفسه في الحصول على نبعة في صدع الجبل، فإن ذلك خير النبع وأصلحه للقيسي.
- وقبل البت، كما في الديوان واللسان (لهب):

فَأَبْصَرَ الْهَابَاً مِنَ الطُّودِ دُونَهَا يَرَى بَيْنَ رَأْسَيْ كُلِّ نِيقِينَ مَهْبِلَا
الْأَلْهَابِ: جمع لهب بالكسر: وهو الفرجة والهواء بين الجبلين، أو الصدع في الجبل.

- فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ وَهُوَ مُعْصِمٌ وَأَلْقَى بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلًا⁽¹⁾
 وَقَدْ أَكَلْتُ أَظْفَارَهُ الصَّخْرُ كُلَّمَا تَعَايَا عَلَيْهِ طَوْلُ مَرْقَى تَوَصَّلًا⁽²⁾
 فجعل النحتَ والتَّنْقِصَ أَكَلًا .
 وقال خَفَافُ بْنُ نَدْبَةَ⁽⁴⁾ :
 أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا كُنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبُعُ⁽⁵⁾
 والضَّبُعُ : السَّيَّةُ⁽⁶⁾ . فجعل تَنَقُّصَ الجَدْبِ ، والأزْمَةُ ، أَكَلًا⁽⁷⁾ .
 [باب آخر مما يسمونه أَكَلًا⁽⁸⁾] . وقال مِرْدَاسُ بْنُ أَدِيَّةَ⁽⁹⁾ :
 وَأَدَّتِ الْأَرْضُ مِنِّي مِثْلَ مَا أَكَلْتُ وَقَرَّبُوا لِحَسَابِ الْقِسْطِ أَعْمَالِي⁽¹⁰⁾
 وَأَكُلُ الْأَرْضَ لَمَّا صَارَ فِي بَطْنِهَا : إِحَالَتِهَا لَهُ إِلَى جَوْهَرِهَا .

- (1) أشرط : أي جعل نفسه شرطاً ، والشرط ، بالتحريك : العلامة . والمعنى أنه هباً نفسه لهذه النبعة التي يريد الحصول عليها . معصم : أي معتصم بالحبل الذي دلاه في صدع الجبل ليصل إلى النبعة . والأسباب : جمع سبب ، بالتحريك ، وهو الحبل . وفي اللسان : «وقيل لا يسمي الحبل سبباً حتى يكون طرفه معلقاً بالسقف أو نحوه» . وجاء مثله في قول ابن أحمر (المقصود ص 30) :
 فَأَشْرَطَ نَفْسَهُ حَرْصاً عَلَيْهِ وَكَانَ بِنَفْسِهِ حَجْئاً ضَنِينَا
 أي ممسكاً بخيلاً .
 (2) أنت الفعل لما أن الفاعل «الصخر» وهو مجازي التأنيث . ومجازي التأنيث يصح في فعله التذكر والتأنيث . وتعايا عليه الأمر : أعجزه . هـ : «نفايا» تصحيف صوابه من س ، ط . ورواية الديوان : «تَعَايَا» وهي بمعنى تعايا . وقد أَكَلْتُ أَظْفَارَهُ الصَّخْرَ حينما كان يصعد في الجبل لينزل منه إلى اللهب الذي فيه النبعة .
 (3) التَّنْقِصُ : النقص ، يقال نقصه وتنقصه . وفي الأصل : «الشص» بالشين . وما أثبت أقرب تصحيح لهذا التصحيف .
 (4) كذا . والصواب أن قاتل البيت هو العباس بن مرداس السلمي ، كما في الخزانة (4: 13 سلفية) ، واللسان (خرش) . يخاطب به خفاف بن ندبة ، ويحرضه على الصلح ، ويثبته عن الحرب . وكان خفاف بن ندبة يكنى «أبا خراشة» .
 (5) خراشة بضم الخاء كما في الخزانة (4: 11 سلفية) واللسان (خرش) . و«أما كنت» هذه رواية ش ، هـ . وهي رواية أبي حنيفة في كتاب النبات ، وابن دريد في الجمهرة ، وعلى هذه الرواية يعتمد الكوفيون في قولهم : «إن (أن) المفتوحة شرطية يجازى بها . الخزانة (4: 12 سلفية) . ورواية ط ، ويظهر أنها تصرف من المصحح الأول : «إما أنت» ، وهي الرواية المشهورة . وللنحويين فيها كلام طويل جمعه صاحب الخزانة ، وبعد البيت :
 السَّيَّةُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جَرَعُ
 (6) السنة ، بمعنى الجذب والقحط . وأسننوا : أجذبوا .
 (7) في الأصل : «شقص» . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة . وفي ط بعد كلمة «الأزمة» «باباً آخر مما يسمونه أَكَلًا» وهو إقحام وتحريف . وانظر التنبيه التالي .
 (8) هذه التكملة من ش فقط .
 (9) هو أبو بلال مرداس بن أدية - بهيئة التصغير - أحد الخوارج . خرج في أيام يزيد بن معاوية ، بناحية البصرة ، على عبيد الله بن زياد ، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامري فهزم زرعة ، ثم وجه إليه عباد بن علقمة وهو عباد بن أخضر ، نسب إلى زوج أمه - فهزمه وقتله سنة 61 ، تاريخ الطبري 6: 271 وجمهرة أنساب العرب 211 .
 (10) القسط ، بالكسر : العدل .

باب آخر (في المجاز والتشبيه بالأكل)

وهو قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ طُلُمًا﴾ [النساء: 10] وقوله تعالى، عز اسمه: ﴿أَكُلُونَ لِلشَّحْتِ﴾⁽¹⁾. وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الخل، وركبوا الدواب، ولم ينفقوا منها درهما واحداً في سبيل الأكل. وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: 10]. هذا مجاز آخر. وقال الشاعر⁽²⁾ في أخذ⁽³⁾ السنين من أجزاء الخمر:

أَكَلَ الدَّهْرُ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا وَتَبَقَّى مُصَاصَهَا الْمَكْنُونَا⁽⁴⁾
وقال الشاعر:

مَرَّتْ بِنَا تَخْتَالُ فِي أَرْبَعٍ يَأْكُلُ مِنْهَا بَعْضُهَا بَعْضَا⁽⁵⁾
وهل قوله: «وقد أكلت أظفاره الصخر»⁽⁶⁾، إلا كقوله⁽⁷⁾:

(1) من الآية 42 في سورة المائدة. والسحت، بالضم، ما خبث من المكاسب. قالوا: سمي بذلك، لأنه يسحت البركة: أي يذهبها. وسحت الشيء يسحته: قشره قليلاً قليلاً.

(2) هو أبو نواس من خمرة رائعة له في ديوانه 338-339 مطلعها:

أدر الكأس حان أن تسقينا وانقر الدف إنه يلهيـنا
(3) ط، ش: «أجزاء» ه: «أخر» بالزاي. صوابهما ما أثبت.

(4) ط، ه: «الدهم» صوابه في ش. وتجسم، بالسين: أي صار جسماً. وهو يريد أنه لم يبق من الخمر إلا روحها. والخمر إذا عتقت صفت ورقت وكاد يخنفي جسمها. وفي ذلك قول ابن المعتز (ديوانه 2: 30):

لم يبق منها البلى شيئاً سوى شبح مقيمة الظن بين الصدق والكذب
وقوله (ديوانه 2: 43):

فأبرزها تحدث عن زمان كلمع الآل في البید القفار
وقول أبي نواس بعد البيت المتقدم:

فإذا ما اجتليتها فهباء تمنع الكف ما تبیح العیونا
وتبقى، أي أبقى وترك. يقال أبقاه وبقاه وتبقاه واستبقاه، كما في اللسان. والمصاص، بالضم، خالص كل شيء. ورواية الديوان: «وتبقى لبابها».

(5) في أربع: أي أربع من صوابها. وقد أراد أنها في تشبهها وتأودها وتعطفها كأنما يأكل بعضها بعضاً.

(6) جزء من بيت لأوس بن حجر سيق في ص 16.

(7) هو خالد بن الطيفان كما سيأتي في (6: 24) وكما في المؤلف 149، وصدر البيت:

تري الشر قد أفنى دوائر وجهه

والطيفان أمه، فهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء. وفي القاموس: «وابن الطيفان»، كحيران: خالد بن علقمة، شاعر. وطيفان أمه. وفي المؤلف: «فأما ابن الطيفان فهو خالد بن علقمة بن مرثد، أحد بني مالك ابن زيد بن عبد الله بن دارم». وفي اللسان (13: 267): «ابن الطيفان الدارمي. والطيفان أمه». وفي الشعراء أيضاً (ابن الطيفانية) نسب إلى أمه أيضاً. وهو عمرو بن قبيصة، أحد بني زيد بن دارم. القاموس والمؤلف

كَضَبُ الْكُدَى أَفْنَى بِرَأْسَتِهِ الْحَفَرُ⁽¹⁾

وإذا قالوا: أكله الأسد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف⁽²⁾. وإذا قالوا: أكله الأسود⁽³⁾ فإنما يعنون النهش واللدغ والعض فقط.

وقد قال الله عز وجل: ﴿يَحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: 12]. ويقال: هم لحوم الناس⁽⁴⁾.

وقال قائل لإسماعيل بن حماد⁽⁵⁾: أي اللُحْمَانِ أطيب؟ قال: لحوم الناس، هي والله أطيب من الدجاج، ومن الفراخ، والعُنُوزُ الحُمْرُ⁽⁶⁾.

ويقولون في باب آخر: فلائن يأكل الناس. وإن⁽⁷⁾ لم يأكل من طعامهم شيئاً.

وأما قول أوس بن حجر:

وذو شطبات قده ابن مجدع
له رونق ذريته يتأكل⁽⁸⁾

(1) الكدَى: جمع كدية بالضم، وهي الأرض الغليظة. وفي الأصل: «الكرى» بالراء، محرفة، و«أفنى» هي في الأصل: «أبرى»، صوابه من الجزء السادس والمؤتلف. ولا يقال: أبرى من البرى، بل يقال: أبرى الناقة أي جعل لها برة في أنفها.

(2) هـ: «المفروض» محرف.

(3) الأسود، هنا: ضرب خبيث من الأفاعي.

(4) كذا وردت هذه العبارة. ولعلها مقحمة مأخوذة من الخبر بعدها.

(5) هو إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة صاحب المذهب، ولي القضاء بالرصافة، ثم بالبصرة سنة 210 وتوفي سنة 212، وكان من كبار الفقهاء. تاريخ بغداد 3280، ولسان الميزان 1257، ط: «لأسماء» صوابه في ش، هـ.

(6) العنوز: جمع عنز، وهي الأثنى من المعز، هـ: «العتود» وهو بالفتح: الحولي من أولاد المعز، جمعه أعتدة وعدان. وليست تلائم الكلام لإفرادها بعد جمعيين، ولو صنفها بمؤنث. الحمر: جمع حمراء. وفي الأصل: «والحمر» والواو زائدة.

(7) في الأصل: «إن» والوجه زيادة الواو قبلها.

(8) الشطبات، بضم الشين والطاء، جمع شطبة، بالضم، وهي الطريقة من طرائق السيف: أي الخط فيه. وتقرأ أيضاً: «شطبات» بضم ففتح، جمع شطبة بضم ففتح وبالمعنى المتقدم. وقد عني به السيف. قده: قدره وصنعه. وابن مجدع، أحد صنّاع السيوف. وكان العرب ينسبون السيوف والسهام والرماح إلى صنّاعها، كما يضيف الناس اليوم أشياءهم إلى المصنّاع التي أخرجتها. والرونق: ماء السيف وصفاءه وحسنه. وذرى السيف، كالمسنوب إلى الذر: ماؤه وفرنده. وانظر ما سبق في (4: 17)، ط، هـ: «رديه» محرف. ش: «دريه» بالبدال المهملة، وهي رواية الديوان أيضاً. ولا بأس بها. وذرى السيف، بضم الدال: تألؤه. وقد روى بالوجهين بيت عبد الله بن سبرة:

كل ينوء بماضي الحد ذي شطب
جلّى الصياقل عن ذريه الطبع

وقد مضى في (4: 17)، وكذا بيت دريد بن الصمة:

وتخرج منه ضرة اليوم مصدقا
وطول السرى ذرى عضب مهند

انظر اللسان (5: 391-392) و(6: 154-155). والتأكل: شدة بريق السيف. وصواب رواية البيت: «وذا شطبات» بالنصب، لأن قبله كما في الديوان:

تخير مرءا ذا سواعد إنه
أعف وأدنى للرشاد وأجمل

فهذا على خلاف الأول. وكذلك قول دُهمان النهري⁽¹⁾ :
سَأَلْتَنِي عَنْ أَنْاسٍ أَكَلُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلُ⁽²⁾
 فهذا كله مختلف وهو كله مجاز.

باب آخر (في مجاز الذوق)

وهو قول الرَّجل إذا بالغ في عقوبة عبده: ذُق! و: كيف ذقته؟! و: كيف وجدت طعمه!
 وقال عز وجل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49].
 وأما قولهم: ما ذقت اليوم ذواقاً⁽³⁾. فإنه يعني: ما أكلت اليوم طعاماً، ولا شربت
 شراباً، وإنما أراد القليل والكثير، وأنه لم يذقه، فضلاً عن غير ذلك.
 وقال بعض طبقات⁽⁴⁾ الفقهاء، ممن يشتهي أن يكون عند الناس متكلماً: ما ذقت اليوم
 ذواقاً على وجه من الوجوه، ولا على معنى من المعاني، ولا على سبب من الأسباب، ولا
 على جهة من الجهات، ولا على لون من الألوان. وهذا من عجيب الكلام!
 قال: ويقول الرجل لو كيّله: إيت فلاناً فذُق ما عنده⁽⁵⁾.
 وقال شماغ بن ضرار:

فذاق فأعطته من اللين جانباً كفى، ولها أن يُغرق السهم حاجزاً⁽⁶⁾

(1) كذا جاءت نسبة البيت. ولم أعثر لدُهمان هذا على ترجمة. والمعروف نسبته إلى النابغة الجعدي، كما في أمالي
 المرتضى (1: 66) واللسان (13: 22) والحماسة بشرح المرزوقي 807، وهو في أمثال الميداني (1: 37) مهملة النسبة.
 (2) «أكلوا» كذا جاءت. وقد تكون صحيحة بقراءتها بالمبني للمفعول، فتفسر بمعنى أكلهم الدهر وأفناهم. ورواية
 المرتضى واللسان: «هلكوا» وفي اللسان «بأناس» وهي من لغة الكتاب. وفيه: ﴿فَسَتَلِ بِهِ خَيْرًا﴾ أي عنه،
 وصدر البيت عند الميداني:

كما رأينا من أناس قبلنا

قال الميداني: «يضرب لمن طال عمره». وهذا عجب منه. والحق أنه يضرب لمن مضى على هلكه طويل
 زمن. قال أبو عمرو: «يقول: مر عليهم» وقال غيره: «معناه شرب الناس بعدهم وأكلوا». وهذان التفسيران
 من اللسان. وقد وضع المرتضى التفسير الثاني بقوله: «شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا».
 (3) ذواقاً، بالفتح: فعال بمعنى مفعول، من الذوق. والذواق هو المأكول والمشروب.
 (4) كذا. ولعلها: «مطبقات». والمطبقات، بضم الميم وإسكان الطاء: الدواهي التي تطبق.
 (5) أي تعرف ما عنده وأخبره.
 (6) يقول: ذاق ذلك الرجل القوس ليختبر ما شدتها وما لينها، فوجدها على جانب كاف من اللين، وذلك أحمد لها
 وأبعد لمرماها. وقال: لها حاجز، من الشدة المخالطة للين، يمنع إغراق السهم، وهو أن تصل حديدته إلى كبد
 القوس؛ فربما قطعت يد صاحبها. وفي مثل هذا المعنى قول العكلي (الحيوان 3: 40):

في كفه معطية منوع

شريانة تمنع بعد اللين

ش، هـ: «تعرف السهم تاجر» تحريف صوابه في ط والديوان 49 من قصيدته الزائفة المشهورة.

وقال ابن مُقْبِل :

أَوْ كَاهْتِزَا زِرْدُ ذِي تَذَاوَقَهُ أَيْدِي التَّجَارِ فَرَاذُوا مَتْنَهُ لِينَا⁽¹⁾

وقال نَهْشَلُ بْنُ حَرِّي⁽²⁾ :

وَعَهْدُ الْغَانِيَاتِ كَعَهْدِ قَيْن وَنَتْ عَنْهُ الْجَعَائِلُ مُسْتَذَاقُ⁽³⁾

الجعائلُ : من الجُعْل .

وتجاوزوا ذلك إلى أن قال يزيدُ بن الصَّعِقِ⁽⁴⁾ ، لبني سُليم حين صنعوا بسيدهم العباس⁽⁵⁾ ما صنعوا . وقد كانوا تَوَجَّوه وملكوه ، فلما خالفهم في بعض الأمر وثبوا عليه ، وكان سبب ذلك قلة رَهْطِهِ . وقال يزيد بن الصَّعِقِ :

وإنَّ اللَّهَ ذَاقَ حُلُومَ قَيْسٍ فلما ذاقَ خِفَّتْهَا قَلَاهَا⁽⁶⁾

رَأَاهَا لَا تَطِيعُ لَهَا أَمِيرًا فخلَّاهَا تَرَدَّدُ فِي خَلَاهَا⁽⁷⁾

فرغم أن الله ، عز وجل ، يذوق .

(1) في الأصل : « وكاهتزاز » وصواب الرواية من اللسان (11 : 402) وأما القالي (1 : 229) . وقبل البيت :

يَهْزَنُ لِلْمَشْيِ أَوْصَالًا مَنْعَمَةً هز الشمال ضحى عيدان يبرينا

وهذه رواية اللسان . وفي الأمالي : « هز الجنوب معاً » صوابها : « ضحا » يصح كتابتها بالألف وبالياء . والرديني : الرمح ، منسوب إلى ردينة ، وهي امرأة كانت تتفنن هي وزوجها - سمهر - صنع الرماح بخط هجر . والتذاوق من الذوق ، وهو هنا الاختبار . وفي اللسان : « المعروف » تداوله » ورواية القالي : « تناوله » والتجار : كتتاب : جمع تاجر . وهو من يتجر في الشيء ، أو هو الحاذق بمعرفة الشيء . وفي اللسان : « ابن الأعرابي » تقول العرب : إنه لتاجر بذلك الأمر ، أي حاذق . ورواية الزمخشري في أساس البلاغة : « أيدي الكماة » جمع كمي ، وهو الشجاع .

(2) نهشل بن حري ، كالمنسوب إلى الحر : شاعر مخضرم أدرك معاوية ، وكان مع علي في حروبه . الإصابة 8878 والخزانة (1 : 284 سلفية) . وفي الأصل : « بشار بن حربي » تصحيحه من اللسان (11 : 401 ، 12 : 280) وجمهرة العسكري 6 وأمثال الميداني (1 : 360) .

(3) القين ، بالفتح : الحداد ، أو الصانع ، أو العامل . ونت : أبطأت . ط ، ش : « وف » ه : « وبت » محرفتان عما أثبت من اللسان . وفي الأصل : « عند » صوابه من اللسان . والجعائل : جمع جعالة ، بالتثنية ، وهو ما يجعل له على عمله . مستذاق . مختبر . جعل عهدهن للمحب كعهد القين لإخوانه إذا أبطأ عنه أجره ، فإنه ينقطع عنهم ولا يستطيع مجاراتهم ومنادمتهم والانصال بهم .

(4) الصعق ، ككتف : لقب خويلد بن نفيل . القاموس . ويزيد هذا هو ابن عمرو بن خويلد بن نفيل . وكان يزيد من فرسان العرب ، وله ذكر في يوم جيلة . وكان جيلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الخزانة (1 : 388) والأغاني (10 : 42 ، 44 ساسي) .

(5) هو العباس بن أسد الرعلي ، كانت بنو سليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه في الجاهلية ، فحسده ابن عم له فلطم عينه ، فخرج عباس من أعمال بني سليم في عدة من أهل بيته وقومه ، فنزل في بني فزارة . الأغاني (16 : 55 ساسي) .

(6) في جمهرة العسكري 6 : « فلما راء » ، أي رأى .

(7) خلاها : تركها . والخلئ ، مقصورة : الرطب من النبات ، واحدته خلا . يقول : جعلها كالسوائم تتراد المراعي . وهذا الجنس من أقدم ما عرف .

[و⁽¹⁾] عند ذلك قال عباس الرُّعْلِيّ ⁽²⁾ يخبر عن قَلَّتِهِ وكثرتهم، فقال:

وَأُمُّكُمْ تُزْجِي الثُّوَامَ لِبَعْلِهَا وَأُمُّ أَخِيكُمْ كَرْزَةُ الرَّحِمِ عَاقِرٌ ⁽³⁾

وزعم يونس أن أسلم بن زرعة ⁽⁴⁾ لما أنشد هذا البيت اغرورقت عيناه. وجعل عباس ⁽⁵⁾ أمه عاقراً إذ كانت نزوراً ⁽⁶⁾. وقد قال الغنوي:

وتحدثوا ملاً لتُصْبِحَ أُمَّنَا عَذْرَاءَ لَا كَهْلٌ وَلَا مَوْلُودٌ ⁽⁷⁾

جَعَلَهَا إِذْ قُلَّ وَلَدُهَا كَالْعَذْرَاءِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ قَطُّ. لما كانت كالعذراء جعلها عذراء.

وللعرب إقدام على الكلام، ثقةً بفهم أصحابهم عنهم. وهذه أيضاً فضيلة أخرى.

وكما جوّزوا لقولهم أكل وإنما عضّ، وأكل وإنما أفنى، وأكل وإنما أحاله ⁽⁸⁾، وأكل وإنما أبطل عينه - جوّزوا أيضاً أن يقولوا: دُقَّتْ ما ليس بطعم، ثم قالوا ⁽⁹⁾: طِعِمْتُ، لغير الطعام. وقال العرجي:

وإن شئتُ حرّمتُ النساءِ سِوَاكُم وإن شئتُ لم أطعمَ نقاخاً ولا برّداً ⁽¹⁰⁾

- (1) الزيادة من ش، هـ.
- (2) هو عباس بن أنس الرُعْلِيّ، الذي ترجم قريباً. ويقال له عباس بن ربيعة الرُعْلِيّ. وريضة أمه كما في معجم المرزباني 263 والإصابة 4496، وقد سبق الخبر والشعر في (1: 246) مع بسط وتعقيب. وفي الأصل: «هياش» بهاء وياء مثناة تحتية، صوابه من المصادر المتقدمة. والرُعْلِيّ: نسبة إلى رُعْلِيّ، بالكسر، وهي قبيلة من سليم.
- (3) تزجي: تسوق وتدفع. وفي الأصل: «تزجو»، وتصحيحه من الحيوان (1: 247). والثوَام، كغراب: جمع توأم، وهو المولود مع غيره في بطن، من الاثنين فصاعداً. وكزة، بفتح الكاف بعدها زاي مشددة مفتوحة قليلة المواتاة والخير. والرحم، بالكسر، وككتف: بيت منبت الولد ووعاؤه.
- (4) كذا. وقد سبق في (1: 247) أن الذي أنشد هذا البيت فاغرورقت عيناه هو أبو عمرو بن العلاء، وهو أستاذ يونس بن حبيب، كما في كتب التراجم.
- (5) في الأصل: «هياش» بهاء وياء مثناة تحتية. وهو تحريف. انظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة.
- (6) النزور، كصبور: المرأة القليلة الولد.
- (7) أنشد البيت في اللسان (1: 154) وقال: «أي تشاوروا وتحدثوا متمثلين على ذلك ليقتلونا أجمعين، فتصبح أُمنا كالعذراء التي لا ولد لها».
- (8) أحاله من الإحالة بمعنى التحويل والتصيير. ط، هـ: «أجله» بالجمع تصحيحه من ش.
- (9) في الأصل: «قال». وصوابه ما أثبت.
- (10) وكذا في اللسان (4: 50)، وروى في اللسان (4: 32) «أحرمت النساء». وأحرم وحرّم بمعنى. ومنه قول حميد بن ثور:

إلى شجر ألقى الظلال كأنها رواهب أحرمن الشراب عذوب والنقاخ، بضم النون وآخره خاء معجمة: الماء البارد العذب الصافي. ش، هـ: «نقاخاً». صوابه في ط واللسان. والبرد هنا: الريق. أو هو النوم لأنه يبرد العين بأن يقرها. وهذا الأخير أحد وجهي تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبا: 24].

[و⁽¹⁾] قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾⁽²⁾، يريد: لم يذق طعامه.

وقال علقمة بن عبدة⁽³⁾:

وقد أصاحبُ فتیاناً طعماًهُمْ حُمُرُ المِزادِ ولحمٌ فيه تنشيمٌ⁽⁴⁾
يقول: هذا طعامهم في الغزو والسفر البعيد الغاية، وفي الصيف الذي يُغَيَّرُ⁽⁵⁾ الطعام والشراب. والغزو على هذه الصفة من المفاجر؛ ولذلك قال الأول⁽⁶⁾:

لا لا أعسقُ ولا أحسو ب ولا أغيرُ على مُضَرُ
لَكِنَّمَا غَزَوِي إِذَا ضَجَّ المَطِيّ من الدَّبَرِ⁽⁷⁾
وعلى المعنى الأول قول الشاعر:

قالت ألا فاطمُ عُميراً تمرّاً⁽⁸⁾ وكان تمرى كهرةً وزبراً⁽⁹⁾
وعلى المعنى الأول قال حاتم: «هذا فصدي أنه⁽¹⁰⁾!». .

(1) الزيادة من ش، هـ.

(2) من الآية 249 في سورة البقرة، وهي حكاية قول طالوت لجنوده. وفي الأصل: «إني» وهو تحريف شنيع. وقد سبقَت مني الإشارة إلى مثل هذه التحريفات الشنيعة في (4: 4، 89) وهي مما يؤخذ عليه الجاحظ.

(3) هو علقمة الفحل. والبيت من قصيدته المشهورة التي أولها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

وهي في ديوانه 129 من خمسة دواوين العرب والمفضليات 396-404.

(4) روى في اللسان (16: 54): «شرابهم» وما هنا موافق للديوان والمفضليات. و«حمر الميزاد» هي كذا في الأصل. وصواب الرواية: «خضر الميزاد كما في الديوان والمفضليات وشرحها 818، وهو الفظ، أي ماء الكرش، يعترضونها فيشربون ماءها في المفاوز حين الحاجة. أو أن المراد إذا بقى الماء فيها وطال عهدها به اخضرت وصار عليها شبه الطحلب، وذلك حين يطول بهم السفر. والتنشيم: ابتداء تغير الرائحة. ش: «تسليم» صوابه في ط، هـ والمصادر المتقدمة. ومما يضم إلى هذا الضرب قول العجاج:

قرقرور ساج ساجه مطل بالقيـر والضبات زنبري

يريد: مقيرا بالقيـر، مشدوداً بالضبات.

(5) هذه الكلمة محرفة في الأصل. فهي في ط، ش: «يفتر» وهـ: «يعبو».

(6) هو الحارث بن يزيد جد الأحمير السعدي كما سبق في الحيوان (1: 112)، وما في البيان (3: 200).

(7) المطى: جمع مطية. ضج: صاح. والمراد: اشتد ألمه. وفي الأصل: «صح» صوابه من الجزء الأول والبيان. والدبر: بالتحريك: جمع دبرة، وهي قرحة الدابة.

(8) انظر الكلام في رواية البيت وتوجيهه في (4: 159).

(9) الكهرة: الانتهار. والزبر: الزجر والمنع. هـ: «لهرة» ش: «كهرة» صوابهما في ط والحيوان (4: 159) حيث ذكرت مصادر الرواية.

(10) وذلك «حين أمروه بفصد بعير، وطعنه في سنامه». الحيوان (4: 158) وتفصيله في الأغاني (16: 103). وفيها: «أسرت عنزة حاتماً، فجعل نساء عنزة يدارثن بعيراً ليفصدنه، فضعفن عنه، فقلن: يا حاتم، أفاصده أنت إن أطلقنا يدك؟ قال: نعم. فأطلقن إحدى يديه فوجأ لبتة فاستدمنه. ثم إن البعير عضد، أي لوى عنقه، أي خر. فقلن: ما صنعت؟! قال: هكذا فصادي! فجرت مثلاً». وقد قال أيضاً حاتم في هذا المعنى:

ولذلك قال الرَّاجِزُ^(١) :

لعامرات البيت بالخراب^(٢)

يقول : هذا هو عمارتها .

(تأويل النظام لقولهم : النار يابسة)

وكان أبو إسحاق يتعجب من قولهم : النار يابسة . قال : أما قولهم : الماء رطب ، فيصح ؛ لأننا نراه سيّلاً . وإذا قال الأرض يابسة ، فإنما يريد التراب المتهافت فقط . فإن لم يُرد إلا بدن الأرض الملازم بعضه لبعض ؛ لما فيها من اللدونة فقط فقد أخطأ ، لأن أجزاء الأرض مخالطة لأجزاء الماء ، فامتعت من التهافت على أقدار ذلك .

ومتى حفرنا ودخلنا في عمق الأرض ، وجدنا الأرض طيناً ؛ بل لا تزال تجد الطين أرطب حتى تصير إلى الماء . والأرض اليوم كلها أرض وماء ، والماء ماء وأرض ، وإنما يلزمها من الاسم على قدر الكثرة والقلّة . فأما النار فليست بيابسة البدن . ولو كانت يابسة البدن لتهافتت تهافت التراب ، ولتبرأ بعضها من بعض . كما أن الماء لما كان رطباً كان سيّلاً .

ولكن القوم لما وجدوا النار تستخرج كل شيء في العود من النار فظهرت الرطوبات لذلك السبب ، ووجدوا العود تتميز أخلاطه عند خروج نيرانه التي كانت إحدى مراتعها من التمييز^(٣) فوجدوا العود قد صار رماداً يابساً متهافتاً - ظنوا أن يُبسّه إنما هو مما أعطته النار وولدت فيه .

والنار لم تُعْطِ شيئاً ، ولكن نار العود لما فارقت رطوبات العود ، ظهرت تلك الرطوبات الكامنة والمانعة ، فبقى من العود الجزء الذي هو الرماد ، وهو جزء الأرض وجوهرها ؛ لأن العود فيه جزء أرضي ، وجزء مائي ، وجزء ناري ، وجزء هوائي ، فلما خرجت النار واعتزلت الرطوبة بقى الجزء الأرضي .

فقولهم^(٤) : النار يابسة ، غلط ، وإنما ذهبوا إلى ما تراه العيون ، ولم يغوصوا على مُعَيَّباتِ العِلَلِ^(٥) .

= **كذلك فصدي إن سألت مطيتي** دم الجوف ، إذ كل الفصاد وخيم
وانظر ما أسلفت من القول على الفصد في (4: 158) ، ش : « هكذا قصيدته » ، وفيه تحريف . و« أنه » أي « أنا »
الحق به هاء السكت .

(1) هو أعرابي دخل البصرة فاشتري خبزاً فأكله الفأر ، كما سيأتي في ص 174 ، وكما في ديوان المعاني (2: 151) .
(2) في الأصل : « العامرات » ، صوابه ما أثبت من ص 174 وما سبق في (4: 159) وديوان المعاني ، ونهاية الأرب (10: 168) .

(3) « مراتعها من التمييز » ، كذا جاءت .

(4) ش ، هـ : « فقولهما » صوابه في ط . وانظر س 13 من هذه الصفحة .

(5) ط : « العلي » صوابه في ش ، هـ .

وكان يقول: ليس القوم في طريق خلص المتكلمين، ولا في طريق الجهالة المتقدمين.

(قول النظام في علاقة الذكاء بالجنس)

وكان يقول: إن الأمة التي لم تُنضجها الأرحام⁽¹⁾، ويخالفون في ألوان أبدانهم، وأحداق⁽²⁾ عيونهم، وألوان شعورهم، سبيل الاعتدال - لا تكون عقولهم وقرائهم إلا على حسب ذلك. وعلى حسب ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم، وشمائلهم، وتصرف همهم في لؤمهم وكرمهم، لاختلاف السبك وطبقات الطبخ. وتفاوت ما بين الفطير والخمير⁽³⁾، والمقصّر والمجاوز - وموضع العقل عضو من الأعضاء، وجزء من تلك الأجزاء - كالتفاوت⁽⁴⁾ الذي بين الصقالبة والزنج⁽⁵⁾.

وكذلك القول في الصور ومواضع الأعضاء. ألا ترى أن أهل الصين والتبت، حذاق الصناعات⁽⁶⁾، لها فيها الرفق والحذق، ولطف المداخل، والاتساع في ذلك، والعوص على غامضه وبعبده. وليس عندهم إلا ذلك؛ فقد يُفتح لقوم في باب الصناعات ولا يُفتح لهم في⁽⁷⁾ سوى ذلك.

(تخطئه النظام لمن زعم أن الحرارة تورث اليبس)

قال: وكان يخطئهم في قولهم: إن الحرارة تورث اليبس، لأن الحرارة إنما ينبغي أن تورث السخونة، وتولد ما يشاكلها. ولا تولد ضرباً آخر مما ليس منها في شيء. ولو جاز أن

(1) يريد بذلك الجنس الأبيض، وهم سكان الإقليم السادس والسابع في التقسيم البلدان القديم. وجاء في مقدمة ابن خلدون ص 73 س 17: «والسابع والسادس للبرد والبياض». وأما من أنضجتهم الأرحام فهم سكان الأقاليم الثلاثة: الخامس والرابع والثالث. وأما من جاوزت أرحامهم حد الإنضاج، كما ذكر الجاحظ في الحيوان (136:3) فهم سكان الإقليمين الأول والثاني.

(2) الأحداق: جمع حدقة، بالتحريك، وهي من العين سوادها الأعظم. ط، ش: «أو حداق» وكلمة «أو» محرفة عن الواو. وأما «حداق» فهي صحيحة جمع لحدقة. ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهي عور تدمع

(3) الفطير: أصله ما يختبز من ساعته دون أن يختمر. والخمير: ما ترك حتى اختمر.

(4) ط، هـ: «وكالتفاوت» بإقحام واو.

(5) جعل الصقالبة مثلاً لما لم تنضج الأرحام، والزنج مثلاً لما زادت الأرحام في إنضاجه وإلى ذلك أيضاً أشار ابن سينا في أرجوزته في الطب بقوله:

بالزنج حر غير الأجساد حتى كسا جلودها سوادا

والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

(6) ط، ش: «وحذاق» والصواب حذف الواو كما في هـ. وهنا يبدأ سقط في هـ ينتهي إلى كلمة: «الصناعات» الآتية.

(7) هذه التكملة من ش.

تولّد من الأجناس التي تخالفها شكلاً واحداً لم يكن ذلك الخلاف بأحقّ من خلاف⁽¹⁾ آخر. إلا أن يذهبوا إلى سبيل المجاز: فقد يقول الرجل: إنما رأيتك لأنّي التفت⁽²⁾. وهو إنما رآه لطبع في البصر الدراك⁽³⁾، عند ذلك الالتفات.

وكذلك⁽⁴⁾ يقول: قد نجد النار تداخل ماء القمقم⁽⁵⁾ بالإيقاد من تحته، فإذا صارت النار في الماء لا بسّته، واتصلت بما فيه من الحرارة، والنار صّعادة- فيحدث عند ذلك للماء غليان⁽⁶⁾؛ لحركة النار التي قد صارت في أضعافه. وحركتها تصعد. فإذا ترّفعت⁽⁷⁾ أجزاء النار رَفَعَتْ⁽⁸⁾ معها لطائف من تلك الرطوبات التي قد لا بسّتها؛ فإذا دام ذلك الإيقاد من النار الداخلة على الماء، صعدت أجزاء الرطوبات الملازمة لأجزاء النار. ولقوة حركة النار وطلبها التلاذّ العلوي⁽⁹⁾، كان ذلك. فمتى وجد من لا علّم له في أسفل القمقم كالجبس⁽¹⁰⁾، أو وجد الباقي من الماء مالحاً عند تصعد لطائفه، على مثال ما يعترى ماء البحر - ظنّ أن النار التي أعطته اليُسّ.

وإن زعموا أن النار هي الميّسّة⁽¹¹⁾ - على معنى ما قد فسرنا - فقد أصابوا. فإن ذهبوا إلى غير المجاز أخطئوا.

وكذلك الحرارة، إذا مُكِنَتْ⁽¹²⁾ في الأجساد بعثت الرطوبات ولا بسّتها، فمتى قويّت

(1) في الأصل: «من كلام». والوجه ما أثبت.

(2) ش، هـ: «التفت» فعل مضارع.

(3) ش: «رآه الطبع» محرف. والدراك: المدرك. ط، هـ: «الدراك» بتقديم الألف، صوابه في ش. ولا يقال: «الدراك». قال ابن بري: «جاء دَرَاكٌ ودَرَاكٌ، وفَعَالٌ وفِعَالٌ إنما هو من فعل ثلاثي. ولم يستعمل منه فعل ثلاثي وإن كان قد استعمل منه الدَرَكُ»، وأنشد في ذلك شاهداً. اللسان (12: 302). وقد عني بكلمة «دَرَاكٌ» اسم الفعل وبكلمة «دَرَاكٌ» صيغة المبالغة.

(4) في الأصل: «ولذلك».

(5) القمقم، بضم القافين: ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره، ويكون ضيق الرأس.

(6) في الأصل: «ليحدث عند ذلك الماء غليان»، صوابه ما أثبت.

(7) ترفعت، من الترفع وهو العلو. وقد سبق في قول الجاحظ (3: 122): «وقد يترفع مع الشاهين»، وسلف أيضاً في

(2: 185) قول أمية بن أبي الصلت:

ترفع في جري كان أطيّطه صريف محال تستعيد الدواليا

ترفع: تترفع. ولم أجد هذا الفعل في مادة (رفع) من اللسان والقاموس. وفي الأصل: «توقعت» ولا وجه له.

(8) رفعت، بالراء، من الرفع، كما يفهم من سياق الكلام. وفي الأصل: «وقعت» وهو تحريف.

(9) التلاد، بكسر التاء، أراد به: الموطن الأول. انظر التنبيه الرابع من ص 10.

(10) الجبس بالكسر: ذلك الذي يطلى به الحائط. وفي اللسان (جبس). «والجبس الذي يبني به. عن كراع» فقد تفرد بروايتها كراع والمعروف: «الجبس». وذكره داود في رسم (جبسين) قال: «وهو في الحقيقة طلق لم ينضج»، وقال: «ومنه شديد البياض، يعرف بإسفيداج الجبس»، وقال: «وخالصه المعروف في مصر بالمصييص». في الأصل: «كالجبس» صوابه ما أثبت.

(11) من يس الشيء، بالتشديد: جففه.

(12) من التمكين.

عَلَى الخروج أخرجتها منها، فعند خروج الرطوبات توجد الأبدان يابسةً، ليس أن الحرَّ يجوز أن يكون له عملٌ إلا التسخين والصعود. والتقلب إلى الصعود من الصعود، كما أن الاعتزال من شكل الزوال⁽¹⁾.

وكذلك الماء الذي يفيض إلى البحر من جميع ظهور الأرضين وبطونها، إذا صار إلى تلك الحفرة العظيمة. فالماء غَسَّال مَصَّاص، والأرض تقذف إليه ما فيها من الملوحة.

[وحرارة الشمس⁽²⁾] والذي يخرج إليه⁽³⁾ من الأرض، من أجزاء النيران المخالطة يرفعان لطائف الماء بارتفاعهما، وتبخيرهما. فإذا رَفَعَا اللطائف، فصار منهما مطرٌ وما يشبه المطر، وكان ذلك دأبهما، عاد⁽⁴⁾ ذلك الماء ملحاً، لأن الأرض إذا كانت تعطيه الملوحة، والنيران تخرجُ منه العذوبة واللطافة - كان واجباً أن يعود إلى الملوحة. ولذلك يكون ماء البحر أبداً عَلَى كيل واحدٍ، ووزن واحدٍ؛ لأن الحرارة⁽⁵⁾ تطلب القرارَ وتجري في أعماق الأرض، وترفع اللطائف⁽⁶⁾؛ فيصير مطراً، وبرداً، وثلجاً، وطلاً⁽⁷⁾. ثم تعود تلك الأمواه سيولاً تطلب الحدود⁽⁸⁾، وتطلب القرار، وتجري في أعماق الأرض، حتى تصير إلى ذلك الهواء⁽⁹⁾. فليس يضيع من ذلك الماء شيء، ولا يبطلُ منه شيء. والأعيان قائمة. فكأنه مَنَجُونُ⁽¹⁰⁾ غرف من بحر⁽¹¹⁾، وصَبَّ في جدول يفيض إلى ذلك النهر.

فهو عملُ الحرارة⁽¹²⁾ إذا كانت في أجواف الحطب، أو في أجواف الأرضين، أو في أجواف الحيوان.

والحر إذا صار في البدن، فإنما هو شيء مُكْرَه، والمكره لا يألو يتخلص وهو لا

(1) انظر لتفسير هذه العبارة ص 23 س 19، وفي الأصل: «الاعتماد» بدل «الاعتزال».

(2) بمثل هذا يتم الكلام.

(3) أي إلى البحر.

(4) في الأصل: «وعاد» وإنما هو جواب «إنا».

(5) في الأصل: «الحدود» تحريف. تصحيحه مما سيأتي في التنبيه الثاني عشر.

(6) عني باللطائف: الأبخرة الدقيقة. وفي الأصل: «رفع اللطائف» بإسقاط الواو، وبالباء. محرف.

(7) البرد، بالتحريك: حب الغمام. والطل، بفتح الطاء المهملة: الندى، أو المطر الضعيف.

(8) الحدود، كرسول: مكان ينحدر منه. وفي الأصل: «الحدود» بدالين. صوابه ما أثبت. وفي الأصل: «الأنواء» تحريف.

(9) أي تعود إلى الهواء بالبحر.

(10) المنجنون: الدولاب يستقي عليها، والدولاب، بالضم والفتح: على شكل الناعورة يستقي به الماء. فارسي معرب. وفي ط، هـ: «منجنون» وفي ش: «منجنون» بنقطتين، فوق الخاء وتحت الجيم، محرف. وفي هـ: «فكان» بدل «فكانه» محرف. وغرف من البحر: أخذ منه. والبحر: الماء الكثير. وبذلك جاءت لغة القرآن: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: 53]. وقد جرى عرف البلديانيين القدماء على تخصيصه بالماء الملح.

(11) في ط: «غرق من بحر» تصحيحه من ش، هـ.

(12) الحرارة: جمع حرارة. وفي هـ: «الحزرات» بزاي بعد الحاء. محرف.

يتلخص إلا وقد حَمَلَ⁽¹⁾ معه كلَّ ما قويَّ عليه، مما لم يشتد⁽²⁾، فمتى خرج خرج معه ذلك الشيء.

قال: فمن ههنا غلط القَوْم.

(قول الدهرية في أركان العالم)

قال أبو إسحاق: قالت الدهرية في عالمنا هذا بأقويل: فمنهم من زعم أن عالمنا هذا من أربعة أركان: حرّ، وبرد، ويبس، وبِلَّة⁽³⁾. وسائر الأشياء نتائج، وتركيب، وتوليد. وجعلوا هذه الأربعة أجساماً.

ومنهم من زعم أن هذا العالم من أربعة أركان: من أرض، وهواء، وماء، ونار. جعلوا الحر، والبرد، واليبس، والبِلَّة أعرافاً في هذه الجواهر ثم قالوا في سائر الأرايح، والألوان، والأصوات: ثمار هذه الأربعة⁽⁴⁾، على قدر الأخلاط، في القلة والكثرة، والرقّة والكثافة.

فقدّموا ذكر نصيب حاسة اللمس⁽⁵⁾ فقط، وأضربوا عن أنصباء الحواس الأربع.

قالوا: ونحن نجد الطعومَ غاذيةً وقاتلة، وكذلك الأرايح⁽⁶⁾. ونجد الأصوات مُلذّة ومؤلمة. وهي مع ذلك قاتلة وناقضة للقوى مُتلفة⁽⁷⁾. ونجد للألوان⁽⁸⁾ في المضار والمنافع، واللذّة والألم، المواقع التي لا تجهل، كما وجدنا مثل ذلك في الحر والبرد، واليبس والبِلَّة، ونحن لم نجد الأرض باردة يابسة، غير أننا نجدها مالحة، أي ذات مذاقة ولون⁽⁹⁾ كما وجدناها ذات رائحة، وذات صوت متى قرع بعضها بعضاً.

(1) في الأصل: «جبل» محرف.

(2) في الأصل: «يشبه». والكلام من مبدأ «كل» إلى «معه» الآتية شاقط منش.

(3) البلة، بالكسر: البلل الدون، أو النداءة.

(4) أي الحر والبرد، واليبس والبلة. وانظر تفصيل ذلك في رسائل إخوان الصفا (3: 109-110) و(3: 371-372).

(5) ذكر الجاحظ من أنصباء حاسة اللمس أربعة مدركات: هي الحر، والبرد واليبس والبلة. وقد خصها بالذكر لما أنها فيما يزعمون أصول الأرايح والألوان والأصوات. انظر التنبيه السابق. وجاء في رسائل إخوان الصفا (2: 339) أن مدركات اللمس عشرة فيضاف إلى ما تقدم: الخشونة واللين، والصلابة والرخاوة، والخفة والثقل. وفي الأصل: «حاسة النفس»، صوابه ما أثبت.

(6) الأرايح: جمع الريح. وهو بالكسر: الرائحة.

(7) ناقضة بالضاد المعجمة: مضعفة. هـ: «ناقصة» محرفة. ومتلفة، من الإتلاف والإهلاك. هـ: «متلفة» ولا تصح. وانظر تفصيل ذلك في الكلام على أثر الأصوات فيما سبق في (3: 181).

(8) في الأصل: «الألوان».

(9) العبارة في أصلها مضطربة ففي ط، هـ: «أو ذات لون ومذاقة» وش: «ودات لون ومذاقة».

(10) في الأصل: «أي ذلك كان». وانظر التنبيه السابق.

فبردُ هذه الأجرام وحرها، ويُبسَّها ورطوبتها، لم تكن فيها لعة كون الطُعم والأرايح والألوان فيها. وكذلك طعومها، وأرايحها وألوانها، لم تكن فيها لمكان كمون البرد، واليبس، والحر، والبلة فيها.

ووجدنا كل ذلك إما ضاراً وإما نافعاً، وإما غاذياً وإما قاتلاً، وإما مؤلماً وإما مُلداً. وليس يكون كون الأرض مالحة أو عذبة، ومنبتة أو طيبة أحقَّ بأن يكون^(١) علة لكون اليبس والبرد، والحر والرطوبة، من أن يكون كون الرطوبة واليبس، والحر والبرد - علة^(٢) لكون اللون والطعم والرائحة.

وقد هجم الناس على هذه الأعراض الملازمة، والأجسام المشاركة هجوماً واحداً، على هذه الحلية والصورة ألفاها^(٣) الأول والآخِر.

قال: فكيف وقع القول منهم على نصيب هذه الحاسة وحدها^(٤) ونحن لم نر من البلة، أو من اليبس^(٥) نفعاً ولا ضرراً، تنفرد به دون هذه الأمور؟!

قال: والهواء يختلف على قَدْرِ العوامل فيه من تحت ومن فوق، ومن الأجرام المشتملة عليه والمخالطة له. وهو جسم رقيق، وهو في ذلك محصور، وهو خَوَّارٌ سريع القبول. وهو مع رفته يقبل ذلك الحصر؛ مثل عمل الريح والزَّقُّ^(٦)، فإنها تدفعه من جوانبه، وذلك لعة الحصر، ولقَطْعُه عن شكله.

والهواء ليس بالجسم الصعاد^(٧)، والجسم النَّزَّال، ولكنه جسم به تعرف المنازل والمصاعد.

والأمور ثلاثة: شيء يصعدُ في الهواء، وشيء ينزل في الهواء، وشيء مع الهواء. فكما أن المُصعد^(٨) فيه، والمنحدر، - لا يكونان إلا مخالفين، فالواقع^(٩) معه لا يكون إلا موافقاً. ولو أنَّ إنساناً أرسل من يده - وهو في قعر الماء - زِقاً منفوخاً، فارتفع الزَّقُّ لدفع الريح التي فيه، لم يكن لقائل أن يقول: ذلك الهواء شأنه الصعود بل إنما ينبغي أن يقول: [ذلك

(١) في الأصل: «تكون» والضمير عائد إلى «كون».

(٢) في ط، زيادة واو قبل هذه الكلمة. وهو خطأ.

(٣) ألفاها، بالفاء: وجدها. وفي الأصل: «ألقاها» بالقاف محرفة.

(٤) أي حاسة اللمس. انظر التنبيه 5 من الصفحة 27.

(٥) اليبس يقابل البلة. وفي ط وس: «البل» وه: «البتل» محرفتان عما أثبت.

(٦) أي الهواء المحصور في الزق. والزق، بكسر الزاي: السقاء والقربة.

(٧) ش: «الصفار» محرف.

(٨) المصعد: الصاعد. وفي اللسان: «صعد المكان وفيه صعوداً وأصعد وصعد: ارتقى مشرفاً». وفي ش، هـ:

«الصاعد» وهما بمعنى. والأوفق ما أثبت من ط.

(٩) في الأصل: «فالواقع».

الهواء⁽¹⁾ من شأنه أن يصير إلى جوهره، ولا يقيم في غير جوهره؛ إلا أن يقول: من شأنه أن يصعد في الماء، كما أن من شأن الماء أن ينزل في الهواء، وكما أن الماء يطلب تِلَادَ الماء، والهواء يطلب تلاد الهواء⁽²⁾.

قالوا: والنار أجناسٌ كثيرة مختلفة. وكذلك الصاعد. ولا بدّ إذا كانت مختلفة أن يكون بعضها أسرع من بعض، أو يكون بعضها إذا خرج من عالم الهواء، وصار إلى نهاية، إلى حيث لا منفذ - ألا⁽³⁾ يزال فوق الآخر الذي صعد معه، وإن وجد مذهباً لم يقيم عليه. ويدلّ على ذلك أنا نجد الضياء صَعَاداً، والصوت صَعَاداً، ونجد الظلام رابداً⁽⁴⁾، وكذلك البرد والرطوبة. فإذا صح أن هذه الأجناس مختلفة، فإذا أخذت في جهة⁽⁵⁾، علمنا أن الجهة لا تخالف بين الأجناس ولا توافق، وأن الذي يوافق⁽⁶⁾ بينهما⁽⁷⁾ [ويخالف⁽⁸⁾] اختلاف الأعمال. ولا يكون القطعان متفقين، إلا بأن يكون سرورهما سواء⁽⁹⁾. وإذا صارا⁽¹⁰⁾ إلى الغاية، صار اتصال كل واحد منهما بصاحبه، كاتصال بعضه ببعض. ثم لا يوجد أبداً، إلا إما أعلى، وإما أسفل.

قال أبو إسحاق: فيستدل على أن الضياء أخف من الحر بزواله⁽¹¹⁾ وقد يذهب⁽¹²⁾ ضوء الأتُون، وتبقى سخونته.

قال أبو إسحاق: لأمر ما حُصر الهواء في جوف هذا الفلّك، ولا بد لكل محصور من أن يكون قلبه وضغطه على قدر شدة الحصار⁽¹³⁾. وكذلك الماء إذا اختنق.

قال: والرياح هواء نزل⁽¹⁴⁾ لا غير. فلم قَضُوا على طبع الهواء في جوهريته

(1) التكملة من ش.

(2) عنى بتلاد الهواء أصله. وانظر ما سبق في التنبيه الرابع ص 10.

(3) في الأصل: «لا».

(4) الرابد: المقيم. ش: «رايدا» بالياء المثناة التحتية. وفي سائر النسخ: «رائداً» تحريف.

(5) في الأصل: «وإذا حدث».

(6) ط، ش: «يوفق» هـ: «يوقره»، صوابهما ما أثبت.

(7) في الأصل: «منها».

(8) ليست بالأصل.

(9) كذا وردت العبارة بالأصل.

(10) في الأصل: «صار» بالإنفراد. والوجه التنبيه.

(11) في الأصل: «لزواله» بلام في أوله. محرف.

(12) في الأصل: «ذهب».

(13) بناء على القاعدة الطبيعية المعروفة، وهي أن الضغط الداخلي يعادل الضغط الخارجي.

(14) ذكر القزويني في أسباب تولد الرياح، أن الأدخنة التي تصعد من تأثير الشمس وغيرها، إذا وصلت إلى الطبقة الباردة، إما أن ينكسر حرها، وإما أن تبقى حراراتها. فإن انكسر حرها تكاثفت وقصدت النزول فيموج بها الهواء فيحدث الريح. وإن بقيت على حراراتها تصاعدت إلى كرة النار المتحركة بحركة الفلك، فتزدها الحركة الدورية إلى أسفل فيموج بها الهواء فيحدث الريح. عجائب المخلوقات 92، فهذا يفسر قول الجاحظ: «هواء نزل». وفي الأصل: «ترك» محرف.

باللدونة^(١)، والهواء الذي يكون بقرب الشمس، والهواء الذي بينهما^(٢) على خلاف ذلك؟ ولولا أن قُوَى البرد غريزيةً فيه، لما كان مروّحاً عن النفوس، ومنقّساً عن جميع الحيوان إذا اختنق في أجوافها البخارُ والوهجُ المؤذي، حتى فرعتْ إليه واستغاثتْ به، وصارت تجتلب من رَوْحه ويردِ نسيمه، في وزن ما خَرَجَ من البخار الغليظ، والحرارة المستَكِنَّة.

قال: وقد علموا ما فيه اليُبس من الخصومة والاختلاف^(٣). وقد زعم قومٌ أن اليُبس إنما هو عدم البَلَّة. قالوا: وعلى قدر البَلَّة قد تتحول عليه الأسماء. حتى قال خصومهم: فقولوا أيضاً إنما نجدُ الجسمَ بارداً على قدر قلة الحرِّ فيه.

وكذلك قالوا في الكلام: إن الهواء إنما يقع عندنا أنه مُظلم لفقدان الضياء، ولأن الضياء قرصٌ قائم، وشعاع ساطعٌ فاصل، وليس للظلام قرص. ولو كان في هذا العالم شيء يقال له ظلامٌ، لما قام إلا في قرص، فكيف تكون الأرض قُرصةً، والأرض غرباء، ولا ينبغي أن يكون شعاع الشيء أسبعً منه^(٤).

قال: والأول لا يشبه القول في اليُبس والبَلَّة، والقول في الحر والبرد، والقول في اليُبس والرطوبة، والقول في الخشونة واللين، لأن التراب لو كان كله يابساً، وكان اليبس في جميع أجزائه شائعاً، لم يكن بعضه أحق بالتقطيع والتبرد^(٥) والتهافت، من الجزء الذي نجده متمسكاً^(٦).

قال خصمه: ولو كان أيضاً التهافت الذي نجده فيه إنما هو لعدم البَلَّة، وكله قد عدم البَلَّة، لكان ينبغي للكل أن يكون متهافتاً، ولا نجد منه جزأين متلازقين.

فإن زعمتم أنه إنما اختلف في التهافت على قدر اختلاف اليُبس، فينبغي لكم أن تجعلوا اليُبس طبقات، كما يُجعل ذلك للخضرة والصُفرة.

وقال إبراهيم: أرايت لو اشتمل اليبس الذي هو غاية التراب كله^(٧) كما عرض لنصفه، أما كان واجباً أن يكون الافتراقُ داخلاً على الجميع؟ وفي ذلك القولُ بالجزء الذي لا يتجزأ.

(١) اللدونة، هنا بمعنى الرطوبة. وضدها اليبس.

(٢) أي بين الشمس وبين الهواء الملاصق للأرض. فكأنه جعل الهواء ثلاث طبقات: طبقة مقاربة للشمس، وطبقة تلي الشمس، وطبقة مقاربة للأرض. انظر نحو هذا التقسيم في عجائب المخلوقات 89-90.

(٣) الخصومة هنا بمعنى الجدل والخلاف. ش: «الخصومة» محرف.

(٤) أسبع: أي أكبر. ه: «أسبع».

(٥) كذا. وفي ه: «التبرز». ولعلها: «بالتقطع والتفرق».

(٦) التمسك والتماسك والاستمسك: بمعنى. وهو يعني بالتمسك الحجر ونحوه.

(٧) كذا.

وأبو إسحاق، وإن كان اعترض على هؤلاء في باب القول في اليبس، فإنَّ المسألة عليه في ذلك أشد⁽¹⁾.

وكان أبو إسحاق يقول: من الدليل على أن الضياء أخفُّ من الحر أن النار تكون منها على قاب غلوة⁽²⁾ فيأتيك ضوءها ولا يأتيك حرها. ولو أن شمعة في بيت [غير⁽³⁾] ذي سقف، لارتفع الضوء في الهواء حتى لا تجد منه على الأرض إلا الشيء الضعيف، وكان الحر على شبيه⁽⁴⁾ بحاله الأول.

(رد النظام على الديصانية)

وقال أبو إسحاق: زعمت الديصانية⁽⁵⁾ أن أصل العالم إنما هو من ضياء وظلام، وأن الحرَّ والبرد، واللون والطعم والصوت والرائحة، إنما هي نتائج على قدر امتزاجهما⁽⁶⁾.

ف قيل لهم: وجدنا الجبر إذا اختلط باللبن صار جسماً أغبر، وإذا خلطت الصبر⁽⁷⁾ بالعسل صار جسماً مرُّ الطعم على حساب مازدنا. وكذلك نجد جميع المركبات. فما لنا إذا مزجنا بين شيئين من ذوات المناظر⁽⁸⁾ خرجنا إلى ذوات الملامس، وإلى [ذوات⁽⁹⁾] المدّاقة والمشمة؟!

وهذا نفسه داخل على من زعم أن الأشياء كلها تولدت من تلك الأشياء الأربعة، التي هي نصيب حاسية واحدة⁽¹⁰⁾.

(1) في الأصل: «وذلك أشد».

(2) الغلوة، بفتح الغين المعجمة: مقدار رمية السهم. وفي الأصل: «علوها» صوابه ما أثبت.

(3) ليست بالأصل. وبدونها لا يستقيم الكلام.

(4) ط، ش: «شبيهه»، صوابها في هـ.

(5) الديصانية: أصحاب ديضان. وهم فرقة من المجوس، أجمل الجاحظ التعريف بمذهبهم، وتفصيل ذلك في الملل (2: 88) وفهرست ابن النديم 474، وقال ابن النديم: «إنما سمي صاحبهم بديضان، باسم نهر ولد عليه. هو قبل ماني. والمذهبان قريب بعضهما من بعض، وإنما بينهما خلف في اختلاط النور والظلمة».

(6) أي امتزاج النور بالظلمة. وفي الأصل: «امتزاجها» محرف. وفي الملل: «وزعموا أن اللون هو الطعم، وهو الرائحة، وهو المجسة. وإنما وجدناه لونا لأن الظلمة خالطة - أي خالطت النور - ضرباً من المخالطة، ووجدناه طعماً لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب».

(7) الصبر، ككتف، ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر: عصارة شجر مر معروف.

(8) يعني بالشيين الضياء والظلام، وهما منظوران.

(9) ليست بالأصل.

(10) هي حاسة اللمس، كما سبق في 27 س 11، والمراد بالأشياء الأربعة: الأرض والهواء والماء والنار، أو الحر والبرد واليبس والبلية، كما سبق في الصفحة نفسها.

(نقد النظام لبعض مذاهب الفلاسفة)

وقال أبو إسحاق: إن زعم قوم أن ههنا جنساً⁽¹⁾ هو روح، وهو ركن خامس⁽²⁾ - لم يخالفهم.

وإن زعموا أن الأشياء يحدث لها جنس إذا امتزجت بضرب من المزاج، فكيف صار المزاج يحدث لها جنساً وكل واحد منه إذا انفرد لم يكن ذا جنس، وكان مفسداً للجسم، وإن فصل⁽³⁾ عنها أفسد جنسها؟! وهل حكم قليل ذلك إلا كحكم كثيره؟ ولم لا يجوز أن يجمع بين ضياء وضياء فيحدث لهما منع الإدراك؟!

فإن اعتل القوم بالزاج⁽⁴⁾ والعقص⁽⁵⁾ والماء، وقالوا: قد نجد كل واحد من هذه الثلاثة ليس بأسود، وإذا اختلطت صارت جسماً واحداً أشد سواداً من الليل، ومن السَّبج⁽⁶⁾، ومن الغراب - قال أبو إسحاق: بيني وبينكم في ذلك فرق. أنا أزعم أن السواد قد يكون كامناً ويكون ممنوع المنظرة⁽⁷⁾، فإذا زال مانعه ظهر، كما أقول في النار والحجر⁽⁸⁾ وغير ذلك من الأمور الكامنة. فإن قلت بذلك فقد تركتم قولكم. وإن أبيتم فلا بد من القول⁽⁹⁾. قال أبو إسحاق: وقد غلط⁽¹⁰⁾ أيضاً كثير منهم فزعموا أن طباع الشيخ البلغم⁽¹¹⁾.

ولو كان طباعه البلغم، والبلغم لين رطب أبيض، لما ازداد عظمه نحولاً، ولونه سواداً، وجلده تقبضاً.

وقال النمر بن تُولب⁽¹²⁾:

- (1) في الأصل: «حسا». وكون الروح ركناً خامساً في تكوين الأشياء، يقتضي الصواب الذي أثبت. وقد تكرر هذا التحريف في كلمة «جنس» و«جنساً» و«جنسها» الآتية فصحتها بما ترى.
- (2) أي خامس للأركان الأربعة التي سبق الحديث عنها قريباً.
- (3) فصل عنها: أي فارقها. ط، ه: «فضل» بالضاد صوابه في ش.
- (4) الزاج: ضرب من الملح يدخل في صناعة المداد. وفي الأصل: «المزاج» محرف.
- (5) العقص: بفتح العين بعدها فاء ساكنة: ثمر شجر جبلي يقارب البلوط. قال داود: «وهو أعظم عناصر صبغ الشعر والحبر». وفي الأصل: «العقص» بالالف محرف.
- (6) السبج، بفتح السين والباء، آخره جيم: سبق تفسيره في ص 5، ه: «السبيج» ط: «السبيج» صوابهما في ش.
- (7) المنظرة: المنظر. وقد سبق استعمال هذا اللفظ في (211:3)، وفي الأصل: «المنظرة» بإسقاط الميم. ولا وجه له.

- (8) يريد: كمون النار واختفاءها في الحجر الذي تقتدح منه النار.
- (9) أي أن تحاجونا بما يصحح مذهبكم.
- (10) ش: «خلط». ومؤداهما واحد.
- (11) الطباع، ككتاب، هو الطبع. وقد يكون جمعاً لطبع. ولكن المراد هنا المفرد.
- (12) سبق ترجمته في (48:1)، ونزيد هنا أن ابن دريد ذكر في الاشتقاق ص 113: «قال أبو حاتم: يقال النمر بن تُولب بفتح النون وتسكين الميم، ولا يقال: النمر» أي بكسر الميم.

كَأَنَّ مَحَطًّا فِي يَدَيَّ حَارِثِيَّةٍ صَنَاعَ عَلَتْ مِثِّي بِهِ الْجِلْدَ مِنْ عَلٍ⁽¹⁾
وقال الراجز:

وكشّرت فواضل الإهاب⁽²⁾

قال: ولكنهم لما رأوا بَدَنَهُ يَتَغَضَّنُ، ويظهرُ من ذلك التغضُّنِ رطوبات بدنية⁽³⁾ كالبلغم من الفم، والمخاط السائل من الأنف، والرَّمَصُ⁽⁴⁾ والدمع من العين، ظنوا أن ذلك لكثرة ما فيه من أجزاء الرطوبات. وأرادوا⁽⁵⁾ أن يقسموا الصِّبَا والشباب، والكهولة والشيخوخة⁽⁶⁾ على أربعة أقسام كما تهيأ⁽⁷⁾ لهم ذلك في غير باب.

وإذا ظهرت تلك الرطوبات، فإنما هي لنفْيِ اليُبْسِ لها، ولعَصْرِه قُوَى البَدَنِ، ولو كان الذي ذكروا لكان دمعُ الصِّبَا أكثرَ ومخاطه أغزرَ، ورطوباته أظهر. وفي القول والرياحين والأعصان والأشجار ذلك؛ إذ⁽⁸⁾ كانت في الحداثة أرطب، وعلى مرور السنين والأيام أَيْس. قال الرَّاجِزُ⁽⁹⁾:

اسْمَعْ أَنْبُؤَكَ بِآيَاتِ الْكِبَرِ نَوْمُ الْعَشِيِّ وَسَعَالُ السَّحَرِ⁽¹⁰⁾
[وقلة النوم إذا الليل اعتكر وقلة الطعام إذا الزاد حضر]⁽¹¹⁾
وسرعة الطرف وضعف في النظر⁽¹²⁾ وتركِي الحسناء في قُبْلِ الطُّهْرِ⁽¹³⁾

(1) المحط: بكسر الميم بعدها حاء مهملة مفتوحة: الحديدة التي تكون مع الخرازين ينقشون بها الأديم. وفي الأصل: «مخطا» بالخاء، تصحيحه من اللسان. والحارثية: المرأة المنسوبة إلى بني الحارث. ويبدو أنهم ذوات حذق بنقش الجلود. والصناع، بالفتح: الحاذقة الماهرة، وفي الأصل: «صباغ» صوابه من اللسان.

(2) الإهاب، بالكسر: الجلد ما لم يدبغ.

(3) في الأصل: «بدنه».

(4) الرمص، بفتحتين: القذى تلفظ به العين.

(5) هـ: «فأرادوا».

(6) الشيخوخة: مصدر كالشيخوخة، والشيخوخة، والشيخوخية، والشيخ بالتحريك.

(7) ط فقط: «يتهيأ» بالمضارع.

(8) ط: «إذا»، صوابه في ش، هـ.

(9) في البيان (1: 399، 2: 69) أن الهيثم بن الأسود بن العريان - وكان شاعراً خطيباً - دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: كيف تجدك؟ فقال: أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد! ثم أنشد الرجز الآتي، وفي الإصابة 9061 أنه الهيثم بن الأسود، ويكنى أبا العريان، وساق هذه القصة.

(10) ط فقط: «والسعال». ورواية البيان، «نوم العشاء وسعال».

(11) اعتكر الليل: اشتد سواده. والطعم، بالضم: الطعام. والشطران زيادة من البيان.

(12) الطرف: تحريك الجفون في النظر. طرف البصر نفسه يطرف، وطرفه يطرفه، كلاهما من باب ضرب، مع التعددي واللتزم. والطرف أيضاً: العين، لا يجمع ولا يثنى، لأنه في الأصل مصدر. وفي الأصل: «الظهر» صوابه في البيان. ورواية البيان: «وتحميج النظر»، والتحميج: تصغير العين للتمكن من النظر.

(13) قبل الطهر، أي أوله بعد انقطاع الدم. وفي الحديث: «طلقوا النساء في قبل طهرهن» أي في إقباله وأوله. وهو بضم القاف وإسكان الباء. ش، هـ: «الظهر»، بالمعجمة، صوابه في ط والبيان.

وحذر^(١) أزداده إلى حذر والناس يبلون كما يبل الشجر وكان يتعجب من القول بالهيولي^(٢).

وكان يقول: قد عرفنا مقدار رزانة البلة^(٣). وسنعطيك^(٤) أن للبرد وزناً ليس الذي لا تشكون فيه أن الحر خفيف ولا وزن له، وأنه إذا دخل في جرم له وزن صار أخف. وإنكم لا تستطيعون^(٥) أن تثبتوا لليبس من الوزن مثل ما تثبتون للبلة. وعلى أن كثيراً منكم يزعم أن البرد المجمد للماء هو أيسر.

وزعم بعضهم أن البرد كثيراً ما يصاحب الليبس، وأن الليبس وحده لو حل بالماء لم يجمد، وأن البرد وحده لو حل بالماء لم يجمد، وأن الماء أيضاً يجمد لاجتماعهما عليه، وفي هذا القول أن شيئين مجتمعين قد اجتماعاً على الإجماد، فما تنكرون أن يجتمع شيان على الإذابة؟!

وإن جاز لليبس^(٦) أن يجمد جاز للبلة أن تذيب.

قال أبو إسحاق: فإن كان بعض هذه الجواهر صغاداً وبعضها نزالاً، ونحن نجد الذهب أثقل من مثله من هذه الأشياء النزالة، فكيف يكون أثقل منها وفيه أشياء صغادة؟!

فإن زعموا أن الخفة إنما تكون من التخلخل والسخف^(٧)، وكثرة أجزاء الهواء في الجرم. فقد ينبغي أن يكون الهواء أخف من النار، وأن النار في الحجر، كما أن فيه هواء، والنار أقوى على رفع الحجر من الهواء الذي فيه.

وكان يقول: من الدليل على أن النار كامنة في الحطب، أن الحطب يحرق بمقدار من الإحراق، ويمنع الحطب أن يخرج جميع ما فيه من النيران، فيجعل فحمًا، فمتى أحبت أن تستخرج الباقي من النار استخرجته، فترى النار عند ذلك يكون لها لهب دون الضرام. فمتى أخرجت تلك النار الباقية^(٨)، ثم أوقدت عليها^(٩) ألف عام لم تستوقد.

(١) ش والبيان: «وحذرا».

(٢) الهيولي، بفتح الهاء وضم الياء وفتح اللام، مأخوذة من اليونانية، يريدون بها مادة الجسم مجردة عن الصورة والأعراض. والقول بها محال، إذ لا تفارق المادة العرض أو الصورة. انظر الفصل (5: 73).

(٣) الرزانة: الثقل. وفيه: «وزانة»: وهو تحريف، وليس بهذا المعنى إلا وزن الرجل وزانة إذا كان متثباً. انظر اللسان (17: 339 س 24).

(٤) أي نسلم لكم.

(٥) كذا على الصواب في ه فقط. وفي ط، ش: «لا تستطيعوا».

(٦) ط، ه: «للقبس»، صوابه في ش.

(٧) التخلخل: أن يكون الجسم غير متضام الأجزاء، وقالوا: عسكر متخلخل: غير متضام الأجزاء، كأن فيه منافذ. وفي الأصل: «التحليل» بالمهملة والياء بين اللامين. والسخف، بالضم والفتح: الخفة والركة. انظر الفصل (5: 61).

(٨) يعني إخراجها بإشعال الفحم وتمازج ثم استحالته إلى رماد.

(٩) أي على البقايا المتخلفة من الإشعال، وهي الرماد.

وتأويل: «لم تستوقد» إنما هو ظهور النار التي كانت فيه . فإذا لم يكن فيه شيء فكيف يستوقد؟

وكان يُكثِرُ ⁽¹⁾ التعجُّبَ من ناس كانوا ينافسون في الرَّأْسَةِ ، إذا ⁽²⁾ رَأَهم يجهلون جهلاً صغارِ العلماء ، وقد ارتفعوا في أنفسهم إلى مرتبة كبار العلماء .
وذلك أن بعضهم كان يأخذ العود فيَنقِيهِ ⁽³⁾ فيقول: أين تلك النار الكامنة؟! ما لي لا أراها ، وقد ميَّزْتُ العود قشراً بعد قشر؟!

(استخراج الأشياء الكامنة)

فكان يقول في الأشياء الكامنة: إن لكل نوع منها نوعاً من الاستخراج ، وضرباً من العلاج فالعِيدَانُ تُخرج نيرانها بالاحتكاك ، واللبنُ يُخَرِّجُ زبدُه بالمخض ، وجُبْنُه يُجمع بِإِنْفَحَةٍ ⁽⁴⁾ ، وبضروب من علاجه ⁽⁵⁾ .

ولو أن إنساناً أراد أن يخرج القَطْرَانَ من الصَّنَوْبِرِ ، والزَّفْتُ من الأَرزِ ⁽⁶⁾ لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدُقُّه ⁽⁷⁾ ويقشِّره ، بل يوقد له ناراً بقربه ، فإذا أصابه الحرُّ عَرِقَ وسالَ ، في ضروب من العلاج ⁽⁸⁾ .

ولو أن إنساناً مزَجَ بين الفضة والذهب ، وسبكهما سبيكة ⁽⁹⁾ واحدة ، ثم أراد أن يعزل أحدهما من صاحبه لم يُمكنه ذلك بالقرض ⁽¹⁰⁾ والدَّق . وسبيل التفريق بينهما قريبة سهلة عند الصَّاغَةِ ، وأرباب الحُمْلَانَاتِ ⁽¹¹⁾ .

(1) في الأصل: «يكره» ، وهو نقيض ما يراد .

(2) ط ، هـ: «إذا» .

(3) نقاه ينقيه: استخراج نقيه ، بالكسر . والنقي: أصله مخ العظم . وفي هـ: «فينقبه» . وانظر سائر العبارة .

(4) الإنفحة ، بكسر أوله وفتح ثالثة ، وقد تشدد الحاء ، وقد تكسر الفاء: شيء يستخرج من بطن الجدي الرضيع أصفر يعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ . ش: «بالأسحم» .

(5) ط ، هـ: «هي علاجه» .

(6) الأرز ، بالفتح ويضم: شجر الصنوبر . والزفت ، بالكسر: ما يسيل من شجر الصنوبر . وتطلقه العامة في مصر على خثالة النفط .

(7) ط: «ويدقه» هـ: «ويدقه» . كلاهما محرف .

(8) في بمعنى مع . ط: «وصار» . هـ: «وصال» ، صوابه في ش .

(9) ط ، ش: «بسبيكة» .

(10) القرض ، بالقاف: القطع ، ومنه قراضة الذهب ، لما يسقط عند القرض . ط: «بالفرض» بالفاء ، وهو بمعنى القطع والحز . هـ: «بالفرس» ، وهذه مصحفة .

(11) الحملان ، بضم الحاء ، جاء في القاموس: «وفي اصطلاح الصاغة ما يحمل على الدراهم من الغش» . وقد سبقت هذه الكلمة في (1: 83س 13) وفي الأصل: «الجمانات» ولا وجه له هنا .

(رد النظام على أرسطاطاليس)

وزعم أبو إسحاق أن أرسطاطاليس⁽¹⁾ كان يزعم أن الماء الممازج للأرض لم ينقلب أرضاً، وأن النار الممازجة للماء لم تنقلب ماء. وكذلك ما كان من الماء في الحجر، ومن النار في الأرض والهواء. وأن الأجرام إنما يخف وزنها وتسخف⁽²⁾، على قدر ما فيها من التخلخل⁽³⁾ ومن أجزاء⁽⁴⁾ الهواء. وأنها ترز⁽⁵⁾ وتصلب وتمتن على قدر قلة ذلك فيها.

ومن قال هذا القول في الأرض والماء والنار والهواء، وفيما تركب منها من الأشجار وغير ذلك - لم يصل إلى أن يزعم أن في الأرض عرضاً يحدث، وبالحرا⁽⁶⁾ أن يعجز عن تثبيت كون⁽⁷⁾ الماء والأرض والنار عرضاً.

وإذا قال في تلك الأشجار بتلك القالة⁽⁸⁾، قال في الطول والعرض، والعُمق، وفي التريع والتثليث والتدوير، بجواب أصحاب الأجسام. وكما يلزم أصحاب الأعراض أصحاب الأجسام⁽⁹⁾ بقولهم في تثبيت السكون والحركة أن القول في حراك الحجر كالقول في سكونه - كذلك⁽¹⁰⁾ أصحاب الأجسام يلزمون كل من زعم أن شيئاً من الأعراض لا ينقص⁽¹¹⁾ أن⁽¹²⁾ الجسم يتغير في المذاقة والملمسة والمنظرة⁽¹³⁾ والمشممة من غير لون الماء⁽¹⁴⁾. وفي برودة نفس الأرض وتثبيتها كذلك.

(1) ش: «أرسطاليس» وكتبت «ليس» في ط أول السطر، كأنها «ليس» النافية. وقد تعددت صور تعريبه عن اليونانية، فمنها أرسطو، وأرسطوطاليس، وأرسطوطليس وأرسطوليس. وقد انفرد المتنبّي بتسميته «رسطاليس» في قوله:

من مبلغ الأعراب أنني بعدها شاهدت رسطاليس والإسكندرا

(2) تسخف، من السخف، وهو الخفة والرقّة. ش: «يسخف» ط، هـ: «تسخف» وما كتبت أشبهه.

(3) في الأصل: «التخليل». وانظر التنبّي 7 ص 34.

(4) ط، هـ: «أجراء» بالراء المهملة. صوابه في ش.

(5) ترز، من الرزاة، وهي الثقل. ط: «توزن» بالواو. صوابه من ش، هـ.

(6) الحرا، يائي واوي، يكتب بالوجهين. ومعناه بالأجدر. وأصل الحرا الجدير والخليق.

(7) في الأصل: «لون» باللام.

(8) القالة: القول، كالمقالة. ش: «المقالة».

(9) في الأصل: «لا يلزم» والسياق يقتضي إسقاط «لا». وكلمة «وكما» ساقطة من ط، والمراد بأصحاب الأعراض: من يزعمون أن كل ما في العالم أعراض، وأن الأجسام مركبة من الأعراض، وهو مذهب الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو. الفصل (5: 66). وأصحاب الأجسام يذهبون إلى أنه ليس في العالم إلا جسم، وأن الألوان والحركات ما هي إلا أجسام. وهو مذهب الهشامية، أصحاب هشام بن الحكم. الفصل (5: 66).

(10) ط، ش: «وكذلك» هـ: «ولذلك». والوجه إسقاط الواو.

(11) هـ، ش: «لا ينقصي».

(12) في الأصل: «وأن» بزيادة الواو.

(13) المنظرة: النظر. وفي الأصل: «المنطقة».

(14) كذا وردت العبارة محرفة.

ومتى وجدنا طينة مربّعة صارت مدوّرة، فليس ذلك بحدوث تدويرٍ لم يكن. فكان عند تغيّره في العينِ أولى من تغيّر الطينة في العين من البياض إلى السواد^(١). [و^(٢)] سبيلُ الصلابة والرّخاوة؛ والثقل والخِفّة، سبيل الحلاوة والملوحة، والحرارة والبرودة.

(أصحاب القول بالاستحالة)

وليس يقيس^(٣) القول في الأعراض إلا من قال بالاستحالة. وليس في الاستحالة شيءٌ أقرب من قولهم في استحالة الجبل الصّخير^(٤) إلى مقدار خردلة، من غير أن يدخل أجزاء شيءٍ على حال. فهو على قول من زعم أن الخردلة تتنصّف أبداً أحسن. فأما إذا قال بالجزء الذي لا يتجزأ، وزعم أن أقلّ الأجسام، الذي تركيبه من ثمانية أجزاء لا يتجزأ، أو ستة أجزاء لا يتجزأ^(٥)، يستحيل جسماً على قدر طول العالم وعرضه وعمقه - فإنّا^(٦) لو وجدناه كذلك لم نجد بداً من أن نقول: إنا لو رفعنا^(٧) من أوها منا من ذلك شبراً من الجميع، فإن كان مقدار ذلك الشبر جزءاً واحداً فقد وجدناه جسماً أقلّ من ثمانية أجزاء ومن ستة أجزاء. وهذا نقضُ الأصل. مع أن الشبر الذي رفعناه من أوها منا، فلا بدّ إن كان جسماً أن يكون من ستة أجزاء، أو من ثمانية أجزاء. وهذا كله فاسد.

(الأضواء والألوان)

والنار^(٨) حرٌّ وضياء، ولكلّ ضياء بياضٌ ونور، وليس لكلّ بياض نورٌ وضياء. وقد غلط في هذا المقام عالمٌ من المتكلمين.

والضياء ليس بلون، لأن الألوان تتفاسد، وذلك شائعٌ في كلها، وعامٌّ في جميعها؛ فاللبن والجبر يتفاسدان، ويتمازج^(٩) التراب اليابس والماء السائل، كما يتمازجُ الحارُّ والبارد، والحلو والحامض، فصنع البياض في السواد، كصنع السواد في البياض. والتفاسدُ الذي يقع بين الخُصرة والحمرة، فبذلك الوزن يقع بين البياض وجميع الألوان.

(١) في الأصل: «(أولاً) من (غير) الطينة في العين من البياض (أن) السواد». وهي عبارة مشوهة.

(٢) ليست بالأصل.

(٣) ط: «بقيس» بالباء الموحدة في أوله، محرفة.

(٤) الصخير، أراد به: الكثير الصخر. والذي في المعاجم «صخر» ككتف. ولكن هكذا وردت في ش، هـ. وفي ط: «الصغير» بالعين. وليس بشيء.

(٥) في الأصل: «لا يتجزأ» بالياء المشنة التحتية، في هذا الموضع والذي قبله. وكلمة «لا تتجزأ» الثانية ساقطة من هـ.

(٦) في الأصل: «وإنّا».

(٧) في الأصل: «رفعناه».

(٨) في الأصل: «لأن».

(٩) في الأصل: «يتماع».

وقد رأينا أن البياض مَيَّاعٌ⁽¹⁾ مفسد لسائر الألوان⁽²⁾. فأنت قد ترى الضياء على خلاف ذلك؛ لأنه إذا سقط على الألوان المختلفة كان عمله فيها عملاً واحداً، وهو التفصيل⁽³⁾ بين أجناسها، وتمييز⁽⁴⁾ بعضها من بعض، فيبين عن⁽⁵⁾ جميعها إبانة واحدة، ولا تراه يخص البياض إلا بما يخص بمثله السواد، ولا يعمل في الخضرة إلا مثل عمله في الحمرة، فدل ذلك على أن جنسه خلاف أجناس الألوان، وجوهره خلاف جواهرها، وإنما يدل على اختلاف الجواهر اختلاف الأعمال؛ فباختلاف الأعمال واتفاقها تعرف اختلاف الأجسام واتفاقها.

(جملة القول في الضد والخلاف والوفاق)

قالوا: الألوان كلها متضادة، وكذلك الطعوم، وكذلك الأرايح، وكذلك الأصوات، وكذلك الملامس: من الحرارة والبرودة، واليبس والرطوبة، والرخاوة والصلابة، والملاسة⁽⁶⁾ والخشونة. وهذه جميع الملامس.

وزعموا أن التضاد⁽⁷⁾ إنما يقع بين نصيب الحاسة الواحدة فقط. فإذا اختلفت الحواس صار نصيب هذه الحاسة الواحدة من المحسوسات، خلاف نصيب تلك الحاسة، ولم يضادها بالضد كاللون واللون؛ لمكان التفاسد، والطعم والرائحة؛ لمكان التفاسد.

ولا يكون الطعم ضد اللون، ولا اللون ضد الطعم، بل يكون خلافاً. ولا يكون ضدًا ولا وفاقًا، لأنه لا يكون وفاقًا، لأنه من غير جنسه، ولا يكون ضدًا، لأنه لا⁽⁸⁾ يفسده.

وزعم من لا علم له من أصحاب الأعراض⁽⁹⁾، أن السواد إنما ضاد البياض، لأنهما لا يتعاقبان، ولا يتناوبان⁽¹⁰⁾، ولأنهما يتنافيان.

قال القوم: لو كان ذلك من العلة، كان ينبغي لذهاب الجسم قُدماً⁽¹¹⁾ أن يكون بعضه

(1) مياع: «سيال».

(2) في الأصل: «كسائر» بالكاف في أوله، محرف.

(3) التفصيل بمعنى التمييز، وفي الأصل: «التقبيل»، تحريف.

(4) ط: «تمييز»، صوابه في ش، هـ.

(5) ط، ش: «من»، والوجه ما أثبت من هـ.

(6) ليست بالأصل، وتقضيها المزاجية.

(7) كذا بفتح الإدغام في جميع نسخ الأصل، فإن صح كان من المسموع.

(8) يقتضيها الكلام. وليست في الأصل.

(9) انظر التنبيه التاسع ص 36.

(10) التناوب بمعنى التعاقب. وفي الأصل: «يتفاوتان» وهو تحريف.

(11) مضى قُدماً، بضم القاف والdal: لم يعرج ولم ينثن، وقد تسكن الdal. انظر اللسان (15: 366س22).

يضاد بعضاً، لأن كونه في المكان الثاني لا يوجد مع كونه في المكان الثالث. وكذلك التربع: كطينة لو رُبعت بعد تثليثها، ثم رُبعت بعد ذلك. ففي قياسهم أن هذين التربعين ينبغي لهما أن يكونا متضادّين، إذ⁽¹⁾ كانا متنافيين، لأن الجسم لا يحتمل في وقت واحد طولين، وأن الضدّ يكون على ضدين: يكون أحدهما [أن⁽²⁾] يخالف الشيء [الشيء] من وجوه⁽³⁾ عدة، والآخر [أن] يخالفه من وجهين [أو وجه⁽⁴⁾] فقط.

قالوا: والبياض يخالف الحمرة ويضادّها، لأنه يُفاسِدُها ولا يفسدُ الطعم؛ وكذلك البياض للصفرة والحوّة⁽⁵⁾ والخضرة. فأما السواد خاصة فإن البياض يضاده بالتفاسد، وكذلك التفاسد⁽⁶⁾، وكذلك السواد.

وبقي لهما خاصة من الفصول⁽⁷⁾ في أبواب المضادة؛ أن البياض ينصبغ ولا يصبغ، والسواد يصبغ ولا ينصبغ، وليس كذلك سائر الألوان، لأنها كلها تصبغ وتصبغ. قالوا: فهذا باب يساق⁽⁸⁾.

(باب آخر)

إن الصفرة متى اشتدت صارت حُمرة، ومتى اشتدت الحمرة صارت سواداً، وكذلك الخضرة متى اشتدت صارت سواداً. والسواد يضاد البياض⁽⁹⁾ مضادة تامة، وصارت الألوان الآخر فيما بينها تتضاد عادة، وصارت الطعوم والأرايح والملامس تخالفها ولا تضادها.

(أصل الألوان جميعها)

وقد جعل بعض من يقول بالأجسام⁽¹⁰⁾ هذا المذهب دليلاً على أن الألوان كلّها إنما هي من السواد والبياض، وإنما تختلفان على قدر المزاج. وزعموا أن [اللون⁽¹¹⁾] في الحقيقة إنما

(1) في الأصل: «إذا».

(2) من ش، هـ.

(3) في ط: «وجوده» محرف.

(4) ليست في الأصل. والكلام يتطلبها.

(5) الحوة، كقوة: سواد إلى خضرة، أو حمرة إلى سواد، وفي الأصل: «الحمرة» فتكون تكراراً لما سبق.

(6) هذه الجملة مقحمة.

(7) الفصول: جمع فصل بمعنى الفرق. ط: «خاصته»، صوابه في ش، هـ.

(8) يساق: أي يطرد. وفي الأصل: «ما يساق» بزيادة «ما».

(9) كلمة «يضاد» ساقطة من الأصل. وفي الأصل: «البياض».

(10) انظر التنبيه التاسع ص 36.

(11) ساقطة من الأصل. وبها يستقيم الكلام ويلتئم.

هو البياض والسواد، وحكموا في المقالة الأولى بالقوة للسواد على البياض؛ إذ⁽¹⁾ كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد، وبُعُدت من البياض، فلا تزال كذلك إلى أن تصير سواداً.

وقد ذكرنا قبل هذا قول من جعل الضياء والبياض جنسين مختلفين، وزعم أن كل ضياء بياض وليس كل بياض ضياء⁽²⁾.

(عِظَمُ شَأْنِ الْمُتَكَلِّمِينَ)

وما كان أَحْوَجَ وَأَحْوَجًا جميعَ المرضى أن يكون جميعُ الأطباءِ متكلمين، وإلى أن يكون المتكلمون علماء؛ فإن الطب لو كان من نتائج حُذاق المتكلمين ومن تلقيحهم له، لم نجد في الأصول التي يبنون عليها من الخلل ما نجد⁽³⁾.

(ألوان النيران والأضواء)

وزعموا أن النار حمراء، وذهبوا إلى ما ترى العين، والنار في الحقيقة بيضاء. ثم قاسوا على خلاف الحقيقة المرة الحمراء⁽⁴⁾، وشبهوها بالنار⁽⁵⁾. ثم زعموا أن المرة الحمراء مرة، وأُخِلِقَ بالدخان أن يكون مرّاً. وليس الدخان من النار في شيء.

وكل نور وضياء هو أبيض، وإنما يحمرُّ في العين بالعرض الذي يعرض للعين. فإذا سَلِمَتْ من ذلك، وأفضت إليه العين رأته أبيض، وكذلك نار العود تنفصل⁽⁶⁾ من العود، وكذلك انفصال النار من الدهن ومعها الدخان ملابساً لأجزائها⁽⁷⁾. فإذا وقعت الحاسة على سوادٍ أو بياض في مكان واحد، كان نتاجهما⁽⁸⁾ في العين منظره الحمراء⁽⁹⁾.

ولو أن دخاناً عرض بينك وبينه قرص الشمس أو القمر⁽¹⁰⁾ لرأيتَه أحمر. وكذلك قرص

(1) ط: «إذا».

(2) انظر ص 37.

(3) تجد مثيل هذا القول في (4: 116).

(4) المرة، بالكسر: أحد أخلاط البدن الأربعة، وهي البلغم والدم والصفراء والسوداء. فالمرة هي المرة الصفراء، يكتفون أحياناً بالصفة، وأحياناً بالموصوف. ووعاء هذا الخلط هو الذي يسمى «المرارة». قال داود في الصفراء: «والطبيعي منها أحمر ناصع (كذا) عند المفارقة، أصفر بعدها» فقد ظهر لك بذلك تسمية الجاحظ إياها: «المرة الحمراء». ش، هـ: «أن المرة الحمراء» بزيادة «أن» وهو تحريف.

(5) هذه الجملة ساقطة من هـ. وبدلها في ش: «للنار».

(6) ط: «تنفصل» هـ: «يتفصل»، صوابهما في ش.

(7) هـ: «لأجزاء».

(8) أي نتاج السواد والبياض. ط، هـ: «نتائجها» بالإفراد، صوابه في ش.

(9) المنظرة: المنظر. انظر (3: 211)، ط: «المنتظرة» صوابه في ش، هـ.

(10) في الأصل: «وبين القمر»، والوجه ما أثبت.

الشمس في المشرق أحمر وأصفر، للبخار والغبار المعترض بينك وبينه. والبخار والدخان أخوان.

[و^(١)] متى تحلّق القرص في كبد السماء، فصار على قمة رأسك^(٢) ولم يكن بين عينيك^(٣) وبينه إلا بقدر ما تمكن البخار من الارتفاع في الهواء صُعداً - وذلك يسيراً قليل - فلا تراه حيثنذ إلا في غاية البياض.

وإذا انحطّ شرقاً أو غرباً صار كل شيء بين عينيك وبين قرصها من الهواء، ملاسماً للغبار والدخان والبخار، وضروب^(٤) الضباب والأنداء^(٥) فتراها إما صفراء، وإما حمراء.

ومن زعم أن النار حمراء فلم يكذب إن ذهب إلى ما ترى العين، ومن ذهب إلى الحقيقة والمعلوم في الجوهرية، فزعم أنها حمراء، ثم قاس على ذلك جهل وأخطأ. وقد نجد النار تختلف على قدر اختلاف الثّقط^(٦) الأزرق، والأسود، والأبيض. وذلك كله يدور في العين مع كثرة الدخان وقلته.

ونجد النار تتغير في ألوانها في العين، على قدر جفوف الحطب ورطوبته، وعلى قدر أجناس العيدان والأدهان، فنجدها شقراء، ونجدها خضراء إذا كان حطبها مثل الكبريت الأصفر.

(علة تلون السحاب)

ونجد لون السحاب^(٧) مختلفاً في الحمرة والبياض، على قدر المقابلات والأعراض، ونجد السحابة بيضاء، فإذا قابلت الشمس بعض المقابلة، فإن كانت السحابة غربية^(٨) أفقية والشمس منحطة، رأيتها صفراء، ثم سوداء، تعرض للعين لبعض ما يدخل عليها.

(١) هذا الحرف ساقط من الأصل.

(٢) قمة الرأس : وسطه . وصار على قمة الرأس : أي على حيال وسطه . قال ذو الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلّق

ابن ماء : هو كل طير يألف الماء . وفي الأصل : «قبة» بالباء، تصحيف .

(٣) ش : «عينك» بالافراد .

(٤) ضروب : جمع ضرب، وهو النوع . ط : «ضرب» صوابه في ش، هـ .

(٥) الأنداء : جمع ندي . وفي الأصل : «السواد» ولا وجه له .

(٦) النفط، بكسر النون وسكون الفاء : سائل معدني سريع الالتهاب، يسمى في عامية «مصر» الجاز، وتختلف ألوانه باختلاف درجة نقائه، من الأسود إلى الأبيض . وفي الأصل : «النقط» بالقاف . وهو تصحيف .

(٧) في الأصل : «فوق السحاب»، والوجه ما أثبت .

(٨) هـ : «غربية» وليس بشيء .

(شعر في ألوان النار)

- وقال الصَّلَتَانِ الفُهْمِيَّ^(١) في النار:
 وتوقدُها شقراء في رأسِ هَضْبَةٍ ليَعْشُوا إليها كلُّ باغٍ وجازعٍ^(٢)
 وقال مزرد بن ضرار^(٣):
 فأبصرَ ناري وهي شقراء أُوقِدَتْ بعلياء نَشَزٍ، للعيونِ النواظرِ^(٤)
 وقال آخر^(٥):
 ونار كسحر العود يرفعُ ضوءها مع الليل هبَّتْ الرياح الصَّوَارِدُ^(٦)
 والغبار يناسب بعضُ الدخان. ولذلك قال طُفَيْلُ الغَنَوِيِّ^(٧):

(١) الصلتان، بفتح الصاد واللام، وأصل معناه النشيط الحديد الفؤاد من الخيل. وهو لقب لعدة شعراء أحدهم هذا، قال الأُمدي في المؤلف 145: «لست أعرفه في شعرائهم. وأظنه متأخراً. أنشد له الجاحظ في كتاب البيان والتبيين - انظر البيان 3: 37:

العبد يقرع بالمعصا والحر تكفيه الإشارة
 وذكره أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله في كتابه المؤلف في سرقات الشعراء، وحكاه أيضاً عن الجاحظ. قلت: في نسخة البيان: «الفلتان» بالفاء، وهو تحريف. وانظر الخزانة (2: 158 سلفية). وثانيهم الصلتان العبدي أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وقد قضى بين جرير والفرزدق في قصة مشهورة. انظر الأُمدي والخزانة. والثالث الصلتان الضبّي. والرابع الصلتان السعدي، أنشد له الجاحظ أبياتاً في الحيوان (3: 257) أولها:

- أشاب الصغير وأفنى الكبير ركر الغداة وممر العشي
 قال: «وهو غير الصلتان العبدي». انظر الحيوان ومعاهد التنصيص (1: 27) وقد غاب هذا الرابع عن كثير من العلماء.
 (2) توقدها كذا بالثاء. يعشوا إلى النار: يقصد إليها. والباغي: الطالب. والجازع: الذي يقطع الوادي أو الأرض.
 (3) مزرد لقب له لببت قاله. واسمه يزيد بن ضرار بن حرملة، الذبياني الغطفاني؛ شاعر فارس مشهور، أدرك الإسلام، وله صحة، وكان هجاء خبيث اللسان. وهو أخو الشماخ بن ضرار، وكان مزرد أسن منه. الإصاية 7913 والمؤتلف 190 ومعجم المرزباني 496، والبيت الآتي روى مثله ابن الشجري في الحماسة 285 ونسبه إلى جبيهة الأشجعي، في قصيدة طويلة مشروحة.
 (4) النشز: المكان المرتفع. ورواية بيت الحماسة: «بلبل فلاح». انظر حماسة أبي تمام (2: 136) وكتاب الزهرة 235.
 (5) السحر، بالفتح: الرئة وما يتعلق بالحلقوم. والعود، بالفتح: الجمل المسن، شبه النار في حمرتها بسحر العود. والصوارد: البوارد، والبرد. وجعله صفة لهبات. ولا تكون صفة للرياح إلا مع الإقواء في هذا البيت أو في قرينه وهو كما روى أبو تمام:

- أصد بأيدي العيس عن قصد أهلها وقلبي إليها بالمودة قاصد
 و«ضواها» رسمت في ط: «ضوؤها» وفي ش، هـ: «ضبيوها» محرفتان.
 (7) تقدمت ترجمته في (4: 204) والبيت في ديوان طفيل ص 9. وشبيه هذا البيت قول عقيل بن علفة المري (اللسان 260: 2 والحيوان 2: 174):

وهل أشهدن خيلاً كأن غبارها بأسفل علكد دواخن تنضب
 وقول النابغة الجعدي (اللسان 2: 260 وسيبويه 2: 138):
 كأن الغبار الذي غادرت ضحياً دواخن من تنضب

إِذَا هَبَطْتُ سَهْلًا كَأَنَّ غِبَارَهُ بِجَانِبِهَا الْأَقْصَى دَوَاخِنُ تَنْضُبُ⁽¹⁾
لأن دَخَانَهُ يكون أبيض يشبه الغبار، وناره شقراء .
والعرب تجمعُ الدخان دواخين⁽²⁾ وقال الأزرق الهمداني⁽³⁾ :
ونوقدها شقراء من فرع تَنْضُبُ وَلَلْكُمْتُ أَرْوَى لِلنَّزَالِ وَأَشْبَعُ⁽⁴⁾
وذلك أن النار إذا أُلْقِيَ عليها اللحم فصار لها دَخَانٌ، أَصْهَابَتْ⁽⁵⁾ بِدَخَانِ ماء اللحم
وسوادِ الْقُتَارِ⁽⁶⁾ . وهذا يدل أيضاً عَلَى ما قلنا .
وفي ذلك يقول الْهَيْيَانُ الْفَهْمِيُّ⁽⁷⁾ :
له فوق النَّجَادِ جَفَانٌ شِيَزَى وَنَارٌ لَا تَضُرُّمُ لِلصَّلَاءِ⁽⁸⁾
ولكن لِلطَّبِيخِ، وَقَدْ عَرَاهَا طَلِيحُ الْهَمِّ مُسْتَلِبُ الْفِرَاءِ⁽⁹⁾
وما غَذِيَتْ بِغَيْرِ لَطَى، فَنَارِي كَمَرْتَكُمُ الْغَمَامَةِ ذِي الْعِفَاءِ⁽¹⁰⁾
وقال سحر العود⁽¹¹⁾ :
له نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ لِكُلِّ مُرْعَبِلٍ الْأَهْدَامِ بِالْيِ⁽¹²⁾

- (1) هبط، الضمير عائد إلى الخيل . ومثله ضمير «جانبها» . ورواية الديوان : «بجانبه» ، الضمير للسهل . والتنضب، بفتح التاء وضم الصاد : شجر ضخام وورقه متقبض ، وعيدانه بيض ، له شوك قصار ، ينبت بالحجاز .
(2) كلمة «الدخان ساقطة من ش ، هـ . ودواخين : جمع غير قياسي ، ومثله في ذلك عثان وعوان .
(3) لم أعثر له على ترجمة . ونسب البيت إلى الأعشى في الحماسة 1644 بشرح المرزوقي وليس في ديوانه .
(4) ش : «وتوقدها» بالتاء . وفي شرح الحماسة : «وأوقدتها» .
(5) اصهابت : من الصهبة ، وهي حمرة يعلوها سواد . ط ، هـ : «أصابت» صوابه في ش .
(6) القتار ، بالضم : ما يتصاعد من الشواء .
(7) الهيبان ، بفتح الهاء وتشديد الياء المفتوحة ، أصل معناه الذي يهاب ، كما في اللسان عن ثعلب . والفهمي منسوب إلى قبيلة فهم . قال المرزباني في المعجم 489 : «الهيبان الفهمي جاهلي ، يقول :
كما ضرب اليعسوب أن عاف باقر وما ذنبه أن عافت الماء باقر»
(8) يبتدئ المجلد الثالث من مخطوطة الأزهر بهذا البيت . النجاد : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وأشرف وارتفع واستوى . وفي الأصل : «البحار» وهو من عجيب التصحيف . والشيزى ، بكسر أوله مقصوراً : شجر تعمل منه القصاع والجفان ، قال أبو عمرو : «الشيزي يقال له الآبنوس» . الجوهرى : الشيز والشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع . والصلاء ، بالفتح ويكسر : مقاساة حر النار ، أو المتمتع بها في الشتاء .
(9) عراها : غشيها وقصدها . الطليح : المتعب المعين . مستلب الفراء : ليس له فروة يلبسها لتقيه البرد .
(10) المرتكم : المجتمع ، والعفاء ، بالكسر ، قال صاحب اللسان : «وعفاء السحاب كالخمل في وجهه لا يكاد يخلف» .
(11) كذا في الأصل : ولعله . «جران العود» .
(12) اليفاع ، بالفتح : التل . هـ ، ش : «إقال» مصحف . والمرعبل : الممزق . والأهدام : الثياب الأخلاق ، واحدها هدم ، بالكسر . وهذه النار التي عنى هي النار التي تشب ليهتدي بها الضيف وذو الحاجة .

ونار فوقها بُجْرٌ رَحَابٌ مُبَجَّلَةٌ تَقَاذِفُ بِالْمَحَالِ⁽¹⁾

(علة اختلاف ألوان النار)

ويدلُّ أيضاً على ما قلنا: أن النار يختلف لونها على قدر اختلاف جنس الدُّهن والخطب والدخان، وعلى قدر كثرة ذلك وقلته، وعلى قدر يُبسسه ورطوبته - قولُ الراعي⁽²⁾ حين أراد أن يصف لونَ ذئبٍ فقال:

وَفَعَّ الرِّبِيعَ وَقَدْ تَقَارَبَ خَطْوُهُ وَرَأَى بِعَقْوَتِهِ أَزَلَ نَسُولا⁽³⁾
مُتَوَضِّعُ الْأَقْرَابِ فِيهِ شُهْبَةٌ هَشُّ الْيَدَيْنِ تَخَالُهُ مَشْكُولا⁽⁴⁾
كَدُخَانٍ مُرْتَجِلٍ بِأَعْلَى تَلْعَةٍ غَرَثَانِ ضَرَمَ عَرْفَجاً مَبْلُولا⁽⁵⁾

(1) وهذه النار نار الطعام. بجر: جمع بجراء وهي العظيمة البطن، عنى بها القدور. وفي الأصل: «جزر» وليس له هنا وجه. والرحاب: الواسعات. والمبجلة: المعظمة. والمحال: بالفتح: جمع محالة، وهي الفقرة من فقار البعير.

(2) هو راعي الإبل النميري، واسمه عبید بن حصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن حارث بن نمير. ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل والرعاء في شعره. شاعر فحل مشهور من شعراء الإسلام، ذكره الجمحي في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، مع جرير والفرزدق والأخطل. وكان الراعي يقدم الفرزدق على جرير، فاستكفه جرير فأبى، فهجاه بقصيدته البائية:

أَقْلَى اللُّومِ عَاذِلٌ وَالْعَتَابَا وَقَوْلِي إِنْ أَصَبْتَ لَقَدْ أَصَابَا
المؤتلف 122 وابن سلام 373-374 والخزانة (3: 134) سلفية) والأغاني (20: 168-173). والأبيات الآتية من قصيدة له يمدح بها عبد الملك بن مروان، وشكا فيها من السعاة، وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان. وانظر الخزانة وجمهرة أشعار العرب 172 وأولها:

مَا بَالُ دَفَكٍ بِالْفَرَّاشِ مَذِيلاً أَقْذَى بَعِينِكَ أَمْ أَرَدْتَ رَحِيلاً
(3) وقع الربيع: أي مثل شدة ضرب المطر للأرض. مثل به صوت الهداهد في البيت الذي قبله، وهو كما في الجمهرة:

كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلاً
والهديل هنا: صوت الهداهد، وهو الهدهد، شبه به العريف الذي ضربه السعاة. وضمير «خطوه» للربيع، أو للهداهد، أو للعريف في بيت سابق. وضمير «رأى» للهداهد أو للعريف. والعقوة، بالفتح: الساحة وما حول الدار. والأزل: القليل لحم الفخذين، أو السريع. وقد عنى به الذئب. والنسول: من النسلان، وهو مشية الذئب إذا أسرع، وفي الأصل: «وأرى بعقوته أزل سيولاً»، صوابه في الجمهرة واللسان (8: 254).

(4) الأقرب: جمع قرب، بالضم، وهي الخاصرة. ط: «الأقربان» بالنون محرف. والمتوضح: الأبيض ليس بالشديد البياض. وفي الأصل: «متوقع» وليس له وجه. وأثبت رواية اللسان (وضح). ورواية الجمهرة: «متوشح» بالشين. والشهبة: لون بياض يصدعه سواد في خلاله. ورواية اللسان (وضح، شهل): «شهلة» من قولهم: ذئب أشهل، إذا كان أغبر في بياض. ورواية الجمهرة: «نهمة»؛ وهي النهم. والهش: الخفيف. ورواية الجمهرة: «نesh» وهي الخفيف أيضاً. والمشكول: المشدود بالشكال، وهو بالكسر: عقال الدابة. وفي اللسان (8: 152): «تخاله مشكولاً: أي لا يستقيم في عدوه، كأنه قد شكل بشكال».

(5) التلعة، بالفتح: ما ارتفع من الأرض. والغرثان: الجوعان، والأنثى غرثى وغرثانة. والعرفج: نبت سريع الالتهاب.

المرتجل: الذي أصاب رجلاً^(١) من جرادٍ، فهو يشويه. وجعله^(٢) غَرَثَان لكون الغَرث^(٣) لا يختار الحطب اليابس على رطبه، فهو يشويه بما حضره. وأدار هذا الكلام، ليكون لون الدخان بلون الذئب الأطحل^(٤) متفقين.

(تعظيم زرادشت لشأن النار)

وزرادشت هو الذي عظم النار وأمر بإحيائها، ونهى عن إطفائها، ونهى الحيض عن مسها والدئو منها. وزعم أن العقاب في الآخرة إنما هو بالبرد والزمهرير والدمق^(٥).

(علة تخويف زرادشت أصحابه بالبرد والثلج دون النار)

وزعم أصحاب الكلام أن زرادشت - وهو صاحب المجوس - جاء من بلخ^(٦)، وادعى أن الوحي نزل عليه على جبال سيلان^(٧)، وأنه حين دعا سكان^(٨) تلك الناحية الباردة، الذين لا يعرفون إلا الأذى بالبرد، ولا يضربون المثل إلا به؛ حتى يقول الرجل لعبده: لئن عدت إلى هذا لأنزعن ثيابك، ولأقيمك في الريح، ولأوقفك في الثلج! فلما رأى موقع البرد منهم هذا الموقع، جعل الوعيد بتضاعفه، وظن أن ذلك أزر لهم عما يكره.

وزرادشت في توعده تلك الأمة بالثلج دون النار، مقرر بأنه لم يبعث إلا إلى أهل [تلك^(٩)] الجبال. وكأنه إذا قيل له: أنت رسول إلى من؟ قال: لأهل البلاد الباردة، الذين لا بد لهم من وعيدٍ، ولا وعيد لهم إلا بالثلج. وهذا جهل منه، ومن استجاب له أجهل منه.

(١) الرجل، بالكسر: الجراد الكثير، وجمعه أرجال. وقد فسر «المرتجل» أيضاً في هذا البيت بأنه الذي يقتدح النار بزنده جعلها بين رجله وفتل الزند في فرضتها بيده حتى يورى. وقيل المرتجل: الذي نصب رجلاً يطبخ به طعاماً. اللسان: (13: 29).

(٢) ط، هـ: «وجعل».

(٣) الغرث، كفرح: الغرثان. وفي الأصل: «لطول الغرث».

(٤) الطحلة: لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد. ذئب أطحل وشاة طحلاء.

(٥) في اللسان: «الدمق بالتحريك: الثلج مع الريح يغشى الإنسان من كل أوب حتى يكاد يقتل من يصيبه. فارسي معرب». قلت: هو معرب «دمه» الفارسية، بفتح الدال والميم. استنجاس 536.

(٦) بلخ: مدينة كبيرة بخراسان.

(٧) جبل بقرب مدينة أردبيل بأذربيجان. وفي الحديث: «كتب الله له من الحسنات: بعدد كل ودق وثلج وقع على جبل سيلان». قيل: وما سيلان يا رسول الله؟ قال: جبل أرمينية وأذربيجان. انظر عجائب المخلوقات 151، ولم يذكر هذا الجبل ياقوت، ولا صاحب القاموس واللسان.

(٨) دعاهم إلى دينه، وفي الأصل: «لكان» بزيادة اللام، ولا تتجه.

(٩) ليست بالأصل. والمراد: جبال سيلان. انظر التنبيه السابع.

(ردُّ على زرادشت في التخويف بالثلج)

والثلج لا يكُمِّل لمضادَّة النار، فكيف يبلغ مبلغها؟ والثلج يُؤكَّل ويشرب، ويُقضم قضمًا، ويمزج بالأشربة، ويدفن فيه الماء⁽¹⁾ وكثير من الفواكه.

وربما أخذ بعض المترفين القطعة منه كهامة الثور⁽²⁾، فيضعها على رأسه ساعة من نهار، ويتبرّد بذلك.

ولو أقام إنسان على قطعة من الثلج مقدار صخرة في حَمدان ربح⁽³⁾ ساعة من نهار، لما خيفَ عليه المرض قَطُّ⁽⁴⁾.

فلو كان المبالغة في التنفير⁽⁵⁾ والزجر أراد، وإليه قصد؛ لذكر ما هو في الحقيقة عند الأمم أشدُّ. والوعيد بما هو أشد، وبما يعم بالخوف سكان البلاد الباردة والحارة أشبه، إذا⁽⁶⁾ كان المبالغة يريد.

والثلج قد يداوى به بعض المرضى، ويتولد فيه الدود⁽⁷⁾، وتخوضه الحوافر، والأطفال، والأخفاف، والأقدام، بالليل والنهار، في الأسفار.

وفي أيام الصيد يهون على من شرب خمسة أرتال نبذ أن يعدو عليه خمسة أشواط.

(معارضة بعض المجوس في عذاب النار)

وقد عارضني بعض المجوس وقال: فلعلَّ أيضاً صاحبكم إنما توعد أصحابه بالنار، لأن بلادهم ليست ببلاد ثلج ولا دَمَق⁽⁸⁾، وإنما هي ناحية الحرور والوهج والسَّموم⁽⁹⁾، لأن ذلك المكروه أضر لهم. فرأى هذا المجوسي أنه قد عارضني! فقلت له: إن أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر في الصيف. وشدة البرد في الشتاء؛ لأنها بلاد صخور وجبال، والصخر يقبل الحر والبرد ولذلك سمت⁽¹⁰⁾ الفرس بالفارسية، العرب والأعراب: «كَهْيَان»، والكَه

(1) بأن يجعل الماء في وعاء ثم يدفن فيه.

(2) الهامة: الرأس.

(3) حمدان، لعله من قولهم: يوم محتمد: شديد الحر. ط، هـ: «حمدان» بالخاء المعجمة.

(4) في الأصل: «لما خيف عليه إلا المرض فقط»، والسياق يقتضي ما أثبت.

(5) في الأصل: «التغيير» ولا وجه له.

(6) في الأصل: «إذ».

(7) سبقت إشارة الجاحظ إلى ديدان الثلج في (3: 211س17).

(8) الدمق، بالتحريك: مر تفسيره في التنبيه 5 ص 45.

(9) السموم بالفتح: الريح الحارة. أبو عبيدة: «السموم بالنهار، وقد تكون بالليل، وقد تكون بالنهار».

(10) ط: «سميت»، صوابه في ش، هـ.

بالفارسية هو الجبل⁽¹⁾. فمتى أحسبت أن تعرف مقدار برد بلادهم في الشتاء وحرّها في الصيف، فانظر في أشعارهم، وكيف قَسَمُوا ذلك، وكيف وضعوه⁽²⁾ لتعرف أن الحالتين سواء عندهم في الشدة.

(القول في البرودة والثلج)

والبلاد ليس يشتد بردها على كثرة الثلج وقلّته، فقد تكون بلدة أبرد وثلجها أقل، والماء ليس يجمد للبرد فقط، فيكون متى رأينا بلدة ثلجها أكثر، حكمنا أن نصيبها من البرد أوفر. وقد تكون الليلة باردة جداً، وتكون صَبْرَةً⁽³⁾ فلا يجمد الماء، ويجمد فيما هو أقل منها برداً. وقد يختلف جمود الماء في الليلة ذات الريح، على خلاف ما يقدرون ويظنون. وقد خبرني من لا أرتاب بخبره، أنهم كانوا في موضع من الجبل، يستَغْشَوْنَ⁽⁴⁾ به بلبس المبطنات⁽⁵⁾، ومتى صبوا ماءً في إناء زجاج، ووضعوه تحت السماء، جَمَدَ من ساعته. فليس جُمُود الماء بالبرد فقط، ولا بد من شروط⁽⁶⁾ ومقادير، واختلاف جواهر، ومقابلات أحوال، كسرعة البرد في بعض الأدهان، وإبطائه عن بعض، [و⁽⁷⁾] كاختلاف عمله في الماء المغلى، وفي الماء المتروك على حاله وكاختلاف عمله في الماء والنيذ، وكما يعتري البؤل من الخُثُورة والجمود، على قدر طبائع الطعام والقلة⁽⁸⁾. والزيت خاصة يصيبه المقدار القليل من النار، فيستحيل من الحرارة إلى مقدار لا يستحيل إليه ما هو أحرّ.

(ردُّ آخر على المجوس)

وحجة أخرى على المجوس. وذلك أن محمداً ﷺ، لو كان قال: لم أبعث إلا إلى أهل مكة - لكان له متعلق من جهة هذه المعارضة. فأما وأصل نبوّته، والذي عليه مخرج أمره

(1) «كه»، بفتح الكاف: اسم للجبل أو التل بالفارسية، معجم استينجاس 1066.

(2) أحسبها: «وصفوه» من الوصف.

(3) الصنبرة، بكسر الصاد وتشديد النون المفتوحة بعدها باء ساكنة: الشديدة البرد، وفي الحديث: «أن رجلاً وقف على ابن الزبير حين صلب، فقال: قد كنت تجمع بين قطري الليلة الصنبرة قائماً». انظر اللسان (6: 140 س5)، وفي الأصل: «متغيرة» ولا وجه له.

(4) في اللسان: «استغشى بثوبه، وتغشى: أي تغطى». وفي الكتاب العزيز: ﴿يَسْتَغْشَوْنَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود: 5]، ﴿وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: 7]، وفي الأصل: «يستغنون» وهو تحريف.

(5) المبطنات، يريد بها الثياب المبطنة بالفراء.

(6) ط: «شوط» ش، ه: «سوط» والوجه فيهما ما أثبت، والجمع للتناسب.

(7) هذه التكلفة من ش.

(8) كذا. ولعلها: «وعلى قدر الكثرة والقلة».

وابتداءً مبعثه إلى ساعة وفاته، أنه المبعوث إلى الأحمر والأسود⁽¹⁾، وإلى الناس كافة، وقد قال الله تعالى ﴿قُلْ يَتَائِفُ النَّاسِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]، وقد قال تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾⁽²⁾ - فلم يبق أن يكون مع ذلك قولهم⁽³⁾ معارضة، وأن يُعَدَّ في باب الموازنة.

(مما قيل في البرد)

ومما قالوا في البرد قول الكميت:

إذا التفّ دون الفتاة الضّجيجُ ووَخَوْحَ ذُو الْفَرْوَةِ الْمُزْمِلُ⁽⁴⁾
وراح الفَنِيْقُ مع الرّائحاتِ كإحدى أوائلها المرسل⁽⁵⁾
وقال الكميت أيضاً في مثل ذلك:

وجاءت الريح من تلقاء مغربها وَضَنَّ مِنْ قِدرِهِ ذُو الْقِدرِ بِالْعُقْبِ⁽⁶⁾

(1) في الحديث: «بعثت إلى الأحمر والأسود»، قال شمر: يعني العرب والعجم، والغالب على ألوان العرب السمرة والأدمة، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة. والحديث رواه أحمد في مسنده (3: 304): عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، بعثت إلى الأحمر والأسود، وكان النبي إنما يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، ونصرت بالرعب من مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً. فأیما رجل أدركته الصلاة فليصل حيث أدركته». وانظر البخاري (باب التيمم، والمساجد في البيوت)، ومسلم (باب المساجد)، والنسائي (باب الطهارة). وانظر كذلك درة الغواص 104.

(2) الآية 36 من سورة المدثر، وقد اختلف المفسرون في نصب «نذيراً» فقبل حال من الضمير في «إنها لإحدى الكبر» أو من إحدى، أو مصدر منصوب بإضمار فعله. أو نذيراً هو الله فهو منصوب بإضمار فعل. أي: ادعوا نذيراً. أو هو محمد، أي ناد، أو بلغ.

(3) ش: «قوله» فالضمير للمجوسي.

(4) ووح الرجل من البرد: إذا ردد نفسه في حلقه حتى تسمع له صوتاً. وفي الأصل: «وزحزح»، تحريف صوابه من اللسان (20: 10 س 4). وللكميت أيضاً كما في اللسان (3: 470):

ووحوح في حضن الفتاة ضجيعها ولم يك في النكد المقاتليت مشخب

والفروة: الوفضة التي يجعل فيها السائل صدقته، وهذا البيت شاهد له. والمزمل: الذي نفد زاده، ومثله الأرملة. وفي الأصل: «المزمل» بالزاي، تصحيف ورواية اللسان: «الأرملة».

(5) الفتيق: الفحل المكرم من الإبل، لا يركب لكرامته على أهله. ه: «العتيق»، وله وجه. ش: «الفتيق» مصحفة.

(6) العقب بضم ففتح: جمع عقبة بالضم، وهي المرقعة ترد في القدر المستعارة، كانوا إذا استعاروا قدراً ردوا فيها شيئاً من المرق، وفي مثل هذا المعنى للكميت أيضاً:

وحاردت النكد الجلاذ ولم يكن لِعُقْبَةِ قِدرِ المُستعيرين مُعْقِبُ

انظر اللسان (2: 111). وفي الأصل: «والقدر» بإسقاط الذال، تحريف صوابه ما أثبت. وقد رجعت بعد كتابة هذا إلى الأزمنة والأمكنة (2: 301) فألفت الرواية كما أثبت. ورواية صدر البيت فيه: «وجالت الريح». ش، ه: «وطن» بالطاء، محرفة أيضاً.

- وَكَهْكَهَ الْمَذْلُجُ الْمَقْرُورُ فِي يَدِهِ وَاسْتَدْفَأَ الْكَلْبُ فِي الْمَأْسُورِ ذِي الذَّنْبِ⁽¹⁾
وقال في مثله جِرَانُ الْعَوْدِ⁽²⁾ :
ومشبووح الأشاجع أريحِي بعيد السَّمْع ، كالقمر المنير⁽³⁾
رفيع الناظرين إلى المعالي عَلَى الْعِلَاتِ فِي الْخُلُقِ الْيَسِيرِ⁽⁴⁾
يكادُ المجدُّ ينضجُ من يديه إِذَا دُفِعَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ⁽⁵⁾
وَأَلْجَأَتِ الْكَلَابَ صَبًا بَلِيلٌ وَآلٌ نُبَاحِهِنَّ إِلَى الْهَرِيرِ⁽⁶⁾
وقد جعلت فتاة الحي تدنو مع الْهَلَاكِ مِنْ عَرَنِ الْقَدُورِ⁽⁷⁾
وقال في مثل ذلك ابن قميئة⁽⁸⁾ :
ليس طُعْمِي طُعْمَ الْأَنَامِلِ إِذَا قَدَّ لَصَّ دُرُّ اللَّقَاحِ فِي الصَّنْبِرِ⁽⁹⁾

(1) كهكهه المقرور : تنفس في يده ليسخنها بنفسه من شدة البرد فقال : كه كه . ورواية اللسان (17 : 434) : «الصرد المقرور» . والمأسور : المشدود بالإسار ، وهو القد الذي يؤسره القتب ، والقتب : رحل صغير على قدر سنام البعير . والذنب بكسر ففتح : جمع ذئبة ، وهي الفرجة بين دفتي الرجل . وفي الأصل : «الذنب» وصوابه في اللسان ، والأزمة والأمكنة (2 : 301) .

(2) من قصيدة له في ديوانه 24-28 وقبل هذا البيت :

ألا يارب ذي حسب رفيع سينسب إن هلكت إلى القبور
(3) مشبووح الأشاجع : عريض الكف ، يعني نفسه . والأشجع : العصب الذي على ظاهر الكف . والأريحي : الذي يرتاح للمعروف . والسمع ههنا : الذكر الحسن . ورواية الديوان : «بعيد الذكر» . وقد جعله كالقمر في الجمال والعلو .

(4) على العلات : أي على كل حال . هـ : «الكلاب» محرف . والخلق اليسير : السهل .
(5) الجزور : الناقة المجزورة ؛ أي إذا ضن أرباب الجزور على اليتيم ودفعوه ، لشدة الجذب والأزمة . هـ ، ش : «إذا رفع» محرف .

(6) أي أُلْجَأَتْهَا أَنْ تدخل جحرها من شدة البرد . والبليلى : الريح الباردة التي كأنها يقطر منها الماء من بردها . آل : رجع وصار . والهريز : صوت الكلب في صدره لا يفصح به . أراد أنه من شدة البرد لا يستطيع النباح . ش : «بناجهين» تصحيف .

(7) فتاة الحي ، أراد بها الفتاة المصونة : والهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس من سوء حالهم . والعرن ، بالتحريك وآخره نون : ريح القدر . وفي الأصل : «عرق» وهو تحريف . ورواية الديوان : «عرم» ، قال السكري : «العرم والعرن : ريح القدر» . ومثل هذا المعنى قول عوف بن الأحوص في المفضليات 177 :

وكانوا قعوداً حولها يرقبونها وكانت فتاة الحي ممن ينيرها
(8) هو عمرو بن قميئة . ملحقات ديوانه 67 والحيوان 6 : 277 والبغال من رسائل الجاحظ 2 : 357 وكنيات الجرجاني 129 وقد عرف بهذا الاسم جماعة من الشعراء أشهرهم هذا . واسمه عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . قالوا : دخل بلاد الروم مع امرئ القيس فهلك ، فقبل له : عمرو الضائع . المؤتلف 168 والخزانة (2 : 249-250) . وفيه قال امرؤ القيس (ابن سلام 134) :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
(9) الأنامل ، كذا وردت . اللقاح : جمع لقحة بالكسر ، وهي الناقة الحلوب . قلص درها : ارتفع لبنها . والصنبر : شدة البرد . هـ : «الضبر» محرف .

- ورأيت الإمء كالجعثن البا
لي عكوفاً على قُرارة قَدْر⁽¹⁾
ورأيت الدخان كالودع الأهـ
جَن ينباع من وراء السَّـثَر⁽²⁾
حاضر شركم وخيركُم دـ
رُ خروسٍ من الأرانِبِ بِكْر⁽³⁾
وقال في مثل ذلك⁽⁴⁾ :
وإذا العذارى بالدخان تقنَّعتْ
استعجلت نَضَبَ القدور فملَّتْ⁽⁵⁾
دَرَّتْ بأرزاق العيالِ مَعَالِقْ
بيديَّ من قمع العشارِ الحِلَّةِ⁽⁶⁾
وقال الهذليّ⁽⁷⁾ :

- (1) الجعثن، بكسر الجيم والثاء، وآخره نون: أصل كل شجرة إلا شجرة لها خشب. الواحدة جعثنه. جعلهن كالجعثن البالي في التقبض وتشوه الخلق، مما أضر بهن الجذب وسوء الغذاء. عكوفاً: استدرن حولها، ولزمنها. والقرارة بضم القاف: ما لزق بأسفل القدر من مرق، أو حطام تابل محترق، أو سمن أو غيره. وفي الأصل: «قرارة بدر» بالباء، صوابه ما أثبت.
- (2) الودع: خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النواة. والأهجن، من الهجنة، بالضم، وهي البياض. وجعل الدخان أبيض لضعف ناره. ينباع: ينفع من باع يبيع: إذا جرى جرياً ليناً وتثنى وتلوى. وفي الأصل: «ينباع» من البيع، ولا وجه له. والستر: ستر البيت. هـ: «السر» محرف.
- (3) الدر، بالفتح: اللبن. والخروس، بفتح الخاء المعجمة: النفساء، والخرسة، بالضم: طعام الوالدة. والخروس أيضاً البكر في أول حملها. والبكر: التي لم تلد إلا مرة واحدة، وهو أقل للبنها وأضيق لمخرجه. ط: «ذو حرسى» ش، هـ: «ذو حروس» بالمهمله، صوابه من اللسان (364: 7) وكنيات الجرجاني 129 س 14 والبخلاء 180 والمعاني الكبير 210 وصدر البيت فيهما: «شركم حاضر».
- (4) يفهم من ذلك أن البيتين لعمرو بن قميئة. لكنهما في النوادر لأبي زيد 121 من قصيدة منسوبة لسلمي بن ربيعة الضبي، وكذلك في أمالي القالي (81: 1) والحماسة (212: 1)، ونسبت في الأصمعيات ص 18 ليسك إلى علباء بن أريم (صوابه أرقم) كما في الأصمعيات 157 طبع دار المعارف. وأول القصيدة في جميع المصادر:
- حلت تماضر غربة فاحتلت فلجاً وأهلك بالوى فالحلة**
- (5) تقنعت: جعلت الدخان قناعاً لها. وفي النوادر: «تلفعت»، والتلفع: الالتحف بالثوب، أو اللحف أو القناع. وخص العذارى لفرط حيائهن، وشدة انقباضهن فإنما يتولين ذلك العمل ويصبرن على الدخان لما أصابهن من الجهد والجذب- ملت: أي أكبت على النار ولم تنتظر إدراك القدور من شدة الجوع. قال التبريزي في شرح الحماسة: «وغير أبي تمام يرويه: واستبطأت نصب القدور فملت»، فبهذه الرواية تكون «ملت» وضعت الطعام على الملة، وهي الرماد الحار، ليسرع إدراكه.
- (6) درت، من در الضرع: إذا كثر لبنه. ويروى: «دارت» وفي النوادر: «قامت» والعيال: جمع عيل، بفتح العين وكسر الياء المشددة، وهو الفقير. ط: «العباء» هـ، ش: «العباد» صوابهما من النوادر والأصمعيات. ورواية الحماسة والأُمالي: «العفاة» جمع عاف، وهو طالب المعروف. والمغالق: جمع مغلق، بالكسر، وهي قداح الميسر. وفي الأصل: «معالق» بالمهمله، صوابه من المصادر السابقة. والقمع بالتحريك: الأسنة، واحدها قمعة. والعشار: جمع عشار، وهي التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها. والجلة: العظام الكبار، جمع جليل، كصبي وصبية.
- (7) وكذا سبقت هذه النسبة في (264: 1) و(42: 2)، لكن البيت الأول في قصيدة لعمرو بن الأهتم في حماسة ابن الشجري، ونسبت في مجموعة المعاني 190 إلى أخت عمرو ذي الكلب. واسمها جنوب، أوريطه، وقد سبقت ترجمة عمرو في (2: 105). وانظر أشعار الهذليين ص 241، فيكون الجاحظ أراد بالهذلي شاعراً أو شاعرة من هذيل. والبيتان كذلك في قصيدة منسوبة إلى هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قالها يوم أحد. وهي من شعر المشركين. وقد رد عليه حسان بن ثابت وكعب بن مالك بشعر آخر. انظر سيرة ابن هشام 611-616 جوتنجن.

وليلة يصطلي بالفَرث جازرها
لا ينبح الكلب فيها غيرَ واحدة
وفي الجمد والبرد والأزمات⁽³⁾ يقول الكميّ:
وفي السنة الجمادِ يكون غيثاً
ورُوحَت اللَّقَاحُ مُبْهَلَاتٍ
وكان السَّوف للفتيان قوتاً
وفي هذه القصيدة يقول في شدة الحر:
وخرقَ تعزف الجِئانُ فيه
لأفئدة الكُماة لها وَجِبٌ⁽⁷⁾
قطعتُ ظلامَ ليلته ويوماً
يكاد حَصَى الإكام به يذوب⁽⁸⁾
وقال آخر لمعشوقته:

وأنت التي كلفتني البرد شاتياً
وأوردتني فأنظري أيَّ موردٍ⁽⁹⁾
فما ظنك ببرد يؤدّي هذا العاشقَ إلى أن يجعل شدّته عذراً له في تركه الإلمام بها.
وذلك قوله في هذه القصيدة⁽¹⁰⁾:

- (1) الفرث: سرقين الكرش. انظر درة الغواص 101، يريد أن الجازر لشدة البرد يدخل يده في الكرش ليدفأ. انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (2: 300). والنقرى، بالتحريك: الدعوة الخاصة. والجفلى، بالتحريك أيضاً: الدعوة العامة. هـ، ش: «بالنفر» محرف. هـ: «المثريز» تحريف.
- (2) إنما يخرس الكلب إفراط البرد وإلحاح المطر. والشتاء، هو في الأصل: «العشاء» وتصحيحه من الجزء الأول. والرواية في الثاني: «من الصقيع». والصقيع: ما ينزل من السماء بالليل، شبيه بالثلج، وفي مجموعة المعاني: «حتى الصباح».
- (3) الجمد، بالتحريك: الثلج. والأزمات: جمع أزمة. وفي الأصل: «الأزمان» وهو تحريف سبق إصلاح نظيره في (4: 284 س4).
- (4) سنة جماد، بالفتح: لا مطر فيها. والغضوب: الناقة العبوس.
- (5) روجت: روحها رعبانها وقت الرواح. وفي الأصل: «زوجت». والمبهلات: التي أبهلت، أي أهملت وتركت. ومثلها «المعبهلات». والربع، بضم ففتح: الفصل ينتج وقت الربيع. والسلوب: الناقة فقدت ولدها.
- (6) السوف، بفتح السين: من قولهم: «فلان يقتات السوف: أي يعيش بالأمان». انظر اللسان (11: 65 س23-24). وفي الأصل: «السرف» بالراء، صوابه في الأزمنة والأمكنة (2: 299) وروايته: «وكان السوف للفتيات فوقاً» وفيها تحريف. «تعيش» هي في الأصل: «يعيش» تصحيحه من المصدر السابق. وفي الأزمنة أيضاً: «وهنيت الرقوب». والرقوب، بفتح الراء: هي التي لا تدنو إلى الحوض من الزحام، وذلك لكرمها.
- (7) الخرق، بالفتح: الفلاة الواسعة تنخرق فيها الريح. والجنان: الجن، واحده جان كحائط وحيطان. وعزيفها: تصويتها. والوجيب: الخفقان والاضطراب.
- (8) أراد باليوم هنا ما بين طلوع الشمس إلى غروبها. وقد يراد باليوم الوقت مطلقاً ولا يختص بالنهار دون الليل.
- (9) في اللسان (برك) ومعجم ما استعجم: «كلفتني البرك» بكسر الباء.
- (10) في الأصل: «وترك هذه القصيدة قوله».

فياحسنها إذ لم أُعْجَ أن يقال لي تروّح فشئعنا إلى ضحوة الغد⁽¹⁾
فأصبحتُ مما كان بيني وبينها سوى ذكرها كالقابض الماء باليد

ومما يقع في الباب قبل هذا⁽²⁾، ولم نجد له باباً قول مسكين الدارمي⁽³⁾:

وإني لا أقومُ على قناتي⁽⁴⁾ أسبُ الناس كالكلب العقور
وإني لا أحلُّ ببطن واد ولا آوي إلى البيت القصير⁽⁵⁾
وإني لا أحاوصُ عقْدَ ناد ولا أدعو دُعائي بالصفير⁽⁶⁾
ولستُ بقائل للعبدِ أوقد إذا أوقدت بالعودِ الصغير

ولو تأملتُ دخان أثون واحد، من ابتدائه إلى انقضائه، لرأيت فيه الأسود الفاحم، والأبيض الناصع.

والسواد والبياض، هما الغاية في المضادة، وذلك على قدر البخار والرطوبات، وفيما بينهما ضرور من الألوان.

وكذلك الرماد، منه الأسود، ومنه الأبيض، ومنه الأصهب، ومنه الخَصِيف⁽⁷⁾. وذلك كله على قدر اختلاف حالات المحترق وجواهره. فهذا بعض ما قالوا في البرد.

(1) يقال: أي تقول هي أو صواباتها. يعجب مما أضاء عليها الحسن في ذلك الحين. عاج بالمكان يعوج: أقام، أو عطف عليه ومال، أو ألم به.

(2) ش: «الباب الذي قبل هذا».

(3) مسكين، لقب غلب عليه. واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف، ينتهي نسبه إلى تميم. وكان شاعراً سيّداً، هاجى الفرزدق وكان أسود اللون قليل المال، خطب فتاة من قومه فكرهته، وتزوجت من بعده من قومه ذا يسار، ولكنه مهزول النسب، فمر بها يوماً فأنشد:

أنا مسكين لمن يعرفني لوني السمرة ألوان العرب

وقد تحدث كثيراً عن لقبه هذا في شعره. وفي الأغاني (18: 68-72) ست إشارات إلى هذا المعنى.

(4) المراد بالقناة هنا، العصا. وفي اللسان: «كل عصا مستوية فهي قناة، وقيل كل عصا مستوية أو معوجة». وكانوا يعتمدون عليها في الخطب والمساجلات. وقد عقد لها الجاحظ باباً مسهباً في البيان (3: 2-90).

(5) كان العرب يحلون التلاع وأشراف الأرض، لبراهم الضيف.

(6) يقال: هو يحاوص فلاناً أي ينظر إليه بمؤخر عينيه ويخفي ذلك. ط، هـ: «لا أخاوص» ش: «لأحاوص» صوابهما ما أثبت. والنادي: مجلس القوم حيث يجتمعون. وعني بالعقد هنا جماعتهم. وقد تكون: «عقر». والعقر، بالضم: محلة القوم بين الدار والحوض. والصفير: التصويت بالفم والشفيتين، وهو أخفى للصوت.

(7) الصهبة: أصلها في الشعر أن تعلوه حمرة وأصوله سود. وأما «الخصيف» فهو ما فيه سواد وبياض. انظر اللسان (خفف 340)، وفي هـ: «الحصف» وسائر النسخ: «الحصيف»، محرفتان.

(بعض ما قالوا في صفة الحر)

وسنذكر بعض ما قالوا في صفة الحر. قال مضر⁽¹⁾ بن زُرارة بن لقيط:

ويوم من الشعرى كأنّ ظباءه
تدلّت عليها الشمس حتى كأنه
سجوداً لدى الأُرتى كأن رءوسها
وقال القطامي:

فهن معترضات والحصى رمض
حتى وردن ركيات الغوير وقد
والريح ساكنة والظل معتدل⁽⁵⁾
كاد الملاء من الكتان يشتعل⁽⁶⁾
وقال الشماخ بن ضرار:

(1) مضر، كمحدث، آخره سين. وقد سبقت ترجمته في (3: 245). وفي الأصل: «مضر» تحريف. والبيت الأول والثاني في النقائض 161 والأزمة والأمكنة للمرزوقي (2: 161) مع تركيب صدر البيت الثاني على عجز البيت الثالث. والبيت الثاني في اللسان (7: 103)، والثاني والثالث في الألفاظ لابن السكيت 552.

(2) الشعرى: نجم يطلع في شدة الحر. ورسمت بالألف في الأصل وفي النقائض والأزمة والأمكنة، كواعب: جمع كاعب، وهي الجارية قد نهذ ثديها. وفي الأصل: «كواكب»، صوابه في المصدرين السابقين.
(3) في الأصل: «عليه» صوابه من جميع المصادر السابقة، والضمير للظباء. وأما ضمير: «كأنه» فهو ضمير الشأن. ويروى في الألفاظ واللسان: «كأنها» وفي النقائض والأزمة: «كأنما». والسكينة: السكون. وفي الأصل: «بالسفينية» صوابه من المراجع. والنور: جمع نوار، كسحاب، وهي النفور من الظباء والوحش. قال التبريزي: «يصف ظباء قد دخلت الكنس من شدة الحر، وقد منعها ما تجد من الحر أن تصرف، فقد استبدلت بالنفار السكون».

(4) سجوداً: مائلات الأعناق مطأطئات الرؤوس. ط، ش: «سجود» بالرفع. وفي الألفاظ «سموداً» قال التبريزي: «السمود: التي لا تتحرك. ويقال للمتحرير الدهش الذي لا يدري ما يصنع: سامد». والأرطى: شجر تتخذ الظباء في أصوله كنسها. فوال: جمع فالية التي تغلي الرأس. ط، ش: «قوار» ه: «قوال» وأثبت صوابه من المصادر السابقة. يصورها: يميلها. وهي رواية الأصل والنقائض والأزمة. ورواية الألفاظ فقط: «تصورها». ولكل وجه شبه رءوسها حين دلته برءوس قد أخذها الصداغ أو برءوس قد أخذتها الفوالي.

(5) هن: يعني النوق. معترضات: يسرن عرضاً من المرح. رمض: من الرمضاء، أي حار. معتدل: أي حين استوى نصف النهار. وعن أنها تحافظ على نشاطها في مثل هذا الوقت العصيب الذي يخمد فيه كل نشاط.

(6) بين هذا البيت وسابقه أربعة أبيات أخرى في الديوان ص 4، الركيات: جمع ركية، وهي البئر والغوير: موضع. ورواية الديوان: «الغوير» لكن في شرحه: «الغوير بلد». والملاء: جمع ملاءة. ط، ه: «اللاء» صوابه في س، والديوان. والكتان: نبت معروف. وفي شرح الديوان: «يعني بالكتان هاهنا القطن. والكتان يشتعل من شدة الحر». وليس بشيء. ونظير هذا المعنى قول القلاخ في مجموعة المعاني 133 وأراجيز العرب 121:

وبلد أغبر مخشى العطب
لو قذف الكتان فيه لالتهب
يضحي به موج السراب يضطرب
قطعت أحشاه بسير منجذب

- كَأَن قُتُودِي فَوْق جَأْبٍ مَطَرْدٍ مِنْ الْحُقْبِ لَاحِتُهُ الْجَدَادُ الْغَوَارُزُ⁽¹⁾
 طَوَى ظَمَاهَا فِي بَيْضَةِ الْقَيْظِ بَعْدَمَا جَرَتْ فِي عِنَانِ الشَّعْرِيِّينَ الْأَمَاعِزُ⁽²⁾
 وَظَلَّتْ بِيَمْنُودٍ كَأَن عَيُونَهَا إِلَى الشَّمْسِ هَلْ تَدْنُو، رَكِّي نَوَاكِزُ⁽³⁾
 ولهذه الأبيات كان الحطيئة والفرزدق يقدمان الشماخ بغاية التقديس . وقال الراعي :
 وَنَارٌ وَدِيقَةٌ فِي يَوْمِ هَيْجٍ مِنْ الشَّعْرِيِّ نَصَبْتُ لَهَا الْجَبِينَا⁽⁴⁾
 إِذَا مَعَزَاءٌ هَاجِرَةٌ أَرْنَتْ جَنَادِبُهَا وَكَانَ الْعَيْسُ جُونَا⁽⁵⁾
 وقال مسكين الدارمي⁽⁶⁾ :
 وَهَاجِرَةٌ ظَلَّتْ كَأَن ظَبَاءَهَا إِذَا مَا اتَّقَتْهَا بِالْقُرُونِ سَجُودُ⁽⁷⁾
 تَلَوْدٌ لَشَوْبُوبٍ مِنَ الشَّمْسِ فَوْقَهَا كَمَا لَأَذٌ مِنْ حَرِّ السَّنَانِ طَرِيدُ⁽⁸⁾
 وقال جرير⁽⁹⁾ :

- (1) الجأب : الحمار الغليظ . مطرد : تطارده الحمر . والحقب : جمع أحقب ، وهو الذي في بطنه بياض . لاحتته : ضميرته . الجداد : جمع جدود ، بالفتح ، وهي الأتان القليلة اللبن من غير عيب . والغوارز : جمع غارز وهي القليلة اللبن . أراد أن ضرابه لتلك الأثن ضميره وهزله . هـ ، ش : «من الخف» و«الحجار» . هـ فقط : «الفوارز» وهو تصحيف صوابه في الديوان 43 .
 (2) الظمء ، بالكسر : ما بين الشربتين . وبيضة القيظ : شدة حره . والشعريان : نجمان ، وهما الشعري العبور ، والشعري الغميصاء . وإنما تطلع الشعري في شدة الحر . والأماعز : جمع أمعز ، وهي الأرض الحزنة الغليظة ، يقول : طوى هذا الحمار ظمء أنه ، فلم يوردها لأخذه في العدو ، وقد جرت الأماعز ، أي اضطرب سرايها ، في ذلك الوقت من القيظ . وقد أورد المبرد هذا البيت في الكامل 450 ليبسك ، مستشهداً به على تورع الأصمعي عن تفسيره ، لأن فيه شيئاً يتعلق بالأنواء .
 (3) يَمْنُود : موضع . هل تدنو : أي تقرب من الغروب . وذلك أن العير إنما يوردها عند الغروب . انظر المفضليات 182 س 2 طبع المعارف . والركى ، بضم الراء وفتحها : جمع ركية ، وهي البئر . والنواكز : جمع ناكز ، وهي التي قل ماؤها أو ذهب . ش ، هـ : «رعى» ، صوابه في ط والديوان .
 (4) الوديقة : حر نصف النهار أشد ما يكون . ويوم هيج : أي يوم ريح . نصب جبينه : رفعه ولم يبال الحر . وضمير : «لها» عائد إلى النار . وهي كذلك رواية المرزوقي في الأزمئة والأمكنة (1: 287) ، وفي اللسان (هيج) : «له» ، يعود الضمير إلى «يوم» .
 (5) المعزاء كالأمعز : الأرض الحزنة الغليظة . والهجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . أرنت الجنادب : صوتت . وفي الأصل : «أرنت» . ولا وجه له ، وقد سبق مثل هذا التحريف في (4: 298) . ورواية ش : «جنادبه» . والجنذب : ضرب من الجراد : (Grasshopper) ، وهو إذا رمض في شدة الحر لم يقر على الأرض وطار فتسمع لرجليه صريراً . وانظر (3: 213 ، 4: 61) .
 (6) سبقت ترجمته ص 52 ، والبيتان في مجموعة المعاني 190 .
 (7) ط : «صليت» ش ، هـ : «صلت» وصوابه في مجموعة المعاني ، أي أن الظباء حين تقي حر الهاجة بقرونها تحكي فعل الساجد .
 (8) تلود : أي تلجأ ، أراد تلجأ إلى الظلال ، لما أصابها من شآبيب الشمس . وأصل الشآبيب للمطر ، وهي الدفعات منه . وفي مجموعة المعاني : «بشؤبوب» وتصح بجعل الباء للسببية .
 (9) من قصيدة له في ديوانه 460-465 والنقائض 158-167 يهجو بها البعث والفرزدق ، أولها :

عوجي علينا وأربعي ربة البغل ولا تقتليني لا يحل لكم قتلي

وهاجد مَوماةٍ بعثتُ إلى السُرى
يكون نزولُ الركب فيها كلاً ولا
ليوم أنت دون الظلال سَمُومُه
وفيها يقول جرير:

تمنّى رجال من تميم لي الرّدي وما ذاد عن أحسابهم ذائداً مثلي⁽⁴⁾

(احتجاج النظام للكمون)

وقال أبو إسحاق: أخطأ من زعم أن النار تصعد في أول العود، وتنحدر، وتغوص فيه، وتظهر عليه، وتأخذ منه عَرَضاً⁽⁵⁾.

وقال: العود، النار في جميعه كامنة، وفيه سائحة، وهي أحد أخلاطه⁽⁶⁾. والجزء الذي يرى⁽⁷⁾ منها في الطرف الأول، غير الجزء الذي في الوسط و[الجزء الذي في الوسط]⁽⁸⁾ غير الجزء الذي في الطرف الآخر. فإذا احتك الطرف فحمى زال مانعه، وظهرت النار التي فيه. وإذا ظهرت حمى لشدة حرها الموضع الذي يليها، وتنحى أيضاً مانعه. وكذلك الذي في الطرف الآخر ولكن الإنسان إذا رأى النار قد اتصلت في العود كله، وظهرت أولاً فأولاً، ظن

(1) الهاجد من الأضداد، يقال للنائم والساهر. وفي الأصل: «هاجر»، صوابه في الديوان ومجموعة المعاني 132، والموماة: المفازة الواسعة الملساء. وجنى النحل: عسلها.

(2) كلا، أي مثل لا في القلة، أو سرعة النطق بها، والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفي قالوا: كان فعله كلا. وربما كرروا فقالوا: كلا، ولا. وربما قالوا: كلا وكذا. قال الكميت (اللسان 20: 357):

كلا وكذا تغميضة ثم هجتم لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا
وقال ذو الرمة:

أصاب خصاصة فبدا كليلا كلا وانغل سائره انغلا
وقال الراعي (اللسان 5: 45):

فلبثها الراعي قليلاً كلا ولا بلوذان أو ما حللت بالكرامر
وانظر الشريشي (3: 234). وفي الأصل: «كلاؤها» محرف. والغشاش، بالكسر والفتح: العجلة، وفي الأصل «عشاشاً» محفر.

(3) دون الظلال: أي قريباً منها. والسموم، بالفتح: الريح الحارة. والمها: جمع مهاة، وهي البقرة الوحشية، ورسمت في الأصل بالياء، وأصلها واوي. صوراً: جمع أصور، وهو المائل العنق. ش: «جماعه».

(4) الردى: الهلاك. ورسم في الأصل بالألف، وأصله الياء. والرجال الذين عني هم: الفرزدق، والبعيث، وعمر بن لجأ، وغسان السليطي، والمستنير بن عمرو. انظر النقائص. ذاد: دافع وحامي. ش: «زائد» محرف.

(5) في الأصل: «غرضاً» بالمعجمة.

(6) في الأصل: «أخلاطها».

(7) في الأصل: «الذي لا يرى»، و«لا» مقحمة تفسد الكلام.

(8) هذه الزيادة الضرورية من هـ.

أن الجزء الذي كان في المكان الأول قد سَرَى إلى المكان الثاني، ثم إلى المكان الثالث. فيخبر عن ظاهر ما يرى ولا يعرف حقيقة ما بطن⁽¹⁾ من شأنها.

وقال أبو إسحاق: ولو كانت العيدان كلها لا نار فيها، لم يكن سرعة ظهورها من العراجين، ومن المرخ والعفار⁽²⁾، أحقّ منها بعود العُتَاب⁽³⁾ والبردي⁽⁴⁾ وما أشبه ذلك. لكنها [لما⁽⁵⁾] كانت في بعض العيدان أكثر، وكان مانعها أضعف، كان⁽⁶⁾ ظهورها أسرع، وأجزاؤها إذا ظهرت أعظم. وكذلك ما كَمَنَ منها في الحجارة. ولو كانت أجناس الحجارة مستوية في الاستسرار⁽⁷⁾ فيها، لما كان حجرُ المرو أحقّ بالقَدْح إذا صُكَّ بالقَدَاحَةِ، من غيره من الحجارة، ولو طال مُكُتُهُ في النار، ونُفِخَ عليه بالكير.

ولم صار لبعض العيدان جَمْرٌ باق، ولبعضها جمر سريع الانحلال، وبعضها لا يصير جمراً؟ ولم صار البردي⁽⁸⁾ مع هَشَاشَتِهِ⁽⁹⁾ ويسه ورخاوته، لا تعمل فيه النيران؟ ولذلك إذا وقع الحريق في السُّوق سَلِمَ كل مكان يكون بين أضعاف البردي. ولذلك ترى النار سريعة الانطفاء في أضعاف البردي، ومواضع جميع اللّيف.

وقال أبو إسحاق: فلم اختلفت⁽¹⁰⁾ في ذلك؟ إلا على قدر ما يكون فيها من النار، وعلى قدر قوة الموانع وضعفها.

ولم صارت تقدح على الاحتكاك حتى تلهبت⁽¹¹⁾، كالساج⁽¹²⁾ في السفن⁽¹³⁾ إذا اختلط

(1) ط: «يطن» ش: «يطن» صوابهما في هـ.

(2) المرخ والعفار، بفتح أولهما: شجران يتخذ منهما زناد القدح. والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي، فنقول: «في كل الشجر نار، واستمجد المرخ والعفار».

(3) العناب، كرمان شجر يقارب الزيتون في الارتفاع والتشعب لكنه شائك جداً وورقه مزغب من أحد وجهيه، يثمر العناب الأحمر الحلو. وبه يشبه الشعراء بنان الغيد. وكنت في ريب من صحة هذه الكلمة إلى أن وجدت في تفسير أبي حيان (7: 348 س23): «عن ابن عباس: ليس شجر إلا وفيه نار، إلا العناب».

(4) البردي، بفتح الباء: هو «الحفأ»، تصنع منه الحصر المعروفة في مصر بالأكياب، وفي أصله حلاوة كالقصب، ويصنع القرطاس المصري منه ومن لعاب البشنيين بالطبخ والمد. تذكره داود الأنطاكي. وفيها «الحلفاء» تصحيف، إنما هي «الحفا». انظر اللسان (حفاً) والمخصص (11، 166، 167). وأما الحلفاء فقال داود نفسه: إنه يقوم مقام البردي في عمل الحصر والأحبال.

(5) ليست بالأصل.

(6) في الأصل: «وكان»، والوجه حذف الواو.

(7) الاستسرار، بمعنى الكمون، وفي الأصل، «الإسرار».

(8) ط: «البري» صوابه في ش، هـ.

(9) الهشاشة: الرخاوة والضعف. وفي الأصل: «مشاشته» بالميم، محرف.

(10) في الأصل: «اختلف».

(11) في هـ: «تلهب».

(12) الساج: شجر يعظم جداً ويذهب طولاً وعرضاً، وله ورق أمثال التراس الديلمية يتغطى الرجل بورقة منه فتكنه من المطر، وله رائحة طيبة، وهو من أشجار الهند.

(13) السفن: جمع سفينة. وهي في الأصل: «السفر» بالراء.

بعضه ببعض عند تحريك الأمواج لها؟ ولذلك أعدوا لها الرجال لتَصَبَّ من الماء صَبًّا دائماً. وتدوم الرياح فتحتك عيدان الأغصان في الغياض، فتلتهب نار⁽¹⁾ فتحدث نيران.

ولم صار العود يحمى إذا احتك بغيره؟ ولم صار الطلق⁽²⁾ لا يحمى؟ فإن قلت لطبيعة هناك، فهل دلتموننا إلا على اسم علقتموه على غير معنى وجدتموه؟ أولسنا قد وجدنا⁽³⁾ عيون ماء حارة⁽⁴⁾ وعيون ماء بارد، بعضها يبرص⁽⁵⁾ ويُنْفَط⁽⁶⁾ الجلد، وبعضها يُجمدُ الدم ويورث الكُزَّاز⁽⁷⁾؟ أولسنا [قد⁽⁸⁾] وجدنا [عيون ريح، و⁽⁹⁾] عيون نار؟⁽¹⁰⁾ فلم زعمتم أن الرياح والماء كانا مختنقين⁽¹¹⁾ في بطون الأرض، [و⁽¹²⁾] لم تجوزوا لنا مثل ذلك في النار؟ وهل بين اختناق⁽¹³⁾ الرياح والماء فرق؟ وهل الرياح إلا هواء تحرَّك؟ وهل بين المختنق والكامن فرق؟ وزعم أبو إسحاق: أنه رمى بردائه في بئر النبي ﷺ التي من طريق مكة⁽¹⁴⁾، فردته الرياح عليه.

- (1) ش: «ناراً» بالنصب.
- (2) الطلق، بالتحريك: حجر يتشظى إذا دق، صفائح بيضاً رقاقا لها بصيص وبريق يتخذ منه مضاي للحمامات بدلاً من الزجاج. ويقال: «طلق» بالفتح، أو هو لحن. وهو بالفارسية: «تلك» أو «تلك» وبالأوربية العلمية Talc أو Talcum متعادل مركب من (سليكات المغنيسيوم)، ومسحوقه تظلى به البشرة فيحفظها.
- (3) ش: «أو لسنا نجد».
- (4) ط، هـ: «عيون ريح وعيون ماء حارة» وهو اضطراب. وفي هـ بعده: «وعيون نار» وذلك بإسقاط الكلام من «ماء بارد» إلى كلمة «نار» التالية.
- (5) يبرص: يصيب بالبرص، أبرصه: جعله أبرص. ولا يزال مثل هذا الزعم فاشياً بين العوام عندنا في مصر: أن من استعمل الماء المحمي بحرارة الشمس يصاب بالبرص. وفي الأصل: «البيض». ولا وجه له.
- (6) أنفطه: أصابه بالنفطة، وهي في أصلها بثرة تخرج في اليد من العمل ملأى ماء. ط: «ينطف» وأثبت ما في ش، إذ أن النطف أمر معنوي، وهو أن يلطخه بعبع ويقذفه به. وفي عجائب المخلوقات 168 عند ذكر (عيون دوارق): «ومن طفر فيها يحترق جميع بدنه ويتنفط».
- (7) في الحديث: «أن رجلاً اغتسل فكَزَ فمات». الكزاز، بالضم: داء يأخذ من شدة البرد، وهو تشنج يصيب الإنسان.
- (8) هذه الزيادة من ش.
- (9) هذه الزيادة من ش. وعيون الرياح هذه ناشئة من احتباس بعض الأبخرة الناجمة عن تحلل مواد عضوية في باطن الأرض فتتجمع حتى إذا ضاق بها المكان اندفعت وشقت طريقاً لها إلى ظاهر الأرض، وقد بدت هذه الظاهرة الطبيعية في أيامنا هذه في بلدة «ميت الشيوخ» من أعمال فارسكور، انظر الصحف المصرية الصادرة في القاهرة من 26 رجب إلى 26 شعبان سنة 1361.
- (10) عيون النار، هي ما يسمونها: «البراكين». والبركان عامية مأخوذة من: Volcano، وانظر الاستدراكات.
- (11) ط: «مختفين»، ووجه ما أثبت من ش، هـ.
- (12) ليست في الأصل.
- (13) ط: «اختلاف»، تحريف.
- (14) جاء في شفاء الغرام للفاسي (مجموعة تواريخ مكة ص 122 طبع ليبسك 1861): «ومنها بئر يقال لها: بئر النبي. والناس يستشفون بمائها. ولعلها - والله أعلم - السنبلة، بئر خلف بن وهب الجمحي التي ذكرها الأزرقى وقال: يقال إن النبي ﷺ بصق فيها، وأن ماءها جيد من الصداع». وانظر أخبار مكة للأزرقى (2: 177). ومن الآبار التي روى أن النبي بصق فيها: «بئر بضاعة» بضم الباء، و«بئر غرس». وكلاهما بالمدينة. انظر معجم البلدان في رسمي (بضاعة، غرس) وكذلك عجائب المخلوقات (في الفصل الذي عقده للآبار).

وحدّثني رجل من بني هاشم قال: كنت برامة⁽¹⁾، من طريق مكة فرميت في بئرها ببعرة⁽²⁾ فرجعت إليّ، ثم أعدتها فرجعت، فرميت بحصاة فسمعت لها حريقاً⁽³⁾ وخفيفاً⁽⁴⁾ شديداً وشبيهاً بالجولان، إلى أن بلغت قرار الماء.

وزعم أبو إسحاق أنه رأى عين نار في بعض الجبال، يكون دخانها نهاراً وليلاً، أو ليس الأصل الذي بُني⁽⁵⁾ عليه أمرهم: أن جميع الأبدان من الأخلاط الأربعة: من النار، والماء، والأرض، والهواء؟ فإذا رأينا موضعاً من الأرض يخرج منه ماء قلنا: هذا أحد⁽⁶⁾ الأركان؛ فما بالنا إذا رأينا موضعاً من الأرض يخرج منه نار لم نقل مثل ذلك فيه؟

ولم نقول⁽⁷⁾ في حجر النار إنه متى وُجد أخف من مقدار جسمه من الذهب والرصاص⁽⁸⁾ والزئبق، إنما هو لما خالطه من أجزاء الهواء الزافعة له؟ وإذا وجدناه أغلّك علوكة، وأمتن متانة، وأبعد من التهافت جعلنا ذلك لما خالطه من أجزاء الماء. وإذا وجدناه ينفض⁽⁹⁾ الشرر، ويظهر النار جعلنا ذلك للذي خالطه [من الهواء⁽¹⁰⁾]؟ ولم جعلناه إذا خف عن⁽¹¹⁾ شيء بمقدار جسمه⁽¹²⁾، لما خالطه من أجزاء الهواء، ولا نجعله كذلك لما خالطه من أجزاء النار؟! ولا سيما إذا كانت العين تجده يقدح بالشرر، ولم تجر أجزاء الهواء فيه عندنا عياناً. فلم أنكروا ذلك، وهذه القصة توافق الأصل الذي بنوا عليه أمرهم؟

قال: أو ليس من قوله أنه لولا النيران المتحركة في جوف الأرض: التي منها يكون البخار - الذي بعضه أرضي وبعضه⁽¹³⁾ مائي - لم يرتفع ضباب، ولم يكن صواعق⁽¹⁴⁾ ولا مطر ولا أنداء⁽¹⁵⁾.

(1) رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة، في طريق البصرة إلى مكة.

(2) ش، هـ: «بعر».

(3) الحريق، بفتح الحاء المهملة: مصدر حرق الإنسان وغيره نابه: أي سحقه من الغيظ والغضب. ومثله الصريف، وهو صوت الأنابيب والأبواب. وذلك الصوت الذي سمعته من الحصاة إنما هو لدفع الهواء إياها إلى أعلى ومحاولتها هي النزول. وفي الأصل: «خريقاً» بالخاء المعجمة. وهو تحريف.

(4) الخفيف: صوت الريح في كل ما مرت به، ودوى جرى الطائر والفرس ونحوهما. ش: «خفيفاً»، محرف.

(5) ش: «بيني».

(6) ط: «أحدث»، صوابه في ش، هـ.

(7) في الأصل: «ولم لا تقول». وكلمة «لا» مقحمة.

(8) ط، هـ: «أو».

(9) ينفض الشرر، يطايره، وفي الأصل: «ينفض» بالالف.

(10) ليست بالأصل. وبها يلتزم الكلام.

(11) في الأصل: «من».

(12) أي عن شيء هو في قدر جسمه. وفي الأصل: «لمقدار جسمه» باللام.

(13) في الأصل: «بعضها» في الموضعين. والوجه ما أثبت. والضمير للبخار. والمراد بالبخار الأرضي ما ينجم من الأرض الرطبة، والمائي: ما يصعد من المياه.

(14) صواعق: جمع صاعقة. وفي الأصل: «صداء». وانظر الصفحة التالية.

(15) أنداء: جمع ندى، وهو الماء يتجمع على الزهر ونحوه. وفي الأصل: «نداء».

(الصواعق وما قيل فيها)

ومتى كان البخار حاراً يابساً قَدَحَ وَقَذَفَ بالنار التي تسمى «الصاعقة»، إذا اجتمعت تلك القوى في موضع منه. فإن كانت القوى ريحاً كان لها صوت⁽¹⁾، وإن كانت ناراً كانت لها صواعق. حتى زعم كثير من الناس [أن بعض السيوف من نيران الصواعق⁽²⁾]، وذلك شائع على أفواه الأعراب والشعراء. قال أبو الهول الحميري⁽³⁾:

حاز صَمَصَامَةَ الزُّبَيْدِيِّ من بيـ سيفَ عمرو، وكان فيما سَمِعنا
ن من جميع الأنام موسى الأمين⁽⁴⁾ خير ما أُطِيقَتْ عليه الجُفُونُ⁽⁵⁾
أوقدَتْ فوقه الصواعقُ ناراً ثم ساطتْ به الرُّعافُ المُنُونُ⁽⁶⁾
وقال منهم آخر:

يكفيك من قَلْعِ السماء عقيقةٌ فوق الذَّراع ودون بَوُوعِ البائع⁽⁷⁾
قال الأصمعي: الانعقاد: تشقُّق البرق. ومنه وصف السيوف بالعقيقة. وأنشد⁽⁸⁾:

- (1) يريد به صوت الرعد.
- (2) هذه التكملة من حواشي ثمار القلوب 499، وقد صرع البيروني في الجماهر 246 بأن أهل الغزوة وطبرستان ينسبون ما يجدونه في باطن الأرض من المزاريق والحرايب النحاسية «إلى النزول من السماء بالصواعق».
- (3) تقدمت ترجمته في (1: 187) وله مدائح في المهدي والهادي والرشد الأمين. والأبيات التالية في ثمار القلوب 498 ومروج الذهب (2: 262) وإعجاز القرآن 190 وابن خلكان (2: 204-205) والشرطي (2: 402) قال الثعالبي: «وذكر أبو هفان أن صاحب هذه القصيدة (ابن) يامين البصري». وقد اعتمد هذه النسبة ابن خلكان.
- (4) الصمصامة: سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وكان حسن الاستعمال له في الجاهلية كثير العناية به في الإسلام، وقد وهبها عمرو لسعيد بن العاص عامل رسول الله على اليمن، فلم يزل في آل سعيد إلى أيام هشام ابن عبد الملك، فاشتره خالد القسري بمال خطير، وأنفذه إلى هشام، وكان قد كتب إليه فيه. فلم يزل عند بني مروان حتى زال الأمر عنهم، ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي فلم يجدوه. وجد الهادي في طلبه حتى ظفر به، فجرده ودعا بمكتل من دنابير وقال لحاجبه: ائذن لمن بالباب من الشعراء. فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه، فقالوا وأطالوا ولم يأتوا بطائل، فقام أبو الهول وأنشد قصيدته، فقال الهادي: السيوف لك والمكتل! فأخذهما. وفي مروج الذهب أن الهادي اشتراه بعد ذلك بخمسين ألفاً. وموسى هو الخليفة الهادي بن المهدي. توفي سنة 170 وله خمس وعشرون سنة.
- (5) جمع جفن، وهو قراب السيوف. ورواية ابن خلكان والثعالبي: «أغمدت».
- (6) السوط: الخلط. والزعاف: السم السريع القتل. ورواية ابن خلكان: «شابت فيه الزعاف القيون».
- (7) القلع، بالتحريك: جمع قلعة بفتحيتين، وهي السحابة الضخمة. وأراد بالعقيقة السيوف. فوق الذراع: أي طوله فوق الذراع. وباع يبيع بوعاً: بسط باعه. والباع: قدر مد اليدين وما بينهما من البدن. والبائع: من يبسط باعه. وفي الأصل «الباع» تحريف، لأن بعده كما في الجماهر 250 وقد أنشده صاحب اللسان في (7: 394):

- صافي الحديد قد أضر بجسمه طول الدياس وبطن طير جائع
(8) القائل هو عنترة العبسي من قصيدة له في ديوانه 108-110 يهجو بها عمارة بن زياد العبسي.

وسيفي كالعقيقة وهو كَمْعِي^(١)

وقال الأخطل:

وَأَرْقَنِي مِنْ بَعْدِ مَا نِمْتُ نَوْمَةً وَعَضْبُ إِبَاطِي كَالْعَقِيقِ يَمَانِي^(٢)

ونذكر بَعَوْنِ اللَّهِ وتأييده جُمْلَةً مِنَ الْقَوْلِ فِي الْمَاءِ

ثُمَّ نَصِيرُ إِلَى ذِكْرِ مَا ابْتَدَأْنَا بِهِ، مِنَ الْقَوْلِ فِي النَّارِ

ذكروا أن الماء لا يغذو، وإنما هو مَرَكَبٌ ومَغْبَرٌ ومَوْصِلٌ للغذاء. واستدلوا لذلك بأن كل رقيق سَيَالٍ فإنك متى طَبَخْتَهُ انعقدَ، إلا الماء. وقالوا في القياس: إنه لا ينعقد في الجوف عند طبخ الكبد له، فإذا لم ينعقد لم يجيء منه لحمٌ ولا عظم. ولأننا لم نر إنساناً قَطُّ اغتذاه^(٣) وثبت عليه روحه وإن السمك الذي يموت عند فقده^(٤) لَيَغْذُوهُ سواء مما يكون فيه دونه.

قال خصمهم: إنما صار الماء لا ينعقد؛ لأنه ليس فيه قُوَى مستفادة مأخوذة من قُوَى الجواهر. والماء هو الجوهرُ القابلُ لجميع القُوَى. فبضرب من القُوَى والقبول يصير دهنًا، وبضرب آخر يصير خلًا، وبضرب آخر يصير دمًا، وبضرب آخر يصير لبنًا. وهذه الأمور كلها إنما اختلفت بالقُوَى العارضة فيها. فالجوهرُ المنقلبُ في جميع الأجرام^(٥) السَّيَّالَة، إنما هو الماء. فيصير عند ضرب من القبول دهنًا، وعند ضرب من القبول لبنًا.

وعصير كل شيء ماؤه والقابلُ لِقُوَى ما فيه. فإذا طَبَخْتَ الماء صِرْفًا، سالمًا على وجهه، ولا قُوَى فيه، لم ينعقد وانحلَّ بخارًا حتى يتفانى؛ وإنما ينعقد الكامن^(٦) من الملابس^(٧) له. فإذا صار الماء في البدن وحده^(٨) لم يكن فيه قُوَى لم ينعقد. وانعقاده إنما هو انعقاد ما فيه. والماء لا يخلو من بعض القبول ولكنَّ البعض لا ينعقد ما لم يكثر.

(١) الكمع، بالكسر: أصل معناه الضجيع، وأراد به الملازم. وتمازى البيت:

سَلاحِي لَا أَقْلَ وَلَا فُطَارَا

الأقل: المثلم. والبطار، بالضم: الذي فيه صدوع وشقوق. والبيت في اللسان (عق، كمع، فطل، فطر).

(٢) العضب: السيف القاطع. إباطي: أي تحت إبطي. ونحوه قول المتنخل الهذلي (اللسان 9: 121، 11: 29):

شربت بجمه وصدرت عنه وأبيض صارم ذكر إباطي

والعقيق ههنا: البرق. ولم تذكر المعاجم في هذه المادة بهذا المعنى إلا «العقيقة»، و«العق» بضم بفتح. ورواية الديوان 234: «وعضب جلت عنه القيون يمانى».

(٣) اغتذاه: أراد جعله غذاء له. والمعروف في هذا الفعل اللزوم. وأثبت ما في ش، ه وفي ط: «اغتذا» بإسقاط الهاء.

(٤) أي فقد الماء. وفيه، أي في الماء أيضاً.

(٥) الأجرام: الأجسام. ط، ه: «الأقسام» ش: «الأجزاء»، والوجه ما أثبت.

(٦) ط: «الكائن»، صوابه من ش، ه.

(٧) في الأصل: «الملابس» من اللمس. والوجه «الملابس» أي المخالط.

(٨) ليست في الأصل.

(استحالة الهواء إلى الماء وعكسه)

وزعم أصحاب الأعراض⁽¹⁾ أن الهواء سريع الاستحالة إلى الماء، وكذلك الماء إلى الهواء، للمناسبة التي بينهما من الرطوبة [و⁽²⁾] الرقة. وإنما هما غير سيّارين. ويدل على ذلك انجذاب الهواء للماء وملاسته له، عند مَصِّ الإنسان بفيه⁽³⁾ فم الشَّرَابَةِ⁽⁴⁾. ولذلك سَرَى الماء وجرى في جوف قَصَبِ الخيزُرَانِ، إذا وضعت طرفه في الماء.

وكذلك الهواء، فيه ظلام الليل وضياء النهار وما كان فيه من الأشباح. والحدقة⁽⁵⁾ لا ترى من الضياء العارض في الهواء ما تباعد منها.

(ألوان الماء)

والماء يرقّ فيكون له لون⁽⁶⁾، [و⁽⁷⁾] يكون عمقه مقداراً عدلاً⁽⁸⁾ فيكون له لون، فإن بعد غَوْرُهُ وأفرط عمقه رأته أسود.

وكذلك يحكون عن الدُّرْدُور⁽⁹⁾.

ويزعمون أن عين حوارا⁽¹⁰⁾ ترمى بمثل الزوج.

فتجد الماء جنساً واحداً، ثم تجد ذلك الجنس أبيض إذا قلَّ عمقه، وأخضر إذا كان وسطاً، وأسود إذا بعد غَوْرُهُ.

(1) سبق الحديث عنهم في التنبيه الثامن ص 3.

(2) هذه من ش.

(3) في الأصل: «عند مس الإنسان إليه»، وانظر التنبيه التالي.

(4) الشَّرَابَةِ، هي في مفاتيح العلوم 144: «السحارة»، قال: «هي التي تسميها العامة سارقة الماء، أعني الأنبوبة المعطوفة المعمولة من زجاج أو غيره، فيوضع أحد رأسيهما في الماء أو غيره من الرطوبات المائية، ويمص الرأس الآخر إلى أن يصل الماء إليه وينصب منه، فلا يزال يسيل إلى أن ينكشف رأسه الذي في الماء».

(5) الحدقة، محرّكة: سواد العين. وفي الأصل: «الحدقة» بالذال.

(6) في الأصل: «وهن»، وهو تحريف لا يلائم السياق.

(7) ليست بالأصل.

(8) أراد بالعدل ههنا الوسط. ط: «مقدار أعدل» صوابه في ش، هـ.

(9) الدردور، بضم الدالين بينهما راء ساكنة: موضع في وسط البحر يجيش ماؤه، لا تكاد تسلم منه السفينة، وهو في اللغة الفارسية بهذا اللفظ والمعنى. استينجاس 511، وهو الذي تدعوه العامة: «الدوامة»: Whirlpool، وانظر عجائب المخلوقات 107 عند الحديث في (بحر الصين) وما فيه من الدردور.

(10) لم أجد ذكراً لهذه العين فيما لدي من المراجع، ولم أهتم إلى تحقيقها.

(تحقيق في لون الماء)

ويختلف منظره على قدر اختلاف إنائه وأرضه، وما يقابله . فدلّ ذلك على أنه ليس بذّي لون، وإنما يعتريه في التخييل ولون ما يقابله ويحيط به . ولعلّ هذه الأمور إذا تقابلت أن تصنع في العين أموراً، فيظنّ الإنسان مع قُرب المجاورة والالتباس، أن هذه الألوان المختلفة إنما هي لهذا الماء الرائق الخالص، الذي لم ينقلب في نفسه، ولا عَرَضَ له ما يقلبه . وكيف يعرض^(١) له ويقلبه وعين كل واحد منهما غير عين صاحبه؟ وهو يرى الماء أسودَ كالبحر، متى أخذ منه أحدٌ عُرفه رآه كهيئته إذا رآه قليل العمق .

(تشابه الماء والهواء)

ويتشابهان^(٢) أيضاً لسُرعة قبولهما للحر والبرد، والطّيب والتّثّن؛ والفساد والصّلاح .

(حجة للنظام في الكمون)

قال أبو إسحاق: قال الله عزّ وجلّ [عند^(٣)] ذكر إنعامه على عباده وامتنانه على خلقه، فذكر ما أعانهم به من الماعون^(٤): ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنَّكُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنِشُونَ﴾ [الواقعة: 71-72]، وكيف قال «شَجَرَتَهَا»، وليس في تلك الشجرة شيء . وجوفها وجوف الطّلق^(٥) في ذلك سواء . وقدرة الله على أن يخلق النار عند مسّ الطّلق، كقدرته على أن يخلقها عند حكّ العود وهو، تعالى وعز، لم يُرد في هذا الموضوع إلا التعجيب^(٦) من اجتماع النار والماء .

وهل بين قولكم في ذلك وبين من زعم أن البذر^(٧) الجيّد والرديّ والماء العذب والملح، والسّبّخة^(٨) والخبرة^(٩) الرّخوة، والزمان المخالف والموافق، سواء، وليس بينهما^(١٠)

(١) في الأصل: «يعترض» .

(٢) ط، ش: «يتشابهها» هـ: «وينشأ بها»، ووجهه ما أثبت . والضمير للماء والهواء .

(٣) الزيادة من ش، هـ .

(٤) الماعون: ما يستعان به كالقدر والفأس والدلو والقصعة .

(٥) الطلق، مر تفسيره في التنبيه 2 ص 57 .

(٦) عجيبة تعجباً: نبهه على التعجب وحمله عليه . ط، هـ: «التعجيز» ش: «التعجيز» صوابهما ما أثبت .

(٧) البذر: حب الزرع . وفي الأصل: «البدن» وهو تحريف .

(٨) السبّخة، محرّكة ومسكنة: أرض ذات نز وملح، جمعها سباح . ش: «السبخة» محرف .

(٩) الخبرة بفتح فكسر: شجرا في بطن روضة يبقى فيها الماء إلى القيظ . وفي الأصل: «الحرّة»، وهي يفتح الحاء وتشديد الراء: أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار . والصواب ما أثبت .

(١٠) في الأصل: «بينهما» بضمير الاثنين، والحق أن الضمير عائد إلى الجميع .

من الفرق إلا أن الله شاء أن يخلق عند اجتماع هذه ⁽¹⁾ ﴿حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس: 27-29] دون تلك الأضداد.

ومن قال بذلك وقاسه ⁽²⁾ في جميع ما يلزم من ذلك، قال كقول الجهمية في جميع المقالات، وصار إلى الجهالات، وقال بإنكار الطباع والحقائق.

وقال الله عز وجل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْفِكُونَ﴾ ⁽³⁾. ولو كان الأمر في ذلك على أن يخلقها ⁽⁴⁾ ابتداءً لم يكن بين خلقها عند أخضر الشجر وعند اليابس الهشيم فرق ⁽⁵⁾، ولم يكن لذكر الخضرة الدالة على الرطوبة معنى.

(تعقيب)

وقد ذكرنا جملة من قولهم في النار. وفي ذلك بلاغ لمن أراد معرفة هذا الباب. وهو مقدار قصد، لا طويل ولا قصير.

فأما القول في نار جهنم، وفي شواظها ⁽⁶⁾ ودوامها وتسعُّرها وخبوها ⁽⁷⁾ والقول في خلق السماء من دُخان والجان من نار السموم ⁽⁸⁾، وفي مَفَخَر النار على الطين، وفي احتجاج إبليس بذلك - فإننا سنذكر من ذلك جملة في موضعه، إن شاء الله تعالى.

(ما قيل في حسن النار)

ونحن راجعون في القول في النار إلى مثل ما كنا ابتدأنا به القول في صدر هذا الكلام، حتى نأتي من أصناف النيران على ما يحضرنا، إن شاء الله تعالى.

قالوا: وليس في العالم جسم صِرْف غير ممزوج، ومرسل غير مركب، ومُطلق القوى، غير محصور ولا مقصور ⁽⁹⁾، أحسن من النار.

(1) أي البذر الجيد، والماء العذب، والزمان الموافق.

(2) في الأصل: «وقاده». وانظر مثل ما صححته به في ص 5 س 9.

(3) الآية 80 من سورة يس، وفي الأصل: «هو الذي» بزيادة «هو» وذلك سهو مستنكر من الجاحظ نهت على نظائره في (4: 4، 89، 5: 22) والحمد لله. وفي تفسير أبي حيان (7: 384): أن الأعراب توري النار من الشجر الأخضر وأكثرها من المرخ والعفار، يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين، وهما أخضران بقطر منهما الماء، فيسحق المرخ وهو ذكر، والعفار وهو أنثى، فتتقدح النار بإذن الله.

(4) في الأصل: «يخلقهما» وإنما الضمير للنار.

(5) في الأصل: «عند أخضرار الشجر اليابس الهشيم فرق»، وفيه تحريف ونقص.

(6) شواظ النار: لهبها الذي لا دخان فيه. وسيأتي الحديث عن الشواظ في ص 67، وفي الأصل: «سوادها».

(7) خبوها: سكون لهبها. وفي الكتاب العزيز: ﴿كُلَّمَا جَبَّتْ زَيْتُونُهُم مَّوَدًّا﴾ [الإسراء: 97].

(8) السموم: الريح الحارة، أو نار لا دخان لها، انظر تفسير البحر (5: 453).

(9) مقصور: أي محبوس. وفي الأصل: «مصور» تحريف.

قال: والنار سماوية علوية؛ لأن النار فوق الأرض، والهواء فوق الماء، والنار فوق الهواء.

ويقولون: «شراب كأنه النار»، و«كأن لون وجهها النار». وإذا وصفوا⁽¹⁾ بالذكاء قالوا: «ما هو إلا نار»، وإذا وصفوا حمرة القرمز⁽²⁾ وحمرة الذهب قالوا: «ما هو إلا نار». قال: وقالت هند⁽³⁾: «كنت والله في أيام شبابي أحسن من النار الموقدة⁽⁴⁾!». وأنا أقول: لم يكن بها حاجة إلى ذكر «الموقدة» وكان قولها: «أحسن من النار» يكفيها. وكذلك اتهمت هذه الرواية⁽⁵⁾.

وقال قدامة حكيم المشرق⁽⁶⁾ في وصف الدهن⁽⁷⁾: «شُعاعٌ مَرَكُومٌ⁽⁸⁾ ونَسَمٌ معقود⁽⁹⁾، ونورٌ بضّاص⁽¹⁰⁾. وهو النار الخامدة⁽¹¹⁾، والكبريت الأحمر⁽¹²⁾».

- (1) في الأصل: «وصفوه».
- (2) القرمز، كما في اللسان: «صبغ أرمني أحمر، يقال: إنه من عصارة دود يكون في آجامهم، فارسي معرب». ونحوه في المعرب 271، وقد تكلمت به العرب قديماً كما في المعرب 269 وجمهرة ابن دريد (3: 373)، وقد وصفه داود الأنطاكي وصفاً مشبعاً. وقال: «وأكثر ما يتولد بقبرس»، وكذلك وصفه استينجاس في معجمه 966 بأنه حشرة تتولد على شجر خاص، ولفظه في الفارسية كلفظه في العربية. وفي ط، ه: «العرض» صوابه في ش.
- (3) هي هند بنت الخس، وقد نعتها الجاحظ في البيان (1: 312) نعتاً عجيباً، وتسمى أيضاً «هند الزرقاء». والخبر في ثمار القلوب 460 مسبوqاً بعبارة «وقالت أخرى» وفي محاضرات الراغب (2: 277): «وقالت امرأة».
- (4) عبارة الثعالبي: «كنت في أيام شبابي أحسن من النار الموقدة. وفي المحاضرات: «أنا والله أحسن من النار الموقدة»: وفي أصل الحيوان: «هذا والله وأنا أحسن من النار الموقدة». وقد أصلحت الكلام من النصين السابقين.
- (5) هذه الجملة ساقطة من ش.
- (6) ليس هو قدامة بن جعفر بن قدامة نقد الشعر، ونقد النثر، فذا توفي حوالي سنة 337، وقد يكون الجاحظ أراد «قدامة» جد هذا ولكني لم أجد ما أتحقق به ولم أجد ذكراً له فيما لدي من المراجع، ولم يذكره ابن أبي أصيبعة، وانظر نقد النثر ص 33 من المقدمة. وقد ذكر الجاحظ «قدامة» مرة أخرى في كتاب فخر السودان من مجموعة الرسائل ص 66 ساسي عند الحديث على قبة حصن عمدان. قال: «وفيها يقول قدامة حكيم المشرق - وكان صاحب كيمياء-:

فأوقد فيها ناره ولو أنها أقامت كعمر الدهر لم تتضرم

- (7) الدهن، أي الفكر، ش: «الدهن» محرف. وفي محاضرات الراغب (2: 277) «الذهب» تصحيف.
- (8) مَرَكُومٌ: مجموع.
- (9) النسَم، بالتحريك: نفس الريح إذا كان ضعيفاً. وهو النسيم أيضاً. وفي المحاضرات «نسيم».
- (10) البضّاص: اللماع البراق. بض ييص، بكسر الباء.
- (11) النار الخامدة: التي لا لهب لها. ط، ه: «الجامدة بالميم، ش: «الحامية» صوابهما ما أثبت.
- (12) الكبريت الأحمر، يدخل في عمل الذهب عند أهل الصنعة، انظر الجماهر 103 والمواقف للإيجي 228، ويسمونه: حجر الفلاسفة: **The Philosopher's Stone** كما في معجم استينجاس 1012، وانظر الكلام على «حجر الصنعة» في مفاتيح العلوم 150، أراد أن الدهن يبدع أموراً نفيسة كما يبدع الكبريت هذا الحجر الذهب، فيما يرى الحكماء. وقد ضربه الأدباء مثلاً للندرة فقالوا: أندر من الكبريت الأحمر!». وبه لقب شيخ الصوفية محيي الدين بن عربي.

ومما (1) قال العتّابي (2): «وجمال كل مجلس بأن يكون سَقْفُهُ أَحْمَرُ، وُبُساطُهُ أَحْمَرُ». وقال بشار بن بُرْد:

هَجَانٌ عَلَيْهَا حَمْرَةٌ فِي بَيَاضِهَا تَرُوقُ بِهَا الْعَيْنَيْنِ وَالْحَسَنُ أَحْمَرُ (3)
وقال أعرابي:

هَجَانٌ عَلَيْهَا حَمْرَةٌ فِي بَيَاضِهَا وَلَا لَوْنَ أَدْنَى لِلْهَجَانِ مِنَ الْحُمْرِ
(تعظيم الله شأن النار)

قال: ومما عظم الله به شأن النار أنها تنتقم في الآخرة من جميع أعدائه. وليس يستوجبها بشريٌّ من بشريٍّ، ولا جنِّيٌّ من جنِّيٍّ (4) بضغينة ولا ظلم، ولا جناية ولا عُذْوَان، ولا يستوجب (5) النار إلا بعداوة الله عز وجلّ وحده، وبنا يَشْفِي صدورَ أوليائه من أعدائهم في الآخرة.

(عظم شأن ما أضيف إلى الله)

وكل شيء أضافه الله إلى نفسه فقد عَظَّمَ شأنه، وشَدَّدَ أمره. وقد فَعَلَ ذلك بالنار، فقالوا بأجمعهم: دَعُهُ فِي نَارِ اللَّهِ وَسَقَرِهِ (6)، وفي غضب الله ولعنته، وَسَخَطَ اللَّهُ وَغَضَبَهُ. هما ناره أو الوعيدُ بناره، كما يقال: بَيْتُ اللَّهِ، وَزُورَارِ اللَّهِ (7)، وَسَمَاءُ اللَّهِ، وَعَرْشُ اللَّهِ.

(1) في الأصل: «وربما».

(2) هو كلثوم بن عمرو العتّابي، وقد سبقت ترجمته في (2: 167)، وكان شاعراً ناثراً. وفيه يقول يحيى بن خالد البرمكي لولده، «إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتّابي فضلاً عن رسائله وشعره، فلن تروا أبداً مثله!». الأغاني (4: 12).

(3) الهجان: البياض، يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع. ويفهم من صنيع الجاحظ أنه أورد المثل بمعنى أن الحسن في الحمرة. ونظيره - وإن لم يكنه - تأويل أبي السمع في أمثال الميداني (1: 181). وفي الجماهر البيروني 224: «فخلو البياض عن الحمرة غير مستحسن في أبشار البشر. ولأجله قالوا: الحسن أحمر». واستشهد بهذا البيت، وكذا بقوله:

وإذا دخلت تقنمعي بالحسن إن الحسن أحمر
لكنه فسر أيضاً بمعنى أن من طلب الجمال احتمل المشقة، أو أنه يلقي منه ما يلقي صاحب الحرب من الحرب.

(4) من، في هذا التعبير بمعنى البذل، وفي الكتاب: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة: 38].

(5) ط: «تسوجب» وتقرأ بالبناء للمجهول. وأثبت ما في ش، هو ثمار القلوب 454.

(6) سقر: علم لنار الآخرة. اختلف في عربيته. ش: «وفي سقره» بزيادة «في».

(7) زوار الله: أي زوار بيته، وهم الحجاج. وقد سبق مثل هذه المضافات في (1: 236 و 2: 103).

(المِثَّةُ الأولى بالنار)

ثم ذكرها فامتَنَّ بها على أهل الأرض من وجهين: أحدهما قوله عز وجل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْفِكُونَ﴾ [يس: 80]⁽¹⁾ فَجَعَلَهَا من أعظم الماعون معونة، وأخفها مَوْنَةً.

(استطراد لغوي)

والماعون الأكبر: الماء والنار، ثم الكَلَأُ والملح.

قال الشاعر في الماعون بيتاً جامعاً، أحسن فيه التأييد حيث قال:

لَا تَعْدِلَنَّ أَتَاوِيَيْنَ قَدْ نَزَلُوا وَسَطَ الْفَلَاحَةِ بِأَصْحَابِ الْمُحِلَّاتِ⁽²⁾

والمُحِلَّات هي الأشياء التي إذا كانت مع المسافرين حَلَّوْا حيثُ شاءوا، وهي القِدَاحَة، والقُرْبَة، والمِسْحَة⁽³⁾. فقال: إياك أَنْ تَعْدِلَ، إذا أردت التَّزُولَ، مَنْ مَعَهُ أَصْنَافُ المَاعُونِ بَأَتَاوِيَيْنَ، يعني واحداً أتي مِنْ هَا هُنَا، وآخر أتي مِنْ هَاهُنَا. كأنهم جماعةُ التَّقَوَّا من غير تعريف بنسب ولا بلد.

وإذا تجمعوا أفذاذاً⁽⁴⁾ لم يكمل كل واحدٍ منهم خصال المحِلَّات.

قال أبو النجم⁽⁵⁾:

(1) قد تقدم القول فيها في التنبيه 3 ص 63.

(2) الأتاوي، بفتح الهمزة: الغريب في غير وطنه. وفي الأصل: «بآلات محلات» صوابه في البيان (3: 43) والمخصص (13: 225) واللسان (حلل، أتو) ومحاضرات الراغب (2: 161) وصدر البيت في جميعها: «لا يعدلن أتاويون تضربهم نكباء صر...» ففي هذه قد حذف المفعول: أي لا يعدلن أتاويون (أحداً) بأصحاب المحلات، أي أنهم يعتمدون على أصحاب المحلات ولا يرون أحداً ينفع نفعهم. وقرئت هذه الرواية بالبناء للمفعول: أي ليس هؤلاء كهؤلاء.

(3) في المخصص أنها: «القدر والرحى والدلو والشفرة والفأس»، وفي البيان أنها: «الدلو والمقدحة والقربة والفأس». وفي اللسان أنها: «القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند».

(4) الفذ: الفرد، جمعه أفذاذ وفذوذ.

(5) نسبه في شرح ديوان الحطينة 89 واللسان (9: 41 و 18: 16) إلى حميد الأرقط، وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان معاصراً للحجاج. انظر لترجمته الخزانة (2: 454 بولاق). ولم أجده في الأغاني إلا أنه كان أحد بخلاء العرب الأربعة، وهم: الحطينة، وحميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان الأغاني (2: 44 ساسي).

يَضَعْنَ بِالْفَقْرِ أَتَاوِيَاتٍ⁽¹⁾ مُعْتَرِضَاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتٍ⁽²⁾
وقالت امرأة من الكفار، وهي تحرّض الأوس والخزرج، حين نزل فيهم النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه⁽³⁾:

أَطْعُمْتُمْ أَتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْحِجٍ
ولم تردّ أنهما⁽⁴⁾ أشرف من قريش، ومن الحيتين كعب وعامر. ولكنها أرادت أن
تؤلّب⁽⁵⁾ وتذكّي العصبية⁽⁶⁾.

(اختيار ما تبني عليه المدن)

وقالوا: لا تُبْنَى المدن إلا على الماء والكلأ والمحتطب⁽⁷⁾. فدخلت النار في
المحتطب؛ إذ كان كلُّ عود يوري.

(المنة الثانية بالنار)

وأما الوجه الآخر من الامتنان بها، فكقوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْطٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا
تَنْصِرَانِ﴾ [الرحمن: 35]⁽⁸⁾ ثم قال على صِلَة الكلام: ﴿فَيَأْتِيَا آِلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وليس يريد
أن إحراق الله عز وجلّ العبد بالنار من آلائه ونعمائه. ولكنه رأى⁽⁹⁾ أن الوعيد الصادق إذا
[كان⁽¹⁰⁾] في غاية الزجر عما يُطغيه ويُردّيه⁽¹¹⁾ فهو من النعم السابغة والآلاء العظام. وكذلك

(1) يضعن، من الوضع: وهو ضرب من العدو فوق الخبب. ورواية اللسان: «يصبحن» والأتاويات: الغريبات، أي
غريبات لتقدمهن وسبقهن صواحبهن.

(2) معترضات: أي نشيطات لم يكسلهن السفر. غير عرضيات: أي من غير صعوبة، بل ذلك النشاط من شيمهن.
وفي ط، ش: «غير عرضات». وفي ش: «غيرها عرضيات» صوابهما من اللسان (9: 41 و 16: 18). والبيتان على
هذا الترتيب في الموضع الأول من اللسان، وعلى عكسه في الموضع الثاني.

(3) في اللسان (16: 18): «ومنه قول المرأة التي هجت الأنصار». وهذه المرأة هي عصماء بنت مروان، وهي من بني
أمية بن زيد. وكانت إحدى المنافقات اللاتي ظهرن في عهد الرسول ﷺ، وقال أربعة أبيات تعيب فيها الإسلام
وأهله. والبيت الذي رواه الجاحظ ثانيها. وانظرها بتمامها في السيرة 995 جوتنجن. وقد أجابها حسان بشعر، ثم
سرى عليها عمير بن عدي الخطمي فقتلها في بيتها، وكان مقتلها سبباً في إسلام كثير من أهلها.

(4) أي قبيلتي مراد، ومذحج.

(5) التأليب: التجميع على عداوة، والتحريض. ش، ه: «تولّب» بالتسهيل.

(6) تذكّي العصبية: تشعل نارها، وفي الأصل: «تذكر» ولعل وجهه ما أثبت.

(7) انظر البيان (2: 193 و 3: 33).

(8) النحاس، بالضم: اللهب بلا دخان.

(9) في ثمار القلوب 457: «أراد» وهو أوفق، وإن كان المؤدى واحداً.

(10) هذه من ش، و ثمار القلوب.

(11) يرديه، من الردى وهو الهلاك. وفي الأصل: «يؤذيه» صوابه في ثمار القلوب.

نقول في خلق جهنم: إنها نعمة عظيمة، ومِثَّةٌ جليَّةٌ، إذا كان زاجراً⁽¹⁾ عن نفسه ناهياً، وإلى الجنة داعياً. فأما الوقوع فيها فما يُشْكُ أنه البلاء العظيم.

وكيف تكونُ النقمُ نعماً! ولو كانت النعمة نعمةً لكانت رحمةً، ولكان السَّخَطُ رضا⁽²⁾ وليس يَهْلِكُ عَلَى⁽³⁾ البينة إلا هالك. وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَبِحَيٍّ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: 42]⁽⁴⁾.

(عظات للحسن البصري)

وقال الحسن: «والله يا ابن آدم، ما توبُّقَكَ إلا خطاياك! قد أريد بك النجاة فأبيت إلا أن توقع نفسك!»!

وشهد الحسنُ بعضَ الأمراء، وقد تعدَّى إقامة الحدِّ، وزاد في عددِ الضرب، فكلَّمه في ذلك، فلما رآه لا يقبلُ النصيح قال: أما إنك لا تضربُ إلا نفسك، فإن شئتَ فقلِّل، وإن شئتَ فكثِّر.

وكان كثيراً ما يتلو عند ذلك: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175].

(عقاب الآخرة وعقاب الأولى)

والعقاب عقابان: فعقاب آخرة، وعقابُ دنيا. فجميعُ عقاب الدنيا بَلِيَّةٌ من وجه، ونعمةٌ من وجه. إذ كان يؤدِّي إلى النعمة وإن كان مؤلماً. فهو عن المعاصي زاجراً، وإن كان داخلاً في باب الامتحان والتعبُّد، مع دخوله في باب العقاب والنعمة؛ إذ كان زجراً، وتنكيلاً لغيره. وقد كلَّفنا الصبرَ عليه، والرضا به، والتسليم لأمر الله فيه. وعقاب الآخرة بلاءٌ صِرْف، وخزيٌّ بَحْت. لأنه ليس بِمُخْرَجٍ منه⁽⁵⁾، ولا يحتملُ وجهين.

(معارف في النار)

وقال أبو إسحاق: الجمرُ⁽⁶⁾ في الشمس أصهب، وفي الفياء أشكل⁽⁷⁾، وفي ظلِّ

(1) ط، هـ: «زجراً» صوابه في ش.

(2) ط، ش: «رضى».

(3) على، هنا، بمعنى المجاوزة. وهي تؤدِّي معنى «عن» في الآية التالية.

(4) «عن» في الآية بمعنى «بعد». وفي الكتاب: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون: 40]، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: 19].

(5) ط، ش: «بمخروج»، وأثبت ما في هـ. وكلمة «منه» ساقطة من ش، هـ.

(6) في الأصل: «الحر»، صوابه ما كتبت.

(7) الصهبة: بياض تخالطه حمرة. والشكلة: سواد تخالطه حمرة.

الأرض - الذي هو الليل - أحمر. وأيُّ صوتٍ خالطته النار فهو أشد الأصوات، كالصاعقة. والإعصار الذي يخرج من شقِّ البحر⁽¹⁾، وكصوت الموم⁽²⁾ والجذوة من العود إذا كان في طرفه نارٌ ثم غمسته⁽³⁾ في إناء فيه ماء تَوَّى مُنْفَع.

ثم بالنار يعيش أهل الأرض من وجوه: فمن ذلك صنيع الشمس في برد الماء والأرض؛ لأنها صلاء جميع الحيوان، عند حاجتها إلى دفع عادية البرد. ثم سراجهم الذي يستصبحون به، والذي يميزون بضياؤه بين الأمور.

وكلُّ بخار يرتفع من البحار والمياه وأصول الجبال، وكل ضباب يعلو، ونَدَى يرتفع ثم يعود بركة ممدودة على جميع النبات والحيوان - فالماء الذي يحلُّه ويلطفه، ويفتح له الأبواب، ويأخذ بضبعه⁽⁴⁾ من قعر البحر والأرض النار⁽⁵⁾ المخالطة لهما من تحت، والشمس من فوق.

(عيون الأرض)

وفي الأرض عيون نار، وعيون قطران، وعيون نفط وكباريت⁽⁶⁾ وأصناف جميع الفلز⁽⁷⁾ من الذهب والفضة والرصاص والتُّحاس. فلولاً ما في بطونها من أجزاء النار لما ذاب في قعرها جامدٌ، ولما انسبك في أضعافها شيء من الجواهر، ولما كان لمتقاربها جامع، ولمختلفها مُفَرَّق⁽⁸⁾.

(1) الشق، بالكسر: الناحية والجانب. عنى الأعاصير الجنوبية التي تهب من قبل بحر فارس، وهو في المنطقة الحارة.

(2) الموم بالضم: الشمع، فارسي معرب. وفي الأصل: «الحرم».

(3) ط: «غمسه» صوابه من ش.

(4) الضبع، بالفتح: العضد كلها أو أوسطها. وأخذ بضبعه: عاونه.

(5) كلمة «النار» هي خبر «الذي».

(6) كباريت: جمع كبريت. وفي اللسان: «الليث: الكبريت عين تجري، فإذا جمد ماؤها صار كبريتاً أبيض وأصفر وأكدر».

(7) الفلز: جواهر الأرض كلها، وهو بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي، وكهيف وعتل: (Metal) وهو لفظ عربي. وفي حديث علي: من فلز اللجين والعقيان وفي الحديث: «كل فلز أذيب» هو من ذلك. وقد نقل بلفظه إلى الفارسية. انظر استينجاس 937.

(8) أي أن النار تجمع الجواهر المتقاربة، وتفرق الجواهر المختلفة. قال البيروني في الجماهر 265: «والطبيعون بأسرهم مجمعون على تحديد الحرارة والنار بأنها الجامعة للأشياء المتجانسة، والمفرقة بين غير المتجانسة. ومثله الكندي شارحاً فقال: «من خاصية النار جمع أجزاء كل واحد من الأجساد المعدنية جملة واحدة محدودة، وتفریق الممتزجة منها إذا اختلفت جواهرها. لأنها تحرق ما لاقت على قدر من الزمان، فإذا لاقتهم ممتزجين أقبلت على إحالة أضعفهما بالاحتراق حتى تفنيه ويبقى الأقوى». وفي المواقف 122: «قال ابن سينا: الحرارة تفرق المختلفات، وتجمع المتمثالات». وقد تحدث الإيجي في تفصيل هذا الكلام وتحقيقه. وفي أصل الحيوان: «لقواها جامع» واختلفت النسخ في الجملة بعدها، ففي ط: «ولجتها مفرق» ه: «ولجبتها مفرق» ش: «ولجبتها ملزق» وقد صححته بما ترى.

(ما قالت العرب في الشمس)

قال: وتقول العرب «الشمسُ أرحمُ بنا»⁽¹⁾.
 وقيل لبعض العرب: أيُّ يوم أنفع⁽²⁾؟ قال: يومُ شَمالٍ وشَمْسٍ. ()
 وقال بعضهم⁽³⁾ لامراته:
 تَمَنِّينَ الطَّلَاقَ وَأَنْتِ عِنْدِي بِعَيْشٍ مِثْلِ مَشْرِقَةِ الشَّمَالِ⁽⁴⁾
 وقال عُمر: «الشمسُ صِلَاءُ العرب». وقال عُمر: العربيُّ كالبعير، حيثما دارت الشمسُ
 استقبلها بهامته». ⁽⁵⁾ ووصف الرّاجز إبلاً فقال:

تستقبل الشمس بجمجماتها⁽⁶⁾

وقال قطران العبسي⁽⁷⁾:
 بمستأسد القرّيانِ حوَّ تِلَاعُهُ فَنُورُهُ مِيلٌ إِلَى الشَّمْسِ زَاهِرُهُ⁽⁸⁾

- (1) انظر تعليق الجاحظ على هذا التعبير ونحوه في (3: 196)، وهو تعليق طريف.
- (2) هـ: «أرفع».
- (3) في عيون الأخبار (4: 125): «وقال أعرابي». والبيت في المخصص (9: 23). ومختصر تهذيب الألفاظ 234.
- (4) مشرقة الشمس، بفتح الميم وتثنيث الراء: موقعها في الشتاء ودفؤها، وهو الموضع الذي تشرق عليه. والشمال: الريح الشمالية، وهي ريح باردة. ط: «تعيشي» ش، هـ: «نعيش» صوابهما من المصادر السابقة. والرواية في جميعها عدا عيون الأخبار: «تريدين الفراق». وفي جميعها عدا مختصر تهذيب الألفاظ: «وأنت مني».
- (5) هو عمر بن لجأ التيمي. وقد تقدمت ترجمته في (2: 120)، والبيت من أرجوزة عدتها أحد عشر بيتاً في وصف الإبل، وفي الأصمعيات 34-35 أولها:

أُنعتهَا إني من نعاتها

- (6) رواية الأصمعيات: «واتقت الشمس بجمجماتها».
- (7) كذا في الأصل ونسب في (6: 234) للحطيثة. والبيت من قصيدة له في ديوانه 8-12 وأما القطران فلم أعثر له على ترجمة إلا ما ذكر صاحب اللسان أنه سمي بذلك لقوله:

أنا القطران والشعراء جربى وفي القطران الجربى هناء

- (8) استأسد النبت: طال. والقرّيان، بضم القاف: جمع قرى، كغنى، وهو مسيله من التلاع. والحو: جمع أحوى، وفي الديوان: «حو نباته». والنوار، كرمان: جمع نواره، وهي الزهرة. ميل، بالكسر: جمع مائل، وزنه فعل بضمّتين ثم أعل. وجمع فاعل على فعل له نظائر في كتاب سيبويه (2: 206 س 10-12) وأتى به جمعاً، لتقدير الزاهر بمعنى الزاهرات، وبهذا استشهد ابن جني لتأويل قول ساعدة بن جؤبة: «ضباب تنتحيه الريح ميل». انظر اللسان (14: 159)، قال: «وقد يجوز أن يكون ميل واحداً كنقض ونضو ومرط». والزاهر: المشرق الحسن.

(الخيري)

والخيري⁽¹⁾ ينضم ورقه بالليل، وينفتح بالنهار.

[و] لإسماعيل بن غزوان⁽²⁾ في هذا نادرة. وهو أن سائلاً سألنا، من غير أهل الكلام، فقال: ما بال ورق الخيري ينضم بالليل وينتشر بالنهار؟ فأنبرى⁽³⁾ له إسماعيل بن غزوان [فقال⁽⁴⁾]: لأن برد الليل وثقله، من طباعهما الضم والقبض والتنويم، وحر شمس النهار⁽⁵⁾ من طباعه الإذابة، والنشر، والبسط، والخفة، والإيقاظ. قال السائل: فيما قلت دليل، ولكنه! قال إسماعيل: وما عليك أن يكون هذا في يدك، إلى أن تصيب شيئاً هو خير منه.

(تسرّع الحمر الألوان، وفالج ذوي البدانة)

وكان إسماعيل أحمر حليماً، وكذلك كان الحرامي⁽⁶⁾. وكنت أظن بالاحمر الألوان⁽⁷⁾ التسرع والحدّة، فوجدت الحلم فيهم أعم. وكنت أظن بالسمان الخدال⁽⁸⁾ العظام أن الفالج إليهم أسرع، فوجدته في الذين يُخالفون هذه الصفة أعم.

(أثر الشمس والحركة والجو في الأبدان)

وقال إياس بن معاوية: «صحة الأبدان مع الشمس». ذهب⁽⁹⁾ إلى أهل العمدة⁽¹⁰⁾ والوبر.

(1) الخيري، بكسر أوله: نبات له زهر بعضه أبيض، وبعضه فرفيري، وبعضه أصفر، كما في المعتمد. ويقال له: المنثور (Cheiranthus Cheiri). ولم أجد له ذكراً في اللسان والقاموس، مع أن الجوهرية ذكره في آخر مادة (خير) من الصحاح وقال: إنه معرب. وقد أخذه العرب عن الفارسية أو عن اللاتينية، ولفظه بالفارسية كلفظه بالعربية مع تخفيف الباء الأخيرة. وقد عد استينجاس من أنواعه في 492: خيري خزامي، ولونه أحمر وأبيض، وخيري خطائي، وهو أسود، وخيري شيرازي، وهو أصفر، وخيري ميرديني، وهو بنفسجي أو ذو سبعة ألوان. وبرياض الخيري والبنفسج يشبه زغب الشوارب والأعذرة، انظر الجماهر للبيروني ص 13.

(2) سبقت ترجمته في (2: 34)، وكان معاصراً للجاحظ.

(3) أنبرى له: اعترض له. ط: «انبرأ» بالهمز، ش، ه: «انبرا» صوابه ما أثبت.

(4) هذه التكملة من ش، ه.

(5) ط، ه: «الشمس». وأثبت ما في ش.

(6) الحرامي، هو أبو محمد عبد الله بن كاسب. وقد تقدمت ترجمته في (3: 131)، ولعله منسوب إلى «بنو حرام» بالراء المهملة، وهي خطئة كبيرة بالبصرة.

(7) ط: «بالحمراء الألف أن» تحريف.

(8) الخدال، بكسر الخاء المعجمة: جمع خدل، وهو الممتلئ الأعضاء لحمًا في رقة عظام. وفي الأصل: «الجدال» بالجيم، تصحيف، وقد سبقت هذه الكلمة في (1: 122 س 10).

(9) ط: «ذهبت» صوابه في ش، ه.

(10) الليث: «يقال لأصحاب الأخبية الذين لا ينزلون غيرها هم أهل عمود وأهل عماد». كذا في اللسان. وفيه أيضاً: «ولا يقال أهل العمدة». لكن هكذا وردت في الأصل، وهي جمع عمود.

وقال مثنى بن بشير ⁽¹⁾: «الحركة خيرٌ من الظل والسكون» .
 وقد رأينا لمن مدح خلاف ذلك كلاماً ⁽²⁾، وهو قليل .
 وقيل لابنة الخس ⁽³⁾: أيماً أشدُّ: الشتاء أم الصيف؟ قالت: ومن يجعل الأذى كالزمانة ⁽⁴⁾؟!
 وقال أعرابيٌّ: لا تَسْبُوا الشَّمال ⁽⁵⁾ فإنها تضعُ أنفَ الأفعى، وترفع أنفَ الرِّقَّة ⁽⁶⁾ .
 وقال خاقانُ بن صبيح ⁽⁷⁾، وذكر نُبْلَ الشتاء وفضله على نُبْلِ الصيف فقال: «تغيب فيه
 الهوام، وتنحجر فيه الحشرات ⁽⁸⁾، وتظهر الفرشة والبزّة ⁽⁹⁾، ويكثر فيه الدَّجَن ⁽¹⁰⁾؛ وتطيب فيه
 خِمرة البيت ⁽¹¹⁾، ويموت فيه الدُّبان والبَعوض، ويبزّد الماء، ويسخُن الجوف، ويطيب فيه
 العِناق ⁽¹²⁾» .
 وإذا ذكرت العربُ بَرَدَ الماء وسخونة الجوف قالت: «حَرّة تحت قِرّة ⁽¹³⁾» .
 ويجود فيه الاستمراء ⁽¹⁴⁾؛ لطول الليل، ولتفصّي الحر ⁽¹⁵⁾ .

- (1) مثنى بن بشير، يروى عنه الجاحظ في البخلاء 17 .
- (2) ط: «وقد رأينا من مدح خلاف ذلك» بإسقاط اللام والكلمة الأخيرة. وأثبت في ما في ش، هـ.
- (3) هي هند بنت الخس، بضم الخاء وتشديد السين، ابن حابس بن قريظ، الإيادية. وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب. انظر جوابها على أسئلة شتى في أمالي القاضي: (1: 199 و2: 218، 235، 256، 257، 3: 107، 119). وكانت تأتي سوق عكاظ. عيون الأخبار (2: 214). وقد وافت هي وأختها «جمعة» سوق عكاظ في الجاهلية فاجتمعا عند القلمس الكناني، فسألهما واختبرهما في مسائل كثيرة. انظر بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور 58-64، وفي ط، ش: «لابنة إياس» هـ: «لابنة» فقط. والوجه ما أثبت.
- (4) الزمانة، كسحابة: العاهة والآفة. وفي البيان (1: 313): «وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت: من جعل بؤساً كأذى».
- (5) ط: «لا تسب الشمال»، وأثبت ما في ش، هـ.
- (6) الرقعة، مثلثة الراء: الجماعة المترافعون في السفر. هـ: «الرقعة» تحريف.
- (7) خاقان بن صبيح: أحد معاصري الجاحظ. وقد جعله في زمرة البخلاء 16، 88، 109 .
- (8) تنحجر: بتقديم الجيم على الحاء: تدخل في الجحر، وفي الأصل: «تنحجر» بتقديم الحاء، تصحيف.
- (9) الفرشة، وتقرأ بكسر الفاء، على الهيئة من الفرش. ط فقط: «الفرش» وهي جمع فراش. والفراش، بالكسر: ما افترش، جمعه أفرشة وفرش، بضمين. سيبويه: وإن شئت خففت في لغة بني تميم. والبزّة، بالكسر: الهيئة والشارة واللبسة.
- (10) الدجن: ظل الغيم في اليوم المطير. وفي الأصل: «الدخن»، وهو بالتحريك بمعنى الدخان، وليس بشيء.
- (11) الخمرة، بتثنية الخاء: الرائحة الطيبة. ط، ش: «حمرة» بالمهملة، صوابه في هـ.
- (12) الكلام من مبدأ «ويموت» ساقط من ش.
- (13) في اللسان (6: 391) أنه مثل الذي يظهر خلاف ما يضمنر. والحرّة، بالكسر: الحرارة. والقرّة، بالكسر: البرد. وفي اللسان (5: 251): «ويقال: إنما كسروا الحرّة لِمكان القرّة».
- (14) الاستمراء: أن يجد طعامه قد انحدر طيباً عن معدته لم يثقل عليها.
- (15) تفصي الحر: ذهابه وخروجه، وفي اللسان: «أفصى الحر: خرج. ولا يقال في البرد». وفي الحديث أنه ذكر القرآن فقال: «هو أشد تفصيّاً من قلوب الرجال من النعم من عقلها!»، أي أشد تفلتاً وخروجاً. وفي الأصل: «لنبطي» والوجه ما أثبت.

وقال بعضهم: لا تُسرَّن بكثرة الإخوان، ما لم يكونوا أختياراً، فإن الإخوان غير الخيار بمنزلة النار، قليلها متاعٌ، وكثيرها بوار⁽¹⁾.

(نار الزحفتين)

قال: ومن النيران «نار الزحفتين»، وهي نار أبي سريع. وأبو سريع هو العرفج⁽²⁾. وقال قتيبة بن مسلم⁽³⁾، لعمَرَ بن عبَّاد بن حُصين: واللَّه لَلسُّودُّ أَسْرَعُ إِلَيْكَ مِنَ النَّارِ فِي يَبِيسَ⁽⁴⁾ العَرَفَج!

وإنما قيل لنار العرفج: نار الزحفتين؛ لأن العرفج إذا التهبَّ فيه النار أسرعَ [فيه]⁽⁵⁾ وعظمت، وشاعت واستفاضت، في أسرعَ من كل شيء. فمن كان في قُربها يزحف عنها، ثم لا تلبث أن تنطفئ من ساعتها، في مثل تلك السرعة؛ فيحتاج الذي يزحف عنها أن يزحف إليها من ساعتها؛ فلا تزال للمصطلي كذلك، ولا يزال المصطلي بها كذلك. فمن أجل ذلك قيل: «نار الزحفتين».

قال: وقيل لبعض الأعراب: ما بال نسائكُم رُشحاً⁽⁶⁾؟ قال: أَرَسَحَهُنَّ عَرَفَجُ الْهَلْبَاءِ⁽⁷⁾.

(صورة عقد بين الراعي والمسترعي)

وهذا شرط الراعي فيما بينه وبين من استرعاه ماشيته في القارِّ والحرار⁽⁸⁾ وذلك أن

(1) البوار: الهلاك. ه: «جوار» تحريف.

(2) في اللسان، وكذا ثمار القلوب 197: أبو سريع هو النار في العرفج. وأنشد:

لا تعدلن بأبي سريع إذا عرت نكباء بالصقيع

(3) تقدمت ترجمته مع ولده سلم بن قتيبة في (3: 240).

(4) اليبيس: اليباس. ش وثمار القلوب: «يبس»، واليبس: اليباس. قال ابن السكيت: «هو جمع يابس مثل راكب

وركب». ابن سيده: «اليبس واليبس: اسمان للجمع» يعني بالفتح وبالتحريك.

(5) من ش وثمار القلوب 462.

(6) الرسح: جمع رسحاء، وهي القليلة لحم العجز والفخذين. وفي الأصل: «رشحاً» بالشين المعجمة، صوابه في المخصص (37: 11) ولسان العرب (3: 274) والمزهر (2: 119). ورواية الأول: «قيل لأعرابي: ما لنسائكُم رسحاً؟» والثاني: «قيل لامرأة من العرب: ما بالنراكن رسحاً؟» والثالث: «قال أعرابي لامرأة من بني نمير: ما بالكن رسحاً؟».

(7) العرفج: نبت سريع الاشتعال، ولهبه شديد الحمرة، وليس له ورق ذو بال. إنما هي عيدان دقاق، وفي أطرافها زمع يظهر في رءوسها شيء كالشعر، أصفر طيب الريح. والهلباء، بفتح أوله: موضع بين اليمامة ومكة. وإنما سميت الهلباء لكثرة نباتها، وأنها أنبتت الحلى والصلبان. وفي الأصل: «الهلابة» محرف. وفيه أيضاً: «أرصحهن» تصحيف. وفي المخصص: «أرصحتهن نار الزحفتين». وفي اللسان: «أرصحتهن نار الزحفتين». وفي المزهر: «أرصحنا»، وأنشد:

وسوداء المعاصم لم يغادر لها كفلاً صلاء الزحفتين

(8) أي البارد والساخن، مما ينال من خير الإبل. وفي الأصل - وهو هنا ط - ش فقط «النار والحرال»، صوابه من البيان (3: 57) واللسان (ثمن 232).

شرطهم عليه⁽¹⁾ أن يقول المسترعي للراعي: «إن عليك أن تردّ ضالّتها، وتهنأ جربها⁽²⁾، وتلوط حوضها⁽³⁾. ويدك مبسوطة في الرّسل⁽⁴⁾ ما لم تُنْهَكْ حَلْباً، أو تضرّ بنّسل». قال: فيقول عند ذلك الراعي لرب الماشية، بعد هذا الشرط: «ليس لك أن تدكّر أُمّي بخير ولا شرّ. ولك حذقة بالعصا⁽⁵⁾ عند غضبك. أخطأت أو أصبت، ولي مقعدي من النار وموضع يدي من الحارّ [والقارّ]⁽⁶⁾».

(شبه ما بين النار والإنسان)

قال: ووَصَف بعض الأوائل شبه ما بين النار والإنسان، فجعل ذلك قرابة ومشاكلة، قال: وليس بين الأرض وبين الإنسان، ولا بين الإنسان والماء، ولا بين الهواء والإنسان، مثل قرابة ما بينه وبين النار؛ لأن الأرض إنما هي أمّ للنبات، [وليس للماء⁽⁷⁾] إلّا أنه⁽⁸⁾ مَرَكَب⁽⁹⁾. وهو لا يغدو؛ إلّا ما يعقده الطبخ⁽¹⁰⁾ وليس للهواء فيه إلا النسيم والمتقلب. وهذه الأمور وإن كانت زائدة، وكانت النفوس تتلف مع فقد بعضها، فطريق⁽¹¹⁾ المشاكلة والقرابة غير طريق إدخال المرفق وجّر المنفعة، ودفع المضرة.

قال: وإنما قضيت لها بالقرابة⁽¹²⁾، لأنني وجدت الإنسان يحيا ويعيش في حيث تحيا النار وتعيش، وتموت وتتعلف حيث يموت الإنسان ويتلف.

وقد تدخل نار في بعض المطامير⁽¹³⁾ والجباب⁽¹⁴⁾، والمغارات، والمعادن⁽¹⁵⁾،

(1) الكلام بعد «ماشية» إلى هنا ساقط من هـ.

(2) يهنأ الجربى: يعالجها بالهناء. والهناء، بالكسر: ضرب من القطران، يطليها به. ش: «جربها» ط: «جرتها» مصحف.

(3) لاط الحوض بالطين لوطاً: طينه، أي طلاه بالطين. وفي حديث ابن عباس مع الذي سأله عن مال يتيم، وهو واليه: أيصيب من لبن إبله؟ فقال: إن كنت تلوط حوضها، وتهنأ جربها، فأصب من رسلها.

(4) الرسل، بالكسر: اللبن.

(5) حذفه بالعصا: أي ضربه بها عن جانب، والحذفة أيضاً: «الرمية عن جانب».

(6) هذه التكملة من البيان والتبيين. و«الحار» هي في ط فقط: «الجار» بالجيم مصحفة.

(7) ليست بالأصل، وبها يلتئم الكلام.

(8) ط، ش: «لأنه»، هـ: «لا أنه» والوجه ما أثبت.

(9) أي معبر وموصل للغذاء كما سبق في ص 60 س 6.

(10) أي يجعله منعقدًا بالطبخ. انظر لتوضيح ذلك ص 60 س 7، وفي الأصل: «يعتده الطبخ».

(11) ش، هـ: «بطريق»، والوجه ما أثبت من ط.

(12) ش، هـ: «الغرابة» وهو عكس المراد.

(13) المطامير: جمع مطمورة، وهي حفرة في الأرض يوسع أسفلها تخبأ فيها الحبوب.

(14) الجباب، بالكسر: جمع جب، بالضم، وهو البئر البعيد القعر الكثيرة الماء. ط: «الحباب»، صوابه في ش، هـ.

(15) المعادن: جمع معدن، بكسر الدال، وهو الموضع الذي تستخرج منه جواهر الأرض. وإطلاقه على ما يستخرج منه مجاز.

فتجدها متى ماتت هناك علمنا أن الإنسان متى صار في ذلك الموضع مات. ولذلك لا يدخلها أحد ما دامت النار إذا صارت فيها ماتت. ولذلك يعمد أصحاب المعادن والحفاير إذا هجموا على فتق في بطن الأرض أو مغارة في أعماقها أو أضعافها، قَدَّموا شمعةً في طرفها أو في رأسها ناراً⁽¹⁾، فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا في طلب الجواهر من الذهب وغير ذلك. وإلا لم يتعرَّضوا له. وإنما يكون دخولهم بحياة النار، وامتناعهم بموت النار⁽²⁾.

وكذلك إذا وقعوا على رأس الجُبِّ الذي فيه الطعام⁽³⁾، لم يجسروا على النزول فيه، حتى يُرسلوا في ذلك الجُبِّ قنديلاً فيه مصباح أو شيئاً يقوم مقام القنديل، فإن مات لم يتعرَّضوا له، وحركوا في جوفه أكسية⁽⁴⁾ وغيرها من أجزاء الهواء⁽⁵⁾.

قال: وممَّا يُشَبَّه النار فيه بالإنسان، أنك ترى للمصباح قبل انطفائه ونفاذ دهنه⁽⁶⁾، اضطراباً وضياءً ساطعاً، وشُعاعاً طائراً، وحركة سريعة وتنقضاء شديداً⁽⁷⁾، وصوتاً متداركاً. فعندها يخمد المصباح.

وكذلك الإنسان، له قبلَ حال الموت، ودُويْن انقضاء مُدَّتَه بأقرب الحالات، حال مُطْمَعَةٍ تزيد في القوت على حاله قبلَ ذلك أضعافاً، وهي التي يسمونها «راحة الموت»⁽⁸⁾، وليس له بعد تلك الحال بُت.

(قول أحد المتكلمين في النفس)

وكان رئيس [من⁽⁹⁾] المتكلمين، وأحد⁽¹⁰⁾ الجَلَّة المتقدمين، يقول في النفس قولاً بليغاً عجيباً، لولا شُئنته لأُظْهِرْتُ اسمه⁽¹¹⁾، وكان يقول: الهواء⁽¹²⁾ اسم لكل فتق، وكذلك

(1) ش، هـ: «في طرف»، وفي ش: «وفي رأسها». وأثبت ما في ط.

(2) انظر مثل هذا الكلام في عجائب المخلوقات 89 في خاتمة الحديث فيا لنيان.

(3) ذلك الجب هو ما يسمى بالمطمورة. انظر التنبيه 13 ص 74.

(4) أكسية: جمع كساء. ط فقط: «أكسية»، تحريف.

(5) كذا في الأصل. ولعلها: «بغية إجراء الهواء»، أو «لتأخذ من أجزاء الهواء».

(6) هـ: «وتعاد دهنه» محرف.

(7) التنقض، بالقاف وفي آخره ضاد معجمة: صوت الفتيلة إذا قاربت الانطفاء. وانظر (3: 181). وفي الأصل:

«تنفضا» بالفاء، وهو تحريف.

(8) ويسمونها أهل مصر اليوم: «حلاوة الروح».

(9) زدت هذا الحرف ليصح الكلام.

(10) هـ: «واحد» بالالف وترك العطف.

(11) يظهر لي أنه «النظام»، ففي سياق الحديث أن هذا الرئيس يقول بالطفرة كما في السطر 3 من ص 77، والنظام هو

صاحب هذا المذهب. انظر (4: 117).

(12) في الأصل: «الهول»، والوجه ما أثبت.

الحَيِّز^(١). والفتق لا يكون إلا بين الأجرام الغلاظ، وإلا فإنما هو الذي يسميه أصحاب الفلك «اللج». وإذا هم سألوهم عن خُضرة الماء قالوا: هذا لُجّ الهواء، وقالوا: لولا أنك في ذلك المكان لرأيت في اللُجّ الذي فوق ذلك مثل هذه الخضرة^(٢). [وليس شيء^(٣)] إلا وهو أرق من كَتِفِهِ^(٤) أو من الأجرام الحاصرة^(٥) له. وهو اسم لكل متحرّك ومُتَقَلَّب^(٦) لكل شيء فيه [من^(٧)] الأجرام المركبة. و[لا^(٨)] يستقيم أن يكون من جنس النسيم، حتى^(٩) يكون محصوراً، إما بحصر كَتِفِيٍّ^(١٠) كالسفينه لما فيها من الهواء الذي به حملت مثل وزن جرّهما الأضعاف الكثيرة، وإما أن يكون محصوراً في شيء كهيئة البيضة المشتملة على ما فيها، كالذي يقولون في الفلك الذي هو عندنا: سماء.

قال: وللنسيم^(١١) الذي [هو^(١٢)] فيه معنى آخر، وهو الذي يجعله بعض الناس ترويحاً عن النفس، يعطيها البرد والرقة والطيب، ويدع النفس، ويُخرج إليه البخار والغلظ، والحرارات الفاضلة^(١٣)، وكل ما لا تقوى النفس على نفّيه واطّرادِهِ^(١٤).

قال: وليس الأمر كذلك. بل أزعّم أنّ النفس من جنس النسيم وهذه النفس القائمة في الهواء المحصور، عرض لهذه النفس المتفرقة. في أجرام جميع الحيوان، وهذه الأجزاء^(١٥)

- (١) الحيز، بفتح الحاء وتشديد الياء المكسورة: هو عند المتكلمين الفراغ المتوهم الذي يشغله شيء ممتد كالجسم، أو غير ممتد كالجوهر الفرد. تعريفات السيد 55، وفي الأصل: «الحز».
 - (٢) في الأصل: «النظرة»، والكلام يقتضي ما أثبت.
 - (٣) بمثل هذا يلتزم القول.
 - (٤) الكتيف، بالتاء المثناة الفوقية: أصل معناه ضبة الباب، وهي حديدة عريضة يضرب بها ويلبس، وهو أيضاً ما يكتف به الإناء، والمراد به هنا ما يحتوي الشيء ويحصره. وهذه الكلمة محرفة في الأصل، ففي ط، ش: «كفّيته» وفي هـ: «كيفية»، ووجهه ما كتبت.
 - (٥) في الأصل: «الحاضرة» بالضاد المعجمة وبإسقاط كلمة «له»، وانظر التنبيه السابق والكلام التالي.
 - (٦) المتحرك والمتقلب: مكان التحرك والتقلب. وفي الأصل: «محرق ومتقلب». وانظر قوله في الصفحة 74 س 10: «إلا النسيم والمنقلب». وضمير «هو» للهواء.
 - (٧) ليست بالأصل.
 - (٨) زدتها لحاجة الكلام إليها.
 - (٩) في الأصل: «ويكون»، ووجهه ما أثبت.
 - (١٠) كتيفي، بالتاء المثناة الفوقية: نسبة إلى الكتيف. وانظر التنبيه 4 من هذه الصفحة.
 - (١١) في الأصل: «والنسيم».
 - (١٢) هو، أي الإنسان. وهذه الكلمة ليست في الأصل.
 - (١٣) الفاضلة، هنا، بمعنى الزائدة.
 - (١٤) الاطراد: افتعال من الطرد، يقال: طرده واطرده، بتشديد الطاء في الثانية. قال طريح:
- أمست تصفّقها الجنوب وأصبحت زرقاء تطرد القذّي بحباب
- ط: «وطرده»، وأثبت ما في ش، هـ.
- (١٥) أي أجزاء النسيم، التي يعني بها نفس الإنسان والحيوان. ط، هـ: «الأجرام» صوابه في ش.

التي في هذه الأبدان، هي من النسيم⁽¹⁾ في موضع الشعاع والأكتاف⁽²⁾، والفروع التي تكون من الأصول.

قال: وضيء النفس كضيء دخل من كوة⁽³⁾ فلما سُدت الكوة انقطع بالطرفة إلى عنصره من قُرص الشمس وشعاعها المشرق فيها، ولم يُقَم في البيت مع خلاف شكله من الجُرم⁽⁴⁾. ومتى عمَّ السدُّ لم تُقَم النفس في الجِرم فوق لا⁽⁵⁾.

وحكم⁽⁶⁾ النفس عند السدِّ - إذ كنا لا نجد لها بعد ذلك - كحكم الضياء بعد السدِّ، إذ كنا لا نجد⁽⁷⁾ بعد ذلك.

فالنفس من جنس النسيم، وبفساده تفسد الأبدان، وبصلاحه تصلح. وكان يعتمد على أن الهواء نفسه هو النفس والنسيم، وأن الحرَّ واللدونة وغير ذلك من الخلاف، إنما هو من الفساد العارض.

قيل له: فقد يفسد الماء فتفسد الأجرام من الحيوان بفساده، ويصلح فتصلح بصلاحه⁽⁸⁾، وتمنع الماء وهي تنازع إليه فلا تحل⁽⁹⁾ بعد المنازعة إذا تمَّ المنع، وتوصل بجُرم الماء فتقيم في مكانها. فلعل النفس عند بطلانها في جسمها⁽¹⁰⁾ قد انقطعت إلى عنصر الماء بالطرفة.

وبعد فما علمك؟ لعل الخنق هيَّج على النفس أضداداً لها كثيرة، غمرتها حتى غرقت فيها، وصارت مغمورة بها.

وكان هذا الرئيس يقول: لولا أن تحت كل شعرة وزغبة⁽¹¹⁾ مجرى نفس لكان المخنوق يموت مع أول حالات الخنق، ولكن النفس قد كان لها اتصال بالنسيم من تلك المجاري على قدر [من⁽¹²⁾] الأقدار، فكان نوطها⁽¹³⁾ جوف الإنسان، فالريح والبُخار لما طلب المنفذ فلم

(1) في الأصل: «من بدء النسيم» وأصلحته بما ترى.

(2) كذا في ط، ش. وفي هـ: «والأكتاف».

(3) الكوة، بالفتح ويضم، والكوا أيضاً بالفتح وطرح الهاء: خرق في الحائط.

(4) الجروم: جمع جرم، بالكسر، وهو الجسد والجسم، وفي الأصل: «الحرق».

(5) أي فوق مقدار قول القائل «لا». انظر التنبيه رقم 2 ص 55، وكلمة «لا» هي في ط «لأحكام» كأنها جزء من الكلمة التي تليها. والحق أنهما كلمتان إحداهما في نهاية الفقرة الأولى، والثانية في بدء الثانية، وفي ش، هـ: «لا حكم».

(6) ط: «حكام». ش، هـ: «حكم» كما سبق في التنبيه السالف. وقد زدت الواو قبل الأخيرة للحاجة إليها.

(7) أي لا نجد الضياء بعد السد. والضمير ساقط من ش. وفي ط، هـ: «لأنجدها» وتصح بتأويل الضياء على الجمع. وفي اللسان (1: 107): «وقد يكون الضياء جمعاً»، أي جمع ضوء.

(8) في الأصل: «فيصلح بصلاحه». (9) تحل: تقيم. وفي الأصل: «تدخل».

(10) في الأصل: «حسها».

(11) الزغبة، بالتحريك: واحدة الزغب، وهي صغار الشعر والريش. ش: «وزعنه» مصحف.

(12) ليست في الأصل.

(13) نوطها: متعلقها. وفي الأصل: «نقطها» ولا وجه له.

يَجِدْهُ، دَارَ وَكُثْفَ وَقَوِيٍّ؛ فامتدَّ له الجلدُ فسدَّ له المجاري. فعند ذلك ينقطع النفس ولولا اعتصامها بهذا السبب لقد كانت انقطعت إلى أصلها من القُرْص، مع أول حالات الخنق.

وكان يقول: إن لم تكن النفسُ عُمرت بما هُيِّجَ عليها من الآفات، ولم تنقطع للطَّفَر إلى أصلها⁽¹⁾ جاز أن يكون الضياءُ الساقطُ على أرض البيت عند سدِّ الكوَّة أن يكون لم ينقطع إلى أصله. ولكن السدَّ هُيِّجَ عليه من الظلام القائم في الهواء ما غمره، وقطعه عن أصله. ولا فَرْق بين هُذَيْن.

وكان يعظّم شأن الهواء، ويُخبر عن إحاطته بالأمور ودخوله فيها، وتفضُّل قوّته عليها. وكان يزعم أن الذي في الرِّق⁽²⁾ من الهواء، لو لم يكن له مَجَارٍ⁽³⁾ ومنافُس، ومُنِع من كل وجهةٍ - لَأَقْلَّ الجَمَل الضخم.

وكان يقول: وما ظنُّك بالرَّطل من الحديد أو بالزُّبْرَة⁽⁴⁾ منه، أنه متى أُرسل في الماء خَرَقَه، كما يخرق الهواء! قال: والحديد يسرّع إلى الأرض إذا أرسلته في الهواء، بطبعه وقوّته، ولطلبه الأرض المشاكلة له، ودفع الهواء له، وتبرّيه منه، ونفيه له بالمضادة، واطَّرادِه⁽⁵⁾ له بالعداوة.

قال: ثم تأخذُ تلك الزُّبْرَة⁽⁶⁾ فتبسُّطها بالمطارق، فتنزّل نزولاً دون ذلك؛ لأنها كلما اجتمعت فكان الذي يلاقيها من الماء أصغرَ جُزْماً، كانت أقوى عليه.

ومتى ما أشخَصَتْ⁽⁷⁾ هذه⁽⁸⁾ الزُّبْرَة المفطوحة⁽⁹⁾ المبسوطة المسطوحة، يَنثِقُ الحِيْطَانُ⁽¹⁰⁾ في مقدار غِلْظِ الإصبع، حَمَلَ مِثْلَ زَنْتِه⁽¹¹⁾ المرار الكثيرة وليس إلا لما حصرَتْ تلك الإصبع من الهواء. وكلما كان تنوُّ الحِيْطَانُ أرفع⁽¹²⁾ كان للأثقال أحمَل، وكان الهواء أشدَّ انحصاراً.

(1) هـ: «الظفر» ش: «بالظني» ط: «الظفر» بدون باء. صوابه ما أثبت. والظفر هو الظفرة في اصطلاح المتكلمين، وهو مذهب للنظام. انظر (4: 117).

(2) الرق، بكسر الزاي: كل وعاء من الجلد اتخذ لشراب ونحوه. هـ: «الرق» ش: «الدين» صوابهما في ط.

(3) هـ: «مجاز» أي مكان يجوز منه. والأسلوب يقتضي ما أثبت من ط، ش.

(4) الزبرة، بضم الزاي: القطعة من الحديد، جمعها زبر، بضم ففتح، وفي الكتاب: «أَثَوِي زَبَرُ الْحَدِيدِ» [الكهف: 96]، وفي الأصل: «بالزيادة» تحريف.

(5) اطَّرادُه، بتشديد الطاء: طرده، انظر التنبيه الرابع عشر من الصفحة 76، ط: «ولحدادة» س: «والحدادة» وأثبت الصواب من هـ.

(6) في الأصل: «الزيادة». وانظر التنبيه 4 من هذه الصفحة.

(7) أشخَصَتْ: رفعت. ط، هـ: «ومتى ما أشخص» ش: «ومتى أشخصت».

(8) في الأصل: «لهذه».

(9) المفطوحة: التي فطحت، أي جعلت عريضة. ط، هـ: «المطبوخة» ش: «المطرقة» والصواب ما أثبت.

(10) النثق: الرفع. وفي ط، هـ: «يفتق» وموضعها في ش بياض متروك، والوجه ما أثبت.

(11) الضمير في «حمل» للحديد. و«زنته» هي في الأصل: «زنة» محرفة.

(12) أرفع: أي أعلى.

قال: ولولا أن ذلك الهواء المحصور متّصلٌ بالهواء المحصور في جرم [الحديد، وفي جرم⁽¹⁾] الخشب والقار، فرقع بذلك الاتصال السفينة علوّاً - لَمَا كان يبلُغ من حصر ارتفاع إصبعٍ للهواء ما يحمله البُعل.

ويدلّ على ذلك شأن السكّابة⁽²⁾؛ فإنّضك تضع رأس السكّابة الذي يلي الماء⁽³⁾ في الماء، ثم تمصه من الطرف الآخر، فلو كان الهواء المحصور في تلك الأنبوبة إنما هو مجاورٌ لوجه الماء، ولم يكن متصلاً بما⁽⁴⁾ لا بس جرم الماء من الهواء، ثم مصصته بأضعاف ذلك الجذب إلى ما لا يتناهى لَمَا ارتفع إليك من الماء شيءٌ رأساً.

وكان يقول في السبيكة التي تُطيل عليها الإيقاد، كيف لا تتلوّى، فما هو إلا أن يُنفخ عليها بالكبير⁽⁵⁾ حتى تدخل النيران في تلك المداخل، وتعاونها الأجزاء التي فيها من الهواء.

وبمثل ذلك قام الماء في جوف كوز المسقاة المنكس. ولعلمهم بصنيع الهواء إذا احتصر وإذا حصر⁽⁶⁾، جعلوا سمك⁽⁷⁾ الصّينية مثلاً طولها. أعنى المركب الصّيني. وكان يخبر عن صنيع الهواء بأعاجيب.

وكان يزعم أن الرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه، فإذا⁽⁸⁾ انتفخ انتفخ غرْموله وقام وعظم، فقلّبه⁽⁹⁾ عند ذلك على القفا. فإذا جاءت الضّبع لتأكله قرأته على تلك الحال⁽¹⁰⁾، ورأت غرْموله⁽¹¹⁾ على تلك الهيئة، استدخلته وقضت وطرها من تلك الجهة، ثم أكلت الرجل، بعد أن يقوم ذلك عندها أكثر من سيفاد الذّيح. والذّيح: ذكر الضّباع العرفاء⁽¹²⁾.

(1) هذه الزيادة من ش.

(2) سبقت في ص 61 س 4 بلفظ «الشرابة» فجعلها من الشرب مرة، ومن السكب أخرى. وفي الأصل هنا: «السكّانة» بالنون، وتسمى هذه الآلة أيضاً «سارقة الماء» كما سبق في التنبيه 4 ص 61، ويشبه هذه الآلة ما تسمى «الزرافة» بالزاي وتشديد الراء. انظر الفصل (1: 32 و 70).

(3) في الأصل: «التي تلي الماء» والموصول إنما هو صفة للرأس. والرأس مذكر.

(4) في الأصل: «لما».

(5) الكبير، بالكسر: الزق الذي ينفخ فيه الحداد.

(6) احتصر هو، وحصره غيره. ولم أجد الأول في المعاجم. وفي ط، ه: «وإذا حصروا» صوابه في ش.

(7) السمك، بالفتح: الارتفاع. وسمك البيت من أعلاه إلى أسفله.

(8) ط، ه: «وإذا»، وأثبت ما في ش.

(9) ط، ه: «يقبله»، وأثبت ما في ش.

(10) ش: «الحالة».

(11) ط: «عزموله» صوابه في ش، ه.

(12) العرفاء: الكثيرة شعر الرقبة. وفي الأصل: «العرجاء» تحريف. وفي اللسان: «الذّيح: الذكر من الضّباع، الكثير الشعر». وفي ه: «ذكر الضّبع».

وذكر بعضُ الأعراب أنه عاينها عند ذلك، وعند سيفاد الضبُع لها، فوجد لها عند تلك الحال حركةً وصياحاً، لم يجده عندها في وقت سيفاد الذبُح لها.

ولذلك قال أبو إسحاق^(١) لإسماعيل بن عَزْوان: «أشهدُ بالله إنك لَصَبُعٌ». لأن إسماعيل شدَّ جاريةً له على سُلَمٍ وحَلَفَ ليضربَها مائةَ سَوَوطٍ دونَ الإزار - ليلتَزِقَ جلدُ السَّوطِ بجلدها، فيكونَ أوجَعَ لها - فلما كشف عنها رُطْبَةً بَضَّةً خَدَلَةً^(٢)، وَقَعَ عليها، فلما قضى حاجته منها وفرغ، ضربها مائة سوط. فعند ذلك قال أبو إسحاق ما قال.

(اختلاف أحوال الغرقى)

وإذا غرقت المرأةُ رَسَبَتْ. فإذا انتفخت وصارت في بطنها رِيحٌ^(٣) وصارت في معنى الزَّق، طفا^(٤) بدنُها وارتفع، إلا أنها تكون مُنْكَبَةً، ويكونُ الرَّجُلُ مستلقياً.

وإذا ضُربتْ عُنُقُ الرَّجُلِ وأُلْقِيَ في الماء لم يَرْسُبْ، وقام في جوف الماء وانتصب، ولم يَغْرَقْ، ولم يَلْزَمْ القعر، ولم يظهر. كذلك يكونُ إذا كان مضروباً العُنُق، كان الماء جاريّاً أو [كان^(٥)] ساكناً. حتى إذا خَفَّ وصار فيه الهواء، وصار كالزَّق المنفوخ^(٦)، انقلبَ وظَهَرَ بدنه كله، وصار مستلقياً، كان الماء جاريّاً أو كان قائماً. فوَقُوفُهُ^(٧) وهو مضروب العُنُق، شبيهٌ بالذي عليه طباعُ العقربِ التي فيها الحياة، إذا أَلْقِيَتْها في ماء غَمُرٍ^(٨)، لم تطفُ ولم ترسب، وبقيت في وسط عُمُقِ الماء، لا يتحرَّك منها شيء.

(ما يسبح من الحيوان)

والعقرب من الحيوان الذي لا يسبح. فأما الحية فإنها تكونُ جيِّدةً السباحة، إذا كانت من اللواتي تساب وتزحف^(٩). فأما أجناس الأفاعي التي تسير على جنبٍ^(١٠) فليس عندها في السباحة طائل.

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام.

(٢) الخدلة، بفتح الخاء المعجمة بعدها دال مهملة: الممتلئة الأعضاء لحماً في رقة عظام. ط، هـ: «جدلة» ش:

«جدلة» كلاهما تصحيف ما أثبت. وانظر التنبيه 8 من ص 71.

(٣) ش: «وصارت في معنى الزق». هـ: «وصار في بطنها ريح».

(٤) طفا يطفو: ارتفع فوق الماء وعلا. ط، هـ: «طفى».

(٥) الزيادة من ش.

(٦) ط، هـ: «وصار فيه كالزق المنفوخ» والوجه حذف «فيه» كما في ش.

(٧) في الأصل: «نفوقه». وانظر قوله من قبل: «وقام في جوف الماء».

(٨) الغمر، بالفتح: الماء الكثير.

(٩) تزحف: تمشي على أثنائها وبطنها. وفي الأصل: «تذهب».

(١٠) انظر الكلام في مشي الحيات ما سبق في (4: 159).

والسباحة المنعوتة، إنما هي للإوزة والبقرة والكلب. فأما السمكة فهي الأصل في السباحة. وهي المثل، وإليها جميع النسبة. والمضروب العنق يكون في عمق الماء قائماً. والعقرب ^(١) يكون على خلاف ذلك.

(مناغة الطفل للمصباح)

ثم ^(٢) رجع بنا القول إلى ذكر النار ^(٣).

قال: وللنار من الخصال المحمودّة أنّ الطفل لا يُناغي شيئاً كما يُناغي المصباح ^(٤). وتلك المناغة نافعة له في تحريك النفس، وتهيج الهمّة، والبعث على الخواطر، ^(٥) وفي السرور الذي له في النفس أكرم أثر.

(قول الأديان في النار)

قال: وكانت النار معظّمة عند بني إسرائيل، حيث جعلها الله تعالى تأكل القربان ^(٦)، وتدل على إخلاص المتقرب، وفساد نية المدغل ^(٧)، ^(٨) حيث قال الله لهم: «لا تُطفئوا النَّارَ مِنْ بُيُوتِي» ^(٩). ولذلك لا تجد الكنائس والبائع أبداً إلا وفيها المصابيح تزهر ^(١٠)، ليلاً

(١) هذه الزيادة من ش. والعقرب يذكر ويؤنث، والغالب عليه التأنيث.

(٢) من هذه الكلمة يبتدئ الجزء الخامس من نسخة كوبرلي، حيث أعارض بها وأثبت زياداتها بين معقفين دون أن أنه عليها؛ وأما الزيادات من النسخ الأخرى أو من مقتضيات التركيب فإني أنه على كل منها.

(٣) ل: «إلى القول في النار».

(٤) ه: «المصالح» تحريف. وقد سبق للجاحظ مثل هذا الكلام في (4: 205).

(٥) تسديد اللسان: تقيمه. وفي الأصل: «تسديد» بالشين.

(٦) القربان، بالضم: ما كانوا يتقربون به إلى الله من ذبائح وغيرها، وفي الأصحاح الرابع من سفر التكوين: «أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبقار غنمه ومن سمانها». وكان العرب في جاهليتهم يقدمون القرابين لأصنامهم، وكان لبكر بن وائل صنم يقال له (عوض)، وفيه يقول رشيد بن رميض العنزي:

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركزن لدى سعي

والمائرات: الدماء الجارية. وهو ما تشير إليه آية: «وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ» [المائدة: 3]، واللفظ مشترك في اللغات السامية، فهو في العبرية: (قربان) وبالسريانية (قرباناً) وأصله في العربية مصدر قرب الشيء قرباناً، ونظير هذا الوزن من المصادر العربية: شكران، وغفران، وسلوان.

(٧) المدغل: الذي يدخل في أمره ما يفسده. وفي حديث علي: «ليس المؤمن بالمدغل» ط، ه: «الدغل»، وهو بفتح فكسر: ذو الدغل. وأثبت ما في ش، ل.

(٨) في جميع النسخ ما عدل: «قال الله عز وجل».

(٩) ل: «النيران». وقد سبقت هذه العبارة في (4: 293) وهو إشارة إلى ما ورد في سفر الخروج 29: 41-42: رائحة سرور وقود للرب، محرقة دائماً في أجيالكم»، وإلى ما ورد في هذا السفر أيضاً 1: 30: «وتصنع مذبحاً لا يقاد البخور» و30: 8: «وحين يصعد هارون السرج في العشيرة يوقده بخوراً دائماً أمام الرب في أجيالكم».

(١٠) زهر السراج والقمر والوجه، كمنع، زهوراً: «تألاً». في كل النسخ عدل: «مصابيح».

ونهاراً، حتى نَسَخَ الإسلام ذلك وأمرنا⁽¹⁾ بإطفاء النيران، إلا بقدر الحاجة.

فذكر⁽²⁾ ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير⁽³⁾، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أمرني رسول الله ﷺ فقال⁽⁴⁾: «إِذَا رَقَدْتَ فَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَخَمِّرْ إِنْاءَكَ، وَأُوْك سَقَاءَكَ»⁽⁵⁾، وَأُطْفِئْ مَصْبَاحَكَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ غَلْقاً⁽⁶⁾ وَلَا يَكْشِفُ إِنْاءً، وَلَا يَحُلُّ وِكَاءً. وَإِنَّ الْفَأْرَةَ الْفُؤَيْسِقَةَ⁽⁷⁾ تَحْرُقُ أَهْلَ الْبَيْتِ⁽⁸⁾.

وفطر بن خليفة⁽⁹⁾ عن أبي الزبير؛ عن جابر بن عبد الله، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «أَغْلِقُوا⁽¹⁰⁾ أَبْوَابَكُمْ، وَأُوْكُوا أَسْقِيَتَكُمْ⁽¹¹⁾ وَخَمِّرُوا آتِيَتَكُمْ، وَأُطْفِئُوا سُرُوجَكُمْ⁽¹²⁾»، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ غَلْقاً، وَلَا يَحُلُّ وِكَاءً، وَلَا يَكْشِفُ غِطَاءً. وَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ تَضُرُّمُ الْبَيْتِ عَلَى أَهْلِهِ. وَكُفُّوا مَوَاشِيَكُمْ⁽¹³⁾ وَأَهْلِيَكُمْ حِينَ⁽¹⁴⁾ تَغْرُبُ الشَّمْسُ، حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ⁽¹⁵⁾. قال: ويدل على أنه ﷺ [لم] يأمر بحفظها إلا بقدر⁽¹⁶⁾ الحاجة [إليها]، ويأمر⁽¹⁷⁾

(1) في جميع النسخ عدال: «أمر».

(2) فيما عدال: «ذكر».

(3) هو أبو الزبير المكي محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي. وفي تقريب التهذيب 420 أنه صدوق، إلا أنه يدلّس، من الرابعة، توفي سنة ست وعشرين، أي بعد المائة. وفي التعقيب أنه روى عن جابر، وابن عباس، وعائشة، وعبد الله بن عمر.

(4) فيما عدال: «قال».

(5) ط فقط: «سقاءك»، وقد جاءت مقصورة في سائر النسخ. والسقاء: القرية للماء واللبن.

(6) الغلق، بالتحريك: ما يغلق به الباب. وفيما عدال: «باباً».

(7) الفويسقة: مصغر الفاسقة، سميت بذلك لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها. ط، هـ: «وقال فإن الفويسقة» ش: «فإن الفويسقة». وأثبت ما في ل. وانظر تأويل مختلف الحديث 170-169.

(8) فيما عدال: «تحرق على أهل البيت».

(9) فطر بن خليفة المخزومي، مولا هم، أبو بكر الحناط، بالمهملة والنون، صدوق رمى بالتشيع، مات بعد سنة خمسين ومائة. انظر تهذيب التهذيب (8: 301) والمعارف 301 جوتنجن 268 الصاوي. وفيما عدال: «ذكر ابن خليفة» تحريف. وفي مشارق الأنوار (2: 168 طبع فاس): «وفطر بن خليفة بكسر الفاء وآخره راء. ومن عداه قطن بالقاف والطاء ساكنة والنون».

(10) في عامة النسخ عدال: «اغلقوا». وسيأتي الحديث في 6: 134.

(11) الأسقية: جمع سقاء. ط، ش: «أوْكُوا» تحريف، وأثبت ما في ل، هـ.

(12) السرج، بضمين: جمع سراج. ط، ش: «سراجكم» وأثبت ما في ل، هـ.

(13) الكف: الجمع والضم. فيما عدال: «فراشكم».

(14) كذا على الصواب في ل. وفي سائر النسخ: «حتى».

(15) يقال للظلمة التي بين صلاتي العشاء: الفحمة. ل: «فحمة الليل» وعند ابن الأثير في مادتي (كفت، فحم): «اكفتوا صبيانكم حتى تذهب فحمة العشاء».

(16) ط، ش: «أمر». وفي سائر النسخ عدال: «إلا على قدر الحاجة».

(17) فيما عدال: «ولم يأمر».

بإطفائها إلا عند الاستغناء عنها- ما حدث به عبّاد بن كثير⁽¹⁾ قال: حدّثني الحسن بن ذكّوان⁽²⁾ عن شهر بن حوشب⁽³⁾ قال: «أمر [رسول الله ﷺ] أن تحبسوا صبيانكم عند فحمة العشاء، وأن تُطفئوا المصابيح، وأن توكئوا الأسقية، وأن تخمروا الآنية، وأن تغلقوا الأبواب⁽⁴⁾». قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله، إنه لا بدّ لنا من المصابيح، للمرأة النفساء، وللمريض، وللحاجة تكون. قال: فلا بأس إذا، فإن المصباح⁽⁵⁾ مطرّدة للشيطان، مذبّة للهوام⁽⁶⁾، مدلّة على اللصوص⁽⁷⁾.

(نار الغول)

قال: وناز أخرى، وهي [النار] التي تذكر الأعراب أن الغول تُوقدُها بالليل، للعبث⁽⁸⁾ والتخليل، وإضلال السابلة.

قال أبو المطراب⁽⁹⁾ عبيد بن أيوب العنبري:

فلله در الغول أي رفيقة لصاحب قفر خائف متقتّر⁽¹⁰⁾
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالي نيراناً تبوخ وتزهر⁽¹¹⁾

(1) عباد بن كثير البصري. روى عن أبي أيوب السخيتاني، ويحيى بن أبي كثير، وعمرو بن خالد الواسطي وغيرهم. وروى عنه إبراهيم بن طهمان وأبو خيثمة، وهما من أفرانه، وإسماعيل بن عياش، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي. ط، ش، هـ: «حماد بن بكير» ل: «عباد بن كثير» بنون مكسورة مشدودة بعدها ياء. صوابه ما أثبت.

(2) الحسن بن ذكّوان. أبو سلمة البصري. روى عن عطاء بن أبي رباح، وأبي إسحاق السبيعي، وطاوس، والحسن، وابن سيرين. وعنه ابن المبارك ويحيى القطان، وصفوان بن عيسى وغيرهم. انظر تهذيب التهذيب (2: 276).

(3) هو شهر بن حوشب الأشعري الشامي، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن. صدوق كثير الأوهام والإرسال، من الثالثة. توفي سنة 112، وكان من جلة القراء والمحدثين. وبه يضرب المثل في قولهم: «خريطة شهر»، وذلك أنه دخل بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم؛ فقال فيه القائل - ثمار القلوب 133 -:

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

(4) ل: «أن يحبسوا»، وكذا سائر الأفعال بالغيبة. وفي سائر النسخ بالخطاب.

(5) فيما عدل: «كان».

(6) الهوام: جمع هامة، وهي كل ذات سم يقتل، أو ما يدب من الحيوان كالحشرات. والذب: الطرد. ل: «مذمة» محرف.

(7) مدلة: أي يدل، وهي صيغة معناها الحمل على الشيء. وفي اللسان: «كانت العرب تقول: «الولد مجهلة مجبنة مبخلة»، أي حمل الوالد على الجهل والجبن والبخل. ل: «مدلة» تحريف.

(8) ل: «للعبث». والعبث: الإفساد.

(9) أبو المطراب، آخره باء، كما في ل، وكما سبق في (4: 296) حيث ترجمة عبيد بن أيوب.

(10) المتقتّر: المتنحي عن الناس. وفيما عدل: «ينتشر» محرفة. وفي (4: 296): «متقفر».

(11) أرنت: صوت. تبوخ: تسكن وتفتّر. تزهر، وبابه منع: تضيء وتتألأ. فيما عدل: «تبوح». وما أثبت من ل هو رواية 4: 296.

(جَمَرَاتُ الْعَرَبِ)

قال: وَجَمَرَاتُ الْعَرَبِ: عَبَسٌ، وَضَبَّةٌ، وَنُمَيْرٌ^(١). يقال لكل واحد منهم: جمرة. وقد ذكر أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِي قَوْمَهُ خَاصَّةً فَقَالَ:

وَهُمْ جَمْرَةٌ لَا يَطْطَلِي النَّاسُ نَارَهُمْ تَوَقَّدُ لَا تُطْفَأُ لِرَيْبِ النَّوَائِبِ^(٢)
[ويروى: الدواير^(٣)].

ثم ذكر هذه القبائل فَعَمَّهُمْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا كُلُّهَا مُضَرِّيَّةٌ، فَقَالَ:

لَنَا جَمَرَاتٌ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهُمْ ثَلَاثٌ فَقَدْ جُرِّبَتْ كُلُّ التَّجَارِبِ^(٤)
نُمَيْرٌ وَعَبَسٌ تُتَّقَى صَقَرَاتُهَا^(٥) وَضَبَّةٌ قَوْمٌ بِأَسْهَمٍ غَيْرُ كَاذِبٍ
- [يعني شدتها^(٦)]-.

إِلَى كُلِّ قَوْمٍ قَدْ دَلَفْنَا بِجَمْرَةٍ لَهَا عَارِضٌ جَوْنٌ قَوِيٌّ الْمَنَاكِبِ^(٧)
(سقوط الجمرة)

وعلى ذلك المعنى قيل: قد سَقَطَتِ الْجَمْرَةُ^(٨)، إِذَا كَانَ فِي اسْتِقْبَالِ زَمَانِ الدَّفَاءِ^(٩)، ويقولون^(٩): قد سقطت الجمرة الأولى، والثانية، [والثالثة^(١٠)].

(١) إنما سموا بذلك لأنهم يتوافرون في أنفسهم، ولم يدخلوا معهم غيرهم. والتجمير في كلام العرب: التجميع. وقد اختلف العلماء في تعيين الجمرات. انظر الثعالبي في ثمار القلوب 126 والعمدة 2: 158 وزهر الآداب 20: 1 وجنى الجنتين 36 وشمس العلوم ص 22 والعقد (2: 233-234) والشريشي 1: 298.

(2) فيما عدل ل: «ما يصطلى»، وفيما عدل أيضاً: «لا تطفئ بزيت الرواهب» محرف. وتطفأ مسهل تطفأ، فلذا رسمت بالألف.

(3) كذا في ل.

(4) هذه رواية ل، وفي ش: «ليس للناس مثلها» وفي ط، هـ: «ليس في الناس مثلها» وفي اللسان: «ليس في الأرض مثلها كرام وقد».

(5) الصقرات، بالقاف: جمع صقرة، وهي شدة وقع الشمس وحدة حرها. قال ذو الرمة:

إِذَا ذَابَتِ الشَّمْسُ اتَّقِي صَقَرَاتِهَا بِأَفْنَانِ مَرْبُوعِ الصَّرِيمَةِ مَعْبِلِ

ط، ش: «صقراتها» بالقاف، هـ: «صعراتها» بالعين. صوابهما في ل. وفي اللسان: «نفيانها».

(6) هذا تفسير لكلمة «صقراتها» كما في التنبيه السابق.

(7) العارض: السحاب المعترض في الأفق، والجبل، ومنه عارض اليمامة. شبه الجيش به. والجون: الأسود، كأن ذلك لما علاه من صدأ الحديد. والجون: الأبيض أيضاً لما فيه من بريق السيوف والرماح. هـ، ش: «حزن» ط: «مزن» صوابهما في ل.

(8) الدفاء: مصدر دفئت من البرد، فيما عدل ل: «من الدفاء».

(9) الكلام من «قد سقطت» إلى هنا ساقط من ش.

(10) سقوط الجمرات في شهر «شباط» من الشهور السريانية، ويقابله شهر فبراير من الشهور الرومية. انظر مروج =

(استطراد لغوي)

والجمار: الحصى^(١) [الذي يُرمى به . والرَّمي: التجمير]. قال الشاعر^(٢):
ولم أر كالتجمير منظرَ ناظرٍ ولا كليا لي الحجَّ أَفتنَ ذا هوى^(٣)
والتجمير أيضاً: أن يُرمى بالجُند في ثغر من الثُّغور^(٤)، ثم لا يُؤذَن لهم في الرجوع .
وقال حُميدُ الأرقط^(٥):

فاليومَ لا ظلمَ ولا تثبيرُ ولا لغازٍ إن غَزَا تجميرُ^(٦)
وقال بعضُ مَنْ جُمِرَ من الشعراء في بعض الأجناد^(٧):
مُعَاوِيَ إِمَّا أَنْ تُجَهِّزَ أَهْلَنَا إِيْنَا، وإِذَا أَنْ نَوُوبَ مُعَاوِيَا^(٨)

= الذهب 1: 352-353 في الكلام على الشهور السريانية. فتسقط الأولى في السابع منه، والثانية في الرابع عشر منه، والثالثة في الحادي والعشرين منه. وقد أوضح القزويني تعليل هذه التسمية في عجائب المخلوقات 73 قال: «معنى سقوط الجمرات أن الناس كانوا يتخذون في قديم الزمان أخبية ثلاثة في الشتاء، محيطاً بعضها باليعض. وكانت دوابهم الكبار كالإبل والبقر في البيت الأول، ودوابهم الصغار كالغنم في البيت الثاني، وهم كانوا في البيت الثالث. وكانوا يشعلون جمرات النار في كل بيت، ويتخذون الجمر للاصطلاء. فلما كان السابع من شباط أخرجوا دوابهم الكبار إلى الصحراء وجعلوا الصغار مكانها، وهم سكنوا مكان الصغار، فحينئذ سقطت من الجمرات الثلاث جمرة. فإذا مضى أسبوع آخر أخرجوا الغنم أيضاً إلى الصحراء وهم سكنوا مكانها. فسقطت جمرة أخرى. فإذا مضى أسبوع آخر خرجوا إلى الصحراء وتركوا إشعال النار لقلّة البرد وطيب الهواء. فسقطت الجمرات الثلاث». وهذا التعليل وإن يكن فيه بعض الخيال فإنه يقدم لنا صورة من هذا التعبير المجازي عن تدرج الدفء. وانظر الأزمنة والأمكنة (1: 276).

(1) فيما عدل: «والجمار رمى الحصا». وإنما الجمار الحصى نفسها، الواحدة جمرة. ورمى الجمار من مناسك الحج. ويقال أيضاً للموضع الذي ترمى فيه الجمار: «جمرة» وهن ثلاث جمرات. وانظر تفصيل ذلك في كتب الفقه الإسلامي.

(2) هو عمرو بن أبي ربيعة، والبيت آخر أبيات ستة في ديوانه 128 أولها:

وكم من قتيل لا يباء به دم ومن غلق رهنأ إذا ضمه منى

ومن مالى عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

(3) في اللسان 17: 194 س 21: «أفتنته إفتاناً فهو مفتن، وأفتن الرجل وفتن فهو مفتون: إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله». فيما عدل: «أفتر» بالراء تحريف». وانظر الموشح 203 والأغاني 1: 103 وكامل المبرد 370 ليبسك.

(4) الثغر: موضع المخافة من فروج البلدان، وهو أيضاً الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد. فيما عدل: «من ثغور المسلمين».

(5) حميد الأرقط، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان معاصراً للحجاج. وهو حميد بن مالك بن رباعي بن مخاشن، ينتهي نسبه إلى زيد مناة بن تميم. وسمى الأرقط لآثار كانت بوجهه. الخزائن (2: 454).

(6) التتبير: الإهلاك. ل: «تسير» وأراه محرفاً. هـ: «لغار إن غذا» تصحيف.

(7) الأجناد: جمع جند. والجند: العسكر، والمدينة. وخص به أبو عبيدة مدن الشام، وأجناد الشام خمس كور. ابن سيده: يقال الشام خمسة أجناد: دمشق، وحمص، وقنسرين، والأردن، وفلسطين، يقال لكل مدينة منها جند.

(8) جهاز المسافرين: أعد له ما يحتاج إليه في وجهه. وكذا تجهيز الغازي: إعداد ما يحتاج إليه في غزوه. فيما عدل: «تجمر» محرف.

أَجْمَرْتَنَا تَجْمِيرَ كَسْرَى جُنُودَهُ وَمَنِّيتَنَا حَتَّى مَلِلْنَا الْأَمَانِيَا⁽¹⁾
وقال الجعديُّ:

كَالْخَلَايَا أَنْشَأَ مِنْ أَهْلِ سَابَا طَبَجَنْدٍ مُجَمَّرٍ بِأَوَالٍ⁽²⁾
ويقال [قد] أجمر الرجل: إذا أسرع [أ] وأُعجلَ مركبته.
وقال ليبد:

وَإِذَا حَرَكْتُ غَرَزِي أَجْمَرْتُ أَوْ قِرَابِي، عَدَوُ جَوْنٍ قَدْ أَبْلَ⁽³⁾
وقال الراجز:

أَجْمَرَ إِجْمَارًا لَهُ تَطْمِيمٌ⁽⁴⁾

[التطميم: الارتفاع والعلو]. ويقال: أَجْمَرَ [ثوبه، إذا دخنه]⁽⁵⁾.

والمِجْمرة والمِجمر: الذي يكون فيه الدُّخنة⁽⁶⁾. [وهو مأخوذ من الجَمَر].
ويقال: قد جَمَرَتِ المرأةُ شَعْرَهَا إِذَا ضَفَرَتْه. و[الضَّفَر] يقال له الجمير⁽⁷⁾. [قال]:
ويسمى الهلالُ قبل ليلةِ السَّرارِ⁽⁸⁾ بَلِيلَةٍ: «ابن جَمِير» قال أبو حَرَدَبَةَ⁽⁹⁾:

(1) كسرى هذا، وهو كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وفي أيامه كانت حروب ذي قار، لتمام أربعين من مولد الرسول ﷺ عند البعثة. وجاء في رسالة ابنه شيرويه إليه: «ومنها تجميرك الجنود في غُور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين أهلهم». انظر كامل ابن الأثير 1: 294، فيما عدل: «إجمار كسرى» محرف. ورواية اللسان:

وجمَرْنَا تَجْمِيرَ كَسْرَى جُنُودِهِ وَمَنِّيتَنَا حَتَّى نَسِينَا الْأَمَانِيَا
(2) فيما عدل: «بالخَلَايَا أَتَاكَ». ط: «أهل غرسان» ش، هـ: «غسان» وأوال: جزيرة بناحية البحرين، كما ذكر ياقوت. قال الجعدي فيها أيضاً (اللسان 13: 41-42 وديوانه 227):

مَلِكُ الْخَوَرَنْقِ وَالسَّيْدِيرِ وَدَانِهِ مَا بَيْنَ حَمِيرِ أَهْلِهَا وَأَوَالٍ
فيما عدل: «بأزال». وأزال: اسم مدينة صنعاء. وهو تحريف. وسباط: موضع بالمدائن.
(3) الغرز، بالفتح: هو للجمل مثل الركاب للبلبل، وهو ما يكون مساكاً للرجلين في المركب. هـ، ش: «عودي». والقرباب، بالكسر: غمد السيف. ل: «قراي» هـ: «أوقدت» ش: «أوقرب» صوابه في ط، والديوان 11 واللسان (غرز، جمر) وأخبار مكة للأزرقي 2: 145 والجون: الأبيض، عنى به حمار الوحش وهو يوصف بالبياض. اللسان 16: 255 وأبل: اجتزأ بالرطب عن الماء، يقال: أبل من بابي ضرب وخرج، أبلاً وأبلاً، وأبل كعلم، وتأبَل.

(4) كذا على الصواب في ل. وفي ط، هـ: «أجمرت إجمار الذي يهمهم» وش: «أجمر فاجمار الذي يهمهم». (5) في اللسان: «أجمرت الثوب وجمرته: إذا بخرته بالطيب». (6) الدخنة، بالضم: بخور يدخن به الثياب أو البيت. (7) الضفر، بالفتح: مثل الضفيرة، وهي العقيصه. اللسان (6: 161 س 21). والجمير: ما جمر من الشعر أي ضفر، اللسان (5: 217 س 2).

(8) السرار، بالكسر والفتح: آخر ليلة من الشهر. (9) أبو حردبة، هو أحد لصوص العرب، من بني أثال بن مازن، وكان رفيقاً لمالك بن الربيع، وشظاظ، في أول أيام بني أمية، وانظر أخبارهم في ترجمة مالك بن الربيع، في الأغاني (19: 163-169) وتاريخ الطبري، القسم الثاني ص 179، في الأصل، وهو هنا ل: «ابن حردبة» تحريف.

فهل الإله يُشيعُني بفوارس لبني أمية في سرار جمير⁽¹⁾
وأنشد[ني] الأصمعي:

مَضْفُورُهَا يُطَوَّى عَلَى جَمِيرِهَا⁽²⁾

ويقال: قد تجمّر القوم، إذا هم⁽³⁾ اجتمعوا حتى [يصير] لهم بأس، ويكونوا⁽⁴⁾ كالنار على أعدائهم فكأنهم جمرة، أو⁽⁵⁾ كأنهم جمير من شعر مضفور، أو حبل مُرَّصِ القَوَى⁽⁶⁾.
وبه سميت تلك القبائل والبطون من تميم: الجمار⁽⁷⁾.

والمجمّر مشدّد الميم⁽⁸⁾: حيث يقع حصى الجمار⁽⁹⁾، وقال الهذلي⁽¹⁰⁾:

لأدركهم شُعَثُ النَّوَاصِي كأنهم سوابق حجاج توافي المجرأ⁽¹¹⁾
ويقال خُفَّ مجمّر: إذا كان مجتمعاً شديداً.

ويقال: عدّ فلان إبله أو خيله أو رجاله جَمَراً⁽¹²⁾: إذا كان ذلك جملة واحدة. وقال الأعشى:

[فَمَنْ مُبْلَغٌ وَائِلًا قَوْمَنَا] وَأَعْنِي بِذَلِكَ بَكَراً جَمَراً⁽¹³⁾

قال: ويقال في النار وما يسقط من الرّند: السَّقَط، والسَّقَطُ، [والسَّقَطُ]. ويقال: هذا مَسَقِطُ الرمل، أي مُنْقَطِعُ الرمل⁽¹⁴⁾. ويقال: أتاناً مَسَقِطُ النّجم، إذا جاء حين غاب⁽¹⁵⁾.

(1) أشاعه الشيء: أصبح به إياه.

(2) ل: «يطفو على جميرها». ش: «يطرى على جميرها».

(3) هذه الكلمة ساقطة من ل، هـ.

(4) ط فقط: «ويكونون» محرف.

(5) كذا في ل. وفي سائر النسخ: «فكأنهم جمروا حتى».

(6) القوى: طاقات الجبل. مرصع: معقوداً عقداً مثلثاً متداخلاً، وذلك الترصيع. فيما عدال: «موضع» وهو تحريف.

(7) انظر التنبيه الأول من الصفحة 84.

(8) ل: «مشددة الجيم»، صوابه في سائر النسخ.

(9) ش، هـ: «حصن» ط: «حصا»، صوابه في ل.

(10) هو حذيفة بن أنس الهذلي، كما في اللسان (5: 217) ومعجم البلدان (7: 289) وقد أنشد ابن السكيت بيتاً من هذه القصيدة في الألفاظ 533 وهو:

ألا يافتى ما نازل القوم واحداً بنعمان لم يخلق ضعيفاً مشبهاً

(11) قال التبريزي: «مدح رجلاً من قومه». وقبل هذا البيت، كما في المعجم:

فلو أسمع القوم الصراخ لقوربت مصارعهم بين الدخول وعرعرا

(12) جماراً، بالفتح: أي جماعة، كما ضبط في اللسان والقاموس: «وصرح في الأخير أنه كسحاب. وفي ل:

«جمارا» بالكسر. وفي سائر النسخ: «فأجمر» تصحيف. وفيما عدل أيضاً: «ويقال: عمد إلى إبله وخيله»، وفي ش: «وخيله ورجاله».

(13) فيما عدل: «وأعني بذلك». وصوابه في ل والديوان 43 واللسان (جمر). و«جمار» ضبطت في الديوان، وفي

اللسان بالفتح، وانظر التنبيه السابق. وصدر البيت في الديوان: «فمن مبلغ قومنا مألكا».

(14) المسقط، بكسر القاف، وفتحها لغة نادرة، وإن كانت القياس.

(15) ط فقط: «أتاني»، والضمير في غاب النجم.

ويقال رَفَعَ الطائرُ سِقْطِيَهْ⁽¹⁾ . وقال الشاعر⁽²⁾ :

حتى إذا ما أضاء الصُّبْحُ وانبعثت عنه نعامه ذي سِقْطَيْنِ مُعْتَكِرِ⁽³⁾
أراد ناحيتي الليل⁽⁴⁾ .

ويقال: شَبَّتِ النار والحرب تَشَبَّ شَبًّا، وشَبَّتها أنا أَشَبُّها شَبًّا⁽⁵⁾، وهو رجل شَبُوبٌ⁽⁶⁾ للحرب.

ويقال: حَسَبَ ثاقب، أي مضيء متوقد⁽⁷⁾. وكذلك يقال في العلم. ويقال: هب لي ثقبواً، وهو ما أَثَقَبَتْ به النار⁽⁸⁾، من عُطْبَةٍ أو من غيرها⁽⁹⁾. ويقال: أَثَقَبَ النار إذا فتح عَيْنَهَا⁽¹⁰⁾ لتشتعل. وهو الثَّقُوب، ويقال⁽¹¹⁾ ثَقَبَ الزندُ يَثْقُبُ ثَقُوباً، إذا ظهرت ناره. وكذلك النار. والزند الثاقب الذي إذا قَدَحَ ظهرت النار منه.

ويقال: ذَكَتِ النارُ تَذْكُو ذُكُوءاً، إذا اشتعلت. ويقال ذَكَّها إذا أريد⁽¹²⁾ اشتعالها. وذُكَاءٌ: [اسم] للشمس⁽¹³⁾، مضموم الذال المعجمة، وابن ذُكَاء: الصبح ممدود⁽¹⁴⁾ مضموم الذال. [و] قال العجاج⁽¹⁵⁾:

وابنُ ذُكَاءٍ كامنٌ في كَفْرِ⁽¹⁶⁾

- (1) السقطان، بالكسر: الجناحان. فيما عدل: «وقع الغائب سقطته» صوابه في ل واللسان (9: 192).
- (2) هو الراعي، كما في اللسان (9: 192 س 4).
- (3) عنى بالنعام: سواد الليل. وسقطاه: أوله وآخره. أي مضى الليل ذو السقطين، وصدق الصبح. فيما عدل: «عنا» صوابه في ل واللسان. والمعتكر: الذي اشتد سواده واختلط والتبس. فيما عدل: «منعكر»، صوابه فيها وفي اللسان.
- (4) هنا فيما عدل: «ويروى معتكر».
- (5) ط فقط: «واشْتَبَّها شَبًّا»، وهو نقص وتحريف.
- (6) شبوب: يشبها، ويذكي نارها، فيما عدل: «مشبوب» محرف.
- (7) هـ: «خشب» تصحيف. وفيما عدل: «أي في معنى متوقد» وفيه ركة.
- (8) أَثَقَبَ النار، وثقبها بالتشديد: أشعلها. هـ: «ثَقَب» وهي صحيحة كما رأيت. ش: «الدار» محرف.
- (9) العطية، بالضم: واحدة العطب بضم وبضميتين، وهو القطن، أو خرقة تؤخذ بها النار. ط، هـ: «خطبة» ولم أجد هذا المفرد من الحطب. والحطب: ما يتخذ شبوباً للنار تشعل به. ش: «خطبة» تصحيف، وأثبت ما في ل. وكلمة «من» ساقطة من ل.
- (10) فيما عدل: «فتح عنهما».
- (11) فيما عدل: «ويقال أيضاً».
- (12) ل: «أراد»، ش: «أردت».
- (13) فيما عدل: «الشمس».
- (14) ط، هـ: «مضموم الذال ممدوداً».
- (15) نسبه في اللسان (6: 464) إلى حميد. والبيت في المقصور 44 وثمار القلوب 210 مسبوqاً بـ«قال الراجز» فيهما. وفي المخصص (9: 19) مسبوqاً بكلمة: «وأنشد».
- (16) الكفر، بالفتح: ظلمة الليل وسواده، وقد يكسر. وفي اللسان: «أي فيما يواريه من سواد الليل». ط، هـ: «في كفره» وهو تحريف. وقبله:

فوردت قبل انبلاج الفجر

وقال ثعلبة بن صُعبير المازني . وذكر ظليماً ونعامة :

فَتَذَكَّرًا ثَقِيلاً رَثِيْدًا بَعْدَ مَا أَلْقَتْ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ ⁽¹⁾

وأما الذكاء مفتوح الذال ممدود فحدة الفؤاد، وسُرعة اللقن ⁽²⁾

وقالوا: أَضْرَمْتُ النارَ حتى اضْطَرَمْتُ وألْهَبْتُهَا حتى التَهِبَتْ، وهما واحد. والضَّرام من الحطب: ما ضَعُف منه ولان. والجَزُل: ما غُلِظ واشتَدَّ. فالرَّمْثُ ⁽³⁾ وما فوقه جَزُل. والعَرَفَج وما دونه ضرام. والقصب ⁽⁴⁾ وكل شيء ليس له جمرٌ فهو ضرام. وكل ما له جمر فهو جَزُل.

ويقال: ما فيها نافخ ضَرَمَة، أي ما فيها أحدٌ ينفخ ناراً.

ويقال: صَلَّيْتُ الشاةَ فأنا أَصْلِيهَا صَلِيًّا إِذَا شَوَيْتَهَا، فهي مَصْلِيَّة. ويقالُ صَلَّى الرَّجُلُ النارَ يَصْلَاهَا ⁽⁵⁾، وأَصْلَاهُ اللَّهُ حَرَّ النارِ إِصْلَاءً. وتقول: هو صَالٍ حَرَّ النارِ، في قومٍ صَالِينَ وَصُلَّى ⁽⁶⁾.

ويقال: هَمَدَتِ النارَ تَهْمِدُ هُمُوداً، وَطَفِئَتْ تَطْفِئُ طُفُوءاً ⁽⁷⁾ إِذَا مَاتَتْ. وَحَمَدَتْ تَحْمَدُ حُمُوداً إِذَا سَكَنَ لَهْبُهَا وَبَقِيَ جَمراً ⁽⁸⁾ حارّاً.

وَسَبَّتِ [النارَ] تَسِبُّ شُبُوباً إِذَا هَاجَتْ وَالتَّهِبَتْ ⁽⁹⁾، وَشَبَّ الْفَرَسُ بِيَدَيْهِ فَهُوَ يَشَبُّ شِبَاباً ⁽¹⁰⁾، وَشَبَّ الصَّبِيُّ يَشَبُّ شِبَاباً ⁽¹¹⁾. ويقال: ليس لك عَضَاضٌ وَلَا شَبَابٌ ⁽¹²⁾.

(1) ضمير «فتذكرا» للنعامة والظليم، والثقل، ههنا: البيض. الرثيد: المنضود بعضه فوق بعض. وهو مما خالف فيه ثعلبة الشعراء، فهم يذكرون أن النعامة تضع بيضها طويلاً وعرضاً على خط وسط. انظر الحيوان (4: 191)، وعيون الأخبار (2: 87-88). والكافر: الليل، لأنه يكفر الأشياء أي يسترها. وانظر لهذا البيت المخصص (9: 19 و 17: 9) والأُمالي (2: 145)، وزهر الآداب (4: 115): وإعجاز القرآن 200، والشعراء 55، والمقصود 44، والمفضليات 130 واللسان 6: 463 و 18: 314 هـ: «ريدا» ش: «رشيدا» تصحيف.

(2) ل: «ممدود مفتوح الذال». واللقن، بفتح اللام وسكون القاف: مصدر لقن الشيء يلقنه: أسرع في فهمه.

(3) الرمث، بالكسر: شجر يشبه الغصن. هـ: «كالرثم» ش: «كالرثم» محرفان.

(4) القصب، هو القصب الفارسي. ط، هـ: «الصب»، وهو بفتح فكسر: ضرب من الشعير، ويبدو أن صوابه ما أثبت من ل. والكلام من هذه إلى كلمة «ضرام» ساقط من ش.

(5) ط، ش: «فهو يصلها».

(6) فيما عدا ل: «صال وصلاة». تحريف.

(7) ط، هـ: «طفوا» بالتسهيل. وأثبت ما في ل، ش.

(8) فيما عدا ل: «وبقي جمرها»، وخمد، بابه نصر وسمع.

(9) ل، ش: «إذا هيجت»، وفي ل: «وألهمت» من الإلهاب.

(10) الشباب، بالكسر، ومثله الشبيب والشبوب، وهو أن يرفع يديه جميعاً كأنه يشب ل: «شبيباً» وهي صحيحة.

(11) الشباب، ههنا، بالفتح. وهذه الفقرة ساقطة من ل.

(12) أي فرس يعض أو يشب، وفيما عدا ل: «غضاض» بالغين المعجمة.

ويقال: عَشَا^(١) إلى النار [فهو] يعيش إليها عَشَوًا وَعُشَوًا، وذلك يكون من أول الليل، يرى ناراً فيعيشو إليها يستضيء بها. قال الحطيئة:

مَتَى نَأْتِيهِ تَعُشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مُوقِدٍ^(٢)

ويقال: عَشِيَ الرجل يَعْشَى عَشَاوَةً، وهو رجلٌ أَعشى، وهو الذي [لا] يبصر بالليل. وعَشِيَ الرجلُ عَلَى صاحبه يَعْشَى عَشَاً شديداً^(٣).

(نار الحرب)

ويذكرون ناراً أخرى، وهي على طريق المثل لا على طريق الحقيقة، كقولهم في نار الحرب^(٤). قال ابن مَيَّادة:

يَدَاهُ يَدٌ تَنْهَلُ بِالْخَيْرِ وَالنَّدَا وَأُخْرَى شَدِيدٌ بِالْأَعَادِي ضَرِيرُهَا^(٥)

وناراهُ: نَارٌ نَارٌ كُلُّ مُدْفَعٍ وَأُخْرَى يُصِيبُ الْمَجْرِمِينَ سَعِيرُهَا^(٦)

وقال ابن كُنَّاسَةَ^(٧):

خَلَفَهَا عَارِضٌ يَمُدُّ عَلَى الْآ فَاكِ سِتْرَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَنَارٍ^(٨)

نَارُ حَرْبٍ يُشَبُّهَا الْحَدُّ وَالْجَبُّ دٌ وَتُعْشَى نَوَافِذُ الْأَبْصَارِ^(٩)

(١) كذا على الصواب في ش. وفي سائر النسخ: «عشى»، والحق أن فيها لغتان: عشا يعيشو، وعشى يعيشي، الثانية من باب فرح.

(٢) من قصيدة له في ديوانه 21-25، وبعد هذا البيت في ل زيادة: «وقال الأعشى: وبات على النار الندى والمحلوق»، ولم أجد لها وجهاً.

(٣) في القاموس: «عشى عليه عشا، كرضى: ظلمه». وفي اللسان: «عشى عليه عشى: ظلمه» فرسم المصدر بالياء، ووجهه بالألف، لأن أصله الواو، كالرضا.

(٤) هي غير نار الحرب الحقيقية التي سبق حديث الجاحظ عنها في 4: 290-291.

(٥) ط، هـ: «بالغيث». والضرير، بالضاد المعجمة: الشدة، وبه فسر قوله:

بمنسحة الأباط طاح انتقالها بأطراقها والعيس باق ضريرها

ط، ش: «ضريرها» بالمهملة، صوابه في ل، هـ.

(٦) الكل، بالفتح: من يعوله غيره، أو اليتيم. المدفع، بتشديد الفاء المفتوحة: الفقير الذليل، لأن كلا يدفعه عن نفسه.

(٧) هو محمد بن كناسة. واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي، شاعر من شعراء الدولة العباسية، كوفي المولد والنشأة، قد حمل عنه شيء من الحديث، وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خاله. وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها: دنانير، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر. وله مؤلفات منها: «كتاب سرقات الكميث من القرآن». ولد سنة 123 وتوفي سنة 207، انظر ابن النديم 105 مصر 70 ليبسك، والورقة لابن الجراح 81-83 والأغاني (105-110). ط، هـ: «ابن كنانة» صوابه في ل، ش.

(٨) العارض، السحاب يعترض في الأفق، أراد به الجيش. ل: «ستران».

(٩) الحد، بفتح المهملة: الحدة والبأس. فيما عدل: «الحر» محرف. النوافذ: النافذات الحديدات النظر. تعشى البصر: تضعفه. ط: «تعشى» ل: «يعشى» صوابه في ش، هـ.

وقال الرَّاعي :

وغازتُنَا أودتْ ببَهْرَاءَ، إنها
وكانتْ لنا نارانِ : نارٌ بجاسم
جاسم : بالشام . ودمخُ جَبَلٍ بالعالية^(٣) .
تصيبُ الصريحَ مرَّةً والمواليا^(١)
ونارٌ بدمخٍ يُحرقانِ الأعاديَا^(٢)

(نار القرى)

ونار أخرى، وهي مذكورة على الحقيقة لا على المثل، وهي من أعظم مفاخر العرب، وهي [النار] التي تُرفع للسفر^(٤)، ولمن يلتمس القرى فكلما^(٥) كان موضعها أرفع كان أفخر. [و] قال أمية بن [أبي] الصلت :

لا الغياباتُ مُنتواكَ ولكن
وقال الطائي^(٧) :

وبَوأتْ بَيْتَكَ في مَعلَم
رَفِيعَ المَبَاءَةِ والمَسْرَحِ^(٨)
كَفَيْتِ العُفَاةَ طَلابَ القَرَى
وَنَبَحَ الكَلابِ لِمُسْتَنْبِحِ^(٩)
تَرى دَعَسَ آثارِ تِلْكَ المَطِ
يِ أَخادِيدَ كَاللِّقْمِ الأَفِيحِ^(١٠)

- (١) بهراء : قبيلة . فيما عدل : «بيداء» محرف . الصريح : الخالص النسب .
- (٢) جاسم : قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . ودمخ : جبل كان به يوم من أيامهم فيما عدل : «بمرخ» محرف .
- (٣) أي عالية نجد . فيما عدل : «ومرخ بالعالية» تحريف .
- (٤) السفر ، بالفتح : المسافرون .
- (٥) فيما عدل : «فكل ما» مفصولة . والوجه الوصل .
- (٦) الغياية : ما انهبط من الأرض . ط ، هـ : «القبابات» ش : «القبابيات»، صوابه في ل . والمنتوي : الموضع ينتويه القوم حين يتحولون من مكان إلى مكان . والذرى : الأعالي . والثواء : الإقامة ، قصره للشعر . فيما عدل : «ذرا كا» ، وقد سبق البيت محرفاً في (١ : 260) .
- (٧) ل : «الكناني» . ولعل صوابهما «العماني» ، فإن له قصيدة في هذا الوزن والروى يمدح بها عبد الملك بن صالح الهاشمي ، وأنشد منها أبو الفرج في الأغاني (١٧ : 81 ساسي) بيتين ، هما :

نمته العرانيين من هاشم
إلى نبعة فرعها في السماء
ومغرسها سررة الأبطح
إلى النسب الأوضح الأصرح

- (٨) المباءة : المنزل . وفي (١ : 259) : «رحيب المباءة» .
- (٩) العفاة : جمع عاف ، وهو من يطلب المعروف . فيما عدل : «ضياء القدور» وفي أصل الجزء الأول : «كلاب الضرام» محرفاً . والمستنبح : الذي ينبح لترد عليه الكلاب بنباحها ، فيستدل على أهل المنزل . يقول : كفيتهم ذلك باختيارك هذا المنزل العالي .
- (١٠) الدعس : أثر الوطء . والأخدود : الشق الغامض المستطيل . واللقم ، بالتحريك : وسط الطريق . والأفيح : الواسع . أراد : آثار مطايا الذين يقصدونه للمعروف .

- ولو كنت في نَفَقٍ رَائِعٍ لَكُنْتَ عَلَى الشَّرَكِ الْأَوْضَحِ⁽¹⁾
 وأنشدني أبو الزُّبَيْرِ، قال⁽²⁾:
 لَهُ نَارٌ تُشَبُّ بِكُلِّ رِيحٍ إِذَا الظُّلُمَاءُ جَلَلَتْ الْبَقَاعَا⁽³⁾
 وما إن كان أَكْثَرَهُمْ سَوَامَاً ولكن كان أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا⁽⁴⁾
 [ويروى: «وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفِتْيَانِ مَالَا»].
 وفي نار القَرَى يقول الآخر:
 عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ وَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ تُبَكِّي الْبَوَاكِي أَوْ لِبَشْرِ بْنِ عَامِرٍ
 غَلَامَانِ كَانَ اسْتَوْرَدَا كُلَّ مَوْرِدٍ مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ اسْتَوْسَعَا فِي الْمَصَادِرِ⁽⁵⁾
 كَأَنَّ سَنَا نَارِيَهُمَا كُلَّ شَتْوَةٍ سَنَا الْفَجْرِ يَبْدُو لِلْعُيُونِ النَّوَاطِرِ
 وفي ذلك يقول عوفُ بن الأَحْوَصِ⁽⁶⁾:
 وَمُسْتَنْبِحٌ يَخْشَى الْقَوَاءَ وَدُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ بَابَا ظَلَمَةً وَسُتُورَهَا⁽⁷⁾
 رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا رَجَرْتُ كِلَابِي أَنْ يَهْرَ عَقُورَهَا⁽⁸⁾
 فَلَا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي عَنْ خَلِيقَتِي إِذَا رَدَّ عَافِي الْقِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا⁽⁹⁾
 تَرَى أَنْ قِدْرِي لَا تَزَالُ كَأَنَّهَا لِذِي الْفُرُوةِ الْمَقْرُورِ أَمْ يَزُورُهَا⁽¹⁰⁾

- (1) النفق: السرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر. رائغ: مائل. ط، ش: «رائع» بالمهملة محرف. وفي هـ، والجزء الأول: «رائغ» وهو بمعنى ما أثبت من ل. والشرك: وسط الطريق. يقول: لو اضطررت إلى ذلك ما اخترته إلا حيث يطرق الناس.
- (2) ط، ش: «وأنشد أبو الزبرقان» فقط، وأثبت ما في هـ. وانظر البيان (1: 88). والبيتان اختارهما أبو تمام في الحماسة (2: 268-269) منسوبين إلى أبي زياد الأعرابي الكلابي.
- (3) الريح، بالكسر: المكان المرتفع. ورواية الحماسة: «على يفاع» ل: «ريح» ش: «ربع» وأثبت ما في ط، هـ. جللت: غطت. ط: «القناعات»، ش: «الصناعات» صوابه في ل، هـ. وفي الحماسة:
- «إِذَا النِّيرانُ أَلْبَسَتْ الْقِنَاعَا»
- (4) السوام: الإبل الراحية.
- (5) ط: «استوثقا» ش، هـ: «استوسقا»، ط، ش: «بالمصادر».
- (6) عوف بن الأحوص: هو عوف بن ربيعة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. والأحوص لقب أبيه. وتقدمت ترجمة عوف في (2: 5)، والأبيات من قصيدة له في المفضليات 176-178، ط: «عبيد بن الأبرص» ش، هـ: «عبيد بن الأحوص»، صوابه ما أثبت من ل.
- (7) القواء: الخالي من الأرض، أي يخشى أن يهلك فيه. فيما عدل: «العداة»، صوابه في ل والمفضليات.
- (8) ط، هـ: «نارا» وأثبت ما في ل، ش والمفضليات.
- (9) ط، هـ: «فلا تسألني واسألني» وأثبت ما في ل، ش والمفضليات. عافي القدر، قال الأصمعي: كانوا في الجذب إذا استعار أحدهم قدراً رد فيها شيئاً من طيبخ، فالعافي ما يبقونه.
- (10) ذو الفروة: السائل المستجدي. وفروته: جعبته التي يضع فيها ما يعطى. المقرور: الذي اشتد به البرد. ط، ش: «الفرث» هـ: «الفرث» صوابه في ل والمفضليات. ل: «المفرور» هـ: «المغرور» صوابه في ط، ش والمفضليات.

مَبْرَزَةٌ لَا يُجْعَلُ السَّتْرُ دُونَهَا إِذَا أُخِمَدَ النِّيرَانُ لَاحَ بِشِيرُهَا⁽¹⁾
 إِذَا الشَّوْلُ رَاحَتْ ثُمَّ لَمْ تَفِدْ لَحْمَهَا بِأَلْبَانِهَا ذَاقَ السَّنَانُ عَقِيرُهَا⁽²⁾

(خبر وشعر في الماء)

⁽³⁾ أما إن ذكرنا جملةً من القول في الماء⁽⁴⁾ من طريق الكلام وما يدخل في الطب، فسنذكر من ذلك جملةً في باب آخر:

قالوا: مدَّ الشعبي⁽⁵⁾ يده وهو على مائدة قتيبة بن مسلم⁽⁶⁾ يلمس الشراب، فلم يذر صاحب الشراب اللبن، أم العسل، أم بعض الأشرية؟ فقال له: أي الأشرية أحب إليك؟ قال: أعزها مفقوداً، وأهونهاً موجوداً! قال قتيبة: استقه ماءً⁽⁷⁾.

وكان أبو العتاهية في جماعة من الشعراء عند بعض الملوك، إذ شرب رجلٌ منهم ماء، ثم قال: «بَرَدَ الماءُ وطابَ»! فقال أبو العتاهية: اجعله شِعْراً⁽⁸⁾. ثم قال: مَنْ يُجِيزُ هذا البيت؟ فأطرق القومُ مفكرين، فقال أبو العتاهية: سبحان الله! وما هذا الإطراق؟! ثم قال:

بَرَدَ الْمَاءُ وَطَابَا حَبَّذا الْمَاءُ شَرَابَا
 وقال الله عز وجل: ﴿أَنْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾⁽⁹⁾ ثم لم يذكره بأكثر من السلامة من التغير؛ إذ كان الماء متى كان خالصاً سالماً لم يحتج إلى أن يُشربَ بشيءٍ غير ما في خلقته من الصفاء والغذوبة، والبرد والطيب، والحسن، والسلس في الحلق. وقد قال عدِيُّ بن زيد⁽¹⁰⁾:

(1) مبرزة: ظاهرة بارزة، يعني النار، فيما عدل: «مبرزة» صوابه في ل والمفضليات. و«الستر» هي في ش، ط: «الشر» وفي هـ: «السر» صوابه في ل والمفضليات وفيما عدل: «خدم» بشيرها: ضوءها يبشر الناظر إليه ويستدل به على الخير.

(2) الشول: الإبل التي شولت ألبانها، أي ارتفعت. راحت: رجعت من المرعى. يقول: إذا راحت ولم يكن بها لبن عقرتها. فيما عدل: «لم يند» و«إن السنان» وما أثبت من ل هو رواية المفضليات.

(3) الكلام من هنا إلى ص 101 س 4 ساقط من نسخة كوبريلي، المرموز إليها بالحرف ل.

(4) في الأصل: «النار»، وسياق الكلام يقتضي ما أثبت.

(5) هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري. وكان من كبار الحفاظ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز. ولد بالكوفة سنة 19 وتوفي بها سنة 103 ونسبته إلى «شعب» بالفتح، وهو بطن من همدان.

(6) سبقت ترجمته مع ولده سلم بن قتيبة في (3: 240).

(7) روى هذا في عيون الأخبار (2: 200) مع اختصار. وفيها أيضاً: «سلم بن قتيبة» بدل «قتيبة بن مسلم».

(8) يصح أن تقرأ بضبط الأمر، وبضبط المضارع أيضاً.

(9) في الأصل: «وأنهار من ماء غير آسن» بزيادة الواو؛ وهو من شنيع التحريف. انظر (4: 4، 89) وص 22 من هذا الجزء والآية: ﴿مَثَلُ الْمَتَةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرُ مِنْ حَمْرٍ لَذَوٍ لِلْكَافِرِينَ﴾ والآسن: المتغير.

(10) هو عدي بن زيد العبدي، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية، وكان نصرانياً، وكذلك كان أبوه وأمه وأهله. وأخباره مسهبة في الأغاني (2: 17-40 ساسي). ط: «علي بن زيد» صوابه في ش، هـ.

- لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرْقٌ كُنْتُ كَالْعَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي⁽¹⁾
 قال أبو المطراب⁽²⁾ عبيد بن أُيُوب العنبريُّ :
 وَأَوَّلُ حُبِّهِ الْمَاءِ حُبُّ نُرَابِهِ وَأَوَّلُ حُبِّهِ النَّجْلِ حُبُّ الْحَلَالِ⁽³⁾
 وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ⁽⁴⁾ ابنته ليلةً زفافها بوصايا، فكان مما قال لها : « أَحْذَرِي مَوَاقِعَ أَنْفِهِ⁽⁵⁾ ، وَاغْتَسَلِي بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ⁽⁶⁾ ، حَتَّى كَأَنَّكَ شَنْ مَمْطُور⁽⁷⁾ ! » .
 وَأَوْصَتْ امْرَأَةٌ ابْنَتَهَا بِوَصَايَا، فَكَانَ مِنْهَا : « وَلَيْكُنْ أَطِيبَ طِيبِكَ الْمَاءِ » .
 وَزَعَمُوا أَنَّهَا الْقَائِلَةُ لِبْنَتِهَا⁽⁸⁾ :
 بُنَيَّتِي إِنْ نَامَ نَامِي قَبْلَهُ⁽⁹⁾ وَأَكْرَمِي تَابِعَهُ وَأَهْلَهُ
 وَلَا تَكُونِي فِي الْخِصَامِ مِثْلَهُ فَتَخْصِمِيهِ فَتَكُونِي بَعْلَهُ⁽¹⁰⁾
 وَمِنَ الْأَمْثَالِ :
 فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى ذِكْرِهَا كَالْقَابِضِ الْمَاءِ بِالْيَدِ⁽¹¹⁾
 وَأَخَذَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى مَاءً ، وَفِي يَدِهِ الْيُسْرَى خُبْزًا فَقَالَ : « هَذَا أَبِي ، وَهَذَا أُمِّي⁽¹²⁾ » ، فَجَعَلَ الْمَاءَ أَبًا ؛ لِأَنَّ الْمَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يَقُومُ مَقَامَ النُّطْفَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ .
 وَإِذَا طُبَخَ الْمَاءُ ثُمَّ بَرَدَ لَمْ تَلْقَحْ عَلَيْهِ الْأَشْجَارُ ، وَكَذَلِكَ قُضْبَانُ الشَّجَرِ⁽¹³⁾ . وَالْحُبُوبُ
-
- (1) الاعتصار : أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلاً قليلاً . والبيت من أبيات ذكرها أبو الفرج في الأغاني (24 : 2) أولها :
 أَبْلُغِ النِّعْمَانَ عَنِّي مَالِكَا أَنَّنِي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتَظَارِي
 (2) ط : « أبو المطراد » ش ، هـ : « أبو المطران » . وانظر التنبيه التاسع ص 83 .
 (3) النجل : الولد . والحلال : جمع حليلة ، وهي الزوج . والبيت في المستطرف (218 : 2) ، وعجزه فيه : « وأول خبث القوم خبث المناكح » .
 (4) هو الفرافصة الكلبي ، يوصى ابنته نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو ، حين جهزها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، انظر الوصية بتمامها في الأغاني (67 : 15) وعيون الأخبار (4 : 76) ، والنصف فيهما : حتى يكون ريحك ريح شن أصابه المطر .
 (5) أي حيث يشم .
 (6) القراح ، بالفتح : الماء الخالص .
 (7) الشن ، بالفتح : القرية الخلق ، والممطور : الذي أصابه المطر .
 (8) ش : « لابنتها » .
 (9) في الأصل : « بني إن نام فنامي قبله » .
 (10) خصمه يخصمه : غلبه في الجدال ، ولصاحب القاموس في هذه الصيغة بحث ممتع .
 (11) مثله قول المجنون :
 فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَقَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَانَتِهِ فَرُوحَ الْأَصَابِعِ
 (12) النص في إنجيل متى (26 : 26-28) : « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ ، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمي » .
 (13) في الأصل : « الشجرة » .

والبذور⁽¹⁾ لو طُبِخت طبخةً ثم بُدِرَتْ لم تَعْلَق⁽²⁾. وقالوا في النظر إلى الماء الدائم الجريان⁽³⁾ ما قالوا.

وجاء في الأثر: من كان به برصٌ قديمٌ فليأخذ دِرْهَمًا حلالاً، فليشتر به عَسلاً، ثم يَشْرِبُهُ بماء سماء؛ فإنه يبرأ بإذن الله.

والنزيف⁽⁴⁾ هو الماء عند العرب.

وما ظنكم بشرابٍ خَبُثَ ومَلَحَ فصار مِلْحاً زُعافاً⁽⁵⁾، وبحراً أجاجاً⁽⁶⁾، ولَدَ العنبر الوَرْدُ⁽⁷⁾، وأنسل الدَّرّ النفيس⁽⁸⁾ فهل سمعتَ بنجلٍ أكرمَ ممن نجله، ومن نتاجٍ أشرفَ ممن نسله⁽⁹⁾.

[و⁽¹⁰⁾] ما أحسن ما قال أبو عباد كاتبُ ابن أبي خالد⁽¹¹⁾ حيث يقول: ما جلس بين يدي رجلٍ قط، إلا تمثّل لي أني سأجلسُ بين يديه. وما سرّني دهرٌ قط، إلا شغلني عنه تذكُّر ما يليق بالدهور من الغير⁽¹²⁾.

قال الله عز وجل: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾⁽¹³⁾. لأن الزجاجَ أكثر ما يُمدحُ به أن يقال: كأنه الماء في الفياض.

وقال الله عز وجل: ﴿هَذَا عَذَابٌ فُرَاتٌ سَافِعٌ شَرَابُهُ﴾ [فاطر: 12].

- (1) ش، هـ: «والبزور» بالزاي. وهما سيان، يقال: بذر، وبزر.
- (2) هو من قولهم: علقت المرأة: حملت. وقد تكون: «تفلق» من الفلق.
- (3) ط: «الجاري». ش: «الجريان» وهذه محرفة. وهو يشير إلى نحو ما جاء في الأثر: «ثلاثة يذهبن الحزن: الماء، والخضرة، والوجه الحسن».
- (4) الذي في المعاجم أن «النزفة» القليل من الماء، جمعها نزف، كغرفة وغرف. هـ: «التريف» محرفة.
- (5) الزعاق، بالضم، وآخره قاف: الشديد الملوحة. هـ: «زعافاً» بالفاء تحريف، وإنما تصلح وصفاً للسم، يقال: سم زعاف: أي سريع القتل.
- (6) البحر: الماء العظيم المالح. والأجاج، بضم أوله وفتح ثانيه: الشديد الملوحة المحرق من ملوحته.
- (7) العنبر: ضرب من الطيب، قال داود: «الصحيح أنه عيون بقعر البحر تقذف (مادة) دهنية، فإذا فارت على وجه الماء جمدت فيلقبها البحر إلى الساحل، وقيل: هو طل يقع على البحر ثم يجتمع، وقيل: روث لسمك مخصوص. وهذه خرافة، لأن السمك يبلعه فيموت فيطفو فيوجد في أجوافه» هذا زعمه. والورد: ما كان ذا لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة.
- (8) أنسل: ولد. والدَر: جمع درة، وهي اللؤلؤة العظيمة. واللؤلؤ يؤخذ من بعض السمك ذي الأصداف. في الأصل: «فأنسل» بالفاء.
- (9) نجله، ونسله: ولده. وفي الأصل: «من نجله»، و: «من نسله».
- (10) ليست بالأصل.
- (11) انظر ترجمة أبي عباد في (2: 109). والخبر في البيان (1: 408) مقتضباً.
- (12) لاق به: علق به. والغير بفتح وكسر: أحوال الدهر المتغيرة. قال ابن الأنباري: «يجوز أن يكون جمعاً واحده غير». انظر اللسان.
- (13) الصرح: القصر. وكان سليمان قد بنى لبلقيس قصراً من الزجاج، ثم أرسل الماء تحته وألقى فيه السمك وغيره. وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاماً لأمره، وتحققاً لنبوته. انظر تفسير الفخر (6: 411).

وقال القُطامي:

وَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي

وقال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [التور: 45].

فيقال: إنه ليس شيء إلا وفيه ماء، أو قد أصابه ماء، أو خلق من ماء. والنُطفة ماء، والماء يسمى نُطفة. و[قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾⁽¹⁾]. قال ابن عباس: موج مكفوف⁽²⁾.

وقال عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾⁽³⁾.

(التسمية بماء السماء)

وحين اجتهدوا في تسمية امرأة بالجمال، والبركة، والحسن. والصفاء، والبياض قالوا: ماء السماء⁽⁴⁾. وقالوا: المنذر بن ماء السماء.

(استطراد لغوي)

ويقال: صَبَغَ له ماء، ولوّن له ماء، وفلان ليس في وجهه ماء، ورَدَنِي فلانٌ ووجهي بمائه. قال الشاعر:

مَاءُ الْحَيَاءِ يَجُولُ فِي وَجَنَاتِهِ

(شعر في صفة الماء)

وقالت أم فروة⁽⁵⁾ في صفة الماء:

وَمَا مَاءٌ مُزْنٌ أَيْ مَاءٌ تَقُولُهُ تَحْدَرُ مِنْ غُرِّ طَوَالِ الدَّوَائِبِ

(1) هذا الإكمال من ش.

(2) لعله من قولهم: كف الإناء: ملأه ملئاً مفرطاً.

(3) في الأصل: «وأنزلنا» وهو تحريف قبيح. انظر القراءات الواردة في سورة ق في (تحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر) ص 398، وكذا (القراءات الشاذة لابن خالويه) ص 144.

(4) به لقب أم المنذر بن امرئ القيس بن عدي بن ربيعة بن نصر اللخمي، وهي ابنة عوف بن جشم، من النمر بن قاسط. وسميت بذلك لجمالها، وقيل لولدها: بنو ماء السماء، وهم ملوك العراق. وماء السماء لقب أيضاً لعامر بن حارثة الأزدي، وهو أبو عمرو مزيقياء، الذي خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم، فسمي بذلك، لأنه كان إذا أجذب قومه مانهم حتى يأتيهم الخصب، وقيل لولده بنو ماء السماء، وهم ملوك الشام. وماء السماء أيضاً: لقب العرب عامة، لأنهم كانوا يتتبعون قطر السماء، فينزلون حيث كان وفي حديث أبي هريرة: «أمكم هاجر، يابني ماء السماء»، يريد العرب. انظر اللسان (443: 18) وثمار القلوب 446.

(5) انظر الحيوان (29: 3). والأبيات مروية هناك مع بعض الخلاف.

بِمَنْعَرَجٍ أَوْ بَطْنٍ وَإِ تَحَدَّبْتُ عَلَيْهِ رِيَا حُ الْمَزْنِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(١)
 نَفَى نَسَمَ الرِّيحِ الْقَذَى عَنْ مُتُونِهِ فَمَا إِنْ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِشَارِبٍ^(٢)
 بِأَطْيَبِ مِمَّنْ يَقْضُرُ الطَّرْفَ دُونَهُ تُقَى اللَّهُ وَاسْتَحْيَاءُ بَعْضِ الْعَوَاقِبِ

(ما يحبه الحيوان من الماء)

والإبل^(٣) لا تحبُّ من الماء إلا الغليظَ . والحوافرُ لا تحبُّ العذوبة^(٤) وتكره الماء الصافي ، حتى ربَّما ضَرَبَ الفرسُ بيده الشريعة^(٥) لِيَتَوَرَّ الماءَ ثُمَّ يَشْرَبَهُ .
 والبقرة تعافُ الماءَ الكدِرَ ، ولا تشرب إلا الصافي . والظباء تَكَرَّعَ في ماء البحرِ الأجاجِ ، وتخصِّمُ الحنظلَ .

(استطراء لغوي)

والأبيضان : الماء واللبن . والأسودان : الماء ، والتمر .
 وسواد العراق : ماؤه الكثير . والماء إن كان له عُمُقُ اشتدَّ سوادهُ في العين .

(شعر في صفة الماء)

وقال العُكَلِيُّ في صفة الماء :

عَادَهُ مِنْ ذِكْرِ سَلَمَى عَوْدُهُ^(٦) وَاللَّيْلُ دَاخٍ مَطْلَخِمْ أَسْوَدُهُ^(٧)
 فَبْتُ لَيْلِي سَاهراً مَا أَرْقُدُهُ حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ تَوَلَّى كَبِدُهُ^(٨)
 وَانْكَبَ لِلْغُورِ انْكِبَاباً فَرَّقْدُهُ^(٩) وَحُثَّهُ حَادٍ كَمِيشٍ يَطْرُدُهُ^(١٠)

- (١) تحدبت : تعطفت ، كما تتحدب الأم على ولدها . وفي الجزء الثالث : «تحدرت» .
- (٢) القذى : ما يقع في الماء من تراب أو تبن أو وسخ . والمتون : جمع متن ، أراد صفحته .
- (٣) في الأصل : «فالإبل» .
- (٤) في الأصل : «والحوافر تحب العذوبة» .
- (٥) الشريعة : مورد الماء ، يشرع فيه الحيوان .
- (٦) البيت مخروم بنقص حرفين . ويتم بأن يكون : «قد عاده» ، أو «عاوده» .
- (٧) مطلقم : مظلم متراكب .
- (٨) كبد الشيء : معظمه ، ووسطه .
- (٩) الغور ، أراد به الغروب . والفرقد ، أراد بن الفرقدين ، وهما كوكبان قريبان من القطب . وفي اللسان : «وربما قالت العرب لهما : الفرقد . قال لبيد :

خَالَفَ الْفَرْقَدَ شَرْباً فِي الْهُدَى خُلَّةً بَاقِيَةً دُونَ الْخُلَلِ

وفي ديوان لبيد ص 12 : «شركا في السرى» .

- (١٠) ضمير «حُثَّهُ» الفرقد ، أو الليل . والكميش : السريع الجاد في السوق ، وقد عنى بالحادي هنا الصبح .

- أَغْرُ أَجْلَى مُغْرَبٍ مُجَرَّدُهُ (1) أَصْبَحَ بِالْقَلْبِ جَوَى مَا يَبْرُدُهُ (2)
 ماء غمام في الرِّصاف مَقْلِدُهُ (3) زَلَّ بِهِ عَنْ رَأْسٍ نَيْقٍ صَدَدُهُ (4)
 عَنْ ظَهْرٍ صَفْوَانٍ مَزَلَّ مَجْسَدُهُ (5) حَتَّى إِذَا السَّيْلُ تَنَاهَى مَدَدُهُ (6)
 وَشَكَّدَ الْمَاءَ الَّذِي يَشْكُدُهُ (7) بَيْنَ نُعَامِي وَدُبُورٍ تَلْهَدُهُ (8)
 كُلُّ نَسِيمٍ مِنْ صَبَاً تَسْتَوِرْدُهُ (9) كَأَنَّمَا يَشْهَدُهُ أَوْ يَفْقَدُهُ
فَهُوَ شِفَاءُ الصَّادِ مِمَّا يَغْمِدُهُ (10)

وقال آخر في الماء :

- يَا كَأْسَ مَا ثَغَبَ بِرَأْسِ شَطِيطَةٍ نَزَلَ أَصَابَ عِرَاصَهَا شُؤْبُوبُ (11)

- (1) الأغر : الأبيض ، وهو صفة «حاد» في البيت قبله . والأجلي : الحسن الوجه الذي انحسر الشعر عن جبهته ، وفي صفة المهدي أنه «أجلى الجبهة» . والمغرب ، بضم الميم وفتح الراء : الأبيض . والمجرد : ما جرد عنه الثياب من الجسد .
- (2) أصبح ، جواب «إذا» في البيت الرابع من الأرجوزة . وبرده يبرده ، من باب نصر ، وبرده بالتشديد : جعله بارداً . وفاعله «ماء غمام» في البيت بعده .
- (3) الرصاف ، بالكسر : جمع رصفة ، بالتحريك ، وهي حجارة مرصوف بعضها إلى بعض في مسيل ماء ، وهو أصفى للماء وأرق . والمقلد : المجمع ، قلد الماء في الحوض يقلده قلداً : جمعه فيه .
- (4) زل به : جعله يزل ، أي يسقط . ط ، هـ : «ذل» بالذال ، صوابه في ش . والنيق بالكسر : الحرف من حروف الجبل ، وأعلى موضع فيه . والصدد : الناحية . وفي الأصل : «صلده» .
- (5) الصفوان : الحجارة الصلدة الضخمة ، واحده صفوانة . والمزل ، بفتح الزاي وكسرهما موضع الزلل . والمجسد ، كمنبر : أصله الثوب يلي الجسد .
- (6) هـ : «الليل» محرفة .
- (7) المعروف شكده يشكده ، بضم عين المضارع وكسرهما من الثلاثي ، وأشكد لغة فيه ، والشكد : العطاء ، عنى به المدد الذي يتلقاه من السيل . ش : «يستنكده» محرف .
- (8) النعامي ، بالضم والقصر : ريح الجنوب ، وهي أبل الرياح وأرطبها . قال أبو ذؤيب :
مرته النعامي فلم يعترف **خلاف النعامي من الشام ريحا**
 وفي ط ، هـ : «حوام» وش : «حوامي» . والدبور : الريح الغربية . تلهده : تدفعه دفعاً شديداً .
- (9) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية .
- (10) الصاد : الظمان . وفي الأصل : «الصادي» بإثبات الياء ، وهو تحريف لا يستقيم به الوزن . وقد أجرى الراجز الوصل مجرى الوقف في لغة من يقف على المنقوص المحلى بأل بحذف الياء ، كما قرئ : «الكبير المتعال» ، «يوم التناد» . ويعمده : يضمنه ، ويفدحه ويشند عليه . وبابه ضرب .
- (11) كأس : اسم من يشب بها . وفي الأصل : «ما كأس» ، تحريف . والثغب ، بالتحريك والفتح أقل : ماء مستنقع في صخرة . والشطية : رأس من رؤوس الجبل . ط ، هـ : «نعب رأس شطية» وباسقاط : «ما» ، وفي ش : «ماء نعب رأس شطية» . وهو تحريف متراكب أصلحته بما ترى . والنزل ، بفتح فكسر : السريع السيل . والعراض : جمع عرصه ، بالفتح ، وهي الأرض الواسعة بين الدور ، أراد : ساحتها . والشؤبوب : الدفعة من المطر . هـ : «أصاب عراضها» ، ط : «أمال» صوابهما في ش .

ضَحِيَّانٌ شَاهِقَةٌ يَرْفُّ بِشَامُهُ نَدِيَّانٌ، يَقْصُرُ دُونَهُ الْيَعْقُوبُ⁽¹⁾
بِأَلَذِّ مَنْكَ مَذَاقَةً لِمَحَلٍّ عَطْشَانٌ دَاعَشٌ ثُمَّ عَادَ يَلُوبُ⁽²⁾
وقال جرير⁽³⁾:

لَوْ شِئْتُ قَدْ نَقَعَ الْفَوَادُ بِشَرْبَةٍ تَدْعُ الْحَوَائِمُ لَا يَجُذْنَ غَلِيلاً⁽⁴⁾
بِالْعَذْبِ مِنْ رَصْفِ الْقِلَاتِ مَقِيلِهِ قَضُّ الْأَبَاطِحِ لَا يَزَالُ ظَلِيلاً⁽⁵⁾

(فضل الماء)

قال: وفي الماء أنَّ أطيَبَ شرابٍ عُمِلَ وَرُكِّبَ، مثل السَّكَنْجَبِينَ⁽⁶⁾،

(1) الضحيان: البارز للشمس، قال ابن جنبي: «كان القياس في ضحيان ضحوان، لأنه من الضحوة، إلا أنه استخف بالياء»، عني أن الياء أخف من الواو. شاهقة: أراد في بقعة عالية. والبشام: نبت طيب الريح والطعم. يرف: يهتز خضرة وتلاؤلاً. وفي الأصل: «يرق» بالقاف، تصحيف. نديان: أصابه الندى. انظر اللسان (20: 186 س18). ورواية اللسان (3: 113 س2): «عال». واليعقوب: الظاهر فيه أنه ذكر العقاب، ومن فسه بذكر الحجل فقد أخطأ، لأن الحجل لا يعرف لها مثل هذا العلو في الطيران. ويشهد بصفة هذا القول، قول الفرزدق (انظر الديوان 36، واللسان):

يوماً تركنا لإبراهيم عافية من النسور عليه واليعاقب
فذكر اجتماع الطير على هذا القتل من النسور واليعاقب. ومعلوم أن الحجل لا يأكل القتلى.
(2) منك: أراد الرضاب. والمحلا الممنوع من الماء. داغش، من المداغشة، وهي أن يحوم حول الماء من العطش. وبهذا البيت استشهد صاحب اللسان في (8: 191)، وروايته في هذا الموضع وفي (2: 135):

بألذ منك مقبلاً لمحلاً عطشان داغش ثم عاد يلوب
وفي أصل الحيوان: «داعس» محرف. يلوب: يدور حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه.
(3) ديوانه 453 من قصيدة يهجو بها الفرزدق. وقبل البيت، وهو مطلع القصيدة أيضاً:

لم أر مثلك يا أمام خليلاً أنأى بحاجتنا وأحسن قِيلاً
نقع الفؤاد: شفى غليله وارتوى. وفي الديوان: «بمشرب يدع». ويقال: وجد يجد، ويجد، والضم لغة عامرية. وبهذا البيت استشهد الجوهرى ونسبه إلى لبيد، قال: «وهو عامري»، واستدركه ابن بري بأن الشعر لجرير.

(5) القلات، بالكسر: جمع قلت، وهي البثر في الصخرة من ماء السماء، ولا مادة لها من الأرض. والرصف، بالتحريك: حجارة مرصوف بعضها إلى بعض، أو صف مستطيل كأنه مرصوف. في الأصل - وهو هنا ط، ش، إذ أن هذا البيت ساقط من ه-: «الغلاة». وفي الديوان: «القلاة» صوابه ما أثبت من اللسان (4: 458). والرواية فيه وفي الديوان: «في» بدل «من». مقيله: حيث يقيل. والقض: الأرض ذات الحصباء، وماؤها أعذب ماء وأصفاه. وفي الأصل: «قصر»، صوابه من الديوان واللسان.

(6) السكنجبين: معرب من الفارسية، وأصله فيها «سِكنْجَبِين»، أو «سرْكنْجَبِين» كما في معجم استينجاس، وقد أشار إلى المأخذ الثاني داود في تذكرة أولي الألباب، وإلى الأول أدى شير في الألفاظ الفارسية المعربة. والأول مركب من «سيكي»، و«أنْجَبِين»: والثاني من «ميركا» و«أنْجَبِين» و«سيكي»، «سركا» معناهما الخل. و«أنْجَبِين» معناه العسل. ويراد به كل شراب حلو حامض يتخذ دواء للصفا. وفي لغة الأطباء من الأوربيين: (Oxymel). وانظر صنعته في مادة (شراب) من التذكرة، ومنهاج الدكان ص 31-32، 38-39 ولم يذكره صاحب اللسان، وذكر صاحب القاموس (السَّكَنْجَبِين)، وقال: «دواء معروف». وليس بالسكنجبين، بل هو نبات صمغ يتداوى به. ولم يشر إليه الجواليقي، ولا تكلم فيه صاحب شفاء الغليل. واستعمال الجاحظ لهذه الكلمة يصحح تعريبها.

والجَلَاب⁽¹⁾؛ والبَنْفَسَج وغير ذلك مما يُشْرَبُ من الأشربة، فَإِنْ لَذَّ وطاب، فَإِنَّ تَمَامَ لَذَّتِهِ أَنْ يَجْرَعَ شَارِبُهُ بعد شُرْبِهِ له جُرْعاً من الماء، يَغْسِلُ بها⁽²⁾ فمه، وَيَطِيبُ بها نفسه. وهو في هذا الموضع كالخَلَّةِ والْحَمَضِ جميعاً⁽³⁾ وهو لتسويغ الطعام في المريء⁽⁴⁾، والمركَّب والمُعْبَر، والمتوصَّل به إلى الأعضاء.

فالماء يُشْرَبُ صِرْفاً وممزوجاً، والأشربة لا تُشْرَبُ صِرْفاً، ولا يُنْتَفَعُ بها إلا بممازجة الماء. وهو بعدُ طهورُ الأبدان، وعَسُولُ الأدْران⁽⁵⁾.

وقالوا: هو كالماء الذي يطهر كل شيء، ولا ينجسه شيء.

وقال النبي ﷺ في بئر رومة⁽⁶⁾: «الماء لا ينجسه شيء»⁽⁷⁾.

ومنه ما يكون منه المِلْح⁽⁸⁾، والْبَرْد، والثَّلَج، فيجتمع الحُسن في العين، والكرم في البياض والصفاء، وحسنُ الموقع في النفس. وبالماء يكون القَسَم، كقول الشاعر:

عَضْبِي وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَشْرَبُ الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى⁽⁹⁾

ويقولون: لو علمَ فلانٌ أَنَّ شُرْبَ البارد يَضَعُ من مروءته لما ذاقه⁽¹⁰⁾. وَسَمَّى الله عز وجل أصل الماء غَيْثاً⁽¹¹⁾ بعد أن قال: ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 7].

(1) الجلاب، بضم الجيم وتشديد اللام: ماء الورد، فارسي معرب. قال داود: «هو السكر إذا عقد بوزنه أو أكثر ماء ورد». وانظر المعرب 106، وشفاء الغليل، والمعتمد ص 49، وهو مركب من «كُل» بمعنى الورد، و«آب» بمعنى الماء.

(2) ش: «به» محرف.

(3) الخلّة، بالضم: ما فيه حلاوة من النبت. والحمض، بالفتح: كل نبت فيه حموضة أو ملوحة. والعرب تقول: الخلّة خبز الإبل، والحمض فاكهتها. وذلك أن الإبل إذا شبت من الخلّة اشتبهت الحمض.

(4) المريء، كأمر: مجرى الطعام والشراب، وهو رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم. ط، هـ: «بتسويغ»، صوابه في ش.

(5) العسول، بالفتح: ما يغسل به. والأدْران: جمع درن، بالتحريك، وهو الوسخ.

(6) رومة، بضم الراء، وهي في عقيق المدينة، اشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه فتصدق بها. وبالقرب منها نزلت قريش في غزوة الخندق.

(7) هذا محمول على الماء الكثير إذا بلغ قلتين، أو عشرة أذرع في مثلها كما يقول الفقهاء ويختلفون. والقلة: الجرة العظيمة. ويخصص هذا الإطلاق حديث: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل نجساً»، وهذا دليل على أن ما لم يبلغ قلتين يحمل النجس. انظر تأويل مختلف الحديث 433-434، وهو كما تقول: النار لا يقوم لها شيء! ولا تريد بذلك نار المصباح الذي يطفئه النفخ، وإنما تريد نار الحريق.

(8) سبق في ص 26: «فيصير مطراً، وبرداً، وثلجاً، وطلاً».

(9) الحق أن الماء مقسم عليه لا مقسم به. وأما المقسم به فهو لفظ الجلالة: «الله».

(10) يضع من مروءته: يحط منها. ط: «مؤنة» هـ، ش: «مروءته»، صوابه ما أثبت.

(11) وذلك في الآية 34 من سورة لقمان، والآية 28 من سورة الشورى، والآية 20 من سورة الحديد.

ومن الماء ماء زمزم؛ وهو لما شُرِبَ له. ومنه [ما⁽¹⁾] يكون دواءً وشفاءً بنفسه، كالماء للحمى⁽²⁾.

(علة ذكر النار في كتاب الحيوان)

قد ذكرنا جملة من القول في النار⁽³⁾، وإن كان [ذلك] لا يدخل في باب القول في أصناف الحيوان؛ فقد يرجع⁽⁴⁾ إليها من وجوه [كريمة نافعة الذكر، باعثة على الفكر. وقد يعرض من القول ما عسى أن يكون أنفع] لقارئ هذا الكتاب من باب القول في الفيل، والزنبيل⁽⁵⁾، و[في] الفرد والخنزير، وفي الدب والذئب، والضَّب⁽⁶⁾، و[في] السَّمْع والعُسبار⁽⁷⁾.

وعلى أن الحكمة ربما كانت في الذبابة مع لطافة شخصها، ونذالة قدرها، وخساسة حالها - أظهر منها في الفرس الرائع⁽⁸⁾، وإن كان الفرس أنفع في باب الجهاد؛ وفي الجاموس مع عظم شخصه، وفي دودة القز؛ و[في] العنكبوت - أظهر منها في الليث الهصور، والعقاب الشَّعْواء⁽⁹⁾.

وربما كان ذكر العظيم الجثة [الوثيق البدن، الذي يجمع حدة الناب وصولة الخلق] أكثر فائدة، وأظهر حكمة من الصغير الحقيق، ومن القليل القمي⁽¹⁰⁾. كالبعير والصَّوَابَة، والجاموس [والثعلب والقملة.

وشأن الأرضة أعجب⁽¹¹⁾ من شأن البير [مع مسالمة الأسد له، ومحاربتة للنمر].

(1) ليست في الأصل.

(2) في الأصل - وهو هنا ط، ش، هـ: «الحمى». والمراد: كالماء الذي تداوى به الحمى، ينضح به المريض، وبذلك كان يتداوى الرسول الكريم ﷺ في مرضه الأخير.

(3) من مبدأ هذه الجملة يعود الكلام في نسخة كوبريلي، وينتهي السقط الذي نبهنا على أوله في ص 93.

(4) ط، ش: «ترجع» هـ: «رجع»، وأثبت ما في ل.

(5) الزنبيل: الفيل الكبير، فارسي معرب، مركب من «زنده» بمعنى الكبير. و«پیل» بالباء الفارسية، وهو الفيل. انظر معجم استينجاس والمعرب 176.

(6) «الذئب» ساقط من ش. وما بعده ساقط منها ومن هـ.

(7) السمع، بالكسر: ولد الذئب من الضبع. فيما عدل ل: «السبع» بالباء، محرف، والعسبار، بالكسر: ولد الضبع من الذئب. انظر ما سبق في الحيوان (1: 140، 141).

(8) فيما عدل ل: «على الفرس الرائع».

(9) الشعواء: العقاب، سميت بذلك لانعطاف متقارها الأعلى، أو لفضله على الأسفل. فيما عدل ل: «القتول» محرف.

(10) القمي: مخفف القميء، وهو الصغير الجسم.

(11) ل: «أعظم».

وشأن الكركي أعجب من شأن العندليب⁽¹⁾؛ فإن الكركي [من] أعظم الطير، والعندليب أصغر من ابن تمر⁽²⁾.

ولذلك ذكر يونس⁽³⁾ بعض لاطة الرواة فقال: «يضرب ما بين الكركي إلى العندليب». يقول: لا يدع رجلاً ولا صبيّاً إلا عَفَجَه.

ويشبه ذلك هجاء خلف الأحمر أبا عبيدة، حيث يقول⁽⁴⁾:

ويضرب الكركي إلى القنبر لا عانساً يبقى ولا مُحْتَلِم⁽⁵⁾
والعانس من الرجال مثله من النساء⁽⁶⁾.

فلسنا نطنب في ذكر العظيم الجثة لعظم جثته، [ولا نرغب عن ذكر الصغير الجثة، لصغر جثته]. وإنما نلتبس ما كان أكثر أعجوبة، وأبلغ في الحكمة⁽⁷⁾، وأدل عند العامة على حكمة الرب، وعلى إنعام هذا السيد.

ورب شيء الأعجوبة فيه إنما هي في صورته، وصنعتة، وتركيب أعضائه، وتأليف أجزائه⁽⁸⁾، كالطاووس في تعاريج ريشه⁽⁹⁾، وتهاويل ألوانه، وكالزرافة في عجب تركيبها، ومواضع أعضائها. والقول فيهما⁽¹⁰⁾ شبيه بالقول في التدرج⁽¹¹⁾ والنعامة.

وقد يكون الحيوان عجيب صنعة البدن، ثم لا يُذكر بعد حُسن الخلق بخلق كريم، [ولا حسّ ثاقب]، ولا معرفة عجيبة، ولا صنعة [لطيفة]. ومنه ما يكون كاللبغاء، والنحلة،

(1) العندليب: طائر يصوت ألواناً. ط، ش، هـ: «العندليب» بالقلب. ويقال أيضاً: «العندليب» بلامين بينهما ياء، كما في اللسان والقاموس. ولم يذكر لغة القلب. وقد أثبت «العندليب» من ل. وفي الحيوان (7: 50): «ويقولون عندليب وعندليب وكل صواب».

(2) ويقال أيضاً: «أبو تمر» و«تمر» و«التمر». قال ابن سيده في المخصص (8: 165): «أصغر ما يكون من الطير، يجرس الزهر والشجر، كما تجرس النحل والدبر». وهو بالإنكليزية: Sunbird، فيما عدا ل: «ابن نمر» محرف.

(3) هو يونس بن حبيب الذي سبقت ترجمته في (1: 230). وانظر كنايات الثعالبي 27 والميداني (2: 348). فيما عدا ل: «ابن يونس».

(4) فيما عدا ل: «فقال».

(5) القنبر: ضرب من الحُمَر: Lark، انظر معجم المعلوف 146، ل: «محتلماً».

(6) في اللسان: «الانس من الرجال والنساء: الذي يبقى زماناً بعد أن يدرك لا يتزوج. وأكثر ما يستعمل في النساء».

(7) ل: «بل إنما نلتبس ما كان أظهر أعجوبة وأشهر بالحكمة».

(8) فيما عدا ل: «ريشه».

(9) ل: «تفاريح». والتفاريح، أصلها فتحات الأصابع، وشقوق الدرابزين، واحدها تفراج أو تفرجة. وانظر ما سبق في (1: 156)، و(2: 136).

(10) ش: «فيه»، ط، هـ: «فيهما»، وأثبت ما في ل.

(11) انظر (2: 136).

والحمامة، والثعلب، والدرة⁽¹⁾ ولا تكون الأعجوبة في تصويره، وتركيب أعضائه، وتنضيد ألوان ريشه في وزن تلك الأشياء التي ذكرناها، أو يكون العجب⁽²⁾ فيما أعطي في حنجرته من الأغاني العجيبة، والأصوات الشجيّة⁽³⁾ المطربة، [والمخارج الحسنة - مثل العجب فيما أعطي من] الأخلاق الكريمة⁽⁴⁾، أو في صنعة الكف اللطيفة، والهداية الغربية، [أو المرفق النافع، أو المضرة⁽⁵⁾ التي تدعو إلى شدة الاحتراس، ودقة الاحتيا، فيقدم في الذكر لذلك.

وأى شيء أعجب من العقق⁽⁶⁾ وصدق حسّه، وشدة حذرّه، وحسن معرفته، ثم ليس في الأرض طائر [أشدّ تضيقاً لبيضه وفرخه منه. والجرار، مع أنها أحمق الطير،] تحوط بيضها أو فراخها⁽⁷⁾ أشدّ الحياطة وبأعمص معرفة، حتى⁽⁸⁾ قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «كل شيء يحب ولده حتى الجرار». يضرب بها المثل في الموق⁽⁹⁾.

(العقق)

ثم العقق مع حذقه بالاستلاب⁽¹⁰⁾، وبسرعة الخطف، لا يستعمل ذلك [إلا⁽¹¹⁾] فيما [لا] ينتفع به؛ فكّم من عقد ثمين خطير، ومن قرط شريف نفيس، قد اختطف⁽¹²⁾ من [بين] أيدي قوم، فإنما رمى به بعد تحلقه⁽¹³⁾ في الهواء، وإما أحرزه ولم يلتفت إليه أبداً. وزعم الأصمعي أن عققاً مرة استلب سخاباً⁽¹⁴⁾ كريماً لقوم، فأخذ أهل السخاب أعرابيه كانت عندهم، فبينما هي تضرب، وتُسحب وتُسبب إذ مرّ العقق والسخاب في منقاره⁽¹⁵⁾،

(1) الدرة، بضم الدال المهملة وتشديد الراء المفتوحة: ضرب من البيغاوات. انظر الديميري ومعجم المعلوم 183، ولم يذكرها صاحب اللسان والقاموس. وقد أسلف الجاحظ ذكرها في (1: 156)، وجاءت هناك وهنا محرفة برسم «الذرة» بالذال المعجمة. وقد نبهني العلامة المحقق الأب أنستاس الكرمللي إلى تصحيحها في رسالة خاصة.

(2) ط، هـ: «العجيب». (3) ل: «الملحنة».

(4) فيما عدا ل: «وفي الأخلاق الكريمة». (5) فيما عدا ل: «أو إلى المضرة»، وكلمة «إلى» مقحمة.

(6) العقق، كثعلب: طائر في قدر الحمامة وشكل الغراب، طويل الذنب.

(7) ل: «وفراخها».

(8) فيما عدا ل: «مثله» موضع «حتى». تحريف.

(9) الموق، بالضم: حمق في غباوة. ل: «الموق» بالهمزة.

(10) الاستلاب: السلب. فيما عدا ل: «بالأسباب». محرف.

(11) هذه الزيادة من ل، ش، هـ.

(12) ل: «اختطفه».

(13) المعروف: حلق الطائر تحليقاً إذا ارتفع في الهواء واستدار. لكن هكذا وردت في الأصل، وسبق مثلها في (3: 103).

(14) في اللسان: «الأزهري: السخاب عند العرب كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن» واستشهد بالبيت الآتي.

وهو بكسر السين.

(15) فيما عدا ل: «في فمه». وأنى يكون له الفم؟!

فصاحوا به فرمى به، فقالت الأعرابية وتذكّرت السلامة⁽¹⁾ بعد أن كانت قد ابتليت ببليّة أخرى فقالت⁽²⁾:

وَيَوْمُ السَّخَابِ مِنْ تَعَاجِيبِ رَبِّنَا كما أنه من بِلْدَةِ السَّوءِ نَجَّانِي⁽³⁾
تعني الذين كانت نزلت بهم من أهل الحاضرة.

(كلام في الاستطراد)

ولا بأس بذكر ما يعرض، ما لم يكن من الأبواب الطّوال، التي ليس فيها إلا المقاييس المجرّدة، والكلامية المحضة؛ فإن ذلك مما لا يخفّ سماعه ولا تهشّ النفوس لقراءته. وقد يحتمل ذلك صاحب الصناعة⁽⁴⁾، وملتمس الثواب والحسبة⁽⁵⁾، إذا كان حليف فكر، أليف عير[[]، فمتى وجدنا من ذلك باباً يحتمل أن يوشّع بالأشعار الظريفة البليغة، والأخبار الطريفة العجيبة⁽⁶⁾، تكلفنا ذلك، ورأيانه⁽⁷⁾ أجمع لما ينتفع به القارئ.

ولذلك استجزنا أن نقول في باب النار ما قلنا.

وأنا كاتب لك بعد هذا - إذ كنت قد أملتُك بالتطويل، وحملتك على أصعب المراكب، وأوعر الطرق، إذ قد ذكرنا فيه جملةً صالحةً من كلام المتكلمين. ولا أرى أن أزيد في سامتك، وأحمّلك استفراغ طاقتك، بأن أبتدئ⁽⁸⁾ القول في الإبل، والبقر، والغنم، والأسد، والذئب، والحمير، والظباء، وأشباه ذلك، مما أنا كاتبه لك.

ولكنني أبدأ بصغار الأبواب وقصارها، ومحقّراتها⁽⁹⁾، وملاحها، لئلا تخرج من الباب الأول، إلا وأنت نشيط⁽¹⁰⁾ للباب الثاني، وكذلك الثالث والرابع⁽¹¹⁾، إلى آخر ما أنا كاتبه لك؛ إن شاء الله.

(سرد منهج سائر الكتاب)

ونبدأ بذكر ما في العصفور⁽¹²⁾، ثم نأخذ في ذكر [ما في] الفأر والعقرب، والذي بينهما من العداوة، مع سائر خصالهما.

(1) فيما عدل: «تذكر السلامة».

(2) رواية اللسان (1: 444): «على أنه».

(3) الحسبة، بالكسر: الأجر والثواب. فيما عدل: «الحسنة»، تصحيف.

(4) ل: «الحسنة العجيبة».

(5) ل فقط: «ابتداءً»، تحريف.

(6) فيما عدل: «محقّراتها».

(7) فيما عدل: ل: «تنشط».

(8) ط فقط: «وكذا الباب الثالث والرابع».

(9) فيما عدل: «بما في العصفور».

(2) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(4) يعني صناعة الكلام.

(7) فيما عدل: «ورويانه».

ثم القول في العقرب والخُنُفساء، و[في] الصداقة بينهما، مع سائر خصالهما.
 ثم القول في السُّنُور، و[بعض] القول في العقرب⁽¹⁾.
 ثم القول في البعوض والبراغيث. ثم القول في القمل والصُّبَّان. ثم القول في الورل
 والضَّب. ثم القول في اليربوع والقنفذ. ثم القول في النسر والرخم.
 ثم القول في العُقاب وفي الأرنب. ثم القول في القُرْدان⁽²⁾ والضفادع. ثم القول في
 الحُبَّارَى وما أشبه ذلك. [وإن كنا قد استعملنا في هذا الكتاب جملاً من أخبار ما سمينا
 بذلك].

وسنذكر قبل ذكرنا لهذا الباب أبواباً من الشعر طريفة⁽³⁾، تصلح للمذاكرة، وتبعث على
 النشاط معه⁽⁴⁾ وتُسْتَحَفَّ معه قراءة ما طال من الكتب الطوال.

ولولا سوء ظني بمن يُظهِر التماس العلم في هذا الزمان، ويذكر⁽⁵⁾ اصطناع الكتب في
 هذا الدهر - لما احتجّت في مداراتهم واستمالتهم، وترقيق نفوسهم⁽⁶⁾، وتشجيع قلوبهم، مع
 كثرة فوائد هذا الكتاب - إلى هذه الرياضة الطويلة، وإلى كثرة هذا الاعتذار، حتى كأنّ الذي
 أفيده إياهم أستفيده منهم، وحتى كأنّ رغبتني في صلاحهم، رغبة من يرغب⁽⁷⁾ في دنياهم،
 ويتضرع⁽⁸⁾ إلى ما حوته أيديهم].

هذا. ولم أذكر [لك] من الأبواب الطوال شيئاً، و[لو] قد صرت إلى ذكر فرق ما بين
 الجن والإنس، و[فرق] ما بين الملائكة والأنبياء، وفرق ما بين الأنثى والذكر، وفرق ما بينهما
 وبين ما ليس بأنثى ولا ذكر، حتى يمتدّ بنا القول في فضيلة الإنسان على جميع أصناف
 الحيوان، وفي ذكر الأمم والأعصار، وفي ذكر القسم⁽⁹⁾ والأعمار، وفي ذكر مقادير العقول
 والعلوم والصناعات⁽¹⁰⁾، ثم القول في طباع الإنسان منذ كان نطفة إلى أن يُفْنِيَهُ الهرم⁽¹¹⁾،
 وكيف حقيقة ذلك الردّ إلى أرذل العمر]، فإن ملئت الكتاب واستثقلت القراءة، فأنت حينئذ
 أعذر، [ولحظ نفسك أبخس]. وما عندي لك من الحيلة إلا أن أصوره لك في أحسن صورة،

(1) هذا الصواب كما يقتضيه ترتيب الكتاب، وسيأتي في ص 227، وفي الأصل: «القنفذ» فيكون تكراراً لما سيأتي.

(2) القردان، بالكسر: جمع قرد، كغراب، وسيمر بك الحديث عنه في 290.

(3) ط، هـ: «طريفة» بالطاء المعجمة.

(4) ط فقط: «وتستحق». وأتى بضمير «معه» مذكراً، لأنه عاد به إلى الشعر.

(5) فيما عدل ل: «ويظهر»، والأشبه ما أثبت من ل.

(6) ترقيق النفوس: «حملها على أن ترق». فيما عدل ل: «توفيق» محرف.

(7) فيما عدل ل: «رغب».

(8) في اللسان: «التضرع: المبالغة في السؤال والرغبة».

(9) القسم، بالفتح: ما قسم للإنسان وقدر. ل: «القيم»: جمع قيمة.

(10) فيما عدل ل: «بالعلوم بالصناعات». محرف.

(11) الهرم، بالتحريك: أقصى الكبر، هرم كفرح. فيما عدل ل: «تفنيه الهموم»، تصحيف.

وأقبلت منه في الفنون المختلفة، فأجعلك لا تخرج من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور، ولا تخرج من الحديث إلا إلى الشعر الصحيح، ولا تخرج من الشعر الصحيح الظريف إلا إلى المثل السائر الواقع، ولا تخرج من المثل السائر الواقع إلا إلى القول في [طرف] الفلسفة؛ والغرائب التي صحتّها التجربة، وأبرزها الامتحان، وكشف⁽¹⁾ قناعها البرهان، والأعاجيب التي للنفوس بها كلف شديد⁽²⁾ وللعقول الصحيحة إليها النزاع القوي⁽³⁾.

ولذلك كتبتك لك، وسقته إليك، واحتسبت الأجر فيك.

فانظر فيه نظر المنصف من الأكفاء والعلماء، أو نظر المسترشد من المتعلمين والأتباع. فإن وجدت الكتاب الذي كتبتك لك يخالف ما وصفت فأنقضي من نشاطك له على قدر ما نقصت مما ينشطك لقراءته⁽⁴⁾. وإن أنت وجدتني - إذا صح عقلك وإنصافك - قد وقّيتك ما ضمنت لك⁽⁵⁾ فوجدت نشاطك بعد ذلك مدخولاً، وحدك مفلولاً - فاعلم أنا لم نؤت إلا من فُسولتك⁽⁶⁾، و[من] فساد طبعك، ومن إثارك لما [هو] أضربك.

باب في مديح النصارى واليهود⁽⁷⁾ والمجوس والأنذال وصغار الناس

من ذلك ما هو مديح رغبة، ومنه ما هو إحماد⁽⁸⁾.

أنشدنا أبو صالح مسعود بن قند⁽⁹⁾ الفزاري، في ناس خالطهم من اليهود:

وَجَدْنَا فِي الْيَهُودِ رَجَالَ صِدْقٍ	عَلَى مَا كَانَ مِنْ دِينٍ يُرِيبُ ⁽¹⁰⁾
لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَابْنِي عَرِيضُ ⁽¹¹⁾	لِمِثْلِ الْمَاءِ خَالِطَةُ الْحَلِيبِ
خَالِلَانِ اكْتَسَبْتُهُمَا وَإِنِّي	لِخَلَّةٍ مَاجِدٍ أَبَدًا كَسُوبُ ⁽¹²⁾

(1) ل: «فكشف».

(2) الكلف: الولوع والعشق. فيما عدل ل: «كثير».

(3) النزاع، بالكسر، والنزوع أيضاً: الشوق. فيما عدل ل: «نزاع شديد».

(4) فيما عدل ل: «مما ينشطك إليه لقراءته» بإقحام: «إليه».

(5) وفاه حقه وأوفاه: أعطاه إياه وإفياً تاماً، ط فقط: «بما»، تحريف.

(6) الفسولة، بالضم: أن يكون فسلاً، وهو زن يكون رذلاً نذلاً لا مروءة له.

(7) فيما عدل ل: «باب مديح في النصارى واليهود» - وكلمة «المجوس» بعده ساقطة من ل.

(8) الإحماد: مصدر أحمده: وجده مستحقاً للحمد. فيما عدل ل: «ومن ذلك».

(9) ط، هـ: «قنديل»، وأثبت ما في ل، ش.

(10) يريب: يحمل على الريب، وفي الأصل: «مريب».

(11) عريض، بالعين المهملة.

(12) ل: «قدماً كسوب».

وقال أبو الطَّمَحان الأَسدي⁽¹⁾، وكان نديماً لناسٍ من بني الحَدَّاءِ⁽²⁾ وكانوا نَصارى، فأحمد ندامهم⁽³⁾ فقال:

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَصْرِ قَصْرٌ مُقَاتِلٌ	وَزُورَةٌ ظَلَّ نَاعِمٌ وَصَدِيقٌ ⁽⁴⁾
وَلَمْ أَرِدِ الْبَطْحَاءَ أَمْزُجَ مَاءَهَا	بَخْمَرٍ مِنَ الْبَرْوَقَتَيْنِ عَتِيقٌ ⁽⁵⁾
مَعِيَ كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ	إِذَا مَا جَرَى فِيهِ الْمُدَامُ فَنِيقٌ ⁽⁶⁾
بَنُو الصَّلْتِ وَالْحَدَّاءِ كُلُّ سَمِيدَعٍ	لَهُ فِي الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقٌ ⁽⁷⁾
وَإِنِّي وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أَحِبُّهُمْ	وَيَرْتَاحُ قَلْبِي نَحْوَهُمْ وَيَتَوَقُّ ⁽⁸⁾

(1) في المؤلف 150: «وأنشدنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش لأبي الطمحن الأسدي وذكر أنه مما نقله من خط أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، مما تلقتها من كتاب الحيوان للجاحظ. . وقال أبو الحسن الأخفش: وأنشدناه المبرد قال: هو لطخيم بن أبي الطخماء الأسدي. قال: ولا أعرف أبا الطمحن إلا القيني، وهو الشرقي بن القطامي. وأظن هذا آخر». وهو يشير إلى ما ورد في الكامل 26 ليسك من نسبة الشعر إلى طخيم بن أبي الطخماء الأسدي. والذي يظهر لي أنهما شخص واحد، وأن «أبا الطمحن» كنية طخيم الأسدي. بذلك على هذا أن أبا تمام في الحماسة (2: 412) أنشد لأبي الطمحن الأسدي، وقد حلقة صاحب شرطة يوسف بن عمر:

وبالبحيرة البيضاء شيخ مسلط	إذا حلف الأيمان بالله برت
لقد حلقوا منها غداً كأنه	عناقيد كرم أينعت فاسبطرت
فظل العذارى يوم تحلق لمتى	على عجل يلقتنها حين جرت

وروى هذه الأبيات بعينها أبو الفرج (7: 115 ساسي) منسوبة إلى طخيم الأسدي قال: «شرب طخيم الأسدي بالبحيرة فأخذه العباس بن معبد المري، وكان على شرط يوسف بن عمر فحلق رأسه». وفي ياقوت (7: 111): «ابن طخماء الأسدي»، صوابه: «ابن أبي الطخماء».

(2) ل فقط: «الجداء» بالجمع.
 (3) الندام، بالكسر: المنادمة على الشراب. فيما عدل: «ندامتهم»، والندامة بمعنى الأسف لا تليق بهذا الوجه.
 (4) قصر مقاتل: قصر كان بين عين التمر والشام، وزورة، بلفظ واحد الزيارة: موضع بين الكوفة والشام. وروى: «زورة» بالضم، كما نقل ياقوت. وروايته هو والمبرد:

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَوْمَ بَزُورَةٍ صَالِحٍ	وبالقصر ظل دائم وصديق
(5) البطحاء: موضع بعينه قريب من ذي قار. و«ماءها» هي في الأصل: «ماء»، صوابه في الكامل والمؤتلف والبلدان. والبروقتان: موضع قرب الكوفة. وقد ضبطت في الكامل بفتح الباء وتشديد الراء المضمومة. وقال ياقوت: «وجدته بخط بعض أئمة الأدب بواوين، الأولى مضمومة»، جعلها: «البروقتين».	
(6) فضفاض، قال المبرد: «يريد أن قميصه ذو فضول، وإنما يقصد إلى ما فيه من الخيلاء». ط فقط: «فضفاض الثياب»، ولم أجدها في مرجع. والفنيق، بالنون: الفحل المكرم من الإبل. فيما عدل: «فتيق» بالثناء، تصحيف. وعند المبرد وياقوت: «سرت فيه المدام»، وعند الآمدي: «جرت فيه المدام».	
(7) عند المبرد وياقوت: «السُّطَطُ، ط، هـ: «الصلب»، ل: «والجداء» بالجمع. والسמידع: السيد الكريم السخي الموطأ الأكثاف. والشطر الثاني هو رواية ط، هـ، ش وياقوت والمبرد. وفي ل: «في خصال الصالحين طريق»، والآمدي: «في خصال الصالحين عروق».	

(8) وهذه الرواية بعينها في الكامل والبلدان. ل: «وتذهب نفسي نحوهم وتتوق»، والآمدي: «وترتاح نفسي نحوهم وتتوق».

وقال ابن عَبْدَلٍ⁽¹⁾، أو غيرُه⁽²⁾، في مجوسيٍّ ساق عنه صَدَاقًا فقال:

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْمُشَاشِ وَأَنْتَ بَحْرٌ جَوَادٌ خِضَمٌ⁽³⁾
وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِيمِ إِذَا مَا تَرَدَّدْتَ فَيَمَنْ ظَلَمَ
نَظِيرًا لِهَامَانَ فِي قَعْرِهَا وَفَرَعُونَ وَالْمَكْتَنَى بِالْحَكَمِ⁽⁴⁾
كَفَانِي الْمَجُوسِيَّ مَهْرَ الرِّبَا بَ، فِدَى لِلْمَجُوسِيِّ خَالِي وَعَمَّ⁽⁵⁾

فقال [له] المجوسيُّ: جعلتني في النار؟ فقال: أما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مَعَ مَنْ سَمِيتُ؟
[قال: بلى]. قال: فمن تَعْنِي بالحكم؟ قال: أبا جهل بن هشام⁽⁶⁾. .

وأنشدني أَبُو الرُّدَيْنِيِّ الْعُكْلِيُّ⁽⁷⁾، لبعض الْعُكْلِيِّينَ، وكان قَيْنٌ⁽⁸⁾ لَهُمْ أَحَدٌ جَلَمًا لَهُ،
فقال⁽⁹⁾ [يمدحه]:

يَا سَوْدُ يَا أَكْرَمَ قَيْنٍ فِي مُضَرٍّ
لَكَ الْمَسَاعِي كُلُّهَا وَالْمُفْتَخَرُ
عَلَى قِيُونَ النَّاسِ، وَالْوَجْهَ الْأَغَرَّ

- (1) هو الحكم بن عبدل الأسدي، سبقت ترجمته في (2: 89).
(2) هو الأقيشر الأسدي، واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض. نشأ في أول الإسلام، عمر طويلاً، فأدرك
الحجاج، وعبد الملك بن مروان. وأخبره في الأغاني (10: 80-91 ساسي). قال أبو الفرج: «وتزوج الأقيشر
ابنة عم له، يقال لها الرباب، على أربعة آلاف درهم - ويقال على عشرة آلاف درهم - فأثى قومه فسألهم فلم
يعطوه شيئاً، فأثى ابن رأس البغل، وهو دهقان الصين، وكان مجوسياً، فسأله فأعطاه الصداق». ثم أنشد الشعر.
وفي عيون الأخبار (2: 196): «وأغرب ما قيل في مجوسي قول أعرابي». وأنشد البيت الأول والثاني. وانظر
الشعراء ص 33.

- (3) فلان طيب المشاش: أي كريم النفس. والخضم: السيد الحمول المعطاء. وفي الأغاني:
شهدت بأنك رطب المشاش وأن أباك الجواد الخضم
(4) هامان: وزير فرعون، وفي الكتاب: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَكَاعِي أَتَأْتِكُمُ الْغَنَمُ﴾ [غافر: 36]، وأبو
الحكم: كنية أبي جهل.
(5) هذه رواية ل والأغاني. وفيما عداهما: «خال وعم».
(6) اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي. وله كنيتان:
أبو جهل، وأبو الحكم. وقد غلبت الأولى على الثانية. وكان رأساً من رؤوس المشركين. انظر السيرة 167
جوتنجن.
(7) أبو الرديني، يروى عنه الجاحظ في البيان والحيوان. وروى في البيان (4: 35) أنه هجا بني نمير فتوعدوه بالقتل
فقال:

- أتوعدني لتقتلني نمير متى قتلت نمير من هجاها
فشد عليه رجل منهم فقتله. وكان يهاجي عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، أحد شعراء الدولة العباسية.
الأغاني (20: 183).
(8) فيما عدل: «قينا»، تحريف.
(9) الجلم: المقراض يجز به، يقال له: جلم وجلمان، كما تقول مقراض ومقرضان. ط، ش: «أخذ خلخالاً له»،
وهو تحريف طريف. هـ: «أخذ حلماً له»، صوابهما في ل. وكلمة «فقال» ساقطة من ل.

كَانَ أَبُوكَ رَجُلاً لَا يُقْتَسَرُ⁽¹⁾
 ثُبْتاً إِذَا مَا هُوَ بِالْكَيْرِ أَزْبَارُ⁽²⁾
 [زَادَكَ نَفْحاً تَلْتَظِي مِنْهُ سَقَرُ]
 حَتَّى يَطِيرَ حَوْلَهُ مِنْهَا شَرَرُ⁽³⁾
 قَدْ عَظِفَ الْكَتِيفَ حَتَّى قَدْ مَهَرُ⁽⁴⁾
 بِالشَّعْبِ إِنْ شَاءَ وَإِنْ شَاءَ سَمَرُ⁽⁵⁾
 مَا زَالَ مُذْ كَانَ غُلَاماً يَشْتَبِرُ⁽⁶⁾
 لَهُ عَلَى الْعَيْرِ إِكَافٌ وَثَقَرُ⁽⁷⁾
 وَالْكَلْبَتَانِ وَالْعَلَاةُ وَالْوَتَرُ⁽⁸⁾
 انْظُرْ ثَوَابِي، وَالثَّوَابُ يُنْتَظَرُ
 فِي جَلَمَيِّ وَالْأَحَادِيثُ عِبَرُ⁽⁹⁾

باب من أراد أن يمدح فهجا

قال سعيد بن سلم⁽¹⁰⁾: لما قال الأخطل بالكوفة: أخطأ الفرزدق حين قال:

أَبْنِي عُدَانَةَ إِنْنِي حَرَرْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جَعَالٍ⁽¹¹⁾

- (1) يقتسر: يقهر ويغلب. والقسر: القهر والغلبة.
- (2) الكير، بالكسر: الزق الذي ينفخ فيه الحداد. ازبأر: انتفش ونهيا للعمل.
- (3) فيما عدل: «منه».
- (4) الكتيف والكتيفة: حديدة طويلة عريضة، وربما كانت كأنها صحيفة. فيما عدل: «الأكناف» بالنون محرف.
- (5) الشعب: الجمع والإصلاح. فيما عدل: «بالشعب». سمر الحديد ونحوه: شدة بالمسمار.
- (6) فيما عدل: «يستمر». ويشتر، من الشبر: وهو العطاء والأجر.
- (7) العير: الحمار أياً كان، أهلياً أو وحشياً، وقد غلب على الوحشي، وأراد به هنا الأهلي. والإكاف: برذعة الحمار، بكسر الهمزة وضمها. والثفر بالتحريك: سير في مؤخر السرج. أراد أنه أبداً على سفر يتنقل بين أحياء العرب ليزاول عمله.
- (8) الكلبتان: آلة الحداد يأخذ بها الحديد المحمي. والعلاة: سندان الحداد يضرب عليها الحديد.
- (9) الجلم، فسر قريباً. ط، ش: «من حكمي وفي»، ه: «من حلمي وفي» صوابه في ل.
- (10) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي، ولاء السلطان بعض الأعمال بمرؤ، وقدم بغداد وحدث بها فروى عنه محمد بن زياد، ابن الأعرابي، وكان سعيد عالماً بالحديث والعربية. وله أخبار مع المأمون. انظر تاريخ بغداد 4658 والبيان (2: 40) ط فقط: «سعيد بن مسلم».
- (11) هو عطية بن جعال الغداني، كان صديقاً ونديداً للفرزدق، فبلغ الفرزدق أن رجلاً من بني غدانة هجاء وعاون جريراً عليه، فهم الفرزدق بهجاء بني غدانة، فأثاء عطية بن جعال فسأله أن يصفح عن قومه ويهب له أعراضهم، ففعل. انظر الأغاني (19: 50 ساسي). وهذان البيتان من قصيدة له يهجو بها جريراً، وساقهما استطراداً ليدخل في هجاء جريراً، فإن بعدهما (الديوان 726):

لولا عَطِيَّةٌ لاجْتَدَعْتُ أَنْوَفَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمِّ أَعْيُنٍ وَسِبَالٍ⁽¹⁾
 كيف يكون قد وهبهم له وهو يهجوهم [بمثل] هذا الهجاء؟! [قال]: فأنبرى له فتى من
 بني تميم فقال له: [و]أنت الذي قلت في سُويد بن منجوف⁽²⁾:
 وما جَدُعُ سَوْءِ رَقِّقِ السُّوسِ جَوْفَهُ لِمَا حَمَلْتَهُ وَائِلُ بِمَطِيقِ⁽³⁾
 أردت هجاءه فزعمت أن وائلاً تعصبُ به الحاجات، وقدُرُ سُويد لا يبلغ ذلك عندهم؛
 فأعطيتَه الكثيرَ ومنعته القليلَ!⁽⁴⁾
 وأردت أن تهجوَ حاتمَ بنَ النعمانِ الباهلي⁽⁵⁾، وأن تصغَرَ شأنه، وتَضَعَ منه، فقلت:
 وَسَوْدَ حَاتِمًا أَنْ لَيْسَ فِيهَا إِذَا مَا أَوْقَدَ النَّيْرَانُ نَارُ
 فأعطيتَه السُّودَّ⁽⁶⁾ من قيس⁽⁷⁾ ومنعته ما لا يضُرُّه، وأردت أن تمدحَ سَمَّاكَ [بن زيد]
 الأسدِّي⁽⁸⁾ فهجوتَه فقلت:

- = **إني كذاك إذا هجوت قبيلة** جدعتهم بموارم الأمثال
 أبنو كليب مثل آل مجاشع أم هل أبوك مدعدعاً كعقال
- (1) اجتدعت: قطعت. والسبال: جمع سبلة، وهي ما على الشارب من الشعر، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية. فيما عدل: «أيسر» بدل «الأم»، صوابه في ل والديوان والأغاني. ورواية الديوان والأغاني: «آف» موضع «أعين». وفي سر الفصاحة 249: «الأم لحية». وفي الأغاني: «فبلغ ذلك عطية فقال: ما أسرع ما ارتجع أخي هبته، قبجها الله من هبة ممنونة مرتجعة!».
- (2) سويد بن منجوف، كان زعيم بكر بن وائل بالبصرة، وكان الأخطل قد وفد إليه يسأله في حمالة، فأقبل سويد على قومه وهيجهم على الأخطل، وذكرهم بهجائه إياهم فثاروا وقالوا: إذا والله لا نعطيه شيئاً. فلما خيب سويد أمل الأخطل هجاء هذا الهجاء. ط، ه: «منجوق» ش: «منحوق» بالإهمال، صوابه في ل والديوان 195.
- (3) ش: «دق»، ل: «خرق»، وفي الأغاني (7: 174) والديوان 195: «خرب السوس أصله»، وفي الموشح 135: «خرق السوس وجفه». أراد: لما حملته إياه وائل. فهو حين جعله كهذا الجذع قد هجاءه، وحين جعل وائل تحمله أمورها وتعتمد عليه قد مدحه أبلغ المدح. فناقض بذلك نفسه.
- (4) في الموشح 135 أن سويداً نفسه نقد الأخطل في هجوه إياه، وقال له: «يا أبا مالك لا والله ما تحسن تهجو، ولا تحسن تمدح، بل تريد الهجاء فيكون مديحاً، وتريد المديح فيكون هجاء. قلت لي وأنت تريد هجائي: لما حملته وائل بمطيق. فجعلت وائلاً حملتني أمورها، وما طمعت في ذلك من بني ثعلبة فضلاً عن بكر!». وانظر فيه سائر الخبر وهو برواية أخرى في الأغاني (7: 175).
- (5) ذكره الجهشيارى ص 96 قال: «كان يكتب لأبي جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي».
- (6) السوود: بضم السين وفتح الدال مع طرح الهمزة، وبضم السين والدال مع الهمز لغتان، ومعناه السيادة. ط، ش: «السُّودد» بالهمز.
- (7) ل: «من قيس الجزيرة».
- (8) في الموشح 135: «سماك بن عمير أخابني أسد»، وقال مرة أخرى: «سماك بن حمير بن عمرو»، ومرة ثالثة: «سماك بن خرشة». وفي الأغاني: «وهو سماك الهالكي من بني عمرو بن أسد. وبنو عمرو يلقبون القيون». وفي معجم البلدان: «سماك بن مخزومة بن حمين بن بلث الأسدي، من بني الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة». قد اضطربت الكتب بل الكتاب الواحد في نسبة هذا الرجل، وفي ط، ش بدل: «الأسدي» «الحرني». وفي ه: «الحرفي».

نعم المجيرُ سماكٌ من بني أسدٍ بالطِّفِّ إذ قَتَلَتْ حِيرانَهَا مُضِرُّ⁽¹⁾
 قد كنتُ أحسبُه قَيْنًا وأنَبُوهُ فاليومَ طَيْرَ عن أثوابه الشرُّ⁽²⁾
 وقلتُ في زُفرِ بنِ الحارثِ⁽³⁾:

بني أُمَيَّةَ إني ناصحٌ لكمُ فلا يُبَيِّنَنَّ فيكمُ آمناً زُفرُ
 مُفْتَرِشاً كافتراشِ الليثِ كُلِّكَلِه لو فُتِّعَ كائنٌ فيها لكمُ جَزَرُ⁽⁴⁾
 فأردتُ أن تُعَرِّيَ به بني أُمَيَّةَ فوهنتُ أمرهم، وتركتهم ضِعفاءَ ممتَهِنين، وأعطيتُ زُفرَ
 عليهم من القوةِ ما لم يكن في حسابه.

قال: ورجع أبو العطف من عند عمرو بن هَدَّاب، في يومين كانا لعمرو، وأبو العطف
 يضحك. فسئل عن ذلك فقال: أما أحدُ اليومين فإنَّهُ جَلَسَ للشعراء، فكان أولُ من أنشده
 المديح فيه طريفُ بنُ سُوادة، فما زال يُنشده أرجوزةً له طويلة، حتى انتهى إلى قوله:

أبرصُ فياضُ اليدينِ أَكْلَفُ⁽⁵⁾ وَالبَرُصُ أَتَدَى باللَّهْيِ وأَعْرَفُ⁽⁶⁾
 [مجلودٌ في الزخافاتِ مِرْخَفُ⁽⁷⁾

(1) الطف: أرض من صاحبة الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين بن علي بكربلاء، يوم عاشوراء سنة
 إحدى وستين. ويسمى: «قتيل الطف». وفي البيت إشارة إلى غدر أهل العراق بالحسين، بعد أن كتبوا إليه
 يطلبون منه الشيوخ خصوص إليهم.

(2) أنبؤه: بالبناء للمجهول من قولك أنبأته الخبر. وفي الأصل: «أنبأه» صوابه في الموشح 135، وروى في الأغاني
 مرة: «أنبؤه» ومرة: «أخبره». ط، هـ: «عن أثوابها»، صوابه في ش، هـ والموشح والأغاني. أراد أن الشر لا
 يدنو من أثوابه، فهو ليس قيناً. وكان قوم سماك يدعون: «القيون». وفي الموشح أن سويد بن منجوف قال
 للأخطل: «ومدحت سماك بن عمير أخا بني أسد، وأردت أن تنفي عنه شيئاً فحققت عليه».

(3) هو زفر بن الحارث الكلابي، أحد بني عمرو بن كلاب. الكامل 533 ليبسك. وكان قد خرج على عبد الملك
 ابن مروان وظل يقاتله تسع سنين، ثم رجع إلى الطاعة. الجهشيارى 35 س 15، وفي البيان (3: 216): «دخل
 زفر بن الحارث على عبد الملك، بعد الصلح فقال: ما بقى من حبك للضحاك؟ قال: ما لا ينفعني ولا
 يضرُّك!». قال: فما منعك من مواساته يوم المرح؟ قال: الذي منع أباك من مواساة عثمان يوم الدار!». وزفر كان
 سيد قيس في زمانه، ويكنى أبا الهذيل، وكان على قيس يوم مرج راهط. وهو القائل:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس هيا

انظر المؤلف 129، وقد روى الجاحظ بيتين له في الحيوان (1: 43)، ورواهما أيضاً في البيان (4: 56). وكان
 زفر من التابعين، سمع عائشة ومعاوية، وروى عنه ثابت بن الحجاج. شرح شواهد المغني 315.

(4) فيما عدل: «مفترشاً» تحريف. وفي هامشة ل: «خ: مفترش» أي روى في نسخة بالرفع. وهي رواية الديوان
 103، الكلكل: الصدر. والجزر، بالتحريك: ما يجر من الشاء، واحده جزرة. يقول: إن زفر يتأهب
 لاغتيالكم والإيقاع بكم. و«لكم» هنا بمعنى منكم. ورواية الموشح: «له» وهي أصرح. وقد أظهر هنا الكون
 العام: «كائن» للضرورة. وفي شرح ابن يعيش للمفصل (1: 90 س 27) «وقد صرح بن جني بجواز إظهاره»، وهو
 نص غريب. وأغرب منه رأي ابن يعيش في تفصيل هذا الجواز. انظر لهما أيضاً المغني (2: 81).

(5) الكلف: لون يعلو الجلد فيغير بشرته.

(6) أندى: أكثر ندى. والندى: الجود والعطاء. واللَّهْي، بضم ففتح: جمع لهوة بالضم، وهي العطية، وأجود العطايا.

(7) المزحف: الكثير الزحف إلى العدو.

المجلوذ: السريع .

وكان عمرو أبرص فصاح به ناس: ما لك⁽¹⁾؟ قطع الله لسانك! .

قال عمرو: مه، البرص من مفاخر العرب . أما سمعتم ابن حنناء⁽²⁾ يقول:

إني امرؤ حنظلي حين تنسبني لا مل عتيك ولا أخوالي العوق⁽³⁾
لا تحسبن بياضاً في منقصة إن اللهايم في أقرابها بلق⁽⁴⁾
أو ما سمعتم قول الآخر:

يا كأس لا تستنكري نحولي⁽⁵⁾ ووضحاً أوفى علي خصيلي⁽⁶⁾
فإن نعت الفرس الرجيل⁽⁷⁾ يكمل بالغرّة والتحجيل⁽⁸⁾
أو ما سمعتم بقول أبي مسهر⁽⁹⁾:

يشتُمني زيد بأن كنت أبرصاً فكل كريم لا أباك أبرص
ثم أقبل على الرّاجز فقال: ما تحفظ في هذا؟ قال: أحفظ والله قوله⁽¹⁰⁾:

(1) روى هذا الخبر الأصبهاني في المحاضرات (2: 133)، وفيه: «اسكت» بدل: «مالك» .

(2) هو المغيرة بن حنناء، تقدمت ترجمته في 4: 15، هـ: «ابن حنناء»، ش: «ابن حكيك»، محرف .

(3) حنظلي: من بني حنظلة . وهو المغيرة بن حنناء بن ربيعة بن حنظلة . العتيك، كأمير قبيلة من ولد كعب بن يشكر ابن بكر بن وائل . المعارف لابن قتيبة ص 43، و«مل عتيك» أي من العتيك، بحذف النون على لغة من يفعل ذلك . انظر المفضليات 154 وقد رسمت هكذا في ل، ورسمت في سائر الكتب: «ملعتيك» ش، هـ: «من عتيك»، ش: «لأني عولق ولا إخواني» بهذا التحريف والإهمال . والعوق، بالتحريك . قال أبو الفرج: «العوق من يشكر . وكانوا أحوال المفضل» يعني المفضل بن المهلب .

(4) اللهايم: جمع لهموم، وهو الجواد من الناس والخيول . والأقرب: جمع قرب، بالضم، وهو الخاصرة . فيما عدل: «أقرانها البلق» بالنون محرف . والبيتان في الشعراء 367 وعيون الأخبار (4: 66) وأمالي القالي (2: 233) والأغاني (11: 159 ساسي) والمعارف 251، وقد روى أبو الفرج خبر البيتين قال: «كان المغيرة بن حنناء يأكل مع المفضل بن المهلب، فقال له المفضل:

فلم أر مثل الحنظلي ولونه أكيل كرام أو جليس أمير

فرفع المغيرة يده مغضباً ثم قال وأنشد البيتين . وعقب على ذلك بقوله: «وبلغ المهلب ما جرى فتناول المفضل بلسانه وشنمه وقال: أردت أن يتمضغ هذا أعراضنا! ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مؤاكلتك إياه؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه ولا تؤاخذه . ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم واستصفحه عن المفضل» .

(5) فيما عدل: «لا تستنكري تخويلي»، محرف . وهو أيضاً على الصواب الذي أثبت في عيون الأخبار (4: 65) .

(6) أوفى: ارتفع . والخصيل: جمع خصلة، وهي الخصلة من الشعر .

(7) الرجيل، من الإبل والدواب: الصبور على طول السير . وفي عيون الأخبار: «الرجيل» بالحاء المهملة، وهو القوي على الارتحال والسير .

(8) التحجيل: بياض في قوائم الفرس .

(9) هو أبو مسهر الأعرابي، من فصحاء الأعراب الذين روى عنهم العلماء . ذكره ابن النديم في الفهرست 71 مصر 47 لبيسك . ونسبة البيت إلى «أبي مسهر» ثابتة أيضاً في عيون الأخبار (4: 64) . وفيما عدل: «قول الآخر» .

(10) انظر عيون الأخبار (4: 65) .

يَا أُخْتَ سَعْدٍ لَا تُعْرِي بِالزَّرَقِ⁽¹⁾ لَيْسَ يَضُرُّ الطَّرْفُ تَوَلِيْعُ الْبَلَقِ⁽²⁾
إِذَا جَرَى فِي حَلْبَةِ الْخَيْلِ سَبَقُ

ومحمد بن سلام يزعم أنه لم ير سابقاً قط أبلق ولا بقاء.

وقد سبق للمأمون [فرس] إما أبلق وإما بقاء.

وأنشدني أبو نواس لبعض بني نهشل⁽³⁾:

نَفَرْتُ سَوْدَةً عَنِّي أَنْ رَأْتُ صَلَعَ الرَّأْسِ وَفِي الْجِلْدِ وَضَحَ⁽⁴⁾
 قَلْتُ يَا سَوْدَةَ، هَذَا وَالَّذِي يَفْرُجُ الْكُرْبَةَ مِنَّا وَالْكَلْخَ⁽⁵⁾
 هُوَ زَيْنٌ لِي فِي الْوَجْهِ كَمَا زَيْنَ الطَّرْفِ تَحَاسِينُ الْقَرْحِ⁽⁶⁾

وزعم أبو نواس أنهم كانوا يتبركون⁽⁷⁾ به، وأن جديمة الوضاح كان يفخر بذلك.

وزعم أصحابنا أن بلعاء بن قيس⁽⁸⁾، لما شاع في جلده⁽⁹⁾ البرص قال له قائل: ما هذا يا بلعاء؟ فقال: «هذا سيف الله جللاه⁽¹⁰⁾!». وكثانة تقول: «سيف الله جللاه⁽¹¹⁾».

ثم رجع الحديث إلى أبي العطف⁽¹²⁾ وضحك. قال: وأما اليوم الآخر فإن عمراً لما

(1) عره يعره: سبه، أو أصابه بمكروه. وفي الأصل: «لا تغري» تحريف. ورواية ابن قتيبة: «لا تعبي». والزرق، بالتحريك: تحجيل يكون دون الأشاعر، أو بياض لا يطيف بالعظم كله، ولكنه وضح في بعضه. ل: «بالروق». والروق: طول وانشاء في الأسنان، ولا وجه له هنا.

(2) الطرف، بالكسر: الكريم العتيق من الخيل. والتوليغ: التلميع من البرص وغيره، إلا أن التوليغ استطالة البلق وتفريقه. ورواية ابن قتيبة: «لا يضرر الطرف تواليغ البلق».

(3) الأبيات في عيون الأخبار (4: 65).

(4) الوضح: بالتحريك: البرص. ورواية ابن قتيبة: «نفرت سودة مني رأت».

(5) والذي، الواو فيه للقسمة. فيما عدل: «هناك»، صوابه في ل وعيون الأخبار. منا: كذا وردت، وليس ما يمنع صحتها. والكلخ، لعله من الكلوح، وهو التكشر في عبوس. فيما عدل: «والطلح». ورواية عيون الأخبار موافقة ما أثبت من ل.

(6) الطرف، فسر قريباً. والقرح، بالتحريك: بياض يسير في وجه الفرس. وفي عيون الأخبار: «القرح» بقاف بعدها زاي، وهو تصحيف، وفسر هناك بأنه خطوط من صفرة وحمرة وخضرة. وليت شعري أي فرس يكون كذلك!

(7) فيما عدل: «وزعم يونس أنهم كانوا يتشرفون به».

(8) سبقت ترجمته في (3: 33).

(9) ط: «بلده» صوابه في سائر النسخ.

(10) ط، ش: «حلاتي به». هـ: «جلاني به» وأثبت ما في ل والمعارف 215 وعيون الأخبار (4: 63). وفي الأغاني

(11: 159): «إنما أنا سيف الله جللاه واستله على أعدائه». وفي كنيات الثعالب 35: «سيف الله جللاه». ويروي

جللاه بالحاء وتشديد اللام.

(11) كثانة، هم قبيل بلعاء بن قيس الكناني، وكان هو رئيسهم. فيما عدل: «وكفى به» تحريف. هـ: «جللاه» بالجيم.

(12) ط فقط: «ابن العطف». وانظر ما سبق ص 112.

ذهبَ بصره، ودخلَ عليه الناسُ يُعزُّونَهُ، دخلَ عليه إبراهيمُ بنُ جامع، وهو أبو عَتَّابٍ⁽¹⁾ من آلِ [أبي] مَصاد⁽²⁾، وكان كالجمل المحجوم⁽³⁾، فقام بين يدي عمرو فقال: يا أبا أُسَيْدٍ⁽⁴⁾ لا تجزعَنَّ مِنْ ذَهَابِ عَيْنَيْكَ⁽⁵⁾ وإن كانتا كريمَتَيْكَ؛ فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن يكونَ الله عز وجل [قد] قطعَ يديكَ ورِجْلَيْكَ، ودقَّ ظهرك، وأدمى ضلعَكَ⁽⁶⁾.

قال: فصاحَ به القومُ وضَحِكَ بعضهم. فقال عمرو: معناه صحيحٌ، ونيتُه حسنة، وإن كان قد أخطأ في اللفظ.

وقلتُ لأبي عَتَّابٍ⁽⁷⁾: بلغني أن عبدَ العزيز الغزالي قال: ليت⁽⁸⁾ أن الله لم يكن خَلَقَنِي، وأني الساعةَ أعور. قال أبو عَتَّابٍ: بشئ⁽⁹⁾ ما قال؛ وددتُ [والله] أن الله لم يكن خَلَقَنِي وأني الساعةَ أعمى مقطوعُ اليدين والرجلين⁽¹⁰⁾.

وأتى بعضُ الشعراء أبا الواسع⁽¹¹⁾ وبئوه حوله، فاستعفاه أبو الواسع⁽¹²⁾ من إنشاد مديحه، فلم يزلْ به⁽¹³⁾ حتى أذن له. فلما انتهى إلى قوله:

فكيف تُنفَى وَأَنْتَ الْيَوْمَ رَأْسُهُمْ وَحَوْلَكَ الْغُرُ مِنْ أَبْنَائِكَ الصَّيْدِ⁽¹⁴⁾

قال أبو الواسع⁽¹⁵⁾: ليتك تركتهم رأساً برأس!

ومدح [الممزق]⁽¹⁶⁾ أبو عباد بن الممزق، بِشَرِّ بن أبي عمرو - وليس هو بشر بن أبي عمرو بن العلاء⁽¹⁷⁾ - فقال:

(1) فيما عدل ل: «ابن عتاب» محرف. وانظر (18:3) حيث هذا الخبر وخبر آخر قبله.

(2) مصاد، بفتح الميم وتضم. ش: «مضاد» بالضاد، تحريف.

(3) المحجوم: الذي وضع على فمه الحجام - ككتاب - لئلا يعض، فصوته أقوى صوت وانظر (18:3).

(4) هكذا ضبط في ل. (5) فيما عدل ل: «بصرك»، والسياق يقتضي ما أثبت من ل.

(6) ل: «ظلفك» ولا يتوجه معه المعنى إلا بعسر. وسبق في (18:3): «صلعك» بالمهمله.

(7) فيما عدل ل: «وقال لأبي عطف»، صوابه في ل وفيما سبق (18:3).

(8) فيما عدل ل: «وددت» وأثبت ما في ل مطابقاً ما سلف (18:3).

(9) ط، ه: «ليته». والكلام من: «وأني الساعة» إلى: «خلقني» التالية ساقط من ش.

(10) فيما عدل ل: «وأنا الساعة مقطوع اليدين والرجلين أعمى». وانظر (18:3).

(11) أبو الواسع، من ندماء صالح بن الرشيد، كما في الأغاني (194:6). فيما عدل ل: «أبا الربيع».

(12) الكلام من «وبئوه» إلى هنا ساقط من ل. وفي الأصل: «أبو الربيع».

(13) ط، ه: «فلم يقبل» فقط، تحريف. وأثبت ما في ش، ل. وكلمة «به» ثابتة في ل فقط.

(14) فيما عدل ل: «فكيف تبقى». وفي العقد (167:6): «وكيف تنفى».

(15) فيما عدل ل: «أبو الربيع».

(16) الممزق، بكسر الزاي المشددة، وهو الممزق الحضرمي، أنشد له دعل بن علي الخزاعي:

إذا ولدت حليلة باهلي غلاماً زيد في عدد اللئام

قال: وابنه عباد بن الممزق، ويعرف بالمخرق، وله أشعار كثيرة، وهو القاتل:

أنا المخرق أعراض اللئام كما كان الممزق أعراض اللئام أبي

المؤتلف 186، وهذه الكلمة ساقطة من ط، وثابتة في سائر النسخ.

(17) سبقت ترجمة أبي عمرو بن العلاء في (127:2).

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ بَشَرًا مُلْصَقٌ فَاللَّهُ يَجْزِيهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ⁽¹⁾
 تُنْبِيكَ قَامَتَهُ وَقِلَّةَ لَحْمِهِ وَتَشَادُقُ فِيهِ وَلَوْ أَنَّ أُسْحَمَ⁽²⁾
 إِنَّ الصَّرِيحَ الْمُحْضَرَ فِيهِ دَلَالَةٌ وَالْعِرْقُ مُنْكَشِفٌ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ⁽³⁾
 أَمَا لِسَانُكَ وَاحْتِبَاؤُكَ فِي الْمَلَا فزُرَارَةُ الْعُدْسِيِّ عِنْدَكَ أَعْجَمُ⁽⁴⁾
 إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَقَالَهُمْ زُورًا، وَشَانَتْكَ الْحُسُودُ الْمَرْغَمُ⁽⁵⁾

(خطأ الكميت في المديح)

وَمِنْ الْمَدِيحِ الْخَطِئِ الَّذِي لَمْ أَرِ قَطُّ أَعْجَبَ مِنْهُ، قَوْلُ الْكَمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ يَمْدَحُ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَوْ كَانَ مَدِيحُهُ لِبَنِي أُمَيَّةَ لَجَازَ أَنْ يَعِيبَهُمْ بِذَلِكَ بَعْضُ بَنِي هَاشِمٍ⁽⁶⁾، [أ] وَ لَوْ مَدَحَ بِهِ بَعْضُ بَنِي هَاشِمٍ لَجَازَ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ بَعْضُ بَنِي أُمَيَّةَ، [أ] وَ لَوْ مَدَحَ أَبَا بَلَالٍ الْخَارِجِيَّ لَجَازَ أَنْ تَعِيبَهُ الْعَامَّةُ، أَوْ [لَوْ] مَدَحَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ لَجَازَ أَنْ يَعِيبَهُ الْمُخَالَفُ، [أ] وَ لَوْ مَدَحَ الْمَهْلَبُ لَجَازَ أَنْ يَعِيبَهُ [أَصْحَابُ⁽⁷⁾] الْأَحْنَفِ.

فَأَمَّا مَدِيحُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمِنْ هَذَا الَّذِي يَسُوؤُهُ ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ:

فَاعْتَبَبَ الشُّوقُ مِنْ فُؤَادِي وَالشَّعْرُ رُ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ مُعْتَبَبُ⁽⁸⁾
 إِلَى السَّرَاجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدًا لَا يَعْدِلْنِي رَغْبَةً وَلَا رَهَبُ⁽⁹⁾
 عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ سُنْ إِلَى الْعَيْوُنِ وَارْتَقَبُوا

(1) المُلْصَقُ: الدَّعِي فِي الْقَوْمِ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ بِنَسَبٍ. فِيمَا عَدَلَ: «مُصْلَقٌ»، بِتَقْدِيمِ الصَّادِ تَحْرِيفِ صَوَابِهِ فِي لِ الْبَيَانِ (2: 151).

(2) التَّشَادُقُ، مِنَ الشَّدَقِ، بِالتَّحْرِيكِ، وَهُوَ سَعَةُ الشَّدَقِ. وَلَمْ تَرِدْ هَذِهِ الصِّيغَةُ فِي الْمَعَاجِمِ. ط، ش، هـ: «تَشَاوَقٌ» بِالْوَاوِ، وَصَوَابُهُ فِي لِ الْبَيَانِ، وَفِيهِ قَبْلُ إِنْشَادِ الشَّعْرِ: «وَمِمَّا قَالُوا فِي التَّشْدِيقِ وَفِي ذِكْرِ الْأَشْدَاقِ».

(3) الْعِرْقُ، بِالْكَسْرِ: الْأَصْلُ. وَعِرْقُ كُلِّ شَيْءٍ أَصْلُهُ. يَتَوَسَّمُ: يَتَعَرَفُ. فِيمَا عَدَلَ: «يَتَوَهَّمُ»، وَرَوَايَةُ الْبَيَانِ مُطَابِقَةٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ لِ.

(4) الْإِحْتِبَاءُ: أَنْ يَجْمَعَ الرَّجُلُ بَيْنَ ظَهْرِهِ وَسَاقِيهِ بِعِمَامَةٍ وَنَحْوِهَا، وَكَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ الْأَشْرَافُ. وَالْمَلَا: الْمَلَأَ، وَهُمْ أَشْرَافُ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ الْعَيْنَ مَهَابَةً وَإِجْلَالًا. وَزُرَارَةُ الْعُدْسِيِّ بَضْمُ الزَّايِ، وَهُوَ ابْنُ عَدَسٍ، بِضَمِّتَيْنِ، تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (4: 226). جَعَلَهُ أَفْصَحَ مِنْ زُرَّارَةٍ، وَكَانَ زُرَّارَةُ حَكِيمًا مِنْ قِضَاةِ تَمِيمٍ. وَالْأَعْجَمُ: الَّذِي لَا يَكَادُ يَبِينُ.

(5) الشَّانَى: الْمُبْغِضُ. وَالْمَرْغَمُ: الْمَقْهُورُ.

(6) فِيمَا عَدَلَ: «بَنِي الْعَبَّاسِ». وَالْعَبَّاسُ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ.

(7) هَذِهِ مِنْ لِ، ش.

(8) الْإِعْتَابُ: الْإِنْصَرَفُ عَنِ الشَّيْءِ، وَاعْتَبَبَ عَنِ الشَّيْءِ: أَنْصَرَفَ. فِيمَا عَدَلَ: «إِلَيْهِ أَعْتَبَبَ»، وَأَثْبَتَهُ مِنْهَا مُوَافَقًا لِلْبَيَانِ (2: 239) وَاللِّسَانِ (2: 68) وَالْمَخْصَصِ (12: 114) وَالْعَمْدَةِ (2: 114) وَفِي اللِّسَانِ فَقَطْ: «عَنْ فُؤَادِي».

(9) لِ: «تَعْدِلْنِي».

[وقيل: أفرطت، بل قصدت ولو
إليك يا خير مَنْ تَضَمَّنْتَ الأُرْ
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ ولو
أنت المصْفَى [المحض] المهذب في الـ
ولو⁽⁴⁾ كان لم يقل فيه [عليه السلام] إلا مثل قوله:

وَبُورِكَ قَبْرٌ أَنْتَ فِيهِ وَبُورَكَتْ به، وله أهلٌ بذلك يَثْرِبُ
لَقَدْ غَيَّبُوا بَرًّا وَحَرَمًا وَنَائِلًا عَشِيَّةً وَارَاكَ الصَّفِيحُ الْمَنْصَبُ⁽⁵⁾

فلو كان لم يمدحه ﷺ إلا بهذه الأشعار التي لا تصلح⁽⁶⁾ في عامة العرب - لما كان ذلك بالمحمود، فكيف مع الذي حكينا قبل [هذا⁽⁷⁾]؟!

(غلط طائفة من الشعراء في المديح والفخر)

ومن الأشعار الغائضة لقبيلة الشاعر - وهي الأشعار التي لو ظنَّت الشعراء أن مَضَرَّتْهَا تَعُوذُ بِعُشْرٍ ما عادتْ به، لكان الخرسُ أَهْوَنَ عليها من ذلك القول - فمن ذلك قولُ لبِيدِ بْنِ رِبِيعَةَ:

أَبْنِي كِلَابٍ كَيْفَ تُنْفِي جَعْفَرُ وَبَنُو ضَبِيْنَةَ حَاضِرُ وَالْأَجْبَابُ⁽⁸⁾
فَتَلُّوا ابْنَ عُرْوَةَ ثُمَّ لَطُّوا دُونَهُ حَتَّى تَحَاكُمْتُمْ إِلَى جَوَابِ⁽⁹⁾

- (1) ثلّبه: لامه وعابه. وزيادة هذا البيت من ل والعمدة والبيان.
- (2) تضمّنه: اشتمل عليه. العيب: العيائون.
- (3) ط، هـ: «إنك» صوابه في ش. وفي جميع النسخ: «المصطفى» بدل: «المصنفى»، والوزن يأباه، وهو من المنسرح.
- (4) الكلام من هنا إلى نهاية البيتين ساقط من هـ.
- (5) وارك: سترك وغيبك. فيما عدل: «وأراه»، محرف. والصفيح: جمع صفيحة وهي الحجارة العريضة. والمنصب: الذي نصب بعضه على بعضه، عنى حجارة القبر.
- (6) كلمة «لا» ساقطة من ل. وبدلها في هـ: «لم». و«تصلح» هي في ط، هـ: «تصلع» بالعين، محرفة، قال ابن رشيّق: «قالوا: من هذا الذي يقول في مادح (في الأصل: مدح) النبي ﷺ: أفرطت، أو يعنفه، أو يثلبه، أو يعيبه حتى يكثر الضجّاج والصخب؟!». وقال من احتج له: لم يرد النبي ﷺ وإنما أراد علياً رضي الله عنه، فورد عنه بذكر النبي ﷺ، خوفاً من بني أمية.
- (7) هذه من ل، ش.
- (8) بنو كلاب: قوم لبید، وهم كلاب بن ربیعة بن عامر بن صعصعة. وأما جعفر فأبوهم كلاب بن ربیعة، وضيبة: كسفيئة: أبو بطن. وهم من غنى بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان، وكانوا حلفاء في بني كلاب. المعارف 36، والأجباب: ميه لبني ضبينة، أنكر على بني كلاب أن ينفوا جعفرًا، وهم من قومهم، على حين يستبقون حلفاءهم ويحفظونهم. ط، هـ: «ضبيعة» ش: «ضبيعة»، صوابه في ل ومعجم البلدان. وفيما عدل: «كيف تبقى» محرف.
- (9) لَطُّوا دُونَهُ: من لَطَّ خبره أي كتمه وستره. ولَطَّ أيضاً: لَزَمَ الشيء وثبت عليه. هـ: «لَطُّوا» بالمعجمة، أي لَزَمُوا وثبتوا. جواب: اسم رجل من بني كلاب، قال ابن السكيت: سمي جواباً لأنه كان لا يحفر بئراً ولا صخرة إلا أمأها. اللسان (1: 277). والبيت نص على أنه كان من حكام العرب. ل: «يحاكمكم».

يَزَعُونَ مُنْخَرَقَ الْقَدِيدِ كَأَنَّهُمْ فِي الْعِزِّ أَسْرَةً حَاجِبٌ وَشَهَابٌ⁽¹⁾
 مَتَظَاهِرٌ حَلَقُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ كَبْنِي زُرَّارَةً أَوْ بَنِي عَتَّابٍ⁽²⁾
 قَوْمٌ لَهُمْ عَرَفَتْ مَعَدَّةُ فَضْلِهَا وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذُوو الْأَلْبَابِ
 ومن هذا الباب قولُ منظور بن زَبَانَ بن سَيَّارِ بن عَمْرٍو بن جَابِرِ الْفَزَارِيِّ⁽³⁾، وهو أَحَدُ
 سَادَةِ غَطَفَانَ:

فَجَاءُوا بِجَمْعٍ مُّحْزَرٍّ كَأَنَّهُمْ بَنُو دَارِمٍ إِذْ كَانَ فِي النَّاسِ دَارِمٌ⁽⁴⁾
 وذلك أَن تَمِيمًا لَمَّا طَالَ افْتِخَارُ قَيْسٍ عَلَيْهَا بِأَن شَعْرَاءَ تَمِيمٍ [كَانَتْ] تَضْرِبُ المِثْلَ بِقِبَائِلِ
 قَيْسٍ وَرِجَالِهَا، فَغَبَرَتْ تَمِيمٌ زَمَانًا لَا تَرْفَعُ رُؤُوسَهَا⁽⁵⁾ حَتَّى أَصَابَتْ هَذِينَ الشَّعْرِينَ مِنْ هَذِينَ
 الشَّاعِرِينَ الْعَظِيمِي الْقَدْرِ؛ فَرَالَ عَنْهَا⁽⁶⁾ الدُّلُّ وَانْتَصَفَتْ. فَلَوْ عَلِمَ هَذَا الشَّاعِرَانِ الْكَرِيمَانِ
 مَاذَا يَصْنَعَانِ بَعَثَاثَرَهُمَا - لَكَانَ الْخَرَسُ أَحَبَّ إِلَيْهِمَا.
 قال أَبُو عُبَيْدَةَ: وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ، وَأَنْشَدَهَا الْمَلِكُ⁽⁷⁾ وَكَانَ بِهِ وَضَحٌ⁽⁸⁾
 وَأَنْشَدَهُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ - فَبَلَغَ مِنْ اسْتِحْسَانِهِ الْقَصِيدَةَ⁽⁹⁾ إِلَى أَنْ أَمَرَ بِرُفْعِ السِّتْرِ.
 وَلَكِرَاهَتِهِمْ لَدُنُو الْأَبْرَصِ مِنْهُمْ قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَيْبَعَةَ، لِلثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ، فِي الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ:

- (1) المنخرق: حيث تنخرق الريح، أي يشتد هبوبها وتتخلل المواضع. فيما عدل: «منخرق» محرف القديد، بالتصغير: موضع قرب مكة. ل: «اللديد» بفتح فكسر، وهو ماء لبني أسد، وحاجب، هو حاجب بن زُرارة، تقدمت ترجمته في (4: 226). وشهاب، بالشين. وفي ل: «سهاب» لكن ذكر صاحب القاموس أن «راشد بن سهاب، ككتاب شاعر، وليس لهم سهاب بالمهملة غيره». فيما عدل: «في العد أسوة حاجز» محرف.
 - (2) حلق الحديد: ما تنسج منه الدروع. وتظاهر: ركب بعضه بعضاً وتضاعف. وأصل التظاهر التعاون. ط: «متظاهري» تحريف.
 - (3) في الأصل: «زبان بن منظور» والصواب أن «منظور» هو «ابن زبان» لأبوه. «بن عمرو» ساقط من ل. وهو ثابت في المعارف 51، ط: «في يسار» ش: «في سيار» ه: «بن يسار»، صوابه ما أثبت من ل والمعارف والحيوان (3: 239) حيث ترجمة زبان بن سيار. وأما ولده «منظور» فقد ذكر أبو الفرج من خبره في الأغاني (11: 53): «حملت فهطم بنت هاشم بمنظور بن زبان أربع سنين، فولدته وقد جمع فاه، فسماه أبوه منظوراً لذلك، لطول ما انتظره وقال فيه:
- مَا جِئْتُ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ بِوَارِدٍ فَسَمِيتُ مَنْظُورًا وَجِئْتُ عَلَى قَدَرٍ
 وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونَ كَهَاشِمٍ وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَسُودَ بَنِي بَدْرِ
- ومنظور من الذين خلفوا على أزواج آبائهم بعد موتهم، انظر هذه الطائفة في المعارف 51، وقد فرق عمر في الإسلام بينه وبين امرأة أبيه، وقال في ذلك شعراً (في الأغاني 11: 53) منه:
- لِعَمْرِ أَبِي دِينَ يَفْرُقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ قَسْرًا إِنَّهُ لِعَظِيمٍ
- (4) احزأل القوم: اجتمعوا، وانضم بعضهم إلى بعض. ودارم، هم بنو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.
 - (5) ط فقط: «رأسها».
 - (6) ل، ش: «عنهما».
 - (7) الملك هنا هو عمرو بن هند. انظر شرح التبريزي للمعلقات 239-240.
 - (8) الوضع: البرص. والذي به الوضع هو الحارث بن حلزة. انظر (البرص) في المعارف 215.
 - (9) ستأتي القصيدة بعد الاستطراد الطويل التالي.

مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ إِنَّ اسْتَه مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَةٍ⁽¹⁾
وَأَنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ⁽²⁾
[كَأَنَّمَا يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيِّعَةً⁽³⁾]

قال ابن الأعرابي: فلما أنشد الملك لبيد في الربيع بن زياد ما أنشد قال الربيع: أبيت اللعن، والله لقد نكت أمه. قال: فقال لبيد: قد كانت لعمري يتيمة في حجرك، وأنت ربيتها، [فهذا بذاك]، وإلا تكن فعلت [ما قلت] فما أولاك بالكذب⁽⁴⁾! وإن كانت هي الفاعلة فإنها من نسوة لذلك فعل⁽⁵⁾. يعني [بذلك]⁽⁶⁾ أن نساء عبس فواجز، لأن أمه كانت عبسية.

والعربي يعاف الشيء ويهجو به غيره، فإن ابتلي بذلك⁽⁷⁾ فخر به. ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه. فافهم هذه؛ فإن الناس يغلطون على العرب⁽⁸⁾ ويزعمون أنهم قد يمدحون الشيء الذي قد يهجون به. وهذا باطل، فإنه ليس شيء إلا وله وجهان [وطرفان] وطريقان. فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين، وإذا ذموا ذكروا أقبح الوجهين.

والحارث بن حلزة فخر ب بكر بن وائل على تغلب، ثم عاتبهم عتاباً دل على أنهم لا ينتصفون منهم، فقال:

وَأَنَا عَنْ الْأَرَاقِمِ أَنْبَا ءِ وَخَطْبُ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ⁽⁹⁾
يَخْلُطُونَ الْبَرِيءَ مِنْ بَذِي الذَّنْءِ بٍ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ⁽¹⁰⁾

- (1) ملمعة: ذات لمع، وكل لون خالف لوناً فهو لمعة.
(2) الأشجع: واحد الأشاجع، وهي عروق ظاهر الكف، أو العظام التي تصل الأصابع بالرسغ.
(3) رواية ابن رشيقي في العمدة (1: 27): «أودعه» قال: «ويروى: أطمعه» قلت: هي رواية الأغاني (16: 22). وقبل هذه الأبيات في كل من العمدة وأمالى المرتضى (1: 136):

يا رب هيجا هي خير من دعه إذا لا تزال هامتي مقرعه
نحن بني أم البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعده والضاربون الهام تحت الحيضعه

وبعد هذه في الأغاني:

يا واهب الخير الكثير عن سعه إليك جاوزنا بلاداً مسبعة
بخبر عن هذا خبير فاسمعه مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه

- (4) فيما عدل: «فإن كنت فعلت فما أولاك بذلك وإن لم تكن فعلت فما أولاك بالكذب» وأثبت ما في ل موافقاً ما في عيون الأخبار (4: 65). وانظر رواية الخبر في أمالى المرتضى والأغاني (14: 92 و 16: 22).

- (5) فيما عدل: «كذلك فعلهن» وما أثبت من ل يشبه ما في عيون الأخبار، ففيها: «فعل لذلك». وفعل بضميتين: جمع فعول، كصبور وصبر. وفعل بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث، ويجمعان على فعل بضميتين.

- (6) هذه من ل، ش.

- (7) فيما عدل: «به».

- (8) هـ: «يغلطون» بالظاء.

- (9) الأرقام: أحياء من بني تغلب وبكر بن وائل. ونعني: أي يعيننا غيرنا به، يظننا ويتهمنا، أو نعني به نحن ونهتهم.

- (10) أي يسوون ذا الذنب بالذي لا ذنب له. والخلاء، بالفتح: البراءة.

- زعموا أن كل من ضرب العير
إن إخواننا الأراقم يغلّو
ثم قال:
- واتركوا الطيخ والتعاشي وإما
واذكروا حلف ذي المجاز وما قد
حذر الجور والتعدي وهل ينـ
واعلموا أننا وإياكم فيـ
أم علينا جناح كندة أن يغـ
أم علينا جرّا حنيفة أم ما
أم علينا جرّا قضاة أم ليـ
ليس منّا المضربون، ولا قيـ
أم جنايا بني عتيق فمن يغـ
- ر موال لنا وأنا الولاء⁽¹⁾
ن علينا في قولهم إحقاء⁽²⁾
- تتعاشوا ففي التعاشي الداء⁽³⁾
دم فيه، العهود والكفلاء⁽⁴⁾
قضى ما في المهارق الأهواء⁽⁵⁾
ما اشترطنا يوم اختلفنا سواء⁽⁶⁾
نم غايزهم ومنّا الجزاء⁽⁷⁾
جمعت من محارب عبراء⁽⁸⁾
س علينا فيما جنوا أنداء⁽⁹⁾
س، ولا جندل، ولا الحداء⁽¹⁰⁾
دروا لنا من غدرهم برأء⁽¹¹⁾

- (1) العير: التود، أي كل من ضرب وتدا ألزمونا ذنبه، أي ذنوب الناس جميعاً. أو العير: إنسان العين، أي ألزمونا ذنب كل من أطبق جفنًا على عين. الولاء: أي أهل الولاء وأصحابه.
- (2) يغلون، بالغين المعجمة: من الغلو، وهو تجاوز الحد. فيما عدل: «يعلون» وما أثبت من ل هو الرواية. انظر التبريزي. والإحقاء: الاستقصاء، أي استقصوا علينا ونقضوا العهد. أو الإحقاء من أحفيت الدابة: كلفتها ما لا تطيق حتى تحفى. ورواية التبريزي: «في قيلهم». والقيل: القول.
- (3) الطيخ: الكبر والعظمة. والتعاشي: التعامي والتجاهل. أي إن تجاهلتم مالنا من الفضل فسدت قلوبنا عليكم فأفضى ذلك بكم إلى شر عظيم. ل: «فإننا نتعاشوا».
- (4) ذو المجاز: موضع جمع فيه عمرو بن هند بكراً وتغلب، وأصلح بينهما، وأخذ منهما الوثائق والرهون. فيما عدا ل: «واتركوا» تحريف.
- (5) المهارق: جمع مهرق، وهو الصحيفة، فارسي معرب. وانظر المعرب الجواليقي 304 والحيوان (1: 75) والتبريزي 255، أراد أن ما كتب في العهود لا تبطله أهواؤكم الضالة. ل: «ولا ينقض» ورواية التبريزي: «ولن».
- (6) أي اعلموا أنا وإياكم في تلك الشرائط التي وثقناها يوم تعاقدنا مستون.
- (7) كانت كندة غزت تغلب وقتلت فيهم وسبت وغنمت، فقال: أتلزمونا ما فعلت كندة؟!
- (8) الغبراء: الصعاليك والفقراء. والجراء والجرأ، بالمد والقصر: الجناية، فيما عدل: «جزا» بالزاي، تصحيف. أي هل علينا في العهود والمواثيق التي أخذتموها علينا أن تأخذونا بذنوب حنيفة وما أذنبت صعاليك محارب.
- (9) الأنداء: جمع ندى، وهو ما يصيب الإنسان، يقال: لا ينداك مني شيء تكرهه، أي لا يصيبك. كانت قضاة غزت تغلب فقتلوا وسبوا. يريد: أتريدون أن تحملوا علينا ذنوب هؤلاء؟! وليس يندانا مما جنوا شيء.
- (10) المضربون: قوم من بني تغلب ضربوا بالسيف. والحداء: قبيلة من ربيعة.
- (11) يقول: إن نقضتم العهد فإنا برآء منكم. فيما عدل: «من جرهم». الزوزني والتبريزي: «من حربهم» قال التبريزي: «ويروى فإنا من غدرهم».

عَنْتَا بَاطِلًا شَدُوخًا كَمَا تَعِ تَر عَنْ حَجَرَةِ الرَّيْبِضِ الظَّبَاءِ⁽¹⁾
ومن المديح الذي يَقْبُحُ، قولُ أَبِي الْحَلَالِ⁽²⁾ فِي مَرَثِيَّةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، حَيْثُ يَقُولُ:
يَا أَيُّهَا الْمَيِّتُ بِحُورَارِينَا إِنَّكَ خَيْرُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ⁽³⁾
[وقال الآخر:

مَدَحْتُ خَيْرَ الْعَالَمِينَ عَنَقْشَا⁽⁴⁾ يَشِبُّ زَهْرَاءُ تَقُودُ الْأَعْمَشَا⁽⁵⁾
وقال الآخر:

إِنَّ الَّذِي أَمْسَى يُسَمِّي كُوزًا اسْمًا نَبِيهَا لَمْ يَكُنْ تَنْبِيْزًا⁽⁶⁾
لَمَّا ابْتَدَرْنَا الْقَصَبَ الْمَرْكُوزَا⁽⁷⁾ وَجَدْتُني ذَا وَثْبَةٍ أُبُوزَا⁽⁸⁾
ودخل بعضُ أَغْثَاثِ⁽⁹⁾ شعراءِ البَصْرِيِّينَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِ الْوُجُوهِ يُقَالُ فِي
نَسَبِهِ⁽¹⁰⁾، فَقَالَ: إِنِّي مَدَحْتُكَ بِشَعْرٍ لَمْ تُمَدِّحْ قَطُّ بِشَعْرٍ هُوَ أَنْفَعُ لَكَ مِنْهُ. قَالَ: مَا أَحْوَجَنِي
إِلَى الْمَنْفَعَةِ، وَلَا سِيَّمَا كُلِّ شَيْءٍ⁽¹¹⁾ مِنْهُ يَخْلُدُ عَلَى الْآيَامِ، فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ. فَقَالَ:
سَأَلْتُ عَنْ أَصْلِكَ فِيمَا مَضَى أَبْنَاءُ تَسْعِينَ وَقَدْ نَيْفُوا⁽¹²⁾
فَكُلُّهُمْ يَخْبِرُنِي أَنَّهُ مُهَذَّبٌ جَوْهَرُهُ يُعْرِفُ
فَقَالَ لَهُ: قُمْ فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ! فَلَعَنَكَ اللَّهُ⁽¹³⁾ وَلَعَنَ مَنْ سَأَلَ وَلَعَنَ مَنْ أَجَابَكَ!!

- (1) شَدُوخًا: مائلاً عَنِ الْقَصْدِ. وَهَذَا الْبَيْتُ أَحَدُ شَوَاهِدِ صِحَّةِ هَذَا الْمَعْنَى. انْظُرِ الْلسَانَ (شَدَخَ). فِيمَا عَدَالٍ: «وِظْلَمًا». تَعْتَبِرُ: تَذْبِجُ. فِيمَا عَدَالٍ: «يَعْتَبِرُ»، وَالْحَجَرَةُ بِالْفَتْحِ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْغَنَمُ. وَالرَّيْبِضُ: جَمَاعَةُ الشَّاءِ، وَالْعَرَبُ كَانَتْ تَنْذِرُ النَّذْرَ فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: إِنَّ رِزْقِي اللَّهُ مِائَةُ شَاةٍ ذُبِحَتْ عَنْ كُلِّ عَشْرَةِ شَاةٍ، فَرُبَّمَا يَخُلُ أَحَدُهُمْ بِمَا نَذَرَ، فَيَصِيدُ الظَّبَاءَ فَيَذْبَحُهَا عَوْضًا مِنَ الشَّاءِ.
- (2) ط، هـ: «ابن الحلال»، ش: «ابن الحلال»، وَأُثِّبَ مَا فِي ل.
- (3) حَوَارِينَ: بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ، وَهِيَ الَّتِي تَدْعَى بِالْقَرِيَّتَيْنِ، بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ تَدْمَرَ مَرَحِلَتَانِ، وَبِهَا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي سَنَةِ 64، انْظُرْ يَاقُوتَ فِي (حَوَارِينَ، الْقَرِيَّتَيْنِ).
- (4) عَنَقَشَ، كَجَعْفَرَ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِمْ.
- (5) الزَهْرَاءُ: الْمَنِيرَةُ الْمُضِيئَةُ، عَنِ بَهَا: النَّارِ. أَيِ يُوْقِدُ هَذِهِ النَّارَ لِلضَّيْفِ، فَيَهْتَدِي بِهَا الْأَعْمَشُ، فَمَا بِالِكَ بِغَيْرِ الْأَعْمَشِ؟! وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ ثَابِتَةٌ فِي ل، ش، هـ. وَفِي الْأَخِيرَتَيْنِ: «لَقَيْتَهُ دَهْرًا»، تَصْحِيفٌ.
- (6) نَبِ الْأَسْمِ: صَارَ مَعْرُوفًا مَشْهُورًا. وَالتَّنْبِيزُ: التَّلْقِيبُ. وَفِي الْلسَانِ: «فُلَانٌ يَنْبِزُ بِالْصَّبِيَّانِ: يَلْقُبُهُمْ. شَدَّدَ لِلْكَثْرَةِ». ل: «نَبِيزًا».
- (7) ابْتَدَرُوا السَّلَاحَ: تَبَادَرُوا إِلَى أَخْذِهِ. وَالْقَصَبُ، أَرَادَ بِهِ الرَّمَاحَ. ش: «العصب» مُحَرَفٌ. وَالْمَرْكُوزُ: الْمَغْرُوزُ فِي الْأَرْضِ وَنَحْوِهَا.
- (8) الْأُبُوزُ: الَّذِي بَازٍ فِي عَدْوِهِ، أَيِ يَشِبُّ وَيَقْفِزُ وَيَنْطَلِقُ.
- (9) الْأَغْثَاثُ: جَمْعُ غُثٍّ، وَهُوَ الرَّدِيءُ السَّيِّئُ الْخَلْقِ وَالْحَالِ. فِيمَا عَدَالٍ: «أَغْيَاءٌ».
- (10) أَيِ يَطْعَنُ فِي نَسَبِهِ. وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ بَعِينُهَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (53: 2). وَفِيمَا عَدَالٍ: «وَكَانَ يَطْعَنُ فِي نَسَبِهِ».
- (11) فِيمَا عَدَالٍ: «كُلُّ شَعْرٍ».
- (12) نَيْفُوا: زَادُوا، يُقَالُ: أَنْفٌ، وَنَيْفٌ. فِيمَا عَدَالٍ وَكَذَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ: «أَبْنَاءُ سَبْعِينَ».
- (13) ط، هـ: «لَعَنَكَ اللَّهُ» بِاسْقَاطِ الْفَاءِ.

باب (في السُّخْفِ والباطل)

وسنذكر لك باباً من السُّخْفِ، وما نَسَخَفُ به لك، إذ كان الحق يثقل⁽¹⁾ ولا يخفُّ إلا ببعض الباطل.

أنشدنا أبو نُؤَاسٍ في التذليك:

إِنْ تَبْخَلِي بِالرَّكَبِ المَحْلُوقِ فَإِنَّ عِنْدِي رَاحَتِي وَرِيقِي
وهذا الشعرُ مما يُقالُ إنَّ أبا نُؤَاسٍ وَلَدَهُ.
ومما يُظَنُّ أَنَّهُ وَلَدَهُ قَوْلُهُ:

لَمْ أَرْ كَاللَّيْلَةِ فِي التَّوْفِيقِ حِرّاً عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ
كَأَنَّ فِيهِ لَهَبَ الْحَرِيقِ

وأنشدني ابن الخاركي⁽²⁾ لبعض الأعراب في التذليك:

لَا بَارَكَ إِلَهِ فِي الْأَحْرَاحِ فَإِنَّ فِيهَا عَدَمَ اللَّقَاحِ
لَا خَيْرَ فِي السَّفَاحِ وَاللَّقَاحِ إِلَّا مُنَاجَاةَ بَطُونِ الرَّاحِ
وأنشدني محمد بنُ عَبَّادٍ⁽³⁾:

تَسْأَلُنِي مَا عَتَدِي وَعَنْ دَدِي⁽⁴⁾ فَإِنِّي يَا بِنْتَ آلِ مَرْثَدٍ⁽⁵⁾
رَاحِلَتِي رَجُلَايَ وَأَمْرَاتِي يَدِي⁽⁶⁾

وأنشدني بعض أصحابنا [لبعض] المدينيين:

(1) السخف، بالضم والفتح: رقة العقل. والتسخف: أراد به الذهاب مذهب السخف. ولم تذكره المعاجم. وقد سبق في (3: 20 س6): «وقد تسخفنا في هذه الأحاديث». فيما عدل: «من السخيف وربما يستخف عليك إذا كان الحق يثقل عليك».

(2) هو أحمد بن إسحاق الخاركي المترجم في (2: 109).

(3) محمد بن عباد، ذكره الجاحظ في البخلاء 177-178 وأورد له خبرين طريفيين، وهو «محمد بن عباد بن كاسب، كاتب زهير ومولى بجيلة، من سبي دابق، وكان شاعراً راوية، وطلابة للعلم علامة». انظر البيان 1: 44، وقال الجاحظ في البيان 1: 145: «وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول: واللّه لفلان أثقل من مغن وسط، وأبغض من ظريف وسط». قال الجاحظ يؤيد رأيه: «وإنما الشأن في الحار جداً والبارد جداً».

(4) العتد، بالتحريك، ويفتح فكسر: الفرس التام الخلق السريع الوثبة المعد للجرى، أو العتيد الحاضر المعد. والدد: اللّهُو واللعب، ومثله الددن، والددا، والديد، والديدان، والديدبون، كلها لغات صحيحة. ل: «ما عندي لها» ط: «ماعدتي»، محرفتان عما أثبت من ش، هـ. وفي ط: «وعتدي» ش: «وغندي» هـ: «وعندي»، صوابه في ل.

(5) ل: «ياينة».

(6) امراتي، أراد امرأتي، فسهل، أو اضطره الشعر. هـ: «راحلتي رجلي».

- أَصْفَى هَوَى النَفْسِ، غَيْرَ مُتَّبِعٍ حَلِيلَةً لَا تَسْؤُمُنِي نَفَقَهُ ⁽¹⁾
 تكون عوني على الزمان وليل كَسَبٍ، إِذَا مَا أَخْفَقْتُ، مُرْتَفِقَهُ ⁽²⁾
 وشعر في ذلك سمعناه على وجه الدهر، وهو قوله ⁽³⁾ :
 إِذَا نَزَلْتَ بَوَادٍ لَا أَنْيَسَ بِهِ فَاجِلِدْ عُمِيرَةَ لَا عَارَ وَلَا حَرْجَ
 وأنشدنا أبو خالد التميمي ⁽⁴⁾ :
 لو أَنهَا رَخْصَةٌ قَضَيْتُ مِنْ وَطَرِي لَكُنْ جَلَدَتَهَا تُرْبِي عَلَى السَّفَنِ ⁽⁵⁾
 أشكو إلى الله نغظاً قد بُليت به وَمَا أَلَا قِي مِنَ الْإِمْلَاقِ وَالْحَزَنِ ⁽⁶⁾
 وقال الذَّكْوَانِيُّ ⁽⁷⁾ يردُّ على الأولِ قوله :
 جَلَدِي عُمِيرَةَ فِيهِ الْعَارُ وَالْحُوبُ وَالْعَجْزُ مُطْرَحُ وَالْفُحْشُ مَسْبُوبُ ⁽⁸⁾
 وبالعراق نساءً كالمهات قُطِفَ بِأَرْخَصِ السَّوْمِ خَدَلَاتٌ مَنَاجِيْبُ ⁽⁹⁾
 وما عُمِيرَةُ مِنْ ثُدْيَاءٍ حَالِيَةٍ كَالْعَاجِ صَفَرَهَا الْأَكْنَانُ وَالطَّيْبُ ⁽¹⁰⁾
 قال : مَثَلُ هَذَا الشَّعْرِ كَمَثَلِ رَجُلٍ قِيلَ لَهُ : أَبُوكَ ذَاكَ الَّذِي مَاتَ جُوعاً؟ ⁽¹¹⁾ قال :
 فَوَجَدَ ⁽¹²⁾ شَيْئاً فَلَمْ يَأْكُلْهُ ؟!
 وقال الحَرَامِيُّ ⁽¹³⁾ :

- (1) أتأب الرجل : استحميا، افتعال من وأب . فيما عدال : «منتتب» تحريف . وقد عني بالحليلة كفه . تسومني : تكلفني .
 (2) فيما عدال : «والكسب» . وبدئ عجز البيت في الأصل بالباء ، وصوابه أن يبدأ بالكاف ، وهو من المنسرح .
 مرتفعة : منتفعة . وفي اللسان : (11 : 409) : «المرفق» ، والمرفق من الأمر ، وهو ما ارتفعت وانتفعت به .
 (3) ط ، هـ : «وشعرا في ذلك سمعناه وهو» مع إسقاط سائر الكلام . وأثبت ما في ل ، ش . لكن في ش : «وشعرا»
 بالنصب . ووجه الدهر : أوله . وانظر البيت وما يتعلق به في محاضرات الراغب (2 : 115) . وروايته : «إذا حللت
 بأرض لا أنيس بها» .
 (4) فيما عدال : «أبو عميرة النمري» .
 (5) رخصة : ناعمة لينة ، أراد يده . والسفن ، بالتحريك : قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة يسحج بها القدح
 حتى تذهب عنه آثار المبرة .
 (6) الإملاق : الفقر والحاجة . فيما عدال : «قد منبت به» وهما بمعنى . وفيما عدال أيضاً : «وما الأمانى سوى» وهذه
 محرفة .
 (7) سبق له رجز في (3 : 147) .
 (8) الحوب ، بالضم : الهلاك ، والغم ، والبلاء . والسب : القطع ، سبه يسبه سبا : قطعه .
 (9) قطف : جمع قطوف ، وهي الضيقة المشي البطيئة . فيما عدال : «نطف» بالنون ، تحريف . خدلات : ممثلثات
 الأعضاء في دقة عظام . هـ : «جدلات» بالجمع . ط ، هـ : «جدلات» تصحيف . مناجيب : جمع منجاب ، وهي التي
 تلد النجباء .
 (10) الثدياء : العظيمة الثدي . هـ : «يدا» . فإن صحت كان وجهها «بداء» ، وهي الضخمة الأسكتين . ش : «نداء» محرفة .
 حالية : عليها الحل . كالعاج ، في بياضها الأكنان : جمع كن ، بالكسر ، وهو البيت . والعرب يمدحون بالصفرة .
 (11) فيما عدال : «مات من الجوع» . (12) كذا ، بترك همزة الاستفهام في الأصل .
 (13) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب ، انظر الحيوان (131) وهذا الجزء ص 121 ، فيما عدال : «الخزامي» .

عِيَالٌ عَالَةٌ وَكَسَادٌ سُوقٍ وَأَيْرٌ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ

باب مما قالوا في السرِّ

قال ⁽¹⁾ ابن ميادة :

أَتُظْهِرُ مَا فِي الصَّدْرِ أَمْ أَنْتَ كَاتِمُهُ وَكِتْمَانُهُ دَاءٌ لِمَنْ هُوَ كَاتِمُهُ
وَإِضْمَارُهُ فِي الصَّدْرِ دَاءٌ وَعِلَّةٌ وَإِظْهَارُهُ شَنْعٌ لِمَنْ هُوَ عَالِمُهُ ⁽²⁾

وتقول العرب : « من ارتاد لسره فقد أشاعه ⁽³⁾ » .

وأرى [الأول] قد أذن في واحد ⁽⁴⁾ وهو قوله ⁽⁵⁾ :

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ
وقال الآخر ⁽⁶⁾ فيما يوافق [فيه] المثل [الأول] :

فَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا ⁽⁷⁾
فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا ⁽⁸⁾
وقال مسكين الدارمي ⁽⁹⁾ :

إِذَا مَا خَلِيلِي خَانَنِي وَائْتَمَنْتُهُ فَذَاكَ وَدَاعِيهِ وَذَاكَ وَدَاعُهَا
رَدَدْتُ عَلَيْهِ وَدَّهَ وَتَرَكَتُهَا مَطْلَقَةً لَا يُسْتَطَاعُ رَجَاعُهَا

(1) فيما عدا ل : « وقال » . وانظر رسالة كتمان السر وحفظ اللسان في رسائل الجاحظ 1: 135-172 من تحقيقي .

(2) الشنع ، بالضم : القبح والفظاعة .

(3) في عيون الأخبار (1: 38) : « من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه » .

(4) أي في إفشاء السر إلى واحد .

(5) هو الصلتان السعدي ، كما نص الجاحظ في (3: 257) . وفي عيون الأخبار (1: 39) وكذا الحماسة (2: 56-57) : « الصلتان العبدى » . وفي محاضرات الراغب 1: 59 : « الصلتان » مجرداً . والبيت بدون نسبة في لباب الآب 240 وأدب الدنيا والدين 281 .

(6) في الكامل 424 ليسك : « وأحسن ما سمع في هذا - يعني كتمان السر - ما يعزى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقائل يقول : هو له ، ويقول آخرون : قاله متمثلاً . ولم يختلف في أنه كان يكثر إنشاده » وأنشد البيتين . ونسبه الماوردي 279 إلى أنس بن أسيد . وانظر لباب الآداب 240 والعقد (1: 35) ومحاضرات الراغب (1: 59) وعيون الأخبار (1: 39) والمحاسن والمساوي للبيهقي (2: 58 ، 59) .

(7) النصيح : الناصح الذي لا يغش . وقد عني أن لكل صفي صفيّاً آخر يفضي إليه بسره ولا يضمن به عليه ، فمن ذلك ما يذيع السر ويتنقل في الإخوان ، وإخوان الإخوان . وانظر رسائل الجاحظ 1: 146 و2: 155 من تحقيقي .

(8) غواة : جمع غاوٍ ، وهو الضال الفاسد . وهذه الرواية توافق رواية الكامل وعيون الأخبار والعقد . وفي ل : « وجدت ضعاف » : وعند الماوردي : « وشاة » والبيهقي : « بغاة » .

(9) انظر كامل المبرد 425 ليسك ، وعيون الأخبار (1: 39) وأمالى المرتضى 2: 62 والقالي 2: 176 وحماسة أبي تمام 2: 2 .

وإني امرؤٌ مني الحياءُ الذي تَرَى
أُوَ أَخِي رَجَالاً لَسْتُ أُطْلِعُ بَعْضَهُمْ
يَظْلُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ، وَسِرُّهُمْ
وَقَالَ أَبُو مَحْجَنٍ الثَّقَفِيُّ (2):

وَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي فَنَعَ
وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةَ الْعُنُقِ (3)
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (4): «مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ».
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «لَا تُطْلِعْ وَاحِداً مِنْ سِرِّكَ» (5)، إِلَّا بِقَدْرِ مَا لَا تَجِدُ فِيهِ بَدْءاً مِنْ
مَعَاوَنَتِكَ».

وَقَالَ آخِرُ (6): «إِنَّ سِرِّكَ مِنْ دَمِكَ، فَانْظُرْ أَيْنَ تُرِيْقُهُ!».
[وَقَالَ الشَّاعِرُ (7):

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نَسِيَانٍ مَا اشْتَمَلْتُ
لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّاهُ (8)
[وَقَالَ الْآخَرُ:

- (1) الجماع: اسم لما يجمع به الشيء. وهذا نحو قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:
أُوَ أَخِي رَجَالاً لَسْتُ مُطْلِعُ بَعْضَهُمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ إِنْ صَدْرِي وَاسِعُهُ
ديوان المعاني 1: 141 والأغاني 8: 92.
- (2) هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. وهو من المخضرمين الذين أدرَكوا الجاهلية والإسلام، معدود في أولى البأس والنجدة، وكان يذمّن شرب الخمر، وأقام عمر عليه الحد مراراً. وهو القائل:
إِذَا مِتَ فَادْفَنْنِي إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ تَرَوِي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا
وَلَا تَدْفَنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَامَتْ أَنْ لَا أَذُوقَهَا
ابن سلام 225 والأغاني 21: 137-143 وديوان أبي محجن 23.
- (3) في الأصل: «وقد أكون» صوابه من المصادر التالية. الفنع، بفتح الفاء وفتح النون: كثرة المال. وفي الأصل: «قنع» بالقاف، صوابه في اللسان والمخصص (12: 280) والفصول والغايات 465 والأغاني (21: 142) وديوان أبي محجن رواية أبي هلال العسكري ص 7، وعجز البيت في الأخيرين: «وقد أكر وراء المحجر البرق». المحجر: الذي ضيق عليه في الحرب. والبرق: الشاخص البصر من الفزع. وروى عجز البيت أيضاً عجزاً للصدر آخر، في الديوان وعيون الأخبار (1: 38) والعقد (1: 36).
- (4) رواه البيهقي في المحاسن (2: 57) حديثاً للرسول ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «من كتم سره كانت الخيرة في يديه» ثم ساق حديثاً طويلاً. وقد اقتبس هذا المعنى عتبة بن أبي سفيان في خبر له مع ابنه الوليد. انظر عيون الأخبار (1: 40) والعقد (1: 35).
- (5) فيما عدل ل: «أخاك» وفي ط، هـ: «على» موضع «من».
- (6) نسبه البيهقي (2: 56) إلى المنصور، كان يقول: «سرك من دمك فانظر من تملكه». قال ابن عبد ربه: «يعنون أنه ربما كان في إفشائه سفك دمك».
- (7) انظر عيون الأخبار (1: 39) ولباب الآداب 241 والماوردي 281.
- (8) ل: «سريره» وأثبت ما في ط، هـ، ش وسائر المصادر.

فإذا استودعت سرّاً أحداً فقد استودعت بالسّرّ دَمَكْ [وقال قيسُ بنُ الخطيم ⁽¹⁾ :

وإنّ ضَيَعَ الإخوانُ سرّاً فإنني كُتُومٌ لِأَسْرَارِ الْعَشِيرِ أَمِينٌ
يكونُ له عندي إذا ما اتُّمِنْتُهُ مكانٌ بِسَوْدَاءِ الْفُؤَادِ مَكِينٌ ⁽²⁾

وقيل لمزبّد: يا مُزبّد ⁽³⁾ ، ما هذا الذي تحتَ حضنك؟ فقال: يا أحمق، فلمَ خبأتَه؟! ⁽⁴⁾
وقال أبو الشَّيص:

ضع السّرّ في صَمَاءٍ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ صَلَوْدٍ كَمَا عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخَرِ
ولكنها قلبُ امرئٍ ذي حَفِيطَةٍ يَرَى ضَيْعَةَ الْأَسْرَارِ هَتَرًا مِنَ الْهَتَرِ ⁽⁵⁾
يموتُ وما ماتتْ كَرَائِمُ فَعْلِهِ وَيَبْلَى وما يَبْلَى نَثَاءُ عَلَى الدَّهْرِ ⁽⁶⁾

وقال سُحَيْمُ الْفَقْعَسِيُّ ⁽⁷⁾ ، في نشر ما يُودَعُ مِنَ السَّرِّ ⁽⁸⁾ :

ولا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أَذِيعُهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي ⁽⁹⁾

(1) البيتان من قصيدة له في ديوانه 28-29 عددها 11 بيتاً وأما القالي (2: 177) وعددها 13 بيتاً. وانظر الشريشي (1: 217-218) والعيني (4: 566-567) وحماسة البحتري 226 ونوادر أبي زيد 204 ولباب الآداب 23 والمستطرف (1: 207).

(2) رواية الديوان والقالي والعيني: «إذا ما ضمنته». وأشار القالي إلى الرواية الثانية. وفي الديوان: «مقر» وقد أشار القالي إلى رواية الديوان. ورواية الديوان والقالي: «كنين» بمعنى مكنون. وأما «مكين» فهو من التمكن.

(3) مزبد: هو مزبد المدني، من مشهوري أصحاب النوادر والفكاهة. ويقع التحريف في اسمه كثيراً، فيقال: «مزبد» بالياء المثناة التحتية، كما ورد في ط، هـ، وفي تاج العروس (2: 361): «ومزبد، كمحدث: اسم رجل، صاحب النوادر. وضبطه عبد الغني وابن ماكولا كمعظم. وكذا وجد بخط الشرف الدمياطي، وقال: إنه وجده بخط الوزير المغربي. ووجد في خط الذهبي ساكن الزاي مكسور الموحدة». وقد رجعت إلى المشتبه للذهبي ص 475 فوجدت فيه: «وبزاي وبموحدة مكسورة: مزبد صاحب النوادر». ففي ضبطه أقوال ثلاثة. وله حديث في ثمار القلوب 372 وقال التوحيدي في شأن الجاحظ: «وإن هزل زاد على مزبد». انظر المقابسات 55.

(4) فيما عدل: «لم خبأتَه» وكذا في عيون الأخبار (1: 39). وفي جمع الجواهر للحصري 13: «وكان بين يدي مزبد المدني جرة مغطاة، فقال له بعض جيرانه: ما هذا؟ فقال: يا أحمق فلم سترناه؟! أخذه ابن الرومي فقال لمن سألَه: لم تلمز العمه؟ - وكان ابن الرومي أقرع الرأس - :

بأيها السائل لي لأخبره عني لم لا أزال معتجراً
أستر شيئاً لو كان يمكنني تعريفه السائل ما ستراً

(5) الهتر، بالفتح: مزق العرض، وبالكسر: الباطل والخطأ في الكلام، وبالضم: ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن. ش: «من أكبر السر» محرفة. ط، هـ: «من أكبر الشر»، وأثبت ما في ل.

(6) النثاء، بتقديم النون: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ. فيما عدل: «نثاء» مصحف.

(7) المعروف فيمن اسمه سحيم من الشعراء ثلاثة: سحيم بن وثيل الرياحي، وسحيم بن الأعرف وهو من بني الهجيم، وسحيم عبد بني الحسحاس. انظر الخزانة (1: 242، 244 سلفية).

(8) فيما عدل: «في إفشائه ما يودع من الأسرار».

(9) في عيون الأخبار (1: 41) والحماسة (2: 402) والكمال 427 لببسك: «أنمها» وفي ل والحماسة: «أترك»، وفي المستطرف (1: 208): «تعلو على قلبي». وانظر شرح المرمزوقي للحماسة 1850-1851.

وإن قليلَ العقلِ من باتَ ليله تقلّبهِ الأسرارُ جنباً إلى جنب⁽¹⁾
وقال الفَرّار⁽²⁾ السُّلَميّ - وهذا الشعر في طريقِ شعرِ سُحيمٍ ، وإن لم يكن في معنى
السرّ - [وهو] قوله :

وكتيبةٍ لبّستها بكتيبة حتى إذا التّبستْ نفضتُ بها يدي⁽³⁾
[وتركتُهُمْ تقصُّ الرّماحَ ظهورَهم من بين مُنجدلٍ وآخر مُسنَدٍ⁽⁴⁾
ما كانَ ينفعُني مقالُ نسائهم وقُلتُ دون رجالهم: لا تَبعد⁽⁵⁾

(تخاذل أسلم بن زُرعة)

وقيل لأسلم بن زُرعة⁽⁶⁾ إنك إن انهزمتَ من أصحابِ مُزداسِ ابنِ أدية⁽⁷⁾ غضِبَ عليك
الأمير عبيدُ الله بن زياد قال: يعْضِبُ عليّ وأنا حيّ أحبُّ إليّ من أن يَرْضَى عني وأنا ميّت .
قال: ووليّ دَسْتبى⁽⁸⁾ فخرج إليها في أصحابه⁽⁹⁾ ، فلما شارفها عرضتْ له الخوارجُ ،

(1) فيما عدل ل: «ضعيف العقل». وما أثبت من ل يوافق الكامل والحماسة والمستطرف. ه فقط:
«ليلة». بالتاء، ومثلها الحماسة والمستطرف. لكن صدره في الكامل: «وإن أحق الناس بالسخف لا
امرؤ».

(2) الفرار: شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، واسمه حبان (ويقال: حيان) بن الحكم، وأخذ راية
سليم يوم الفتح ثم نزعت منه. وسليم بالتصغير: اسم قبيلته. انظر الإصابة 1551 والحماسة (1: 57) وشرح
التبريزي. وفيما عدل ل: «الغرار» بالغين، محرف.

(3) أي رب كتيبة خلطتها بكتيبة؛ فلما اختلطت نفضت يدي منهم. وأراد بنفض اليد الإعراض عنها. وفي هذا ما فيه
من اطراح النخوة والخلق الفاضل. وهذا هو السر في شبه هذا الشعر بسابقه.

(4) تقص: تكسر، والوقص: الكسر. المنجدل المصروع الملقى على الجدالة، وهي الأرض. والمسند: الذي أسند
إلى ما يمسكه وبه رفق. ورواية الحماسة: «منعفر». وهذا البيت ثابت في ل، ش فقط.

(5) ما استفهامية أو نافية. بعد يبعد: هلك، وبابه تعب، أي ما ينفعني أن يندبني ويقلن لا تبعد! فيما عدل ل: «بين
رجالهم»، ورواية الحماسة: «بين رجالها».

(6) في تاريخ الطبري القسم الثالث ص 65 أن زياداً لما ولي العراق استعمل الحكم بن عمرو الغفاري على خراسان،
وجعل معه رجالاً على كور، وأمرهم بطاعته، فكانوا على جباية الخراج، وهم أسلم بن زُرعة، وخليد بن
عبد الله الحنفي، ونافع بن خالد الطلحي، وربيعه بن غسل اليربوعي، وحاتم بن النعمان الباهلي. وفي ص
172: «ولي عبيد الله بن زياد أسلم بن زُرعة خراسان». وفي ص 391 أن عبيد الله بن زياد أرسبه إلى أبي بلال
مرداس بن عمرو بن حدير.

(7) سبقت ترجمته في ص 16 من هذا الجزء. وله أخ يدعى «عروة». وأدية: جدة لهما من محارب نسبا إليها، ويقال:
بل كانت ظئراً لهما، وهما ابنا عمرو بن حدير، من ربيعة بن حنظلة. المعارف 180.

(8) دستبي، بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة المقصورة: كورة كبيرة كانت مقسومة
بين الري وهمدان. ط، ه، ش: «تستر»، وهي بضم التاء الأولى وفتح الثانية، وكانت أعظم مدينة بخوزستان.
ل: «دستبني» بزيادة نون قبل الآخر، وصواب هذه ما أثبت.

(9) فيما عدل ل: «وخرج»، بالواو.

وكان أكثرَ منهم عدداً وعدة، فقال: واللّه لأصافّقهم⁽¹⁾، ولأعبيّن أصحابي⁽²⁾، فلعلهم إذا⁽³⁾ رأوا كثرتهم انصرفوا، ولا أزال بذلك⁽⁴⁾ قوياً في عملي هذا. فلما رأت الخوارج كثرة القوم نزلوا عن خيولهم فعزّقبوها⁽⁵⁾، وقطّعوا أجفانَ سيوفهم، ونبذوا⁽⁶⁾ كل دقيق كان معهم، وصَبُّوا أسقيتهم. فلما رأى ذلك رأى الموت الأحمر. فأقبل عليهم فقال: عرقتم دوابكم. وقطّعتم أجفانَ سيوفكم، ونبذتم⁽⁷⁾ دقيقتكم؟ خارَ الله لنا ولكم! ثم ضربَ وجوهَ أصحابه⁽⁸⁾ وانصرفَ عنهم.

(ضيق النظام بحمل السرّ)

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام. أضيقَ الناس صدراً بحمل سرّ⁽⁹⁾ وكان سرّاً ما يكون إذا يؤكّد عليه صاحب السرّ⁽¹⁰⁾ وكان إذا لم يؤكّد عليه ربما نسي القصة، فيسلم صاحب السرّ.

وقال له مرة قاسم التمار: سبحان الله ما في الأرض أعجب منك⁽¹¹⁾ أودعتك سرّاً فلم تصبر عن نشره⁽¹²⁾ يوماً واحداً؛ واللّه لأشكوّنك للناس! فقال: يا هؤلاء، سلّوه نَمَمْتُ عليه مرة واحدة، أو مرتين، أو ثلاثاً، أو أربعاً، فلمن الذنب [الآن]؟ فلم يرض بأن يشاركه في الذنب، حتى صير⁽¹³⁾ الذنب كله لصاحب السرّ.

(شعر في حفظ السرّ)

وقال بعض الشعراء⁽¹⁴⁾:

- (1) المصافّة، بتشديد الفاء، من صافه يصافه، بالتشديد: إذا رتب صفوفه في مقابل صفوف العدو. وفي الحديث أن النبي ﷺ: «كان مصاف العدو بعسفان» ش، هـ: «لأصافينهم» تحريف.
- (2) من التعبئة، وهي تهيئة الجيش وترتيبه للقتال.
- (3) ط، هـ: «إن» والوجه ما أثبت من ل، ش.
- (4) فيما عدل: «كذلك».
- (5) عرّقبوها: حزوا عراقبيها بالسيوف. وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها.
- (6) نبذوا: رموا وألقوا. وفي ل: «ونثروا».
- (7) ل: «ونثرتهم».
- (8) أي ردهم من حيث أتوا. وهذا الخبر مثل عجب في الاستهانة بالتبعات.
- (9) فيما عدل: «سره»، وما أثبت من ل أشبه بلغة الجاحظ.
- (10) ل: «توكّد» تحريف. والكلام بعده إلى آخر الفقرة ساقط من ل.
- (11) ل: «في الأرض» بإسقاط «ما» بمعنى «أفي الأرض» على الاستفهام وحذف الهمزة، وذلك كثير في لغة الجاحظ.
- (12) ط، هـ: «إفشائه».
- (13) ل: «صار» بمعنى ضم وجمع.
- (14) فيما عدل زيادة: «فيه» في هذا الموضع. ولا وجه له. وانظر ثمار القلوب 399.

- خَتَمْتُ الْفَوَادَ عَلَى سِرِّهَا كَذَاكَ الصَّحِيفَةُ بِالْخَاتَمِ⁽¹⁾
هُوَى بِي إِلَى حُبِّهَا نَظْرَةً هُوِيَ الْفَرَاشَةَ لِلْجَاحِمِ⁽²⁾
وَقَالَ الْبَعِيثُ :
فَإِنْ تَكْ لَيْلَى حَمَلْتَنِي لِبَانَةً فَلَا وَأَبِي لَيْلَى إِذَا لَا أُخُونَهَا⁽³⁾
حَفِظْتُ لَهَا السِّرَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَلَا يَحْفَظُ الْأَسْرَارَ إِلَّا أَمِينُهَا
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ⁽⁴⁾ :
إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثِ فَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ
إِذَا عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي وَسَرِّي عَنْدَهُ فَأَنَا الظُّلُومُ⁽⁵⁾
وَإِنِّي حِينَ أَسْأَمُ حَمْلَ سَرِّي وَقَدْ ضَمَنْتُهُ صَدْرِي سَوْوَمُ⁽⁶⁾
وَلَسْتُ مُحَدَّثًا سَرِّي خَلِيلًا وَلَا عِرْسِي، إِذَا خَطَرْتُ هُمُومُ
وَأَطَوَى السَّرَّ دُونَ النَّاسِ، إِنِّي لَمَّا اسْتَوْدَعْتُ مِنْ سَرِّ كَتُومِ⁽⁷⁾

(اعتذار شيخ)

قال: وقيل لشيخ: ويحك هاهنا ناس يسرق أحدهم خمسين سنة، ويُرْزَنِي⁽⁸⁾ خمسين سنة، وَيَصْنَعُ الْعِظَامَ خَمْسِينَ سَنَةً، وهو في ذلك كله مستور جميل الأمر⁽⁹⁾؛ وأنت إنما لُطِّتَ منذُ خمسة أشهر، وقد شُهِرَتْ به في الآفاق! قال: بأبي أنت، ومن يكون سرُّه عند الصُّبَّيَّانِ أي شيء تكونُ حاله!

- (1) في ثمار القلوب وكذا في الحيوان (3: 212): «على حبها». وفيما عدل: «كختم الصحيفة». وما أثبت من ل يوافق رواية الثعالبي وما سبق في الجزء الثالث.
(2) في الثمار والجزء الثالث: «هوت بي». والجاحم: كل نار عظيمة في مهواة. في الثمار فقط: «في الجاحم».
(3) اللبانة، بالضم: الحاجة، والجمع لبان.
(4) في لباب الآداب 243: «وأنشد الزبير لرجل من بني عبد شمس بن سعد». وانظر عيون الأخبار (1: 39).
(5) فيما عدل: «عانت»، صوابه في ل والمصدرين السابقين.
(6) ل فقط: «كتم سري». والبيت التالي انفرد الجاحظ بروايته.
(7) لم يرو هذا البيت ابن قتيبة، ورواه أسامة بن منقذ.
(8) الكلام من «ويُرْزَنِي» إلى هنا ساقط من ل، ش.
(9) فيما عدل: «جيد الأمر» وكلمة «كله» ساقط من ل.

(وصية العباس لابنه)

أبو الحسن ⁽¹⁾، عن محمد بن القاسم الهاشمي ⁽²⁾ قال: قال العباس بن عبد المطلب ⁽³⁾ لعبد الله ابنه: «يا بُنَيَّ أَنْتَ أَعْلَمُ مِنِّي، وَأَنَا أَفْقَهُ مِنْكَ» ⁽⁴⁾ إن هذا الرجل يُدْنِيكَ - يعني عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه - فاحفظ عني ثلاثاً: لا تُفْشَ له سرّاً، ولا تُعْتَابَنَّ عنده أحداً، ولا يَطْلَعَنَّ منك على كِذْبَةٍ.

(باب في ذكر المنى ⁽⁵⁾)

قال: سئل ابن أبي بكرة ⁽⁶⁾: أيُّ شيء أَدْوَمُ إمتاعاً ⁽⁷⁾؟ قال: المُنَى .
[قال]: وقال يزيد [بن معاوية على منبره ⁽⁸⁾]: ثلاثٌ يُخْلِفَنَّ العقل ⁽⁹⁾، وفيها دليل على الضّعف: سرعة الجواب، وطول التمني ⁽¹⁰⁾ والاستغراق في الضحك!
وقال عباية الجعفي ⁽¹¹⁾: ما سرّني بنصيب [من المنى] حُمْرُ النِّعَمِ ⁽¹²⁾!

(1) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، صاحب الأخبار. وقد روى عنه الجاحظ في البيان أكثر من سبعين خبراً. وله تصانيف تربي على المائتين. ولد سنة 135 ومات سنة 225، انظر ابن النديم 147-152 مصر.

(2) هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر اليمامي الهاشمي، المعروف بأبي العيناء، ولد سنة 191 وتوفي سنة 282، وهو من كبار الأخباريين، نشأ بالبصرة وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وكان من اللسن وسرعة الجواب والدعابة على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه. وهو الذي دخل على المتوكل في قصره فقال: «كيف تقول في دارنا هذه؟ فقال: إن الناس بنوا دورهم في الدنيا، وأنت بنيت الدنيا في دارك! وروى عنه أنه قال: أنا والجاحظ وضعنا حديث فذك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه، إلا ابن أبي شبة العلوي». وعمي أبو العيناء بعد الأربعين. انظر نكت الهميان 265 ولسان الميزان (5: 344-346) والفهرست 181 وتاريخ بغداد 1215.

(3) ط فقط: «أبو العباس بن عبد المطلب». وإنما هو «العباس» والد عبد الله بن العباس.

(4) فيما عدل: «أفقه مني وأنا أعلم منك».

(5) فيما عدل: «ما جاء في ذم الأمانى»، مع إسقاط كلمة «باب».

(6) سبقت ترجمة أبيه وأخيه في (4: 293).

(7) فيما عدل: «أحرم متاعاً»، صوابه ما أثبت من ل موافقاً عيون الأخبار (1: 261) ومحاضرات الراغب (1: 216).

(8) «بن معاوية» زيادة من ل وعيون الأخبار (1: 261-262)، «على منبره» زيادة من ش، هـ.

(9) يخلقن، من أخلقه بمعنى أبلاه. أخلق الثوب وأخلقته أنا، يتعدى ولا يتعدى. اللسان (11: 376). وفي عيون الأخبار: «تخلق».

(10) ل: «المنى».

(11) ل: «الحنفي». روى له الجاحظ في البيان (1: 272): «لولا الدربة وسوء العادة لأمرت فنياننا أن يماري بعضهم بعضاً».

(12) النعم، أكثر ما يطلق على الإبل. وفي اللسان: «والعرب تقول: خير الإبل حمراً وصهباً». ومنه قول بعضهم: «ما أحب أن لي بمعاريض الكلم حمراً النعم». ومن ذلك قول الرسول الكريم ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمراً النعم»، إشارة إلى حلف الفضول. انظر السيرة 86 جوتنجن.

وقال الأصمعي: قال ابن أبي الزناد⁽¹⁾: «المنى والحلم أخوان». وقال معمر بن عباد⁽²⁾: «الأمانى للنفس، مثل التُّرَّهات لِلَّسان⁽³⁾». وقال الشاعر:

[اللَّهُ أَصْدَقُ وَالْأَمَالُ كاذِبَةٌ وَجُلُّ هَذِي الْمَنَى فِي الصَّدْرِ وَسَوَاسٍ⁽⁴⁾

وقال الآخر⁽⁵⁾:

إِذَا تَمَنَّيْتُ مَا لَا بَثُّ مُغْتَبَطًا إِنَّ الْمَنَى رُوسُ أُمُوالِ الْمَفَالِيسِ
لَوْلا الْمَنَى مِتُّ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ حَزَنٍ إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا فِي دَاخِلِ الْكِيسِ

وقال بعض الأعراب⁽⁶⁾:

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا⁽⁷⁾
[أَمَانِي مِنْ سَلَمَى حَسَانٍ كَأَنَّمَا سَفَقْنِي بِهَا سَلَمَى عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا⁽⁸⁾

وقال بشار:

كَرَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى فَلَدَّ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمِيمُهَا⁽⁹⁾

[و] رَوَى الْأَصْمَعِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ: الْإِحْتِلَامُ أَطْيَبُ مِنَ الْعِشْيَانِ، وَتَمَنِّيكَ لِلشَّيْءِ⁽¹⁰⁾ أَوْفَرُ حَقًّا فِي اللَّذَّةِ مِنْ قُدْرَتِكَ عَلَيْهِ.

قال: كأنه [دَهَبَ إِلَى أَنَّهُ إِذَا مَلَكَ] وَجَبَتْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَلِكِ حَقُوقٌ، وَخَافَ الزَّوَالَ وَاحْتِاجَ إِلَى الْحِفْظِ.

(1) لأبي الزناد ولدان: ذكرهما ابن قتيبة في المعارف 204-205، وهما عبد الرحمن بن أبي الزناد، وهو المعروف بهذه الكنية. انظر تهذيب التهذيب (6: 170)، وأبو القاسم بن أبي الزناد، أما عبد الرحمن فيكنى أبا محمد، وقد ولي خراج المدينة وقدم بغداد ومات بها سنة 174 وهو ابن أربع وسبعين سنة. وأما أبو الزناد فهو أبو عبد الله بن ذكوان، كان عمر بن عبد العزيز ولاه خراج العراق وتوفي سنة 130 وهو ابن ست وستين سنة. وقد أورد ابن قتيبة الحكمة التالية في عيون الأخبار (1: 261) ولم ينسبها.

(2) معمر بن عباد السلمي (بتشديد ميم معمر): معتزلي من أهل البصرة، ثم سكن بغداد، وناظر النظام، مات سنة خمس عشرة ومائتين، ذكره ابن النديم. هذا كلام ابن حجر في لسان الميزان (6: 71). ولم أجد له ذكراً في الفهرست، فلعله مما ضاع من الكتاب. فيما عدل: «بن عبادة» محرف.

(3) الترهات: الأباطيل، الواحدة ترهة.

(4) في الأصل: «وهو هنال: «هذا المنى».

(5) البيت الأول في عيون الأخبار (2: 261). وعجزه في محاضرات الراغب (1: 217)، وفيها: «رأس».

(6) وكذا في عيون الأخبار (1: 261) وفي حماسة أبي تمام (2: 166) ومحاضرات الراغب (1: 216): «وقال رجل من بني الحارث».

(7) أي هي منى، إن تكن محققة فهي أحسن الأمانى، وإن تكن كاذبة فإننا نعيش عيشاً رغداً بذكرها.

(8) الرواية في سائر المراجع: «أمانى من سعدي»، و«سقتك بها سعدي». وفي عيون الأخبار: «عذاباً»، والمحاضرات: «حساناً»، والحماسة: «رواء» قال التبريزي: «ويروى أمانى، نصب بإضمار فعل». والبرد: الماء البارد.

(9) البيت في عيون الأخبار (1: 261). (10) ط فقط: «وتمنيك الشيء».

وقال: وفي الحديث المأثور: «ما عَظُمَتْ نعمةُ [الله] على أحدٍ إلا عَظُمَتْ مؤونةُ الناسِ عليه⁽¹⁾».

[قال]: وقيل لمزبد⁽²⁾: أيسرُك أن عندك قَيْنَة شَرَابٍ؟ قال: يا ابنَ أُمٍّ، من يسرُهُ دخولُ النارِ بالمجاز؟!

قال: وقدّموا إلى أبي الحارث جُمَيز⁽³⁾ جامَ خَبِيصٍ⁽⁴⁾ وقالوا له: أهذا أَطيبُ أم الفالودج⁽⁵⁾؟ قال: لا أَقضي على غائبٍ!.

قال: وقال مَدِينِي لرجل: أيسرُك أن هذه الدار لك؟ قال: نعم. قال: وليس إلا نَعَم فقط⁽⁶⁾؟ قال: فما أقول؟ قال: تقول: نَعَم، وأَحَمَّ سَنَة⁽⁷⁾! [قال]: نعم، وأنا أعور.

[قال] وقيل لمزبد: أيسرُك أن هذه الجُبَة لك؟ قال: نعم، وأَضْرَبُ عشرين سوطاً⁽⁸⁾، قال: ولمَ تقولُ هذا؟ قال: لأنه لا يكون شيءٌ إلا بشيء.

قال: وقال عبدُ الرحمن بن أبي بَكْرَة: مَنْ تَمَتَّى طولُ العمرِ فليَوَظَّنْ نفسه على المصائبِ⁽⁹⁾. يقول: إنه لا يخلو⁽¹⁰⁾ من موتٍ أخٍ، أو عمٍّ، أو ابنِ عمٍّ، أو صديقٍ أو حَمِيمٍ وقال المجنون:

أيا حَرَجاتِ الحيِّ حيثُ تَحَمَّلُوا بذي سَلَمٍ لا جادَكُنْ رَبيعُ⁽¹¹⁾

(1) فيما عدل ل: «إلا عَظُمَتْ عليه مؤنة الناس».

(2) ط، هـ: «لمزيد» بالياء، صوابه في ل، ش. وانظر التنبيه الثالث ص 125.

(3) سبقَت ترجمته في (3: 47) بلفظ: «جمين» آخره نون. ويبدو لي أنهما لغتان في اسمه. وفيما عدل ل: «حمير» مصحف.

(4) الجام: إناء من فضة، عربي صحيح، وجمعه جامات، ومنهم من يقول: جوم. والجام مؤنثة. هذا مجمل ما قاله ابن منظور. ولم يذكرها أحد في المعربات، ولكني أذهب إلى أنها مأخوذة من الفارسية. انظر سعة هذه المادة في الفارسية عند استينجاس 350-351، وهي في الفارسية بمعنى الكأس، أو القدح، أو الطاس، أو الإناء العميق، ولم يقيّد ذلك بالفضة أو غيرها. والخبيص، سبق الحديث عنه في هذا الجزء ص 9.

(5) الفالودج: ضرب من الحلوى، يصنع من الدقيق والماء والعسل. فارسي معرب عن «بالوده». وفي اللسان (مادة فلذ): «الفالوذ والفالودج معربان. قال يعقوب: ولا يقال: الفالودج». وانظر المعرب 247، ط، هـ: «أهذا» بإثبات همزة الاستفهام، والجاحظ يميل إلى حذفها.

(6) ش: «أو ليس» بإثبات همزة الاستفهام. وفيما عدل ل: «إلا هذا».

(7) أحَم، من مرض الحمى. فيما عدل ل: «وأحبس سنة».

(8) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(9) ل: «المصائب» بالياء، وهو القياس، فإن ما كان أصله حرف علة إذا جمع نحو هذا الجمع لم يهمز. لكنه لم يسمع. وفي اللسان: «أجمعت العرب على همز المصائب وأصله الواو، كأنهم شبهوا الأصل بالزائد». ولم يسمع نظيره مما همز إلا «معاش» وأكثر القراء على ترك الهمز فيها إلا ما روى عن نافع فإنه همزها.

(10) «إنه لا يخلو» ليست في ل، ش. وليست ضرورية في الكلام.

(11) الحرجات: جمع حرجة، وهي الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة، وهي ما رعى من المال. ورواية اللسان والأغاني (1: 170): «حين تحملوا». وذو سلم: موضع، فيما عدل ل: «لذي سلم» صوابه في ل واللسان والأغاني والقالبي 1: 136.

وَحِيَمَاتُكَ اللَّاتِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى بَلَيْنَ بَلَى لَمْ تَبْلَهُنَّ رُبُوعٌ⁽¹⁾
فَقَدْتُكَ مِنْ قَلْبِ شِعَاعٍ، فَطَالَمَا نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتَ جَمِيعٌ⁽²⁾
فَقَرَّبْتُ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ، وَأَشْرَفْتُ مُنَاكَ ثَنَايَا مَا لَهْنُ طُلُوعٌ⁽³⁾

(أَمَانِيَّ بَعْضُ الْخَوَارِجِ)

قال: وقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث⁽⁴⁾: لولا أربع خصال ما أعطيت عربياً طاعة: لو ماتت أم عمران⁽⁵⁾ - يعني أمه - ولو شبت⁽⁶⁾، ولو قرأت القرآن، ولو لم يكن رأسي صغيراً.

قال: وقدم⁽⁷⁾ عبد الملك، وكان يحب الشعر⁽⁸⁾ فبعثت إلى الرواة، فما أتت علي سنة حتى رويت الشاهد والمثل، وفصلاً⁽⁹⁾ بعد ذلك. وقدم مضعّب⁽¹⁰⁾ وكان يحب التسب، فدعوت النسابين⁽¹¹⁾ فتعلمته في سنة. ثم قدم⁽¹²⁾ الحجاج، وكان يُدني علي القرآن⁽¹³⁾، فحفظته في سنة.

(1) خيماتك، خطاب للحي في البيت قبله، أو لليل على الالتفات. والخيمة: البيت من شجر. وقد جعل ضمير «بلى» في «تبليهن» جمعاً مؤنثاً، والقياس أن يقول «لم تبليه» أي لم تبلي ذلك البلى. فيما عدا ل: «يبليهن».

(2) قلب شعاع، بفتح الشين والعين: متفرق موزع. ط: «شجاع» تحريف، صوابه في ش، هـ والأغاني واللسان (10: 47)، وفي ل: «شعاعاً» كأنه قال: فقدتك قلباً شعاعاً، كما تقول ثكلته ولدأ باراً.

(3) أشرفت: علت وظهرت. منك: ما تتمناه، جمع منية. ثنايا: حال من منك، أو مفعول لأشرف، يقال أشرف الشيء: علاه. والثنايا: جمع ثنية، وهي العقبة، أو الجبل، أو الطريق فيه. فيما عدا ل: «هناك» موضع «منك»، وفي الأغاني: «إليك ثنايا».

(4) هو المعروف بابن الأشعث، قائد داهية، سيره الحجاج لغزو بلاد رتبيل فانتفض عليه، وحدثت بينه وبين الحجاج وقعة دير الجماجم التي دامت مائة يوم وثلاثة، وانتهت بهزيمته وفراره وقتله، سنة أربع وثمانين.

(5) ما عدا ل: «أم عمرو». وما أثبت من ل يطابق البيان (114: 2).

(6) ما عدا ل: «ولو نسبست»، تحريف. وفي البيان: «ولو شاب رأسي».

(7) فيما عدا ل: «وقال قدم».

(8) ط، هـ: «الشعراء».

(9) فضول: زيادات، والفضل: الزيادة. فيما عدا ل: «وفصلاً» بالمهمله.

(10) هو مصعب بن الزبير، وكان قد بايعه على الخلافة أهل البصرة والكوفة سنة 65 ثم ثار المختار على ابن الزبير وانتهت الثورة بقتل المختار سنة 67، وسار عبد الملك لقتال مصعب فالتقوا بأرض مسكن فقتل مصعب سنة 73، فدامت فتنته تسع سنين وثلاثة أشهر وأياما. المعارف 155-156، فيما عدا ل: «المصعب»، وهو جائر في العربية. انظر الحيوان (3: 204) ومجلة الثقافة ص 2152.

(11) ل: «وكان يحب النسابين».

(12) فيما عدا ل: «وقدم». وكان قدوم الحجاج إلى العراق سنة 75.

(13) يدني، من الإدناء، وهو التقريب. فيما عدا ل: «يدني».

قال: وقال يزيد بن المهلب: لا أخرج⁽¹⁾ حتى أحج، وأحفظ القرآن، وتموت أمي، فخرج قبل ذلك كله.

وقال عبيد الله يحيى⁽²⁾: كان من أصحابنا بمرو⁽³⁾ جماعة، فجلّسنا ذات يوم نتمنى، فتمنيت أن أصير إلى العراق من أيامي سالما، وأن أقدم فأتزوج⁽⁴⁾ سماع، وألي كسكر⁽⁵⁾. قال: فقدمت سالما، وتزوجت سماع، ووليت كسكر.

(خبر وشعر في دجلة والفرات)

قال: ووقف هشام بن عبد الملك على الفرات، ومعه عبد الرحمن بن رستم⁽⁶⁾، فقال هشام: ما في الأرض نهر خير⁽⁷⁾ من الفرات! فقال عبد الرحمن: ما في الأرض نهر شر من الفرات⁽⁸⁾، أوله للمُشركين، وآخره للمنافقين.

وقال أبو الحسن⁽⁹⁾: الفرات ودجلة رائدان⁽¹⁰⁾ لأهل العراق [لا يكذبان].

(1) كان خروج يزيد بن المهلب بن أبي صفرة في أيام يزيد بن عبد الملك، فإنه لما مات عمر بن عبد العزيز في رجب سنة 101 تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه، وصار إلى البصرة واجتمع إليه خلق عظيم، وخلع يزيد بن عبد الملك، والتقت جيوش اليزيديين بالعقر، من أرض بابل، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة 102، التنبيه والإشراف 277-278.

(2) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان المروزي، وزير المتوكل ثم المعتمد. انظر الطبري (11: 44) ومروج الذهب (4: 119) والتنبيه والإشراف 314 وإعتاب الكتاب 158، 162 والفخري 216، 228، وفي الأصل: «عبد الله بن يحيى» وليس له ذكر في ولاة الدولة العباسية. والمعروف بهذا الاسم عبد الله بن يحيى الكندي الملقب «طالب الحق» من إباحية اليمن، بايعه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي الإبااضي على الخلافة، وخرجت الإباحية تحت قيادة أبي حمزة إلى مكة يوم عرفة سنة 129 ثم إلى المدينة، فالتقوا بوادي القرى، فهزمت الإباحية، ولحق بقيتهم بعبد الله بن يحيى في اليمن، فسار إليهم عبد الملك بن محمد بن عطية، قائد الخليفة مروان بن محمد، فلقى عبد الله بن يحيى بناحية الطائف، فاقتتلا قتلاً شديداً قتل فيه عبد الله سنة 130، انظر مروج الذهب (2: 203).

(3) مرو: هي مرو الشاهجان، أشهر مدن خراسان وقصبتها. فيما عدل: «هو» تحريف.

(4) سماع، كقطام: اسم امرأة. ولم أر هذا العلم للمؤنث إلا في هذا الموضع. وفي القاموس: «والسماع بطن». ه: «وأن أتزوج سماع داكن»، ط: «وأن أتزوج سماع». وفي الأولى نقص وتحريف، وفي الثانية نقص.

(5) ألى: من الولاية، أي أصير والياً عليها. ه: «إلى»، ش: «وأكن والي» محرفتان. وكسكر: كورة من كور العراق، مشهورة بالدجاج ووفرة الخيرات.

(6) في القاموس: «رستم بضم الراء وفتح المثناة فوق، وقد تضم». ورستم من الأعلام الفارسية، وضبطه فيها بضم الراء وفتح التاء. واشتهر بهذا الاسم عندهم «رستم» صاحب حرب القادسية.

(7) فيما عدل: «خيراً» بالنصب، بجعلها خبراً لما الحجازية.

(8) فيما عدل: «وقال عبد الرحمن: ما فيها نهر شرا من الفرات». وانظر التنبيه السابق.

(9) هو أبو الحسن علي بن محمد المدائني المترجم في ص 129.

(10) رائدان، مثني رائد، وهو الذي يرسله قومه في طلب الكلا. وفي المثل: «الرائد لا يكذب أهله».

قال الأصمعيّ [وأبو الحسن⁽¹⁾]: فهما⁽²⁾ الرائدان، وهما الرّافدان. وقال الفرزدق⁽³⁾:
 أمير المؤمنين وأنت عفّ كريم، لست بالوالي الحريص⁽⁴⁾
 بعثت إلى العراق ورافديه فزارياً أحذّ يد القميص⁽⁵⁾
 ولم يك قبلها راعي مخاض ليأمنه على وركي قلوّص⁽⁶⁾
 تفتّق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص⁽⁷⁾

قال: وبيننا غيلان بن خرشة⁽⁸⁾، يسير مع ابن عامر⁽⁹⁾، إذ وردا على نهر أم عبد الله⁽¹⁰⁾
 فقال ابن عامر: ما أنفع هذا النهر لأهل هذا المصر! قال [غيلان⁽¹¹⁾]: أجل أيها الأمير،

(1) هذه الزيادة من ل، ش.

(2) ش: «ولا يكونان». ه: «ولا يكونان فما». و «يكونان» و «يكيان» هما «يكذبان» التي أثبتتها في موضعها من ل، فصحت في ش، ه، ثم نقلت إلى غير موضعها.

(3) يقول الشعر الآتي مخاطباً يزيد بن عبد الملك، يشكو إليه عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق، وكان يكنى: «أبا المثنى» انظر الديوان 487 والكامل 479 لبيسك والمعارف 179 والشعراء 34، وزهر الآداب (1: 21) والأغاني (19: 17) وكنيات الجرجاني 74، والبيت الثاني والرابع في الحيوان (6: 332) بدون نسبة.

(4) الحريص: ذو الحرص، والحرص: الجشع. فيما عدل ل: «عفيفاً لست» تصحيحه من ل والأغاني، وفيها: «لست بالطبع». وعند المبرد: «وأنت برأمين لست بالطبع». وفي الديوان: «وأنت وال شفيق لست بالوالي».

(5) رافدا العراق: دجلة والفرات. ولأجل هذه الكلمة ساق الجاحظ الشعر. والفزاري هو عمر بن هبيرة. والأخذ: السريع اليد الخفيفها، أراد خفة يده في السرقة، قال ابن قتيبة: «يريد أنه خفيف اليد بالخيانة، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص». وقال ابن حبيب: «إنما أراد أنه قصير اليدين عن نيل المعالي، كالبعير الأحذ، وهو الذي لا شعر لذنبه». انظر اللسان (5: 15)، والمخصص (2: 4)، وصدر البيت في معظم المصادر: «أأطعمت»، وفي بعضها: «أوليت». ولكمة: «أخذ» محرفة في جميع نسخ الأصل، ففي ط، ه: «أخذ» وش: «أجد» ول: «أحد».

(6) المخاض، كسحاب: الحوامل من النوق. والقلوص: الشابة من الإبل. ل: «إفال» وهو جمع أفيل. والأفيل: الفصيل. ط، ه: «لتأمنه» صوابه في ش، ل. والبيت يشير إلى ما يروى الرواة أن بني فزارة كانوا يعيرون بغشيان الإبل. وفي ذلك قول ابن دارة:

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوّصك واكتبها بأسيار

(7) تفتق، من قولهم: تفتقت خواصر الغنم من البقل: إذا اتسعت من كثرة الرعي. وهذه رواية ل والمعارف. وعند الجرجاني: «تففق»، بالنون. تففق: تنعم، وامرأة ففق: ناعمة. وفي ش، ه والكامل وزهر الآداب: «تففق» من التففق، وهو الامتلاء. وفي ط: «والديوان واللسان (5: 15، 12: 189): «تففق» وفسره من التففق في الكلام، وهو التوسع فيه والتنطع. وروى في اللسان (12: 284): «تبك»، أي أقام وتمكن في عزه. والخبيص، سبق الحديث عنه في ص 9.

(8) هو غيلان بن خرشة الضبي، كان أحد أصحاب أبي موسى الأشعري، ثم انتقض عليه، وكان سبباً في أن يعزل عثمان أبا موسى الأشعري، ويولي مكانه عبد الله بن عامر انظر الجهشيار 148.

(9) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن ربيعة، وسبقت ترجمته في (1: 78).

(10) نهر أم عبد الله، بالبصرة، منسوب إلى أم عبد الله بن عامر. وفي البيان (1: 394) حيث سبق هذا الخبر: «نهر عبد الله» تحريف. فيما عدل ل: «إذ ورد».

(11) الزيادة من ش، ل، والبيان.

والله^(١) إنهم لَيَسْتَعَذِبُونَ منه^(٢) ، وتفيضُ مياههم إليه ، ويتعلمُ صبيانهم فيه العوم ، وتأتيهم مِيرَتهم فيه^(٣) .

فلما أن كان بعد ذلك [إذ^(٤)] سَايَرَ ذاتَ يومَ زياداً - وكان زيادٌ عدوًّا لابنِ عامر - فقال زياد : ما أضَرَّ هذا النهرَ بأهلِ هذا المصر ! فقال : أَجَلُ واللهُ أيها الأمير ! تَنْزُ منه دُورُهم ، ويغرقُ فيه صبيانهم ، [ويُعْضُونَ] وَيُبْرِغْثُونَ^(٥) !

(القول في العصافير)

وسنقول باسم الله وعونه في العصفور بجملة من القول .

وعلى أننا قد ذكرنا من شأنه أطرافاً ومقطعاتٍ [من القول] تفرَّقْنَ في تضاعيف تلك الأصناف . وإذا^(٦) طال الكلام وكثرت فنونه ، صار الباب القصيرُ من القول في غِماره مُسْتَهْلَكاً ، وفي حومته غَرِقاً ، فلا بأسَ أن تكون تلك الفقرُ مجموعات ، وتلك المقطعاتُ موصولات^(٧) ، وتلك الأطرافُ مستقصياتٍ مع الباقي من ذِكرنا فيه^(٨) ؛ ليكون البابُ^(٩) مجتمعاً في مكانٍ واحد . فبالاجتماع تجتمع القوة ، ومن الأبعاض يلتئم الكل ، وبالنظام تظهر المحاسن .

(دعوى الإحاطة بالعلم)

ولستُ أدَّعي في شيء من هذه الأشكالِ الإحاطة به ، والجمع لكل شيء فيه^(١٠) . ومن عجز عن نظم الكثير ، وعن وضعه في موضعه - كان عن بُلُوغِ آخره ، وعن استخراج كل شيء فيه أعجز . والمنتجُ أهونُ من الاستنباط^(١١) ، والحَصْدُ أيسرُ^(١٢) من الحرث .

(١) ل : «أجل والله يا أمير المؤمنين» .

(٢) يستعذبون منه ، أي يستقون ، ويحضرون الماء العذب . وفي اللسان : «يستعذب لفلان من بئر كذا أي يستقي له» . فيما عدا ل : «يستعذبون ماءه» .

(٣) الميرة ، بالكسر : الطعام يمتاره الإنسان ، أي يجتلبه .

(٤) هذه من ش . وكلمة «أن» قبلها ساقطة من ل ، هـ .

(٥) في اللسان : «بعض القوم : آذاهم البعوض» . وأما «يبرغثون» فلم أجدها في معجم ، والمراد بها : آذاهم البرغوث . وفيما عدا ل : «ويسترعون» تحريف . وبدل هذه العبارة في البيان والتبيين : «ومن أجله تكثر بعوضهم» . وللملاحظ تعقيب جميل على هذا الخبر في البيان .

(٦) فيما عدا ل : «فإذا» . (٧) ل : «موصلات» .

(٨) ل : «في ذكر ما فيه» .

(٩) ط ، هـ : «الباقى» .

(١٠) فيما عدا ل : «والجمع به لكل شيء فيه» بإقحام : «به» .

(١١) الاستنباط : استخراج الماء بحفر الأرض وبحثها . والمنتج : جذب الماء من البئر بالدلو ، ط : «وإنه أهون» هـ : «والمنتج» صوابهما في ل ، ش .

(١٢) فيما عدا ل : «أهون» فيكون تكراراً لما قبله .

وهذا الباب لو ضُمَّنه ⁽¹⁾ على كتابه من هو أكثرُ مني رواية أضعافاً، وأجود مني حفظاً بعيداً، وكان أوسع [مني] علماً وأتمَّ عزماً، وألطفَ نظراً وأصدقَ حساً، وأغوصَ على البعيد الغامض، وأفهمَ للعويص الممتنع، وأكثرَ خاطراً وأصحَّ قريحة ⁽²⁾، وأقلَّ سامةً، وأتمَّ عنايةً، وأحسنَ عادةً مع إفراط الشهوة، وفراغ البال، وبُعْدُ الأمل، وقوة الطمع في تمامه، والانتفاع بشمرته، ثم مدُّ له في العمر، ومكنته المقدرة ⁽³⁾ - لكان قد ادَّعى مُعْضِلةً، وضمنَ أمراً معجزاً، وقال قولاً مرغوباً عنه، [متعجباً منه؛ ولكان لغواً ساقطاً، وحارصاً بهرجاً ⁽⁴⁾]؛ ولكان ممن يفضلُ قوله على فعله، ووَعَدُه على مقدار إنجازهِ ⁽⁵⁾؛ لأن الإنسان، وإن أُضيفَ إلى الكمال وعُرفَ بالبراعة ⁽⁶⁾، وغمرَ العلماء ⁽⁷⁾؛ فإنه لا يكْمُلُ أن يُحيطَ علمُه بكلِّ ما في جناح بعوضةٍ، أيام الدنيا، ولو استمد بقوة كلِّ نظارٍ حكيم ⁽⁸⁾ واستعارَ حفظ كلِّ بحاثٍ واعٍ ⁽⁹⁾، وكلَّ نَقَّابٍ في البلاد، ودَّرَّاسةً للكتب ⁽¹⁰⁾.

(تفاوت الخلق في العلم)

وما أشكُّ أن عندَ الوزراء في ذلك ما ليس عند الرعيَّة من العلماء، وعند الخلفاء ما ليس عند الوزراء، وعند الأنبياء ما ليس عند الخلفاء، وعند الملائكة ما ليس عند الأنبياء، والذي عند الله أكثرُ، والخلقُ عن بلوغه أعجز ⁽¹¹⁾، وإنما علَّم الله كلَّ طبقة من خَلْقِهِ بِقَدْرِ احْتِمَالِ فِطْرِهِمْ، ومقدارِ مَصْلَحَتِهِمْ.

(القول في: علَّم آدمَ الأسماء كلها)

فإن قلت: فقد علَّم الله عز وجلَّ آدمَ الأسماءَ كلها - ولا يجوز تعريفُ الأسماء بغير المعاني - وقلت ⁽¹²⁾: ولولا حاجةُ الناس إلى المعاني، وإلى التعاون والتزَّافد، لَمَا احتاجوا

(1) فيما عدل: «ضمه».

(2) القريحة: استنباط العلم بجودة الطبع. فيما عدل: «وأحسن قريحة».

(3) فيما عدل: «القدرة».

(4) الحارص: الفاسد الضعيف.. والبحرج: الرديء المردود، فارسي معرب. وانظر المعرب 48.

(5) إنجازهِ: إتمامه. ط فقط: «إنجازهِ»، تحريف.

(6) فيما عدل: «بالبلاغة».

(7) غمر العلماء: علاهم شرفاً. ط، ش: «وفاتش»، هـ: «وقاس» محرفتان عن «فاق» بمعنى «غمر».

(8) فيما عدل: «بكل نظار عظيم».

(9) واع: حافظ. فيما عدل: «واستعان بعلم كل بحاث واع».

(10) فيما عدل: «ودراسة».

(11) فيما عدل: «وما عند الله عز وجل أكثر والخلق في بلوغه أعجز».

(12) فيما عدل: «ولو قلت»، بإقحام «لو».

إلى الأسماء. [و] على أن المعاني تفضل عن الأسماء⁽¹⁾، والحاجات تجوز مقادير السمات، وتفوت ذرع العلامات⁽²⁾ فمما⁽³⁾ لا اسم له خاص الخاص. والخاصيات كلها ليست لها أسماء قائمة وكذلك تراكيب الألوان، والأرايح، والطعوم، ونتائجها.

وجوابي في ذلك: أن الله عز وجل لم يخبرنا⁽⁴⁾ أنه قد كان علم آدم كل شيء يعلمه تعالى، كما لا يجوز أن يُقدّر على كل شيء يقدر عليه. وإذا⁽⁵⁾ كان العبد المحدود الجسم، المحدود القوي، لا يبلغ صفة ربه الذي اخترعه، و[لا] صفة خالقه الذي ابتدعه - فمعلوم أنه إنما عني بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31] علم⁽⁶⁾ مصلحته في دُنياه وآخرته.

وقال الله عز وجل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76] وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَكَلَهُ وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: 27]. وقال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرّوم: 7]. وقال تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدرثر: 31]. وقال الله عز وجل: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8].

وهذا الباب⁽⁷⁾ من المعلوم، غيرُ باب [علم ما يكون قبل أن يكون؛ لأن باب (كَانَ) قد يُعلمُ بعضه، وباب (يكون) لا سبيل إلى معرفة شيء منه. والمخاطبة وقعت على جميع المتعبدین⁽⁸⁾، واشتملت على جميع أصناف الممتحنين، ولم تقع على أهل عَصْرِ دُونَ عَصْرِ، ولا [على]⁽⁹⁾ أهل بلد دُونَ بلد، ولا على جنس دُونَ جنس، ولا على تابع دُونَ متبوع ولا [على]⁽¹⁰⁾ آخر دُونَ أوّل.

(أجناس الطير التي تألف دور الناس)

العصافير، والخطاطيف، والزراير، والخفافيش. فبين هذه [وبين الناس⁽¹¹⁾] مناسبة ومُشاكلة، وإلف⁽¹²⁾ ومحبة.

(1) تفضل: تزيد. فيما عدا ل: «على الأسماء».

(2) السمات: العلامات. والذرع: الطاقة.

(3) ل: «فما».

(4) فيما عدا ل: «عن ذلك»، و«لم يكن يخبرنا».

(5) ل: «وإن».

(6) ل: «كل»، ش: هـ: «على» والأخيرة محرفة.

(7) ل: «الفن».

(8) المتعبدین: الذين تعبدهم الله بالطاعة فهم مستعبدون. فيما عدا ل: «المتقدمين».

(9) الزيادة من ل، ش. وفي هـ: «ولأهل بلد».

(10) هذه من ل، ش.

(11) ليست بالأصل: والكلام يقتضيها. وفي ل: «فهذه».

(12) الإلف، بالكسر والفتح: الأئس والملازمة. ما عدا ل: «ألفة».

والخطاطيفُ تقطعُ إليهم⁽¹⁾ وتعزُبُ عنهم⁽²⁾.

والعصافير لا تفارقهم. وإن وجدت داراً مبنية لم تسكنها حتى يسكنها إنسان. ومتى سكنتها⁽³⁾ لم تقم فيها إذا خرج منها ذلك الإنسان. فبفراقه تفارق، وبسكنها تسكن، وهذه فضيلة لها على الخطاطيف.

والحمام لا يقيم⁽⁴⁾ معهم في دورهم إلا بعد أن يثبتوه ويعلموه، ويرتبوا⁽⁵⁾ حاله ويدرجوه. ومنها ما هو وحشي طوراني⁽⁶⁾، وربما توخش بعد الأتس والعصافير على خلاف ذلك، فلها بذلك فضيلة على الحمام، وعلى الخطاف.

وقد يدرب العصفور ويثبت فيستجيب من المكان البعيد، ويثبت ويدجن. فهو ما يثبت ويعيش الناس، من تلقاء نفسه مرة، وبالتثبيت مرة. وليس كذلك شيء مما يأوي إلى الناس من الطير.

وقد بلغني أن بعض ما يستجيب منها قد درّب⁽⁷⁾ فرجع من ميل. فأما الهداية من تلقاء نفسه فمن الفراسخ الكثيرة.

وحدثني حمويه الخريبي⁽⁸⁾ وأبو جرّاد الهزاردري⁽⁹⁾ قالا: إذا كان زمان البیادر⁽¹⁰⁾ لم يبق بالبصرة عصفور إلا صار⁽¹¹⁾ إلى البساتين، إلا ما أقام على بيضه وفراخه. وكذلك العصافير إذا خرج أهل الدار من الدار، فإنه لا يقيم في تلك الدار عصفور إلا على بيض أو

(1) قطع الطائر والسّمك: إذا انتقل من بلد إلى آخر. انظر (57:4).

(2) تعزب، تبعد وتعيب. ط، هـ: «وتغرب» وهي بمعنى الأولى. ش: «وتعرب» مصحفة.

(3) ط: «ومتى إن سكنتها» و«إن» مقحمة. ش، هـ: «وحتى إن سكنتها» و«حتى» ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية، نحو قول الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِيتُمْ وَكُنْتُمْ﴾ [آل عمران: 152]، انظر المغني وتفسير أبي حيان (79:3).

(4) فيما عدل: «تقيم» وهي صححية، فإن الحمام يذكر ويؤنث، لكن سياق الكلام يقتضي ترجيح التأنيث.

(5) فيما عدل: «ويرتبوا» تحريف.

(6) الطوراني، بضم الطاء: حمام وحشي، منسوب إلى طور سيناء، أو إلى جبل يقال له: طران، نسبة شاذة. انظر (103:1 و 101:2 و 83:3)، فيما عدل: «طواري» تصحيف.

(7) التدريب: التعليم. فيما عدل: «جرب».

(8) حمويه الخريبي، منسوب إلى الخريبة، وهي موضع بالبصرة، فيما عدل: «الحربي».

(9) الهزاردري: نسبة إلى الهزارد، بفتح الهاء والزاي والبدال: وهو موضع بالبصرة كما في معجم البلدان. وهزار، بالفارسية معناه ألف، ودر: باب. قال المدائني: تزوج شيرويه الأسواري مرجانة أم عبيد الله بن زياد، فبنى لها قصراً فيه أبواب كثيرة فليل: هزارد. فيما عدل: «أبو جرادة الهواردي»، مصحف.

(10) البیادر: جمع بيدر، وهو الموضع الذي يداس فيه الحب. وفي ل: «الباذي». وفي محاضرات الراغب (301:2): «فإذا كان زمان البازي اجتمعت في البساتين» هـ: «البيادر».

(11) فيما عدل: «طار» بالطاء، ومؤداهما واحد.

فراخ. فإذا لم يكن لها⁽¹⁾ استَوْحَشَتْ، والتمستْ لأنفسها الأوكارَ في الدُّور المعمورة. ولذلك قال [أبو يعقوب] إسحاقُ [الخُرَيْمِيُّ]⁽²⁾:

فَلَيْكَ بَغْدَادُ مَا تَبَنَّى مِنْ أَلْـ وَخَشَةِ فِي دُورِهَا عَصَافِرُهَا⁽³⁾

قالا⁽⁴⁾: فعلى قدرِ قُربِ القبائل من البساتين⁽⁵⁾ سبقُ العصافير إليها، فإذا جاءت العصافيرُ التي تلي أقرب القبائل منها إلى أوائل البساتين [فوجدت عصافير ما هو أقرب⁽⁶⁾ إليها منها قد سبقت إليها تعدّتها⁽⁷⁾ إلى البساتين التي تليها. وكذلك صنع ما بقي من عصافير⁽⁸⁾ القبائل الباقية حتى تصير عصافير آخر البصرة إلى آخر البساتين⁽⁹⁾. وذلك شبيهة بعشرين فرسخاً. فإذا قضت⁽¹⁰⁾ حاجتها، وانقضى أمرُ البیادر⁽¹¹⁾ أقبلت من هناك، على أماراتٍ [لها] معروفةٍ، وعلامات قائمة، حتى تصير إلى أوكارها.

(ضروب الطير)

والطيرُ كله على ثلاثة أضرب: فضربٌ من بهائم الطير، وضربٌ كسباع الطير، وضربٌ كالمشترک المَرَكَّب منها جميعاً. فالبهيمة كالحمام وأشباه الحمام، مما يَغْتَذِي الحبوبَ والبزورَ والنبات، ولا يَغْتَذِي غير ذلك⁽¹²⁾.

والسبع⁽¹³⁾: الذي لا يَغْتَذِي إلا اللحم.

(1) أي لم يكن لها بيض أو فراخ. وفيما عدل: «فإذا لم يكن لها أهل».

(2) سبقت في ترجمته (164:1) مع أبيات من هذه القصيدة. وقد روى هذه القصيدة الطبري في حوادث سنة 197 وهي طويلة أبياتها 135 بيتاً من الروائع، يذكر فيها بغداد والفتنة التي كانت بها سنة 197 حين حاصر طاهر وهرثمه بعسكر المأمون بغداد وحصروا الأمين، ووقع فيها النهب والحريق، ومنعوا الميرة والقصيدة تصور هذه الفتنة تصويراً دقيقاً، جديراً بالدراسة والتأمل.

(3) تبني: تتبنى، أي تبني بيوتاً لها، انظر (3: 108 س8) فيما عدل: «تبيت» وفي الطبري: «ما يبنى من الذلة».

(4) أي حمويه، وأبو جراد.

(5) فيما عدل: «منها إلى البساتين».

(6) فيما عدل: «فوجدت عصافيرها ما قرب».

(7) ط: «قد سبقت فقلتها»، صوابه وإكمالها من سائر نسخ الأصل.

(8) فيما عدل: «العصافير» تحريف.

(9) فيما عدل: «حتى تصير إلى آخر البصرة وإلى آخر البساتين».

(10) ط، ش: «انقضت حاجاتها» ه: «تقضت حاجاتها».

(11) انظر التنبيه 10 من الصفحة السابقة. وفي ل: «الباذي».

(12) فيما عدل: «بغير ذلك» يقال اغتذاه واغتذى به. ش: «تغتذي» في الموضعين.

(13) أراد السبع من سباع الطير.

وقد يأكل الأسدُ المَلَحَ⁽¹⁾، ليس على طريق التغذية، ولكن على طريق التَّمْلَح والتَّحْمُض⁽²⁾.

(ما يشارك فيه العصفور الطير والحيات)

فمما يشارك فيه العصفور بهائم الطير، أنه ليس بذئ مخلَب ولا مَنَسَر⁽³⁾، وهو مما إذا سقط على عودٍ قَدَم أصابعه الثلاث، وآخر الدَّابرة⁽⁴⁾، وسباع الطير تقدَّم إصْبَعَيْنِ، وتَوَخَّر إصْبَعَيْنِ.

ومما شارك فيه السَّبَّع أنَّ بهائم الطير تزق فراخها⁽⁵⁾ والسَّبَّاع تُلْقِم فراخها⁽⁶⁾. والفراخ على ثلاثة أضرب⁽⁷⁾: ففرخ كالفرَّوج لا يُزَق ولا يُلْقَم⁽⁸⁾ [وهو يظهر كاسباً⁽⁹⁾]. وفرخ كفرخ الحمام وأشباه الحمام، فهو يُزَق ولا يُلْعَم. وفرخ كفرخ العقاب والباري، والزرق، والشاهين والصقر، وأشباهها من السَّبَّاع فهو يُلْقَم ولا يُزَق⁽¹⁰⁾. فأشبهها العصفور من هذا الوجه.

وفيه من [أخلاق] السَّبَّاع أنه يصيد الجراد، والنمل الطيَّار⁽¹¹⁾، ويأكل اللحم، ويُلقِم فراخه اللحم.

وليس في الأرض رأس أشبه برأس حَيَّة من رأس عصفور⁽¹²⁾.

(1) هذا استطراد. وانظر له ما سبق في (144:3).

(2) التملح: طلب الملح. والتحمض: طلب الحمض، وهو ما ملح من النبات.

(3) المخلَب: كالظفر لما يصيد من الطير. والمنسر: منقار الطير الجارح، كمجلس ومنبر.

(4) الدابة الإصبع التي من وراء رجل الطائر. وانظر عيون الأخبار (89:2)، والعقد (259:4).

(5) تزق: تطعم. فيما عدل: «تلقم». ألقمه: أعطاه لقمة. وهو تحريف. وقد فرق الجاحظ بين الزق والإلقام. وعن بالزق: إدخال الطعام في منقار الطائر. وبالإلقام: إحضار الطعام إلى الفرج وتهيته لغذائه. وفيما عدل أيضاً: «ومما يشارك».

(6) عنى سباع الطير. وتلقم: تطعم. انظر التنبيه السابق. ط، هـ: «جراها» ش: «جراها» تصحيف ما أثبت من ل. وفي عيون الأخبار (89:2) والعقد (259:4): «ويشارك سباع الطير بأنه يلقم فراخه ولا يزق».

(7) فيما عدل: «أصناف».

(8) انظر التنبيه الخامس من هذه الصفحة. ط، هـ: «يطعم».

(9) كاسباً، من الكسب: أي كسب القوت لنفسه منذ يخرج.

(10) ل: «فهو تلقم ولا تزق».

(11) انظر الحيوان (1:52، 2:187، 4:21).

(12) كلمة «حية» ساقطة من ش. وبدلها في ط، هـ: «الآدمي» محرف، صوابه ما أثبت من ل، ومما سبق في (2:187).

س13. وفيما عدل: «من رأس العصفور».

(الأجناس التي تعيش الناس)

والأجناس التي تعيش الناس: الكلب، والسنور، والفرس، والبعير، والحمار، والبغل، والحمام، والخُطاف، والزُرزور⁽¹⁾، والخُفّاش، والعصفور.

(أطول الحيوان عمراً وأقصره)

قالوا: وليس في جميعها أطول عُمرًا من البغل، ولا أقصرُ عمراً من العصفور. قالوا: ونظن ذلك إنما كان لقلّة سَفاد البغل⁽²⁾، وكثرة سَفاد العصفور. ويزعمون أن محمد بن سليمان⁽³⁾ أنزى البغال على البغلات، كما أنزى العتاق على الحُجور، والبراذين على الرّمك⁽⁴⁾، والحمير على الأتن⁽⁵⁾، فوجد تلك الفُحولة من البغال بأعيانها، أقصرَ أعماراً من سائر الحافر، حين سَوى بينها في السَفاد، ووجد البغال تلحق إلحاقاً فاسداً⁽⁶⁾ لا يتم ولا يعيش.

وذكروا أن قصر العُمر لم يعرض لإناثها كما عَرَضَ لذكورتها.

وهذا شبيه بما ذكر صاحب المنطق⁽⁷⁾ في العصافير، فإنه ذكر أن إناثها أطول أعماراً. وأن ذكورتها⁽⁸⁾ لا تعيش إلا سنة واحدة.

(1) الزرّزور، بفتح أوله وضمه: طائر من فصيلة السورانيات ورتبة الجواثم، وهو أكبر من البلبل طويل الذنب مرقط يتلون ألواناً شتى: *Sturnus Vulgaris* وهو يفرخ في البلاد الشمالية، ويرحل في الشتاء إلى العراق والشام وجزيرة العرب ومصر والمغرب. انظر معجم المعلوف 234، 240، فيما عدا ل: «الزنبور» تحريف.

(2) ط، هـ: «وما نظن ذلك كان إلا لقلّة سَفاد البغل».

(3) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي أمير البصرة، كان من ولادة أبي جعفر المنصور والمهدي والهادي والرشيد. وكان الرشيد في أول أمره يكرمه ويبره بما لا يبر به أحداً، ثم نقم عليه واستصفى أمواله، وكانت نيفاً وخمسين ألف ألف درهم. ومات سنة 173 في اليوم الذي ماتت فيه الخيزران. لسان الميزان (5: 188)، ومما يروى عنه من الطرائف، أنه كانت له خطبة يخطبها يوم الجمعة ولا يغيرها. البيان (1: 295).

(4) البراذين: جمع برذون، وهو من الخيل ما كان من غير نتاج العراب. ط، ش: «البرازين» مصحف. والرمك: جمع رمكة، وهي أنثى البراذين. فيما عدا ل: «الرمك» وهي صحبة، جمع رمكة.

(5) الأتان: الحمامة، جمعها آتن، وآتن، وآتن، وآتن، ومأثوناء.

(6) ل، ش: «فوجد» بالفاء، ش: «البغلة تلحق»، ط، هـ: «البغل يلحق».

(7) صاحب المنطق هو أرسطو، لأنه «أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية، وصورها بالأشكال الثلاثة، وجعلها آلة للعلوم النظرية، حتى لقب بصاحب المنطق». القفطي 22، وانظر ابن النديم 347-349.

(8) فيما عدا ل: «ذكورها». والتاء في «ذكورة» هي ما يسمونها تاء تأكيد الجمع.

(أثر السمن في الحمل)

والمرأة تنقطع عن الحبل قبل أن ينقطع الرجل عن الإحبال بدهر، وتفرط في السمن فتصير عاقراً، ويكون الرجل أسمن منها فلا يصير عاقراً. وكذلك الحجر، والرّمكة، والأتان. وكذلك النخلة المطعمة⁽¹⁾. ويسمن لبُّ الفُحّال⁽²⁾ فيكون أجود لإلقاحه. وهما يختلفان كما ترى.

(الأجناس الفاضلة من الحيوان)

وللعصفور فضيلة أخرى. وذلك أنّ من فضل الجنس أن تتميز ذكوره في العين من إنائه، كالرجل والمرأة، والدّيک والدجاجة، والفُحّال والمُطعمة⁽³⁾، والتّيس والصفية⁽⁴⁾، والطاوس⁽⁵⁾، والتدرج⁽⁶⁾، والدراج وإنائها.

وليس ذلك كالحجر والفرس، والرّمكة والبرذون، والناقة والجمال⁽⁷⁾، والغير [والأتان]، والأسد واللّبوة، فإن هذه الأجناس تُقبل نحوك فلا ينفصل⁽⁸⁾ في العين الأنثى من الذكر، حتى تتفقد مواضع القُنْب⁽⁹⁾ والأطباء، ومواضع الضرع والثيل⁽¹⁰⁾ ومواضع نُفَر الكلبة⁽¹¹⁾ من

- (1) المطعمة: التي أدركت أن تثمر، يقال: أطعمت الشجرة. وانظر 2: 133، 3: 97.
- (2) الفحال، كرمان: ذكر النخل. ولبه: قلبه. وقلب النخلة بالضم: شحمته، وكلمة «لب» ساقطة من ل. و«تسمن» هي في ط: «تسقى» وفي ش، ه: «تسمى» صوابهما في ل.
- (3) الجاحظ يجعل «الصفية» أنثى المعز. وفي ص 473 ساسي: «والتيس قبيحة جداً، وزاد في قبحها حسن الصفايا». وقال في باب الماعز ص 476 ساسي: «فمن ذلك أن الصفية أحسن من النعجة». وفيه نصوص كثيرة تدل على هذا التخصيص. ولم أجد ذلك في معجم من المعاجم. وفيها «الصفية»، للناقة والشاة غزيرة اللبن. فيما عدا ل: «والطبية» تحريف.
- (4) الطاوس: يقال للذكر وللأنثى.
- (5) التدرج، بضم التاء والدال، كما ضبطه الهميري: طائر كالدراج يغرد في البساتين بأصوات طيبة. قال ابن زهر: هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس. وهو فضيلة من رتبة الدجاج تشمل التدرج والحجل والسماني. فارسي معرب. ولم يذكر في اللسان والقاموس والمخصص. وفارسيته «تذرو». وفي المعرب للجواليقي 91: «قال بعض أهل اللغة: والتدرج الدراج فارسي معرب. وأصله تذرو». وقد جعله استينجاس 290 ذكر الدراج: A cock Partridge، وانظر أدبي شير 34.
- (6) الدراج، كرمان. قال ابن سيده: «لا يكون بأرضهم، وهو طير أرقط بسواد وبياض قصير المنقار. . والأنثى دراجة. . والذكر قوقل وحيقطان». وفي اللسان: «وهو من طير العراق أرقط». وهو بالإنجليزية: Black Partridge. فارسي معرب عن تراج. انظر أدبي شير 61 واستينجاس 291.
- (7) ل: «والغير».
- (8) ط: «ولا تنفصل»، ش: «تفصل»، ه: «تفضل». والأخيرتان محرفتان.
- (9) القنب، بضم القاف، وسكون النون: وعاء قضيب الدابة. ل، ش، ه: «القنب» بالتاء، تصحيف ما أثبت من ط.
- (10) الثيل، بكسر التاء المثلثة وفتحها: وعاء قضيب البعير وغيره. فيما عدا ل: «السل» محرف.
- (11) الثفر: بفتح التاء وضمها، لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب، كالحياء للناقة، ط: «نفر» بالنون، صوابه في سائر نسخ الأصل.

القضيب. لأنَّ للعُصفور الذَّكرَ لحيَّةً سوداء⁽¹⁾. وليس اللحية إلا للرجل [والجمل]، والتيس، والدَّيك، وأشباه ذلك. فهذه أيضاً فضيلةٌ للعُصفور. [وذكر ابنُ الأعرابي أن للناقة عُثُنُوناً كعُثُنُونِ الجمل، وأنها متى كان عُثُنُونُها أطولَ كان فيها أحمَدَ.

(حب العصافير فراخها)

وليس في الأرض طائرٌ، ولا سبعٌ ولا بهيمةٌ، أحنى على ولد، ولا أشدَّ به شعفاً⁽²⁾، وعليه إشفافاً- من العصافير. فإذا أصيبت بأولادها، أو خافت عليها العطب، فليس بين شيء من الأجناس من المساعدة، مثل الذي مع العصافير⁽³⁾، لأنَّ العصفور يرى الحيَّةَ قد أقبلت نحو جُحره وعُشِّه ووكره، لتأكل بيضه أو فراخه، فيصيح ويُرْتَق⁽⁴⁾. فلا يسعُ صوته عُصفوراً إلا أقبل إليه⁽⁵⁾ وصنَّعَ مثلاً صنيعه، بتحرُّق⁽⁶⁾ ولوعة، وقلَق، واستغاثةٍ وصُراخ، وربما أفلت الفرخ⁽⁷⁾ وسقط إلى الأرض - وقد ذهبت الحيَّة - فيجتمعن عليه، إذا كان قد نبت ريشه أدنى نبات فلا يزلن يُهَيِّجُنَه، ويَطْرُنَ حوله، لعلهما أن ذلك يحدث للفرخ قوة على التَّهْوِض⁽⁸⁾ فإذا نهَضَ طَرُنَ حواليه ودونه، حتى يحشَّشَنَه بذلك العمل⁽⁹⁾. وكان الخُرَيْمِيُّ⁽¹⁰⁾ يشدُّ:

واحتَّتْ كُلُّ بَازِلٍ دَقُونٍ⁽¹¹⁾ حتى رَفَعْنَ سَيْرَةَ اللَّجُونِ⁽¹²⁾

- (1) التعليل عائد إلى: «وللعصفور فضيلة أخرى» في الصفحة السابقة.
- (2) شعفاً، بالعين المهملة، كما هي في الأصل - وهو هنا ل: - والشعف: أن يذهب الحب بفؤاده، ومثله الشغف، بالغين. وبهما قرئ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ شَفَعَهَا حَبًّا﴾ [يوسف: 30] فبالهملة قراءة الحسن وابن محيصن، والجمهور بالغين المعجمة.
- (3) ل: «مثل العصافير».
- (4) رنق الطائر ترنيقا: إذا خفق بجناحيه في الهواء وثبت فلم يطر. فيما عدل ل: «يوثق» تحريف. وانظر ما سبق في 188:2.
- (5) ط فقط: «عليه».
- (6) التحرق: مطاوع حرقه تحريقاً. ومنه قولهم: هو يحترق جوعاً، كقولك: يتضرم. انظر اللسان (11: 326) س 24. فيما عدل ل: «بتحريق» محرف.
- (7) فيما عدل ل: «إلى الأرض» موضع «الفرخ». (8) ل: «لعلهما بأن» و «للفراخ».
- (9) انظر ما سبق في (188:2). والاحتثاث: الحث والاستعجال. وفي الأصل: «يحتملنه».
- (10) الخريمي، بضم الخاء وفتح الراء: نسبة إلى خريم الناعم. وانظر ترجمته في (1: 164) وما سبق في ص 139، فيما عدل ل: «الجريمي» بالجيم. وفي ل: «الخريبي»، صوابه ما أثبت.
- (11) احتث: أسرع في سيره. يقال: احتثه فاحتث هو؛ يلزم ويتعدى. ل: «واحتب» وهي صحيحة لكنها بعيدة عن الاستشهاد. ورواية اللسان (5: 315): «إذا حث كل بازل». ط، ش، هـ: «واجثت» تصحيف يؤيد ما صححت به. والبازل من الإبل: ما كان في التاسعة. والدقون من الإبل: التي تميل ذنُّها إلى الأرض تستعين بذلك على السير. فيما عدل ل: «بازل» ط، ش: «دقون» هـ: «دقوف» محرفات. ورواية اللسان (5: 315): «إذا حث كل بازل دقون». ابن شميل: ناقة دقون إذا كانت تغيب عن الإبل وتركب رأسها وحدها. اللسان (17: 12).
- (12) اللجون، بفتح اللام وضم الجيم: الثقل المشي من الإبل. ورفعن سيرته: جعلنه يبالغ في سيره. والسيرة، بالفتح: الضرب من السير. ش، هـ: «سرة» ط: «شرة» صوابهما في ل. وفيما عدل ل: «اللقون» وفي ل: «اللقون»، والصواب ما أثبت، كما في اللسان (5: 315). وأنشد في مادة (لجن) لأوس:

ولقد أربت على الهموم بجسرة عيرانة بالردف غير لجون

وينشد :

وَاحْتَتَّ مُحْتَتَّاتُهَا الْخَدُورُ^(١)وتقول [العرب]: «العاشية تُهَيِّجُ الآبِيَّة^(٢)».

ولو أن إنساناً أخذ فَرْخِي عَصْفُورٍ من وكره، ووضعهما بحيث يراهما أبواه في منزله، لوجد العصفور يتقحم^(٣) في ذلك المنزل، حتى يدخل في ذلك القفص، فلا يزال في تعهده بما يُعِيشه حتى يستغني عنه. ثم يحتملان في ذلك غاية التغرير والخطر^(٤)؛ وذلك من فرط الرقة على أولادهما.

(ما لا يسمح بالمشي من الحيوان)

وأجناس الحيوان التي لا تستطيع أن تُسمح بالمشي^(٥) ضروب: منها الضبع، لأنها خلقت عرجاء، فهي أبداً تخمّع^(٦). قال الشاعر^(٧):

وجاءت جبالاً وأبوابنيها أحم المأقيين به خماع^(٨)

(١) احتته: حثه على السير فاحتث هو، فمنه المتعدي والمطاوع. والحدور، كرسول: التي تخلفت عن الإبل، فلما نظرت إلى التي تسير سارت معها. ط، هـ: «واجثت مجتثاً بها». ش: «واجثت محتشأبها»، صوابه في ل واللسان (315: 5). ط، ش: «الخدورا» صوابه في ش، ل واللسان.

(٢) العاشية: واحدة العواشي، وهي الإبل والغنم التي ترعى بالليل. والآبِيَّة: التي تأبى الرعي. أي إذا رأت الإبل الآبِيَّة التي تتعشى حاجتها للرعي فرعت معها. انظر اللسان (292: 19) وعيون الأخبار (225: 3) والميداني (418-417: 1) وجمهرة العسكري 145، وهذا المثل في معنى الرجز السابق. والكلام من هنا إلى «على أولادهما» ساقط من ل.

(٣) ط، هـ: «يقتحم» وهما بمعنى يقال: قحم واقتحم وانقحم وتقحم. وأثبت ما في ش.

(٤) غرر بنفسه تعريراً: عرضها للهلكة. والخطر، بالكسر: مصدر خاطر بنفسه: أشفاها على خطر. ش: «والخطر».

(٥) أسمحت الدابة: انقادت. وفي اللسان (319: 3): «وأما أسمح فإنما يقال في المتابعة والانقياد».

(٦) تخمّع: تمشي كأن بها عرجاً.

(٧) هو مشعث العامري، رجل من بني عامر، كما في الأصمعيات 148 ومعجم المرزباني 475 واللسان (101: 13)، وفي اللسان (433: 9): «مثقّب». وهو تحريف. ولم أعثر لمشعث هذا على ترجمة أكثر مما ذكرت. وقال المرزباني: «أحسبه لقباً». والبيت من أبيات أربعة في الأصمعيات ومعجم المرزباني، وهي:

بأصر بتركني الحي يوماً	رهينة دارهم وهم سراع
تمتع يا مشعث إن شيئاً	سبقت به الوفاة هو المتاع
وجاءت جبالاً وأبوابنيها	أحم المأقيين به خماع
فظلا ينبشان الترب عني	وما أنا وب غيرك والسباع

(٨) جبال: علم لأنثى الضباع، وحقه المنع من الصرف. في الأصل: «وابنا أبيها»، صوابه من المرزباني واللسان (334: 9) وشرح الأنباري للمفضليات 75، ورواية الأصمعيات: «وأبو أبيها». أحم: أسود. والمأقي: طرف العين مما يلي الأنف، وفيه عشر لغات، منها المؤق، ل فقط: «المقلتين» تصحيف. والخماع، بالضم: شبه العرج. فيما عدا ش: «بها»، وهما روايتان، فالتذكير لأبو، والتأنيث لجبال.

وقال مدرك بن حصن⁽¹⁾ :

نم العُثُو⁽²⁾ ما تَدْرِي أرجلُ شمالِها بها الظَّلَعُ إمَّا هَزَوَلَتْ أُمَ يَمِينِها

والذئبُ أَقْزَلُ⁽³⁾ شَنِجِ النَّسَا، وإن أُحِثَّ إلى المشي فكأنه يتوجَّي⁽⁴⁾ .

وكذلك الظَّبْيُ، شَنِجُ النَّسَا⁽⁵⁾، فو لا يُسَمِّحُ بالمشي . قال الشاعر⁽⁶⁾ :

وَقُضِرِي شَنِجُ الْأَنْسَا ءِ نَبَّاحٍ مِنَ الشُّعْبِ⁽⁷⁾

[ظبي أشعب : إذا كان بعيد ما بين القرنين . ولا يسمع له نباح⁽⁸⁾].

وإذا أراد العدو، فإنما هو التَّقَرُّ⁽⁹⁾ والوثب، ورفع القوائم معاً ومن ذلك الأسد⁽¹⁰⁾ فإنه يمشي كأنه رَهِيص⁽¹¹⁾، وإذا مشى تَخَلَّعَ⁽¹²⁾ .

قال أبو زبيد :

إذا تبهَّنَسَ يمشي خِلَّتْهُ وَعِشَا وَعَتَّ سَوَاعِدُ مِنْهُ بَعْدَ تَكْسِيرِ⁽¹³⁾

ومن ذلك الفرس⁽¹⁴⁾، لا يُسَمِّحُ بالمشي . وهو يوصف بشَنِجِ النَّسَا . [وقال الشاعر :

(1) مدرك بن حصن، حجازي، أنشد له إسحاق الموصلي في محمد بن هشام :

عش ما استطعت وإن دببت على العصا ما دام والي أمرك ابن هشام
ملك الأعنة والأسنة وانتهت حكم الأمور إليه وهو غلام

المرزباني 406 .

(2) العثو : جمع عثواء، وهي الكثيرة الشعر . وفي اللسان : « وضبان أعشى كثير الشعر، والأنثى عثواء، والجمع عثو وعثى على المعاقبة » . ط : « العسر » هـ : « العشر » ش : « العثر » ل : « العتو » بالتاء، مصحفات . والظلع : شبه العرج . فيما عدل : « من الظلع » محرف ط : « لما هزولت » ش، ل، هـ : « أم هزولت » والأخيرة محرفة .

(3) الأقول : الأعرج الدقيق الساقين . ش، هـ : « أقول » محرف .

(4) يتوجي، من الوجي، وهو أن يشتكي البعير باطن خفه، والفرس باطن حافره . وفي ط، هـ وكذا اللسان (3 : 134) : « يتوحى » بالمهمله، وفي سك « يتوجاه » تصحيف .

(5) شنج النسا : متقبضه . والكلام من « وإن أحت » إلى هنا ساقط من ل .

(6) هو أبو دواد الإيادي كما سبق في (1 : 240) والصحاح (1 : 196) واللسان (3 : 134 و 3 : 448 - 449 و 6 : 415) .

(7) القصري، بالضم : أسفل الأضلاع . والنباح : الذي ينبح . وفي الحيوان (1 : 240) « وذكروا أن الظبي إذا أسن ونبتت لقرونه شعب نبح » . ش : « نباح » بالجيم . ولفظها صحيح، يقال : نبح الكلب ونبح، نباحاً ونباجاً، لغتان . والشعب، فسرت فيما يلي فيما عدل ل : « الشعب » تحريف .

(8) أراد أن نباحه ضعيف لا يكاد يسمع .

(9) النفز، بالزاي في آخره : الوثب . هـ : « النقر » ش : « التفنز »، صوابهما في ل، ط .

(10) فيما عدل ل : « وكذلك الأسد » . وفي ط، ش : فإنما « يمشي » .

(11) الرهيص، من الرهص، وهو الغمز، وأن يصيب حافر الدابة شيء يوهنه .

(12) تخلع : مشى مشية متفككة . ط، هـ : « تحلق » ش : « تخلق »، صوابهما في ل .

(13) تبهنس : مشى مشية المتبختر . والوعث : المكسور، وعثت يده، كفرح : انكسرت . وعث : انجبرت بعد الكسر على اعوجاج . فيما عدل ل : « وهت سواعده من » تحريف . وفي اللسان (20 : 276) لأبي زبيد نفسه :

خبعتنه في ساعديه تزايل تقول وعى من بعد ما قد تكسرا

(14) فيما عدل ل : « وكذلك » .

شَنِجَ الْأُنْثَاءِ مِنْ غَيْرِ فَحَجٍ⁽¹⁾

ومن ذلك الغراب، فإنه يحجل كأنه مقيد. قال الشاعر:

كتارك يوماً مشيةً من سَجِيَّةٍ لأُخْرَى ففأنته فأصبح بحجل⁽²⁾
وقال الطرمّاح:

شَنِجَ النِّسَاءِ أَدْفَى الْجَنَاحِ كَأَنَّهُ فِي الدَّارِ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ مُقَيَّدَ⁽³⁾
وَالسُّوَرِ، وَالْفَهْدِ، وَأَشْبَاهَهُمَا فِي طَرِيقِ الْأَسَدِ⁽⁴⁾.

والحية تمشي. ومنها ما يثب⁽⁵⁾، ومنها ما ينتصب ويقوم على ذنبه.

والأفعى إذا نهشت أو انباعت للتهش⁽⁶⁾، لم تستقلّ ببدنها كله⁽⁷⁾ ولكنها تستقلّ ببدنها⁽⁸⁾ الذي يلي الرأس، بحركة ونشط⁽⁹⁾ أسرع من اللّمح.

والجرادة تطير وتمشي وتطمر⁽¹⁰⁾. فإذا صرت إلى العصفور⁽¹¹⁾ ذهب المشي [ألبتة]. وأكثر ما عند البرغوث الطّمور والثوب⁽¹²⁾.

وقال الحسن بن هانئ يصف رجلاً يفلى القمل والبرغوث [بأنامله]:

(1) الفحج: تباعد ما بين الرجلين.

(2) هذا البيت من شواهد الفصل بين المتضايفين بالظرف. ونحوه قول أبي حبة النميري (سبويه 1: 91 والإنصاف 180):

كما خط الكتاب بكف يوماً يهودي يقارب أو يزيل

ط، هـ: «يوم» وتصح بالجر مع نصب «مشية»، كقول القائل (الخزانة 1: 485 وسبويه 1: 89):

يا سارق الليلة أهل الدار

(3) الأدفي: ما طال جناحه من أصول قوادمه وطرف ذنبه. وانظر الديوان 140، ورسمت في الأصل بالألف. انظر اللسان (18: 288). وروى في اللسان (3: 134، 11: 328): «حرق الجناح». والحرق: الذي نحل ريشه وانحص.

(4) ط فقط: «والنسور والفهود وأشباهاها في طريق الأسد»، وفيه تحريف.

(5) ط، ش: «يثب» صوابه في ل، هـ.

(6) نهشت: عضت. وانباعت: بسطت نفسها بعد تحويها لتساور. ط: «انتهشت» ش، هـ: «انتاعت» تحريفان. و«أو» هي في الأصل: «و» والوجه ما أثبت.

(7) تستقل، هي من قولهم: استقل الطائر في طيرانه، أي نهض للطيران وارتفع. ط، ش: «تشتغل».

(8) ل: «بشطر» في سائر النسخ: «تستطر»، صوابه ما أثبت، وانظر التنبيه السابق. و: «ببدنها» هي في الأصل: «ببدنها».

(9) النشاط، عني به هنا السرعة، وأصل النشاط سرعة عض الحية. فيما عدل: «حركة وتشتط».

(10) ل: «تطفر» بالفاء، وهما بمعنى الثوب.

(11) فيما عدل: «إلى العصفور والبرغوث». و«البرغوث» مقحمة. وانظر قوله فيما بعد: «لأن البرغوث مشاء وثاب».

(12) فيما عدل، «فليس عند البرغوث إلا الطمور والثوب»، صوابه في ل.

أوطامري واثب لم يُنَجِه منه وثأبه⁽¹⁾
لأن البرغوث [مشاء⁽²⁾] وثأب .

قال: وقول الناس: طامر بن طامر، إنما يريدون البرغوث⁽³⁾ .

والعصفور⁽⁴⁾ ليس يعرف إلا أن يجمع رجله ثم يثب، فيضعهما معاً ويرفعهما معاً .
فليس عنده إلا التَّقَزَانُ⁽⁵⁾ . ولذلك سُمِّي العصفور نقّازاً⁽⁶⁾ .

وهو العصفور والجمع عصافير، ونقّاز والجمع نقّاقيز . وهو الصَّغُو⁽⁷⁾ . [ويزعمون أن العرب تجعل الخرق⁽⁸⁾ والقُنبَر، والحُمَر، وأشباه ذلك كله، من العصافير . والعصفور طيرانه نقّزان] أيضاً، [فهو لا يُسمَح بالطيران كما لا] يسمح بالمشي⁽⁹⁾ .

(شدة وطء العصفور)

وليس لشيء [جسمه] مثل جسم العُصفور مراراً كثيرة، من شدة الوطء، وصلابة الوُقع على الأرض، إذا مشى، أو على السطح - ما للعصفور، فإنك إذا كنت تحت السطح الذي يمشي عليه [العصفور] حسبت وقعه عليه وقّع حجر⁽¹⁰⁾ .

والكلب منعوّ بشدة الوطء، وكذلك الخُصيان من كل شيء⁽¹¹⁾ . والعصفور يأخذ بنصيبه من ذلك⁽¹²⁾ أكثر من قسط جسمه من تلك الأجسام بالأضعاف الكثيرة⁽¹³⁾ .

(1) انظر ص 256، والبيت من أبيات في نهاية الأرب (10: 178) وليس في الديوان، ولا في أخبار أبي نواس لابن منظور، قالها في رجل اسمه «أيوب»، وأولها:

من ينأ عنه مصاده فمصاد أيوب ثيابه

(2) هذه الزيادة من ل، هـ .

(3) طامر بن طامر، هو الذي لا يعرف ولا يعرف أبوه، ولا يدري من هو . وهو البرغوث أيضاً لطموره أي وثوبه . انظر اللسان (طمر) وثمار القلوب 213، فيما عدل ل: «طامر وابن طامر إذا» إلخ . . محرف .

(4) فيما عدل ل: «وكذلك العصفور» .

(5) النقزان: الوثبان . ل: «النقر» وهما بمعنى .

(6) فيما عدل ل: «فلذلك يسمى العصفور نقّازاً» .

(7) فيما عدل ل: «وهو الصغار أيضاً» .

(8) الخرق، بضم الخاء وتشديد الراء: ضرب من العصافير .

(9) فيما عدل ل: «فلا يسمح» .

(10) فيما عدل ل: «وقعه حجر» . وانظر ما سبق في (2: 189) .

(11) انظر الكلام في مشي الخصي بالجزء الأول ص 102 .

(12) ط، هـ: «العصفور» . فيما دعا ل: «بيضته من الأجزاء»، محرف .

(13) فيما عدل ل: «بأكثر من» . ط: «بالأصناف الكثيرة»، محرف .

(ما يجيد المشي من الحيوان)

والذُّباب من الطير الذي يجيدُ المشي . ويمشي مشياً سَبَطاً حَثِيثاً ، [وحسناً] مستوياً .
والقطة مَلِيحَةُ المِشْيَةِ⁽¹⁾ ، مَقَارِبَةُ الخُطُو .

وقد توصف مِشْيَةُ المرأة بِمِشْيَةِ القَطَاة⁽²⁾ . وقال الكُمَيْت⁽³⁾ :

يَمْشِيْنَ مَشْيَ قَطَا البُطَاحِ تَأَوُّدًا قُبَّ البُطُونِ رَوَاجِحَ الأَكْفَالِ⁽⁴⁾
وقال الشاعر :

يَتَمَشَّيْنَ كَمَا تَمْشِي القُطَا أَوْ كَمَا يَمْشِي جِلَالُ البَقَرَاتِ⁽⁵⁾

لأن البقرة تتبختر في مشيتها

وقلت لابن دُبُوقَا⁽⁶⁾ : أي شيء أول التشاجي⁽⁷⁾ ؟ قال : التباهر والقرمطة في المشي⁽⁸⁾ .
[وقال⁽⁹⁾ :

فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشْيَ القَطَاةِ إِلَى الغَدِيرِ]

وكل حيوان من ذوات الرجلين والأربع ، إذا انكسرت لها قائمة تحاملت بالصحيحة ،
إلا النعامة فإنها تسقط أَلْبَتَةً⁽¹⁰⁾ .

(سفاد العصفور)

قال : وكثرة عدد السِّفَادِ ، والمبالغة في الإبطاء ، والدَّوَامُ في كثرة العدد لضروب⁽¹¹⁾ من

(1) فيما عدل : «المشي» .

(2) ط ، هـ : «بمشي» وأثبت ما في ل ، ش واللسان (19 : 152) .

(3) كذا جاءت النسبة هـ في ل والأغاني (15 : 19) ومعجم المرزباني 348 ، وفي سائر النسخ : «قال الشاعر» .

(4) قب : جمع قباء . والقبب : دقة الخصر وضمور البطن . ط : «قلب» ، صوابها في سائر النسخ والمراجع المتقدمة
ولباب الآداب 371 والمستطرف (2 : 22) .

(5) هذه رواية ط ، هـ : فيكون البيت بذلك من بحر الرمل . وفي ش : «يتمشي» تحريف . وفي ل : «يمشين كما يمشي
قطا أو بقرات» ، وهو تحريف صوابه في اللسان (19 : 152) :

يَتَمَشَّيْنَ كَمَا تَمْشِي قُطَا أَوْ بَقَرَاتٍ

فيكون البيت بذلك من مجزوء الرمل . والجلال ، بالكسر : العظيما .

(6) فيما عدل : «لأبي دبوقة» ، وما في ل يطابق ما نقله ابن منظور عن الجاحظ في (19 : 152) .

(7) التشاجي : تمنع المرأة وتحاذنها . وهذا ما في ل واللسان ، وفي سائر النسخ : «المشي» محرف .

(8) التباهر ، أراد به إظهار البهر ، وهو بالضم : انقطاع النفس من الإعياء . والقرمطة : مقارنة الخطو .

(9) هو المنخل اليشكري ، من قصيدة له في الحماسة (1 : 202) أولها :

إِنْ كُنْتُ عَاذِلْتِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي

(10) انظر العقد (6 : 237) .

(11) ل : «بضروب» .

الحيوان - فالإنسان يغلبُ هذه الأجناس بأن ذلك دائم منه ⁽¹⁾ في جميع الأزمنة. فأما الإبطاء في حال السَّفاد فللجمل ⁽²⁾ والوَرَل والذَّبَّان ⁽³⁾ والخنزير. فهذه فضيلةٌ لذة لهذه الأجناس والأصناف ⁽⁴⁾ فأما كثرة العدد فللعصافير.

(سَفاد التيس)

وقد زعم أبو عبد الله العتبي ⁽⁵⁾ الأبرص، وكان قاطعَ الشهادة عند أصحابنا البصريين - أن الذي يقال له المَشْرَطي ⁽⁶⁾ قرَعَ في يوم واحدٍ نيفاً وثمانين قرعة. إلا أن ذلك منه ومن مثله ينمحق حتى يعود جافراً ⁽⁷⁾ في الأيام القليلة.

(تيس بني حمان)

وبنو حَمَّان يزعمون أن تيسَ بني حَمَّان قرَعَ وألقَحَ بعد أن ذُبِحَ وفخروا بذلك، فقال بعضُ من يهجوهم:

وَالْهَى بَنِي حَمَّانَ عَسْبُ عَتُودِهِمْ عن المجد حتى أحرزته الأكارم ⁽⁸⁾

(زعم لصاحب المنطق)

وزعمَ صاحبُ المنطق، في كتاب الحيوان، أن ثوراً فيما سلف من الدهر ⁽⁹⁾ سَفِدَ وأَلْقَحَ من ساعته بعد أن خُصِّي.

فإذا أفرط المديح ⁽¹⁰⁾ وخرجَ من المقدار، أو أفرط التعجب ⁽¹¹⁾ وخرج من المقدار -

(1) فيما عدا ل: «لأن ذلك دائم فيه». وانظر ما سيأتي في (7: 9).

(2) ل: «فالجمل».

(3) الذبان: جمع ذباب، كغرياب وغراب. ط: «والدباب» بالمهملة، محرف.

(4) «الأجناس» ساقطة من ل. و«الأصناف» ساقطة من ش.

(5) ل: «الغنمي». وقد سبق في (2: 128، 134)، أنه «العمي». وهو أحد المعتزلة.

(6) فيما عدا ل: «المسراطي». وقد ورد بالضبط الذي أثبتته في ل. وانظر 321.

(7) ابن الأعرابي: أجفر الرجل وجفر وجفر واجتفر: إذا انقطع عن الجماع. وفي الحديث أنه قال لعثمان بن مظعون: «عليك بالصوم فإنه مجفرة»، أي مقطعة للنكاح. ل، «حافراً» بالفاء. وفي اللسان (5: 284 س 15): «ابن الأعرابي: حفر إذا جامع وحفر إذا فسد»، فلها وجه من ذلك. ط، هـ: «حاقراً» بالقف محرف. وأثبت ما في ش.

(8) العسب: ماء الفحل. والعتود، بفتح العين وضم التاء: الجدي قد بلغ السفاد.

(9) فيما عدا ش: «فيما سلف من الدهر أن ثوراً».

(10) فيما عدا ل: «فإذا أفرط المادح في المديح»، تحريف.

(11) فيما عدا ل: «أو أفرط المتعجب في التعجب»، تحريف.

احتاج صاحبه⁽¹⁾ إلى أن يثبتته بالعيان، أو بالخبر الذي لا يكذب مثله⁽²⁾، وإلا فقد تعرّض للتكذيب.

ولو جعلوا حركتهم⁽³⁾ خبراً وحكاية، وتبرءوا من عيبه⁽⁴⁾ - ماضرهم ذلك، وكان⁽⁵⁾ ذلك أضون لأقدارهم، وأتمّ لمروءات كتبهم.

(القول في الجناح واليد والرجل)

[و]قالوا: وكل [طائر] جيّد الجناح، يكون ضعيف الرجلين، كالرّزور والخطاف؛ وجناحاهما أجود من جناح العصفور. ورجل العصفور قويّة.

والجناحان هما يدا الطائر⁽⁶⁾؛ لأنهم يجعلون كلّ طائر وإنسان ذا أربع: فجناحا الطائر يده، ويذا الإنسان جناحاه. ولذلك إن قطعت يد الإنسان لم يجد العدو. وكذلك إن قُطعت رجل الطائر لم يجد الطيران.

والدابة قد تقوم على رجليها دون يديها، والإنسان قد يمشي على أربع. [قالوا: فهم في عدد الأيدي والأرجل سواء. وفي الآلات الأربع]؛ إلا أن الآلة تكون في مكان ببعض الأعمال أليق، وهو⁽⁷⁾ عليها أسهل، فتجذبها طبائعها⁽⁸⁾ إلى ما فيها من ذلك، كمشي الدابة على يديها، وثقل⁽⁹⁾ ذلك على الإنسان.

والحمام يضرب بجناحه الحمام، ويقائله به، ويدفع به عن نفسه. فقواده⁽¹⁰⁾ هي أصابعه، وجناحه هو يده⁽¹¹⁾ ورجله كالقدم. وهي رجل وإن سمّوها كفّاً، حين وجدوها تكفّ به⁽¹²⁾ كما يصنع الإنسان بكفه.

وكلّ مقطوع اليدين، وكل من لم يخلق له يدا فهو يصنع برجليه⁽¹³⁾ عامّة ما يصنعه الوافر الخلق بيديه.

(1) أي صاحب المدح والتعجب.

(2) فيما عدل ل: «الذي لم يكذب مثله».

(3) كذا.

(4) ط، ه: «تبرءوا عن». ل: «غيبه» وسائر النسخ: «عينه»، ووجهه ما أثبت.

(5) ط، ه: «فكان». (6) ط، ه: «يد الطائر» بالافراد، تحريف.

(7) فيما عدل ل: «وهي».

(8) ل: «طبائعها».

(9) فيما عدل ل: «ويثقل».

(10) القوادم: ريشات في مقدم الجناح. فيما عدل ل: «وقوائمه»، تحريف.

(11) فيما عدل ل: «وجناحاه يده».

(12) ضمير «به» للكف. والتذكيرها لغة ضعيفة، شاهدها قول الأعشى:

رأت رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كشحيه كفاً مخضباً

وانظر المخصص (16: 187-188) واللسان (11: 211-212).

(13) فيما عدل ل: «برجله». وانظر لاستعمال الإنسان رجله ما سبق في (3: 130).

وكل سُبُع يكون شديد اليدين فإنه يكون ضعيف الرجلين .
 وكل شيء من ذوات [الأربع ، من] البرائن والحوافر ، فإن أيديها أكبر من أرجلها^(١) ،
 والناس أرجلهم أكبر من أيديهم ، وأقدامهم أكبر من أكفهم .
 وجعلوا رُكَبَهُمْ في أرجلهم ، وجعلوا رُكَبَ الدَّواب في أيديها^(٢) .

(نفع العصافير وضررها)

وللعصافير طَبَاهِجَات^(٣) وقلايا^(٤) تُدْعَى العصافيريَّة ، ولها حَشَاوي^(٥) يطعمها [العوام] المفلوج . والعوام تأكلها للقوة على الجماع . وعِظَامُ سَوْقِهَا وَأَفْخَاذُهَا أَحَدُ^(٦) وَأَذْرَبُ من الإبر . وهي مَخُوفَةٌ على المعدة والأمعاء .
 وهي تخرب السَّقْفَ تخريباً فاحشاً . وتجذب الحيات إلى منازل الناس ؛ لحرص الحيات على ابتلاع^(٧) العصافير وفراخها وبيضها .

(عمر العصفور)

والذين زعموا أن ذكورها لا تعيش إلا سنة ، يحتاجون إلى أن يعرفوا الناس ذلك . وكيف يستطيعون تعريفهم^{(٨)؟} !
 وقد تكون القرى بقرب المزارع . والبيادر^(٩) مملوءة عصافير ، ومملوءة من بيضها وفراخها ، وهم مع ذلك لم يروا عصفوراً قط ميتاً .
 [والذين يزعمون أن الذباب لا يعيش أكثر من أربعين يوماً ، وكانوا^(١٠) لا يكادون يرون

(١) فيما عدل : «رجليها» .

(٢) جعلوا ، أراد الجعل اللغوي ، وهو التسمية . وقد سبق مثل هذا الكلام في (3 : 130 س 15-16) .

(٣) طباهجات : جمع طباهجة ، بفتح الطاء وكسر الهاء : ضرب من قلى اللحم . وهو ما يسمى «الكباب» ، وهو معرب «تَبَاهَه» أو «تَبَاهَجَه» . وفي المخصص (4 : 128) : «صاحب العين : الكباب الطباهجة» . وفي شفاء الغليل : «طباهج : الكباب ، كما في تاج الأسماء ، معرب تباهه ، والعرب تسميه الصفييف . وظاهر كلام ابن النحاس في شرح المعلقات أن الكباب مولد . ويشهد له أنا لم نره في كلام فصيح» . و«طباهج» بدون تاء كما ترى ، ومثلها في معجم البلدان في رسم (كباب) . ولم يذكر هذه اللغة المخصص واللسان والقاموس . وانظر كتاب الطبخ البغدادي 14-15 .

(٤) قلايا : جمع قلية ، والقلية : اللحم يقلى ، أي يشوى على المقلية . وانظر كتاب الطبخ ص 50 ، ش : «وفلات» ط ، هـ : «وغلات» صوابهما في ل .

(٥) كذا في ل . وقد سبق هذه الكلمة في (2 : 139 س 5) . وفي ط ، ش : «حواش» هـ : «حواشي» .

(٦) ل : «إبر» .

(٧) ش : «اتباع» .

(٨) فيما عدل ل : «تعريفهم ذلك» .

(٩) البيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذي يداس فيه الحب . فيما عدل ل : «والميازب» محرف .

(١٠) في الأصل ، وهو هنا ل : «كانوا» بإسقاط الواو .

ذبابه ميتة - أعذر، لأنهم ذهبوا إلى الحديث⁽¹⁾. وأصحاب الحديث لا يؤخذون بما يواخذ به الفلاسفة⁽²⁾.

والذين زعموا أن البغل إنما طال عمره لقلّة السّفاد، والعصفور إنما قصّر عمره لكثرة السّفاد وغلّته⁽³⁾ - لو قالوا بذلك على جهة الظنّ والتقريب، لم يلّمهم أحد من العلماء. والأمور المقرّبة غير الأمور الموجبة، فينبغي أن يعرفوا فضل ما بين الموجب والمقرّب⁽⁴⁾، وفصل ما بين الدليل وشبه الدليل⁽⁵⁾ ولعلّ طول عمر البغل يكون للذي قالوا، ولشيء آخر. وليس ينبغي لنا أن نجزم على هذه العلة فقط، [إلا بعد أن يحيط علمنا بأن عمره لم يفضل على أعمار تلك الأجناس إلا لهذه العلة].

(بعض خصال العصفور)

والعصفور لا يستقرّ ما كان خارجاً من وكّره، حتى كأنه في دوام الحركة صبيّ. وله صوت حديد مؤذ.

وزعموا أن البلب لا يستقر أبداً⁽⁶⁾ وهذا غلط، لأن البلب إنما يلقّ لأنه محصور في قفص. والذين عاينوا البلب والعصافير في أوكارها⁽⁷⁾، وغير محصورة في الأقفاص - يعلمون فضل العصفور على البلب في الحركة.

فأما صدق الحسّ، وشدة الحذر، والإزكان⁽⁸⁾ الذي ليس عند خبيث الطير⁽⁹⁾، ولا عند الغراب⁽¹⁰⁾ - فإن عند العصفور منه ما ليس عند جميع ما ذكرنا⁽¹¹⁾، لو اجتمعت قواهم ورُكّبوا في نصاب واحد.

من ذلك أنه يغمّ⁽¹²⁾ بحدة صوته بعض من يقرب منه، فيصيح به ويهوى بيديه إلى

(1) وهو ما ورد أن عمر الذباب أربعون يوماً. انظر (3: 171).

(2) هذه الكلمة وما قبلها ليست في ل. وانظر التنبيه التالي.

(3) ل: «قلّة السّفاد وكثرته»، وبذلك توازن عبارتها سائر النسخ، وكلمة «غلّته» ساقطة من ش. وبدلها في ه: «غليته» وهذه محرفة.

(4) فيما عدل: «فضل ما بين» والصواب بالصاد، أي الفرق. وفيها أيضاً «الواجب» موضع «الموجب».

(5) فيما عدل: «وفرق ما بين الدليل وشبه الدليل».

(6) هذه الكلمة ساقطة من ل. وبدلها في ه: «أيضاً».

(7) الوكر: عش الطائر. فيما عدل: «غير أوكارها»، وكلمة «غير» تفسد الكلام.

(8) الإزكان: الفطنة والحسد الصادق. ل، ش، ه: «الأركان» صوابه في ط.

(9) ل: «عند عبید الكيس» ش: «عند حثيث الطير» ط: «لحس الطواف» ه: «لحس الطواف» وأثبت ما في ش بعد توجيهه بما رأيت. والخبيث: ذو الخب والخداع.

(10) الغراب يضرب به المثل في الحذر، فيقال: «أحذر من غراب». انظر الحيوان (3: 226)، وثمار القلوب 365 والميداني (1: 207). وفي الأصل: «العراف».

(11) ل: «من ذكرنا». نزلها منزلة العاقل. ومثل ذلك في سياق الكلام بعده.

(12) ل: «يعم»، صوابه في سائر النسخ. وقد سبق في (2: 188): «فيغمني صياحه وحدة صوته».

الأرض⁽¹⁾ كأنه يريد أن يرميه بحجر فلا يراه⁽²⁾ يحفل بذلك . فإن وقعت يده على حصاة طار من قبل أن يتمكن من أخذها⁽³⁾ .

وزعم صاحب المنطق أن بين الحمام وعصفور الشوك⁽⁴⁾ عداوة، وقال : لأن الحمام يدخل الشجر والشوك، وربما زاحم الموضع الذي فيه وكثره فيبدد عشه . وربما نهق الحمام فسقط⁽⁵⁾ فرخ العصفور أو بيضه من جوف وكثره . قال : ولذلك إذا رآه العصفور رنق⁽⁶⁾ فوق رأسه ، وعلى عينيه⁽⁷⁾ وآذاه بطيرانه وصياحه .

وربما كان العصفور أبلق . ويصاب فيه الأصبع⁽⁸⁾ ، والجرادي⁽⁹⁾ ، والأسود ، والفقيع⁽¹⁰⁾ ، [والأغبس⁽¹¹⁾] . فإذا أصابوه كذلك باعوه بالثمن الكثير .

وقال أبو بدر الأسدي⁽¹²⁾ : قيل لعبد الأعلى القاص : لم سمى العصفور عصفوراً؟ قال : لأنه عصى وفر . وقيل : ولم سمى الطفشيل⁽¹⁴⁾ طفشياً؟ قال : لأنه طفا وشال . وقيل له : لم سمى الكلب القلطي قلطياً؟ قال : لأنه قل ولطى⁽¹⁵⁾ . وقيل له⁽¹⁶⁾ : لم سمى [الكلب] السلوقي سلوقياً؟ قال : لأنه يستل ويلقى⁽¹⁷⁾ .

[قال] : وحدثنا [سفيان] بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن صهيب مولى ابن عامر ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من إنسان يقتل عصفوراً أو ما فوقها⁽¹⁸⁾ بغير حقها إلا سأل الله عنها » . قيل : يا رسول الله : وما حقها؟ قال : « أن تذبحها فتأكلها ، ولا تقطع رأسها فترمي بها » .

(1) ط فقط : « للأرض » ، وفي ل زيادة : « نحوه ويضرب بيده » قبل : « إلى الأرض » .

(2) ل : « فلا تراه » .

(3) ط : « قبل يتمكن » وهي لغة ضعيفة ، سمع : « خذ اللص قبل يأخذك » ، وانظر (2: 188) .

(4) عصفور الشوك ، سمى بذلك لأنه يألف الأشجار الشائكة والسياح . ويسمى بالإنكليزية : Hedge Sparrow .

(5) ل : « فسقط » .

(6) رنق ترينقاً : حقق بجناحيه ورفرف ولم يطر . وانظر ص 143 س 8 ، وفيه عدا ل : « زرق » ، أي رمى بسلاحه .

(7) فيما عدا ل : « عنقه » .

(8) الأصبع من الطير : المبيض الذنب . ش ، هـ : « الأصبع » بالعين المهملة ، تحريف .

(9) الجرادي : مالونه لون الجراد .

(10) الفقيع : الأبيض ، وهو بفتح الفاء وكسر القاف كأميز . ويروى بوزن سكيت . انظر تاج العروس (5: 455) .

(11) الأغبس : ما لونه الغبسة ، والغبسة : لون الرماد .

(12) فيما عدا ل : « أبو زيد الأسدي » . (13) ل : « فلم » . وكلمة « قيل » ساقطة من ش ، هـ .

(14) الطفشيل سبق القول فيه في (3: 12) . واللفظ فارسي معرب . وهو بالفارسية : « تَفْشِيلَه أو تَفْشِيلَه » . وقد فسر

استينجاس 313 بأنه ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل .

(15) لطى بالأرض : لصق ، وبابه منع وفرح لطاً ولطوءاً . والكلب القلطي : ضرب من الكلاب القصيرة . انظر

(126: 1) . فيما عدا ل : « لأنه قاطد » ، محرف .

(16) فيما عدا ل : « قال ولم » محرف .

(17) كذا ضبطت في ل . والاستلال : السرقة . ط ، هـ : « سلاويقي » ش : « سلاويقي » محرفتان .

(18) فيما عدا ل : « فما فوقها » . وانظر الجامع الصغير 8025 .

(صياح العصافير ونحوها)

ويقال ⁽¹⁾: قد صرَّ العصفورُ يصرُّ صريراً. قال: ويقال للعصافير والمكاكي ⁽²⁾ والقنابر، والخرق ⁽³⁾، والحمر: قد صفر يصفرُ صغيراً. وقال طرفة بن العبد ⁽⁴⁾:

يَا لِكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ ⁽⁵⁾ خَلَا لِكَ الْجَوُّ فَبِضْيِ وَأَصْفِرِي
[وَنَقْرِي مَا شِيتِ أَنْ تُنْقَرِي]

ويقال: قد نطق العصفور. وقال كثير ⁽⁶⁾:

سَوَى ذِكْرَةٍ مِنْهَا إِذَا الرِّكْبُ عَرَّسُوا وَهَبَّتْ عَصَافِيرُ الصَّرِيمِ النُّوَاطِقِ ⁽⁷⁾
وَلِذِكْرِ الْعَصْفُورِ مَوْضِعٌ آخَرُ: وَذَلِكَ أَنَّ الْعَصَافِيرَ تَصِيحُ مَعَ الصُّبْحِ ⁽⁸⁾. وقال كلثوم بن عمرو ⁽⁹⁾:

يَا لَيْلَةً لِي بِحُؤَارَيْنِ سَاهِرَةً حَتَّى تَكَلَّمَ فِي الصَّبْحِ الْعَصَافِيرُ
وَقَالَ خَلْفَ الْأَحْمَرِ ⁽¹⁰⁾:

فَلَمَّا أَصَاتَتْ عَصَافِيرُهُ وَلاَحَتْ تَبَاشِيرُ أَرْوَاقِهِ ⁽¹¹⁾

(1) فيما عدل ل: «ويقال العصفور».

(2) المكاكي: بفتح الميم وتخفيف الكاف: جمع مكاء، بضم الميم وتشديد الكاف، وهو نوع من القنابر له صغير حسن، وتصعيد في الجو وتصويب، وهو في ذلك يمشو أي يصفر فيما عدل ل: «ويقال في المكاكي».

(3) الخرق، بضم الخاء وتشديد الراء: ضرب من العصافير واحده خرقة، وقيل الخرق واحد. فيما عدل ل: «الخرق» بالمهملة، تصحيف. وانظر ما سبق في 147 س 7.

(4) في اللسان: «وكان يصطاد هذا الطير في صباه». وقال ابن بري: إن هذا الرجز لكليب بن ربيعة التغلبي لا لطرفة، كما ذكر الجوهرى. وذلك أن كليب بن ربيعة خرج يوماً في حماء، فإذا هو بقبرة على بيضها؛ فلما نظرت إليه صرصرت وخفقت بجناحيها، فقال لها: أمن روعك! أنت وبيضك في ذمتي! ثم دخلت ناقة البسوس إلى الحمى فكسرت البيض، فرماها كليب في ضرعها، فهاجت حرب بكر وتغلب ابني وائل بسببها أربعين سنة. وانظر ما أسلفت من الكلام على هذا الرجز في (37:3).

(5) فيما عدل ل: «قنبرة»، وهي لغة في القبرة. وفي اللسان: «والقبر والقبرة، والقنبر والقنبرة والقنبراء: طائر يشبه الحمر». وباء القنبرة مضمومة، كقنفذة. وفي اللسان: «والعامّة تقول القنبرة»، فنسبها إلى العامّة. وفي القاموس أن «القنبرة» لغية.

(6) فيما عدل ل: «جرير» ولم أجد البيت في ديوانيهما.

(7) فيما عدل ل: «ذكره». وفي ط: «إن الركب» تحريفان. والصريم: الصبح، وهو من الأضداد، يقال أيضاً لليل.

(8) فيما عدل ل: «وقت الصبح».

(9) تقدمت ترجمته في (167:2) عند إنشاد البيت التالي، والبيت كذلك في العمدة (179:1) والموشح 293.

(10) فيما عدل ل: «وقال الوليد بن يزيد».

(11) أصابت: صوتت. ل، هـ، ش: «أضاءت» صوابه في ط. والأرواق: جمع روق بالفتح. وأرواق الليل: أثناء ظلمته، وجعلها هنا لأثناء النور.

غَدَا يَفْتَرِيْ أُنْفَاءً عَازِباً وَيَلْتَسُّ نَاضِرَ أَوْرَاقِهِ ⁽¹⁾
وقال الوليد بن يزيد ⁽²⁾:

فَلَمَّا أَنْ دَنَا الصَّبْحُ بِأَصْوَاتِ الْعَصَافِيرِ
(أَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ)

ولها موضع آخر. وذلك أنهم يضربون المثل بأحلام العصافير لأحلام السُّخَفَاءِ ⁽³⁾.
وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ:

يَا آلَ سُفْيَانَ مَا بَالِي وَبَالِكُمْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ وَفِي أَحْلَامِ عَصْفُورٍ ⁽⁴⁾
وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ عِظَمٍ جِسْمُ الْبَغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ ⁽⁵⁾
ومن هذا الباب في معنى التَّصْغِيرِ والتَّحْقِيرِ، قولُ لَبِيدٍ ⁽⁶⁾:

فَإِنْ تَسْأَلِنَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمَسْحَرِ

(1) يقتري: يتتبع. أنفأ، بضمتين: لم يرعها أحد قبله. عازباً: بعيداً. يلتس: يتناول ويأكل. أي غدا هذا الحمار أو الثور يتتبع هذا الروض ويرعاه. فيما عدا ل: «أبقأ عازباً، ويلبس»، وفي ش: «أنفأ»، تحريف ما أثبت من ل.

(2) فيما عدا ل: «أبو محرز»، وأثبت ما في ل مطابقاً لما سبق في (2: 166) ولما في حواشي الكامل 12 ليسك. وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك. ولّى الخلافة سنة 122 وقتل سنة 126 وله اثنتان وأربعون سنة. هذا والحق أن الشعر ليس للوليد بن يزيد، بل هو ليزيد بن ضبة الثقفى، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد، فلما ولّى الخلافة وفد عليه، وأنشده مديحاً في قصيدة بلغت واحداً وثلاثين بيتاً، رواها أبو الفرج في الأغاني (6: 142-143) وأولها:

سَلِمَى تِلْكَ فِي الْعِيرِ قَفِي أَسْأَلُكَ أَوْ سِيرِي
ورواية البيت في القصيدة:

إِلَى أَنْ يَفْصَحَ الصَّبْحُ بِأَصْوَاتِ الْعَصَافِيرِ
لِنَعْتَامِ الْوَلِيدِ الْقَرِ مَأْنَلِ الْجُودِ وَالْخَيْرِ

قالوا: فأمر الوليد أن تعد أبيات القصيدة، ويعطي لكل بيت ألف درهم، فعدت فكانت خمسين بيتاً، فأعطى خمسين ألفاً. فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم. ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد.

(3) كلمة: «المثل» فيما عدا ل مقدمة على: «بأحلام».

(4) في ثمار القلوب 388: «يا آل شيبان» و: «أنتم كثيرون في أحلام عصفور»، وفيما عدا ل: «أنتم كبير وفي الأحلام».

(5) البيت في ديوانه ص 214 من قصيدة يهجو بها بني الحارث بن كعب، وهم رهط النجاشي الشاعر. وانظر الخزانة (4: 53-56) وسيبويه (1: 254).

(6) فيما عدا ل: «وفي معنى هذا الباب من التصغير والتحقير يقول لبيد». ومثل هذه النسبة في البيان (01: 140) واللسان (6: 13)، ونسب البيت في أمالي المرتضى (37: 3) إلى أمية بن أبي الصلت.

والمسحّر: المخدّع⁽¹⁾، على قوله⁽²⁾:

وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

وقال ليبد⁽³⁾:

عَصَافِيرٌ وَذَبَّانٌ وَدُودٌ [وَأَجْرًا مِنْ مُجَلِّحَةِ الذَّنَابِ]⁽⁴⁾

فكأنه يخبر عن ضَعْفِ طِبَاعِ الْإِنْسَانِ.

وقال قوم: المسحّر، يعني كلّ ذي سَحَرٍ، يذهب إلى الرثّة؛ لقوله:

وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

(قولهم: صريم سحر)

ولذكر السّحر موضع آخر، يقول الرجل لصاحبه: «صَرَمْتُ سَحْرِي مِنْكَ»، أي لست منك. وقال خُفَافُ بْنُ نُدْبَةَ⁽⁵⁾:

وَلَوْلَا ابْنَا تَمَاضِرٍ أَنْ يُسَاءُوا وَأَنْتَى مِنْكَ غَيْرَ صَرِيمٍ سَحَرٍ⁽⁶⁾

فكأنه قال: لستُ كذلك [منك]⁽⁷⁾.

وقال قيسُ بْنُ الْخَطِيمِ:

تَقُولُ ظَعِينَتِي لِمَا اسْتَقَلَّتْ أَتْرُكُ مَا جَمَعْتَ صَرِيمَ سَحَرٍ⁽⁸⁾

أي قد تركته آيساً منه⁽⁹⁾.

وأنشد الآخر:

(1) ش، هـ: «المجدع» تحريف. ط: «المخدوع» وأثبت ما في ل. والمخدع: الذي خدع مراراً، قال:

سَمَحَ الْيَدَيْنِ إِذَا أُرِدْتَ يَمِينُهُ بِسَفَارَةِ السَّفَرَاءِ غَيْرِ مَخْدَعٍ

(2) فيما عدل: «قولهم» وهو عجز بيت لامرئ القيس، صدره: «أرانا موضعين لأمر غيب». وهذه النسبة ثابتة في ديوانه 132 والبيان (1: 189) واللسان (6: 12).

(3) كذا والصواب أنه «امرؤ القيس» والبيت تال للمتقدم، كما في الديوان واللسان.

(4) أجراً: أشد جراءة. وفي الأصل وهو هنا ل: «وأجراً مجلحة» تحريف. والمجلحة، بكسر اللام المشددة: الجريئة. والذئاب، هي في الأصل: «الدياب» بالبدال المهملة وبالراء في آخره، صوابه من الديوان واللسان في الموضع السابق وفي (7: 40).

(5) شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وندبة أمه، تقال بفتح النون وضمهما. القاموس (ندب) والخزانة (4: 272). وانظر الإصابة 3269.

(6) فيما عدل: «أن تساوي وأني فيك». وما أثبت من ل يوافق ما في شرح ديوان قيس بن الخطيم 32، وفي الشرح أيضاً: «وذلك أن السحر الرثّة فإذا انقطعت لم يعيش الإنسان».

(7) هذه من ل. وفي أصلها: «فيك».

(8) البيت في ديوانه 32، والظعينة: الزوجة. استقلت: رحلت.

(9) آيساً: يائساً. هـ: «أنسا» محرف. وانظر التنبيه الخامس من هذه الصفحة. وفي اللسان (6: 16) أن صريم سحر «معناه مصروم الرثّة مقطوعها».

أَيَذْهَبُ مَا جَمَعْتُ صَرِيمَ سَحَرٍ طليفاً، إِنَّ ذَا لَهْوٍ الْعَجِيبُ⁽¹⁾
كَذَبْتُمْ وَالَّذِي رَفَعَ الْمَعَالِي وَلَمَّا يُخْضَبُ الْأَسْلُ الْخَضِيبُ⁽²⁾

(العصفور والضب)

وإذا وصفوا شدة الحرّ، وصفوا كيف يُوفي الجرباء على العُود والجِذْل⁽³⁾، وكيف تلجأ العصافير إلى جِحرَة⁽⁴⁾ الضُّباب من شدة الحرّ. وقال أبو زُبَيْد⁽⁵⁾:

أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شَرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجَوَزَاءُ⁽⁶⁾
وَاسْتَكَنَّ الْعُصْفُورُ كَرْهًا مَعَ الضَّبِّ بَّ وَأَوْفَى فِي عُودِهِ الْجَرْبَاءُ⁽⁷⁾
وَنَفَى الْجُنْدُبُ الْحَصَى بِكَرَاعِي هِ وَأَذْكُتْ نِيرَانَهَا الْمَعْرَاءُ⁽⁸⁾
مِنْ سَمُومٍ كَأَنَّهَا لَفْحُ نَارٍ صَقَرْتَهَا الْهَجِيرَةُ الْغَرَاءُ⁽⁹⁾
وَأَنشَدُوا⁽¹⁰⁾:

- (1) كذا على الصواب في ط، هـ، ولسان العرب (15: 229). وفي ل: «لهوى عجيب» وش: «لهوى عجيب».
- طليفاً، أي هدرًا باطلاً. وفي الأصل: «طليفاً» وصوابه من اللسان (صرم 229) والميداني في (جاء صريم سحر).
- (2) الأسْل: الرماح. الخَضِيب: الذي خضب بالجمرة، أراد الدم في القتال.
- (3) يوفى: يشرف. وأوفى: أشرف. فيما عدل ل: «ترقى» وهو تحريف نص. والجذل، بالكسر: أصل الشجرة. فيما عدل ل: «العود الجزل»، تحريف.
- (4) جحرَة، بكسر ففتح: جمع جحر، بالضم. ط: «حجر» ش: «حجرات» هـ: «الحجرات» تحريف.
- (5) هو أبو زيد الطائي المترجم في (2: 153) وفي الأغاني (4: 181 ساسي): «قال ابن الأعرابي: كان الوليد بن عقبة قد استعمل الربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحمى، فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة، فأجدبت الجزيرة، وكان أبو زيد في تغلب، فخرج بهم لبرعيهم، فأبى عليه الأوسي وقال: إن شئت أن أرعيك وحدك فعلت، وإلا فلا! فأبى أبو زيد الوليد بن عقبة فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة، وجعلها له حمى. . وقال عمر بن شبة: فلما عزل الوليد ووليها سعيد - وهو ابن العاص - انتزعها منه وأخرجها من يده، فقال. . » وأنشد القصيدة. والبيت وتاليه في (5: 78).
- (6) الشرب، بالكسر: النصيب من الماء. والصابح: من صبحت الإبل: إذا سقيتها في أول النهار، والإبل مصبوحة، والقوم صابحون، كذا في الجمهرة لابن دريد، وأنشد هذا البيت. انظر الخزانة (3: 283 بولاق).
- (7) في الخزانة والشعراء 264 والأغاني: «واستظل»، ورويت مرة أخرى في الأغاني: «واستكن».
- (8) الكراع بالضم: الرجل. وفي اللسان (10: 182): «وكرعا الجندب رجلاه» وأنشد هذا البيت. ومثل هذه الرواية في الشعراء والخزانة والأغاني. وفي ل والأزمنة والأمنكة (2: 266): «بذراعيه». والمعزاء، بالفتح: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة.
- (9) السموم، بالفتح: الريح الحارة. واللفح: مصدر لفتح النار: أحرقته بحرهما. فيما عدل ل: «نفع» مصحف. وروى: «حر نار». صقرتها: اشتد وقعها وشدة حرها عليها. ل: «صقرتها» بالفاء، وصوابه ما أثبت. وفيما عدا ل: «سجرتها» بمعنى أوقدتها. والهجرة والهجير والهجر والهجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر. والغراء: البيضاء من شدة حر الشمس. انظر اللسان (6: 319). فيما عدل ل: «العماء» محرف. وفي الأغاني واللسان: «ظهيرة غراء».
- (10) ل: «وأنشد الشاعر». والبيت لذي الرمة كما في الديوان 308 واللسان (5: 30).

تجاوزت والعصفور في الجحر لاجئ مع الضب والشقذان تسمو صدورهما⁽¹⁾
 قال: الشقذان: الحرابي⁽²⁾. قوله: «تسمو» أي ترتفع⁽³⁾ على رأس العود. والواحد من
 الشقذان شقذان⁽⁴⁾، بتحريك القاف وفتح الشين.

(عصافير النعمان)

وأكرم فحل كان للعرب من الإبل كان يسمى عصفوراً، وتسمى أولاده عصافير
 النعمان⁽⁵⁾.

وكانوا يقولون: صنع به الملك كذا وكذا، [وحباه بكذا وكذا]، ووهب له مائة من
 عصافيره.

وعصفور، وذاعر⁽⁶⁾، وشاغر⁽⁷⁾، وذو الكبليين⁽⁸⁾: فحولة إبل النعمان⁽⁹⁾. وعصافير
 الرجل⁽¹⁰⁾ واحدها عصفور.

(عصفور القواس)

وعصفور القواس إليه تضاف القسي العصفورية⁽¹¹⁾، وقد ذكره ابن يسير⁽¹²⁾ حين دعا⁽¹³⁾

(1) الشقذان: بالكسر: جمع شقذان، بالتحريك، ككروان وكروان. أو جمع شقذ، كصرد، أو شقذ، بالفتح
 ويكسر، وككنف وعن وبسبب. فيما عدل: «والشقران يسمو». ط، هـ: «صريها» ش: «صروها» محرف.
 وانظر (6: 79، 235).

(2) ط: «والشقرا الحريا»، ش، هـ: «والشقرا الحرا»، صوابه في ل.

(3) ط فقط: «يسمو» أي يرتفع.

(4) فيما عدل: «الشقرا شقرا» محرف.

(5) هو النعمان بن المنذر. وانظر ما سبق في (3: 222). ط فقط: «عصافير» محرف.

(6) داعر، بالبدال المهملة. وفيما عدل: «ذاعر» بالمعجمة، تصحيف.

(7) في اللسان (6: 86): «وأبو شاغر فحل من الإبل معروف كان لمالك بن المتفق» وفي القاموس: «وشاغر فحل من
 آبالهم»، فيما عدل: «عامر» تحريف.

(8) في اللسان (14: 101): «وذو الكبليين فحل كان في الجاهلية، كان ضباراً في قيده». ضبر المقيد: جمع قوائمه
 ووئب. والكبل، بالفتح ويكسر: القيد. وفي الأصل: «ذو الكيلين» محرف.

(9) ل، ش: «فحول». وتاء فحولة هي ما يسمونها تاء تأكيد الجمع.

(10) عصافير الرجل: خشبات تكون فيه يشد بها رؤوس الأحناء. فيما عدل: «وعصافير الطير»
 تحريف.

(11) لم يذكر هذا في اللسان والقاموس. ط: «والرهل يسمى عصفور»، ش، هـ: «والرهل يسمى عصفور»، إقحام
 وتحريف وفيما عدل أيضاً: «تضاف إليه».

(12) هو محمد بن يسير الرياشي المترجم في (1: 69). فيما عدل: «بن بشير» مصحف.

(13) ط فقط: «دعى»، وهو تحريف.

على حمام له الشواهين، والصقورة⁽¹⁾، والسنانير والبنادق⁽²⁾، فقال⁽³⁾:

مَنْ كُلِّ أَكْلَفٍ بَاتٍ يُدْجِنُ لَيْلُهُ	فَعَدَا بَغْدُوَّةَ سَاغِبٍ مَمْطُورٍ ⁽⁴⁾
ضَرَمَ يِقْلَبُ طَرَفُهُ مُتَأَنِّسًا	شَيْئًا فَكُنَّ لَهُ مِنَ التَّقْدِيرِ ⁽⁵⁾
يَأْتِي لَهَنَّ مَيَامِنًا وَمَيَاسِرًا	صَكَا بِكُلِّ مُذَلِّقٍ مَطْرُورٍ ⁽⁶⁾
لَا يَنْجُ مِنْهُ شَرِيدُهُنَّ، فَإِنْ نَجَا	شَيْءٌ فَصَارَ بِجَانِبَاتِ الدُّورِ ⁽⁷⁾
لِمُشْمَرِينَ عَنِ السَّوَاعِدِ حَسَر	عَنْهَا بِكُلِّ رَشِيقَةِ التَّوْتِيرِ ⁽⁸⁾
لَيْسَ الَّذِي تُشْوِي يَدَاهُ رَمِيَّةٌ	فِيهِمْ بِمَعْتَذِرٍ وَلَا مَعْدُورٍ ⁽⁹⁾
يَتَبَوَّعُونَ مَعَ الشَّرُوقِ غُدِّيَّةٌ	فِي كُلِّ مُعْطِيَةِ الْجَذَابِ نُتُورٍ ⁽¹⁰⁾
عُطِفَ السَّيَّاتِ مَوَانِعَ فِي بَذْلِهَا	تُعْزَى إِذَا نُسِبَتْ إِلَى عَصْفُورٍ ⁽¹¹⁾
يَنْفُثْنَ عَنْ جَذَبِ الْأَكْفِ سَوَاسِيَا	مُتَشَابِهَاتٍ صُغْنٍ بِالتَّدْوِيرِ ⁽¹²⁾

(1) فيما عدل: «والصقور»، والجاحظ يميل إلى استعمال ما أثبت وانظر (4: 27)، والتنبيه التاسع من الصفحة السابقة.

(2) البنادق: جمع بندق، ذاك الذي يرمى به.

(3) كان محمد بن يسير قد طلب من أبي عمرو المديني فراخاً من الحمام الهدى (أي حمام الزاجل وفي أصل الأغاني: الهندي) فوعده أن يأخذها له من المثنى بن زهير، ثم نور له - أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلسها عليه - وأخذ المنسوبة لنفسه، فدعا على حمام المديني بهذا الشعر. انظر الأغاني (12: 129-131) وكذلك الاستدراكات.

(4) الأكلف: ما لونه الكلفة، وهي لون بين السواد والحمرة، عنى الصقر. يدجن، من قولهم: أدجنت السماء: دام مطرها. والساغب: الجائع. والممطور: الذي أصابه المطر: ش، هـ: «يدخن» وفيها أيضاً: «بعودة» تحريف.

(5) الضرم، ككتف: الشديد الجوع. والمتأنس: الذي ينظر رافعاً رأسه وطرفه. وضمير «كن» للحمام. أي كن مما قدر لهذا الصقر. فيما عدل: «يقلب كفه» ط: «مستأنساً». وفيما عدل أيضاً: «مسا فكر له»، تحريفات.

(6) الصك: الضرب. المذلق: المحدد، والمطور: الذي طر، أي حد. وقد عنى المحالب. ش، ط: «مخطور» هـ: «مطور» صوابه في ل.

(7) جانبات: جمع جانبية. والجانب: الغريب. أي إن نجا من الحمام شيء فقد صار إلى هذه الدور الغربية. . ط: «بجانيات» هـ: «يجانيان» ش: «يجانيان»، صوابه في ل والأغاني.

(8) مشمرين عن السواعد، عنى الصيادين بالسهم. والتوتير: شد وتر القوس ونحوها. يقول: «قد صرن إلى هؤلاء الصيادين. ل: «فمشمرين» وفي سائر النسخ: «بمشمرين» وجهه ما أثبت من الأغاني. وفيما عدل: «من السواعد» تحريف. وفي ط: «لكل».

(9) أشوى الرمية: لم يصب الصيد الذي يرميه. ل: «يشوى» ط، هـ: «برمية» وهذه تحريف صوابهما في ل، ش والبيان (3: 72).

(10) يتبوع: يمد باعه ويملاً ما بين خطوه. معطية الجذاب. أي عند المجاذبة، عنى القوس. والمعطية: اللينة، ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمد وترها. والتتور: الشديدة الجذب. فيما عدل: «معطية الحراب»، وفي الأغاني: «طائفة الجدار» تحريف. ط والأغاني: «بتور» ش: «تبور» هـ: «بتور» صوابه في ل.

(11) سية القوس: ما عطف من طرفها. والعطف: جمع عطفاء، وهي المنحنية. ط: «الشبات» ش: «الثبات» هـ: «السبات» صوابه في ل والبيان (3: 72).

(12) ينفث، من النفث، وهو النفخ. وفيما عدل: «ينفثين» وهذه صحيحة أيضاً. و«جذب» فيما عدل: «حرب». وفي الأغاني: «حذب» محرف. سواسيا: متشابهات. وقد عنى السهام. يقال سواسية وسواس وسواوة. صغن، بالبناء للمفعول من صاغ يصوغ. وفي الأغاني: «متشابهات القد والتدوير»، وفيما عدل: «صغن» محرف.

- تجري لها مُهَجُّ النَّفُوسِ وَإِنَّهَا
 مَا إِنْ يَنْبِي مُتَبَايِنٌ مُتَبَاعِدٌ
 عَنْ سَمْتِهِنَّ إِذَا قَصَدْنَ لَجْمِعِهِ
 فَيُؤَوِّبُ نَاجِيَهُنَّ بَيْنَ مُجْلَهَقٍ
 عَارِي الْجَنَاحِ مِنَ الْقَوَادِمِ وَالْقَرَا
 لِنَوَاصِلِ سُلْبٍ مِنَ التَّحْسِيرِ⁽¹⁾
 فِي الْجَوِّ يَحْسِرُ طَرْفَ كُلِّ بَصِيرٍ⁽²⁾
 مَتَقَطَّراً مَتَضَمِّخاً بَعْبِيرٍ⁽³⁾
 دَامَ، وَمَخْلُوبٍ إِلَى مَنْسُورٍ⁽⁴⁾
 كَاسٍ عَلَيْهِ بَصَائِرُ التَّامُورِ⁽⁵⁾

(شعر في العصفور)

وقال أبو السَّريِّ⁽⁶⁾، وهو مَعْدَانُ الْأَعْمَى المديبري⁽⁷⁾، وهو يذكر ظهور الإمام،
 وأشرطاً خُروجه، فقال:

في زمان تبيض فيه الخفافـ
 شُ ونُسْقَى سُلَافَةَ الْجِرْيَالِ⁽⁸⁾

- (1) المهج: جمع مهجة، وهي دم القلب. نواصل: قد نصل ريشهن، والسلب: جمع سلب، وأصلها الشجرة قد
 سلبت ورقها وأغصانها. والتحسير: سقوط ريش الطائر. ط، ش: «مبهج» ه: «نهج»، صوابه في ل والأغاني.
 ل، ط، ش: «لنواصل» ه: «لهواصل» والأغاني «لنواصل»، صوابه ما أثبت. ط، ش والأغاني: «سلبت»،
 صوابه في ل، ه. و «التحسير» هي في ط، ه: «التحسير» صوابها في ل، ش.
 (2) ما يني: ما يبطيء. يحسر الطرف: يجعل العين تكل، من شدة بعده. ط، ش: «ما إن بني» ه: «ما إن في» صوابه
 في ل.
 (3) السمت: القصد. ل: «سمتهن»، وسائر النسخ: «شبههن». أراد عن قصد السهام لهذا المتباعد المتباين من
 الحمام. متقطر: ساقط على قطره أي جانبه. والمتضمخ: المتطيب. والعبير: أخلاط من الطيب. جعل هذه
 الحمام، وقد أصابتها السهام فسالت دماؤها كأنما تضمخن بالعبير، ولونه لون الدم.
 (4) المجلهق: الذي أصيب بالجلاشق. والجلاشق، بضم الجيم وكسر الهاء: الطين المدور المدملق يرمى به عن
 القوس، فارسي معرب انظر للجواليقي 96، والمخلوب: الذي خلبه الجراح بمخلبه. والمنسور: الذي نسره
 بمنسره، وهو منقاره. فيما عدل: «مخلص» و«مجلوب» تحريف.
 (5) القوادم: ريشات في مقدم الجناح. والقرا. الظهر. والبصائر: جمع بصيرة، وهي الدم، أو الدفعة منه. قال:

راحوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأي
 أي تركوا دم أبيهم خلفهم، ولم يثأروا به، وطلبتة أنا. والتمور: دم القلب أو غلافه. عنى أن السهام قد ذهب
 بريش جناحه، ونفذت من قلبه إلى ظهره، فكسته ثوباً من الدماء. فيما عدل: «والعري كاس» و«بصائر
 التاهور».

(6) فيما عدل: «ابن السري».

(7) معدان الأعْمَى، هو أحد الشميطية، سبق الحديث عنه في (2: 149). والمديبري: نسبة إلى المديبر، على هيئة
 تصغير مديبر ضد المقبل: موضع قرب الرقة. فيما عدل: «الدينور».

(8) الجريال، بالكسر: صفوة الخمر. وفي اللسان: «وزعم الأصمعي أن الجريال اسم أعجمي رومي عرب، كأن أصله
 كريال». وعند الجواليقي 103: «وزعم الأصمعي أنه رومي معرب، تكلمت به العرب الفصحاء قديماً». قال الأعشى:

وسبيئة مما تعنتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

قال فرنكل: إنها مشتقة من اليوناني: أي المرجان. انظر أدي شير 40، والخفافيش لا تبيض وإنما تلد،
 والجريال أي الخمر محرمة. فهو يشير إلى أن وقت ظهور الإمام وقت عجيب. ل: «يبيض» و«يسقى»، وفي
 ش، ه: «وتسقى».

ويقيم العصفور سَلماً مع الأيـم م وتحمي الذئب لحم السَّخال^(١)
يقول: إذا ظهر الإمام فآية ذلك أن تبيضَّ الخفافيش - وهي اليوم تلدُ - وتحلُّ لنا
الخمُر، وتسالمُ الحياتُ العصافيرَ، والذئبُ السَّخالَ.

(سجود عيسى بن عقبة)

ورَوَّأ في طول سجود عيسى بن عقبة، أنه كان يطيل ذلك حتى يظنَّ العصفور أنه
كالشيء الذي لا يخافُ جانبه^(٢)، وحتى يظنَّ العصفور أنه سارية^(٣)، فيسقط عليه.
وذكر عُمر بن الفضل^(٤)، عن الأعمش، عن يزيد بن حَيَّان^(٥) قال:
كان عيسى بن عقبة^(٦) إذا سجد وقعت العصافيرُ على ظهره؛ من طول سجوده^(٧).
[وكان محمد بن طلحة^(٨) يسجد حتى إن العصافير لَيَسْقُطْنَ على ظهره ما يحسبُنه إلا
حائطاً].

(١) الأيـم، بالفتح والكسر: الحية الأبيض اللطيف. والحيات لها ولوع بابتلاع بيض العصافير ونحوها. انظر
(275:3). والسخال: جمع سخلة، وهي ولد الشاة ل، هـ: «ويحمى» ش: «ويحمى» بالإهمال.

(٢) ل: «ناحيته»، والكلام بعدها إلى «سارية» ساقط من ل.

(٣) السارية: الأسطوانة، وقيل: أسطوانة من حجارة وآجر. وجمعها السواري.

(٤) هو عمر بن الفضل السلمي، أو الحرشي بفتح الميمتين وبالشين، البصري. روى عن نعيم بن زيد، ورقبة بن
مصقلة، وأبي العلاء بن الشخير، وحبة بنت عبد الله. وعنه ابن المبارك، ويحيى القطان، وحرمي بن عمار،
وغيرهم. تهذيب التهذيب (5:75)، ط، هـ: «عمر بن أبي الفضل» ش: «عمران بن الفضل» ل: «عمر بن أبي
الفضل» وصواب كل ذلك ما أثبت.

(٥) يزيد بن حيان، بفتح المهملة بعدها مثناة تحتية، التيمي الكوفي، ثقة من الرابعة روى عن زيد بن أرقم،
وشبرمة بن الطفيل، وكدير الضبي، وعنيس بن عقبة، وعنه ابن أخيه، والأعمش، وفطر بن خليفة، وسعيد بن
مسروق الثوري. قال النسائي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر تهذيب التهذيب (11:331). ل: «زيد» ش:
«بن جان»، صوابه ما أثبت.

(٦) عيسى بن عقبة، لم أعثر له على ترجمة. وفي الولاة والقضاة للكندي ص 96 من اسمه «عيسى بن عبدة بن عقبة
نافع»، وفي ط، هـ: «يزيد بن عقبة» ذكره ابن حبان في الثقات، ويروى عن ابن بريدة والضحاك، لسان الميزان
(6:291).

(٧) في عيون الأخبار (2:365): «كان عيسى بن عقبة يسجد، حتى إن العصافير ليقعن على ظهره وينزلن، ما يحسبُنه
إلا جرم حائط». وينسب الخبر إلى إبراهيم التيمي في صفة الصفوة (3:49).

(٨) هو محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وأبوه طلحة من العشرة
المسمين بالجنة، وكان محمد عابداً زاهداً، وكان يقال له: «السجاد». وشهد يوم الجمل، ونهى عنه علي وقال:
إياكم وصاحب البرنس، فقتله رجل، وأنشأ يقول:

وأشعث قوام بآيات ربه
أمكنه بالرمح حضني قميصه
على غير شيء غير أن ليس تابعاً
يناشدني حاميم والرمح شاجر

انظر المعارف 101-102 مصر 119 جوتنجن.

قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
فخر صريعاً لليدين وللنم
علياً ومن لا يتبع الحق يظلم
فهلا تلا حاميم قبل التقدم

(مثل الشيخ والعصفور)

وفي المثل: أَنَّ شَيْخاً نَصَبَ لِلْعَصَافِيرِ فَنَخاً، فَارْتَبَنَ بِهِ وَبِالْفَنَخِ⁽¹⁾، وَضَرَبَهُ الْبَرْدُ⁽²⁾، فَكَلِمَا مَشَى إِلَى الْفَنَخِ وَقَدْ انْضَمَّ عَلَى عَصْفُورٍ⁽³⁾، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَدَقَّ جَنَاحَهُ⁽⁴⁾، وَأَلْقَاهُ فِي وَعَائِهِ، دَمَعَتْ عَيْنُهُ مِمَّا كَانَ يَصُكُّ⁽⁵⁾ وَجْهَهُ مِنْ بَرْدِ الشَّمَالِ. قَالَ: فَتَوَامَرَتِ الْعَصَافِيرُ بِأَمْرِهِ⁽⁶⁾ وَقُلْنَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ⁽⁷⁾، فَإِنَّهُ شَيْخٌ صَالِحٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الدَّمْعَةِ! قَالَ: فَقَالَ عَصْفُورٌ مِنْهَا: لَا تَنْظُرُوا إِلَى دُمُوعِ عَيْنَيْهِ، وَلَكِنْ انْظُرُوا إِلَى عَمَلِ يَدَيْهِ⁽⁸⁾!

(استطرد)

ومن أمثال العامة للشيء تتعرفه بغير مؤونة⁽⁹⁾: «الْحَجَرُ مَجَانٌ، وَالْعَصْفُورُ مَجَانٌ⁽¹⁰⁾!». قَالَ: وَيُقَالُ عَصْفُورٌ وَعَصْفُورَةٌ. وَأَنْشَدَ قَوْلَهُ⁽¹¹⁾:

- (1) ارتين، من الريبة، وفي ل: «فارتين»، وفي سائر النسخ: «فارتبق»، صوابه ما أثبت.
- (2) فيما عدل: «فضربه».
- (3) ط، هـ: «إلى العصفور»، صوابه ما أثبت من ل، وفي ش: «على العصفور».
- (4) دق جناحه: كسره، ليمنعه من الطيران. فيما عدل: «وقبض على جناحه».
- (5) يصك: يضرب. فيما عدل ل: «يصد» تحريف. ط، ش: «وقد دمعت» بإقحام «وقد»، وفي هـ: «ودمعت» بإقحام الواو.
- (6) توامرت: تأمرت، أي تشاورت. وإبدال الهمزة في مثله واو، لغة عامية. يقولون: واكلته، ووازيت، وواجرته، وواخذته، ووامرته، وواخيته، وواسيته، ووازرته، وواتيته. والوجه في ذلك كله الهمز. انظر أدب الكاتب 269-270 سلفية، وبحر العوام 102 قال: «ومن ذلك قولهم: واخيته في آخيته بالمد، إلا أنها لغة ضعيفة». وقد عللها التبريزي بقوله: وإنما حملهم على إثبات الواو في الماضي أنهم قالوا في المضارع والمفعول: يواسي ومواسي، فحسن تخفيف الهمزة بضم ما قبلها فجاءوا به في الماضي كذلك». انظر شفاء الغليل 17 في الكلام على «أساه».
- ل: «بالتمرة» موضع «بأمره» تحريف.
- (7) فيما عدل: «عليكن».
- (8) كلمة «لكن» ساقطة من ل. وقد التفت إلى هذا المعنى ديك الجن، وكان قد قتل زوجه ثم أسف عليها فقال (انظر الأغاني 12: 139):

يقول: قتلتها سفهاً وجهلاً وتبكيها بكاء ليس يجدي
كصياد الطيور له انتحاب عليها، وهو يذبها بجدي

- (9) ط، هـ: «وفي أمثال» ط: «فيمن يتصرف» ش، هـ: «يتعرفه».
- (10) المجان: الكثير الكافي، أو عطية الشيء بلا منة ولا ثمن. وقال الأزهري: العرب تقول تمر مجان وماء مجان، يريدون أنه كثير كاف. قال: واستطعمني أعرابي تمرأ فأطعمته كتلة، واعتذرت إليه من قتلته فقال: هذا والله مجان، أي كثير كاف. وفي اللسان: (17: 287 س 3): «وقولهم: أخذه مجاناً أي بلا بدل». وهذا نص في وجه من زعم خطأ هذه العبارة.
- (11) هو العوام بن شوذب الشيباني. جاهلي. يقوله لبسطام بن قيس، وأسرته بنو يربوع يوم غبيط الفردوس - في أصل معجم المرزباني: المروت، صوابه في معجم البلدان (6: 267-357) - وفر عن قومه يوم العظالي. انظر معجم المرزباني 300 والنقائص (484-485) وعيون الأخبار (1: 166) واللسان (15: 169) ومعجم البلدان (6: 186). والذي أسره هو عتبية بن الحارث بن شهاب اليربوعي، ففدى نفسه بأربعمئة ناقة، ثم أطلقه وجز ناصيته. معجم البلدان (6: 276).

ولو أنها عصفورٌ لحسبتَها مُسَوِّمَةٌ تدعو عبيداً وأزناً⁽¹⁾

(شعر فيما يصوره الفزع)

وقال في هذا المعنى جريز⁽²⁾، وإن لم يكن ذكر العصفور، [حيث يقول]:

مازلت تحسب كل شيءٍ بعدهم خيلاً تشدُّ عليكم ورجالا⁽³⁾
قال يونس: أخذَ هذا المعنى من قولِ الله⁽⁴⁾: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوّ﴾
[المنافقون: 4]⁽⁵⁾.

وقال الشاعر⁽⁶⁾:

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كِفَّةٌ حَابِلٌ⁽⁷⁾
يُؤَدِّي إِلَيْهِ أَنَّ كُلَّ ثَنِيَّةٍ تَيَمَّمَهَا تَرْمِي إِلَيْهِ بِقَاتِلِ⁽⁸⁾
وقال بشارٌ في شبه ذلك:

كَأَنَّ فَوَادَهُ كُورَةٌ تَنْزَى حِذَاؤُ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْحِذَاؤُ⁽⁹⁾
جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جَفَوْنَهَا عَنْهُ قَصَارُ⁽¹⁰⁾
يَرُوعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ أَمْرٍ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَارُ⁽¹¹⁾
وقال عبِيدُ بْنُ أَيُّوبَ:

لَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ تَطِيرُ حَمَامَةٌ لَقَلْتُ عُدُوًّا أَوْ طَلِيعَةً مَعْشَرِ⁽¹²⁾

(1) المسومة: الخيل المعلمة بعلامة، أو المرسلّة وعليها ركبائها. وعبيد: هم بنو عبيد بن ثعلبة. وأزناً: هم بنو أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع. ط: «عتيكاً وأزناً» ش، هـ: «عتيكاً وأزناً»، صوابه في ل.

(2) يهجو الأخطل من قصيدة في ديوانه 448-453، وقبل البيت:

حملت عليك حماة قيس خيلها شعناً عوابس تحمل الأبطالاً

(3) فيما عدل: «تشدد عليهم»، والوجه ما أثبت من ل، والديوان، والمختار من شعر بشار 9، وفيه: «تكر عليكم». وصدّره في المختار: «تركوك تحسب».

(4) فيما عدل: «أخذ والله هذا المعنى من قوله الله تعالى».

(5) بعدها في ل: ﴿فَاذْرَهُمْ فَتِلْكَمُ اللَّهُ﴾.

(6) البيتان في الكامل 508 ومجموعة المعاني 138.

(7) كفة الصائد، بالكسر: حبالته. والحابل: الصائد ذو الحبال.

(8) ل: «تؤدى»، وفي الكامل: «يؤتى». تيممها: قصدها.

(9) تنزى: تنزى، أي تنوّب.

(10) فيما عدل: «فيها قطار» تحريف. وفي الكامل 457 والشعراء 367: «عنها قصار». التذكير للتغميض، والتأنيث للعين.

(11) السرار: المسارة. فيما عدل: «بكل أرض». ورواية ل تطابق رواية الكامل 458.

(12) فيما عدل: وكذا مجموعة المعاني 77: «لو تمر».

فإن قيل خيرٌ قلتُ هذا خديعةً وإن قيل شرٌّ قلتُ حقاً فشمر⁽¹⁾
 وخفتُ خليلي ذا الصفاءِ ورباني وقلتُ: فلاناً أو فلانة فاحذر⁽²⁾
 وقال أبان اللّاحقي⁽³⁾:

أخفِضِ الصَّوتَ إنْ نَطَقْتَ بليلٍ والتفتْ بالنهار قبل الكلام
 (حديث الغاصري)

ومن مُلح أحاديث الأصمعيّ، قال: حدّثني شيخٌ من أهل المدينة وكان عالي السنّ⁽⁴⁾
 قال: قال الغاصري⁽⁵⁾: كانت هذه الأرضُ لقوم ابتدءوها وشقّوها⁽⁶⁾، وكانت الثمرة إذا أدركتُ
 قال قائلهم [لقيمهم]: ائلم الحائط، ليصيب المأرُ مما فيه والمعنفي⁽⁷⁾. ثم يقول: أرسل إلى
 [آل] فلان بكذا وكذا، وإلى [آل] فلان بكذا وكذا. فإذا بيعت⁽⁸⁾ الثمرة قال: أرسل⁽⁹⁾ إلى
 فلان بكذا وكذا من دينار، وإلى فلان بكذا وكذا. فيضجُ الوكيل⁽¹⁰⁾. فيقول: ما أنت وهذا؟!
 لا أم لك! فلما غمرت الأرضون وأعنت⁽¹¹⁾ أقطعها⁽¹²⁾ قومٌ سواهم، فإن⁽¹³⁾ أحدهم ليسدُّ
 حائطه، ويصغرُ بابَه، ثم يُدلجُ⁽¹⁴⁾ [فيمرُّ] فيقول: ما هذه الثُّلمة⁽¹⁵⁾؟! ويستطيف⁽¹⁶⁾ من وراء

(1) ش، هـ: «قلت هذي خديعة». وهذا البيت هو الثالث في مجموعة المعاني.

(2) في مجموعة المعاني: «مقال فلان أو فلانة». (3) سبقت ترجمته في (4: 270).

(4) السن: العمر. والواو ساقطة من ل.

(5) الغاصري، من أصحاب الفكاهة والنادرة، لا يعرف إلا بهذا الاسم. وفي الأغاني (17: 101): «كان الغاصري لقيطاً منبؤاً لا يعرف له أب». وفيها: «كان الغاصري مندر أهل المدينة». أي الذي يطرّفهم بال نوادر. وكان معاصراً لأشعب الطماع أحد أبطال الفكاهة، وكانت بينهما في ذلك الفن منافسة شديدة. وقد مات أشعب سنة أربع وخمسين ومائة، كما في الأغاني (17: 83)، وفي عيون الأخبار (2: 52): «أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال: كان الغاصري من أحمق الناس. فقيل له: ما حمقه؟. قال: قال لي مرة: البحر من حفره؟ وما حفر فأين نبشته؟ أتري أمير المؤمنين يقدر على أن يحفر مثله في ثلاثة أيام؟ وقد صنع في أخباره كتاب من كتب أحاديث البطالين، لا يعرف من ألفه. انظر ابن النديم 435، وانظر بعض أخباره في البخلاء 177 والأغاني (5: 132) وأمالى القالي (2: 242). ط، هـ: «العاصري» س: «القاصري»، صوابه في ل.

(6) ط، هـ: «ابتدؤها» ط، هـ، ش: «وسلوّفها»، تحريف.

(7) المعنفي: طالب المعروف. هـ: «والمقنفي»، محرّفة.

(8) ط فقط: «بيمت»، تحريف. (9) فيما عدل: «فأرسل» بدل: «قال أرسل».

(10) يضح: يصيح. وفي ل: «فيصيح الوكيل».

(11) أغنت: كثر عشبها وشجرها. والوادي المغن: المخصب المعشب. وقالوا: قرية غناء: جمّة الأهل والبنيان والعشب. ل: «أعبت». هـ: «أعنت»، محرّفة.

(12) الإقطاع: أن يعطيه قطعة من الأرض. فيما عدل: «أقطّعها».

(13) فيما عدل: «وإن».

(14) أدلج: سار من أول الليل. وأدلج بتشديد الدال على الافتعال: سار من آخره.

(15) الثلمة، بالضم: الفرجة. فيما عدل: «التملة»!

(16) استطاف: طاف ودار حول الشيء. ط، هـ: «فأرسل يستطيف» صوابه في ل، ش.

الحائط، فهو أطول من مَعْقِل أبي كَرِيز^(١). وإذا دخل حائطه دخل معه بَقْدَافَة، فإذا رأى العصفورَ على القنا^(٢) رماه فيقع العصفورُ مَشْوِيًّا على قُرْص، والقُرْص كالعصفور^(٣).

(العصافير الهبيرة)

وبَحْمَص^(٤) العصافيرُ الهَبِيرِيَّة، وهي تطعم على رفوف^(٥). وتكون أَسْمَنَ من السَّمانِي، وأَطْيَبَ من كل طير^(٦). وهي تُهدى إلى ملوكنا. وهي قليلةٌ هناك.

(شعر في نطق العصفور)

وقال الراعي:

ما زال يركبُ رَوْقِيهِ وَكَلَّكَلَهُ حتى استثار سَفَاةً دَوْنَهَا الثَّأْدُ^(٧)
حتى إذا نَطَقَ العصفورُ وانكشفت عَمَايَةُ الليل عنه وهو مُعْتَمِدُ^(٨)

وقال الراعي:

وأَصْفَرَ مجدول من القِدِّ مارن يُلَاثُ بعَيْنَيْهَا فيُلَوِي وَيُطْلَقُ^(٩)
لَدَى سَاعِدَيَّ مَهْرِيَّةً شَدْنِيَّةً أُنِيخَتْ قليلاً والعصافيرُ تنطقُ^(١٠)

- (١) المَعْقِل: الحصن. ل: «أقرب من معقل أبي كرز».
- (٢) كذا على الصواب في ط، هـ. والقنا، بالكسر وبالفتح: القنو، وهو عذق النخلة بما فيه من الرطب. وفي ل، ش: «على الفناء». والفناء، بالكسر: الساحة، وليس لها هنا وجه. وموضع هذه الكلمة والحرف قبلها بعد كلمة: «رماه» في جميع النسخ ما عدل ل.
- (٣) القرص: قرص الخبز، أي الرغيف. فيما عدل ل: «والقرص من هذا العصفور».
- (٤) حمص: إحدى مدن الشام. فيما عدل ل: «ويخص» تحريف.
- (٥) الرفوف: جمع رف، وهو خشب يرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يوقي به ما يوضع عليه. فيما عدل ل: «رفرف»، وأصل الرفرف الرف يجعل عليه طرائف البيت.
- (٦) فيما عدل ل: «طيب». وله وجه.
- (٧) الروق، بالفتح: القرن. والكلكل: الصدر. والسفاة: التراب تسفيهه الريح، جمعه سفي. والثأد، بالتحريك. الثرى. فيما عدل ل: «ويخلطه حتى استناداً سفاهاً» تحريف. والبيتان في صفة ثور وحشي.
- (٨) عماية الليل: ظلمته، وأصل العماية السحابة الكثيفة المطبقة، يقال عماية وعماءة. معتمد: يسري طول الليل، وأصله من قولهم: «اعتمد فلان ليلته: إذا ركبها يسري فيها».
- (٩) عني بالأصفر المجدول زمام الناقة. القد: السير يقد من جلد غير مدبوغ. والمارن: اللين، مرن الجلد: لان. يلاث: اللوث الطي واللي. ل: «وصقر ومجدول» صوابه في سائر النسخ. وفيما عدل ل: «من العد مارق ثلاث بعينها فيلوي ويهرق» تحريف صوابه في ل.
- (١٠) المهرية: الناقة المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، حي من أحياء العرب. والشدنية: المنسوبة إلى شدن، وهو موضع باليمن، أو رجل: أو فحل كريم فيما عدل ل: «شدنية» تصحيف. أنيخت: أبركت. ط، هـ: «تعلي» ش: «تعل» صوابهما في ل. وفي ط: «بليل» موضع: «قليلاً» وفي ش، هـ: «بليلاً» صوابه في ل.

(صيد العصفير)

قال: وتصاد العصفيرُ بأهونِ حيلة. وذلك أنهم يعملون لها مصيدةً، ويجعلون لها سَلَّةً⁽¹⁾، في صورةِ المِخْبَرَةِ التي يقال لها: اليهودية⁽²⁾، المنكوسة الأنبوبة؛ ثم يُنْزَلُ⁽³⁾ في جوفها عصفورٌ واحد، فتنبضُ عليه العصفيرُ ويدخلُن عليه، وما دخل منها فإنه لا يجد⁽⁴⁾ سبيلاً إلى الخروج منها⁽⁵⁾. فيصيد الرجلُ منها في اليوم [الواحد]⁽⁶⁾ المئتين⁽⁷⁾ وهو وادع، وهنَّ أسرعُ إلى ذلك العصفورِ من الطيرِ إلى البوم⁽⁸⁾ إذا جُعِلن في المصائد⁽⁹⁾.

ومتى أخذ رجلٌ⁽¹⁰⁾ فراخ العصفير من أوكارها؛ فوضعها في قفص بحيث⁽¹¹⁾ تراها الآباءُ والأمهات، فإنها تأتبعها بالطعم على الخطر الشديد، والخوف من الناس والسنانير، مع شدة حذرهما، ودقة حسها⁽¹²⁾. ليس ذلك إلا لبرها بأولادها، و[شدة] حبها [لها].

(القول في العقارب والفأر والجرذان)

نقول في العقارب والفأر والجرذان بما أمكن من القول⁽¹³⁾. وإنما ذكرنا العقارب مع ذكرنا للفأر، للعداوة التي بين الفأر والعقارب. كما رأينا أن نذكر السنانير في باب [ذكر] الفأر، للعداوة التي بينهما.

فإن قلت: قد عرفنا عداوة الفأر للعقرب، فكيف تُعادي الفأرةُ السُتورَ، والفأرة لا تقاوم السُتور^{(14)؟}!

قيل: لعمري إن جرذاناً أنطاكيةً لُسَّاجِلُ السنانيرِ في الحربِ التي بينهما، وما يقوم لها ولا يقوى عليها⁽¹⁵⁾ إلا الواحد بعدَ الواحد، وهي بخراسان قوية جداً، وربما قطعت أذنَّ النائم⁽¹⁶⁾.

(1) فيما عدل: «بنية» وأثبت ما في ل وأصل عيون الأخبار (2: 95)، وفي العقد (6: 245). «شبكة».

(2) هـ: «اليهودية». (3) ل: «يترك». وفي عيون الأخبار. «يجعل».

(4) فيما عدل: «وما دخل منها لم يجد». (5) ليست في ل، ش وعيون الأخبار.

(6) من ل وعيون الزخيار.

(7) المئتين: جمع مائة. فيما عدل: «المائتين»، وفي عيون الأخبار: «مائتين».

(8) ط، ش: «وهي أسرع». وفي ط: «إلى البر»، هـ: «إلى البو» ش: «إلى البوا» صوابه في ل.

(9) كذا بالهمز. والوجه بالياء. وانظر ما سبق في (4: 25، 80).

(10) فيما عدل: «الرجل».

(11) فيما عدل: «حيث».

(12) ط، هـ: «ورقة حسها» بالراء، والوجه ما أثبت من ل، ش.

(13) بدل هذه العبارة فيما عدل: «القول في الفأر والجرذان والسنانير والعقارب قال».

(14) فيما عدل: «لا تقاومه».

(15) فيما عدل: «وما تقوم لها» ط، هـ: «وما تقدر عليها» ش: «ولا تقدر» وأثبت ما في ل.

(16) ل: «الناس».

وفي الفأر ما إذا عضَّ قتل . أخبرني أبو يونس الشريطي ⁽¹⁾ أنه عاين ذلك . وأنا رأيتُ سنوراً عندنا ساور ⁽²⁾ جُرذاً في بيت الحطب ، فأفلتَ الجرذُ منه وقد فقا عينَ السنور .

(قتال الحيوان)

والقتال يكون بين الديكة ⁽³⁾ ، و[بين] الكباشِ والكلاب والسُّماني ⁽⁴⁾ [والقُبج] ، وضروب مما يقبل التحريش ، ويواثب عند الإغراء .

(قتال الجرذان)

ويزعمون أنهم لم يروا قتالاً قط بينَ بهيمتين [ولا سبعين] أشدَّ من قتال يكون بين جرذين . فإذا ربط أحدهما بطرف خيط ، وشدَّ رجل الآخر ⁽⁵⁾ بالطرف الآخر [من الخيط] ، فلهما عند ذلك من الخلب والخمش ⁽⁶⁾ والعض ، والتثيب ⁽⁷⁾ والعفاس ⁽⁸⁾ ، ما لا يوجد بين شيئين من ذوات العقار ⁽⁹⁾ والهراش . إلا أن ذلك ما دام في الرباط ، فإذا انحلَّ أو انقطع ⁽¹⁰⁾ ولَّى كل واحد منهما عن صاحبه ، وهرب في الأرض ، وأخذ في خلاف جهته الآخر ⁽¹¹⁾ . وإن

(1) فيما عدل : «أبو زيد يونس الشريطي» . ولم أعثر له على ترجمة .

(2) ل : «واثب» .

(3) الديكة ، بكسر الدال وفتح الباء : جمع ديك . فيما عدل ل : «الديك» تحريف .

(4) السمانى ، بضم ففتح مع التخفيف ، قال الجوهري : «ولا تقل سمانى بالتشديد» . وهو طائر من رتبة الدجاج وفصيلة التدرج وهو من الطيور القواطع ، تأتي إلينا في شهر سبتمبر ، وتعود في مارس وإبريل . واسمه عند العامة في مصر «سمان» بكسر السين وتشديد الميم . وهي «السلوى» التي نص عليها القرآن الكريم . وهو بالإنكليزية Quail وباللاتينية : Quail ، ط : «السنانير» صوابه في سائر النسخ .

(5) كلمة «رجل» ساقطة من ل . وقد سبق في (2: 94) : «حتى يشد رجل أحدهما في طرف خيط» .

(6) الخلب ، بالخاء المعجمة : الخدش والجرح . فيما عدل ل : «الجلب» بالجهيم ، تصحيف . والخمش ، بالخاء المعجمة : الخدش والجرح أيضاً . فيما عدل ل : «الجمش» . وإنما الجمش المغازلة والملاعبة ، كالتجميش .

(7) التثيب : إنشابه الأنياب ، وفي حديث زيد بن ثابت : «أن ذئباً نيب في شاة فذبحوها بمروة» . ط : «التثيب» ش ، هـ : «التثيب» صوابه في ل .

(8) العفاس ، بالعين بعدها فاء ، مصدر عافسه . وهو من العفس وهو أن يصرع الرجل الرجل . وقالوا : اعتفس القوم : اضطرعوا . ولم تنص المعاجم على عافسه عفاً فما عدل ل : «الفقاس» . والذي في المعاجم : تفافساً بشعورهما ورءوسهما : تجاذبا وكذلك تفافسا ، بتقديم القاف على الفاء . وفي ل : «العفاس» بعين بعدها قاف ، صوابه بالفاء كما أثبت .

(9) العقار : مصدر كالمعافرة . انظر اللسان (6: 275 س 21) . ل : «العفار» لعلها «العفاس» التي فسرت في التنبيه السابق ، أو لعلها مصدر لعافره . وهذا الفعل لم يذكر في المعاجم . وفيها عفره : ضرب به الأرض .

(10) ط ، هـ : «انحلا وانقطع» ش : «انحلا وانقطعا» صوابه من ل . وفي (2: 94) : «فإذا انقطع الخيط وانحل العقد» .

(11) فيما عدل ل : «في الأرض وهرب كل واحد خلاف جهة الآخر» .

جُعِلَا فِي إِنْاءٍ مِنْ قَوَارِيرٍ^(١)، أَعْنَى الْجُرْدَ وَالْعَقْرَبَ، وَإِنَّمَا ذَكَرَتِ الْقَوَارِيرَ، لِأَنَّهَا لَا تَسْتَرُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ صَنِيعَهُمَا^(٢)، وَلَا يَسْتَطِيعَانِ الْخُرُوجَ؛ لِمَلَأَسَةِ الْحَيِّطَانِ - فَالْفَأْرَةُ عِنْدَ ذَلِكَ تَخْتَلُّ الْعَقْرَبَ. فَإِنْ قَبِضْتُ عَلَى إِبْرَتِهَا قَرَضْتَهَا^(٣)، وَإِنْ ضَرْبُهَا الْعَقْرَبُ ضَرْباً كَثِيراً فَاسْتَنْفَدْتُ سَمَّهَا^(٤) كَانَ [ذَلِكَ] مِنْ أَسْبَابِ حَتْفِهَا.

(قتال العقارب والجردان)

وَدَخَلَتْ مَرَّةً أَنَا وَحَمْدَانُ [بْنُ] الصَّبَاحِ^(٥) عَلَى عَبِيدِ [بْنِ] الشُّونِيزِيِّ^(٦) فَإِذَا عِنْدَهُ بَرْنِيَّةٌ زُجَاجٌ^(٧)، فِيهَا عَشْرُونَ عَقْرَباً وَعَشْرُونَ فَأْرَةً^(٨)، فَإِذَا هِيَ تَقْتَتِلُ^(٩)، فَخِيلٌ لِي أَنَّ تِلْكَ الْفَأْرَ قَدْ اعْتَرَاهَا وَرَمَ مِنْ شِدَّةِ وَقْعِ اللَّسَعِ. وَرَأَيْتِ الْعَقَارِبَ قَدْ كُلَّتْ عَنْهَا وَتَارَكْتُهَا، وَلَمْ أَرِ إِلَّا هَذَا الْمَقْدَارَ الَّذِي وَصَفْتُ.

وَحَدَّثَنَا عَنْهَا عَبِيدٌ بِأَعَاجِيبَ. وَلَوْ كَانَ عَبِيدٌ إِسْنَاداً^(١٠) لَخَبَّرْتُ عَنْهُ، وَلَكِنَّ مَوْضِعَ الْبَيَاضِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ خَيْرٌ مِنْ جَمِيعِ مَا كَانَ لِعَبِيدٍ^(١١).

(تدبير الجرد)

وَلِلْجُرْدِ تَدْبِيرٌ فِي الشَّيْءِ يَأْكُلُهُ أَوْ يَحْسُوهُ، فَإِنَّهُ لِيَأْتِيَ الْقَارُورَةَ الضَّيِّقَةَ الرَّأْسِ، فَيَحْتَالُ حَتَّى يُدْخَلَ طَرَفَ ذَنْبِهِ فِي عُقْبِهَا. فَكَلَّمَا ابْتَلَّ بِالذَّهْنِ أَخْرَجَهُ فَلَطَعَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ، حَتَّى لَا يَدْعَ فِي الْقَارُورَةِ شَيْئاً.

وَرَأَيْتُ مِنَ الْجُرْدَانِ أَعْجُوبَةً، وَذَلِكَ أَنَّ الصِّيَادَةَ لَمَّا سَقَطَتْ عَلَى جُرْدٍ مِنْهَا ضَخَمٌ، اجْتَمَعْنَ لِإِخْرَاجِهِ^(١٢) وَسَلَّ عُقْبَهُ مِنَ الصِّيَادَةِ، فَلَمَّا أَعْجَزَهُنَّ ذَلِكَ قَرْضُنَ^(١٣) الْمَوْضِعَ الْمَنْضَمَّ

(١) القوارير: جمع قارورة، وهي ذاك الإناء الزجاجي. ل: «وإن جعل الفأرة والعقرب في إناء من قوارير». والجملته التي تليها ليست في ل.

(٢) ل: «وإنما ذكرنا القوارير لأنه يستتر عن عيون الناس صنيعهما».

(٣) قرصتها: قطعها. فيما عدا ل: «قرصتها» بالصاد المهملة، تحريف.

(٤) ش: «استنفذت»، تصحيف. وفيما عدا ل: «منها» موضع: «سمها»، تحريف.

(٥) ذكره الجاحظ في البخلاء 105: «حمدان بن صباح» فيما عدا ل: «حمدان الصباح».

(٦) الشونيزي: نسبة إلى الشونيزية، بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة: موضع ببغداد بالجانب الشرقي.

(٧) البرنية، بالفتح، قال ابن منظور: «شبه فخارة ضخمة خضراء. وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه».

(٨) فيما عدا ل: «فأراً».

(٩) ل: «نقثت».

(١٠) أي ممن يصح إسناد الخبر إليه. وفيما عدا ل: «أستاذاً».

(١١) ل: «ما كان نعت».

(١٢) فيما عدا ل: «اجتمعت على إخراجه».

(١٣) فيما عدا ل: «فلما أعجزهم ذلك قرضوا».

عليه من جميع الجوانب، ليتسع الخرق فيجذبته. فهجئت على نحاته⁽¹⁾ لو⁽²⁾ اعتمدت بسكين على ذلك الموضع لظننت أنه لم يكن يمكنني إلا شبيه بذلك⁽³⁾.

وزعم بعض الأطباء أن السنور إنما يدفن خراً ثم يعود إلى موضعه فيشتمه⁽⁴⁾ فإن كان يجد من ريحه بعد شيئاً زاد عليه من التراب، لأن الفأرة لطيفة الحس، جيدة الشم، فإذا وجدت تلك الرائحة⁽⁵⁾ عرفتها فأمعنت في الهرب، فلذلك يصنع السنور ما يصنع.

(فأرة سيل العرم)

ولا يشك الناس أن أرض سبأ⁽⁶⁾ وجنتها إنما خربت حين دخلهما سيل العرم - والعرم: المسناة⁽⁷⁾ - وأن الذي فجر المسناة، وسبب لدخول الماء [الفأرة].

والسيل⁽⁸⁾ إذا دخل أخرب بقدر قوته. وقوته من ثلاثة أوجه⁽⁹⁾: إما أن تدفعه ريح في مكان يفحش فيه الريح⁽¹⁰⁾، وإما أن يكون وراءه وفوقه ماء كثير، وإما أن يصيب حذوياً عميقاً⁽¹¹⁾.

(حديث ثمامة عن الفأر)

وأما حديث ثمامة فإنه قال: لم أر قط أعجب من قتال [الفأر]، كنت في الحس وخدي، وكان في البيت الذي أنا فيه جحر فأر، يقابله جحر آخر، فكان الجرذ يخرج من أحد الجحرين فيرقص ويتوعد، ويضرب بذنبه⁽¹²⁾، ثم يرفع صدره⁽¹³⁾ ويهز رأسه. فلا يزال كذلك [حتى يخرج الجرذ الذي يقابله، فيصنع كصنيعه. فبينما هما إذ عدا أحدهما فدخل جحره⁽¹⁴⁾، ثم

(1) النحاتة، بالضم: البراية. فيما عدل: «محالة» تحريف. وبعد هذه الكلمة في ط «حيث يدخل طرف ذنبه فيه» وهي جملة مقحمة. وهي أيضاً في ش، هـ. وكلمة «حيث» فيهما «حتى».

(2) ط، ش: «فلو».

(3) فيما عدل: «لا يمكن إلا شبيه بذلك»، لكن في ش: «شبيه بذلك». وأثبت ما في ل.

(4) فيما عدل: «فيشتمه».

(5) فيما عدل: «فإن وجدت تلك الريح».

(6) فيما عدل: «أرض بلد سبأ».

(7) العرم: سد يعترض به الوادي، لا واحد لها من لفظها، ويقال واحداً عرمة. وسميت المسناة مسناة، لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يغلب، مأخوذ من قولك سنيت الأمر والشئ: إذا فتحت وجهه.

(8) بدلها فيما عدل: «الذي» تحريف.

(9) فيما عدل: «وقوة الماء تكون من ثلاثة أوجه».

(10) ل: «تتحقق فيه الريح»، بقافين.

(11) الحدور كرَسُول: مكان ينحدر منه وانظر 26 س 12.

(12) ط: «ويصوب» ش، هـ: «يصوت»، صوابه في ل.

(13) فيما عدل: «ويرفع صدره».

(14) ط، هـ: «إذا عدا أحدهما دخل في جحره» تحريف. والكلام من «إذا عدا» إلى «دأبهما» التالية، ساقط من ش، وانظر ما سبق في (2: 94).

صنع الآخر مثل ذلك . فلم يزل ذلك دأبهما⁽¹⁾ في الوعيد وفي الفرار ، وفي التحاُز وفي ترك التلاقي . إلا أني في كل مرة أظن الذي⁽²⁾ يظهر لي من جدهما⁽³⁾ واجتهادهما ، وشدة توعدهما ، أنهما سيلتقيان بشيء⁽⁴⁾ أهونه العض والخمش ، ولا والله إن التقيا قط؟ فعجبت من وعيد دائم لا إيقاع معه ، ومن فرار دائم لا ثبات معه ، ومن هرب⁽⁵⁾ لا يمنع من العودة ، ومن إقدام لا يوجب الالتقاء . وكيف يتوعد صاحبه ويتوعده الآخر؟ وبأي شيء يتوعده ، وهما يعلمان أنهما لا يلتقيان أبداً؟ فإن كان قتالهما ليس هو إلا الصخب والتثيب⁽⁶⁾ فلم يفر⁽⁷⁾ كل واحد منهما حتى يدخل جحره؟ [وإن كان غير ذلك فأني شيء يمنعهما من الصدمة؟ وهذا أعجب].

(أطول الحيوان ذمًا وأقصره)

وتقول العرب : «الضب أطول شيء ذمًا»⁽⁸⁾ .

ولا أعلم في الأرض شيئاً أقصر ذمًا ، ولا أضعف مئة⁽⁹⁾ ولا أجدر أن يقتله اليسير⁽¹⁰⁾ من الفأر⁽¹¹⁾ .

(لعب السنور بالفأر)

وبلغ من تحرزه واحتياطه ، أنه يسكن السقف⁽¹²⁾ ، فربما فاجأه ، السنور وهو يريد أن يعبر إلى بيته والسنور في الأرض والفأرة في السقف ولو شئت أن تدخل بيتها⁽¹³⁾ لم يكن للسنور⁽¹⁴⁾ عليها سبيل ، فتتحير ، فيقول السنور بيده كالمشير بيساره⁽¹⁵⁾ : ارجع . فإذا رجعت أشار بيمينه : أن عُد⁽¹⁶⁾ فيعود . وإنما يطلب أن تعيا أو تزلق أو يُدار بها⁽¹⁷⁾ . ولا يفعل ذلك بها

(1) بدلها في ط ، هـ : «فلا يزال كذلك» .

(2) فيما عدل ل : «الذي» ، تحريف .

(3) ط : «حدهما» ش ، هـ : «أحدهما» ، صوابه في ل .

(4) فيما عدل ل : «لشيء» باللام .

(5) فيما عدل ل : «فرار» .

(6) التثيب : العض بالأنياب . ط : «التثيب» ل : «السب» ش ، هـ : «والتثيب» صوابهما ما أثبت . وانظر ما سبق في 167 التنبيه 7 .

(7) ط فقط : «يعد» ، تحريف .

(8) الذم : بقية الروح .

(9) المنة : القوة ، وزناً ومعنى . فيما عدل ل : «مينة» ، محرف .

(10) ط ، ش : «ولا أحذر» ، ط ، هـ : «أن يقتل الصغير» ش : «أن يقتله الصغير» صوابه في ل .

(11) ط ، هـ : «الغار» بالغين ، صوابه في ل ، ش .

(12) فيما عدل ل : «وبلغ من تحرزه واحتياطه أن يسكن السقف» .

(13) ط ، هـ : «مبيتها» .

(14) ل : «للفأر» ، تحريف .

(15) فيما عدل ل : «ليساره» ، محرف .

(16) ل : «أي عد» .

(17) يدار بها : يصيبها الدور ، وهو شبه الدوران يأخذ في الرأس . فيما عدل ل : «يداريها» تحريف . وفي ط ، هـ :

«وتزلق» بالواو . وفي ش : «أن يعيا أو يزلق» وهذه محرفة .

ثلاث مرّات، حتى تسقط إلى الأرض، فيثب عليها. فإذا وثب عليها لعبَ بها ساعة ثم أكلها. وربما خلى سبيلها، وأظهر التغافل عنها⁽¹⁾. فتمعن في الهرب، فإذا ظنّت أنها نجت وثب عليها وثبة فأخذها. فلا يزال كذلك كالذي يحب أن يسخر من صاحبه⁽²⁾، وأن يخدعه، وأن يأخذه أقوى ما يكون⁽³⁾ طمعاً في السلامة، وأن يورث الحسرة والأسف، وأن يلدّ بتنغيصه وتعذيبه.

وقد يفعل مثل ذلك العقاب بالأرنب، ويفعل مثل ذلك السّور بالعقرب⁽⁴⁾.

(أكل الجرذان واليرابيع والضباب والصفادع)

وقال أبو زيد: دخلت على رؤبة فإذا هو يملّ جرذاً⁽⁵⁾ فإذا نضجت أخرجها من الجمر فأكلها، فقلت له: أتاأكل الجرذان؟! قال: هي خير من اليرابيع والضباب. إنها عندكم تأكل التمر والجبن⁽⁶⁾ والسويق [والخبز، وتحسو الزيت والسمن]، و[قد] كان ناس من أهل سيف البحر⁽⁷⁾ من شقّ فارس⁽⁸⁾ يأكلون الفأر والصفادع، ممقورة ومملوحة⁽⁹⁾، وكانوا يسمونها: جَنك جَنك⁽¹⁰⁾ ووَال وَال⁽¹¹⁾. وقال أوس بن حجر⁽¹²⁾:

(1) هذه الكلمة ساقطة من ط فقط.

(2) فيما عدل: «صاحبه». يقال سخر منه وبه: هزئ. والأولى لغة الكتاب.

(3) فيما عدل: «ما كان».

(4) فيما عدل: «في العقرب»، وكلمة: «مثل ذلك» مؤخرة بعد: «العقاب» وبعد «السنور» فيما عدل.

(5) يملها: يشوبها في الملة، بالفتح، وهي الرماد الحار والجمر. مله يمله ملا في الرماد الحار وفي الجمر.

(6) فيما عدل: «والخبزة». وانظر التكملة التالية من ل. وقد سبق هذا الخبر في (4: 25) وسيأتي في (6: 247).

(7) السيف، بالكسر: الشاطئ. ش: «سيف البحرين».

(8) فيما عدل: «عمان».

(9) ممقورة: مملوحة قد مقرت في الخل، أي نقعت. والمقر: إنقاع السمك المالح في الماء. وفيما عدل: «ومملحة» ملح الشيء، بالتخفيف: وضعه في الملح. وملحه بالتضعيف: كثر ملحه.

(10) هي بالكتابة الفارسية: «گنگ» ومعناها: جميل، مريح. انظر استينجاس 1100، فيما عدل: «حية حية» تحريف. وانظر الاستدراكات.

(11) وال، بالفارسية، بمعنى سمك كبير. استينجاس 1453، فيما عدل: «وَال وَال» تحريف.

(12) من قصيدة له في ديوانه، أولها:

وبعد التصابي والشباب المكرم

تنكرت منا بعد معرفة لمي

لمى: يا لميس، فرخم، وقبل البيت الآتي:

معضلة منا بجمع عرمرم

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة

بصادقة جود من الماء والدم

صبحن بني عبس وأفناء عامر

وكل غبيط بالمغيرة مفعم

ويخلجنهم من كل صمد ورجلة

لَحَيْنَهُمْ لَحَى الْعَصَا فَطَرْدَنَهُمْ إِلَى سَنَةِ جِرْذَانِهَا لَمْ تَحَلِّمْ^(١)
يقال: تَحَلَّمَ الصبي: إذا بدأ في السَّمَن؛ فإذا زاد على المقدار قيل قد ضَبَّبَ^(٢)، [أي
سَمِنَ سِمْنًا مَتْنَاهِيًا].

(مثل وشعر في الجرد)

ويقال: «أَسْرَقَ مِنْ زَبَابَةٍ^(٣)». والزَّبَابَةُ: الفَأْرَةُ^(٤). ويقال: «أَسْرَقَ مِنْ جُرْذٍ». وقال أنس بن أبي إياس^(٥) لحارثة [بن] بدر^(٦) حينَ وَلِيَ أرضَ سُرُقٍ^(٧):
أَحَارِ بْنِ بَدْرٍ قَدْ وَلِيَتْ وَلَايَةً فَكُنْ جُرْذًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ^(٨)
وَبَاهٍ تَمِيمًا بِالْغَنَى إِنَّ لِلْغَنَى لِسَانَ بَهِ الْمَرْءِ الْهَيُوبَةُ يَنْطِقُ
فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِذَا مَكَدَبُ يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يَعْلَمُونَهَا
وَأِنْ قِيلَ هَاتُوا حَقَّقُوا لَمْ يَحَقِّقُوا فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِينَ سُرُقٌ^(٩)
فَإِنْ قِيلَ هَاتُوا حَقَّقُوا لَمْ يَحَقِّقُوا فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِينَ سُرُقٌ^(١٠)

- (١) يقال: لحا العود يلحاه لحيا، إذا قشره، ومثله: لحاه يلحوه. وفي الأصل: «لحيتهم» صوابه في الديوان والمخصص (١: 32، 2، 78)، وشرح الأنباري للمفضليات ص 50 ولسان العرب (15: 37، 20: 108) ويروى: «لحونهم». و«فطردنهم» هي في الأصل بالفاء، صوابها في المصادر السابقة. ويقال: تحلم الصبي والضب واليربوع والقراد: أقبل شحمه واكتنز. ويروى: «قردانها» جمع قراد. قال الأنباري: «وإنما خص الجرذان لأنها تدخر لأنفسها ما تأكل. ولا يفعل ذلك شيء من الدواب إلا الجرذان واليرابيع والنمل، فلذلك خصها. يصف جدبا فيقول: إذا لم تحلم الجرذان التي تدخر لأنفسها - أي لم تسمن - فغيرها هالك».
- (٢) فيما عدل: «فإذا زاد على ذلك قبل قد صب»، تحريف.
- (٣) الزبابة، يفتح الزاي وباءين موحدتين بينهما ألف، تحدث عنها الجاحظ في (4: 244) وهي دابة تشبه الفأرة. وانظر (1: 193، 3: 282). واسمه عند العلماء الأوروبين: *Crocidura* وبالإنكليزية: *Shrew*. والمثل عند الميداني (1: 322). ط، هـ: «زبابة» في هذا الموضع والذي يليه، وهي على الصواب الذي أثبت في ل، ش.
- (٤) كذا والصواب أنه ضرب من آكلة الحشرات. وأما الفأر فهو من القوارض. وبينهما تقارب في الشكل فحسب. انظر معجم المملوك ص 227.
- (٥) هو أنس بن زعيم بن محمية بن عبد بن عدي بن الدليل بن بكر بن كنانة. وقال صاحب المؤتلف 55: «شاعر مشهور حاذق». وأبو إياس كنية أبيه. وعند الآمدي: «ابن أبي أناس». وفي أمالي المرتضى (2: 50): «أنس بن أبي أنيس، ويقال ابن أبي إياس الدثلي». وانظر سبب النزاع بينه وبين حارثة في الأغاني (21: 15).
- (٦) سبقت ترجمته في (3: 43).
- (٧) سرق، بضم أوله، وفتح ثانيه وتشديده، وآخره قاف: إحدى كور الأهواز.
- (٨) ل: «وليت إمارة».
- (٩) هـ: وكذلك في (3: 67): «بما يهوى». والبيت ساقط من ش.
- (١٠) فيما عدل: «شيئا وليته» و: «من أرض العراقيين». والأبيات في العقد (2: 55) وزهر الآداب (4: 58) ومعجم البلدان (سرق) والأغاني (21: 23) منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي. وهي في أمالي المرتضى (2: 49-51) وعيون الأخبار (1: 58) منسوبة إلى أنس. قال المرتضى أيضاً: «وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدثلي». وانظر محاضرات الراغب (1: 83).

فلما بلغت حارثة بن بدر قال: لا يعمى عليك الرُّشد⁽¹⁾.

(طلب كثرة الجرذان)

قال: ووقفت عَجُوزٌ عَلَى قيس بن سعد⁽²⁾، فقالت: أشكو إليك قَلَّةَ الجرذان. قال: ما الطَّفَ ما سألت! [لأَمْلَأَنَّ بَيْتَكَ جِرْدَانًا]. تذكر أَنَّ بيتها قَفْرٌ من الأَدَمِ والمَادُومِ⁽³⁾، فأكثر لها يا غلامٌ من ذلك.

قال: وسمعت قاصّاً مدينيّاً⁽⁴⁾ يقول في دعائه: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ جُرْدَانَنَا وَأَقِلِّ صَبِيَانَنَا⁽⁵⁾.

(فزع بعض الناس من الفأر)

وبين الفأر وبين طباع كثير من الناس منافرةً، حتى إِنَّ بعضهم لو وطئ عَلَى ثعبان، أو رُمِيَ بثُعبان- لكان الذي يدخله من المكروه والوَخْشَةِ والفَزَعِ، أيسر مما يدخله من الفأرة لو رُمِيَ بها، أو وطئ عليها.

وخبرني رجالٌ من آل زائدة بن مقسم، أن سليمان الأزرق دُعِيَ لِحَيَّةٍ شَنْعَاءَ⁽⁶⁾ قد صارت في دارهم، فدخلت في جُحْرٍ، وأنه اغتصبها نفسها حتى قبضَ على ما أَلْفَى منها⁽⁷⁾، ثم أدارها على رأسه كما يُصْنَعُ بِالْمِخْرَاقِ⁽⁸⁾، وأهوى بها إلى الأرض ليضربها بها⁽⁹⁾، فابْتَدَرَتْ⁽¹⁰⁾ من

(1) فيما عدل: «لا يخفى». وما أثبت من ل يوافق ما في عيون الأخبار وجاء في رثاء جارية لمن تهواه (انظر العقد 179: 2).

يا ساكن القبر الذي بوفاته عميت علي مسالك الرشيد

(2) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، كان سخيّاً كريماً داهية. وانظر البيان (3: 284) وقد خدم الرسول الكريم ﷺ عشر سنين، وكان بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير. ويروى عنه أنه قال: «لولا الإسلام لمكرت مكرّاً لا تطيقه العرب. وكان علي قد ولاه مصر، فاحتال عليه معاوية فلم يندفع، فاحتال على أصحاب علي حتى حسنوا له تولية محمد بن أبي بكر، فولاه مصر، وارتحل قيس فشهد مع علي صفين. ومات في آخر خلافة معاوية. انظر الإصابة 7171.

(3) الأدم، بالضم: ما يؤكل مع الخبز. والمَادُوم: الخبز يخلط بالأدم. وأنشد ابن بري:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

(4) المديني: نسبة إلى مدينة الرسول ﷺ. فيما عدل: «مديناً». وانظر كلام ياقوت في هذه النسبة.
(5) في عيون الأخبار (3: 129): «اللهم أقل صبياننا وأكثر جرذاننا».
(6) ط، هـ: «دعا بحية شَنْعَاء»، ش: «دعى بحية شَنْعَاء»، صوابهما في ل.
(7) أَلْفَى: وجد. فيما عدل: «ما بقى منها».
(8) المِخْرَاق: منديل أو نحوه يلوى فيضرب به، أو يلف فيفزع به، وهو لعبة يلعب به الصبيان. ط، ش: «بالمجداف»، والمجداف: مجداف السفينة تدفع به، وهو أيضاً: «السوط»، لغة نجرانية، عن الأصمعي. قال المثقب العبيدي:

تكاد إن حرك مجدافها تنسل من مثناتها واليد

فما فيهما له وجه. هـ: «بالمجداف» تصحيف.
(9) فيما عدل: «ليضرب بها».
(10) ابتدرت: أسرع. ابتدر الشيء: عاجله.

حلّقها فأرة كانت ازردتّها. فلما رأى الفأرة هرب وصرخ صرخة. قالوا: فأخذ مشايخنا الغلمان بإخراج الفأرة وتلك الحيّة الشنعاء إلى مجلس الحيّ⁽¹⁾ ليعجبوهم من إنسان قتل هذه وفر من هذه.

(علة نتن الحيات)

وسألت بعض الحوّاين ممن يأكل الأفاعي فما دونها⁽²⁾، فقلت: ما بال الحيات مُنتنة الجلود والجروم⁽³⁾؟ قال: أمّا الأفاعي فإنّها ليست بمننتة⁽⁴⁾، لأنّها لا تأكل الفأر⁽⁵⁾، وأمّا الحيات عامة فإنّها تطلب الفأر طلباً شديداً. وربما رأيت الحيّة وما يكون غلظها إلا مثل [غلظ] إبهام الكبير⁽⁶⁾، ثم أجدها قد ابتلعت الجرّد أغلظ من الذراع. فأنكر⁽⁷⁾ نتن الحيات إلا من هذا الوجه. ولم أر الذي قال قولاً.

(رجز في الفأر)

ودخل أعرابي بعض الأمصار⁽⁸⁾، فلقى من الجرذان جهداً، فرجز بها⁽⁹⁾ ودعا عليها، فقال:

يُعجّل الرحمن بالعقاب⁽¹⁰⁾ لعامرات البيت بالخراب⁽¹¹⁾
حتى يُعجلن إلى الثياب⁽¹²⁾ كحلّ العيون وقص الرقاب⁽¹³⁾

(1) فيما عدل: «القوم».

(2) ط: «مما دونها»، صوابه في سائر النسخ. وفيما عدل زيادة: «حية ونية» بعد كلمة «الأفاعي».

(3) الجروم: جمع جرم، بالكسر، وهو الجسد. ط، هـ: «الجدوم» بالذال. ش: «الحدوم» تصحيفان.

(4) ط، هـ: «منتنة» بدون باء.

(5) الفأر: جمع فأرة، فيما عدل: «الفأرة».

(6) أي إبهام الرجل الكبير. ط: «الإبهام الكبير».

(7) فيما عدل: «وأنكر».

(8) ط، ش: «مثل قول أعرابي ودخل بعض الأمصار». هـ: «من قول أعرابي بعض الأمصار»، وأثبت ما في ل. وفي

ديوان المعاني (2: 151): «دخل أعرابي البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر».

(9) رجز بها: أي قال فيها رجزاً. فيما عدل: «فوجد بها» وليست تصح، فإنهم يقولون: إنه ليجد بفلاة وجداً شديداً إذا كان يهواها ويحبها حباً شديداً، ويقولون في الغضب: وجد عليه يجد.

(10) الرواية في (4: 159): «يا عجل الرحمن». وفي ديوان المعاني ونهاية الأرب (10: 168): «عجل رب الناس». وفي ل: «لم يعجل» وهذه محرفة.

(11) في ص 23 من هذا الجزء. وكذا في (4: 159): يقول: «هذا هو عمارتها».

(12) ل: «حتى تعجلن». وفي نهاية الأرب: «إلى الثياب». والتباب: الهلاك.

(13) كحل: جمع كحلاء، وهي الشديدة سواد العين، أو التي كأنها مكحولة، وقص: جمع وقصاء، وهي القصيرة العنق، وضم القاف للشعر، ط: «قصر». هـ: «وقصر» صوابه في ل، ش وديوان المعاني، ونهاية الأرب (10: 168).

مُسْتَتَبَعَاتُ خَلْفَةِ الْأَذْنَابِ⁽¹⁾ مثل مَدَارِي الْحُصْنِ السُّلَّابِ⁽²⁾

ثم دعا عليهنَّ بالسَّوَّور فقال :

أَهْوَى لِهِنَّ أَنْمَرُ الْإِهَابِ⁽³⁾ منهرتُ الشَّدَقِ حديدُ النَّابِ⁽⁴⁾

كَأَنَّمَا بُرْثَنَ بِالْحَرَابِ⁽⁵⁾

(التشبيه بالجرذان)

وَتُوصَفُ عِضْلُ الْحَقَّارِ وَالْمَاتِحِ⁽⁶⁾ [و]الذي يعمل في المعادن، فَتُشَبَّهُ⁽⁷⁾ بِالْجُرْذَانِ، إِذَا تَفَلَّقَ لَحْمَهُ عَنْ صَلَابَةٍ⁽⁸⁾، وَصَارَ زَيْمًا⁽⁹⁾. قال الرَّاجِزُ :

أَعْدَدْتُ لِلْوَرْدِ، إِذَا الْوَرْدُ حَفَزَ⁽¹⁰⁾ غَرِبًا جَرُورًا وَجَلَالًا خُرْخُرَ⁽¹¹⁾

وَمَاتِحًا لَا يَنْثَنِي إِذَا احْتَجَزَ⁽¹²⁾ كَأَنَّ جَوْفَ جِلْدِهِ إِذَا احْتَفَزَ⁽¹³⁾

فِي كُلِّ عُضْوٍ جُرْذَيْنِ أَوْ خُرْزَ⁽¹⁴⁾

وَالْخُرْزُ : ذَكَرُ [الْأَرَانِبِ وَ] الْيَرَابِيعِ .

(1) الخلفة : بالكسر : ما يخلف الشيء . ش : « مستتبعات خلقة » محرف . ل : « خلفها » صوابه في ط ، ش . وفي ديوان المعاني : « مجردات أحبل الأذنان » ونهاية الأرب : « مجردات أفضل الأذنان » .

(2) المداري : جمع مدرى ، وهو المشط ، كالمدرأة ، والمدرية بفتح الميم وتخفيف الياء جمعه مدار ومدارى كصحارى . والحصن : جمع حصان ، كسحاب ، وهي المرأة العفيفة . ل : « الحصن » بالمعجمة ، ولا وجه له . ورواية العسكري والنويري : « مثل مداري الطفلة الكعاب » .

(3) الإهاب ، بالكسر : الجلد . والأنمر : ما على شية النمر ، فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء . ش : « نمر » محرفة . وعند النويري والعسكري : « كيف لها بأنمر وثاب » .

(4) منهرت الشدق : واسعه . والحديد : الحاد .

(5) برثن ، أراد جعلت له برائن ، وهي أظفار المخالب ، يقول : كأن برائنه الأشافي . ولم أجد هذا الفعل في المعاجم . وفي ديوان المعاني ونهاية الأرب : « كأنما يكشر عن حراب » أي ييدي عن أنياب مثل الحراب .

(6) الماتح : الذي ينزع الماء من البئر . والعضل : جمع عضلة ، وهي كل عصبه معها لحم غليظ . فيما عدل ل : « ويوصف عضو » ، تحريف .

(7) فيما عدل ل : « فيشبه » .

(8) لحمه : للحفار وما بعده . فيما عدل ل : « إذا انفلق » .

(9) زيمًا ، بكسر الزاي وفتح الياء : متفرقًا ليس بمجتمع فيما عدل ل : « فصار زيمًا » تحريف .

(10) الحفز : « الحث والإعجال » . هـ : « جفز » تصحيف .

(11) الغرب : الدلو العظيمة . والجورور من الجر ، عنى أنها طويلة الرشاء لبعدها المستقي . ش : « حزورًا » ، تصحيف . والجلال ، كغراب : الجليل العظيم ، عنى به البعير ، والخزخز ، بضم ففتح فكسر : القوي الشديد . هـ : « وجلالها جرز » ش : « وحلالها جرز » صوابه في ل ، ط والحيوان (6: 224) ، واللسان (7: 262) .

(12) الماتح : الذي يجذب رشاء الدلو من أعلى البئر . احتجز : شد إزاره على حجرته والحجزة : معقد الإزار .

(13) احتفز : احتث واجتهد . فيما عدل ل : « احتجز » تحريف .

(14) جردان : مثنى جرد ، فيما عدل ل : « جردان » ، وأثبت ما في ل . وهو اسم « كأن » مؤخر ، وخبرها المقدم « جوف » الواقعة ظرفًا . هـ : « أو حرز » تصحيف .

(أنواع الفأر)

والزَّبَابُ، والخُلْدُ⁽¹⁾، واليرابيع، [والجرذان، كله فأر. ويقال لولد اليرابيع درص وأدراص. والخُلْدُ أعمى، لا يزال كذلك. والزَّبَابُ] أصم، لا يزال كذلك. وأنشد⁽²⁾:

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْآذَانُ رَعْدًا
هَكَذَا أَنشَدُونَا⁽³⁾.

(شعر وخبر في الفأر)

وأنشد الأصمعي لمزرد بن ضرار⁽⁴⁾، في تشبيه الجرع في حُلوق الإبل بجثمان الزَّبَابِ⁽⁵⁾ - وهو الشكل الذي وصفناه - فقال في وصف ضيف⁽⁶⁾ له سقاء، فوصف جرعه:

فَقُلْتُ لَهُ اشْرَبْ لَوْ وَجَدْتَ بِهَا زِرًا طَوَالَ الذُّرَى مِنْ مُفْرِهَاتِ خَنَاجِرٍ⁽⁷⁾
وَلَكِنَّمَا صَادَفْتَ ذُودًا مَنِحَةً لِمَثْلِكَ يَأْتِي لِلْقَرَى غَيْرَ عَازِرٍ⁽⁸⁾
فَأَهْوَى لَهُ الْكَفَّيْنِ وَامْتَدَّ حُلُقُهُ بَجَرَجٍ كَأَثْبَاجِ الزَّبَابِ الزَّنَابِرِ⁽⁹⁾

(1) الخلد، بالضم: ضرب من الفأر. وبلغه العلماء الأوروبيين: Spalax Typhlus وبالإنجليزية: Blind Rat أو: Mole Rat ليس له أذنان ولا عينان في الظاهر. ومنه نوع مصري يسمونه: «أبو أعمى»، وأكثر وجوده في الجهات الشمالية في نواحي مريوط. انظر المعلوم.

(2) البيت للحارث بن حلزة البشكري، كما في عيون الأخبار (2: 95-96) واللسان (زبب) والأغاني (9: 174) في أبيات للحارث، وحماسة البحتري 245 والميداني (1: 322) في مثل: «أسرق من زبابة». وانظر الحيوان (4: 244) والفصول للمعري 15 وأدب الكاتب 153 والاقضاب 355.

(3) هذه العبارة ساقطة من ل.

(4) مزرد بن ضرار، سبقت ترجمته في 42، ط: «لمزرد بن بدر ضرار» بإقحام كلمة «بدر». هـ: «لمزرد بن بدر»، بإقحام «بدر» وبإسقاط «ضرار». والوجه ما أثبت من ل، ش.

(5) الحُلوق: جمع حلق. والجثمان: الجسم. فيما عدل ل: «في خلق الإبل» تحريف.

(6) فيما عدل ل: «وصيف»، تحريف.

(7) البهازر: بتقديم الزاي علي الراء: جمع بهزرة، بضم الباء والزاي، وهي الناقة الجسيمة الضخمة الصفية. ط، هـ: «بهارزاً» ل، ش: «بهادراً»، وهما تصحيف ما أثبت. والذرى: أعالي أسنمة الإبل. والمفريات: التي تنتج الفره. والفره: جمع فاره، وهو النشيط الحاد القوي. يقال أفرهت الناقة، فهي مفره ومفرهه. والخناجر: جمع خنجر وخنجرة، بفتح الخاء، وهي الناقة الغزيرة. فيما عدل ل: «من مرهفات الخناجر»، تحريف.

(8) الذود، بالفتح: الجماعة من الإبل. فيما عدل ل: «دور» تحريف. والمنيحة: منحة اللين، الناقة أو الشاة، تعطيتها غيرك يحتلبها ثم يردّها عليك. ل: «تأتي». فيما عدل ل: «غادر».

(9) أثباج: جمع شبح، بالتحريك، وهو معظم كل شيء، ووسطه، وأعلاه. وثبج الظهر: معظمه، وما فيه محاني الضلوع. والزباب، بالفتح، سبق الحديث عنه في أول الصفحة والزناير: جمع زنبور، وهو الفأر العظيم. وأنشد صاحب اللسان (5: 420) بيتاً لجبيها شبيهاً بهذا. وهو:

فَأَتْنَعُ كَفِيهِ وَأَجْنَحُ صَدْرَهُ
بَجَزَعٍ كَأَثْبَاجِ الزَّبَابِ الزَّنَابِرِ
وفي أصل اللسان: «كانتاج» محرف. فيما عدل ل: «فأهوى له». ش: «بجرح» هـ: «كأزباح» ط: «الرباب» ط، هـ: «الدفائر»، والكلمات الأربع الأخيرة محرفة.

وقال أعرابيٌّ وهو يطنزُ بغريم⁽¹⁾ [له]، ويذكر قرضَ الفأر الصَّكَّ، عند فراره منه :
«الزم الصَّكَّ لا يقرضه الفأر⁽²⁾» ! تهزُّوا به⁽³⁾ :

أَهْوِنَ عَلَيَّ بِسَيَّارٍ وَصَفْوَتَهُ	إذا جعلتُ ضراراً دُونَ سَيَّارٍ ⁽⁴⁾
التَّابِعِي نَاشِراً عِنْدِي صَحِيفَتَهُ	في السوقِ بَيْنَ قَاطِنٍ غَيْرِ أَبْرَارٍ ⁽⁵⁾
جَاءُوا إِلَيَّ غَضَاباً يَلْغَطُونَ مَعاً	يَشْفِي إِرَاتَهُمْ أَنْ غَابَ أَنْصَارِي ⁽⁶⁾
لَمَّا أَبَوْا جَهْرَةً إِلَّا مُلَازِمَتِي	أَجْمَعْتُ مَكْراً بِهِمْ فِي غَيْرِ إِنْكَارٍ
وَقُلْتُ : إِنِّي سَيِّئَتْنِي غَدَا جَلْبِي	وإنَّ موعِدكم دارُ ابنِ هَبَّارٍ ⁽⁷⁾
وَمَا أُوَاعِدُهُمْ إِلَّا لِأَرْبُئْتَهُمْ	عني فيُخْرِجني نقضي وإمراي ⁽⁸⁾
وَمَا جَلَبْتُ إِلَيْهِمْ غَيْرَ رَاحِلَةٍ	تُخْدي بِرَحْلِي وَسِفِ جَفْنُهُ عَارِي ⁽⁹⁾
إِنَّ الْقَضَاءَ سَيَأْتِي دُونَهُ زَمَنٌ	فأطوِ الصَّحيفَةَ واحفظها مِنَ الْفَارِ

(1) الطنز : السخرية، طنز به يطنز، كيكتب، فهو طنار. قال الجوهري : أظنه مولداً أو معرباً. فيما عدال : «يمكر بقوم» تحريف.

(2) هذه ترجمة ترجم بها الجاحظ ما سيأتي في البيت الثامن، من القصيدة التالية. وصاحب الشعر الآتي الذي عبر عنه الجاحظ بكلمة «أعرابي» هو صخر بن الجعد الخضري، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، سبقت ترجمته في (4: 136). وكان من خبره في هذا الشعر ما روى أبو الفرج في الأغاني (19: 68)، قال : قدم صخر بن الجعد الخضري المدينة، فأتى تاجراً من تجارها، يقال له سيار، فابتاع منه بزاً وعطراً، وقال : تأتينا غدوة فأقضيكم! وركب - أي صخر - من تحت ليلته فخرج إلى البادية. فلما أصبح سيار سأل عنه، فعرف خبره، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه، حتى أتوا بئر مطلب، وهي على سبعة أميال من المدينة، وقد جهدوا من الحر، فنزلوا عليها فأكلوا تمرأً كان معهم، وأراحوا دوابهم وسقوها. حتى إذا برد النهار انصرفوا راجعين!! وبلغ الخبر صخر بن الجعد، فقال: «.. وأنشد الشعر.

(3) التهزؤ : السخرية، يقال هزئ به، وهزأ، وتهزأ. واستهزأ. وهذه العبارة ساقطة من ل.

(4) الصفوة : خالص الأصدقاء. ل : «وصغوته»، والمعروف «الصاغية» وهم الذين يميلون مع المرأة في حوائجهم. هـ : «وضغوته» تحريف.

(5) فيما عدال : «البائعي» تحريف. والقطين : الأتباع. ش : «غير أبزاز» تحريف.

(6) يلغطون : من اللغط، وهو الجلبة. فيما عدال : «عطافاً يلغطون بها» صوابه في ل، وعيون الأخبار (1: 254). والإرات : جمع إرة بكسر ففتح، وهي النار. وفي الأصل : «تشف أذانهم». وفي عيون الأخبار : «يشفي أذانهم». وصوابهما ما أثبت. يقول : قد شفى غليلهم غيبة أنصاري عني. ط : «إذ غاب» صوابه في سائر النسخ وعيون الأخبار.

(7) الجلب : ما يجلب. فيما عدال : «أن بحساس» ش : «عدا حلي»، وفيما عدال : «موردكم» ش : «دار بن هبار» صوابه ما أثبت من ل، وعيون الأخبار.

(8) الريث : حبسك الإنسان عن حاجته وأمره بعلل، ريثه عن أمره وحاجته يريثه بالضم ريثاً. ش : «لأربنهم»، والزين : الدفع. وفي الأغاني : «وما أربت لهم إلا لأدفعهم». ط : «لأربنهم» هـ : «لأوبنهم»، وهذان محرفان. والنقض : نقض القتل. والإمرار : إجادة قتل الحبل. يقول : إنه يخدعهم باللين تارة، وبالشدّة تارة أخرى. فيما عدال : «وإبراري»، صوابه في ل وعيون الأخبار والأغاني.

(9) تخدي : تسرع. فيما عدال : «تخدي برحل»، تحريف صوابه في ل وعيون الأخبار وفي الأغاني : «وغير رحل».

[وصَفْقَةٌ لَا يَقَالُ الرَّبْحَ تَاجِرُهَا وَقَعْتُ فِيهَا وَقُوعَ الْكَلْبِ فِي النَّارِ⁽¹⁾] والعربُ تعيبُ الإنسانَ إذا كان ضيقَ الفمِ، أو كان دقيقَ الخطمِ، [يشبهون ذلك بفمِ الفأرة]. وقال عبدة بن الطبيب⁽²⁾:

مَا مَعَ أَنْكَ يَوْمَ الْوَرْدِ ذُو لَغَطٍ صَخْمُ الْجَزَارَةِ بِالسَّلْمِينِ وَكَارُ⁽³⁾
تَكْفِي الْوَلِيدَةِ فِي النَّادِيِّ مُؤْتَزِرًا فَاحْلَبْ فَإِنَّكَ حَلَّابٌ وَصَرَّارُ⁽⁴⁾
مَا كُنْتَ أَوَّلَ ضَبِّ صَابَ تَلْعَعْتُهُ غِيثٌ فَأَمْرَعُ وَاسْتَرَحْتُ بِهِ الدَّارُ⁽⁵⁾
أَنْتَ الَّذِي لَا تُرَجِّي نَيْلَهُ أَبَدًا جِلْدُ النَّدَى، وَغَدَاةُ الرُّوعِ خَوَارُ⁽⁶⁾
تَدْعُو بُنْيَيْكَ عَبَادًا وَحَذِيمَةً فَافَارَةٌ شَجَّهَا فِي الْجَحْرِ مُحْفَارُ⁽⁷⁾

(شعر أبي الشمقمق في الفأر والسنور)

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ⁽⁸⁾ في الفأر والسنور:

وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ أَقْفَرَ بَيْتِي مِنْ جِرَابِ الدَّقِيقِ وَالْفَخَّارِ
وَلَقَدْ كَانَ أَهْلًا غَيْرَ قَفَرٍ مُخَصِّبًا خَيْرُهُ كَثِيرَ الْعِمَارِ

- (1) أقلته البيع إقالة: فسخته. وهذا البيت لم يرو في غير ل من جميع المراجع.
- (2) هو عبدة بن الطبيب، واسم الطبيب يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبدنهم بن جشم بن عبد شمس. شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم، وشهد مع المشي بن حارثة قتال هرمز سنة 13، وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا الفرس بالمدائن. انظر المفضليات 134، وعبدة، بسكون الباء. انظر الحيوان (6): 41. وهو يهجو بهذا الشعر «حيي بن هزال وبنيه» كما في البيان (1: 122).
- (3) ما في أول البيت زائدة. وزيادتها في أول الكلام نحو زيادة «لا» في قول الله: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: 1]. عند من رأى ذلك. انظر أمالي ابن الشجري (1: 370، 2: 220، 222). فيما عدل ل: «يا دمع»، صوابه في ل وأمالي ابن الشجري ونوادير أبي زيد 47، واللغظ: الجلية. ورواية أبي زيد: «ذو جرز» بتقديم الراء؛ والجرز: القوة. والجزارة، بالضم، قال أبو زيد: القوائم، يعني بها يديه ورجليه. والسلم بالفتح: الدلو. والوكار: من وكر الدلو والسقاء والقربة والمكيال وكرأ: ملأه. والوكار أيضاً: «العداء». ومنه ناقة وكرى: إذا كانت شديدة العدو. فيما عدل ل: «جرار».
- (4) أي يكفي الجارية مؤنة الحلب. ط، هـ: «تلقى» صوابه في ل، ش. والنادي: مجتمع القوم، وهو بالتخفيف. وقد شدده كما ترى. أو لعلها محرفة عن «البادين». والصرار: الذي يصير الضرع ويشده بالصرار لئلا يرضعها ولدها أو يحتلبها حالب، وذلك أجمع للبنها. والأبيات أيضاً في (6: 42).
- (5) التلعة، بالفتح: ما ارتفع من الأرض. وصاحبها الغيث: أمطرها. فيما عدل ل: «صب» بالمهمله. و: «استوحت» محرفان. وفي النوادر: «واستخلت له».
- (6) الخوار: الضعيف لا بقاء له على الشدة. فيما عدل ل: «يرجى» بالياء و«فرار».
- (7) بنيك: مشى بني، وهو تصغير ابن. ل: «ابنتيك» ط، س والبيان: «بنيك» وأثبت الصواب من هـ، ش: «عباد وحديمة» هـ: «وحديمة» تحريف. وفيما عدل ل: «يا فأرة». شجها أي شج الفأرة. شج رأسه يشجه: كسره. والمحفار والمحفر والمحفرة: المسحاة ونحوها مما يحتقر به.
- (8) سبقت ترجمته في: (1: 164).

- فأرى الفأر قد تجنّب بيتي
ودعا بالرحيل ذبان بيتي
وأقام السنور في البيت حولاً
ينغض الرأس منه من شدة الجو
قلت لما رأيت أنه ناكس الرأس
وإنك صبراً فأنت من خير سن
قال: لا صبر لي، وكيف مقامي
قلت: سر راشداً إلى بيت جار
وإذا العنكبوت تغزل في د
وأصاب الجحام كلبى فأضحى
- عائذات منه بدار الإمارة⁽¹⁾
بين مقصوصة إلى طيأره
ما يرى في جوانب البيت فاره
ع وعيش فيه أذى ومزاره⁽²⁾
س كئيباً، في الجوف منه حراره
ورأته عيناي قط بحاره⁽³⁾
ببيوت قفر كجوف الحماره⁽⁴⁾
مخصب رخله عظيم التجاره⁽⁵⁾
نّي وحبي والكوز والقرقاره⁽⁶⁾
بين كلب وكلبة عياره⁽⁷⁾

(1) فيما عدل: «قد تجنّب».

(2) أنغض رأسه: حركه إلى فوق وإلى أسفل. وفي الأصل: «ينفض» تحريف، وانظر التنبيه السابع في ص 180.

(3) ويك: كلمة مثل ويب وويح، والكاف للخطاب. مركبة من (وي) التي تدل على التعجب والكاف. أو هي ويل لك، خففت بحذف اللامين. انظر اللسان (وي، وا). وبدلها في ل: «قلت». والحارة: كل محلة دنت منازلهم فهم أهل حارة. كذا في اللسان والقاموس. وفي شفاء الغليل 75: «قال الأزهرى: كل محلة دنت منازلها فهي حارة، وفيه ص 70: «هي المحلة، لأن أهلها يحورون إليها، أي يرجعون». وفي ل: «لجارة»، وفي ش: «بخارة» وهذه مصحفة.

(4) جوف الحمار، مثل في الخلاء. ومنه قول امرئ القيس: «وواد كجوف العير قفر» وذلك أنه إذا صيد لم ينتفع بشيء مما في جوفه، بل يرمى به ولا يؤكل. وانظر الميداني (أحلى من جوف حمار) وثمار القلوب 65 وشروح المعلقات. ل، ش: «كجوف المنارة». والمنارة: التي يؤذن عليها، وهي المثذنة. اللسان (7: 100 س8) وفي ط: «وسط بيت قفر» ش: «ببيت» ه: «بيت» والأخيرة محرفة.

(5) ط، ه: «إلى بيت خان» ش: «خاق» تحريف. وفيما عدل أيضاً: «كثير التجارة».

(6) الدن: الراقد العظيم، وهو كهية الحب، إلا أنه أطول، مستوى الصنعة، في أسفله كهية قونس البيضة. والحب، بالضم: الجرة الضخمة. قال ابن دريد: هو فارسي معرب. قال: وقال أبو حاتم: أصله خنب، فعرب. وفي المعرب 120 أنه فارسي معرب مولد أصله «خنب» فقلبوا الخاء حاء وحذفوا النون فقالوا: «حب». وفي معجم استينجاس 476 عند تفسير «خنب» إنه وعاء من الفخار يجعل فيه الخمر أو الماء: An earthen vessel for holding wine or water والقرقارة، بالفتح: إناء، سميت بذلك لقرقرتها. وفي القاموس: «القرقار» بطرح التاء. فيما عدل: «يغزل». والعنكبوت مؤنثة، وقد يذكرها بعض العرب كقوله:

على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها

وقد حملوه على الشعر، كقول أبي النجم:

مما يسدى العنكبوت إذ خلا

انظر اللسان (2: 122). وفيما عدل أيضاً: «وحتى في الكوز» تحريف.

(7) الجحام، بتقديم الجيم المضمومة على الحاء: داء يأخذ الكلب في رأسه فيكوى منه بين عينيه. وفي الأصل: «الجحام» بتقديم الحاء، تصحيف. فيما عدل: «فأمسى» والعجّارة: التي تذهب كأنها منفلة من صاحبها تتردد.

وقال أيضاً:

- ولقد قلت حين أجحرنى البر
في بُيْتٍ من الغضارة قُفْر
عَطَّلْتُهُ الْجُرْذَانِ مِنْ قِلَّةِ الْخَيْدِ
هَارِبَاتٍ مِنْهُ إِلَى كُلِّ خُصْبٍ
وأقام السنور فيه بشراً
أن يرى فأرة، فلم ير شيئاً
قلت لما رأيته ناكس الرأس
قلت صبراً يا نازُ رأس السناني
قال: لا صبر لي، وكيف مُقامي
لا أرى فيه فأرة أنغض الرأس
قلت: سر راشداً فخار لك الله
فإذا ما سمعت أنا بخير
- دُ كَمَا تُجْحَرُ الْكِلَابُ ثَعَالَهُ (1)
لَيْسَ فِيهِ إِلَّا النُّوَى وَالثُّخَالَهُ (2)
رِ وَطَارَ الذُّبَابُ نَحْوَ رُبَالِهِ (3)
حِينَ لَمْ يَرْتَجِينَ مِنْهُ بِلَالَهُ (4)
يَسْأَلُ اللَّهَ ذَا الْعُلَا وَالْجَلَالَهُ
نَاكِساً رَأْسَهُ لَطُولِ الْمَلَالِهِ
سَ كَثِيباً يَمْشِي عَلَى شَرِّ حَالِهِ
رِ، وَعَلَّلْتُهُ بِحُسْنِ مَقَالِهِ (5)
فِي قِفَارٍ كَمَثَلِ بَيْدِ تَبَالِهِ (6)
سَ وَمَشِي فِي الْبَيْتِ مَشْيَ خَيْالِهِ (7)
وَلَا تَعُدُّ كُرْبُجَ الْبِقَالِهِ (8)
فِي نَعِيمٍ مِنْ عَيْشَةٍ وَمَنَالِهِ (9)

- (1) ثعالة: علم للثعلب. أجحره: جعله يدخل في جحره، وهو بتقديم الجيم. وفيما عدل: «أجحرنى» بتقديم الحاء، تصحيف.
- (2) الغضارة، بالفتح: الطبع الحر، وقيل الطين اللازب الأخضر. بيت: مصغر بيت. ط، هـ: «في بيت».
- (3) ش: «من قلة الخبز». وزبالة: موضع بعد القاع من الكوفة.
- (4) البلالة، بالضم: الندوة.
- (5) ناز: اسم للسنور بالفارسية. ولفظه فيها: «نازو». انظر استينجاس 1372، فيما عدل: «وبك صبراً فأنت».
- (6) بيد: جمع ببداء، وهي الفلاة. وتبالة، بالفتح: بلد من أرض تهامة في طريق اليمن.
- (7) أنغض رأسه: حركه إلى فوق وإلى أسفل، أو حركة كالمتعجب أو كالمستنكر. وفي الكتاب: ﴿فَيَنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: 51]. والخيالة، كالخيال: ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة وفي الأصل: «خباله» بالباء الموحدة. وليست في المعاجم، وإنما تعرف المعاجم «الخبال» بطرح التاء، وهو الجنون وفساد العقل. فيما عدل: «قد أراني أنغض الرأس جوعاً ثم أمشي».
- (8) خار الله له. أعطاه ما هو خير له. وفي ل: «أو استخر الله». واستخر الله: طلب منه الخيرة. والكربج، بضم الكاف وفتح الباء وضمها؛ ويقال فيه أيضاً «قربق» و«كربق» بضم أولها وفتح الباء وضمها أيضاً، وهو حانوت البقال. انظر المعرب 292، وأصله بالفارسية: «كربه» بضم الكاف، بمعنى الحانوت. استينجاس 1021 والمعرب 280 وأشد الجواليقي:

لا غرس ما دام في السوق كربج وما دام في رجل لحيدان أصبع

- والبقالة: مؤنث البقال، أو جمع بقال، وهو بائع البقل. وهو من النبات ما ليس بشجر. والتاء في الثاني للدلالة على الجمع. ونحوه: بغالة وحمارة وجمالة، للبالغين والحمارين والجمالين. انظر المخصص (16: 101) واللسان (5: 291). وقد حقق الرضى هذه التاء في شرح الكافية (2: 152 س 18-23) بأنها للتأنيث، وأن الكلمة صفة لجماعة مقدرة، كأنك تقول الجماعة البغالة والحمارة. وهو تحقيق جيد. ط، هـ: «مذبح البغالة» ش: «كربج البقالة» ل: «كربج البقالة» صوابه ما أثبت.
- (9) ط، هـ: «وإذا»، وفيما عدل: «من نعيم في عيشه». والمئالة: مصدر نال ينال.

- فائتِنَا رَاشِدًا وَلَا تَعْدُوْنَا
 قَالَ لِي قَوْلَةٌ عَلَيْكَ سَلَامٌ
 ثُمَّ وَلَّى كَأَنَّهُ شَيْخٌ سَوِيٌّ
 وَقَالَ أَيضًا:
- نَزَلَ الْفَارُّ بِبَيْتِي
 حَلَقًا بِعَدْقِ طَارِ
 ابْنِ عَرَسٍ رَأْسُ بَيْتِي
 سَيْفُهُ سَيْفٌ حَدِيدٌ
 جَاءَنَا يَطْرُقُ بِاللَّيْلِ
 دَخَلَ الْبَيْتَ جَهَارًا
 وَتَتَرَسُّ بِرَغِيْفٍ
 صَفْقَةٌ أَبْصَرَتْ مِنْهَا
 زُرْقَةٌ مِثْلَ ابْنِ عَرَسٍ
 وَقَالَ أَيضًا:
- رَفْقَةٌ مِنْ بَعْدِ رَفْقِهِ
 نَزَلُوا بِالْبَيْتِ صَفْقِهِ
 صَاعِدًا فِي رَأْسِ نَبْقِهِ
 شَقَّه مِنْ ضَلَعِ سِلْقِهِ
 لَمْ يَدْخُلْ الْبَابَ دَقَّهِ
 لَمْ يَدْخُلْ فِي الْبَيْتِ فَلْقَهُ
 وَصَفَّقُ نَازُوِيَهُ صَفْقَهُ
 فِي سَوَادِ الْعَيْنِ زُرْقَهُ
 أَغْبَشُ تَعْلُوهُ بُلْقَهُ
 وَقَالَ أَيضًا:

- (1) فيما عدل: «في ملاله». والرحل، هنا: مسكن الرجل وما يصحبه من الأثاث.
- (2) البطالة، بالفتح: الهزل، واللَّهُو، والجهالة. ه، ش: «قال لي قوله».
- (3) المحبس: موضع الحبس. ط، ه: «من مجلس» تحريف.
- (4) الرفقة، مثناة: القوم والجماعة ترافقهم.
- (5) حلقًا، بالتحريك وبكسر ففتح: جمع حلقة، وهي كل شيء استدار كحلقة الحديد والذهب والفضة، وكذلك هي في الناس. انظر اللسان (11: 346)، ط، ش: «خلفًا» تصحيف. والقطار: أصله أن تشد الإبل على نسق، واحد خلف واحد. صفقة: أي صفقة واحدة، والصفقة: البيعة، أراد دفعة واحدة.
- (6) فيما عدل: «فتقه»، وعند الدميري (2: 242): «طبقه».
- (7) حديد: حاد. والسلقة، بالكسر، الأنثى من الذئاب.
- (8) ش: «جاءني»، ل: «جاء لي طرقتي ليل حين دق الباب دقه».
- (9) الفلقة، بالكسر: الكسرة من الخبز. ط: «بالبيت». والبيت ساقط من ش.
- (10) تترس به: جعله كالترس. ونازويه، مصغر «نازو» على طريقة أهل البصرة في التصغير، كما نص الجاحظ في الحيوان 7: 55، ونازو هو القط بالفارسية كما سبق في 180، وفي الأصل: «نازونة» تحريف. والصفق: الضرب يسمع له صوت. وقد سكن سين «تترس» وقاف «صفق» للشعر. وفيما عدل:

وَأَتَى يَصْفَقُ مَنِي عَيْنَ بَابِ الدَّبَرِ صَفْقَهُ

- لكن في ش: «الدار»، وه: «الدير» موضع: «الدبر».
- (11) الأغبس: ما لونه الغبسة، وهي لون الرماد. فيما عدل: «أغبش». والبلقة: سواد وبياض. ط فقط: «يعلوه».

أَخَذَ الْفَأْرُ بِرَجْلِي	جَفَلُوا مِنْهَا خِفَافِي ⁽¹⁾
وَسَرَّارَوِي لَاتٍ سَوَّوْ	وَتَبَّابِينَ ضِعَافِ ⁽²⁾
دَرَجُوا حَوْلِي بِزَفْنِ	وَبَضْرِبٍ بِالذَّفَافِ ⁽³⁾
قُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا:	أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الزَّفَافِ ⁽⁴⁾
سَاعَةً نَمَّتْ جَازُوا	عَنْ هَوَايَ فِي خِلَافِ ⁽⁵⁾
[نَقَرُوا اسْتِي وَبَاتُوا	دُونَ أَهْلِي فِي لِحَافِي]
لَعَقُوا اسْتِي وَقَالُوا	رِيحُ مِسْكِ بَسُلَافِ ⁽⁶⁾
صَفَعُوا نَازَوِيَهُ حَتَّى	اسْتَهَلَّتْ بِالرُّعَافِ ⁽⁷⁾

(أَحَادِيثُ فِي الْفَأْرَةِ وَالْهَرَّةِ)

يُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «خَمْسُ يُورِثُنَ النِّسْيَانَ: أَكْلُ التَّفَاحِ، وَسُورُ الْفَأْرَةِ، وَالْحِجَامَةُ فِي النَّقْرَةِ⁽⁸⁾، وَبِنْدُ الْقُمَّلَةِ، وَالْبَوْلُ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ».

[و]ابن جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزَّبِيرِ⁽⁹⁾ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَقَدْتَ فَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَخَمِّرْ إِنْاءَكَ، وَأَوْكُ سِقَاقَكَ، وَأَطْفِئْ مَصْبَاحَكَ⁽¹⁰⁾؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ غَلَقًا وَلَا يَكْشِفُ إِنْاءً، وَلَا يَحِلُّ وَكَاءً⁽¹¹⁾، وَإِنَّ الْفَأْرَةَ الْفُؤَيْسِقَةَ تَحْرِقُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ».

قَالُوا: فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي السَّنَانِيرِ: إِنَّهِنَّ مِنَ الطَّوَّافَاتِ عَلَيْكُمْ، وَفِي تَفْرِيقِهِ بَيْنَ سُورِ السَّنُورِ وَسُورِ الْكَلْبِ - دَلِيلٌ عَلَى حُبِّهِ⁽¹²⁾ لَا تَخَاضَعْنَ. وَلَيْسَ لَا تَخَاضَعْنَ وَجْهٌ إِلَّا إِفْتَاءً

- (1) جَفَلُوا: نَحَاوْا وَنَزَعُوا، وَفِي الْأَصْلِ: «جَعَلُوا». خِفَافٌ: جَمَعَ خَفَ. فِيمَا عَدَا لَ: «خِفَافٌ».
- (2) التَّبَابِينُ: جَمَعَ تَبَانٍ، كَرَمَانٍ، وَهُوَ سَرَاوِيلٌ صَغِيرٌ مَقْدَارُ شَبْرِ يَسْتُرُ الْعُورَةَ الْمَغْلُظَةَ فَقَطْ، يَكُونُ لِلْمَلَاحِينَ. وَهُوَ أَصْدَقُ مَا يُطْلَقُ عَلَى لِبَاسِ الْبَحْرِ فِي عَصْرِنَا هَذَا.
- (3) الزَقْنُ: الرَّقْصُ، أَوْ شَبِيهَ الرَّقْصِ. شَ: «بَرَفَقَ» تَحْرِيفٌ. وَالدَّفَافُ: جَمَعَ دَفَ.
- (4) فِيمَا عَدَا لَ: «إِنَّمَا هَذَا الزَّفَافُ».
- (5) ثَمَّتَ، هِيَ ثَمٌّ، زَيْدٌ فِي آخِرِهَا التَّاءُ كَمَا تَزَادُ فِي رَبِّ فَيُقَالُ رَبَّتْ. فِيمَا عَدَا لَ: «ثَمٌّ» وَفِي طَ: «فَجَازُوا»، وَفِيمَا عَدَا لَ: «عَنْ هَوَايَ فِي لِحَافٍ».
- (6) السَّلَافُ: الْخَمْرُ الْخَالِصَةُ.
- (7) الرُّعَافُ: سِبْلَانُ دَمِ الْأَنْفِ وَقَطْرَانُهُ. وَ«نَازَوِيَهُ» أَرَادَ بِهِ الْهَرَّةَ. وَانْظُرِ التَّنْبِيهَ 10 ص 181، وَفِيمَا عَدَا لَ: «عَنْ هَوَايَ فِي لِحَافٍ».
- (8) النَّقْرَةُ فِي الْقَفَا: مَنَقُطْعُ الْقَمْحُدُودَةِ، وَهِيَ وَهْدَةٌ فِيهَا. وَانْظُرْ ص 257.
- (9) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ تَدْرُسِ الْأَسَدِيِّ، الْمُرْتَجَمُ فِي ص 82.
- (10) شَ، هَذَا: «وَاطَفَ مَصْبَاحَكَ».
- (11) الْغَلَقُ، بِالتَّحْرِيكِ: مَا يُغْلَقُ بِهِ الْبَابُ. وَالْوَكَاءُ، بِالْكَسْرِ: كُلُّ سَبِيرٍ أَوْ خَيْطٍ يَشُدُّ بِهِ فَمُ السَّقَاءِ أَوْ الْوَعَاءِ. لَ: «إِنِ الشَّيَاطِينُ لَا تَفْتَحُ غَلَقًا، وَلَا تَكْشِفُ إِنْاءً، وَلَا تَحِلُّ وَكَاءً». وَانْظُرِ رَوَايَةَ هَذَا الْحَدِيثِ فِيمَا سَبَقَ ص 82.
- (12) فِيمَا عَدَا لَ: «عَلَى حِثِّهِ» مِنَ الْحِثِّ.

الفأر^(١) وقتل الجرذان. فكأن النبي ﷺ كما أحب استحياء السنابير، فقد أحب إهلاك الفأر.
 [و^(٢) عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال]: «عذبت امرأة في هرة
 سجنها - ويقال: ربطتها - فلم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلها تأكل من خشاش
 الأرض^(٣)».

وعن أبي سلمة^(٤)، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «دخلت امرأة ممن
 كان قبلكم^(٥) النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تضيب من
 خشاش الأرض، حتى ماتت^(٦) فأدخلت النار^(٧)، كلما أقبلت نهشتها، وكلما أدبرت
 نهشتها».

قال: وذكر النبي ﷺ، صاحب المحجن يجر قصبه في النار^(٨) حتى قال: «وحتى رأيت
 فيها^(٩) صاحبة الهرة التي ربطتها، فلم تدعها تأكل من خشاش الأرض».

(١) ل: «ولا تخاذن» وفي ل، ش: «إلا لإفناء الفأر».

(٢) زيادة هذه الواو من هـ.

(٣) الخشخاش، بالكسر ويفتح: الحشرات والهوام وما أشبههما. وهذا الحديث في البخاري عن ابن عمر، الجامع الصغير 4191، وروايته التالية عن أبي هريرة ثابتة في مسند أحمد، وفي صحيح البخاري، ومسلم، وعند ابن ماجه.

(٤) أبو سلمة هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل، ثقة مكثرو كان فقيهاً يحمل عنه الحديث. توفي سنة أربعة وتسعين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ويقال إنه مات سنة أربع ومائة. انظر المعارف 105 وتهذيب التهذيب (12: 115)، وفي البيان (2: 274): «قال الشعبي: سairت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، فكان بيني وبين أبي الزناد، فقال: بينكما عالم أهل المدينة! فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها!».

(٥) ط، هـ: «في من كان قبلكم».

(٦) ل: «في هر ربطته فلا هي أطعمته، ولا هي تركته يضيب من خشاش الأرض حتى مات».

(٧) فيما عدا ل: «وأدخلت النار».

(٨) المحجن: كل عصا معوجة. والقصب، بالضم: المعى، والجمع أقصاب. وقيل القصب اسم للأمعاء كلها. والحديث طويل، وقد اقتضبه الجاحظ، وقد رواه أحمد في مسنده (3: 318) ومسلم في صحيحه (1: 248) برواية عطاء عن جابر قال: «كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، وكان ذلك اليوم الذي مات فيه إبراهيم بن رسول الله ﷺ، فقال الناس: إنما كسفت الشمس لموت إبراهيم» وبعد أن روى صلاة الكسوف، روى أنه ﷺ قال: «يا أيها الناس، إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل، لا ينكسفان لموت أحد من الناس، فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى تنجلي. وإنه ما من شيء توعده الله إلا رأيته في صلاتي. ولقد جيء بالنار، وذلكم حين رأيتموني تأخرت، مخافة أن يصيبني من لفحها. وحتى رأيت صاحب المحجن يجر قصبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فطن له قال: إنما تعلق بمحجني! وإن غفل عنه ذهب به. وحتى رأيت صاحبة الهرة. إلى نهاية الحديث».

(٩) ل: «ورأيت صاحبة الهرة».

(وصف السنور بصفة الأسد)

قال ابن يسير ⁽¹⁾ في صفة السنور - فوصفه بصفة الأسد، إلا ما وصفه به من التميمير ⁽²⁾، فإن السنور يوصف بصفة الأسد، إذا أرادوا به الصورة والأعضاء، والوثوب والتخلع في المشي. ألا إن في السناير السود والتمر ⁽³⁾ والبُلُق، والخلنجية ⁽⁴⁾، وليس في أوانٍ الأسد من ذلك شيء، إلا كما ترون في النوارد: من الفأرة البيضاء ⁽⁵⁾، والفاخنة البيضاء، والورشان الأبيض، والفرس الأبيض - فقال ابن يسير في دعائه على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور ⁽⁶⁾:

وُخْبَعْنِ فِي مَشْيِهِ مَتَبَهِنَسْ	خَطَفَ الْمُؤَخَّرَ كَامِلَ التَّصْدِيرِ ⁽⁷⁾
مِمَّا أُعِيرَ مَفَرَّ أَغْضَفَ ضِيْغَمِ	عَنْ كُلِّ أُعْصَلٍ كَالسَّنَانِ هُضُورِ ⁽⁸⁾
مُتَسَرِّبِلِ ثَوْبِ الدُّجَى أَوْ غَبْشَةٍ	شَيْبَتْ عَلَى مَتْنَيْهِ بِالتَّنْمِيرِ ⁽⁹⁾
يَخْتَصُّ كُلَّ سَلِيلٍ سَابِقٍ غَايَةٍ	مَحْضِ النَّجَارِ مُهَذَّبٍ مَخْبُورِ ⁽¹⁰⁾

- (1) هو محمد بن يسير الرياشي، المترجم في (1: 69).
- (2) التميمير: من النمرة. والأنمر: ما فيه نقطة بيضاء وأخرى سوداء. وقالوا: طير منمر: فيه نقط سود. اللسان (7: 94) (6) ولم تذكر المعاجم «التممير». وفي المخصص (9: 95): «أبو زيد: نمر السحاب. صاحب العين: الحجير من السحاب الذي ترى فيه كالتممير من كثرة مائه». فيما عدل: «من الشبه».
- (3) النمر: جمع أنمر. انظر التنبيه السابق. وفي ل: «النمر».
- (4) الخلنجية: التي لها خطوط وطرائق، مثل الخطوط والطرائق التي ترى في خشب الخلنج، والتي ترى في الجزع، وهو الخرز اليماني. وفي الجماهر 175: «ولفظه خلنج لا يختص بها الجزع بل يقع على كل مخطوط بألوان وأشكال. فيوصف به السناير والثعالب والزباد والزرافات وأمثالها، بل هو بالخشب التي تكون كذلك أخص. ومنها تنحت الموائد والقعاب والمشارب وأمثالها بأرض الترك». وشجر الخلنج مما أخذت الفارسية عن العربية، كما يفهم من إشارة استينجاس 472، وفي الفارسية «خلنج» و«خلنگ» بمعنى متعدد الألوان. وهذا ما يظن فيه أخذ العربية عن الفارسية، وإن صرح اللسان والمعرب بأن شجر الخلنج فارسي معرب.
- (5) ل: «في الفأرة البيضاء».
- (6) هذه تكملة للقصيدة التي سبق لها بعض أبياتها في ص 159-160.
- (7) الخبعن، أراد به السنور. وإنما الخبعن الأسد. والمتبهنس: المتبختر. والخطف، بفتح فكسر: وصف من الخطف، بضم ويضمين، وهو الضمر. والمعروف من ذلك الوصف: أخطف ومخطوف ومخطف. ط، هـ: «خلف المؤخر» تحريف. والتصدير: أصله حزام البعير. أراد به موضع الحزام.
- (8) يقال فر الدابة يفرها بالضم: كشف عن أسنانها. فأراد بالمفر هنا المصدر الميمي منه. والأغضف من الأسد: ما استرخى جفنه الأعلى على عينه، يكون ذلك من الغضب والكبر، ويقال الغضف في الأسد كثرة أوبارها وتثنى جلودها. والأعصل من الأنياب: المعوج الشديد. فيما عدل: «أغضل»، تحريف. وفي ط: «من كل» بدل: «عن كل» تحريف. والهصور: من الهصر، وهو الكسر.
- (9) الغبشة: ظلمة آخر الليل. ش: «غبسة». والغبشة: الظلمة. والتممير، سبق القول فيه التنبيه الثاني، فيما عدل: «سهب على سهميه بالتممير»، لكن في هـ: «سهمين» تحريف.
- (10) يختص: أي يختص لطعامه وافتراسه. والسليل: الولد والنجل. سابق غاية: أي يسبق إلى الغاية. وقد عني الحمام الذي دعا عليه. وانظر (3: 124). مخبور: من خبره يخبره: امتحنه. ط: «مجبور» تحريف. ل: «مجبور». والمجبور: المكرم إكراماً يبالغ فيه. وأثبت ما في ش، هـ.

(فزع الناقة من الهر)

وإذا وصفوا الناقة بأنها رُواعٌ⁽¹⁾ شديدة التفزع، لفرط نشاطها ومَرَحِهَا، وصفوها⁽²⁾ بأن هرا قد تَيَّبَ في دَفِّهَا⁽³⁾. وأكثر ما يذكرون في ذلك الهر؛ لأنه يجمعُ العضَّ بالناب⁽⁴⁾، والخمشَ بالمخالب⁽⁵⁾. وليس كل سَبُعٍ كذلك. وقال ضابئ بن الحارث⁽⁶⁾:

بأدماء حُرْجُوج ترى تحت غَرَزِهَا تهاويل هِرَّ أو تهاويل أخيل⁽⁷⁾
وقال أوس بن حَجَر:

كأن هراً جنياً تحت مَغْرِضِهَا والتفَّ ديكٌ برجليها وخنزير⁽⁸⁾
وقال عنتره:

وكأنما ينأى بجانب دَفِّهَا الـ وَحْشِيٍّ من هَزَجِ العَشِيِّ مُؤَوِّمٍ⁽⁹⁾
هَرٌّ جَنِيبٌ كلما عَطَفَتْ له غَضْبَى اتَّقَاهَا باليدين وبالفم
والفيلُ يَفْزَعُ من السَّوَرِ⁽¹⁰⁾ فزعا شديداً.

(1) رواع: وصف من الروع وهو الفزع. يقال ناقة رواع الفؤاد ورواعة: شهمة ذكية. وقد ضبطت بالضم في القاموس نصاً، وفي اللسان بالشكل. وهي ل مفتوحة الراء. فيما عدل: «رواعة» بالغين المعجمة، تصحيف.

(2) فيما عدل: «وصفوا».

(3) نيب: من التنيب، وهو العض بالناب. فيما عدل: «ثبت». والدف، بالفتح: الجنب.

(4) ل: «الهرة»، لأنها تجمع العض بالناب.

(5) الخمش: الحدثش. فيما عدل: «المحض» تحريف.

(6) هو ضابئ بن الحارث بن أوطاة البرجمي، أدرك النبي ﷺ، وجنى جنابة في زمن عثمان رضي الله عنه فحبسه، فجاء ابنه عمير فأراد الفتك بعثمان ثم جبن عنه، ثم لما قتل عثمان وثب عمير عليه، فكسر ضلعين من أضلاعه. انظر الإصابة 4200 والخزاة (4: 80 بولاق) والحيوان (1: 253).

(7) الحرجوج، بضم الحاء والجيم: الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. والغرز، بالفتح: هو للناقة مثل الحزام للفرس. والتهاويل: التصاوير والنقوش، وهي أيضاً: ما يهول به ويفزع، مفردة تهويل. والأخيل: طائر صغير أخضر وفي أجنحته سواد، ويسمى أيضاً: الشقراق: Roller، وهو مشؤوم، تقول العرب، «أشأم من أخيل». قال ثعلب: وهو يقع على دبر البعير، يقال إنه لا ينقر دبرة بعير إلا خزل ظهره. وإنما يتشاءمون به لذلك. فيما عدل: «أختلا» تصحيف.

(8) جنيباً: مجنوباً، جنب الدابة: قادها إلى جنبه. والمغرض: كالمحزم للفرس، موضع الحزام. فيما عدل: «خبيناً تحت محجرها» تحريف. وفيما عدل أيضاً: «برجليها» وأثبت ما في ل موافقاً ما سبق في (1: 199). ورواية الديوان: «تحت غرضتها» و: «بحقوقها». ورواية الموشح 86 والعمدة (2: 125): «عند غرضتها». وجعله ابن رشي من التشبيهات العقم. وانظر معاهد التنصيص (1: 47).

(9) الدف: الجنب. والوحشي: الجانب الأيمن، لأنه لا يركب منه الراكب، ولا يحلب الحالب. وعنى بهزج العشي الهر، لأن السنابير أكثر صياحها بالعشيات. والمؤوم: المشوه الخلق، أو العظيم الرأس. فيما عدل: «هرج». ه: «العسا» وفيما عدل أيضاً: «مورم»، وكل ذلك تحريف صوابه في ل والمعلقات.

(10) فيما عدل: «الهر».

(السنور في الهجاء)

ومما يقع في [باب] الهجاء، للسنور، قول عبد الله بن عمرو بن الوليد⁽¹⁾، في أم سعيد بنت خالد⁽²⁾:

وما السُّنورُ في نفسي [بأهل] لِغِرْزَانِ الخُمائلِ والِبِراقِ⁽³⁾
فطَلَّقَها فَلَسْتُ لها بأهل ولو أُعْطِيتَ هِنْدًا في الصَّدَاقِ⁽⁴⁾

(الرجم بالسنانير)

قال صاحب الكلب: ⁽⁵⁾ قالوا: ولما مات القصبي⁽⁶⁾ - وكان من موالي [بني] ربيعة بن حنظلة، وهو عمرو القصبي، ومات بالبصرة - رُجم بالسنانير الميَّنة. قال⁽⁷⁾: وقد صنعوا شبيهاً بذلك بخالد بن طليق⁽⁸⁾، حين زعم أهله أن ذلك كان عن تدبير محمد بن سليمان⁽⁹⁾.

وقالوا: ولم نر الناس رَمَوْا أحداً بالكلاب الميَّنة. والكلابُ أكثر من السنانير حيَّة وميَّنة. فليس ذلك إلا لأن السنانير أحقرُ عندهم وأنتن⁽¹⁰⁾.

(1) فيما عدل: «عمرو بن عبد الله بن الوليد».

(2) فيما عدل: «أم سعد بنت خالد».

(3) الخُمائل: جمع خميلة، وهي الموضع الكثير الشجر. والبراق، بالكسر، جمع برقة بالضم، وهي أرض ذات حجارة مختلفة الألوان. ل: «الحمايل» بوضع الحرف ح تحت الكلمة، ولم أر لها وجهاً. ط: «لعوباً بالخُمائل»، ش، هـ: «لعولاً الخُمائل» تحريفان.

(4) الصداق: المهر. فيما عدل: «هرا» تحريف. والهند والهنيدة: اسم للمائة من الإبل.

(5) هذه الجملة ساقطة من ل.

(6) فيما عدل: «عمرو القصبي». كما أن جملة: «وهو عمرو القصبي» ساقطة مما عدل.

(7) فيما عدل: «وقالوا».

(8) هو خالد بن طليق بن عمران بن حصين الخزاعي، ولاء المهدي قضاء البصرة سنة 166، بعد عزل عبيد الله بن الحسن العنبري، فلم يحمد ولايته. وهجاه ابن منذر هجاءً كثيراً، روى منه الجاحظ أربع مقطعات في البيان⁽²⁾:
(346) جاء في إحداها:

يا عجباً من خالد كيف لا يخطئ فينا مرة بالصواب

وقال ابن النديم: إنه كان أخبارياً، وكان من النسابين. انظر لسان الميزان (2: 229) وتاريخ الطبري (10: 2، 8).

(9) ط، هـ: «حتى زعم» فيما عدل: «من تدبير». وكان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله الهاشمي أمير البصرة، ولاء المنصور ثم عزله عنها وولاه الكوفة، ثم ولاء المهدي ثم عزله، ثم أعاده الهادي، وأقره الرشيد إلى أن مات سنة ثلاث وسبعين ومائة انظر ص 141 من هذا الجزء وتاريخ بغداد 2795.

(10) فيما عدل: «وليس ذلك» ش، هـ: «إلا أن السنانير».

(استطراد لغوي)

قال: ويقال للجرذان العُضْلان⁽¹⁾. وأولادُ الفأرِ أدراص، والواحد دِرْص. وكذلك أولاد⁽²⁾ اليرابيع. يقال⁽³⁾: أدراص ودُروص. وقال أوسُ بن حَجَر:

[وودَّ أبو ليلي طفيل بن مالك بمنعرج السُوبان لو يتقصَّع⁽⁴⁾

قال: واليرابيع: ضربٌ من الفأر. قال: ويقال: نفَّق اليربوع نفقاً تنفيقاً: إذا عمل النافقاء، وهي إحدى مجاهره، ومحافره. وهي النافقاء والقاصعاء، والدَّامَاء، والراهطاء. وقال الشاعر:]

فما أمُّ الرُّدين وإن أدَّلت بعالمية بأخلاق الكرام⁽⁵⁾
إذا الشيطانُ قصَّع في قفاهَا تنفَّقناه بالحبل الثُّؤام⁽⁶⁾

فإذا طَلِبَ من [إحدى] هذه الحفائر نافق، أي فخرج النافقاء⁽⁷⁾، وإن طَلِبَ من النافقاء قصَّع. ويقال: أنفقته إنفاقاً: إذا صاح به حتى يخرج. ونَفَّقَ هو: إذا خَرَجَ من النافقاء⁽⁸⁾.

(احتيال اليربوع)

وفي احتيال اليرابيع بالنافقاء، والقاصعاء، والدَّامَاء والراهطاء، وفي جَمْعها التراب على نفس باب الجُحر، وفي تقدمها بالحيلة⁽⁹⁾ والحراسة، وفي تغليطها لمن أرادها، والتَّورية بشيء عن شيء، وفي معرفتها باب الخديعة⁽¹⁰⁾، وكيف تُوهِم عدُوها خلاف ما هي عليه، ثم

(1) العضلان، بالكسر: جمع عضل. والعضل بالتحريك: الجرذ، أو ذكر الفأر. ط، هـ: «الغطلان» ش:

«الغطلان»، صوابه في ل.

(2) فيما عدا ل: «ولأولاد».

(3) فيما عدا ل: «يقال لها».

(4) يتقصع: أراد يختفي، وأصله من تقصع اليربوع، وهو أن يدخل في قاصعائه. والبيت في ديوان أوس من قصيدة مطلعها:

ألم تر أن الله أرسل مزنة وعفر الظباء في الكناس تقمع

(5) ط فقط: «فما أم الدرين وقد أدلت». والبيتان في اللسان (237: 12) والثاني منهما في (148: 10).

(6) قصع، أصله من قصع الضب: دخل في قاصعائه. تنفَّقناه: استخرجناه، كما يستخرج اليربوع من نافقائه. والثؤام: المزدوجات، جمع ثؤام، وهو من الجمع العزيز. ل: «بالحيل» تحريف صوابه في سائر النسخ والحيوان 6: 255 واللسان.

(7) ط، هـ: «فيخرج» ش: «يخرج». وأثبت ما في ل.

(8) يقال. نفَّق ونفق وانتفق ونَفَّق: خرج من النافقاء.

(9) ل: «في الحيلة».

(10) فيما عدا ل: «بيان الخديعة»، تحريف.

في وطنها على زمعاتها⁽¹⁾، في السهولة وفي الأرض اللينة، كي لا يعرف أثرها الذي يقتضيه⁽²⁾، وفي استعمالها [واستعمال⁽³⁾] بعض ما يقاربها في الحيلة التوبيير⁽⁴⁾ - والتوبيير: الوطء على مآخير أكفها⁽⁵⁾ - العجب العجيب⁽⁶⁾.

(أنفاق الزباء)

وزعم أبو عقيل بن درُست⁽⁷⁾، وشَدَّادُ الحارثي⁽⁸⁾، وحسين الزهري أن الزباء الرومية⁽⁹⁾ إنما عملت تلك الأنفاق التي ذكرها [الشاعر⁽¹⁰⁾] فقال⁽¹¹⁾:

أقام لها على الأنفاق عمرو ولم تشعر بأن لها كميناً⁽¹¹⁾

- (1) الزمعات: الشعرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة والطبي والأرنب.
- (2) فيما عدل: «لثلا». واقتص الأثر وقصه: تتبعه. فيما عدل: «يقصه».
- (3) هذه من ل، هـ.
- (4) فيما عدل: «بعض ما يقال له في الحيلة التوبيير» تحريف.
- (5) فيماعدل: «التوبيير للوطء على مؤخر أنفها» تحريف عجيب. وقد أوضح الزمخشري اشتقاق التوبيير، فقال في حديث عبد الرحمن يوم الشورى: «لا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوبروا آثاركم»: هو من توبيير الأرنب، مشيها على وبر قوائمها لثلا يقتص أثرها. انظر اللسان (7: 133).
- (6) هذا المبتدأ الموصوف تقدم خبره في قوله: «وفي احتيال البراييع».
- (7) درست، بضم الدال والراء. وأبو عقيل، له أخبار في البيان والتبيين.
- (8) شداد الحارثي، ذكره الجاحظ في أول كتاب فخر السودان ص 54 من رسائله طبع الساسي، قال: «وقال شداد الحارثي وكان خطيباً عالماً: قلت لأمة سوداء بالبادية لمن أنت يا سوداء؟ قالت: لسيد الحضري يا أصلع! قال: قلت: أو لست سوداء؟ قالت: أولست أصلع؟ قلت: ما أغضبك من الحق؟ قالت: الحق أغضبك! لا تشتم حتى ترهب. . . ولأن تتركه أمثل!». وفي البيان (2: 71) أنه كان يكنى أبا عبيد الله. وساق الخبر المتقدم برواية مقاربة.
- (9) كذا. وأغلب القول أنها عربية. وهي الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العملي. انظر ابن الأثير (1: 198) والطبري (2: 31-36) والمسعودي (1: 290). وقال المسعودي: «وقال بعضهم: بل كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية». وفي المخصص (15: 126) «وربّي مشدد مقصور: اسم الملكة الرومية صاحبة قصير. وربّي أيضاً امرأة من بني قيس». وفي ثمار القلوب 248: «هي امرأة من العماليق وأمها من الروم، ملكة الجزيرة وعظم شأنها فكانت تغزو بالجوش». وفي أمثال الميداني: «أعز من الزباء، هي امرأة من العماليق وأمها من الروم وكانت ملكة الحيرة». ففي هذين النصين ما يكشف السر في نسبتها إلى الروم. وانظر دائرة المعارف الإسلامية مادة (تدمر).

(10) هو عدي بن زيد العبادي، من قصيدة له طويلة. انظر بلوغ الأرب (2: 183).

(11) على الأنفاق، أي على أنفاقها التي عملتها. فيما عدل: «أقام به. . . ولم يشعر» تحريف. والرواية في بلوغ الأرب:

ودس لها على الأنفاق عمراً بشكته وما خشيت كميناً

وعمره هذا هو عمرو بن عدي، المطالب بثار خاله جذيمة، وكان عمرو قد صار إلى الزباء في ألفي دارع على ألف بعير في جوالق، بحيلة دبرها «قصير» الذي جدع أنفه احتيلاً، وصانع الزباء حتى وثقت به وأطلعت على سر أنفاقها، فلما دخلت الإبل مدينة الزباء ثاروا بأهلها ضرباً بالسيف، فهربت تريد السرب، فوجدت عمرو بن عدي على باب النفق فتلقاها فجعلها بالسيف. وقيل: بل وجدت «قصيراً» قائماً عنده بالسيف، فانصرفت راجعة، واستقبلها عمرو فضربها. وقيل: بل مصت خاتمها وقالت: بيدي لا بيد عمرو! انظر قصة الزباء في كامل ابن الأثير (1: 198-201) والطبري (2: 31-36) والمسعودي. وفي شرح المقامات للشريشي (7: 2) أن مقتل والد الزباء كان عند بعث عيسى عليه السلام.

- على تدبير اليرابيع في محافيرها هذه ⁽¹⁾، ومخارجها التي أعدتها ومدخلها، على قدر ما يَفْجُوها من الأمر ⁽²⁾.
وأنا أهل ثُبَّت ⁽³⁾ والرُّوم، إنما استخرجوا الاحتيال بالأنفاق ⁽⁴⁾ والمطامير والمخارق ⁽⁵⁾ على تدبير اليرابيع.

(اشتقاق المنافق)

وإنما سَمَّى الله عز وجل الكافر في باطنه المورِّي بالإيمان، والمستتر ⁽⁶⁾ بخلاف ما يُسِرّ- بالمنافق، على النافقاء والفاصعاء، وعلى تدبير اليربوع في التورية بشيء عن شيء. قال الشاعر:

إذا الشيطان قَصَّعَ في قَفَاها تنفَّقناه بالحَبْلِ التَّوَامِ ⁽⁷⁾
وهذا الاسم لم يكن في الجاهلية [لمن عمل] بهذا العمل. ولكن الله عز وجل اشتق لهم هذا الاسم من هذا الأصل.

(كلمات إسلامية)

وقد علمنا أن قولهم لمن لم يُحْجَّ: «صُرورة»، ولمن أدرك الجاهلية والإسلام: «مخضرم»، وقولهم [وتسميتهم] لكتاب الله: «قرآنًا ⁽⁸⁾» [«فرقانًا»]، وتسميتهم للتمسح ⁽⁹⁾ بالتراب: «التيَّم»، وتسميتهم للقاذف «بفاسق ⁽¹⁰⁾»- أن ذلك لم يكن في الجاهلية.

وإذا كان للنابعة أن يتدعى الأسماء على الاشتقاق من أصل اللغة كقوله:

- (1) ل: «في محافيرها» مع حذف «هذه».
 - (2) الجار والمجرور ساقط من ط، هـ. وفي ش: «من الأمور» وأثبت ما في ل.
 - (3) ثبت: بلاد بالصين. ط، هـ: «بيت الفرس» صوابه في ل، ش.
 - (4) الأنفاق: جمع نفق، وهذه الكلمة ثابتة في ل، ش فقط.
 - (5) المطامير، سبق الحديث عنها في 74، والمخارق، كذا وردت بالقاف.
 - (6) ل: «التستر».
 - (7) سبق هذا البيت في ص 187، ما عدا ط: «بالحيل»، تحريف.
 - (8) كلمة: «وقولهم» ليست في ل. وبدلها: «وتسميتهم»، وهذه الأخيرة ثابتة أيضاً في ش. وفيما عدل: «قرآن».
 - (9) فيما عدل: «للمسح».
 - (10) القاذف: من يقذف الحصن أو المحصنة وينسبهما إلى الزنى صريحاً أو دلالة. وإطلاق لفظ (الفاسق) عليه ما هو فهمه من قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَالِجُنُودُهُمْ ثَمَانِينَ جَلَدًا وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 4]، وفي اللسان: «قال ابن الأعرابي: لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم: فاسق».
- وانظر ما سبق في (1: 230-232).

والتَّوَيُّ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ^(١)

وحتى اجتمعت العرب^(٢) على تصويبه، وعلى اتباع أثره، وعلى أنها لغة عربية - فالله الذي له أصل اللغة أحق بذلك.

(شعر شَمَاحٍ فِي الزَّمُوعِ)

وذكر شَمَاحُ بْنُ ضَرَارِ الزَّمُوعِ^(٣)، وكيف تطأ الأرنبُ على زَمَعَاتِهَا لتَغَالِطِ الْكِلَابِ وَجَمِيعٍ مَا يَطَالِبُهَا - فذكر بديئاً^(٤) شَانَ الْعَيْرِ وَالْعَانَةِ، فقال:

إِذَا مَا اسْتَأْفَهْنَ ضَرْبَنَ مِنْهُ مَكَانَ الرُّمَحِ مِنْ أَنْفِ الْقَدُوعِ^(٥)
وَقَدْ جَعَلَتْ ضَغَائِهِنَّ تَبْدُو بِمَا قَدْ كَانَ نَالَ بِلَا شَفِيعِ^(٦)
مُدَلَّاتٍ، يُرِدْنَ النَّأْيَ مِنْهُ وَهُنَّ بَعِينَ مُزْتَقِبِ تَبُوعِ

ثم أخذ في صفة العقاب، وصار إلى صفة الأرنب^(٧) فقال:

كَأَنَّ مُتَوْنَهُنَّ مَوْلِيَاتٍ عَصِيَّ جَنَاحِ طَالِبَةِ لَمُوعِ^(٨)
قَلِيلًا مَا تَرِيثُ إِذَا اسْتَفَادَتْ غَرِيضَ اللَّحْمِ عَنْ ضَرَمِ جَزُوعِ^(٩)
ثم قال:

(١) صدره: «إلا الأواري لأيا ما أبينها». والمظلومة: الأرض يعمل فيها حوض وليست موضعاً للحياض. وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

(٢) ل: «أجمعت العرب».

(٣) الزموع، بالفتح: التي تمشي على زمعتها إذا دنت من موضعها لئلا يقتض أثرها. فيما عدل: «اليربوع» محرف.

(٤) بديئاً: أولاً. وفي، ط، هـ: «بدءاً»، في ش: «بدا».

(٥) استأفهن: شمن، يعني الحمار. والقُدُوع: الذي يقدع ويرد بالرمح، وهو الفحل إذا قرب من الناقة ليقع عليها فيضربون أنفه بالرمح أو غيره ويحمل عليها غيره. ل، ط: «استأفهن»، ش، هـ: «اشتأفهن» صوابه ما أثبت من الديوان 60 والأمال (1: 107) واللسان (11: 66 و 10: 132) وفيما عدل: «في أنف» صوابه في ل وسائر المصادر.

(٦) أي صارت أحقاد هذه الأتئن تبدو وتظهر، فقد كن يمكنه أول الأمر بلا شفيع، فلما حملن منه أبدين هذه الضغائن التي كن يخبأنها. ل: «ظعنائهن» تحريف.

(٧) فيما عدل: «الأرناب».

(٨) المتون: جمع متن، وهو الظهر. موليّات: مدبرات. والعصى: العظام التي في الجناح. اللسان (19: 297) س(6). طالبة: تطلب الصيد، عنى بها العقاب. والمموع: التي تلمع بجناحيها: أي تحركهما في الطيران، وتخفق بهما، ويقال لجناحي الطائر ملمعاه. جعل لسرعة هذه الأتئن مثلاً من سرعة العقاب.

(٩) تريث: تبطئ، أي قليلاً إبطاؤها، فيما عدل: «قليل». واللحم الغريض: الطري. والضرم، بالكسر، وبفتح فكسر: فرخ العقاب، هاتان عن اللحياني. والضرم، كفرح: الشديد الجوع. أراد: قليلاً ما تبطئ هذه العقاب عن فرخها إذا حصلت على هذا الطعام، فهي تسرع إليه إسراعاً. هـ، ش: «استقادت» هـ: «عريض» ل: «صرم» محرفات.

فَمَا تَنْفَكُ بَيْنَ عَوِيرِضَاتٍ تَجْرُ بِرَأْسِ عَكْرِشَةٍ زُمُوعٍ⁽¹⁾
 تَطَارِدُ سَيْدَ صَارَاتٍ، وَيَوْمًا عَلَى خِزَانِ قَارَاتِ الْجُمُوعِ⁽²⁾
 تَلُودُ ثَعَالِبُ الشَّرَفَيْنِ مِنْهَا كَمَا لَأَدَّ الْغَرِيمُ مِنَ التَّبِيعِ⁽³⁾
 نَمَاهَا الْعِزُّ فِي قَطْنٍ، نَمَاهَا إِلَى فَرَخَيْنِ فِي وَكْرِ رَفِيعٍ⁽⁴⁾
 تَرَى قِطْعًا مِنَ الْأَخْنَاشِ فِيهَا جَمَاعِمُهُنَّ كَالْخِشْلِ النَّزِيعِ⁽⁵⁾
 وَالزَّمُوعُ: الَّتِي تَمْشِي عَلَى زَمَعَاتِهَا: مَآخِرِ رِجْلَيْهَا⁽⁶⁾.

قال أبو المفضل⁽⁷⁾: تَوَبَّرَ⁽⁸⁾ بِيَدَيْهَا، وَتَمْشِي عَلَى زَمَعَاتِهَا عَلَى رِجْلَيْهَا⁽⁹⁾، وَهِيَ مَوَاضِعُ الثَّنَنِ⁽¹⁰⁾ مِنَ الدَّوَابِّ، وَالزَّمْعُ الْمَعْلَقُ خَلْفَ الظِّلْفِ مِنَ الشَّاةِ وَالظَّبْيِ [وَالثَّوْر]. قَالَ: وَكُلُّ ذَلِكَ تَوَبِيرٌ⁽¹¹⁾. وَهُوَ أَنْ تَطَأَ عَلَى مَآخِرِ⁽¹²⁾ قَوَائِمِهَا، كَيْ لَا يَعْرِفَ أَثَرَهَا إِنْسَانٌ وَلَا كَلْبٌ.

- (1) عَوِيرِضَاتٍ: مَوْضِعٌ. وَالْعَكْرِشَةُ: الْأَرْنَبُ الضَّخْمَةُ، أَوِ الْأَثْنَى. وَالزَّمُوعُ: سَيْفِسْرُهَا الْجَاحِظُ. يَقُولُ: مَا تَنْفَكُ تَصِيدُ الْأَرْنَابَ.
- (2) السَّيْدُ، بِالْكَسْرِ: الذَّنْبُ، وَصَارَاتٍ: اسْمُ جَبَلٍ، وَالْخِزَانُ بِالْكَسْرِ جَمْعُ خَزَزٍ، كَصَرْدٍ، وَهُوَ الذَّكَرُ مِنَ الْأَرْنَابِ. وَفِي ط، هـ: «خِرَان»، صَوَابُهُ فِي ل، ش. وَفِي الدِّيَوَانِ: «حِزَان» جَمْعُ حَزِيزٍ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْغَلِيظُ الْكَثِيرُ الْحِجَارَةِ. وَالْقَارَاتُ: جَمْعُ قَارَةٍ، وَهِيَ الْجَبِيلُ الصَّغِيرُ. وَفِي الْأَصْلِ: «فَارَات» صَوَابُهُ فِي الدِّيَوَانِ. وَفِيمَا عَدَا ل: «خَمُوع» صَوَابُهُ فِي ل، وَالدِّيَوَانُ وَالْجُمُوعُ: الْجَمَاعَاتُ.
- (3) الشَّرَفَيْنِ: يَرَادُ بِهِمَا الشَّرَفُ وَالشَّرِيفُ: مَوْضِعَانِ بَنَجْدٍ، كَمَا فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ 769، ل، ش، هـ: «الشَّرَفَيْنِ» بِالْقَافِ، صَوَابُهُ فِي ط وَالدِّيَوَانِ وَمَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ وَفِي الْأَصْلِ: «مِنْهُ» صَوَابُهُ فِي الدِّيَوَانِ وَالْمَعْجَمِ. وَالْغَرِيمُ: الَّذِي عَلَيْهِ الدِّينُ. وَالتَّبِيعُ: صَاحِبُ الدِّينِ. هـ: «الْقَرِيم» مُحَرَفٌ.
- (4) نَمَاهَا: رَفَعَهَا. ط، هـ: «الْعَرُ» صَوَابُهُ فِي ل، ش وَالدِّيَوَانِ.
- (5) الْخِشْلُ، فَسْرُهُ الْجَاحِظُ فِيمَا يَلِي بِأَنَّهُ الْمُقْلُ السَّخِيفُ الْيَاسِ الْخَفِيفُ، وَفَسْرُ فِي اللِّسَانِ (218: 13) بِأَنَّهُ مَا تَكْسِرُ مِنْ رُؤُوسِ الْحَلِيِّ وَأَطْرَافِهِ. وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ. فِيمَا عَدَا ل: «كَالْحِشْلِ» صَوَابُهُ فِي ل وَالدِّيَوَانِ وَاللِّسَانِ. النَّزِيعُ: الْمَنْزُوعُ. هـ، ش: «الزَّبِيع» تَحْرِيفٌ.
- (6) مَآخِرِ: جَمْعُ مَوْخِرٍ. فِيمَا عَدَا ل: «بِمَوْخِرٍ» وَفِي ش فَقَطُ: «بِرِجْلَيْهَا».
- (7) أَبُو الْمُفْضِلُ الْعَنْبَرِيُّ، يَبْدُو أَنَّهُ أَحَدُ أَوْلَئِكَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ كَانُوا يَرُدُّونَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَيُرَوِّى عَنْهُمْ الْعُلَمَاءُ. فَقَدْ رَوَى الْجَاحِظُ مِنْ خَبَرِهِ فِي الْبَيَانِ (221: 2) أَنَّهُ أَمَّا الْفَضْلُ الْعَنْبَرِيُّ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ بَشِيرٍ: إِنِّي التَّقَطْتُ كِتَابًا مِنَ الطَّرِيقِ فَأَنْبَتُ أَنْ فِيهِ شَعْرًا أَفْتَرِيدهُ حَتَّى آتَيْكَ بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنْ كَانَ مُقِيدًا! قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَمَقِيدٌ أَمْ مَغُولٌ؟ وَقَدْ رَوَى الْجَاحِظُ هَذَا الْخَبَرَ أَيْضًا فِي الْبَيَانِ (163: 1) وَأَوَّلُهُ: «وَسَمِعْتُ ابْنَ بَشِيرٍ وَقَالَ لَهُ الْمُفْضِلُ الْعَنْبَرِيُّ...» قَالَ الْجَاحِظُ مُعَقَّبًا: «وَلَوْ عَرَفَ التَّقْيِيدَ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى رِوَايَتِهِ» وَقَدْ عَنَى أَنَّ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيَّ لَوْ عَرَفَ مَعْنَى التَّقْيِيدِ الْإِصْطِلَاحِيَّ، وَهُوَ الْإِعْجَامُ وَالضَّبْطُ، لَكَانَ جَدِيرًا أَنْ تَسْقُطَ رِوَايَتُهُ، لَمَّا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى مَخَالَطَتِهِ أَهْلَ الْحَاضِرَةِ. فَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْبَيَانِ مَرَّةً بِرِسْمِ «أَبِي الْفَضْلِ الْعَنْبَرِيِّ» وَمَرَّةً بِرِسْمِ «الْمُفْضِلِ الْعَنْبَرِيِّ». ط، هـ: «أَبُو الْفَضْلِ» وَأَثْبَتَ مَا فِي ل. وَالكَلَامُ مِنْ: «وَقَالَ» إِلَى: «قَالَ» التَّالِيَةِ سَاقِطٌ مِنْ ش.

(8) ط، هـ: تَوَتَّرَ، صَوَابُهُ فِي ل.

(9) ط، هـ: «بِرِجْلَيْهَا».

(10) الثَّنَنُ، بَنُوْنَيْنِ فِي آخِرِهِ: جَمْعُ ثَنَةٍ، كَقَوَّةٍ، وَهِيَ شَعْرَاتٌ مَدْلَاةٌ مُشْرِفَاتٌ فِي مَوْخِرَةِ الْحَافِرِ. ط، هـ: «الْأَنْس» وَفِي ل: «الْثَّنَن»، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ.

(11) ط، هـ: «تَوَتَّرَ»، صَوَابُهُ فِي ل.

(12) ط، هـ: «مَوْخِرٌ»، وَأَثْبَتَ مَا فِي ل.

وذكر أنها تطارد ذئباً مرةً، وخزناً مرةً، وهو الذكر من الأرانب؛ والعكرشة: الأنثى⁽¹⁾، والخزق: ولدها. فإذا قلت أرنب أو عقاب فليس إلا التأنيث. تقول⁽²⁾: هذه العقاب، وهذه الأرنب، إلا أن تقول: خزز⁽³⁾.

وقطن: جبل معروف. والأحناش: الحيات. وأحناش الأرض: الضب، والقنفذ، واليربوع، وهي أيضاً حشرات الأرض. فجعل الحية حنثاً على قولهم: «قد آذنتني دوابٌ رأسي»، يعنون القمل؛ وعلى قوله تعالى: ﴿مَادَهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِمْ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُمْ﴾ [سبا: 14]⁽⁴⁾.

قال أبو المفضل⁽⁵⁾ [العنبري]: ما أراد إلا الحيات بأعيانها في هذا الموضع، فإن العقبان أسرع إلى أكل الحيات، من الحيات إلى أكل الفأر. ويدل على أنه إنما أراد رؤوس الحيات بأعيانها، قوله:

تَرَى قِطْعاً مِنَ الْأَحْنَاشِ فِيهَا جَمَاعُْمُهُنَّ كَالْخَشَلِ النَّزِيعِ⁽⁶⁾
لأن رؤوس الحيات سخيصة، قليلة اللحم والعظام⁽⁷⁾. فلذلك شبهها بالخشل النزيع⁽⁸⁾.
والخشل: المقل السخيف اليابس الخفيف.

(شعر فيه ذكر المقل والحتي)

قال خلف الأحمر:

سَفَى حُجَّاجَنَا نَوْءَ الثُّرَيَّا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَطلٍ وَبُخْلٍ⁽⁹⁾
هُمْ جَمَعُوا النَّعَالَ فَأَحْرَزُوهَا وَسَدُّوا دُونَهَا بَاباً بِقُفْلٍ⁽¹⁰⁾
إِذَا أَهْدَيْتُ فَاكْهَةً وَشَاةً وَعَشَرَ دَجَائِحَ بَعَثُوا بِنَعْلٍ⁽¹¹⁾

(1) ل: «والأنثى عكرشة».

(2) ط، ه: «وتقول» بزيادة واو.

(3) يؤيد أن «الخز» مذكر. ل: «الخززة» تحريف.

(4) المنسأة: العصا. ودابة الأرض، هي الأرضة.

(5) فيما عدل: «أبو الفضل» وأثبت ما في ل. وانظر التنبيه السابع من الصفحة السابقة.

(6) انظر الكلام على هذا البيت في ص 191 فيما عدل: «كالخشل» تحريف.

(7) ط فقط: «والعظم».

(8) فيما عدل «بالخشل» كما أن كلمة «الخشل» التالية جاءت بالحاء والسين فيما عدل. وهو تحريف.

(9) هذه الأبيات رواها الجاحظ في البيان (3: 111) وابن قتيبة في عيون الأخبار (3: 38). والنوء: المطر الذي ينزل موافقاً لسقوط نجم في المغرب مع الفجر وطلوع نجم آخر يقابله في المشرق. والثريا غزيرة النوء. وفي اللسان:

«والثريا من الكواكب، سميت لغزارة نوءها». في عيون الأخبار: «من بخل ومطل».

(10) ط فق: «البغال» صوابه في سائر المصادر. وفيما عدل والبيان: «وأحزوها» بالواو.

(11) في عيون الأخبار: «فإن أهديت فاكهة وجديا».

وَمُسَوَّاكَيْنِ طَوْلُهُمَا ذِرَاعٌ وَعَشْرَ مِنْ رَدْيِ الْمُقْلِ خَشَلٌ (1)
 فَإِنْ أَهْدَيْتُ ذَاكَ لِيَحْمِلُونِي عَلَى نَعْلٍ فَدَقَّ اللَّهُ رِجْلِي (2)
 أَنْاسُ تَائِهُونَ، لَهُمْ رُوءٌ تَغِيمُ سَمَاؤَهُمْ مِنْ غَيْرِ وَبَل (3)
 إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرُّ مِنْ قَرِيشٍ وَلَكِنَّ الْفَعَالَ فَعَالٌ عُكْلٌ (4)
 وَالْحَتَّى، الْمُقْلُ عَلَى وَجْهِهِ (5). وقال أبو ذؤيب (6):

لَا دَرَّ دَرِّي إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ قَرَفَ الْحَتَّى وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزٌ (7)

باب آخر ما للسنور فيه فضيلة (8) على جميع أصناف الحيوان ما خلا الإنسان

وإذا قال القائل: فلان وضع كتاباً في أصناف الحيوان - فليس يدخل فيها الملائكة والجن. وعلى هذا كلام الناس.

وللحيوان موضع آخر، وهو قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَلَا يَكُ الذَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: 64] (9).

(1) ردي: مسهل رديء، الأخيرة رواية ابن قتيبة، والمقل: ثمر الدوم. والخشل: فسره الجاحظ فيما سبق. وحكى ابن بري عن أبي عمر الزاهد وابن خالويه وابن فارس وغيرهم، في الخشل المقل، أنه بالإسكان لا غير، وأن ما ورد منه محرراً فهو على جهة الضرورة، كبيت الكميث وكبيت الشماخ الذي سبق في 191، اللسان (13: 218). فيما عدل: «حسل» تحريف.

(2) الدق: الكسر والرض، ط، هـ: «أدق» ش: «أحق»، صوابه في ل وسائر المصادر.
 (3) تائهن، من التيه، وهو الكبر. والرواء: حسن المنظر في البهاء والجمال، وهو من الرؤية. والوبل: المطر الغزير. وهذا البيت ساقط من ل، ولم يرو في البيان.
 (4) عكل: قبيل فيهم غباوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق: عكلي. اللسان (13: 494-495). والتعقيب التالي والبيت بعده ساقطان من ل.

(5) في اللسان: «الحتي، على فاعيل: سوق المقل، وقيل رديته، وقيل يابسه»، وأنشد البيت التالي.
 (6) روي في أشعار الهذليين (2: 87) منسوباً إلى المتنخل الهذلي، وكذلك نسب إلى المتنخل في البيان (1: 32) وجمهرة ابن دريد (1: 27).

(7) في أشعار الهذليين واللسان وجمهرة الأمثال للعسكري 179: «نازلكم». وفي جمهرة ابن دريد (1: 27، 2: 6): «رائدهم». وفي اللسان (5: 365): «نازلهم» كما هنا. قال العسكري: «ويقولون عند المدح لله درفلان، وعند الذم لا در دره. ومعنى قولهم لا در دره، أي لا كان له خير يدر على الناس». والقرف، بالكسر: ما قرف، يعني قشره. وفي الأصل: «مكنون» صوابه في الهذليين واللسان والبيان وجمهرة ابن دريد وجمهرة الأمثال. والبيت أول أبيات زائية عددها 11 بيتاً، وبعدها:

لو أنه جاءني جوعان مهتلك من يؤس الناس عنه الخير محجوز

والبؤس فيه جمع بائس، كراوع وركع. شرح شواهد الشافية للبغدادي 479.

(8) فيما عدل: «فضيلته». وكلمة: «أصناف» التالية ساقطة من ل.

(9) الحيوان، في الآية الكريمة: مصدر كالحياة.

قد علمنا أن العُجم من السباع والبهائم، كلما قُرِبَت من مُشاكَلَة الناس، كان أشرف [لها]. والإنسان هو الفصيح وهو الناطق.

(إطلاق الناطق على الحيوان)

وقد يشتقون لسائر الحيوان الذي يُصَوِّت ويصيح⁽¹⁾، اسم الناطق إذا قرنوه في الذكر إلى الصامت. ولهذا الفرق أعطوه هذه المشاكَلَة، وهذا الاشتقاق. فإذا تهيأ من لسان بعضها من الحروف مقدارٌ يُفْضَلُ به⁽²⁾ على مقادير الأصناف الباقية، كان أولى بهذا الاسم عندهم. فلما تهيأ للقطاة ثلاثة أحرف. قاف، وطاء، وألف، وكان⁽³⁾ ذلك هو صوتها، سمّوها بصوتها، ثم زعموا أنها صادقة في تسميتها نفسها قُطا. قال الكميت:

كالناطقات الصادقا بِ الواسقاتِ مِنَ الذَّخائر⁽⁴⁾
وقال الآخر⁽⁵⁾ وذَكَرَ القطاة⁽⁶⁾:

وصادقة قد خَبَرْتُ، ما بَعَثْتُها طُرُوقاً، وباقي الليل في الأرض مُسَدِّفٌ⁽⁷⁾
فجعلها مُخبِرة، و[جعل] خبرها صدقاً، حين زعمت أنها قُطا؛ وإن كانت القطاة لم تَرَمْ ذلك⁽⁸⁾.

والعرب تتوسع في كلامها. وبأي شيء تفاهم الناس فهو بيان، إلا أن بعضه أحسن من بعض.

والذي تهيأ للشاة قولها: ما، و[لذلك] قال ذو الرُّمة:

لا يرفعُ الصَّوْتُ إلا ما تَخَوَّنَه داع يناديه باسم (الماء) مَبْغُومٌ⁽⁹⁾
وقال أبو عباد النُميري لخربق العُميري⁽¹⁰⁾، وكان يتعسَّقه⁽¹¹⁾ ورآه قد اشترى أُضْحِيَّةً، فقال:

-
- (1) فيما عدل: «التي تصوت وتصيح». (2) ط، هـ: «مقدار ما تفضل به».
- (3) فيما عدل: «فكان».
- (4) هـ: «كأن طقات» ط: «كأن الناطقات»، صوابه في ل، س والعمدة (2: 23). الواسقات: الجامعات.
- (5) هو الفرزدق، كما في اللسان (عشش). وليس في ديوانه.
- (6) ل، ط، هـ: «في ذكر القطاة».
- (7) طروقاً: ليلاً. وفي اللسان (87: 12): «وأنا فلان طروقاً إذا جاء بليل». مسدف: مظلم. ل: «قد تبعثها». وفيما عدل: «مسرف» تحريف.
- (8) رام الشيء يرومه: أرادته. ل: «لم ترد ذلك».
- (9) الرواية في الديوان واللسان (302: 16): «لا يرفع الطرف» أي العين. وفي الديوان 571 واللسان (8: 248 و14: 317 و20: 363): «لا ينعش الطرف» ينعش: يرفع. تخونه: تعهده. إنما وصف ولد طيبة أودعته خمرأ من الأرض، وهي ترتع بالقرب منه، وتتعهده بالنظر إليه، وتؤنسه ببغامها، فهو لا يرفع طرفه إلا أن يسمع صوت أمه تناديه. ط، ش: «تخوفه»، صوابه في ل، هـ وسائر المراجع. والماء: حكاية صوت الشاة، جعله للظبية.
- مبغوم: باغم، وضع مفعولاً موضع فاعل، بغمت الظبية: صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها.
- (10) ط، هـ: «لخوينق» ش: «لخرنيق» وأثبت ما في ل. و«العُميري» هو في ط فقط «العُمري».
- (11) فيما عدل: «يتعسفه»، تحريف.

يَا ذَابِحَ الْمَاهِ مَاهٍ فَعَلْتَ فَعْلَ الْجَفَاهِ⁽¹⁾
 أَمَّا رَحِمَتْ مِنَ الْمَوْتِ يَا خَرِيبَقُ شَاهِ⁽²⁾
 والصبيان هم الذين يسمون الشاة: مَاهِ⁽³⁾، كأنهم سموها بالذي سمعوه⁽⁴⁾ منها، حينَ
 جهلوا اسمها.
 وقيل لصبي يلعب على بابهم: مَنْ أَبُوكَ يَا غَلام؟ - وكان اسم أبيه كلباً- فقال: وَوُ⁽⁵⁾.

وزعم صاحبُ المنطق، أن كل طائر عريض اللسان، والإفصاح بحروف الكلام منه
 أَوْجَدَ⁽⁶⁾.

ولابن آوي صيَاحٌ يشبهُ صيَاحَ الصبيان، وكذلك الخنزير. وقد تهيأ للكلب مثلُ: عَفْ
 عَفْ، وَوُ وَوُ، وأشباه ذلك. وتهيأ للغراب القاف⁽⁷⁾. [وقد تهيأ للهازردستان⁽⁸⁾] - وهو
 العنديل - ألوان أخر⁽⁹⁾، و[قد] تهيأ للبيغاء من الحروف أكثر. فإذا صرَّت إلى السنانير وجدتْها
 قد تهيأ لها من الحروف العددُ الكثير، ومتى أَحَبَبَتْ أن تعرف ذلك فتسمع تجاؤب السنانير،
 وتوَعَّد بعضها لبعض في جوف الليل، ثم أَحَص ما تسمعه وتتبعه، وتَوَقَّفَ عنده، فإنك ترى
 من عدد الحروف ما لو كان لها⁽⁹⁾ من الحاجات والعقول والاستطاعات؛ ثم أَلْفَتْها لكانت⁽¹⁰⁾
 لغة صالحة الموضع⁽¹¹⁾، متوسّطة الحال.

(العلة في صعوبة بعض اللغات)

واللغة إنما تشتدُّ وتعسرُ على المتكلم بها؛ على قدر جهله بأمكانها التي وُضعت فيها،
 وعلى قدر كثرة العدد وقيلته، وعلى قدر مخارجها، وخفَّتْها وسَلَسَها، وثَقَلْها وتعقَّدْها في

(1) فيما عدل: «المامات» و«والجفاة».

(2) خريبق: تصغير خريق. ط، هـ: «خوينق» ش: «خرنيق» وأثبت ما في ل.

(3) وفيما عدل: «ماما».

(4) فيما عدل: «سمعوا».

(5) ورد هذا الخبر برواية الهيثم بن عدي في الحيوان (2: 96) والبيان (1: 64).

(6) أوجد: أكثر وجوداً. ط فقط: «أوجه» تحريف، في هـ، ش: «لحروف الكلام» تحريف. وفي البيان (1: 62) عن
 صاحب المنطق أنه زعم في كتاب الحيوان «أن الطائر، والسبع، والبهيمة، كلما كان لسان الواحد منها أعرض
 كان أفصح وأبين، وأحكى لما يلقن ولما يسمع».

(7) أي في قوله: غاق غاق. وهذه الجملة ساقطة من ل. وفي ش: «أساف» بدل «القاف» وفي هـ: «وتهيأ للغداف
 أساف» تحريف.

(8) هذه الكلمة الفارسية مركبة من «هزار» بمعنى ألف. و«دستان» بمعنى أغنية أو لحن. وذلك لأنه يغني ألحاناً
 كثيرة.

(9) فيما عدل، «ما إن كان بها».

(10) فيما عدل: «صارت».

(11) ش: «الوضع».

أنفسها، كفرق ما بين الزنجي والخوزي فإن الرجل يتنخس في بيع الزنج وابتئاعهم شهراً واحداً^(١) فيتكلم بعامة كلامهم، ويباع الخوز، ويجاورهم زماناً فلا يتعلّق منهم بطائل.

والجملة: أنّ من أعوان الأسباب على تعلّم اللغة^(٢) فرط الحاجة إلى ذلك. [وعلى قدر الضرورة إليها في المعاملة يكون البلوغ فيها، والتقصير عنها].

(مناسبة الهر للإنسان)

والسنور يناسب الإنسان في أمور^(٣): منها أنه يعطس، ومنها أنه يتشاءب، ومنها أنه يتمطى ويغسل وجهه وعينيّه بلعابه. وتطلع الهرّة وبرّ جلد ولدها^(٤) بعد الكبر، و[في] الصغر، حتى يصير كأن الدهان تجري في جلده^(٥).

(ما يتهياً للغربان من الحروف)

ويتهياً لبعض الغربان من الحروف والحكاية مالا يعشّره الببغاء^(٦).

(نفع الفأر)

وزعمت الأطباء أن خُرءَ الفأر يُسْقَاهُ صاحبُ الأسر فيُطْلَقُ [عن] بوله. والأسر هو حُصر البول ولكن لا يسمّى بذلك^(٧). وهو الأسر بالألف، دون الياء. ويصيب الصبيّ الحُصْرُ^(٨) فيحتمل من خُرءَ الفأر فيُطْلَقُ عنه^(٩). فقد تهياً في خُرءَ الفأر دواء^(١٠) لداءين قاتلين مجهزين^(١١). ولذلك قيل لأعرابي قد اجتمعت فيه أوجاعٌ شِداد: أيّ

(١) يتنخس: أراد يحترف النخاسة. والنخاسة، بكسر النون وفتحها: بيع الرقيق والعبيد وأصل النخاس بائع الدواب، سمي بذلك لنخسه إياها. والفعل «يتنخس» لم تذكره المعاجم. ط فقط: «وإن الرجل»، ل: «وبيتاعهم».

(٢) فيما عدل: «اللفظ» تحريف. والكلام من مبدل: «والجملة» إلى: «بلعابه» التالية ساقط من ش. فيما عدا: «بأسباب».

(٣) تطلع: تلحس. ش، هـ: «يلطع» تحريف. ط: «وتبرق جلد ولدها» ش: «ويبرق» هـ: «ويبر» صوابه في ل.

(٤) الدهان: جمع دهن. فيما عدل: «يحري»، وفي ش: «فيه» بدل «في جلده».

(٥) يعشّره: يبلغ عشره. ط: «وتفسره»، ش، هـ: «يفسره»، صوابه في ل. وكلمة «والحكاية» ليست في ش.

(٦) أي لا يقال به حصر من البول، وإنما يقال به أسر فقط. وفي اللسان: «الأصمعي واليزيدي: الحصر من الغائط، والأسر من البول».

(٧) الحصر، بضم وبضمّتين: احتباس البطن.

(٨) ل: «خرو الجرذان».

(٩) فيما عدل: «وقد تهياً من» وفي ل: «خرو الفأر». ط، هـ: «دوان» ل: «دواين» صوابه في ش.

(١١) أجهز: أسرع في القتل. وهذه الكلمة ساقطة من ط، هـ. وبدلها في ش: «مجهدين» تحريف ما أثبت من ل.

شيءٍ تشكي؟ قال: أما الذي يعُمدني ⁽¹⁾ فحُصِرَ وأُسِرَ.

(استطرد لغوي)

يقال: خَنَى الثور يَخْنِي خَنْيًّا. وواحد الأخفاء خِنْيٌ كما ترى.

ويقال: خَزَقَ ⁽²⁾ الطائر، وَذَرَقَ، وَمَزَقَ ⁽³⁾، وَزَرَقَ.

قال ابن الأعرابي: لا يكون التجوُّ جَعراً ⁽⁴⁾ حتى يكون يابساً.

ويقال: ونم الذُّبابُ. واسم نجوه: الونيم. وقال الشاعر ⁽⁵⁾:

وقد وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتى كَأَنَّ وَنِيْمَهُ نَفْطُ الْمِدَادِ ⁽⁶⁾

وهو ⁽⁷⁾ ونيم الذُّباب، وعُرَّة الطائر ⁽⁸⁾، وصوم التَّعام، وروث الحمار، وبعر البعير والشاة والظبي، وخني البقر ⁽⁹⁾.

وقال الزبير ⁽¹⁰⁾: «مَنْ أَهْدَى لَنَا مِكَتَلًا مِنْ [عُرَّة أَهْدَيْنَا لَهُ مِكَتَلًا مِنْ] تمر ⁽¹¹⁾».

قال: العُرَّة ⁽¹²⁾ اسمٌ لجميع ما يكونُ من جميع الحيوان. ولذا قال الزبير ما قال.

(1) عمدته: أضناه، وأوجعه، وفدحه. ط، ش: «يقيدني» ه: «يقيد لي» صوابه في ل. والخبر في اللسان (عمد) والبيان (1: 410).

(2) فيما عدل: «خرى» تحريف.

(3) مزق، بالزاي. وفي حديث ابن عمر: «أن طائراً مزق عليه» أي، ذرق ورمى بسلحه فيما عدل: «مرق» تحريف.

(4) كذا على الصواب في ل. وفيما عداها: «رجعا». والرجع: الروث.

(5) هو الفرزدق، كما في صحاح الجوهري (ونم) ونقله صاحب اللسان: وليس في ديوانه. وفي الاقتضاب 349: «البيت للفرزدق فيما رواه أبو العباس المبرد». وأنشد قبله بيتاً آخر فيه كلام طويل. ولم يرو البيت أبو العباس المبرد في الكامل.

(6) الرواية في المخصص (8: 116) وأدب الكاتب 134 واللسان (ونم): «لقد ونم».

(7) فيما عدل: «فهو».

(8) العرة، بضم العين: ذرق الطائر. ط: «خرء»، ش، ه: «غرة» صوابه في ل.

(9) الخنى، بالكسر. فيما عدل: «خناء» تحريف.

(10) هو الزبير بن العوام الأسدي، حوارى الرسول ﷺ، وأحد العشرة الذي سموا للجنة وكان رسول الله ﷺ أقطعته حضر فرسه، فركض حتى أعيا فرسه. وروى أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليخ الخراج، فكان لا يدخل بيته منه شيئاً، يتصدق به كله. قتله ابن جرّموز بوادي السباع يوم الجمل سنة ست وثلاثين. الإصابة 2783 والمعارف 96-97 وفي طبقات ابن سعد (3: 77) عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان قيمة ما ترك الزبير أحداً وخمسين أو اثنين وخمسين ألف ألف. فيما عدل: «ابن الزبير». على أن الكلام روى منسوباً إلى سعد بن أبي وقاص، أنه كان يدمل أرضه بالعرّة. فيقول: «مكتل عرة مكتل بر». انظر اللسان (6: 233 س 5 و 13: 266 س 15). دمل أرضه وأدملها: أصلحها بالدمال، والدمال، كسحاب: السرجين يسمد به الأرض. وفي جمهرة ابن دريد (1: 84): «وفي الحديث أن سعداً كان يحمل إلى أرضه العرة».

(11) المكتل، كمئبر: شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعاً.

(12) ط: «العدرة» ه، ش: «الغرة» صوابه ما أثبت من ل.

[قال]: ويقال: رَمَصَت الدجاجة⁽¹⁾، وذرقت، وسَلَحَتْ. فإذا صاروا إلى الإنسان والفأرة قالوا: خُرء الإنسان وخُرء الفأرة. ويقال: خروء الفأر⁽²⁾ أدخلوا الهاء فيه، كما قالوا ذكورة للذكران⁽³⁾. وقد يُستعار ذلك لغير الإنسان والفأرة. قالت دَخْتُوس بنتُ لَقِيْطِ بن زرارة، في يوم شَعْبِ جَبَلَة⁽⁴⁾:

فَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ خَرُو ۖ الطَّيْرُ عَنْ أَرْبَابِهَا⁽⁵⁾
فلذلك يقال لبني أسد: خروء الطير⁽⁶⁾. وقيل لهم: عبید العَصَا⁽⁷⁾ [بيت] قاله صاحبهم بشرُ بن أبي خازم، قالها لأوس بن حارثة⁽⁸⁾:

عَبِيدُ الْعَصَا لَمْ يَتَّقُوكَ بِذِمَّةِ سَوَى سَيْبِ سُعْدَى إِنَّ سَيْبَكَ وَاسِعٌ⁽⁹⁾

(ميسم الشعر)

فيجبُ على العاقل بعد أن يعرف ميسم الشعر ومَضَرَّتَه، أن يَتَّقِيَ لسانَ أَحْسَنِ الشعراء وأجهلهم شعراً بشَطْر ماله؛ بل بما أمكن من ذلك. فأما العربيُّ أو المولى الرَّاوية⁽¹⁰⁾، فلو خَرَجَ إلى الشعراء من جميع ملَكه⁽¹¹⁾ لما عَنَفْتُهُ.

(1) رمصت، بالصاد المهملة. وفيما عدل ل: «رمضت» تحريف.

(2) فيما عدل ل: «خرء» تحريف. وفي ل: «النحل» صوابه في سائر النسخ.

(3) فيما عدل ل: «الذكر» تحريف. وفيما عدل ل أيضاً: «أدخلوا فيها الهاء».

(4) تراثي أباه لقيط بن زرارة. وروى ابن الأثير أن لقيطاً تزوج ابنته دختنوس على عادة المجوس، وأنه قتل وهي تحته. والبيت التالي من أبيات رواها ابن الأثير في الكامل (1: 357) ثلاثة عشر بيتاً، روى منها صاحب العقد (3: 309) ثلاثة أبيات وكان يوم شعب جبلة لعامر وعيس على ذبيان وتميم؛ واجتمعت فيه أسد وغطفان إلى لقيط. ودارت الدائرة على ذبيان وتميم وقتل لقيط، وأسر أخوه حاجب. وكان شعب جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة، وهو عام ولد الرسول الكريم ﷺ.

(5) فيما عدل ل: «بخروء الطير» تحريف. وفي الكامل والعقد: «فرار الطير».

(6) فيما عدل ل: «خرء الطير».

(7) انظر المثل: «عبید العصا» عند الميداني (1: 426) وثمار القلوب 504.

(8) هو أوس بن حارثة بن لأم الطائي. وكان بشر قد حمل حملاً على هجاء أوس وجعلت له في ذلك جعالة، فهجاء بخمس قصائد، ثم وقع بشر في الأسر، وظفر به أوس بعد أن أعطى من أسروه مائتي بعير وأوقد له ناراً ليحرقه، فبلغ ذلك أم أوس، وهي سعدى بنت حصن، فأندرتة أن يخلي سبيله ويصفح عنه خوف الهجاء، فعفا عنه وكساه وحمله وأمر له بمائة ناقة، فكان ذلك سبباً في أن يغسل بشر هجاء أوس بخمس قصائد في مدحه. انظر مختارات ابن السجري 65-83، والبيت الآتي من أبيات المديح، وهي كذلك هجو في بني أسد، وبنو أسد هم قوم بشر بن أبي خازم الأسدي، فكأنه يتقرب إلى أوس بهجائه عشيرته وقومه. وانظر البيان (3: 40).

(9) سعدى، وهي بنت حصن، وهي أم أوس، كما في التنبيه السابق. ل: «لا يتقوك» وتصح بجعلها لا الناهية. وما أثبت من سائر النسخ يوافق رواية ثمار القلوب 504 وفيما عدل ل: «سوى سب شعري إن سبك واسع». تحريف. وعند الثعالبي: «سوى أنهم بخل وفضلك واسع».

(10) فيما عدل ل: «وأما العربي والمولى الرواية».

(11) فيما عدل ل: «ماله».

والذي لا يكثرث لوقع نبال الشعر، كما قال البخارزي⁽¹⁾ :

ما لي أرى الناس يأخذون ويعطون⁽²⁾ ن ويستمتعون بالنشب⁽³⁾
وأنت مثل الحمار أبهم⁽⁴⁾ لا تشكو جراحات السن العرب⁽⁵⁾
ولأمر ما قال حذيفة لأخيه⁽⁶⁾ ، والرماح شوارع في صدره : «إياك والكلام المأثور⁽⁷⁾» ! .
وهذا مذهب فرعت فيه العرب جميع الأمم⁽⁸⁾ . وهو مذهب جامع لأسباب الخير⁽⁹⁾ .

(استطراد لغوي)

قال : ويقال لموضع الغائط : الخلاء ، والمذهب ، والمخرج ، والكنيف والحش⁽⁸⁾ ،
والمرحاض ، والمرفق .

وكل ذلك كناية واشتقاق ، وهذا أيضاً يدل على شدة هربهم من الدناءة والفُسولة ،
والفُحش والقدح⁽⁹⁾ .

[قال] : وعن اليزيدي⁽¹⁰⁾ : رجع الرجل ، من الرجيع .

(1) أي هو كما قال البخارزي . والبخارزي نسبة إلى باخرز ، يفتح الخاء وسكون الراء وزاي . وفيه : «الناحزوي»
تصحيف . وفي عيون الأخبار (2: 41) «قال الشاعر في جاهل» .

(2) النشب : المال .

(3) أبهم ، في اللسان (14: 322) : «والأبهم كالأعجم» . فيما عدل : «وعيون الأخبار : «إنهم شكوا جراحات» ،
تحريف .

(4) حذيفة ، هو حذيفة بن بدر الفزاري ، وكان رئيس فزارة في حرب داحس . وأخوه الذي عنى الجاحظ هو حمل بن
بدر . انظر العقد (3: 316) والبيان (2: 105) .

(5) قالها يوم الهبأة ، وهو يوم لعبس على بني ذبيان . وكان قيس بن زهير العبسي قد أدرك بفارس بن عبيس
حمل بن بدر وأخاه ، فقال حمل : ناشدتك الله أو الرحم يا قيس ! وقال أيضاً لبني عبيس : نؤدي السبق ، وندي
الصبيان ، وتخلون سربنا وتسودون العرب ! فانتهره حذيفة وقال : «إياك والكلام المأثور» . وفي رواية العقد :
«إياك والمأثور من الكلام» ! . وفي هذا اليوم قتل حذيفة وأخوه . وانظر ليوم الهبأة معجم البلدان وكامل ابن الأثير
(1: 352) والعمدة (2: 161) والميداني (2: 362) والخزانة (1: 303 ، 3: 358 ، 4: 585) .

(6) فرع القوم : علامهم بالشرف . فيما عدل : «فرعت فيه الشعراء من جميع الأمم» ، تحريف .

(7) فيما عدل : «لأصناف الخير» .

(8) الحش ، بالضم : هو في أصله جماعة النخل ، والبستان ، وكانوا في الزمان الأول ، يذهبون عند قضاء الحاجة إلى
البساتين ، وقيل إلى النخل المجتمع . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، ش .

(9) القدح ، محركة ، وآخرها عين : الخنا والفحش . فيما عدل : «والقدح» والقدح : الطعن .

(10) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، أبو محمد اليزيدي النحوي المقرئ اللغوي . بصري سكن بغداد ،
وحدث عن أبي عمرو والخليل ، وعنهما أخذ العربية . أدب أولاد يزيد بن منصور الحميري ونسب إليه ، ثم أدب
المأمون ، وكان المأمون يعجب به ويستشير به في العلم ، مات بخراسان سنة ثنتين ومائتين عن أربع وسبعين . بغية
الوعاة .

وخبرني أبو العاصي⁽¹⁾ عن يونس، قال: ليس الرجيع إلا رجيع القول والسفر والجرة⁽²⁾، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ﴾⁽³⁾ [الطارق: 11]⁽⁴⁾ وقال الهذلي، وهو المتنخل⁽⁵⁾:

أبيض كالرجع رسوب إذا مائخ في محتفل يختلي⁽⁶⁾
وفي الحديث⁽⁷⁾: «فلما قدمنا الشام وجدنا مرافقهم قد استقبل بها القبلة⁽⁸⁾، فكنا نحرف⁽⁹⁾ ونستغفر الله».

(شعر ابن عبدل في الفأرة والسنور)

وقال ابن عبدل في الفأرة والسنور:

يا أبا طلحة الجواد أغثنى بسجال من سيبك المقسوم⁽¹⁰⁾
أخي نفسي قدتلك نفسي فإني مفلس قد علمت ذاك عديم⁽¹¹⁾

(1) أبو العاصي، لم أعثر له على ترجمة. ل: «أبو العاص» وهما لغتان. وفي تاج العروس (10: 245): «قال النحاس: سمعت الأخفش يقول: هو العاصي بالياء لا يجوز حذفها. وقد لهجت العامة بحذفها. قال النحاس: هذا مخالف لجميع النحاة. يعني أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها». وانظر شرح الرضى للشافية (2: 303).

(2) في اللسان: «وكل شيء مردد من قول أو فعل فهو رجيع، لأن معناه مرجوع إلى مردود». وفيه: «وسفر رجيع مرجوع فيه مراداً». وفيه: «والرجيع الجرة لرجعه لها إلى الأكل». فيما عدل: «القول والشعر والخبر». تحريف.

(3) الرجع في الآية بمعنى المطر.

(4) جميع النسخ ما عدل، تزيد هنا: «فأما نجو الإنسان فإنه رجع».

(5) المتنخل: بكسر الخاء المشددة، سبقت ترجمته في (4: 247). والبيت في ديوان المتنخل، من أشعار الهذليين (2: 86). فيما عدل: «هو المنخل» تحريف وانظر اللسان (3: 488 و9: 478) وفيه النسبة إلى المتنخل. وفي المخصص (10: 129): «وقال بعض هذيل ووصف سيفاً فشبهه في بياضه وصفائه». بالرجع. وبدون نسبة في المخصص (6: 21).

(6) أراد بالابيض السيف. والرجع: الغدير يتردد فيه الماء. والرسوب: الذي يرسب في اللحم. ثاخ: نزل وغاب فيه. ومحتفل، روى بفتح الفاء وكسر ها. وفي اللسان: «ومحتفل الأمر: معظمه، ومحتفل لحم الفخذ والساق: أكثره لحماً». وأنشد البيت، ثم قال: «ويجوز: في محتفل». يختلي: يقطع. وأبيض: روى بالرفع في اللسان (ثوخ وحفل) وبالنصب في المخصص (6: 21) وبالجر في المخصص (10: 129) وذلك في رفع «رسوب» ونصبه وجره. وفي أشعار الهذليين بالجر والرفع. و«ثاخ» هي فيما عدل: «ناخ» صوابها في سائر المراجع.

(7) في اللسان (11: 409): «وفي حديث أبي أيوب». وأبو أيوب الأنصاري هو خالد بن زيد بن كليب، شهد مع علي حروء، وغزا مع يزيد بن معاوية، ومات بالقسطنطينية سنة إحدى وخمسين. وكان من أكابر الصحابة وأقدمهم إسلاماً. وعليه نزل الرسول الكريم ﷺ لما قدم المدينة. المعارف 115 والإصابة 2159.

(8) كلمة القبلة: ليست في ل. والمرافق: جمع مرفق، بكسر الميم، وهو المغتسل والكثيف ونحوه. ولأجل هذه الكلمة ساق الجاحظ هذا الحديث.

(9) ش: «تتحرف».

(10) سجال، بالكسر: جمع سجل، بالفتح، وهو الدلو العظيمة المملوءة. والسيب: العطاء. ط فقط: «المعتموم» تحريف.

(11) عديم: فقير. فيما عدل: «قديم»، تحريف.

أَوْ تَطَوَّعَ لَنَا بِسَلْفٍ دَقِيقٍ أَجْرُهُ إِنْ فَعَلْتَ ذَاكَ عَظِيمٌ ⁽¹⁾
 قَدْ عَلِمْتُمْ - فَلَا تَعَامَسْ عَنِّي - مَا قَضَى اللَّهُ فِي طَعَامِ الْيَتِيمِ

- [أراد: لا تعامسوا. فاكتمى بالضممة من الواو. وأنشد:

فَلَوْ أَنَّ الْأَطْبَاءَ كَانَ حَوْلِي وَكَانَ مَعَ الْأَطْبَاءِ الْأَسَاءَةُ ⁽²⁾ -
 لَيْسَ لِي غَيْرُ جَرَّةٍ وَأَصِيصٍ وَكِتَابٍ مُنْمَنٍ كَالْوُشُومِ ⁽³⁾
 وَكَسَاءٍ أَبْيَعُهُ بِرَغِيفٍ قَدْ رَقَعْنَا خُرُوقَهُ بِأَدِيمٍ ⁽⁴⁾
 وَإِكَافٍ أَعَارَظِيهِ نَشِيطٌ هُوَ لِحَافٌ لِكُلِّ ضَيْفٍ كَرِيمٍ ⁽⁵⁾
 وَنَبِيذٍ مِمَّا يَبِيعُ ضَهَبٌ يَذَرُ الشَّيْخُ رَمَحَهُ مَا يَقُومُ ⁽⁶⁾
 رَبِّ حَلًّا فَقَدْ ذَكَرْتُ أَصِيصِي وَلِحَافِي حَتَّى يَغُورَ النُّجُومُ ⁽⁷⁾
 كُلُّ بَيْتٍ عَلَيْهِ نَصْفٌ رَغِيفٌ ذَاكَ قَسَمٌ عَلَيْهِمْ مَعْلُومٌ
 فَرَّ مِنْهُ مَوْلًى فَا رُبِّي وَلَقَدْ كَانَ سَاكِنًا مَا يَرِيمُ ⁽⁸⁾
 قُلْتُ: هَذَا صَوْمُ النَّصَارَى فَحَلُّوا لَا تُلِحُّوا شِوْخَكُمْ فِي السَّمُومِ ⁽⁹⁾
 ضَحِكَ الْفَارُ ثُمَّ قُلْنَا جَمِيعًا أَهْوَ الْحَقُّ كُلَّ يَوْمٍ تَصُومُ ⁽¹⁰⁾
 قُلْتُ: إِنْ الْبَرَاءَ قَدْ قَامَ فِي الْ- نَّاسِ بِإِذْنٍ وَأَنْتَ فِينَا ذَمِيمٌ ⁽¹¹⁾

(1) التطوع: التبرع من ذات النفس. ط، ش: «تطول». والتطول: الامتنان، ولا وجه له. والسلف، بالفتح: الجراب الضخم، وقيل هو الجراب ما كان.

(2) التعامس: التغافل والتعامي. ط، ش: «فلا تقاعس». والتقاعس: الرجوع والتأخر. لكن التعقيب التالي يشهد بتحريفه. و«ما» هو مفعول «علمتم»، وهو إشارة إلى قول الله: ﴿وَيَطْعَمُونَ أَطْعَامًا عَلَى حُبِّهِ. وَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]. وقوله: ﴿أَوْ يُطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَرٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِنْ شَكِينًا ذَا مَتَرَبَةٍ﴾ [البلد: 14، 16].

(3) الأَصِيص: الدن المقطوع الرأس؛ أو الباطية، أو إناء كهيئة الجرة له عروقتان يحمل فيه الطين. وفي الصحاح: الأَصِيص ما تكسر من الآنية، وهو نصف الجرة أو الخابية تزرع فيه الرياحين. ط: «أحيص» صوابه في سائر النسخ.

(4) الأديم: الجلد لم يدبغ.

(5) الإكاف، بالكسر والضم، ومثله الوكاف: البرذعة، أو مثل الرجل، يكون للبعير والحمار والبغل. ونشيط: علم من أعلام الناس. هو: لغة في هو. وفي اللسان (20: 368 س 17): «أبو الهيثم: بنو أسد تسكن هو وهي، فيقولون هو زيد وهي هند». ط، هـ: «وخاف» تحريف.

(6) ل: «تذر الشيخ ريحه».

(7) ش، هـ: «رث جل» ط: «رث جبل» ل، هـ: «هو لحافي» هـ: «كما تغور».

(8) ل: «فرمني لنته».

(9) ألاحه يليحه: أهلكه. فيما عدل ل: «لا تبيحوا». والسموم: الريح الحارة.

(10) ط: «أهو حق في» هـ: «أهو أحق» وفي ل: «يصوم».

(11) البراء، بالفتح: أول ليلة أو يوم من الشهر، أو آخرها أو آخره. فيما عدل ل: «النداء».

وَقَرَادَ مَخْيِسَ مَزْمُومٌ ⁽¹⁾	حَمَلُوا زَادَهُمْ عَلَى خُنْفَسَاتٍ
عَلَّمُوهُ بَعْدَ النَّفَارِ الرَّسِيمِ ⁽²⁾	وَإِذَا ضَفْدَعٌ عَلَيْهِ إِكَافٌ
يَالْقَوْمِي لِأَنْفِهِ الْمُخْطُومِ ⁽³⁾	خَطَمُوا أَنْفَهُ بِقِطْعَةِ حَبَلٍ
يَالْقَوْمِي لِبَيْتِي الْمَهْدُومِ ⁽⁴⁾	نَصَبُوا مَنْجَنِيْقَهُمْ حَوْلَ بَيْتِي
قَائِمٌ فَوْقَ بَيْتِنَا بِقَدُومِ ⁽⁵⁾	وَإِذَا فِي الْغَبَاءِ سَمٌّ بُرِيصٌ
كَانَ قَدْماً لَجَمْعِكُمْ مَعْلُومِ ⁽⁶⁾	قُلْتُ: بَيْتُ الْجَرِينِ مَجْمَعُ صَدَقِ
مَسْكِنًا تَحْتَ تَمْرِهِ الْمَرْكُومِ ⁽⁷⁾	قَلْنٌ: لَوْلَا سِنُورَتَاهُ احْتَفَرْنَا
تَذَرَانَا وَجَمْعُنَا كَالْهَزِيمِ ⁽⁸⁾	إِنْ تُلَاقِ سِنُورَتَاهُ فِضَاءٌ
إِنَّ ذَا مِنْ رَزِيَّتِي لِعَظِيمِ ⁽⁹⁾	عَشَّشَ الْعَنْكَبُوتُ فِي قَعْرِ دَنِّي
أَبْصَرَ الْعَنْبُكُوتَ فِيهِ يِعُومِ ⁽¹⁰⁾	لَيْتَنِي قَدْ عَمَرْتُ دَنِّي حَتَّى
زَبَدٌ فَوْقَ رَأْسِهِ مَرْكُومِ ⁽¹¹⁾	غَرِقًا لَا يُغِيثُهُ الدَّهْرُ إِلَّا
أَنْ أَغْثَنِي فَإِنِّي مَظْلُومِ ⁽¹²⁾	مَخْرَجًا كَفَّهُ يُنَادِي ذَبَابًا
مَنْ نَبِيذٍ يَشْمَهُ الْمَرْكُومِ ⁽¹²⁾	قَالَ ذَرْنِي فَلَنْ أَطِيقَ دُنُوءًا

- (1) خنفسات: جمع خنفسة. ل: «خنفساة» تحريف. والقراد: دويبة. مخيس: مذلل. مزوم: وضع عليه الزمام. ط فقط: «مذموم» تحريف.
- (2) الرسيم: ضرب من السير. فيما عدل: «إذا ضفدع» و: «بعد النفاذ».
- (3) ل: «يالقوم».
- (4) المنجنيق، بالفتح ويكسر: آلة ترمى بها الحجارة. مأخوذ من اليونانية: Maggonon كما نبهني إلى ذلك الأب أنستاس في مجلة الثقافة ص 2011 وكما في معجم استينجاس 1324، وقد ذهبت عامة المعاجم العربية إلى أن الكلمة فارسية معربة، مع أنها غير أصيلة في الفارسية، بل هي دخيلة عليها من اللغة اليونانية. وانظر المعرب 305-307، ل: «يالقوم». وانظر التنبيه السابق.
- (5) الغباء: الغبار، وفيه لغات، كسحاب، وغبار، ويضم مع القصر. انظر اللسان (20: 350 س 16). ل، ش: «الغباء»، وهما سواء كما رأيت. و«سم بريص»: أراد به سام أبرص، وهو الوزغة. وهذا اللفظ لم يرد في المعاجم؛ ولا أحسبه إلا لغة عامية. ط، هـ: «وصم برقص» ش: «صح برقص» تحريفان.
- (6) الجرين: موضع التمر الذي يجفف. ل: «الغريب» ش، هـ: «العريف» ط: «العرين»، ووجه ما أثبت. وفيما عدل: «هو قدما بجمعكم».
- (7) الضمير في «قلن» لجماعة الفأر. وفي الأصل: «قلت»؛ تحريف. وسنوراته: مثني سنورة مضاف إلى الضمير. ولم يرد تأنيث السنور في المعاجم، لكن قال الديميري: «قال ابن قتيبة: يقال في الأثني سنورة، كما يقال في أثني الضفادع ضفدعة». والمركوم: المجموع. فيما عدل: «ثمرة» تحريف.
- (8) ل: «تلافي». وفيما عدل: «قضاء» وهذه محرفة. وفي ل: «يذرانا».
- (9) في الأصل: «في قعر بيتي» والوجه ما أثبت.
- (10) غمرته: ملأته. وفي الأصل: «عمرت». ط: «يقوم»، صوابه في سائر النسخ. والعنكبوت قد يذكر.
- (11) غرقا: غريقاً. فيما عدل: «غرقا» تحريف. يغيثه، هي في ط، ش: «يعيشه» وهـ: «يعيئه» وصوابه ما أثبت من ل.
- (12) عنى شدة رائحته، ل: «يقطر» بمعنى يصرع.

وقال في الفأر والسنور:

قد قال سننورنا وأعهدُهُ قد كان عضباً مُفَوَّهاً لسنّا⁽¹⁾
لو أصبحنا عندنا جنازتها لحنطت واشترى لها كفناً⁽²⁾
ثم جمعنا صاحبتي وغدوا فيهم كُرببٌ يبكي وقام لنا⁽³⁾
كل عجوز حلو شمائلها كانت لجُرذَانِ بيتنا شَجْنَا⁽⁴⁾
من كل حذباء ذات خشخشة أو جُرذِ ذِي شوارب أرنا⁽⁵⁾
سقياً لسننورة فُجعتُ بها كانت لميثاء حقة سَكْنَا⁽⁶⁾

(ضروب الفأر)

قال: والفأر ضروب: فمنها⁽⁷⁾ الجرذان والفأر المعروفان، وهما كالجواميس والبقر، وكالبُخْت والعِراب، ومنها الزباب. ومنها الخُلْد. واليرابيع شكلٌ من الفأر، واسم ولد اليربوع درص، مثل ولد الفأر⁽⁸⁾.

ومن الفأر فأرة المسك، وهي دويبة تكون في ناحية تُبَّت، تصاد لنوافجها وسُرَّها⁽⁹⁾، فإذا اصطادها [صائد] عصب سُرَّتْها بعصاب شديد، وسُرَّتْها مدلاة، فيجتمع فيها دمها⁽¹⁰⁾، فإذا أحكم ذلك ذبحها - وما أكثر من يأكلها - فإذا ماتت قور السرة التي كان عصبها له والفأرة

- (1) ل: «وأعهد» وبكل منهما يستقيم الشعر. والعضب: الحديد في الكلام، والذلق، فيما عدا ل: «خصماً».
- (2) حنطت: طيب بالحنوط، وهو طيب يخلط للميت خاصة. ل: «واستوى لها».
- (3) كريب، كذا وردت مضبوطة في ل. ولعلها علم لسنور من سنانيه. فيما عدا ل: «كذب»، وفي ل: «لص فأنزلنا».
- (4) عجوز، أي من السنانيه، كانت شجناً وحزناً للفيران، لما تصطادهم وتفتك بهم.
- (5) حذباء، أي من الجرذان. والحذب: خروج الظهر. والخشخشة: صوت كل شيء يابس، وأراد ما تحدث من الخشخشة حين قرضها الخبز اليابس والخشب ونحوهما. والأرن: النشيط. ل: «مرنا».
- (6) ميثاء: اسم امرأة، لعلها زوجه أو بنته. قال الأعشى:

لميثاء دار قد تعفت طلعوها عفتها نضيضات الصبا فمسلها

- بدلها في ط: «كميت»، ش: «لميث» ه: «لمبيت» صوابه في ل. وفيما عدا ل: «أخفيت» موضع «حقة» تحريف. والحقبة: مدة من الدهر. والسكن: كل ما سكنت إليه واطمأنت به من أهل وغيره.
- (7) فيما عدا ل: «منها».

- (8) الكلام من: «واسم ولد اليربوع» إلى هنا ساقط من ل.

- (9) النوافج: جمع نافجة، وهي وعاء المسك، أي الجلدة التي يجتمع فيها، وترى المعاجم العربية أنه فارسي معرب، وصرح صاحب المعيار وأدى شير أنه معرب «نافه» قال المحقق الأستاذ أحمد شاكر في شرح المعرب 341: «وكل هذا دعوى لا دليل عليها فإن مادة (ن ف ج) عربية، وكل ما ارتفع فقد نفج، ثم استعمل في معان كثيرة ترجع إلى هذا الأصل، ونافجة المسك لا تخرج عنه». والسرر: جمع سرة. . فيما عدا ل: «سرتها». وما أثبت من ل يوافق ما نقل النويري عن الجاحظ في نهاية الأرب (10: 171).

- (10) كذا في ل ونهاية الأرب واللسان (6: 348) نقلاً عن الجاحظ. وفي سائر النسخ: «الدم».

حيّة، ثم دفنها في الشعير حتى يستحيل ذلك الدم المحتقن هناك⁽¹⁾، الجامد بعد موتها، مسكاً ذكياً⁽²⁾، بعد أن كان ذلك الدم لا يُرام نثناً.

قال: وفي البيوت أيضاً قد يوجد فأرٌ مما يقال له: فأر المسك، وهي جرذان سودّ ليس عندها إلا تلك الرائحة اللازمة له.

قال: وفي الجرذان جنسٌ لها عبثٌ بالعقود والشنوف⁽³⁾، والدرهم [والدنانير، على شبيهه بالذي عليه خُلِقَ العَقَق⁽⁴⁾؛ إلا أن هذه الجرذان تفرح بالدنانير والدرهم]، وبخشخاش الحلّي⁽⁵⁾. وذلك أنها تخرجها من جحرها في بعض الزمان، فتلعب عليها وحواليها، ثم تنقلها⁽⁶⁾ واحداً واحداً حتى تُعيدها عن آخرها إلى موضعها.

فزعَم الشَّرْقِيُّ بَنُ القُطَامِي⁽⁷⁾ - [وقد رُوِّه عن شوكر⁽⁸⁾] - أن رجلاً من أهل الشام أطلع على جُرذٍ يُخرج من جُحره ديناراً⁽⁹⁾ [ديناراً]، فلما رآه قد أخرج مالا صالحاً استخفّه الحرص، فهمّ أن يأخذه⁽¹⁰⁾، ثم أدركه الحزم وفتح له الرزق المقسوم باباً من الفطنة⁽¹¹⁾، فقال: [الرأي] أن⁽¹²⁾ أمسك عن أخذه⁽¹³⁾ مادام يخرج، فإذا رأيته يدخل فعند أول دينار⁽¹⁴⁾ يغيبه ويُعيده إلى مكانه أثب عليه، فأجترِفُ المال.

(1) ل: «مثال».

(2) ذكياً: ساطع الريح. ط فقط: «ذكياً»، صوابه في سائر النسخ والنويري واللسان.

(3) الشنوف: جمع شنف، بالفتح، وهو القرط، أو القرط بلس في أعلى الأذن.

(4) العقق: طائر له ولوع بالسرقعة. وانظر ص 103-104 من هذا الجزء.

(5) الخشخاش من الحلّي: ما له خشخة وصوت. فيما عدل ل: «وخشخة الحلّي».

(6) فيما عدل ل: «تنقله».

(7) الشرقي لقب له. واسمه الوليد بن الحصين، أحد النسابين الرواة للأخبار والأنساب والدواوين، وكان وافر الأدب، أقدمه المنصور بغداد، وضم إليه المهدي ليأخذ من أدبه. تاريخ بغداد 4837 وابن النديم 132 ولسان الميزان (3: 142-143). والقطامي لقب أبيه، واسمه الحصين بن حمال، يقال بفتح القاف وضمها: مأخوذ من القطامي بفتح القاف وضمها، وهو، الصقر. ويسمى: «القطامي الكلبي». وهو شاعر محسن ذكره صاحب المؤتلف 166-167.

(8) هذه الكلمة من ش فقط. وفي لسان الميزان (3: 158): «شوكر، أخباري مؤرخ لا يعتمد عليه، شيعي، كان في المائة الثانية. ذكره عمر بن شبة في أهل البصرة وقال: كان يضع الأخبار والأسفار (صوابه: الأشعار). وقد قرنه خلف الأحمر في شعر له بابن دأب، يقول فيه:

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن داب».

وفي الأصل، وهو هنا ش: «شوكر» بالثاء، تحريف.

(9) فيما عدل ل: «من جحر دينار» تحريف.

(10) فيما عدل ل: «فهم بأن يأخذها».

(11) كلمة «المقسوم» ليست في ل. وبدلها في ش: «المقدور». وكلمة: «الفطنة» ساقطة من ش.

(12) ط، هـ: «أنا» ش «إن» بكسر الهمزة، تحريف.

(13) ط، هـ: «أن أخذها» صوابه في ل، ش.

(14) ش: «فأول دينار».

قال: ففعلتُ وعدتُ إلى موضعي الذي كنتُ أراه منه. [فبينما هو يُخرجُ إذ ترك الإخراج⁽¹⁾، ثم جعل يرقصُ ويثبُ إلى الهواء، ويذهبُ يمنةً ويسرةً ساعة، ثم أخذ ديناراً فولّى به]، فأدخله [الجحر]، فلما رأيتُ ذلك قمتُ إلى الدنانير فأخذتها]، فلما عاد ليأخذ ديناراً آخر فلم يجد الدنانير⁽²⁾ أقبل يثبُ في الهواء، ثم يضربُ بنفسه الأرضَ، حتى مات. وهذا الحديثُ من أحاديثِ النساءِ وأشباه النساءِ

باب آخر يدعونه للفأر⁽³⁾

وهو الذي ينظر فيه أصحاب الفراسة في قرضِ الفأر، كما ينظر بعضهم في الخيلان⁽⁴⁾، وفي الأكتاف⁽⁵⁾، وفي أسرار الكف⁽⁶⁾.

ويزعمون أن أبا جعفر المنصور نزلَ في بعض القرى، فقرض الفأرُ مسحاً له كان يجلسُ عليه، فبعث به ليرفأ⁽⁷⁾، فقال لهم الرفاء: إن هنا أهل بيت يَعْرِفون بقرضِ الفأر ما ينال صاحب المتاع من خير أو شر، فلا عليكم⁽⁸⁾ أن تعرضوه عليهم قبل أن تصلحوه. فبعث المنصورُ إلى شيخهم، فلما وقعت عينه على موضع القرض وثب وقام قائماً⁽⁹⁾ ثم قال: مَنْ صاحبُ هذا المسح؟ فقال المنصور: أنا. فقام ثم قال⁽¹⁰⁾: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! والله لتليّن الخِلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً!

[ذكر هذا الحديث عمرو بن مَجْمَع السَّكُونِي الصَّرِيْمِي⁽¹¹⁾ وقد قَضَى على بعض البلدان].

(فأرة المسك)

وسألت بعض العطارين من أصحابنا المعتزلة⁽¹²⁾ عن فأرة المسك فقال: ليس بالفأرة،

(1) قبل هذه الكلمة فيما عدل: «أقبل يخرج ما شاء الله تعالى».

(2) فيما عدل: «الدينار» تحريف. (3) هـ: «في الفأر».

(4) الخيلان: جمع خال، وهي نكتة سوداء في البدن. (5) انظر كتاب البغال 92 من رسائل الجاحظ.

(6) أسرار الكف: خطوطها، الواحد سر، بالكسر والضم، قال الأعشى:

فانظر إلى كف وأسرارها هل أنت إن أوعدتني ضائري

(7) رفاً الثوب: لأم خرقة وضم بعضه إلى بعض ل، ش: «ليرفا» بالتسهيل.

(8) فيما عدل وكذا نهاية الأرب (10: 168): «فما عليكم».

(9) ش ونهاية الأرب: «وثب قائماً»، ل: «وثب فقام قائماً».

(10) فيما عدل: «فقال» فقط.

(11) في أنساب السمعاني 301: «أبو المنذر عمر - صوابه عمرو - بن مَجْمَع السَّكُونِي الكِنْدِي من أهل الكوفة. يروي عن هشام بن عروة وابن أبي خالد. روى عنه أحمد بن حنبل وأهل العراق». وفي الأصل: «عمر بن السكوني» صوابه في تاريخ بغداد (12: 194) وأنساب السمعاني.

(12) فيما عدل: «من أصحاب المعتزلة».

وهو بالخشف⁽¹⁾ أشبه . ثم قصَّ عَلَيَّ شأن المسك وكيف يُصْطَنع . وقال ، لولا أن رسول الله ﷺ قد تطيبَ بالمسك لَمَا تَطَيَّبْتُ به ، فَأَمَّا الزبادُ⁽²⁾ فليس مما يقرب ثيابي منه⁽³⁾ شيء قلت له : وكيف⁽⁴⁾ يَرْتَضِعُ الجديُّ من لَبَن خنزيرة فلا يحرمُ لحمه؟ [قال]: لأن ذلك اللبن استحلال لحمًا ، وخرجَ من تلك الطبيعة ، ومن تلك الصورة ، ومن ذلك الاسم . وكذلك لحومُ الجلالة⁽⁵⁾ . فالمسكُ غيرُ الدَّم ، والخلُّ غير الخمر . والجوهرُ ليس يحرمُ بعينه ، وإنما يحرم للأعراض⁽⁶⁾ [والعلل] . فلا تَقَرَّزْ منه عند تذكرك الدَّم الحقيقين⁽⁷⁾ ؛ فإنه ليس [به] . وقد تتحوَّل النار هواءً ، والهواءُ ماءً ، فيصير الشبه الذي بين الماء والنار بعيداً جداً .

(بيت الفأر)

والجرذاُن لا تحفرُ بيوتها على قارعةٍ طريقٍ⁽⁸⁾ ، وتجتنبُ الخفض⁽⁹⁾ ؛ لمكان المطر ، وتجتنبُ الجَوَادَّ⁽¹⁰⁾ ؛ لأن الحوافر تهدمُ عليها بيوتها . فإذا أخرجها وقعَ حافر فرس ، مع هذا الصَّنِيع⁽¹¹⁾ ، دلَّ ذلك على شدة الجري والوقع . وقال امرؤ القيس [يصفُ فرسه] :
فَلِلْسَوِّطِ أَلْهَوْبُ وَلِلرَّجْلِ دَرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ أَهْوَجٍ مِنْعِبٍ⁽¹²⁾

(1) الخشف ، مثلية : ولد الظبية أول ما يولد .

(2) الزباد ، كسحاب : ضرب من الطيب ، وهو عرق حيوان يشبه السنور البري . قال صاحب مباحج الفكر : « لا يغادر شيئاً منه إلا أنه أطول خطماً وذنباً وأكبر جثة » . ويسمى سنور الزباد : Civet Cat ، يوجد كثيراً بمقدشيم (مقدشو) من أعمال الحبشة ، يرتعي المراعي الطبية ، ويعلف السنبل الرطب ، ويوضع في قفاص الحديد ، ويلاعب فيسيل الزباد من حلم صغار بين فخذه ، فتعد له ملاعق الفضة أو الذهب ويؤخذ . وهذا الحيوان لا يعيش غالباً إلا بالبلاد الحارة كالحبشة وأطراف الصين وأجوده الموجودة بشمطري (سومطرا) من أعمال الهند . انظر تذكرة داود والمعتمد . قال صاحب القاموس : « غلط الفقهاء واللغويون في قولهم : « الزباد دابة يجلب منها الطيب . وإنما الدابة السنور والزباد الطيب » . فيما عدل : « وأما الزباب » تحريف .

(3) ط ، ش : « مما يقرب منه في شيء » هـ : « مما يقرب في شيء » . ل : « مما يقرب ثيابي » فقط .

(4) ل : « وقد » .

(5) الجلالة : التي تأكل العذرة ، أو تتبع النجاسات ، أو التي تأكل الجلة والعذرة .

(6) في الأصل : « تحرم » ، وفيما عدل : « الأعراض » .

(7) تقزز : تنقزز ، بحذف إحدى التاءين . والتنقزز : التباعد من الدنس . والحقيقين : « المحققين ، كما يحدث في الخراجات والدمامل » . أراد أن المسك ، وهو الذي كان من قبل دماً حقيقاً ؛ أصبح الآن جوهرًا آخر واستحال ، فلا ينبغي الاشتمزاز منه . فيما عدل : « فلا تقدر منه على تذكرك الدم الحقيقي » ، تحريف .

(8) قارعة الطريق : وسطه أو أعلاه . فيما عدل : « الطريق » .

(9) الخفض : المطمئن من الأرض . ل : « الخفض » تحريف .

(10) الجواد : جمع جادة ، وهي معظم الطريق .

(11) فيما عدل : « الصنع » .

(12) الألهوب : شدة جري الفرس ، وكذلك الدرة . يقول : إذا مسه بساقه ألهب ، وإذا ضربه بالسوط در جريه . والأهوج : الأحمق . والمنعب ، بكسر الميم : الأحمق المصوت . أراد : إذا زجر وقع الزجر منه موقعه من الأهوج . وفي الأصل : « متعب » ، صوابه في الديوان 85 واللسان (نعب) .

- فَأَدْرَكَ، لَمْ يَعْرِقْ مَنَاطُ عِذَارِهِ يَدْرُ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ الْمُثَقَّبِ⁽¹⁾
 ترى الفأر في مستعكد الأرض لاجئاً إلى جَدِّ الصَّحْرَاءِ مِنْ شَدِّ مُلْهَبِ⁽²⁾
 خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدُقْ مِنْ سَحَابِ مُرْكَبِ⁽³⁾
 خَفَاهُنَّ: أظهرهنَّ. وقرأ بعضهم⁽⁴⁾: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: 15]⁽⁵⁾، بفتح
 [الألف] أي أظهرها. وقال امرؤ القيس⁽⁶⁾:
 فَإِنْ تَدَفَّنُوا الدَّاءَ لَا نُخْفِهِ وَإِنْ تَبَعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدِ⁽⁷⁾
 وقال أعرابي⁽⁸⁾: إِنْ بَنِي عَامِرٍ جَعَلْتَنِي عَلَى حَنْدِيرَةٍ أَعْيُنُهَا⁽⁹⁾، تريد أَنْ تَخْتَفِيَ دُمِي⁽¹⁰⁾.

- (1) يدر: يعدو عدواً شديداً. والخذروف: عود أو قصبه مشقوقه، يفرض في وسطه ثم يشد بخيط، فإذا أمر دار
 وسمعت له حفيفاً، يلعب به الصبيان، ويوصف به الفرس لسرعته. فيما عدل: «المنقب»، وما في ل هو رواية
 الديوان.
- (2) المستعكد، في اللسان: استعكد الماء: اجتمع، وأنشد بيت امرئ القيس برواية: «في مستعكد الماء لاجباً».
 وهذا بعيد عن روايتنا هذه. وأرى أنه أراد بالمستعكد: الغليظ من الأرض. وهو في الأصل البعير والضب يسمن
 ويضخم. والجدد، بالتحريك: المستوي من الأرض. والملهب، كمسحن: الشديد الجري المثير للغبار.
 ورواية الديوان: «لاحباً» على جدد الصحراء: أي ظاهراً عليه. ط: «لاجئاً» هـ: «لاحباً» صوابه في ل، ش. وفي
 ط: إلى الجد والصحراء هـ: «إلى جدو الصحراء» تحريف صوابه في ل والديوان واللسان. وهذا العجز وشطر
 البيت التالي ساقطان من ش.
- (3) الودق: المطر. وانظر نوادر أبي زيد 9 والقالبي (211: 1) وابن سيده (46: 10).
- (4) هي قراءة أبي الدرداء، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، وحמיד، ورويت عن ابن كثير، وعاصم. انظر
 تفسير أبي حيان (6: 232). وقد روى القالي وابن منظور (256: 18) قراءة سعيد بن جبير فقط.
- (5) قال أبو حيان: «أي أنها، من صحة وقوعها وتيقن كونها، تكاد تظهر، ولكن تأخرت إلى الأجل المعلوم». وقال
 في قراءة الضم: «وقيل أخفيها بضم الهمزة بمعنى أظهرها، فتحد القراءتان. وأخفى من الأضداد، بمعنى
 الإظهار وبمعنى السر».
- (6) هو امرؤ القيس بن عابس الكندي؛ جاهلي أدرك الإسلام، وفد على رسول الله ﷺ، ولم يترد في أيام أبي بكر،
 وقام على الإسلام، وكان له غناء في الردة، بما كان يحض قومه على الثبات على الإسلام. المؤتلف 9 والإصابة
 248.
- (7) رواية اللسان: «فإن تكتموا السر لا نخفه»، مع نسبته إلى امرئ القيس بن عابس وعند أبي حيان بدون نسبة: «وإن
 توقدوا الحرب لا نقعد».
- (8) ط، ش: «ابن الأعرابي»، تحريف. وفي اللسان (258: 18): «ومنه قول الغنوي لأبي العالية: إن بني عامر أرادوا
 أن يختفوا دمي». وأبو العالية كان مولى لبني رياح، واسمه رفيع بن مهران البصري الرياحي. روى عن أبي،
 وعلي، وحذيفة، وعنه: قتادة، وثابت، وداود بن أبي هند. وتوفي سنة 90، المعارف 200 ولسان الميزان
 (802: 6).
- (9) الحنديرة: حذقة العين. قال الفراء: «يقال: جعلته على حندر عيني وحندورة عيني: إذا جعلته نصب عينك».
 وفي اللسان أيضاً: «يقال هو على حندر عينه وحندور عينه وحندورة عينه، إذا كان يستثقله ولا يقدر أن ينظر إليه
 بغضاً». فيما عدل: «على خنزيرة أعينها»، تحريف.
- (10) تختفي دمي: أي تقتلني خفية من غير أن يعلم بي هـ: «يريد أن يخفي دمي» ط: «تريد أن تخفي دمي» ش: «تريد
 أن تخفي دمي»، صوابه في ل واللسان والمزهر (148: 1) وملحقات مجالس ثعلب.

(استطراد لغوي)

وقال أبو عبيدة: أربعة أحرف تهمزها عُقِيل⁽¹⁾ من بين جميع العرب، تقول: فأرة، ومؤسَى، وجؤنة، [وحؤت].

(الفأرة في اللغة)

فأصناف ما يقع عليه اسمُ الفأرة⁽²⁾: فأرة البيش⁽³⁾، [وفأرة البيت]، وفأرة المسك، وفأرة الإبل. وفي فأرة المسك يقول حُمَيْدُ الأَرْقَط⁽⁴⁾:

مَمْطُورَةٌ خَالَطَ مِنْهَا النَّشْرُ ذَا أَرْجٍ شَقَّقَ عَنْهُ الْفَأْرُ⁽⁵⁾
وفي فأرة الإبل قال الشاعر⁽⁶⁾:

كَأَنَّ فَأْرَةً مَسَكَ فِي مَبَاءِ تَهَا إِذَا بَدَأَ مِنْ ضِيَاءِ الصُّبْحِ تَبْشِيرُ⁽⁷⁾
وهذا شبيهٌ بالذي قال الراعي - وليس به-:

تَبَيْتُ بَنَاتُ الْقَفْرِ عِنْدَ لَبَانِهِ بِأَحْقَفَ مِنْ أَنْقَاءِ تُوْضِخِ هَائِلِ⁽⁸⁾

(1) هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة. المعارف 40، وعقيل، بهيئة التصغير. الاشتقاق 181، ل: «ثلاثة أحرف تهمزها عقيل» صوابه في سائر النسخ. وقد سقط الحرف «جؤنة» من ل كما سقط «حؤت» من سائر النسخ، والصواب ما أثبت من الجمع بين النسخ. وفي اللسان (6: 348): «وعقيل تهمز الفأرة والجؤنة والمؤسى والحؤت». والجؤنة، بالضم: سقط مغشى بجلد، ظرف لطيب العطار. والمؤسى: موسى الحلاق، يذكر ويؤنث، وينون ولا ينون. والحوت: السمك العظيمة.

(2) ط: «فأكثر ما يقع عليها اسم الفأرة». ش، ه: «فأكثر ما يقع عليها مع اسم الفأرة». وصوابه في ل.

(3) البيش، بالكسر: نبت هندي سام، ويقال: له بيش موش، وموش بالفارسية معناه الفأرة.

(4) سبقت ترجمته في 66، 85.

(5) في اللسان: «رجل ممطور إذا كان كثير السواك طيب النكهة». وذو الأرج، أراد به المسك، شقق عنه الفأر، فأر المسك: نوافجه التي يكون فيها. عنى بذلك طيب رائحتها.

(6) فيما عدا ل: «يقول الشاعر».

(7) مباءة الإبل: مناخها ومراحها ومعطنها. ط، ه: «ميانها» ش: «مئانتها» صوابه في ل. وفي ثمار القلوب 329: «مبايتها» تحريف. تبشير الصبح: مبدؤه وأوله، ومثله التبشير. فيما عدا ل: «ينتشر» تحريف صوابه في ل وثمار القلوب. وبعد هذا البيت في ل: «وهذا شبيهه بالذي قلنا ولم تأت بعد بعين الشيء». وفي ش: «وهذا يشبه بالذي قال ولم يأت بعد بعين الشيء» وهما عبارتان متشابهتان، ولم أجد لهما وجهاً في الكلام.

(8) بنات القفر، عني بهن بنات النقا. وبنت النقا: عطاء صغيرة تغوص في الرمل كما يغوص السمك في الماء، قصيرة البدين والرجلين، ويقال لها شحمة الأرض. انظر المخصص (8: 101، 102) وثمار القلوب 103، واسمها في مصر «السحلية». وهي باليونانية: Chalcides: خلقيديس. انظر معجم المعلوف 59، واللبن: الصدر. والأحقف: المائل من الرمل. والأنقاء: كثبات الرمل. وتوضيح: موضع. والهائل من الرمل: الذي لا يثبت مكانه حتى ينهال ويسقط.

كَأَنَّ الْقِطَارَ حَرَّكَتْ فِي مَبِيتِهِ جَدِيَّةً مِسْكٍ فِي مُعَرَّسٍ قَافِلٍ⁽¹⁾

(الأصمعي وأبو مهدية)

قال الأصمعي: قلت لأبي مهدية⁽²⁾: كيف تقول: لا طيب إلا المسك [قال]: فأين أنت من العنبر؟! قال: فقلت: [لا طيب إلا المسك والعنبر]. قال: فأين البان⁽³⁾؟! فقلت: لا طيب إلا المسك والعنبر والبان. قال: فأين أنت عن أدهان بحجر⁽⁴⁾؟! قال: فقلت: لا طيب إلا المسك، والعنبر والبان⁽⁵⁾، وأدهان بحجر. [قال: فأين فأرة الإبل صادرة⁽⁶⁾؟! قال الأصمعي: [وفأرة الإبل⁽⁷⁾].

(فأرة البيش، والسمندل)

وفأرة البيش دويبة تغتذي السُموم فلا تضرها. والبيش سم، وحكمه حكم الطائر الذي يقال له: سَمَنْدَل⁽⁸⁾؛ فإنه يسقط في النار فلا يحترق ريئشه.

(ما لا يقبل الاحتراق)

وُثِّبَتْ⁽⁹⁾ عن [أمير المؤمنين⁽¹⁰⁾] المأمون أنه قال: لو أَخَذَ الطُّحْلَبُ فَجَفَفَ فِي الظِّلِّ، ثُمَّ أَسْقَطَ فِي النَّارِ لَمْ يَحْتَرَقْ⁽¹¹⁾.

- (1) القطار: جمع قطر، وهو المطر. ط، ش: «كَأَنَّ الْقِطَا إِن خَرَقَتْ». هـ: «القطان حركت»، صوابه في ل. والجدية، بفتح فكسر مع تشديد الياء: القطعة من المسك، كما في القاموس. ش، هـ: «حديثه»، تحريف. والمعروس: مبيت القوم من آخر الليل. والقافل: الراجع من السفر. ط، ش: «قائل» هـ: «قابل» صوابهما في ل.
- (2) أبو مهدية، أعرابي روى عنه البصريون. سبقت ترجمته في (2: 121). فيما عدل: «لابن مهدية» تحريف.
- (3) البان: شجر يقارب الأثل، ومنه قصير دون شجر الرمان وورقه يقارب الصفصاف شديد الخضرة، له زهر ناعم الملمس مفروش زغبه كالأذنان، يخلف قروناً داخلها حب إلى البياض كالفسق لولا استدارة فيه، ينكسر عن حب عطري إلى صفرة، داود الأنطاكي.
- (4) حجر، بالفتح: كانت قصبة اليمامة.
- (5) ط: «ألبان» تحريف. وانظر التنبيه السابق.
- (6) ليس للإبل فأرة في الحقيقة، وإنما هي أن تفوح منها رائحة طيبة، وذلك أنها إذا رعت العشب وزهره، ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة، فيقال لتلك: فأرة الإبل. وهذه العبارة من ل، ش، هـ.
- (7) تكملة من ل، ش، هـ. وانظر نوادر القالي 39 وابن أبي الحديد (4: 424) ومجالس العلماء للزجاجي ص 1.
- (8) السمندل، لفظ فارسي، ويقال فيه أيضاً: «سمندور» قيل إنه مشتق من «سام» بمعنى النار، و«أندرون» بمعنى داخل، استينجاس 697، ولأب أنستاس مقال ضاف في مجلة المشرق (6: 9) أثبت فيه أن كتاب العرب كانوا يطلقون لفظ «السمندل» على الحيوان المسمى: Salamandra وهو العظاية، وعلى الطائر المسمى بالفنقس: Phoenix وهو العقاء الخرافية، وعلى الحجر المعروف بحجر الفتيال: Asbestos، وقد علل عدم احتراقه بأنه يفرز مادة تطفئ النار، فزعموا أنه يدخلها ولا يحترق. وانظر ما سبق في 2: 65 وما سيأتي في 6: 279.
- (9) نبئت: نبئت: أي أخبرت. فيما عدل: «وُثِّبَتْ».
- (10) هذه من ل، ش، وكلمة «المأمون» بعدها ليست في ش.
- (11) فيما عدل: «في النار».

ولولا ما عاينوا من شأن الطَّلَق⁽¹⁾ والعود الذي يُجاء به من كِرْمَان⁽²⁾ لاشتدَّ إنكارهم . وزعم ابن أبي حرب⁽³⁾ أن قَسّاً راهنَ على أن الصليب الذي في عنقه من خشب، [أنه] لا يحترق؛ لأنه من العود الذي كان صُلب عليه المسيح⁽⁴⁾، وأنه كان يفتن بذلك ناساً من أهل النظر⁽⁵⁾، حتى فطن له بعض المتكلمين، فأتاهم بقطعة عود يكون بكرمان⁽⁶⁾. فكان⁽⁷⁾ أبقى على النار من صليبه .

(مساوي السنابير)

قال صاحب الكلب⁽⁸⁾: والسنور لصٌ لثيم، وشَرِهٌ خَوْون. من ذلك أن صاحب المنزل يرمي إليه ببعض الطعام، فيحتمله احتمال المريب، واللص المغير، حتى يُولج⁽⁹⁾ به خَلَفَ حَبٍّ أو راقود⁽¹⁰⁾، أو عدل⁽¹¹⁾ أو حطب، ثم لا يأكله إلا وهو يتلفت⁽¹²⁾ يميناً وشمالاً، كالذي يخاف أن يُسَلَب ما أُعطي⁽¹³⁾، أو يُعثرَ على سِرِّقته فيعاقب. ثم ليس في الأرض خَبْثَةٌ⁽¹⁴⁾ إلا وهو يأكلها، مثل الخنافس والجعلان، وبنات وردان، والأوزاغ، والحيات، والعقارب، والفأر، وكل نتن وكل خَبْثَةٌ⁽¹⁵⁾ وكل مستقذر.

(1) انظر ص 57، 62 من هذا الجزء .

(2) كرمان، بالفتح وربما كسرت، والفتح أشهر: ولاية بين فارس ومكران وسجستان وخراسان .

(3) فيما عدل: «ابن أبي الحارث». وقد ذكر ابن قتيبة في المعارف 192 من اسمه «أبو حرب بن أبي الأسود الدنلي». وقال: إنه كان عاقلاً شاعراً، وولاه الحجاج جوخي فلم يزل عليها حتى مات الحجاج، وقد روى عن أبي حرب الحديث، وله عقب بالبصرة وعدد. وذكره ابن حجر في باب الكنى من تهذيب التهذيب، وقال: إنه مات سنة ثمان ومائة. فلعل هذا الذي ذكره الجاحظ من عقب هذا الرجل .

(4) فيما عدل: «الذي كان المسيح صلى الله تعالى على سيدنا محمد وعليه صلب عليه» .

(5) فيما عدل: «من غير أهل النظر» .

(6) كرمان: ولاية، سبق الحديث فيها قريباً. فيما عدل: «تكون» تحريف .

(7) أي للعود. وفي ش: «فكانت» أي القطعة .

(8) في ل: «قال صاحب الكلب والديك» .

(9) أي يدخل به نفسه . ط فقط: «يلج» .

(10) الحب، بالضم: الجرة الضخمة، فارسي معرب كما سبق في 179، والراقود: إناء خزف مستطيل مقير، مما أخذته الفارسية عن العربية. انظر استينجاس 564، وعند الجواليقي 160، أنه فارسي معرب، وكذا في اللسان، لكن قال ابن دريد: «لا أحسبه عربياً» .

(11) العدل، بالكسر: نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير .

(12) ش: «ثم لا يأكلها». وفيما عدل: «إلا وهو يلتفت» .

(13) فيما عدل: «ما أعطيه» .

(14) الخبثة، بالكسر: الخبيثة غير الطيبة. فيما عدل: «خبثية» .

(15) ط، هـ: «حشة» ش: «حشة». صوابهما ما أثبت من ل. وانظر التنبيه السابق. و«كل نتن» ساقط من ل.

وهذه الأنعامُ تدخل الغياض، فتجتنبُ مواضع السموم بطبائعها، وتتخطاها ولا تلتفت لِقُتها^(١). وربما أشكل الشيء على البعير^(٢)، [فيمتحنه^(٣)] بالسَّمة الواحدة. فلا تغلط الإبلُ [إلا في البيش وحده. ولا تغلط الخيل إلا] في الدفلى^(٤) وحده.

والسنانيِرُ تموت عن^(٥) أكل الأوزاغ والحيات والعقارب، وما لا يحصى عدده^(٦) من هذه الحشرات، فهذا يدلُّ على جهل بمصلحة المعاش، وعلى حسِّ غليظ وشرِّ شديد.

(هَيْجُ الْحَيَوَانِ)

قالوا: وكل أنثى من جميع الحيوان، ما خلا المرأة، فلا بدَّ لها من هَيْج في زمان معلوم، ثم لا يُعرف ذلك منها وفيها إلا بالدلائل والآثار، أو ببعض المعينة.

وإنَّ السنانير، إذا هجن للسَّفاد، آذِن بصياحهنَّ أهل^(٧) القبائل ليلاً ونهاراً، بشيء ظاهر قاهرٍ علي^(٨). لا يعتريهن فترةٌ ولا ملالة^(٩) [ولا سامة^(١٠)]. فربَّ رجلٍ حرٍّ شديد الغيرة، [وهو] جالسٌ مع نسائه، وهُنَّ يتردَّدن على مثل هذه الهيئة^(١١)، ويصرُخن في طلب السَّفاد. فكم من حرة قد خجلت، وحرٌّ قد انتقضت طبيعته^(١٢).

[وليس لشيء من فحولتها^(١٢) مثل ذلك. فكل جنس في العالم من الحيوان فذكورته أظهر هيجاً، إلا السَّنانير].

وليس لشيء من فحولة الأجناس مثل الذي للجمل^(١٣) من الإزباد، وهَجْران الرعي، وترك الماء، حتى تنضمَّ أياطله^(١٤)، ويتورَّم رأسه، ويكون كذلك الأيام الكثيرة، وهو في ذلك الوقت لو حُمِّل على ظهره - مع امتناعه شهراً من الطعام - ثلاثة أضعاف حِمْلِهِ لحملها.

-
- (١) يقال لا يلتفت لفت فلان، بالكسر: أي لا ينظر إليه. فيما عدال: «لا تلتفت إليها».
 - (٢) فيما عدال: «ولما أشكل الشيء على اليقين»، تحريف.
 - (٣) يمتحنه: يختبره. في الأصل، وهو هنا: «فيمسحه».
 - (٤) الدفلى، بالكسر مقصور: شجرة مرة من السموم.
 - (٥) فيما عدال: «من».
 - (٦) فيما عدال: «عده».
 - (٧) كلمة: «أهل» ليست في ل. وبدلها في ش: «على».
 - (٨) كذا ل. وفي ط: «بشيء قاهر قاعال» تحريف. وفي ش: «بشيء قاهر ظاهر عال»، وفي هـ: «بشيء قاهر ظاهر». فقط.
 - (٩) الملالة: الملل، والضجر. ط، هـ: «منامة» ل: «ملامة»، صوابهما ما أثبت. وفي ش: «سامة».
 - (١٠) ش: «الحالة»، وفيها أيضاً «يرددون» مكان «يترددون». وكلمة: «مثل» ليست في ل.
 - (١١) فيما عدال: «تنغصت طبيعته».
 - (١٢) أي فحولة السنانير، وهي ذكورها.
 - (١٣) فيما عدال: «مثل ما للجمل».
 - (١٤) الأياطل: جمع أياطل، وهو الخاصرة. وانضمامها: ضمورها.

(المكي وإسماعيل بن غزوان)

ونظر المكيّ إلى جمل قد أزيد وتلغم⁽¹⁾، وطار على رأسه منه كشقّق البرس⁽²⁾، وقد زمّ بأنفه، وهو يهدر [ويقبقب⁽³⁾]، لا يعقل [شيئاً] إلا ما هو فيه، فقال لإسماعيل بن غزوان: واللّه لوددت أن أهل البصرة رأوني يوماً واحداً إلى الليل على هذه الصفة، وأنّي خرجت من قليل مالي وكثيره! فقال له إسماعيل: وأي شيء لك في ذلك؟ قال: كنت واللّه لا أصبح حتى يوافي داري جميع نساء أهل البصرة، [وجواريك فيهنّ] فلا أبدأ إلا بهنّ! قال إسماعيل: إنك واللّه ما سبقتني إلا إلى القول، وأما النية والأمنيّة فأنا واللّه أتمنّى هذا منذ أنا صبيّ!

(حال بعض الحيوان عند معاينة الأثني)

وللحمار والفرس عند معاينة الحجر والأتان هيّج⁽⁴⁾ وصياح، وقلق وطلب. والجمل يقيم على تلك الصفة عاين أو لم يعاين، ثم يدنى من هذه الذكورة إنائها⁽⁵⁾ فلا تسمح بالإمكان⁽⁶⁾ إلا بعد أن تسوى وتدارى⁽⁷⁾.

(مقايسة بين السنور والكلب)

قالوا: والسنانير إذا انتقل أربابها من دار إلى دار، كان وطئها أحبّ إليها منهم، وإن أثبتت أعيانهم. فإن هم حولوها فأنكرت الدار لم تقيم على معرفتهم، وربما هربت من دارهم الحادثة ولم تعرف دارهم الأولى، فتبقى مترددة: إما وخشية⁽⁸⁾، [وإما مأخوذة]، وإما متقولة.

والكلب يخلي الدار، ويذهب مع أهل الدار⁽⁹⁾. والحمام في ذلك كالسنور⁽¹⁰⁾.

(1) تلغم: بل مشافره باللغام، وهو زيد أفواه الإبل.

(2) الشقّق: جمع شقة، بالضم، وهي السببية المستطيلة من الثياب. والبرس، بالكسر والضم: القطن، أو قطن البردي. قال:

تري اللغام على هاماتها قزعا كالبرس طيره ضرب الكرابيل

(3) يقبقب: يرجع في هديره.

(4) فيما عدل: «نهيج» وما أثبت من ل أشبه بلغة الجاحظ.

(5) ل: «ثم تدنى منها إنائها».

(6) ط، هـ: «ولا تسمح بإمكانها» ش: «ولا تسمح بإمكان».

(7) تسوى، من التسوية، وهي من التهيئة. فيما عدل: «تساوي» والمدارة: المخاتلة.

(8) فيما عدل: «وخشية» بالخاء المعجمة، ولا وجه له.

(9) انظر كتاب البغال ص 305 من رسائل الجاحظ.

(10) ل: «مثل السنور».

(اختلاف أثمان السنور)

قال صاحب الكلب ⁽¹⁾: السنور يسوَى ⁽²⁾ في صغره درهماً، فإذا كبر لم يسوَى ⁽³⁾ شيئاً. وقال العمي ⁽⁴⁾:

[فإنك فيما قد أتيت من الخنا صفاهاً، وما قد زدّت فيه بإفراط]
كسَنُور عبد الله، بيع بدرهم صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراط ⁽⁵⁾

وصاحب هذا الشعر، لو عَبَرَ مع امرئ القيس بن حُجْر، والنابعة الذُبْياني، وزهير بن أبي سُلمى، ثم مع جرير والفرزدق، [والراعي] والأخطل، ثم مع بشار وابن هرمة، [وابن أبي عُيينة ⁽⁶⁾]، ويحيى بن نوفل [وأبي يعقوب الأعور، ألف سنة - لما قال بيتاً واحداً] مرضياً أبداً. وقد يضاف هذا الشعر ⁽⁷⁾ إلى بشار، وهو باطل.

(حُلاق الحيوان)

وزعم [لي مَنْ] لا أَرُدُّ خبره، أن الحُلاق قد يَعْرِض للسنانير، كما يَعْرِض للخنازير والحمير.

(1) هذه الجملة ساقطة من ل.

(2) ط فقط: «يساوي» وهما صحيحتان، ولكنقال الليث: «يسوى نادرة». وفي اللسان: «وقولهم لا يسوى أحسبه لغة أهل الحجاز، وقد روى عن الشافعي». وفي المصباح: «وفي لغة قليلة سوى درهماً يسواه من باب تعب، ومنعها أبو زيد».

(3) ط فقط: «لم يساو». وانظر التنبيه السالف.

(4) فيما عدل: «العتبي». وقد نسب هذا الشعر إلى بشار، ففي العقد (1: 142) «وكان يزيد بن منصور يجري لبشار العقيلي وظيفة في كل شهر، ثم قطعها عنه، فقال:

أبا خالد ما زلت سابح غمرة
جريت زماناً سابقاً ثم لم تزل
كسَنُور عبد الله بيع بدرهم
صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراط
تأخر حتى جئت تقطو مع القاطي
صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراط

ومثل هذه النسبة مع إنشاد البيت الأول والثالث في ثمار القلوب 327، وقد نص الجاحظ فيما يلي على فساد هذه النسبة. وقال الثعالبي: «وقال قبله الفرزدق:

رأبت الناس يزددون يوماً
كمثل الهر في صغر يغالى
فيوماً في الجميل وأنت تنقص
به حتى إذا ما شبَّ يرخص

(5) روى هذا البيت الميداني في نهاية حرف الكاف مسبوقاً بكلمة: «وقال المحدث».

(6) هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة، وكان أبوه يتولى الري لأبي جعفر المنصور، ثم قبض عليه وحبسه. وكان محمد من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة. وأخبره في الأغاني (18: 29-11).

(7) فيما عدل: «للبيت». وانظر التنبيه الرابع من هذه الصفحة.

وزعم [لي] بعض أهل النظر، أنّ الرّنج أشبهوا⁽¹⁾ الحمير في كلّ شيء، حتى في الحُلاق؛ فإنه ليس على ظهرها⁽²⁾ زنجيٌّ إلا [وهو] حَلَقِيّ. وقد غلط. ليس [عليها] زنجيٌّ عليه مَؤونة من أن يُنَاكَ⁽³⁾. وليس هذا تأويل الحُلاق. وتأويل الحُلاق أن يكون هو الطالب. والنبيد يهتِك ستر الحَلَقِيّ، وينقُض عِزَم المتجَمِّل⁽⁴⁾. وهم يشربون النبيذ أبداً. وسوء الاحتمال له، وسرعة السكر إليهم عامٌّ فيهم. وعندنا [منهم] أممٌ. فلو كان هذا المعنى حقّاً لكان علمه ظاهراً. فخبّرني صاحبنا هذا⁽⁵⁾ أن في منزل أبي يوسف [يعقوب] بن إسحاق الكِندي⁽⁶⁾ هَرَيْن ذكْرَيْن عَظِيمَيْن، يَكُومُ أحدهما الآخر، وذلك كثيراً ما يكون. وأن المنكوح لا يمانعُ الناكح، ولا يلتمس منه مثل الذي يبذله له.

(أكل الهرة أولادها)

قالوا: والهرة تأكل أولادها. فكفّاك⁽⁷⁾ بهذه الخصلة لؤماً وشرهاً، وعُفُوفاً وغلظ قلب! وقال السيّد الحميريّ- وذكر مَسِيرَ عائشة رضي الله عنها، إلى البصرة مع طلحة والزبير، حينَ شَهِدَتْ ما لم يشَهِدَا، وأقدمت على ما نكصا عنه⁽⁸⁾:

جاءت مع الأشقيين في هودج تُزجي إلى البصرة أجنادها
كأنها في فعلها هرة تريد أن تأكل أولادها
ولبس⁽⁹⁾ ما قال في أم المؤمنين [وبنت الصديق]! وقد كان قادراً على أن يوفّر على

(1) ل: «استهوى»، ه: «أشبه»، صوابهما في ط، ش.

(2) ظهرها: أي ظهر الأرض. فيما عدل: «ظهر الأرض».

(3) فيما عدل: «مؤنة من ارتباد نيك».

(4) المتجمل: المتصبر الذي يظهر للناس خلاف ما يبطن من الألم. انظر شرح التبريزي للمعلقات 8، ط، ه:

«المحتمل» ش: «المتحمل»، وأثبت ما في ل.

(5) هذه الكلمة ساقطة من ل. وفيما عدل: «وخبرني» بالواو.

(6) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، كان يسمى فيلسوف العرب، وكان بخيلاً وقد سرد ابن النديم مؤلفاته في الفهرست 358-365 وهو قدر عظيم جداً. وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة. وكان يعقوب عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد. ل: «إبراهيم» موضع «إسحاق» تحريف، وكلمة «الكندي» ساقطة من ل. والخبر سبقت رواية الجاحظ له في (3: 104) وأوله: «وكان عند يعقوب بن صباح الأشعبي».

(7) فيما عدل: «وكفّاك».

(8) فيما عدل: «وأقامت على ما نكصاً عنه». وانظر الخبر والشعر في (1: 149).

(9) كذا في ش. وفي ل: «ولبس». وفي ط، ه: «وليس» وهذه محرفة.

عليّ رضي الله عنه فضله، من غير أن يشتم الحَوَارِيَّينَ، وَأُمّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، ولو أراد الحقّ لسار فيها وفي ذكرها سيرة علي بن أبي طالب. فلا هو جعل علياً قدوة⁽¹⁾، ولا هو رعى للنبي ﷺ حرمة.

وذكورة سنانير الحيران⁽²⁾ تأكل أولاد الهرة، ما دُمْنَ صغاراً أو فوق الصغار شيئاً⁽³⁾، وتقتلها وتطلبها أشدّ الطلب. والأمهات⁽⁴⁾ تحرسها [منها] وتقاتل دونها، مع عجزها عن الذكورة.

(الألوان الأصلية في الحيوان)

[قال أبو إسحاق: السنور الذي هو السنور، هو المنمر، وهو الأنمر، وهو الذي يُقال له: البقاليّ، وذلك لكثرة اتخاذ البقالين لها، من بين سائر السنانير، لأنها أُصِيدَ للفأر. قال: وجميع ألوان السنانير إنما هي كالشّياتِ الدّاخلَةِ على اللون. قال: وكذلك الحمار، إنما هو الأخضر، والألوان الأخرُ داخلَةٌ عليه. قال: فأما الأسدُ فليست بذاتِ شياتٍ، ولا تعدو لوناً واحداً، ويكونُ ذلك اللونُ متقارباً غير متفاوت.

(أحوال إناث السنانير وذكورها)

قال: ومن فضيلة ما في السنانير، أنها تَضَعُ في السّنةِ مرتين وكذلك الماعزة في القرى، إلا ماداس الحبّ⁽⁵⁾. قال: ويحدث لإناث السنانير من القوة والشجاعة إذا كامها الفحل وهرب منها عند الفراغ. فلو لحقته قطّعته. ويحدث للذكر استخذاءً، كما يحدث للذئب القويّ إذا ناله الخدش اليسير، ويحدث للضعيف من الجرأة عليه حتى يثبّ عليه فيأكله؛ فلا يمتنع منه. كما قال الشاعر⁽⁶⁾:

-
- (1) فيما عدل: «فلا هو جعل عليها قدرة»، تحريف.
- (2) الحيران: جمع حوار، وهو ولد الناقة، وفي الأصل: «الجيران». وانظر القاموس (حور) حيث ذكر عقرب الحيران.
- (3) فيما عدل: «سناً».
- (4) فيما عدل: «فالأم». والأصل في «الأمهات» أن تكون للآدميين، وأن تكون «أمات» لغير الآدميين. لكن سمع استعمال كل واحدة منهما مكان الأخرى. انظر اللسان (14: 294).
- (5) أي إلا ما يدوس الحب منها في البيادر، والأصل في الدياس أن تستعمل البقر. قال الجاحظ في ص 324 من هذا الجزء: «والماعزة قد تولد في السنة مرتين إلا ما ألقى منها في الدياس، ولها في الدياس نفع موقعه عظيم».
- (6) هو الفرزدق، كما في اللسان (13: 204) وديوانه ص 749 والحيوان (6: 190). وهو منسوب إليه أيضاً في ابن سلام 306 وجعله من مقلدات الفرزدق، وهي الأبيات المستغنية بنفسها، المشهورة، التي يضرب بها المثل. ونسب إليه أيضاً في الأغاني (19: 15) نقلاً عن ابن سلام. وانظر قصة انتحال الفرزدق هذا البيت في الأغاني (5: 157).

وكنْتَ كذَّاب السَّوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحوالَ على الدم^(١)
ويحدث مثل ذلك للجرذ^(٢) إذا خُصي، من الحَرْد على سائر الجرذان^(٣)، حتى يشب
فيقْطَعها، وتهرب منه ضعفاً عنه.

وسائر الحيوان إنما يعتريه الضَّعْفُ عن أمثاله إذا خُصي وترك أمثاله على حالها^(٤).

(قول زرادشت في الفأر والرُّد عليه)

ثم رجَعنا إلى قول زَرادُشتَ في الفأر.

زعم زَرادُشتُ أن الفأرة^(٥) من خَلق اللّهِ، وأن السَّئورَ من خَلق الشَّيطان. فقليل
للمجوس^(٦): [ينبغي^(٦)] على أصل قولكم أن يكون الشيء الذي خلق اللّهُ خيراً كله ونفعاً
كله، ومرفقاً كله^(٧)، ويكون ما خلق الشَّيطان على خلاف ذلك. ونحن نجدُ عياناً أن الذي
قلتم به خطأ. رأينا الناس كلهم يرون أن الفأر بلاءٌ ابتلوا به^(٨)، فلم يجدوا بداً من الاحتيال
لصرف مضرته، كالداء النازل [الذي] يلتمس له الشفاء، ثم وجدناهم قد أقاموا السنابير [مُقامَ
التداوي والتعالج، وأقاموا الفأر مُقامَ الداء الذي أنزله اللّهُ، وأمر بالتداوي منه، فاجتلبوا
لذلك^(٩) السنابير] وبناتِ عرس، ثم نصبوا لها ألوان الصيادات^(١٠)، وصنعوا لها ألوان
السُّموم [والمعجونات التي إذا أكلت منها ماتت. واستفروها السنابير^(١١)] واختاروا
الصيادات.

واجتَبَوْا السَّئورَ دون ابنِ عرس^(١٢)، لأن ابنَ عرسٍ يعمل في الفأر والطير كعمل الذَّئبِ
بالغنم^(١٣)، [فأول^(١٤)] ما يصنع بالفريسة أن يذبَّحها، ثم لا يأكلها إلا في القُرط. والسنور

- (١) أحوال الذئب على الدم: أقبل عليه. ورواية اللسان: «فكان كذَّاب».
- (٢) الجرذ: ضرب من الفأر. وفي الأصل، وهو هنا ل: «الجراد»، تحريف عجيب.
- (٣) الحرد: الغضب، وأن يغتاظ فيتحرش بالذي غاظه، يقال بالفتح وبالتحريك، والفتح أفصح، وهو لغة الكتاب: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْوٍ قَدِيرٍ﴾ [القلم: 25].
- (٤) ل: «الفأر».
- (٥) فيما عدل: «للمجوسي». وكل منهما صحيح.
- (٦) هذه التكملة من ل، ش.
- (٧) المرفق، كمنبر، ومسجد، ومقعد: ما استعين به. ط، هـ: «موقفاً»، صوابه في ل، ش.
- (٨) ل: «بلوا».
- (٩) ل: «لم».
- (١٠) هذه التكملة من ل، ش. وفي ل: «واجتلبوا».
- (١١) ش: «ثم نصبوا لها السنابير واختاروا الصيادات».
- (١٢) يستفرو: يختار الفأرة الجيد.
- (١٣) اجتنبوا: اختاروا. فيما عدل: «واختاروا السنور على ابن عرس».
- (١٤) فيما عدل: «عمل الذئب بالغنم»، وفي ط بعد ذلك: «فالأول أكثر».
- (١٥) هذه من ل، ش. هـ.

يقتل ثم يأكل. فالفار⁽¹⁾ [من السنور⁽²⁾] أشدُّ فَرَعًا⁽³⁾، وهو الذي قوبل به طباعها وطباعه. وكما أن الذي يأكل الدجاج كثير، [وأن] الذي جُعِلَ بإزائه ابن آوى، وكما أن الذي يأكل الغنم كثير، والذي جُعِلَ بإزائها الذئب. والأسد [أقوى منه] على النعجة، والنعجة من الذئب أشدُّ فَرَقًا⁽⁴⁾. والحيات تطالبُ الفأر والجُرذان، وهي من السنور أشدُّ فَرَعًا⁽⁵⁾. وإن كان في الجُرذان ما يُساوي السنور فإنها منه أشدُّ فَرَعًا. فإن كنتم إنما جعلتموه من خلق الشيطان [لأكله صنفًا واحدًا من خلق الله - فالأصناف التي يأكلها من خلق] الشيطان أكثر⁽⁶⁾.

وزعم زَرَادُشْت أن السَّنورَ لو بال في البحر، لَقَتَلَ عشرة آلاف سَمَكَة. فإن كان إنما استبصر⁽⁷⁾ في ذمّه في قتل السمك⁽⁸⁾ فالسمك أحقُّ بأن⁽⁹⁾ يكون من خلق الشيطان؛ [لأن السمك يأكل بعضه بعضاً، والذكر يتبع الأنثى في زمان طرح البيض]، فكلما قذفت به التهمة⁽¹⁰⁾. وإن غرق إنسان في الماء، بحرًا كان أو وادياً، أو بعض ذوات الأربع - فالسمك أسرع إلى أكله من الضباع⁽¹¹⁾ والنسور إلى الجيف.

وعلى أن اعتلاله على السنور، وقوله: لو بال في البحر قتل⁽¹²⁾ عشرة آلاف سمكة. فما يقول فيمن زعم أن الجُرذ لو بال في البحر قتل⁽¹³⁾ مائة ألف سمكة؟ وبأي شيء يبين منه⁽¹⁴⁾؟ وهل ينبغي لمن كسر هذا القول الظاهر الكسر⁽¹⁵⁾، المكشوف الموق⁽¹⁶⁾ [أن يفرح]؟! وهل تقر الجماعة والأمم بأن في الفأر شيئاً من المرافق؟! وهل يُمازج مضرّتها شيء

(1) فيما عدل: «والسنور يقتل ويأكل. والفأر».

(2) هذه من ش فقط.

(3) فيما عدل: «أشد منه فَرَعًا»، وكلمة «منه» مقحمة.

(4) الفرق، بالتحريك: الخوف. ل: «خوفاً».

(5) ه، ش: «فَرَعًا».

(6) فيما عدل: «فالشيطان أكثر».

(7) استبصر في رأيه: تبين ما يأتيه من خير أو شر، واستعمل بصيرته. فيما عدل: «استنصر».

(8) أي في قتل السنور السمك ببوله في البحر. ش، ه: «في قتله».

(9) فيما عدل: «أن».

(10) فيما عدل: «فكل ما قذفت به التهمة».

(11) ل: «السباع».

(12) فيما عدل: «وإن بال»، وفي ط فقط: «لقتل».

(13) فيما عدل: «لقتل». وهما وجهان جائزان. وفي الكتاب: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ [الواقعة: 65]، و: ﴿لَوْ نَشَاءُ

لَجَعَلْنَاهُ أَجْحًا﴾ [الواقعة: 70].

(14) يبين منه: أي يفترق. فيما عدل: «يتبين منه».

(15) ط: «وهل يتبين»، صوابه في سائر النسخ. وفي ل: «الكسير» موضع «الكسر» تحريف.

(16) الموق: الحمق. ط، ه: «المرئي» ش: «الرأي»، صوابهما في ل.

من الخير وإن قلَّ؟! أو ليست الفأر والجردان هي التي تأكل كُتَبَ الله تعالى، وكتب العلم، وكتب الحساب؛ وتقرض الثياب الثمينة، وتطلب سرَّ نوى القطن⁽¹⁾، وتُفسد بذلك اللحف والدواويج⁽²⁾ والجباب⁽³⁾، والأقبية⁽⁴⁾ والخفاتين⁽⁵⁾، وتحسُّ الأدهان، فإن عجزت أفواؤها أخرجتها بأذنانها؟! أوليست التي تنقب السلال وتقرض الأوكية⁽⁶⁾ وتأكل الجرب حتى يُعلَقَ المتاعُ في الهواء إذا أمكن تعليقه؟!

وتجلبُ إلى البيوت الحيَّات؛ للعداوة التي بينها وبين الحيَّات، [و]لحرص الحيَّات على أكلها⁽⁷⁾، فتكون سبباً في اجتماعها⁽⁸⁾ في منازلهم، وإذا كثُر⁽⁹⁾ قتلَ النفوس⁽¹⁰⁾. وقال ابن أبي العجوز: لولا مكانُ الفأر لما أقامت الحيَّات في بيوت الناس، إلا مالا بال به⁽¹¹⁾ من الإقامة.

وتقتل الفسيل والنخل⁽¹²⁾، وتهلك العلف والزرع، وربما أهلكن القراح⁽¹³⁾ كله، وحملن شعير الكدس⁽¹⁴⁾ وبره⁽¹⁵⁾.

أو ليس [معلوماً]⁽¹⁶⁾ من أخلاقها اجتذاب فتائل المصاييح رغبةً في تلك الأدهان، حتى

- (1) سر النوى: جوفه ولبه. ط: «كسر»، ش، هـ: «تثير» صوابهما في ل.
- (2) الدواويج: جمع دواج، كرمان، وهو ضرب من الثياب. قال ابن دريد: لا أحسبه عربياً صحيحاً، ولم يفسره، كذا في اللسان. وفي القاموس: «الدواج كرمان وغراب: اللحاف الذي يلبس». وفي المعرب 147: «قال أبو حاتم: حدثني من سمع يونس يقول: هو الدواج بالتخفيف، الذي تقول له العامة دواج بالتشديد. قال أبو حاتم: وهو فارسي معرب». وقال أدي شير 68: «الدواج والدواج: اللحاف الذي يلبس، فارسيته دواج». لكن الذي عند استينجاس 539 أن هذا اللفظ مما اشتركت فيه اللغتان، وجعله بمعنى ملاءة السرير أو لحافه. أو بمعنى الملاءة مطلقاً. ش: «الدواج»، ط، هـ: «الدوايح»، صوابهما في ل.
- (3) تجمع الحجة على جب وجباب. فيما عدل ل: «والقبا»، محرف.
- (4) الأقبية: جمع قباء، بالفتح، سمي بذلك لاجتماع أطرافه.
- (5) الخفاتين: جمع خفتان، بفتح الخاء. وهو لفظ فارسي، لم تذكره المعاجم العربية، ولا تعرض له الجواليقي. وقال أدي شير 56: «فارسي محض، وهو ثوب من القطن يلبس فوق الدرع، ومنه التركي قُفْطَان». وعند استينجاس 468 أنه ثوب يلبس تحت السلاح، أي الدرع ونحوه. ونصه: **A vest worn under armour**، ط، ش: «الخفاف» هـ: «الخفاش»، صوابه في ل.
- (6) الأوكية: جمع وكاء، بالكسر، وهو رباط القربة. فيما عدل ل: «تنقب الأوكية وتنقب السلال».
- (7) الكلام من: «إذا أمكن تعليقه» إلى هنا ساقط من ش.
- (8) ط: «تكون سبباً لاجتماعهما»، ش: «فيكون سبباً لاجتماعهما».
- (9) ط: «كثرت» ش: «كبرت» هـ: «كبرن». والأخيرتان محرفتان.
- (10) ط، ش: «قلت النفوس».
- (11) البال: الاكتراث. ط: «ما لا بدله» ش: «ملا بال له». وأثبت ما في ل، هـ.
- (12) الفسيل: صغار النخل، واحده فسيلة. فيما عدل ل: «النفس والنخل» تحريف.
- (13) القراح، بالفتح: الأرض المخلصة لزراع أو لغرس، وكل قطعة على حياها من منابت النخل وغير ذلك، والجمع أقرحة، كقذال وأقذلة. فيما عدل ل: «الفراخ» تحريف.
- (14) الكدس، بالضم والفتح: العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك، والجمع أكداًس. فيما عدل ل: «الكرس»، تحريف.
- (15) ش: «وبزره» تحريف.
- (16) في الأصل، وهو هنا ل: «معلوم» وفي ل أيضاً قبلها: «وليس».

ربما جذبتُها جهلاً وفي أطرافها الآخر السُّرج تستوقد⁽¹⁾ فتحرق⁽²⁾ بذلك القبائل الكثيرة، بما فيها من الناس والأموال والحيوان؟!

وهي بعد آكل للبيض⁽³⁾ وأصناف الفراخ من الحيات لها.

فكيف لم تكن من هذه الجهة من خلق الشيطان؟!

هذا، وبين طباعها وطباع الإنسان مُنافرة شديدة، ووَحْشَةٌ مفرطة. وهي لا تأنس بالناس وإن طالَّت معاشيتها لهم⁽⁴⁾ والسُّتُورُ آنسُ الخلق بهم.

وكيف تأنس بهم وهم لا يُقلعون⁽⁵⁾ عن قتلها ما لم تقلع [هي] عن مَسَاءَتهم؟! فلو كنَّ مما يؤكل لكان في ذلك بعض المرفق⁽⁶⁾. فكيف وإنها لتلقى في الطريق⁽⁷⁾ ميّته، فما يعرض لها الكلبُ الجائع!

فالأمم كلها على التفادي منها⁽⁸⁾ واتخاذ السنابير لها.

وَزَرَأْدُشْت بهذا العقل دعا الناس إلى نكاح الأمهات، و[إلى] التوضؤ بالبول⁽⁹⁾، وإلى التوكيل في نيك المغيبات⁽¹⁰⁾، وإلى إقامة سُوراسُنْب⁽¹¹⁾، وصاحب⁽¹²⁾ الحائض والنفساء.

(علة نجاح زرادشت)

ولولا أنَّه صادف دهرًا في غاية الفساد، وأُمَّة في غاية البُعد من الحرية ومن الغيرة والألفة، ومن التقزُّز والتنظف⁽¹³⁾، لما تمَّ له هذا الأمر.

(1) ط، هـ: «وفي طرفها الآخر»، وأثبت ما في ل، ش. السرج: جمع سراج، وهو المصباح. فيما عدل: «السراج يستوقد».

(2) فيما عدل: «فتحرق».

(3) ط فقط: «أكل البيض»، تحريف. آكل: أشد أكلًا.

(4) عايشه: عاش معه. فيما عدل: «معاشرتهم». وأنشد ابن منظور قول قعنب:

وقد علمت على أني أعایشهم لا نبرح الدهر إلا بيننا إحن

(5) أفلع عن الشيء: كف. فيما عدل: «يغفلون»، تحريف نص. وكلمة: «بهم» ليست في ل.

(6) المرفق: المنفعة. ط، ش: «فلو كانت» هـ: «فلو كان» وهذه محرفة. وفيما عدل: «المرافق».

(7) لتلقي، من لقيه يلقاه. هي كذلك بالقاف في نسخ الأصل، وفيما عدل: «في الطريق».

(8) تفادي من كذا: إذا تحاماه وانزوى عنه. فيما عدل: «التأذي».

(9) فيما عدل: «والتوضي بالأبوال». وفي اللسان (1: 190): ولا تقل توضيت وبعضهم يقوله. وفي تاج العروس

(1: 134): «ذكر قاسم عن الحسن أنه قال يوماً: توضيت - بالياء - فقل له: أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال: إنها لغة

هذيل، وفيهم نُسأت».

(10) المغيبات، بضم فكسر: جمع مغيب ومغيبة، وهي التي غاب عنها زوجها. ل: «المغيبات» تحريف.

(11) كذا وردت الكلمة بهذا الضبط في ل. ط، هـ: «سوارست» ش: «سوراست». وانظر الاستدراكات.

(12) كذا بالأصل.

(13) التنظف، بالطاء المعجمة. وفي اللسان: «قال أبو منصور: التنظف عند العرب التنطس والتقزُّز وطلب النظافة».

وقد زعم ناسٌ أن ذلك إنما كان وإنما تَمَّ لأنه بدأ بالملك فدعاه⁽¹⁾ على قَدْر ما عَرَف من طباعه وشهوته وخلقُه . فكان الملكُ هو الذي حَمَلَ على ذلك رعيَّته .

والذي قال هذا القولَ ليس يَعْرِف من الأمور [إلا بقدر] ما بَايَن به العامة⁽²⁾ ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الملكُ حَمَلَ العامة على ذلك ، إلا بعد أن يكون زَرَادشتُ أَلْفِي على ذلك الفسادِ أَجْنَادَ الملك . ولم يكن [الملك] ليقوى⁽³⁾ على العامة بأجناده ، وب عشرة أضعاف أجناده ، إلا أن يكون في العامة عالم من الناس⁽⁴⁾ ، يكونون أعواناً للأجناد على سائر الرعية .

وعلى أن المملوكَ ليس لها في مثل هذه الأمور عِلَّة تدعو إلى المخاطرة بملكها ، وإنما غايةُ المملوكِ كل شيء لا بد للملوك منه ، فأما ما فضل عن ذلك فإنها لا تخاطر بأصول المُلْك تَطْلُب⁽⁵⁾ الفضول . إلا من كان مُلكه في نصاب إمامة ، وإمامته في نصاب نُبوَّة ، فإنه يَتَّبِع كلَّ شيء توجبه الشريعة ، وإن كان ذلك سبيلَ الرأي ؛ لأن الذي شرع الشريعة أَعْلَمُ بغيب تلك المصلحة⁽⁶⁾ .

وقد ينبغي أن يكون ذلك الزمان [كان] أَفسدَ زمان ، وأولئك الأهل⁽⁷⁾ كانوا شرَّ أهل . ولذلك لم ترقْ قطْ ذا دين تحوّل إلى المجوسية عن دينه . ولم يكن ذلك المذهبُ إلا في شِقِّهِمْ وَصْفُهم من فارس⁽⁸⁾ والجبالِ وَخُرَاسان . [وهذه] كلها فارسية .

(أثر البيئة في العقيدة)

فإن تعجَّبت⁽⁹⁾ من استسقاطي لَعْقَلِ كِسْرَى أبرويز وآبائه وأخْبائه وقرايينه⁽¹⁰⁾ وكُتَّابه وأطبائه ، وحكمائه وأساورته - فإني أقول في ذلك قولاً تَعْرِف به أنني⁽¹¹⁾ ليس إلى العصبية ذهبت .

(1) ط : «بدأ بدعاء الملك» هـ : «بدأ» مع سقوط الكلمتين بعدها . وأثبت ما في ل ، هـ . والملك هو «كيشتاسب» أنه زرادشت بدين المجوسية ، فقبلها وحمل أهل مملكته عليها . وقاتل عليها حتى ظهرت . التنبيه والإشراف 79 .

(2) باينهم : فارقههم . ط هـ : «تأتي» ش : «يأتي» ، وأثبت ما في ل .

(3) فيما عدا ل : «يقوى» .

(4) فيما عدا ل : «عامة من الناس» .

(5) ل : «لطلب» .

(6) ط : «بغ تلك المصلحة» ، صوابه في سائر النسخ .

(7) فيما عدا ل : «وذلك الأهل» .

(8) الشق والصقع : الناحية . فيما عدا ل : «في ضعفه من أهل فارس» .

(9) فيما عدا ل : «فإن عجت» .

(10) قرايين الملك : وزراؤه وجلساؤه وخاصته ، واحدهم قربان بالضم . ل : «وقرائه» وهذه إنما تكون جمع قريبة .

وفما عدا ل : «قرايته» وهي لغة مقول فيها . ولعل الوجه ما أثبت . وفي ط : «وأحبابه» بدل : «أحبائه» . والأحباء :

جمع حباً بالتحريك ، وهو جليس الملك وخاصته .

(11) فيما عدا ل : «يعرف به أنني» .

اعلم أنني لم أعني بذلك القول الذين وُلدوا بعدُ على هذه المقالة، ونشئوا⁽¹⁾ على هذه الديانة، وغُذوا بهذه النحلة، ورُبُّوا [جميعاً] على هذه الملة⁽²⁾؛ فقد علمنا جميعاً أن عقولَ اليونانية فوقَ الديانة بالدهرية⁽³⁾ والاستبصار في عبادة [البروج و] الكواكب؛ وعقول الهند فوقَ الديانة بطاعة البد⁽⁴⁾، وعبادة البدَّة⁽⁵⁾، وعقول العرب فوقَ الديانة بعبادة الأصنام والخشب المنجور⁽⁶⁾، والحجر المنصوب، والصخرة المنحوتة.

فداء المنشأ والتقليد، داءٌ لا يُحسِّنُ علاجَه جالينوس⁽⁷⁾ [ولا غيره من الأطباء⁽⁸⁾]. وتعظيمُ الكبراء⁽⁹⁾، وتقليدُ الأسلاف، وإلف دين الآباء، والأنس بما لا يعرفون غيره، يحتاج إلى علاج شديدة. والكلام في هذا يطول.

فإن أثرت أن تتعجب، حتى دعاك التعجب إلى ذكر أبرويز - فاذكر سادات قريش، فإنهم فوق كسرى وآل كسرى.

(دفاع صاحب السنور)

[و] قال المحتجُّ للسنانير: قد قالوا: «أبر من هرّة!» و: «أعق من ضَبَّ⁽¹⁰⁾!». وهذا قول الذين عاينوها تأكلُ أولادها. وزعموا أن ذلك من شدة الحبِّ لها. وقال بعضهم: إنما يعتربها ذلك من جنونٍ يعتربها عند الولادة، وجوعٍ يذهبُ معه علمها بفرقٍ ما بين جرائها

(1) ش، هـ: «ونشئوا».

(2) فيما عدل: «وربوا بهذه الملة».

(3) أي عقولهم فوق أن تدين بمذهب الدهرية الذي اعتنقوه. وهذا وما بعده تقرير للمبدئ القائل بأن العقيدة لا تتعقل العقل. فيما عدل: «فوق عقول الديانة بالدهرية»، وكلمة: «عقول» مقحمة. والكلام من هنا إلى كلمة «الديانة» التالية ساقط من هـ.

(4) البد، بالضم: الصنم، فارسي معرب. والجمع البددة، بكسر ففتح. مأخوذ من كلمة «بُت» الفارسية، ومعناها الصنم استينجاس 154، وجعلها صاحب القاموس معرب «بت» بالباء الفارسية! ط، هـ: «فوق العادة»، صوابها في ل.

(5) البددة: جمع بد. انظر التنبيه السابق. ط: «البددة» هـ: «البدوة»، صوابهما في ش. وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل.

(6) ط، هـ: «والخشب المنجورة» على أن تكون «الخشب» بضمين جمعاً. وأثبت ما في ل، والكلام من «والخشب» إلى: «المنحوتة» ساقط من ش.

(7) جالينوس، يوناني، كان إمام الأطباء في عصره. وقد نقل العرب كتباً كثيرة له في الشريح. وفيه يقول أبو الطيب:

يموت راعي الضأن في جهله مودة جالينوس في طبه

والكلام من: «والتقليد» إلى هنا ساقط من ل.

(8) هذه من ش.

(9) هاتان الكلمتان ساقطتان من ل.

(10) انظر ما سبق في (2: 149)، وكذا أمثال الميداني (2: 451) في المثل: «أعق من ضب».

وجِراء غيرها من الأجناس⁽¹⁾، ولأنها متى⁽²⁾ أُشْبِعَتْ أو أَطْعِمَتْ شَطَرَ شِبَعِهَا لم تعرض لأولادها. والرد⁽³⁾ على الأمم مثالها عملٌ مسخوط. والعرب لا تتعصب للستور على الضب فيتوهم⁽⁴⁾ عليها في ذلك خلاف الحق، وإنما هذا منكم على جهة قولكم في السنور إذا نَجَتْ⁽⁵⁾ لنجوه ثم ستره، ثم عاود ذلك المكان فشمه⁽⁶⁾ فإذا وجد رائحة زاد عليه من التراب⁽⁷⁾. فقلتم: ليس الكرم وستر القبيح أراد، وإنما أراد تأنيس الفأر. فنحن لا ندع ظاهر صنيعة الذي لا حكم له إلا الجميل لما يدعي مدع من تصارييف الضمير⁽⁸⁾.

وعلى أن الذي قُلتُموه إن كان حقاً فالذي أعطيتُموه من فضيلة التدبير أكثر مما سلَّبتُموه من فضيلة الحياة⁽⁹⁾.

(العيون التي تسرج بالليل)

قال: والعيون التي تُسرج بالليل: عيون الأسد، والأفاعي، والسنانير، والثُّمور. والأسد سُجِّرَ العيون⁽¹⁰⁾. وعيون [السنانير] منها زُرُق، ومنها ذهبية، كعيون أحرار الطير وعقاقها. وعيون الأفاعي بين الزُّرُق⁽¹¹⁾ والذهبية. وقال حسابن بن ثابت⁽¹²⁾:
ثريد كأن السَّمْنَ في حَجَرَاتِهِ نُجُومُ الثُّرَيَّا أو عُيُونُ الضِّيَّائِينَ⁽¹³⁾
الضِّيَّون: الستور⁽¹⁴⁾.

- (1) الجراء، بالكسر: جمع جرو، مثلثة، وهو الصغير من ولد الكلاب والسباع ونحوها. ويجمع أيضاً على أجراء وأجر وأجرية. فيما عدل: «أجرائها وأجراء غيرها من الأجناس».
- (2) فيما عدل: «لو».
- (3) ط، هـ: «فالرد».
- (4) ش: «فيقرهم» تحريف.
- (5) نجت: بحث. الأصمعي: نبشوا عن الأمر وبحثوا ونجثوا بمعنى واحد. ونجيث البئر والحفرة ونجيثتهما: ما خرج من ترايهما. فيما عدل ش: «بحث» وهما بمعنى.
- (6) فيما عدل: «بالشم».
- (7) فيما عدل: «فإن وجد رائحته زاد عليه بالتراب». وانظر (2: 146).
- (8) فيما عدل: «ونقضي بما يدعي». إلخ.
- (9) فيما عدل: «الجميل» تحرف. والمراد بالحياة: ستره نجوه.
- (10) السجرة: أن يشرب سواد العين حمرة. فيما عدل: «سحر»، بالمهملة، تحريف، وانظر ما سبق في (4: 131 س).
- (11) ل: «الزُرُق» تحريف. وانظر الكلام على ألوان العيون في (4: 65، 130).
- (12) لم أجد هذا البيت في ديوانه.
- (13) الحجرات، بفتحتين: جمع حجرة، بالفتح، وهي الناحية. والثريا: مجموعة عنقودية من النجوم، وليست نجماً واحداً. فيما عدل: «كأن الشمس»، صوابه في ل ولسان العرب (ضون 123). وانظر مثيل البيت في اللسان (كدن 237).
- (14) في اللسان: «الضيون: السنور الذكر، وقيل هو دابة تشبهه».

(تحقيق في الألوان)

وإذا قال الناس: ثوب أزرق فإنهم يذهبون إلى لون واحد. وإذا وصفوا بذلك العينَ وَقَعَ على لونين؛ لأن البازي يسمى أزرق⁽¹⁾ وكذلك العقاب، والزَّرَقُ⁽²⁾، وكل شيء ذهبيّ العين. فإذا قالوا: سنور أزرق لم يُدَرَّ، أذهبوا⁽³⁾ إلى ألوان الثياب أم إلى ألوان عيون البزاة.

و[قد] قال صُحَّارُ العبدِيّ⁽⁵⁾ حين قال له معاوية: يا أزرق! قال: البازي أزرق. وأنشد:

ولا عَيْبَ فيها غيرَ شُكْلَةٍ عَيْنِها كذاك عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عِيُونِها⁽⁶⁾

والذهب قد يقال له أصفر، ويقال له أحمر.

وقال بعض بني مَرْوَانَ لبعض ولد متمم بن نُويرة: يا أحمر⁽⁷⁾! قال: الذهب أحمر. فلذلك زعم أن عِتاقَ الطيرِ شُكْلٌ عِيُونِها.

وقال الأخطل:

وما زالت القَتلى تَمُورُ دماؤُهم بدِجَلَةٍ حتى ماء دِجَلَةٍ أَشْكلُ⁽⁸⁾

فالشُّكْلَةُ عندهم تقع على الصُّفْرة والحمرة إذا خالطا غيرهما.

(الزرق العيون من العرب)

فمن الزرق⁽⁹⁾ [من الناس] صُحَّارُ العبدِيّ، وعبدُ الرحمن ابنُه، ودأود بن متمم بن نُويرة، والعباس بن الوليد بن عبد الملك [بن مروان] ومروان بن محمد بن مروان⁽¹⁰⁾،

(1) في اللسان: «والبازي يكون أزرق». فيما عدل ل: «ليس أزرق» تحريف.

(2) الزرق يضم الزاي وتشديد الراء المفتوحة: طائر بين البازي والباشق يصاد به، وقال الفراء، هو البازي الأبيض. فيما عدل ل: «الزارق» صوابه في ل.

(3) ط فقط: «سنور أزرق ذهبوا»، بإسقاط ما بين الكلمتين الأخيرتين.

(4) فيما عدل ل: «والي».

(5) سبقت ترجمته في (1: 87).

(6) سبق البيت والخبر قبله في (4: 131) فارجع إليه.

(7) الأحمر، مما يعيب به العرب، وهم يسمون العجم الحمراء لبياضهم، ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم، ويسمون أيضاً الموالي الحمراء. وبذلك فسر حديث: «أرسلت إلى الأحمر والأسود». انظر ص 48 من هذا الجزء.

(8) تمور: تموج وتتردد. فيما عدل ل: «تمار». أماره: أساله وأجراه.

(9) المراد بالزرق، زرق العيون.

(10) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. بويح سنة 127، وكان مقتله ببوصير الأشمونين من صعيد مصر سنة 132.

وسعيد بن قيس الهمداني⁽¹⁾، وزرقاء اليمامية. وهي عَنَز، من بنات لُقْمَان بن عَادِيَا. ومن الزُّرْق ممن كانوا يتشاءمون به: قيس بن زهير، [وكان أزرق] وكان بكراً وابن بَكْرِين⁽²⁾.

وكانت البسوسُ زَرْقَاءَ [و] بكراً بنت بَكْرِين. ولها⁽³⁾ حديث لا أحقّه. وكانت الزَّبَاءُ زرقاء⁽⁴⁾. والزُّرْق العيون، من بني قيس بن ثعلبة، منهم المرقشان⁽⁵⁾، وغيرهما.

(الحمير الحماليق من العرب)

والحميرُ الحماليق⁽⁶⁾، من بني شيبان، وكان النعمان [أزرق، أقشَر⁽⁷⁾، أحمر] العينين، أحمر [الحماليق]. وفيه يقول أبو قُردودة حين نهى ابن عمار⁽⁸⁾ عن منادمته:

إني نهيتُ ابنَ عَمَارٍ وقلتُ له لا تأمَنَنَّ أحمرَ العينينِ والشَّعرِ
إن الملوك متى تَنَزَّلُ بساحتهم تطرُّ بنارك من نيرانهم شرَّره
يا جَفْنَةَ كِإِزاءِ الحوض قد هَدُمُوا وَمَنْطِقاً مِثْلَ وشيِ اليمنة الحَبْرَةِ

(شعر في الزرق)

وقال عبد الله بن همام السلولي:

ولا يكونَنَّ مالُ اللَّهِ مأكَلَةً لكلِّ أزرقٍ من هَمْدَانَ مَكْتَحِلٍ⁽⁹⁾
وقال آخر⁽¹⁰⁾:

(1) نسبة إلى همدان، قبيلة في اليمن. وكان من خبره أن علياً كان قد أهدر دم حارثة بن بدر الغداني، فكان قيس شفيعاً له عند علي، واحتال لذلك بحيلة طريفة؛ فعفا عنه علي، وانصرف سعيد إلى حارثة وأعلمه بذلك، وكساه، وأجازه بجائزة سنينة؛ ولما أراد الانصراف إلى البصرة شيعه في ألف راكب. وكان مما قال فيه حارثة (الأغاني 65: 21):

اللَّهُ يجزي سعيد الخير نافلة أعني سعيد بن قيس قرم همدان
أنقذني من شفا غبراء مظلمة لولا شفاعته ألبست أكفاني

- (2) كان العرب يتشاءمون بالبكر ابن البكرين. انظر ثمار القلوب 533-534.
- (3) فيما عدل: «ولهما». وانظر ما مضى في (98: 3).
- (4) انظر حديثهما في ص 188 فيما عدل: «وكانت الزرقاء بكراً» تحريف.
- (5) هما المرقش الأكبر والمرقش الأصغر، سبقت ترجمتهما في (222: 4).
- (6) الحملاق: باطن أجفان العين الذي يسوده الكحل.
- (7) الأقشَر: الشديد الحمرة كأن بشرته متقشرة، ويقال للأبرص أيضاً. وانظر الحديث عن البرص ص 111-113.
- (8) هو عمرو بن عمار الطائي، والمترجم في (4: 139). وانظر الخبر والشعر ومراجعتهما هناك.
- (9) المأكلة، بفتح الكاف وضمة: اسم مكان من الأكل، ولغة الضم مسموعة. وعبرة الجوهرى: المأكلة والمأكلة: الموضع الذي منه تأكل.
- (10) هو سويد بن أبي كاهل، كما في الأغاني (49: 19).

لقد زَرَقْتُ عيناك يا ابنُ مُكْعَبٍ كما كُلُّ ضَبِّي من اللؤمِ أزرَقُ⁽¹⁾
وفي باب آخر يقول زهير:

فلما وَرَدَنَ الماءَ زُرْقاً جِماؤه وَضَعَنَ عَصِيَّ الحاضرِ المتخيمِ⁽²⁾

(معارف في حمرة العين)

وقال يونس: لم أَرْ قَرَشِيًّا قَطُّ⁽³⁾ أَحْمَرَ عروقِ العينين إلا كان سيِّداً شجاعاً.

وروي أن النبي ﷺ، كان أَشْكَلَ العينين⁽⁴⁾ ضليع الفم⁽⁵⁾.

(شعر في الدعاء على الفأر)

قال: ونزل أبو الرُّغلِ الجرمي⁽⁶⁾ بعضَ قري أنطاكيةَ فلَقِيَ من جردانها شراً، فدعا عليها⁽⁷⁾ بالسنابير فقال:

يا رَبِّ شُعْثِ بَرَى الإسَّادِ أوجههم	وَمُنْزَلَ الحُكْمِ في طه وحاميم ⁽⁸⁾
أَتَخْ لشيخ ثَوَى بالشامِ مُغْتَرِباً	نائي النصير بعيدِ الدارِ مهموم
تَكْنَفْتُهُ قَرِيبَاتِ الخُطَى دُكُنْ	وُقْصُ الرِّقَابِ لطيفاتِ الخراطيمِ ⁽⁹⁾
حُجْنُ المخالبِ والأنيابِ شابكةٌ	غُلْبُ الرِّقَابِ رَحِيبَاتِ الحيازيمِ ⁽¹⁰⁾

(1) ابن مكعب هذا هو محرز بن مكعب الضبي، شاعر من شعراء المفضليات، له المفضلية 60 من طبع المعارف، والمكعب، بكسر الباء، وفي اللسان: ويقال كعبره بالسيف أي قطعه، ومنه سمي المكعب الضبي لأنه كعبر قوماً بالسيف. وروى بالفتح أيضاً. انظر مقدمة المفضلية 60، ورواية البيت في المخصص (1: 100): «كذا كل ضبي».

(2) يقال ماء أزرَق إذا كان صافياً. وجمام: جمع جم وجمة، وهو الماء المجتمع. والحاضر: النازل على الماء. ويقال وضع عصاه: إذا ترك السير.

(3) ط، هـ: «قطان»، صوابه في ل، ش.

(4) فسرهما سماك بن حرب بأنه طول شق العين. قال ابن سيده: «وهذا نادر» يعني هذا التفسير. وقال ابن الأثير: أي في بياضها شيء من حمرة. وهو محمود محبوب. فيما عدل ل: «أشهل»، وهي رواية أخرى ثابتة في اللسان (13: 381، 396).

(5) ضليع الفم: أي عظيمه، وقيل واسعه. والعرب تحمد عظم الفم وسعته، وتذم صغره. انظر ص 178.

(6) فيما عدل ل: «الحربي».

(7) ط، هـ: «عليهم».

(8) الشعث: جمع أشعث، وهو المتلبد الشعر. والإسَّاد: سير الليل كله. وأراد بطله وحاميم سور القرآن جميعاً. فيما عدل ل: «يارب شعب ير»، ط: «الأسَّار وجههم». هـ: «الأسنان وجههم»: تحريفات. وفيما عدل ل: «وطسم» تحريف.

(9) دكن: جمع دكناء، والدكنة: لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد. فيما عدل ل: «ذكره»، تحريف. وقص: جمع وقصاء، وهي القصيرة العنق.

(10) الأحجن: المعوج المعقف. شابكة: مشتبكة، وانظر (4: 103، 163، 180). والأغلب: الغليظ الرقبة. والحيزوم: الصدر.

ثَارُوا لَهُنَّ فَمَا تَنْفَكُ مِنْ قَنْصٍ لِكُلِّ ذِيَالَةٍ مَقَاءٌ عُلْجُومٍ⁽¹⁾
 حَتَّى أَبَيْتَ وَزَادِي غَيْرُ مُنْعَكِمٍ عَلَى النَّزِيلِ وَلَا كُرْزِي بِمَعْكُومٍ⁽²⁾
 وَأُنْشَدَنِي ابْنُ أَبِي كَرِيمَةٍ، لِيَزِيدَ بِنِ نَاجِيَةِ السَّعْدِيِّ⁽³⁾: سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ، وَكَانَ لَقِيَّ مِنَ الْفَارِ
 جَهْدًا، فَدَعَا عَلَيْهِنَّ⁽⁴⁾ بِالسَّنَانِيرِ، فَقَالَ:

أَرْهِيْرُ مَا لَكَ لَا يَهْمُكَ مَا بِي أَخْرَى إِلَهُ مُحَمَّدٍ أَصْحَابِي
 كَحُلِّ الْعَيُونِ، صَغِيرَةٍ آذَانُهَا جُنَحَ الْحَنَادِسِ يَعْتَوِرْنَ جِرَابِي⁽⁵⁾
 شَمُّ الْأَنْوَفِ لِرِيحٍ كُلِّ قَفِيَّةٍ يَلْحَظْنَ لِحْظَ مُرْوَعٍ مُرْتَابٍ⁽⁶⁾
 دُكُنُ الْجَبَابِ تَدْرَعْتُ أَبْدَانُهَا صُعْلُ الرُّؤُوسِ طَوِيلَةُ الْأَذْنَابِ⁽⁷⁾
 شُخْتُ الْمَخَالِبِ وَالْأَنْيَابِ وَالشَّوَى تُجَلُّ الْخُصُورَ رَحِيْبَةَ الْأَقْرَابِ⁽⁸⁾
 أَسْقَى الْإِلَهَ بِلَادَهُنَّ سَحَائِبًا غُرَّ النَّشَاصِ بَعِيدَةُ الْأَطْنَابِ⁽⁹⁾
 تَرْمِي بَعْبُسَ كَالْلَيُوثِ تَسْرِبَلَتْ مِنْهَا الْجُلُودُ مَدَارِعَ السَّنَجَابِ⁽¹⁰⁾

- (1) أي ثارت السنانير للجرذان. والقنص: الصيد، قنصه يقنصه قنصاً وقنصاً، بالفتح وبالتحريك. والذيلة: الطويلة الذيل. والمقاء: الطويلة في دقة. والعلجوم: الشديد السواد، أو الطويل، الذكر والأنثى سواء. فيما عدال: «فما ينفك»، تحريف.
- (2) عكم المتاع يعكمه عكماً: شدة بثوب. والنزِيل: الضيف. والكرز، بالضم: ضرب من الجوالق، أو هو الخرج. فيما عدال: «كوري». والكور: الرحل، ولا وجه له.
- (3) لم أجد له ترجمة أكثر مما قال الجاحظ، إنه من بني سعد بن بكر.
- (4) فيما عدال: «عليهم».
- (5) جنح الحنادس: أي في جنح الظلام. يقال جنح وحنح، بالضم والكسر: وهو جانب الليل، أو أوله، أو قطعة منه نحو النصف. يعتورن: يتداولن، كلما سكن أحدها نهض الآخر للعمل. فيما عدال: «خنس الحنادس»، تحريف. ط: «يجتورن» ش: يحتورن، صوابهما في ل.
- (6) القفية: المختار، واقتناه: اختاره. ط، هـ: «كريح» تحريف. وفيما عدال: «كل بغية». والبغية: ما يبتغي ويطلب. والأوفق ما أثبت من ل.
- (7) الدكنة: لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد. والجباب: جمع جبة، وهي موصل ما بين الساق والفخذ. فيما عدال: «وكر الجباه» والكلمة الأولى محرفة، والثانية وجه. تدرعت: هو من الدرع، وهو اختلاف اللون، والصعل: جمع صعلاء وأصعل، وهو الخفيف الرأس.
- (8) شخت: جعله جمعاً لشخيت. والشخيت: الدقيق. وجمع فعييل صفة على فعل نادر، كنذير ونذر. والأنياب: جمع للنباب، وأصلها الأنابيب، فحذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين. انظر اللسان (2: 174) س 8-9 وحواشي الحيوان (2: 217). والشوى: اليدان والرجلان، الواحدة شواة. ثجل: جمع أثجل، وهو العظيم الواسع. والأقرباب: جمع قرب، بالضم، وهو الخاصرة، يقولونه جمعاً وإنما هما قربان اثنان. ط، هـ: «حل الحصون». ش: «محل الحصون»، صوابهما في ل. وفي ل أيضاً: «حقيرة الأسلاب».
- (9) النشاص، بالفتح: السحاب المرتفع. والأطناب، جمع طناب، بضم وبضمتين، وهو جبل الخباء والسراقد، أراد عظم هذه السحاب. فيما عدال: «غر البشام»، تحريف. وقد دعا عليهن بالمطر، وهو أخوف ما يخفن.
- (10) الغبس: جمع أغبس وغبساء، وهو ما لونه لون الرماد. ط: «يعرس» ش، هـ: «بعس»، صوابهما في ل. والمدارع: جمع مدرع، وهو ضرب من الثياب، وقبل جبة مشقوقة المقدم. والسنجاب: حيوان على حد البربوع، أكبر من الفأرة وشعره في غاية النعومة، فارسيته «سنجاب»، ولم يذكر في اللسان والقاموس والمعرب وشفاء الغليل، وذكره أدي شير 95، وهو رمادي اللون، كما في معجم استينجاس 700 وهو بالإنجليزية: Grey Squirrel وبالفرنسية: Petit Gris.

غُلِبَ الرِّقَابُ لَطِيفَةً أَعْجَازُهَا فُطِحَ الْجَبَاهُ رَهِيفَةً الْأَنْيَابُ⁽¹⁾
 مُتَبَهَّنَسَاتٍ لِلطَّرَادِ كَأَنَّهَا آسَادُ بَيْشَةٍ أَدْمَجَتْ بِخَضَابِ⁽²⁾
 ونَحْنُ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ تَوَلِيدِ ابْنِ [أَبِي] كَرِيمَةَ.

(معارف في السنور)

والسَّنُورُ ثاقِبُ البصر بالليل. وكذلك الفأرة سوداء العينين، وهي في⁽³⁾ ذلك ثاقبة البصر.

والسَّنُورُ ضعيفُ الهامة. وهامته من مقاتله. ولا يستطيع أن يذوق الطعام الحار ولا الحامض.

(مقارنة بين السَّنور والكلب)

قال: وللسنور فضيلة أخرى: أنه⁽⁴⁾ كثيرُ الأسماء القائمة بأنفسها، غير المشتقات. ولا أنها⁽⁵⁾ تجمع الصفات والأعمال، بل هي أسماء قائمة. من ذلك: القط، والهَر، والضِّيُون⁽⁶⁾، والسَّنُور.

وليس للكلب اسمُ سِوَى الكلب⁽⁷⁾، ولا للدِّيك اسمٌ إلا الديك.
 وليس للأسد اسمٌ إلا الأسد والليث. [وأما الضيغم، والخنابس، والرُّبَالُ⁽⁸⁾، وغيرها - فليست بمقطوعة]، والباقي ليست بأسماء مقطوعة⁽⁹⁾ ولا تصلح⁽¹⁰⁾ في كل مكان.
 وكذلك الخمر. فإذا قالوا: قهوة، ومدامة، وسُلاف، [وَحَنْدَرِيْس] وأشبه ذلك - فإنما تلك أسماء مشتركة. وكذلك السيف⁽¹¹⁾. وليس هذه الأسماء عند العامة كذلك.

- (1) غلب: غلاظ، جمع أغلب وغلباء. فطح: واسعات عريضات: جمع أفتح وفطحاء.
- (2) متبهنسات: متبخرات ط، ش: «متهينات» ه: «متهينات»، وأثبت ما في ل. وبيشة: موضع تنسب إليه الآساد.
- (3) فيما عدل: «مع». وانظر (4: 132).
- (4) ل «لأنه».
- (5) ط: «لأنها» وبإسقاط الواو قبلها. ش، ه: «ولأنها»، صوابهما في ل.
- (6) انظر ما سبق في ص 222، وكلمة «السنور» في ل تالية لكلمة: «القط».
- (7) ل: «إلا الكلب».
- (8) الضيغم: مشتق من الضغم، وهو العض. والخنابس، مشتق من الخنيسة: وهي التراة والشدة. والرُّبَال، مشتق من الرأبلة، وهي الخبث، أو المشي متكفناً كأنه يتوجى.
- (9) ذكر السيوطي في باب معرفة خصائص اللغة (1: 189) أن أبا عبد الله بن خالويه كان يقول: «جمعت للأسد خمسمائة اسم، وللحبة مائتين». وأراد الجاحظ بالمقطوعة الأسماء التي هي نص في مسمائها. ل: «ليست أسماء مقطوعة».
- (10) فيما عدل: «تطلع».
- (11) فيما عدل: «الضيف» تحريف. ومما يجدر ذكره أن صاحب القاموس صنع كتاباً سماه: «الروض المسلول» جمع فيه ما ينيف على ألف اسم من أسماء السيف. انظر القاموس (سيف).

قال: وعلى السُّنور من المحبة، ولا سيما من مَحَبَّةِ النِّسَاءِ، ومعه من الإلف والأنس والدنو، والمضاجعة، والنوم في اللَّحاف الواحد- ما ليس مع الكلب، ولا مع الحمام، ولا [مع] الدَّجَاجِ، ولا مع شيء مما يعايش الناس.

هذا، ومنها الوحشي والأهليّ فلولا قُوَّةُ حُبِّهِ للناس لما كان في هذا المعنى أكثر من الكلاب، والكلاب كلّها أهلية.

قالوا: وليس بعجيب أن يكون الكلب طيب الفم؛ لكثرة ريقه، ولبعد قرابته ومشاكلته للأسد، وإنما العجب في طيب فم السُّنور، وكأنه في الشَّبه من أشبال الأسد.

ومن يقبِّل أفواه السنابير وأجراءها من الخرائد⁽¹⁾ وربّات الحجال، والمخدّرات، والمطهّمت⁽²⁾، [والقينات⁽³⁾] أكثر من أن يُحصى لهنّ عدد، وكلهنّ⁽⁴⁾ يخبرن عن أفواهها⁽⁵⁾ بالطيب والسلامة مما عليه أفواه السباع، وأفواه ذوات الجرّة⁽⁶⁾ من الأنعام.

وما رأينا وضیعة قط ولا رفيعة، قبّلت فم كلب أو ديك⁽⁷⁾ وما كان ذلك من حارس قط، ولا من كلاب، ولا من مكلب⁽⁸⁾، ولا من مُهَارِشٍ⁽⁹⁾.

والسنور يُخَضَّب⁽¹⁰⁾، وتُصاغ له الشنوف والأقرطة⁽¹¹⁾، ويُتحنف ويدلّل⁽¹²⁾.

ومن رأى السنور كيف يَخْتِلُ العُصفورَ، مع حَذَرِ العُصفورِ، وسُرعة طيرانه - على أن جهته في الصيد جهة الفهد والأسد. ومن رآه كيف يرتفع بوثبته إلى الجرادة في حال طيرانها- علم أنه أسرع من الجرادة⁽¹³⁾.

وله إهاب فضفاض، وقميص من جلدة واسع، يموج فيه بدنه. وهو مما يَضْبَعُ⁽¹⁴⁾

(1) الخرائد: جمع خريدة، وهي البكر لم تمس قط، أو الحية الطويلة السكوت، الخافضة الصوت الخفرة. فيما عدل: «الحرائر»، جمع حرة بالضم، وهي الكريمة، أو ضد الأمة.

(2) المطهّمت: البارعات الجمال. والمطهم: الحسن التام كل شيء منه على حدته.

(3) القينة: الأمة، مغنية كانت أو غير مغنية.

(4) ط: «والكل» ش، ه: «ولكن» وهذه محرفة. وأثبت ما في ل.

(5) فيما عدل: «أفواههن».

(6) الجرّة، بالكسر: ما يخرج البعير ونحوه من جوفه ثم يمضغه ويبلعه. فيما عدل: «ذي الجرّة».

(7) ليس للديك فم، وإنما له المنقار.

(8) الكلاب: صاحب الكلاب. والمكلب: الذي يعلم الكلاب أخذ الصيد. «ولا من كلاب» ساقط من ل.

(9) الهراش: تحريش الكلاب بعضها على بعض. وانظر (قتال الحيوان) في ص 167.

(10) يخضب بالخضاب، وهو الحناء ونحوه. ل: «تخضب».

(11) الشنوف: جمع شنف، بالفتح، وهو القرط يعلق في أعلى الأذن. والقرط يجمع على أقراط وقراط وقروط وقرطة بفتح فكسر. ل: «والقرطة». وفي ل أيضاً: «تصاغ لها».

(12) يتحنف: تقدم إليه التحنف والطرف. ل: «تتحنف وتدلّل».

(13) ل: «الجراة».

(14) يَضْبَعُ: يمد ضبيعه في سيره. ط: «يضع» ش، ه: «يصنع»، صوابهما في ل.

لسعة إبطيه، ولو شاء [إنسان] أن يعقد ضلْبَهُ، ويُنْثِي أوله على آخره، كما يُنْثِي المِخْرَاق⁽¹⁾، وكما⁽²⁾ يثني قضيب الخيزران [لفعل].

ويوصفُ الفَرْسُ بأنه رهل اللِّبَان⁽³⁾، رحيبُ الإهاب، واسع الأباط. وعيب الحمار للكَزَاة التي في [يديه، وفي] منكبَيْهِ، وانضمامهما⁽⁴⁾ إلى إبطيه، وضيق جلده، وإنما يعدُّ⁽⁵⁾ بعُنْقِهِ.

(التجارة في السنانير)

قالوا: وللسنور تجارٌ وباعة، ودلالون، وناسٌ يعرفون بذلك. ولها راضة⁽⁶⁾. وقال السُّنْدِيُّ بن شاهك: ما أعياني أحدٌ من أهل الأسواق: من التجار⁽⁷⁾، و[من] الباعة والصنَّاع، كما أعياني أصحابُ السنانير، يأخذون السنور الذي يأكل الفراخ والحمام، ويوئب أفصاص الفواخت⁽⁸⁾ والوراشين والدباسي⁽⁹⁾ [والشَّفَانين⁽¹⁰⁾]، ويدخلونه في دَنٍّ، ويشدُّون رأسه⁽¹¹⁾، ثم يدخرونه على الأرض حتى يشغله الدُّوَار، ثم يدخلونه في قفص فيه الفراخ والحمام، فإذا رآه المشتري رأى شيئاً عجيباً،⁽¹²⁾ وظنَّ أنه قد ظفر بحاجته. فإذا مضى به إلى البيت مضى بشيطان، فيجتمع عليه بليتين⁽¹³⁾ إحداهما أكل طيوره وطيور الجيران، والثانية أنه إذا صرِيَ عليها لم يطلب سواها.

ومررت يوماً وأنا أريدُ منزلَ المكيِّ بالأساورة⁽¹⁴⁾ وإذا امرأةٌ قد تعلقت برجل وهي

(1) المخرق، سبق تفسيره في 173.

(2) فيما عدل: «أو».

(3) اللبان، بالفتح: الصدر. والرهل، بفتح فكسر: ذو الرهل، وهو الاضطراب والاسترخاء.

(4) أي انضمام يديه ومنكبيه.

(5) ش، هـ: «يعدو» تحريف.

(6) راضة: جمع راض، كباعة وبائع، وهو الذي يروض الدواب ويسوسها. وانظر الاستدراكات.

(7) فيما عدل: «ومن التجار».

(8) الفواخت: جمع فاختة، وهي ضرب من الحمام المطوق: Ringdove، وانظر (1: 119). فيما عدل:

«الفواخت». وزيادة الياء في نحوه مذهب للكوفيين.

(9) الدباسي، جمع دبسي، بالضم، وهو ضرب من الحمام الوحشي: Palmdove or Little brown dove منسوب إلى

دبس الرطب، بالكسر، على التغيير في النسب كالدهرى، أو هو على لفظ المنسوب وليس بمنسوب. وانظر

(3: 112، 134). فيما عدل: «الدباس» محرف.

(10) الشفانين: جمع شفين، بالكسر، وهو ضرب من الحمام حسن الصوت.

(11) فيما عدل: «يسدون» بالسین المهملة. والمشدود: المربوط.

(12) فيما عدل: «عجيباً».

(13) فيما عدل: «فيجتمع عليه بليتان».

(14) الأساورة: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً، كالأحامرة بالكوفة. وأراد الجاحظ خطتهم التي كانوا ينزلون

فيها. والمكي: أحد معاصري الجاحظ، وكان له معه مداعبات. وانظر (3: 176-177) وبدله فيما عدل:

«البكاء».

تقول: بيني وبينك صاحبُ المسلحة⁽¹⁾ فإنك دللتني على سنور⁽²⁾، وزعمت أنه لا يقربُ الفراخ، ولا يكشفُ القدور، ولا يدنو من الحيوان، وزعمت أنك أبصرُ الناس بسنور، فأعطيتك⁽³⁾ على [بصرك و] دلالتك دانقاً⁽⁴⁾، ؛ فلما مضيتُ [به] إلى البيت مضيتُ بشيطان قد والله أهلك الجيران بعد أن فرغ منها. ونحن منذ خمسة أيام نحتال في أخذه، وها هو [ذا]⁽⁵⁾ قد جئتُك به فردَّ عليّ دانقي، وخُذ ثمنه من الذي باعني⁽⁶⁾. ولا والله إن تُبصر من السنانير قليلاً ولا كثيراً!

قال الدلال: انظروا بأي شيء تستقبلني⁽⁷⁾؟! ولا والله إن في ناحيتنا فتى هو أبصرُ بسنور مئي، وذلك من مَن سيدي ومولاي⁽⁸⁾! فقلتُ للدلال: ولا والله إن في هذه الناحية فتى هو أشكر لله منك⁽⁹⁾.

(أكل السنانير)

وناس يأكلون السنانير ويستطيبنها. وليس يأكل الكلب أحد⁽¹⁰⁾ إلا في الفُرط. والعامّة تزعم أن من أكل السنور الأسود لم يعمل في السحر والكلب لا يؤكل.

(أكل الديك)

والديك خبيث اللحم عضله⁽¹¹⁾، إلا أن يُخصى. وتلك حيلة لأهل حمص، وليست عندنا فيه [حيلة]. وقال جحشويه⁽¹²⁾:

- (1) المسلحة: قوم ذوو سلاح، والمسلحة أيضاً: القوم الذين يحرسون الثغور من العدو ل: «المصلحة».
- (2) ط، هـ: «السنور».
- (3) فيما عدل ل: «وأعطيتك».
- (4) البصر هنا بمعنى العلم وجودة المعرفة. والدلالة، كسحابة وكتاية: الجمع بين البائع والمشتري، والدانق بكسر النون وفتحها: سدس الدرهم أو ثمنه، ومرجع الاختلاف إلى تفاوت ما بين الدراهم أنفسها. وهو بالفارسية: «دانگ» أو «دانگ». وهو في الفارسية بمعنى ربع الدرهم، أو السدس من أي شيء. انظر استينجاس 501 والمعرب 145 وأدي شير 66.
- (5) هذه التكملة من ل، ش.
- (6) أي الذي باعني إياه. وفيما عدل ل: «باعه».
- (7) استقاله: طلب إليه أن يقبله، أي يفسخ ما بينه وبينه. هـ: «تستقبلي» ل، ش: «تستقبلي».
- (8) أراد: من نعمة الله وفضله. ل: «وذلك من سيدي ومولاي».
- (9) كلمة: «هو» ليست في ل، ش.
- (10) فيما عدل ل: واحد، والأكثر في النفي استعمال: «أحد».
- (11) العضل: الكثير العضلات ومثل العضل، كعتل. وهذا الحرف ساقط من ل.
- (12) جحشويه: من شعراء المجون. وقد سبق في (4: 102) قول الجاحظ: «ولقد ولدوا على لسان جحشويه في الحلاق أشعاراً ما قالها جحشويه قط». وقد روى له الجاحظ شعراً آخر في المجون. انظر البيان (3: 58).

كَيْفَ صَبْرِي عَنْ مِثْلِ جُمُوعَةِ الْهـ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ تَرَاهَا
رَّ تَثْنِي بِمُسْبَطَرِّ مَتِين
أَتَهَا عُدَّةً لِدَاءِ دَفِينِ]

(سَكِينَةُ التَّابُوتِ)

قالوا: وزعم بعض أهل الكتاب، وبعض أصحاب التفسير⁽¹⁾، أن السَّكِينَةَ التي كانت في تابوت موسى⁽²⁾ [كانت] رأس هر⁽³⁾.

(استطراد لغوي)

قالوا: وقلتم في الاشتقاق من اسم الكلب: كليب، وكلاب⁽⁴⁾، ومَكْلِبَة⁽⁵⁾، ومُكَالِب⁽⁶⁾، وأصاب القوم كُلبَةَ الزمان، مثل هُلبَة⁽⁷⁾، وهي الشدة. والكَلابُ واحدُها كَلْبٌ، و[تجمع] على⁽⁸⁾ كلاب [وأكلب وكليب، كما يجمع البُخْتُ بَخِيئاً وأبختاً⁽⁹⁾].

والكَلابُ بثنقيل اللام: صاحب الكلاب. والمُكَلَّبُ، بثنقيل اللام وضم الميم: الذي يعلم الكلاب الصَّيدَ⁽¹⁰⁾. وقال طُفَيْلُ الْعَنَوِيِّ:

تُبَارِي مَرَاخِيهَا الرَّجَاجَ كَأَنَّهَا
ضِرَاءُ أَحَسَّتْ نَبَاءَةً مِنْ مَكْلَبِ⁽¹¹⁾
وقال الآخر⁽¹²⁾:

خُوصٌ تَرَاخُ إِلَى الصَّدَاحِ إِذَا عَدَتْ
فَعَلَ الضَّرَاءُ تَرَاخَ لِلْكَلابِ⁽¹³⁾

(1) ط، هـ: «أهل التفسير».

(2) هذه إشارة إلى قول الله: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: 248].

(3) في تفسير أبي حيان: «وقيل السكينة صورة من زبرجد أو ياقوت، لها رأس كُرَّاسِ الْهَرِّ، وذنب كذنبه، وجناحان».

(4) كلاب، بالكسر: اسم لأبي قبيلة، وبالفتح داء الكلب.

(5) المكلبة: الأرض يكثر فيها الكلاب، والقيادة.

(6) المكالبة: المشارة والمضايقة. والمكالب أيضاً: الجري، يمسانية.

(7) هلبة الشتاء، بالضم شدته.

(8) هذه الكلمة ليست في الأصل.

(9) كذا في ل. وفي سائر النسخ: «كما يجمع النجب نجيب». ولم أجد في المعاجم ما يؤيد صحة إحدى العبارتين.

(10) سبق مثل هذا في التنبيه 8 ص 228، والكلام من: «صاحب» إلى: «وضم الميم» ساقط من ل.

(11) سبق إنشاد هذا البيت وشرحه في (1: 198)، وكرر أيضاً في (2: 48) فيما عدل: «كأنه» تحريف.

(12) فيما عدل: «وقال آخر». والبيت سبق في (1: 199 و2: 114).

(13) الخوص: جمع خوصاء، وهي الغائرة العين من الإبل. تراخ: تجد راحة وفرجاً. «والصداح»، بالдал: رفع الصوت بالغناء، عنى صوت الحادي. والرواية فيما سبق: «الصراخ». وفي الجز الأول من ل وكذا اللسان

(287: 3): «إلى الصياح». وللضراء جمع ضرو: وهو الكلب الضاري فيما عدل: «الظباء» و«بالكلاب»

تحريف.

والْكَلْبُ: داء يقع في الإبل، فيقال كَلِبَتِ الإِبِلُ تَكَلَّبَ كَلْبًا، وأكلب القوم: إذا وقع في إبلهم الكلب. ويقال كَلِبَ الكلبُ واستكلب: إذا صَرِيَ وتعوَّدَ أكلَ الناس، ويقال للرجل إذا عضَّه الكلبُ الكَلِبُ: قد كَلِبَ الرَّجُلُ.

ويقال إن الرَّجَلَ الكَلِبَ يَعَضُّ إنساناً آخر، فيأتون رجلاً شريفاً، فيقطرُ لهم من دَمٍ إصبغِه، فيسْقُون ذلك الكلبَ فيبراً. وقال الكُميت:

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم يُشفي بها الكلبُ⁽¹⁾

قالوا: فقد يقولون للسنور هرّ، وللأنثى هرّة. ويقال من ذلك هرّ الكلبُ يهرُّ هريراً، وتسمّى المرأةُ بهرّة، ويكنى الرجلُ أبا هرّ⁽²⁾، وأبا هريرة. وقال الأعشى:

ودّع هريرة إنَّ الركبَ مُرتحلٌ وهل تطيق وداعاً أيها الرجلُ
وقال امرؤ القيس:

دارٌ لهرٍّ والرَّبابُ وفَرْتَنى ولميس قبلَ تفرُّقِ الأيّامِ⁽³⁾
وقال ابن أحمر⁽⁴⁾:

إنَّ امرأَ القيسِ على عهدِه في إرثٍ ما كان بناه حُجُرُ
بنتٌ عليه الملكُ أطنابها كأسٌ رَنُونَةٌ وطِرْفٌ طِمِرُ⁽⁵⁾
يلهُو بهندٍ فوق أنماطها وفَرْتَنى تَسَمَّى عليه وهرُ⁽⁶⁾

(أطباء الهرة وحملها)

قال: وللهرة ثمانية أطباء: [أربعة⁽⁷⁾] تقابل أربعة، أولهنَّ بين الإبط والصَّدر، وآخرهنَّ

(1) فيما عدل: «تشفى من الكلب».

(2) ش: «أباهرة».

(3) البيت من قصيدة له في الديوان 160-165 يجيب بها سبيع بن عوف بن مالك.

(4) روى صاحب اللسان سبعة أبيات من هذه القصيدة في (19: 56). والبيت الأول والثاني في تهذيب الألفاظ 219 والثاني في المقصور 57 وشرح الأنباري للمفضليات 167 واللسان (12: 384).

(5) يروى: «بنت عليه الملك» بتشديد النون ورفع الملك، والملك هي الكأس فلذلك أنثها. ويروى: «بنت عليه الملك» بتخفيف النون ونصب الملك، ونصبه على أنه مصدر وضع موضع الحال، كأنه قال مملكاً، وهاء «أطنابها» عائدة إلى الكأس. وروى بعضهم: «بنت عليه الملك» فرفع الملك وأنث فعله على معنى المملكة. ويروى: «مدت عليه الملك» و«الملك». والرَنُونَةُ: الدائمة على الشرب. فيما عدل: «رويناه» تحريف. قال ابن سيده: «ولم نسمع بالرَنُونَة إلا في شعر ابن أحمر». والطرف من الحيل: العتيق الكريم. والطمر: الوثاب. وانظر لهذا البيت المخصص (11: 73، 14: 227، 17: 16).

(6) فيما عدل: «تسعى إليه». وفي اللسان (19: 57): «وفرتني يعدو إليه» محرفة.

(7) ليست بالأصل. والكلام يقتضيها.

عند الرُّفْع. وتحملُ خمسين يوماً، وتضع جِراها⁽¹⁾ عُمياً. وليس بين تفتيحها وتفتيح جِراء⁽³⁾ الكلابِ إلا اليسير.

(إِثَارُ الهَرَّةِ والدِّيكِ)

والهَرَّةُ من الخُلُقِ الذي يؤثر على نفسه، ولها فضيلةٌ في ذلك [على الدِّيكِ الذي له الفضيلة في ذلك] على جميع الحيوان، إلا أن الدِّيك⁽⁴⁾ لا يفعل ذلك [بالدجاج] إلا ما دام شاباً. ولا يفعل ذلك بأولاده، ولا يعرفهم وإنما يفعل ذلك بالدجاجِ على غير الزَّواج⁽⁵⁾، وعلى غير القصد إلى واحدة⁽⁶⁾ يقصد إليها بالهوى.

والهَرَّةُ يُلْقَى⁽⁷⁾ إليها الشيء الطيبُ وهي جائعة، فتدعو أولادها، وقد استغثت عن اللب، وأطقت الأكل والتقمم والتكسب، نعم حتى ربما فعلت ذلك بهنّ وهنّ في العين شبيهات بها في العظم⁽⁸⁾؛ فلا تزال ممسكة عن [تلك] الشحمة على جوعها⁽⁹⁾، ومع شره السنائر، حتى يُقبل ولدها فيأكله⁽¹⁰⁾.

ورجلٌ من أصحابنا ائتمنوه على مال، فشده عليه فأخذه، فلما لاهه بعض نصائحه قال: يطرحون اللحم قدام السنور فإذا أكله ضربوه! فضرَبَ شره السنور مثلاً لنفسه⁽¹¹⁾.

و[الهَرَّةُ] ربما رموا إليها بقطعة اللحم، فتقصد نحوها حتى تقف عليها، فإذا أقبل ولدها تجافت عنها. وربما قبضت عليها بأسنانها فرمت بها إليه⁽¹²⁾ بعد شم الرائحة⁽¹³⁾، وذوق الطعم.

(1) الجراء: جمع جرو. و«جراها» كذا جاءت بالقصر.

(2) ففتح الجرو وفتح، وذلك أول ما يفتح عينه وهو صغير. وانظر (2: 162) فيما عدل ل: «تفتيحها وتفتيح» تحريف.

(3) هذه الكلمة ساقطة من ط، هـ. وبدلها في ش: «أجرا» وأثبت ما في ل. وهما جمع جرو.

(4) هنا فيما عدل زيادة: «إلا الديك»، هو إقحام وتحريف.

(5) الزواج، بالكسر: المزوجة. فيما عدل ل: «الزواج» بالمهملة، تحريف.

(6) فيما عدل ل: «لواحدة».

(7) ط، هـ: و«تلقى».

(8) «في العين» ساقطة من ش. وفي ط، هـ: «وهم في العين يشبهنها في العظم»، تحريف.

(9) فيما عدل ل: «مع جوعها».

(10) الضمير للشيء الطيب. وفي ط فقط: «فيأكلها»، والضمير للشحمة.

(11) فيما عدل ل: «يضرب بشره» إلخ.

(12) ل: «إليها» فيكون الضمير عائداً إلى الولد بمعنى الجمع، فإن الولد يكون للمفرد وللجمع.

(13) فيما عدل ل: «بغير شم الرائحة» تحريف. والمراد أن تختبر الطعام وتبلوه.

(نقل الهرة أولادها)

والهرة تنقل أولادها في المواضع، من الخوف عليها. ولا سبيل لها في حملها إلا بفيها⁽¹⁾. وهي تعرف دقة⁽²⁾ أطراف أنيابها، وذرب أسنانها. فلها بتلك الأنياب الحداد ضرب من القبض عليها، والعص لها، بمقدار تبلغ به الحاجة⁽³⁾، ولا تؤثر فيها ولا تؤذيها.

(مخالب الهرة والأسد)

فأما كفها والمخالب المعقفة⁽⁴⁾ الحداد التي فيها، فإنها مصونة في أكمائها⁽⁵⁾. فمتى وقعت كفها⁽⁶⁾ على وجه الأرض صارت في صون، ومتى أرادت استعمالها نشرتها⁽⁷⁾ وافرة، غير مكلومة ولا مثلومة⁽⁸⁾، كما وصف أبو زبيد كف الأسد [فقال]:

بحجن كالمحاجن في قنوب يقيها قضة الأرض الدخيس⁽⁹⁾
كذلك مخالبها ومخالب الأسد، وأنياب الأفاعي⁽¹⁰⁾. و[قد] قال الرّاجز⁽¹¹⁾، وهو جاهلي:

حتى دنا من رأس نضناض أصم⁽¹²⁾ فحاضه بين الشراك والقدم⁽¹³⁾
بمذرب أخرجه من جوف كم⁽¹⁴⁾

- (1) ش: «بأسنانها».
- (2) ش، ه: «رقة» تحريف.
- (3) فيما عدل: «حاجتها».
- (4) المعقفة: المعوجة. فيما عدل: «المعقلة»، تحريف.
- (5) الأكماء: جمع كم، بالضم: غشاء مخالب السبع. اللسان (15: 430).
- (6) ل: «متي وضعت كفها».
- (7) نشرتها: بسطتها. ل: «أظهرتها».
- (8) مكلومة: مجروحة، والمراد حدوث أثر فيها. وفي الحديث: «ذهب الأولون لم تكلمهم الدنيا من حسناتهم شيئاً». أي لم تؤثر فيهم ولم تقدح في أيدانهم. انظر اللسان (15: 429) ش: «مكلولة» تحريف، وإنما يقال «كليلة» كل السيف ونحوه فهو كليل: ذهب حدثه والمثلومة: التي كسر حرفها. فيما عدل: «مأثومة». تحريف.
- (9) القنوب: جمع قنب، بالضم، وهو ما يدخل فيه الأسد مخالبه من يده. فيما عدل: «فتوح» بالحاء المهملة، تحريف. ل: «كالمخالب»، وفيما عدل: «قصة الأرض» تحريفان. انظر لهما شرح البيت، وقد سبق في (4: 165)، وفي الأصل هنا: يقيها «بالياء، صوابه مما سبق.
- (10) في (4: 165): «وكذلك أنياب الأفاعي هي ما لم تعض فمصونة في أكماء لها».
- (11) سبقت بعض أبيات الرجز في (4: 67، 164-165)، وستأتي بعض أبياته في (6: 81، 258).
- (12) النضناض: الحية تحرك لسانها. ط، ش: «فضفاض» تحريف.
- (13) خاضه، هو من قولهم خاضه بالسيف في أسفل بطنه ثم رفعه إلى فوق. ل، ه: «فحاضه»، وحاصله بمعنى خاطه؛ ولها وجه ضعيف. والشراك، بالكسر: سير النعل. ش: «الشرائط» تحريف.
- (14) المذرب: الحاد، أراد به الناب. فيما عدل: «مذرب»، صواب روايته في ل، وكما سبق في (4: 165)، والكم، سبق تفسيره في التنبيه الخامس.

(زعم بعض المفسرين في السناير والخنازير)

وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الأسد، وأن الخنزير خلق من سلحة الفيل^(١)؛ لأن أصحاب التفسير يزعمون أن أهل سفينة نوح لما تأذوا بكثرة الفأر^(٢) وشكوا^(٣) [إلى نوح ذلك] سأل ربه الفرج، فأمره أن يأمر الأسد فيعطس. فلما عطس خرج من منخره^(٤) زوج سناير: ذكر وأنثى^(٥). خرج الذكر من المنخر الأيمن، والأنثى من المنخر الأيسر. فكفياهم^(٦) مؤونة الجرذان. ولما تأذوا بريح نجوهما^(٧) شكوا ذلك إلى نوح، وشكا ذلك إلى ربه^(٨). فأمره أن يأمر الفيل فليسلح^(٩). فسألح [زوج] خنازير فكفياهم^(١٠) مؤونة رائحة النجو. وهذا الحديث نافق عند العوام، وعند بعض القصاص.

(إنكار تخلق الحيوان من غير الحيوان، والرد عليه)

وقد أنكر ناس^(١١) أن يكون الفأر تخلق في أرحام إناثها^(١٢) من أصلاب ذكورتها^(١٣) ومن أرحام بعض الأرضيين^(١٤) كطينة القاطول^(١٥)؛ فإن أهلها زعموا^(١٦) أنهم [ربما] رأوا الفأرة لم يتم خلقها بعد، وإن عينها لتبصان^(١٧)، ثم لا يريمون^(١٨) حتى يتم خلقها وتشتد حركتها.

وقالوا: لا يجوز لشيء خلق من الحيوان^(١٩) أن يخلق من غير الحيوان ولا يجوز أن

- (١) السلاح: السلاح بالضم، وهو النجو. فيما عدل: «عطسة» تحريف، وانظر السياق وقد سبق هذا الزعم في (١: 120).
- (٢) فيما عدل: «من كثرة الفأر». وفي الجزء الأول: «تأذوا بالفأر».
- (٣) ش: «وشكوا إليه».
- (٤) المنخر: الأنف وثقب الأنف. وفي لغات، بفتح الميم والخاء، وضمهما، وكسرهما، وكمجس وملمول.
- (٥) فيما عدل: «من ذكر وأنثى».
- (٦) ل: «كفوههم»، وفي سائر النسخ: «كفهاهم»، والوجه ما أثبت.
- (٧) فيما عدل: «برائحة». و«نجوهما» هي في الأصل: «نجوهم».
- (٨) فيما عدل: «فشكى إلى الله تبارك وتعالى».
- (٩) فيما عدل: «فيسلح».
- (١٠) فيما عدل: «كفوههم». وإنما الضمير لزوج الخنازير.
- (١١) فيما عدل: «وقد أنكرنا» بإسقاط السين، تحريف.
- (١٢) فيما عدل: «إلا في أرحام إناثها» وإلا مقحمة تفسد الكلام.
- (١٣) فيما عدل: «ذكورها»، والجاحظ يميل إلى استعمال ما أثبت من ل.
- (١٤) الأرضون، بفتح الراء: جمع أرض. ل: «الأرض».
- (١٥) القاطول: نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر، وقد سبق للجاحظ مثل هذا الكلام في (3: 199).
- (١٦) فيما عدل: «يزعمون».
- (١٧) بص ييص، بالكسر: برق وتلألأ ولمع. فيما عدل: «لتبصان» تحريف.
- (١٨) رام المكان يريمه: برحه.
- (١٩) ل: «تخلق من حيوان». وكلمة «أن» التالية ساقطة من جميع النسخ ما عدا هـ، ففيها: «الحيوان» بإسقاط الألف والنون من «الحيوان».

يكون شيء له في العالم أصل أن يؤلف الناس أشياء تستحيل إلى مثل هذا الأصل . فأنكروا من هذا الوجه تحويل الشبه⁽¹⁾ ذهباً، والزئبق فضة .

وقد علمنا أن للنوشاذر⁽²⁾ في العالم أصلاً موجوداً . وقد يصعدون الشعر ويدبرونه⁽³⁾ حتى يستحيل كحجر النوشاذر⁽⁴⁾ ، ولا يغادر منه شيئاً في عمل ولا بدن .

و[قد] يدبرون الرماد والقلبي⁽⁵⁾ فيستحيل حجارة سوداً⁽⁶⁾ إذا عمل منها أرحاء⁽⁷⁾ كان لها في الربيع فضيلة⁽⁸⁾ .

قالوا: وللمردارسنج⁽⁹⁾ في العالم أصل قائم . والرصاص يدبر فيستحيل مرداسنجا⁽¹⁰⁾ .
[وللرصاص في العالم أصل قائم، فيدبرون المرداسنج فيستحيل رصاصاً⁽¹¹⁾] .
وللتوتياء أصل قائم⁽¹²⁾ ، فيدبرون أقليميا الثحاس⁽¹³⁾ فتستحيل توتياء⁽¹⁴⁾ .

(1) فيما عدا ل: «في هذا الوجه» . والشبه، سبق تفسيره في (3: 200) . وفي القاموس: «الشبه والشبهان محركتين: النحاس الأصفر، ويكسر» . وفيما عدا ل: «الشب» محرف .

(2) النوشاذر، كذا جاء في ل بالذال المعجمة، ومثله في (3: 201 س 20) ومفاتيح العلوم 147 وفي سائر النسخ بالذال المهملة . وهو صنفان طبيعي وصناعي، فالطبيعي ينبع من عيون حمئة في جبال بخراسان، وهو صاف كالبلور، وانظر للصناعي تذكرة داود والمعمد . ولفظ النوشاذر فارسي «نوشادر» . استينجاس 1434، وبلغه العلماء الأوربيين: Sal-ammoniac .

(3) التصعيد: شبيه بالتقطير، إلا أنه أكثر ما يستعمل في الأشياء اليابسة . وفي مفاتيح العلوم 147: «النوشاذر، وهو ضربان معدني وآخر معمول يصنع من الشعر» . وانظر تذكرة داود . فيما عدا ل: «الشب» تحريف . ش: «ويدبرونه» محرف .

(4) النوشاذر، بالذال المعجمة في ل فقط . وانظر التنبيه 2 من هذه الصفحة .

(5) القلي، بالكسر: شيء يتخذ من حريق الحمض، كما في القاموس . وعند داود: «وهو المتخذ من الأسنان الرطب بأن يجمع ويحرق» . وفي المعمد: «وهو يخذ من الحمض، وأجوده ما اتخذ من الحرص»، والحرص هو الأسنان . ط، ه: «واللبيا» ش: «والبلينا» صوابه في ل .

(6) ط، ه: «فتستحيل» وفي ط: «سوداء» .

(7) الأرحاء: جمع رحي: التي يطحن بها الحب . ل: «إذا عملت منه أرحاء» .

(8) الربيع، بالفتح: فضل كل شيء، كريع العجين والدقيق والبرز . فيما عدا ل: «الربيع» تحريف .

(9) المردارسنج، بضم الميم وسكون الراءين وفتح السين، وقد تسقط الراء الثانية: معرب «مرداسنك» الفارسية، ويكون من سائر المعادن المطبوخة، إلا الحديد، بالإحراق، وأكثر ما يعمل من الرصاص . وانظر صنعته في تذكرة الأنطاكي . وانظر استينجاس 1212 وأدي شير 144 والمعرب 317، فيما عدا ل: «المرداسنج» وهي لغة أخرى كما أسلفت .

(10) ل: «مرداسنج» . وليس ما يمنع تنوينه .

(11) هذه الزيادة من ل، ش . وفي ش: «ويدبرون» تحريف . وكلمة «المردارسنج» في النسخين براء واحدة .

(12) في اللسان: التوتياء معروف حجر يكتحل به معرب . وهو باللاتينية Tutia وبالإنكليزية: Tutty، وقد عرفها الطبيب محمد شرف بأنها «أكسيد الزنك غير النقي» قال داود: «وأصل التوتيا إما معدني يوجد فوق الأقليميا . . وإما مصنوع من الإقليميا المسحوق» . وانظر بقية الكلام فيه .

(13) أقليميا: زبد يعلو المعدن عند سبكه، وثقل يرسب تحته إذا دار . هذا قول داود . وفي مفاتيح العلوم 149: «القليميا خبث كل جسد يخلص» . ط: «إقليميا النماء» تحريف .

(14) توتياء، رسمت في هذا الموضع والذي قبله بدون همزة فيما عدا ل .

وكذلك المينا، له ⁽¹⁾ أصل قائم، وقد عمله الناس ⁽²⁾.

وكذلك الحجارة السود للطحين وغير ذلك ⁽³⁾.

فأما قولهم: لا يجوز أن يكون شيء من الحيوان يُخلَق من ذكر وأنثى - فيجيء من غير ذكر وأنثى - فقد قلنا في جميع ذلك في صدر كتابنا هذا بما أمكننا ⁽⁴⁾.

(معارف في الحيات)

وقال: الحيات كلها تعوم، إلا الأفاعي، فإنها لا يعوم منها إلا الجبليات ⁽⁵⁾.

قال: والحية إن رأت حية ميتة لم تأكلها، ولا تأكل الفأر ولا الجرذان الميتة ⁽⁶⁾، ولا العصافير الميتة، مع حرص الحية عليها ⁽⁷⁾ ولا تأكل إلا لحم الشيء الحي، إلا أن يدخل ⁽⁸⁾ الحواء في حلوقها [اللحم] إدخالاً ⁽⁹⁾. فأما من تلقاء نفسها ⁽¹⁰⁾ فإن وجدته، وهي جائعة لم تأكله.

فينبغي أن يكون صاحب المنطق إنما عنى بقوله: «أخبث ما تكون ذوات السموم» ⁽¹¹⁾ إذا أكل بعضها بعضاً «الابتلاع» ⁽¹²⁾ دون كل شيء. وهم لا يعرفون ذلك في الحيات إلا للأسود ⁽¹³⁾، فإنه ربما ⁽¹⁴⁾ كان مع الأفاعي في جونة، فيجوع فيبتلعها. وذلك إذا أخذها من قبل رؤوسها ⁽¹⁵⁾، وإن رام ذلك من جهة الرأس فعضته الأفعى قتلته.

(1) المينا: حجر يشبه اللازورد تزخرف به الفضة، وهو فارسي معرب. وفي معجم استينجاس 1346: A stone resembling lapis lazuli, with which silver is tinged وذكر صاحب اللسان أنه ممدود. وهذا المعنى الأخير مأخوذ كذلك من «ميناء» الفارسية. وانظر أدي شير 149، ويبدو أن الجاحظ يريد المعنى الأول، ولا يريد الزجاج. انظر (1: 82 س 11-12)، وهذه الكلمة والتي بعدها ممزوجتان في الأصل ومحرفتان؛ ففي ط، ش: «المسألة» هـ: «المسألة» ل: «المثاله»، والصواب ما أثبت.

(2) ل: «علمه الناس» تحريف. وبعدها في ل: «فقد قلنا في صدر كتابنا هذا بما أمكننا».

(3) هذه الفقرة ساقطة من ل. وفي هـ: «الحجارة السورية».

(4) الكلام من: «فيجيء» إلى هنا ساقط من ل.

(5) انظر الكلام على الحيات المائية في (4: 72).

(6) ل: «والجرذان الميتة» بحذف «لا».

(7) ل: «مع حرص الحيات عليهما».

(8) ط، ش: «يدخله».

(9) ش: «إذ ذاك».

(10) كلمة «هي»: ليست في ل. وفيها بدل كلمة: «فإن» التالية: «فلو».

(11) ل: «أخبث ما تكون ذوات السموم» وفي سائر النسخ: «أخبث ما يكون ذات السموم». وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ.

(12) ط: «الأفاعي» ش، هـ: «الأتباع»، صوابهما ما أثبت من ل.

(13) ل: «فهم لا يعرفون ذلك إلا للأسود».

(14) فيما عدل ل: «ذا».

(15) فيما عدل ل: «رأسها». وكذلك: «متى» بدل «إن» التالية.

وزعموا أن الحية لا تَصَاعِدُ⁽¹⁾ في الحائط الأملس ولا في غير الأملس⁽²⁾. فإنما يقول ذلك أصحاب المخاريق⁽³⁾ والذي يستخرجون الحيات بزعمهم [من السقوف⁽⁴⁾]، ويشمون أرياح أبدانها من أطراف القَصَب، إذا مَسَحَها في ترايع البيوت⁽⁵⁾.
قال: [وقد تصعد الحيات في الدَّرَج⁽⁶⁾ وأشباه الدَّرَج؛ لتطلب بيوت العصفير، والفأر، والخطاطيف، والزراير، والخفافيش]، وتحمى في السَّقَف⁽⁷⁾.

القول في العقرب⁽⁸⁾

وسنذكر تمام القول في العقرب؛ إذ كنا قد ذكرنا من شأنها [شيئاً⁽⁹⁾] في باب [القول في] الفأر.

ولمّا قيل ليحيى بن خالد⁽¹⁰⁾، النازل في مُرْبَعَةِ الأحنف - وزعموا أنهم لم يروا رجلاً لم يختلف إلى بیمارستانات⁽¹¹⁾ ولا رجلاً مسلماً ليس بنصراني⁽¹²⁾ ولا رجلاً لم ينصب نفسه للتكسب بالطب كان أطبّ منه - فلما قيل [له]: إن القيني⁽¹³⁾ قال: «أنا مثل العقرب أضّر ولا أنفع» قال: ما أقلّ علمه بالله عز وجل؛ لعُمري⁽¹⁴⁾ إنها لتنفع إذا شق بطنها ثم شدّ على موضع اللسعة، فإنها حينئذ تنفع منفعةً بينة!

- (1) يقال صعد وأصعد واصعد بمعنى واحد. انظر اللسان (4: 240-س22) وبالأوجه الثلاثة قرئ قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: 125]، انظر إتحاف فضلاء البشر 216.
- (2) ط: «وغير الأملس» تحريف. وفي هـ: «وفي غير الأملس». بحذف «لا» وأثبت ما في ل، ش.
- (3) المخاريق: يراد به ألعيب المشعوذين. انظر (4: 224). فيما عدل: «المخاريق» وفي ل: «وإنما» بدل: «فإنما».
- (4) هذه الزيادة من ل. وبدلها في ش: «من البيوت».
- (5) في (4: 108): «فلذلك يأخذ قصبة ويشعب رأسها. ثم يقطع بها في سقف البيت والزوايا».
- (6) درج البناء، بالتحريك: مراتب بعضها فوق بعض، الواحدة درجة.
- (7) تتحامي: تتوفى. والسقف، بضمين: جمع سقف. وهذه العبارة ليست في ل. وفي ط: «وتحمى السقف» تحريف. وانظر التنبيه 8 ص 11.
- (8) هذا العنوان ساقط من ل.
- (9) هذه الزيادة من ل، ش.
- (10) يحيى بن خالد هذا، لم أجد له ترجمة ولا خبراً في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ولا فيما تحت يدي من المراجع.
- (11) جمع بیمارستان، وهو كلمة فارسية يراد بها «دار المرضى» فلفظ «بیمار» معناه المريض، و«ستان» موضع. انظر شفاء الغليل 49 وأدي شير 33 واستينجاس 224، ويقال فيها أيضاً: «المارستان» بفتح الراء وطرح الباء والياء. انظر المعرب 312 والقاموس واللسان في مادة (مرس). ط، ش: «السياسات» هـ: «الساسات»، صوابه في ل.
- (12) ط، هـ: «أو نصرانياً».
- (13) فيما عدل: «القس»، وقد سبق في (4: 124 س14): «وقال الضبي: أنا عقرب، أضّر ولا أنفع».
- (14) بدلها في ل: «بلى».

(نفع العقرب)

والعقربُ تجعل في جوف فَخَّارٍ مشدودِ الرأس⁽¹⁾ مطينَ الجوانبِ، ثم يوضع الفَخَّارُ في تَتُّور، فإذا صارت العقربُ رماداً سُقي من ذلك الرَّمَادِ مَنْ به الحصاة مقدارَ نصفِ دانق⁽²⁾.

وقال حُنين: وقد يُسقى منه الدانقُ وأكثر، فيفتَّتُ الحصاةُ من غير أن يضرَّ بشيء من الأعضاء [والأخلاق]. وخيرُ الدواء ما قَصَدَ إلى العضو السقيم، وسَلِمَت عليه الأعضاء الصحيحة.

وقال يحيى⁽³⁾: وقد تَلَسَّعُ أصحابُ ضروب من الحُمَيَّات⁽⁴⁾ العقاربُ فيُفَيِّقُونَ، وتلسع الأفاعي فتموت، ومنها ما يلسع⁽⁵⁾ بعضها بعضاً فيموت الملسوع، فهي من هذا الوجه تكفي الناسَ مؤنةً عظيمة⁽⁶⁾. وتُلْقَى العقربُ في الدُهْن وتُثْرَكُ فيه، حتى يأخذ الدهن منها ويمتص ويجتذب قواها كلها بعد الموت، فيكون ذلك الدهنُ يفرِّق الأورام الغلاظ⁽⁷⁾. وقد عَرَفَ ذلك حُنين.

(بعض أعاجيب العقرب)

و[مِنْ أعاجيبها] أنها لا تسبحُ، ولا تتحركُ إذا أُلْقِيَتْ في الماء [كيف] كان الماء ساكناً أو جارياً.

والعقرب تطلبُ الإنسانَ وتقصدُ نحوه، فإذا قَصَدَ نحوها فَرَّتْ وهَرَّتْ وتقصدُ أيضاً نحو الإنسان، فإذا ضَرَبَتْهُ هَرَبَتْ، هَرَبَ مَنْ قد أساء، وتعلم أنها مطلوبة. والزناير تطالبُ من تعرَّضَ لها⁽⁸⁾ وتقصدُ لِعَيْنِهِ⁽⁹⁾، ولا تكادُ تعرض للكَافِّ عنها.

(1) انظر التنبيه 11 من ص 229 والخبر كذلك بنحو هذا اللفظ في عيون الأخبار (2: 103).

(2) الدانق مر تفسيره في التنبيه 4 ص 230.

(3) هو يحيى بن خالد الذي سبق الحديث عنه في التنبيه 10 ص 238.

(4) الحميات: جمع حمى. فيما عدل: «الحيات» تحريف. وفي عيون الأخبار (2: 103): «وقد تلسع العقرب من به الحمى العتيقة فتقلع عنه».

(5) فيما عدل: «ومما يلسع»، تحريف.

(6) فيما عدل: «وهي من هذا الوجه تكفي الناس مؤنة عظيمة».

(7) ش، وكذا عيون الأخبار: «الغليظة».

(8) فيما عدل: «تطلب من يعرض لها».

(9) فيما عدل: «ويقصد نحوها بعينه»، تحريف.

(فصل ما بين المودة والمسالمة في الحيوان)

وبين العقارب و[بين] الخنافس مودة. والمودة غير المسالمة.

والمسالمة: أن يكون كل واحد من الجنسين⁽¹⁾ لا يعرض للآخر بخير ولا شر، بعد أن يكون كل واحد منهما مقرباً لصاحبه.

والعداوة أن يعرض كل واحد منهما لصاحبه بالشر والأذى والقتل، ليس من جهة أن أحدهما طعام لصاحبه.

والأسد ليس يثب على الإنسان والحمار⁽²⁾ والبقرة والشاة من جهة العداوة، وإنما يثب عليه من طريق طلب المطعم. ولو مرَّ به وهو غير جائع لم يعرض له الأسد⁽³⁾. والنمر على غير ذلك. ولكن [قد] يقال: إن بين البئر⁽⁴⁾ والأسد مسالمة.

والمودة: كما يكون بين العقارب والخنافس⁽⁵⁾، فإن بعضها يتألف بعضاً⁽⁶⁾، وليست تلك بمسالمة، وكما بين الحيات والوزغ، فإنها تساقى السّم وتزاق⁽⁷⁾، و[و]⁽⁸⁾ كما بين ضروب من العقارب وأسود سالخ⁽⁹⁾.

والأسود ربّما جاع في جونة الحوّاء فأكل الأفعى⁽¹⁰⁾. وربما عضّته الأفعى فقتلته.

(علاقة الرائحة بالطعم)

وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد.

- (1) فيما عدل ل: «من الجنس».
- (2) فيما عدل ل: «كالحمار». تحريف
- (3) الأسد فاعل يعرض. فيما عدل ل: «والأسد» تحريف.
- (4) اللبر: بباءين موحدين: ضرب من السباع. معرب. وهو بالفارسية «ببر». انظر استينجاس وأدي شير. ويراد به ذلك السبع المخطط الذي يشبه النمر الذي يسمونه: Tiger، انظر المعلوف 248 وأما النمر فهو ذو النمر المرقط رقطاً سوداً مجمّعة كالحلق Leopard، وبدله في ط، ل: «النمر» تحريف؛ إذ أنه لا هواة بين النمر والأسد، فني طبعه «عداوة الأسد. والظفر بينهما سجال» كما في الورقة 41 من قسم الحيوان في مباحج الفكر مصورة دار الكتب. وفي الورقة 40 عند الكلام على طباع (اللبر): «وهو والأسد متوادان أبداً، ومودته معه كمودة الخنافس والعقارب والحيات والوزغ». فالبر هو صاحب المسالمة.
- (5) ط، هـ: «والمودة تكون كما بين العقارب» إلخ. ش: «والمودة كما تكون بين العقارب». إلخ. وأثبتما في ل.
- (6) ل: «يألف بعضاً».
- (7) تساقى: تساقى. ط، هـ: «تساقى». وفيما عدل ل: «وتزاق» بتاءين.
- (8) ليست بالأصل.
- (9) أسود سالخ: الذي سلخ جلده من الأسود. فيما عدل ل: «بين ضرب من الحيات وأسود سالخ»، تحريف.
- (10) فيما عدل ل: «فيأكل الأفعى».

وما زلت أظن أن الطعام أبداً يتبع الرائحة، حتى حَقَّق ذلك عندي بعض ما يأكلها مشوية ونيّة^(١)، أنه ليس بينها وبين الجراد الأعرابي السمين فرق.

(رؤية الخرق الذي في إبرة العقرب)

وزعم [لي] بختيشوع بن جبريل، أنه عاين الخرق الذي في إبرة العقرب. وإن كان [صادقاً] كما قال، فما في الأرض أحدٌ بصراً منه^(٢)، [وإنه لبعيدٌ، وما هو بمستنكر].

(من أعاجيب العقرب)

وفي العقارب أعجوبة أخرى؛ لأنه يقال: إنها مائية الطباع، وإنها من ذوات الدُّرُو والإنسال^(٣) [وكثرة الولد]، كما يعتري ذلك السمك والضَّب والخنزيرة^(٤)، في كثرة الخناييص^(٥).

(موت العقرب بعد الولادة)

قال: ومع ذلك إن حَتَفَهَا في أولادها^(٦)، [وإن أولادها] إذا بلغنَ وحانَ وقتُ الولادة، أَكَلْنَ^(٧) جلدَ بطنها [من داخل]، حتى إذا خَرَفَتْهُ^(٨) خَرَجَنَ منه وماتت الأمُّ. وقد يَطأ الإنسانُ على العقرب وهي ميتة، فتغترز إبرتها في رجله، فيلقى الجهد [الجاهد]؛ وربما أَمْرَضَتْ، وربما قتلت. قال: وفي أشعار اللُّغز قيلَ في أكل أولاد العقرب بطنَ الأمِّ، [وأنَّ عَطَبَهَا في أولادها]:

(١) نية، بكسر النون: غير ناضجة. وانظر لهذا الكلمة ما سبق في (4: 176). وانظر لأكل العقارب ما مضى في (4: 176 س9).

(٢) فيما عدل: «أحد أبصر منه».

(٣) الذرو، والذرا، والذرة: الذرية. فيما عدل: «الدر» بدال مهملة وراء، تحريف والإنسال: النسل. فيما عدل: «النسل».

(٤) فيما عدل: «والخنزير والضَّب»، وفي ل: «وبيض الضب والخنزيرة» وكلمة «بيض» في ل مقحمة، كما أن الوجه فيما عدل تأخير «الخنزير» عن «الضب». وانظر التنبيه التالي.

(٥) الخناييص، بنونين بينهما ألف: جمع خنوص، كسنور، وهو ولد الخنزير. ط، هـ: «الخناييص»، صوابه في ل، ش.

(٦) في نهاية الأرب (10: 147) نقلاً عن الجاحظ فيما سبق في (4: 96): «ولادتها». وسبق في (4: 96): «ولادها» بكسر الواو، بمعنى ولادتها.

(٧) فيما عدل: «يأكلن». وفي نهاية الأرب: «أكلت بطون الأمهات».

(٨) فيما عدل: «خرقتها» بالياء.

وحاملة لا يكْمُلُ الدهرَ حملُها تموتُ ويبقى حملُها حينَ تَعْطُبُ^(١)
[وليس هذا شيئاً.]

خَبَرَنِي من أثق بعقله، وأسكنُ إلى خبره، أنه أري العقرب عِياناً وأولادها يخرجَن من فيها، وذكر عدداً كثيراً، وأنها صِغارٌ بيضٌ على ظهورها نقط سودٌ، وأنها تحمل أولادها على ظهرها، وأنه عاين ذلك مرةً أخرى. فقلت: إن كانت العقرب تلد من فيها فأخْلِقُ بها أن يكون تلاقُحُها من حيثُ تلدُ أولادها!!].

(العقارب القاتلة)

والعقاربُ القاتلةُ تكون في موضعين: شَهْرُزُور^(٢). وقرى الأهواز، إلا أن القوائل التي بالأهواز [جَرارات^(٣)]. ولم نذكر عقاربَ نصيين^(٤)، لأننا أصلها - فيما لا يشكُّون فيه - من شَهْرُ زُور، حين حُوصِرَ أهلها ورُموا بالمجانيق^(٥)، وبكيزان محشوة من عقارب شَهْرُزُور، حتَّى توالدَّت هناك، فأعطى القومُ بأيديهم^(٦).

(لغز في العقرب)

[ومن اللُّغز فيها في غير هذا الجنس:

وما بكرة مضبورة مقمطرة مُسِرَّة كبر أن تُنال فتَمَرُضا^(٧)
بأشوس منها حين جاءت مُدلةً لتقتل نفساً أو تصيب فتَمَرُضا^(٨)
فلما دنا نادى أوبا بنعم غيرها ديراً إذا نال الغريفة أو قضا^(٩)

(١) ط، ش، هـ ونهاية الأرب: «لا تحمل الدهر». وأثبت ما في ل ومحاضرات الراغب (2: 305). تعطب: تهلك. ط، هـ: «ويحيى حملها». ش وأصل نهاية الأرب: «وينمي». وأثبت ما في ل ومحاضرات الراغب.

(٢) شهرزور: كورة بين إربل وهمذان فيما عدل: «شهر زور».

(٣) الجرات: ضرب من العقارب صغار تجر أذنانها. وانظر لجرات الأهواز ما سبق في (4: 80)، والجرات (4: 124).

(٤) نصيين: مدينة من بلاد الجزيرة. وانظر الحديث عن عقارب نصيين في معجم البلدان.

(٥) المجانيق: جمع منجنيق. انظر التنبيه 4 ص 202.

(٦) أعطوا بأيديهم: أعلنوا الخضوع. ش: «فأخطأ القوم»، تحريف.

(٧) البكرة: الفتية من الإبل. والمضبورة: المكتنزة اللحم. والمقمطرة: الشديدة.

(٨) أشوس: من الشوس، بالتحريك، وهو النظر بمؤخر العين تكبراً أو غيظاً.

(٩) كذا ورد هذا البيت في الأصل، وهو هنا ل.

(استخراج العقارب بالجراد والكراث)

قال: والعقارب تُسْتَخْرَجُ من بيوتها بالجراد: تُشَدُّ الجرادَةُ في طرفِ عودٍ، ثم تُدْخَلُ الجُحْرُ، فإذا عاينتها تعلقَتْ بها، فإذا أُخْرِجَ العُودُ خرجت العقربُ وهي متعلقة بالجرادة .

فأما إبراهيم بن هانئ فأخبرني أنه كان يُدْخِلُ في جُحْرِها خُوط كَرَاث⁽¹⁾، فلا يبقى منها⁽²⁾ عقربٌ إلا تبعته .

(ألسنة الحيات والأفاعي)

وألسنةُ الحيات كلها سودٌ. وألسنةُ الأفاعي حُمْرٌ، إلا أنها مشقوقة .

(جرارات الأهواز)

وسنذكر عقارب الشتاء وعُقيرب الحيران⁽³⁾. وكلُّ شيء من هذا الباب، ولكننا نبدأ بذكر جرارات الأهواز⁽⁴⁾.

ذكروا⁽⁵⁾ أَنَّ أَقْتَلَهَا عقاربُ عَسْكَرٍ مُكْرَمٍ، وأنها متى ضَرَبَتْ رَجُلًا فَظَنَّ أَنَّ تلك العضة عَضَةُ نَمْلَةٍ، أو وَخْزَةُ شَوْكَةٍ⁽⁶⁾، فنال من اللحم تَضَاعَفَ ما به . وربما باتت مع الرجل في إزاره فلم تضربه .

وهي لا تدبُّ على [كل] شيء له غُفْرٌ⁽⁷⁾، ولا تدبُّ على المَسُوح⁽⁸⁾، وما أَكْثَرَ ما تأوى في أصول الأَجْر الذي قد أُخْرِجَ من الأتاتين⁽⁹⁾ [ونضد في الأنابير⁽¹⁰⁾].

وكان أهل العسكر يروْنَ أَنَّ من أصلح ما يُعالج⁽¹¹⁾ به [موضع] اللسعة أن يُحَجِّمَ، وكان

(1) الخوط، بالضم: القضيبي من النبات. فيما عدل ل: «عود».

(2) فيما عدل ل: «يبقى فيه».

(3) ما عدل ل: «وعقارب الحر». وانظر القاموس (حور) وما سبق في 215 .

(4) ط: «حيات الأهواز» ش: «حوايات»، صوابهما في ل، هـ.

(5) فيما عدل ل: «ذكرتم»، تحريف.

(6) ط، هـ: «وخز شوكة».

(7) الغفر، بالفتح: زئير الثوب، وأصل معنى الغفر الزغب والشعر القصير. فيما عدل ل: «عفن» تحريف.

(8) المسوح: جمع مسح بالكسر، وهو الكساء من الشعر. وانظر المعرب 46 .

(9) الأتاتين: جمع أتون. انظر ص 4 من هذا الجزء. فيما عدل ل: «الأساس».

(10) الأنابير: جمع أنبار، والأنبار: جمع نبر بالفتح. والأنبار: أهراء الطعام. والهري، بالضم: بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان.

(11) فيما عدل ل: «تعالج» بالتاء، وذلك لسقوط كلمة «موضع».

الحجّام لا يرضى إلا بدنانير [ودنانير]، لأن ثنياه ربما نصلّت، وجلد وجهه ربما تبطّط⁽¹⁾ من السمّ الذي يرتفع إلى فيه، بمصّته وجذبه من أذنان المحاجم⁽²⁾. حتى عمدوا بعد ذلك إلى شيء من قطن، فحشّوا به تلك الأنبوبة. فإذا جذب بمصّته⁽³⁾ فارتفع إليه من بخار الدّم أجزاء من ذلك السمّ؛ تعلقت بالقطن، ولم تنفد إلى فيه⁽⁴⁾. والقطن ليس مما يدفع قوّة المصّ⁽⁵⁾. ثم وقعوا بعد ذلك على حشيشة فوجدوا فيها الشفاء!

(من أعاجيب العقرب)

ومن أعاجيب ما في العقرب أنا وجدنا عقارب القاطول يموت بعضها عن لسع بعض، ثم لا يموت عن لسعها شيء غير العقارب، ونجد العقرب تلسع إنساناً فيموت الإنسان، وتلسع آخر فتموت هي. فدلّ ذلك على أنها كما تعطي تأخذ، وأن للناس أيضاً سُموماً عجيبة⁽⁶⁾ ولذلك صار بعضهم⁽⁷⁾ إذا عضّ قتل. ومن أعاجيبها أنها تضرب الطست أو القمقم فتخرقه⁽⁸⁾، وربما ضربته فتثبت فيه إبرتها ثم تنصل حتى تبين منها⁽⁹⁾.

(العنبر وأثره في الطيور والبال)

والعنبر يقذفه البحر إلى عبريه⁽¹⁰⁾، فلا يأكل منه شيء [إلا مات]، ولا ينقره طائر بمنقار إلا نصل فيه منقاره. فإذا وضع رجله عليه نصلت أظفاره⁽¹¹⁾، فإن كان قد أكل منه قتله ما

(1) تبطط، من البط، وهو الشق. ومنه المبطة للمبضع فيما عدل: «وجلدة»، وفي ط، ش: «تنظف» هـ: «تنظف»، صوابهما ما أثبت من ل.

(2) المحاجم: جمع محجم، وهي الآلة التي يجمع فيها دم الحجامه، فيما عدل: «أجناب المحاجم»، تحريف.

(3) فيما عدل: «بمصه».

(4) ل: «فمه».

(5) فيما عدل: «ليس يمنع من قوة المص».

(6) فيما عدل: «غريبة».

(7) أي بعض الناس. فيما عدل: «بعضها».

(8) الطس، بالسین المهملة: إناء من آنية الصفر. فيما عدل: «الطشت» بالشين، وفي شفاء الغليل: «طست معرب طشت بالمعجمة. وفي المغرب أنها مؤنثة أعجمية وتعريبها طس. وخطئ فيه لأنها معربة، وطس مخفف منها أو لغة فيها. وقال الجوهري: طست عربية وأصلها طس، وهي لغة طبع، لغة أبدلت إحدى السنين تاء لدفع ثقل التضعيف. ورد. وقال الفراء: طبع تقول طست وغيرهم يقول طس، وهم الذين يقولون لصت في لص». والحق أن الطست والطس عربيان، وأما الطشت بالشين فما اشتركت فيه اللغتان. وانفردت الفارسية بلفظ: «تشت». انظر استينجاس 814، 815، 302، والقمقم: فسر في 25 فيما عدل: «والقمقم» مع الواو.

(9) تبين: تنفصل. وضمير: «تبين» للإبرة. ط، ش: «يبين» تحريف.

(10) عبر النهر والبحر، بكسر العين: شاطئه وجانبه. ويقال: عبر، بالفتح أيضاً.

(11) نصلت أظفاره تنصل، بالضم: خرجت فيما عدل: «فإذا وضع عليه رجله».

أكل. وإن لم يكن أكل فإنه ميت لا محالة، لأنه إذا بقى بغير منقار، ولم يكن للطائر شيء يأكل به مات⁽¹⁾.

والبحريون والعطّارون يُخبروننا أنهم ربما وجدوا فيه المنقار والظفر. وإن البال ليأكل منه اليسير فيموت.

والبال: سمكة [ربما كان] طولها أكثر من خمسين ذراعاً⁽²⁾.

(أعاجيب لسع العقرب)

ومن أعاجيب العقارب أنها تلسع الأفعى [فتموت الأفعى] ولا تموت هي، وتلسع بعض الناس، فتموت هي، ولا ينال الملسوع منها من المكروه قليل ولا كثير. ويزعم العوام أن ذلك [إنما] يكون لمن لسعت أمه عقرب⁽⁴⁾ وهو حمل في بطنها.

وقد لسعت عقرب⁽⁵⁾ رجلاً مفلوجاً، فذهب عنه الفالج وقصة هذا المفلوج معروفة. وقد عرفها صليبا⁽⁶⁾ وغيره من الأطباء.

[ومن العقارب طيارات وجرارات، ومعققات، وخضر، وحمر].

(اختلاف السموم، واختلاف علاجها)

وتختلف سموم العقارب بأسباب⁽⁷⁾: منها اختلاف أجناسها، كالجرارة وغيرها، ومنها اختلاف الثرب كفرق ما بين جرارات عقارب شهرزور⁽⁸⁾ وعسكر مكرم.

وتختلف مضرّة سمومها على قدر [طباع الملسوع]. ويختلف قدر سمومها على قدر مواضع اللسعة، وعلى قدر اختلاف ما بين النهار [والليل]، وعلى قدر ما صادفت⁽⁹⁾ عليه الملسوع من غذائه، ومن تفتح منافسه⁽¹⁰⁾، وعلى قدر ما تُصادف عليه العقرب من الحبل

(1) ل: «لم تكن للطائر شيء يأكل به»، بحذف الواو وكلمة «مات».

(2) البال عند العرب: الحوت العظيم. قال الأزهرى والجوهري: ليست بعربية. وأقول: أقرب مأخذها هو الفارسية «وال» انظر استينجاس 1453 بمعنى الحوت أو السمكة الكبيرة. وفي الفارسية أيضاً «بال» لنوع كبير من السمك ذي الحراشيف: A kind of large scaly fish، والبال من الحيوانات اللبونة التي تعيش في الماء وهو باللاتينية:

Balaena وباليونانية: Phlaina.

(3) فيما عدل: «وهي تلسع».

(4) ط، هـ: «العقرب».

(5) فيما عدل: «عقرب».

(6) صليبا: ذكره ابن النديم 341 في النقلة من اللغات إلى اللسان العربي، ولم يذكره ابن أبي أصيبعة، فيما عدل: «طبيبا»، تحريف.

(7) انظر للعقارب الطيارة ما مضى في (2: 133) وما سيأتي في (5: 278 و 28: 7).

(8) شهرزور: سبق الحديث عنها في 242، وبدلها في ل: «رامهرمز»، وهي مدينة من مدن خوزستان.

(9) فيما عدل: «صادف».

(10) فيما عدل: «فهي تفتح منافسه»، تحريف.

وغير الحَبَل^(١) وعلى قدر لَسَعَتِهَا^(٢) في أوَّل الليل عند خروجها من جُحرها [بعد أن أقامت فيه شَتَوَتْهَا]. وأشدُّ من ذلك أن تلسع أوَّل ما تخرجُ من جُحرها بعد أن أقامت فيه يومها^(٣). قال ما سرجويه^(٤): فلذلك اختلفت وجوه العلاج، فصار ضَرْبٌ من العلاج يُفِيْقُ عنه إنسانٌ ولا يُصلح أمر الآخر^(٥).

(لسعة الزنبور)

وخبرني ثمامة عن أمير المؤمنين [المأمون] أنه قال: قال لي بختيشوع بن جبريل^(٦)، وَسَلْمَوِيَّةُ، وابن مَسَوِيَّة: «إن الذباب إذا ذُكِّبَ به^(٧) موضع لسعة الزنبور سكن». فلسعني^(٨) زنبور فحككتُ على موضعه أكثر من عشرين ذبابةً فما سكنَ إلا في قدر الزمان الذي كان يسكنُ فيه من غير علاج. فلم يبق في يدي منهم^(٩) إلا أن يقولوا: كان هذا الزنبور حَتْفًا قاضيًا^(١٠)، ولولا هذا العلاج لَقَتَلَكَّ.

(خُجج الأطباء)

وكذلك هم إذا سَقَوْا دواءً فضرَّ، أو قطعوا عِرْقًا فضرَّ، قالوا: أنت مع هذا العلاج الصَّوابِ تجِدُ ما تجد! فلولا ذلك العلاجُ كنتَ الساعةُ في نار جهنم. وقيل لي - وقرأتُ في كتاب الحيوان -: إنَّ رِيحَ السَّذابِ يشتدُّ على الحَيَّاتِ. فألقيْتُ على [وجوه] الأفاعي جُرَزَ السَّذابِ^(١١) فما كان عندها إلا كسائر البَقْلِ^(١٢).

(١) فيما عدا ل: «ما يصادف عليه الملسوع من الخبل وغير الخبل».

(٢) فيما عدا ل: «لسعها».

(٣) الكلام من مبدأ: «وأشدُّ» إلى هنا ساقط من ل.

(٤) فيما عدا ل: «فإن ما سرجويه قال».

(٥) فيما عدا ل: «ولا يصلح لآخر».

(٦) ل: «وقال» وفيما عدا ل: «أنه قال لبختيشوع»، وفي عيون الأخبار (١٠٣: ٢) والعقد (٢٦٣: ٤): «قال المأمون قال لي بختيشوع»، وقد صححت العبارة بالجمع بين النصوص. والقائل هم الأطباء الثلاثة. وبختيشوع هو ابن جبريل بن بختيشوع، كان سريانياً نبيل القدر، وكان يضاهاى المتوكل في اللباس والفرش، وكان عظيم المنزلة عنده ثم إنه أفرط في إدلاله عليه فنكبه. وكان موته سنة ٢٥٦، وانظر أخباره في طبقات الأطباء (١٣٨: ١٤٤) والقفطي ٧٢-٧٣.

(٧) فيما عدا ل: «على» موضع «به».

(٨) المتحدث هنا هو المأمون، كما عيون الأخبار والعقد.

(٩) ل: «في بدني» مع حذف «منهم»، وصوابه في سائر النسخ والعيون والعقد.

(١٠) فيما عدا ل: «إن هذا الزنبور كان حنقاً غاضباً»، تحريف.

(١١) الجرز، بضم ففتح: جمع جرزة بالضم، وهي الحزمة من القت ونحوه. فيما عدا ل: «نور السذاب».

(١٢) البقل من النبات: ما ليس بشجر.

فلو قلت لهم في هذا شيئاً لقالوا: الحيات غير الأفاعي. وهذا باطل. الأفاعي نوع من الحيات. وكلهم قد عمّ ولم يخص.

(ما يدّخر من الحيوان)

وجميع الحشرات والأحناش، و[جميع] العقارب وهذه الدبابات^(١) التي تعض وتلسع، [التي] تكمن في الشتاء [لا تأكل شيئاً في تلك الأشهر ولا تشرب. وكذا كل شيء من الهمج والحشرات مما لا يتحرك في الشتاء] إلا النمل والذّر والنحل، فإنها قد ادخرت ما يكفيها، وليست كغيرها مما تثبت حياته مع ترك الطعام.

(حرص العقارب والحيات على أكل الجراد)

وللعقرب ثمانى أرجل^(٢) وهي حريصة على أكل الجراد. وكذلك الحيات. وما أكثر ما تلدغ وتنهش صاحب الجراد^(٣).

(أثر المُرَضِع في الرضيع)

ومن عجيب سمّ الأفاعي ما خبرني به بعض من يخبر شأن الأفاعي^(٤) قال: كنت بالبادية ورأيت ناقة [ترتع]، وفصيلها يرتضع من أخلافها، إذ نهشت الناقة على مشافرها^(٥) أفعى، فبقيت واقفة سادرة، والفصيل يرتضع، فبينما هو يرتضع إذ خر ميتاً. فكان موته قبل موت أمه من العجب^(٦)، وكان مرور السم في تلك الساعة القصيرة أعجب، وكان ما صار من فضول سمها في لبن الضرع حتى قتل الفصيل قبل أمه عجباً آخر^(٧).

والمرأة المرضع تشرب اللبن فيسكر^(٨) عن لبنها الرضيع وتشرب دواء المشي^(٩) فيعتري

(١) الدبابات: التي تدب من الحيوان، أي تمشي على هيئة. فيما عدل: «الدبابات» تحريف.

(٢) ل: «ثمانية أرجل»، تحريف؛ لأن الرجل مؤنثة. انظر المعجم والمخصص (16: 189).

(٣) أي الذي يصطاد الجراد. وانظر تفصيل ذلك في (4: 136-137).

(٤) ط، ه: «ما أخبرني» وباسقاط: «به» وفيما عدل: «بشأن الأفاعي».

(٥) ل: «مشافرها».

(٦) ط فقط: «من العجب»، وكلمة: «موت» ساقطة من ل.

(٧) فيما عدل: «عجب»، تحريف.

(٨) فيما عدل: «ويسكر» بالواو.

(٩) المشي: استطلاق البطن. واسم الدواء المشي، بكسر الشين وتشديد الياء. ونقل صاحب اللسان: «ولا تقل شربت دواء المشي». ويرد هذا قول الراجز:

شربت مرأ من دواء المشي من وجع بخشلتني وحقوي

انظر اللسان (خثل - مشي). فيما عدل: «يمشي» يقال أمشاه الدواء.

الرضيع الخُلْفَة^(١). فلذلك يختار^(٢) الحكماء لأولادهم الظئر البريئة^(٣) من الأدوية: في عقلها، وفي بدنها.

وتوهموا^(٤) أن اللبن إنما نجع في الفصيل لقربة ما بين اللبن والدم، فصار ذلك السم أسرع إليه منه إلى أمه. ولعل ضعف الفصيل قد أعان أيضاً على ذلك.

(قصتان في مَنْ لسعته العقرب)

قال أبو عبيدة^(٥): لسعت أعرابياً عقرباً بالبصرة، فخيف عليه فاشتدّ جزعه^(٦)، فقال بعض الناس: ليس شيء خيراً له من أن تُغسل له خصية زنجي عرق - وكانت ليلة غمقة^(٧) - فلما سقوه قطب^(٨)، فقيل [له]: طعم ماذا تجد^(٩)؟ قال: طعم قربة جديدة.

وخبرني محمد وعليّ ابنا يسير، أن ظئراً لسليمان بن ريش^(١٠) لسعتها عقرب فملأت الدنيا صراخاً، فقال سليمان: اطلبوا لها^(١١) هذه العقرب، فإن دواءها أن تلسعها لسعة أخرى في ذلك المكان، فقالت العجوز: قد برئت، وقد سكن وجعي، [و] لا حاجة بي إلى هذا العلاج^(١٢). قال: فأتوه بعقرب لا والله إن يدري^(١٣): أهي تلك أم غيرها؟ فأمر بها فأمسكت فقال: أنشدك بالله واللبن^(١٤) فأبى وأرسلها عليها^(١٥)، فلسعتها فغشي عليها ومريضة [زماناً]

(١) الخلفة، بالكسر: استطلاق البطن، يقال أخذته خلفه، إذا اختلف إلى المتوضأ.

(٢) فيما عدل: «تختار».

(٣) البريئة: السالمة المعافاة. فيما عدل: «البرية» بالتسهيل.

(٤) ل: «وتهموا».

(٥) ل: «أبو عبيد»، صوابه في سائر النسخ وعيون الأخبار (2: 103).

(٦) كذا في ل وعيون الأخبار. وفي سائر النسخ: «واشتد جزعه».

(٧) غمقة: ثقيلة الندى مع سكون الريح. فيما عدل: «عميقة»، تحريف. وفي عيون الأخبار (2: 103): «ومدة». والومدة مثل الغمقة.

(٨) قطب: زوي ما بين عينيه.

(٩) ل: «قيل له كيف طعم ما تجد». وأثبت ما في سائر النسخ موافقاً لعيون الأخبار. وكلمة: «له» ساقطة مما عدل.

(١٠) ط، هـ: «دباس». ش: «رباس»، وأثبت ما في ل.

(١١) هذه الكلمة ليست في ل.

(١٢) فيما عدل: «لا حاجة لي في هذا العلاج».

(١٣) فيما عدل: «والله ما ندري».

(١٤) يقال: نشدتك الله وبالله، ونأشدتك الله وبالله: أي سألتك وأقسمت عليك، يتعدى إلى المفعولين بنفسه، أو

إلى الثاني بالباء. فيما عدل: «نشدتك بالله وبالله» وكلاهما صحيح.

(١٥) فيما عدل: «فأرسلها عليها».

وتساقط شعرُ رأسها. فقيل لسليمان في ذلك فقال: يا مجانين! لا والله إن ردَّ عليَّ رُوحها إلا اللسعةُ الثانية. ولولا هي لقد كانت ماتت^(١).

(باب القول في القمل والصُّوَاب)

وسنقول في القمل^(٢) والصُّوَاب ما وجدنا تمكيناً من القول^(٣)، إن شاء الله تعالى. ذكرُوا عن إياس بن مُعاوية، أنه زعم أن الصُّبَّان ذكورةُ القمل والقمل إناثها، وأن القمل من الشَّكل الذي تكون^(٤) إناثه أعظم من ذكوره. وذكرُوا عنه أنه قال: وكذلك الزَّرَاقَةُ^(٥) والبُرَاة. فجعل البُرَاة في الإناث. وليس فيما قال شيء من الصواب والتَّسديد. وقد خبرناكم^(٦) عن حكايته في الشُّبُوط^(٧)، حين جعله كالبلغ، وجعله مخلوقاً من بين البُنيّ [والزَّجَر]^(٨). والقمل يعتري من العرق والوسخ، إذا علاهما ثوب، أو ريش، أو شعر، حتى يكون لذلك المكان عَفَنٌ وخُموم.

(أثر الشعر في لون القملة)

والقملة تكون في رأس الأسود الشعر سوداء^(٩)، [ورأس الأبيض الشعر بيضاء، وتكون

(١) جاء الضمير هنا بعد (لولا) على أصله. فالقاعدة أنه إذا ولي لولا مضمراً فحقه أن يكون ضمير رفع، نحو: (لولا أنتم لكننا مؤمنين). وسمع قليلاً لولاي ولولاك ولولاه، خلافاً للمبرد. وأنشد الفراء:

أبطمِعَ فينا من أراق دماءنا ولولاه لم يعرض لأحسابنا حسن

انظر المغني (لولا) واللسان (20: 359 س 12). ل: «بعد» بدل «لقد» تحريف.

(٢) القمل، بالفتح، واحدته قملة. وأما القمل، بالضم وتشديد الميم المفتوحة، وهو المذكور في القرآن الكريم، فهو الصغار من الجراد، أو صغار الذر، وقيل دواب صغار من جنس القراد، إلا أنها أصغر منها، تركب البعير عند الهزال. وقيل القمل قمل الناس. وليس بشيء. وقرأ الحسن: (والقمل) من الآية 133 في سورة الأعراف. انظر تفسير البحر (4: 373).

(٣) ل: «بأوجز ما يمكننا من القول». وهما نصان متعارضان.

(٤) فيما عدل: «يكون».

(٥) الزرارة: جمع زرق، بضم الزاي وفتح الراء المشددة، وقد جمعته المعاجم على زرايق. فيما عدل: «الزراق». وفي له: «الزراقة» وهذه محرفة. وانظر ما سبق في (2: 107).

(٦) ط فقط: «وقد خبرنا».

(٧) البني، بضم الباء: ضرب من السمك، والعامية في مصر يكسرون باءه. قال الزبيدي: «ضرب من السمك أبيض وهو أفخر الأنواع يكون كثيراً في النيل»: Barbus، والشبوط: سمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس، يكثر في دجلة: Carp، فيما عدل: «من البني» تحريف. وانظر ما سبق في (1: 122)، وهو الموضع الذي يشير إليه الجاحظ. وانظر أيضاً (6: 11).

(٨) الزجر: «ضرب من السمك عظام صغار الحرشف، والجمع زجور. يتكلم به أهل العراق. قال ابن دريد: ولا أحسبه عربياً». انظر اللسان (5: 407).

(٩) الزيادة التالية من ل، ش، هـ.

خَصِيْفَةُ اللَّوْنِ^(١)، وَكَالْحَبْلِ الْأَبْرَقِ^(٢) إِذَا كَانَتْ فِي رَأْسِ الْأَشْمَطِ^(٣)]. وَإِذَا كَانَتْ فِي رَأْسِ الْخَاضِبِ^(٤) بِالْحَمْرَةِ كَانَتْ حَمْرَاءَ، وَإِنْ كَانَ الْخَاضِبُ نَاصِلَ الْخَضَابِ كَانَ [فِي] لَوْنِهَا شُكْلَةً^(٥)، إِلَّا أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الشَّعْرِ التُّصُولُ فَتَعُودُ بِيَضَاءٍ^(٦). وَهَذَا شَيْءٌ يَعْتَرِي الْقَمَلَ، كَمَا تَعْتَرِي^(٧) الْخَضِرَةُ دُودَ الْبَقْلِ، وَجَرَادَهُ وَذَبَابَهُ، وَكُلَّ شَيْءٍ يَعِيشُ فِيهِ.

(أثر البيئة في الحيوان)

وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ^(٨)، فَإِنْ مِنْ طِبَاعِ تِلْكَ الْحَرَّةِ أَنْ تُسَوِّدَ^(٩) كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ فِيهَا: مِنْ إِنْسَانٍ، أَوْ فَرَسٍ، أَوْ حِمَارٍ، أَوْ شَاةٍ، أَوْ بَعِيرٍ، أَوْ طَائِرٍ، أَوْ حَيَّةٍ. وَلَمْ نَسْمَعْ بِلَدَّةٍ أَقْوَى فِي هَذَا الْمَعْنَى^(١٠) مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ، فَإِنَّهَا تَصَوِّرُ إِبْلَهُمْ وَخَيْلَهُمْ، وَجَمِيعَ مَا يَعِيشُ فِيهَا، عَلَى صُورَةِ التُّرْكِ.

(تولد القمل)

وَالْقَمْلُ يَعْزُضُ لِثِيَابِ كُلِّ النَّاسِ^(١١) إِذَا عَرِضَ لَهَا الْوَسْخُ وَالْعَرَقُ، وَالْخُمُومُ، إِلَّا ثِيَابَ الْمُجَدَّمِينَ^(١٢) فَإِنَّهُمْ لَا يَقْمَلُونَ. وَإِذَا قَمَلَ إِنْسَانٌ وَأَفْرَطَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، زَأْبَقَ رَأْسَهُ^(١٣) إِنْ كَنَّ فِي رَأْسِهِ أَوْ جَسَدِهِ^(١٤)، وَإِنْ

(١) الْخَصِيْفَةُ: مَا فِيهَا لَوْنَانِ مِنْ سَوَادٍ وَبَيَاضٍ. ل: «خَصِيف» ش: «خَفِيفَة» صَوَابُهُمَا فِي هـ.

(٢) فِي اللِّسَانِ: «التَّهْدِيبُ»: الْخَصِيفُ مِنَ الْحَبَالِ مَا كَانَ أَبْرَقَ، بِقُوَّةِ سَوْدَاءٍ، وَأُخْرَى بِيَضَاءٍ.

(٣) الْأَشْمَطُ: ذُو الشَّمِطِ، وَهُوَ بَيَاضُ شَعْرِ الرَّأْسِ يَخَالِفُ سَوَادَهُ.

(٤) فِيمَا عَدَا ل: «إِذَا كَانَتْ فِي رَأْسِ الْخَضِيبِ».

(٥) الشُّكْلَةُ، بِالضَّمِّ: بَيَاضٌ وَحْمَرَةٌ.

(٦) تَعُودُ: تَصِيرُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: عَادَ فُلَانٌ شَيْخًا، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ قَطُّ شَيْخًا. يَعْنُونَ صَارَ. انْظُرْ سِرَّ الْعَرَبِيَّةِ 385، فِيمَا عَدَا ل: «فَنَكُونُ بِيَضَاءً».

(٧) ط، ش: «تَعْتَبِرُ». وَفِي هـ: «يَعْتَرِي»، وَأُثْبِتَ مَا فِي ل.

(٨) انْظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ فِي (4: 42).

(٩) فِيمَا عَدَا ل: «يَسْوَدُ» بِالْيَاءِ.

(١٠) فِيمَا عَدَا ل: «مِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى». وَانْظُرِ الْكَلَامَ فِي أَثَرِ الْبَيْئَةِ فِي (4: 41-42).

(١١) فِيمَا عَدَا ل: «إِنْسَانٍ».

(١٢) يُقَالُ رَجُلٌ أَجْذَمٌ، وَمَجْدُومٌ، وَمَجْدَمٌ: إِذَا تَهَافَّتَ أَطْرَافَهُ مِنْ دَاءِ الْجَذَامِ. ل: «الْمَجْدُومِينَ»: وَأُثْبِتَ مَا فِي سَائِرِ النُّسخِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ (10: 177).

(١٣) زَأْبَقَ رَأْسَهُ: طَلَاهُ بِالزَّبَقِ. وَفِي اللِّسَانِ: «دَرَهْمٌ مَزَابِقٌ مَطْلِي بِالزَّبَقِ، وَالْعَامَةُ تَقُولُ مَزِيقٌ». وَفِي الْمَعْرَبِ 170: «وَدَرَهْمٌ مَزَابِقٌ، وَلَا تَقُلْ مَزِيقٌ» هـ: «رِيقٌ» ش: «زَبَقٌ» تَحْرِيفَانِ. ل: «زَبَقٌ» عَامِيَةٌ.

(١٤) فِيمَا عَدَا ل: «وَإِنْ كَانَ فِي رَأْسِهِ أَوْ جَسَدِهِ».

كُنْ فِي ثِيَابِهِ، فَمَوْتُنْ⁽¹⁾.

وقال أبو قطيفة⁽²⁾ لأصحابه: أتدرون ما يذُرُّ القمل⁽³⁾؟ قالوا: لا. قال: ذاك واللّه من قلة عنايتكم بما يصلحُ أبدانكم؟ يذُرُّ القملُ الفُساء⁽⁴⁾.

فأما ثمامة فحدثني عن يحيى بن خالد البرمكي، أن شيئين يُورِثان القمل: أحدهما الإكثار من الثين اليابس⁽⁵⁾، والآخر بخار اللبان إذا أُلقي على المجمرة⁽⁶⁾.

وربما كان الإنسان قمل الطباع، وإن تنظف وتعطر وبدل الثياب⁽⁷⁾، كما عَرَضَ لعبد الرحمن بن عوف، والزيبر بن العوام، استأذنا رسول الله ﷺ، في لباس الحرير فأذن لهما فيه⁽⁸⁾، ولولا أنهما كانا في حدّ ضرورة لَمَا أُذِنَ لهما فيه، مع ما قد جاء في ذلك من التشديد.

فلما كان في خلافة عمر⁽⁹⁾، رأى عُمرُ على بعض بني المغيرة من أخواله، قميصَ حريرٍ، فعَلَّاهُ بالدَّرَّةِ⁽¹⁰⁾، فقال للمغيّرِي: أو ليس عبد الرحمن بنُ عوفٍ يلبسُ الحرير؟ قال: وأنت مثل عبد الرحمن؛ لا أمّ لك!

(الاحتياال للبراغيث)

واحتاج أصحابنا إلى التسلّم⁽¹¹⁾ من عضّ البراغيث، أيامَ كُنَّا بدمشق، ودخلنا أنطاكية، فاحتالوا لبراغيثها بالأسيرة فلم ينتفعوا بذلك؛ لأن براغيثهم تمشي.

(1) أي زأبق رأسه فموتن، أي فماتت القمل. يقال موتت الدواب: كثر فيها الموت. وانظر (3: 188 س8) ط، ه: «فيتشر». ش: «فتنشر»، صوابهما في ل.

(2) في البخلاء 95: «أبو قطيفة». وساق هذا الخبر. وذكر له أخوين، هما الطيل ويابي^(؟) من ولد عتاب بن أسيد.

(3) يذُرُّ: يكثر، وبه فسر: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: 11]، ل: «بذر» وفي البخلاء: «يدر» بمعنى يكثر.

(4) ل: «بذر». وانظر التنبيه السابق. ط، ش: «ألفاً» بدل «الفساء»، صوابه في ل، هـ والبخلاء.

(5) في تذكرة الأنطاكي: «والتين يولد القمل ويضر الكبد الضعيف والطحال». وفي المعتمد: «واليابس جيد للمبرودين.. وهو يولد القمل». ط، ش: «الإكثار في اللبس»، هـ: «من اللبس»، صوابهما ما أثبت من ل، وقد تكون «اللبس» محرفة عن «اللبس» بالتحريك، وهو التين، أو شيء يشبهه يكثر باليمن.

(6) المجمرة والمجمر: ما يوضع فيه الجمر بالدخنة. ط، هـ: «على الجمر» ش: «على المجمعر»، وفي ل، هـ زيادة: «من» قبل: «بخار».

(7) فيما عدا ل: «وأبدل الثياب».

(8) الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ففي صحيح البخاري عن قتادة بن أنس: «أن عبد الرحمن بن عوف والزيبر شكوا إلى النبي ﷺ يعني القمل - فأرخص لهما في حرير، فأرأته عليهما في غزاة». وعن قتادة عن أنس: «أن النبي ﷺ رخص لعبد الرحمن بن عوف والزيبر في قميص من حرير، من حكة كانت بهما». انظر البخاري (4: 42) ومسلم (2: 153-154) ومفتاح كنوز السنة 425.

(9) فيما عدا ل زيادة: «رضى الله تعالى عنه».

(10) الدرة، بالكسر: التي يضرب بها. وفي التهذيب: الدرة درة السلطان التي يضرب بها.

(11) التسلم: السلامة. فيما عدا ل: «التسليم».

وبراغيتهم نوعان: الأَبَجَل⁽¹⁾ والْبَق⁽²⁾، إنما سَمَّوا ذلك الجنس على شبيهه بما حَكَّى لي ثمامة عن يحيى بن خالد البرمكي، فإن يحيى زعم أن البراغيت من الخلق الذي يَعْرِضُ له الطيرَانُ فيستحيل بقاءاً، كما يعرض الطيرَانُ للثَمَلِ، وكما يعرض الطيرَانُ للدَّعَامِيصِ؛ فإن الدَّعَامِيصَ إذا انسلخت صارت فَرَاشاً⁽³⁾.

فكان أصحابنا قد لَقُّوا من تلك البراغيت جَهْدًا، وكانت لها⁽⁴⁾ بليَّةٌ أخرى: وذلك أن الذي تُسَهِّرُهُ البراغيت لا يستريح إلا أن يقتلها⁽⁵⁾ بالعرك والقتل⁽⁶⁾، وإلى أن يقبِضَ عليها فيرمي بها [إلى الأرض] من فوق سريره⁽⁷⁾ فيرى أنهنَّ إذا صِرْنَ عشرين كان أهون عليه من أن يَكُنَّ إحدى وعشرين⁽⁸⁾. فكان الرجل إذا رام ذلك من واحدة منها نَتْنَتْ يده⁽⁹⁾ وكانوا مُلوَكًا، ومثل هذا شديدٌ على مثلهم، فما زالوا في جهد منها حتى لبسوا قُمُصَ الحرير الصَّيني، وجعلوها طويلة الأردان والأبدان⁽¹⁰⁾ فناموا مستريحين.

(خروج القمل من جسم الإنسان)

[وخبَّرني كم شئت⁽¹¹⁾ من أطباء الناس وأصحاب التجارب، منهم من يقشعر من الكذب، ويتقزز منه - أنهم رأوا القمل عياناً وهو يخرج من جلد الإنسان. فإذا كان الإنسان قَمِلاً كان قمله مستطيلاً، في شبيهه بخلقة الديدان الصغار البيض.

ويذكر أن مثل ذلك قد كان عَرَضَ لأيوبَ النبي عليه السلام حين كان امتُحِنَ بتلك الأوجاع حتى سُمِّيَ: «المبتلى».

-
- (1) ش، هـ: «الأبجل» تحريف. ل: «الأبخل»، وأثبت ما في ط.
 - (2) البق: «البعوض»، وقيل هي دويبة مثل القملة حمراء منتنة الريح تكون في السرر والجدر. وبهذا المعنى الأخير تعرف في مصر. فيما عدا ل: «البرد» تحريف.
 - (3) ش: «إن الدعاميص»، والكلمتان ساقطتان من ل. ش: «فصارت فراشاً» ل: «إذا انسلخت فراشاً».
 - (4) فيما عدا ل: «له» تحريف. والضمير للبراغيث.
 - (5) كلمة: «لا» ليست في ل، ش، وفي ل، هـ: «إلى أن يقتلها»، وفي ش: «لأن يقتلها».
 - (6) العرك: الدلك. ل: «بالفرك». وفيما عدا ش: «والقتل» بالقاف.
 - (7) فيما عدا ل: «السري».
 - (8) فيما عدا ل: «أن تكون أحدًا وعشرين»، تحريف.
 - (9) فيما عدا ل: «وكان» بدل: «فكان» و«واحد» بدل «واحدة». «وأننت» بدل «ننتت» وهما لغتان يقال: نَتْنُ، ونَتْنُ، وأنْتَنُ.
 - (10) الأردان: جمع ردن، بالضم، وهو أصل الكم، أو مقدمه، أو الكم كله. فيما عدا ل: «طويلة الأبدان والأردان».
 - (11) سبق مثل هذا التعبير في (3: 128 و 4: 27). وانظر ما كتبت في (4: 27).

وخبّرني شيخٌ من بني ليث⁽¹⁾، أنه اعتراه جَرَبٌ، وأنه تطلّى بالمَرْتَك⁽²⁾ والدُّهْن، ثم دخل الحَمَّام فرأى قملاً كثيراً، يخرج من تلك الجَلْب⁽³⁾ والقروح.

وخبّرني أبو موسى العباسي صديقنا، أنه كان له غلامٌ تبثّر⁽⁴⁾، وكان الغلام ربما أخذ إبرة ففتَحَ بها فتحةً في بعض جَسَدِه، في الجِلْد، فلا يلبث أن يطلع من تحت الجلد في القَيْح⁽⁵⁾ قملة⁽⁶⁾.

(قمل الحيوان)

والقمل يُسرَعُ إلى الدّجاج والحمام، إذا لم يغتَسِلْ ويكُنْ نظيف البيت⁽⁶⁾. و[هو] يعرض للقرْد، ويتولّد من وسخ جلد الأسير وما في رأسه⁽⁷⁾ من الوسخ. ولذلك كانوا يضجّون ويقولون: أكلنا القُدّ والقمل⁽⁸⁾!

(تلبيد الشعر)

وكانوا يلبّدون شعورهم، وذلك العمل هو التلبيد، والحاجّ الملبّد هو هذا. وقال الشاعر:

ياربُّ، ربَّ الرّاقصاتِ عشيّةً بالقوم بين مئى وبين ثبير⁽⁹⁾
زُحِفُ الرّواحِ قد انقضتْ مَنَاتُهُمْ يَحْمِلْنَ كُلَّ مَلَبَّدٍ مَأْجُورٍ⁽¹⁰⁾
وقال عبد الله بن العجلان النهدي⁽¹¹⁾:

- (1) هم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. والجاحظ ليثي كناني. انظر ترجمته في الوفيات.
- (2) المَرْتَك، هو المرداسنج الذي سبق شرحه في ص 236، ولفظه فارسي معرب. انظر الجواليقي 317 وضبطهما صاحب القاموس كمقعد، ومثله ضبط اللسان. ويقال أيضاً «مَرْتَج» بالميم. قال صاحب القاموس: «معرب مُرْدَه». لكن في معجم استينجاس 1210 أنه معرب «مَرْتَك»، والمأخذان محتملان.
- (3) الجلب: جمع جلبة، كغرفة، وهي القشرة تعلو الجرح عنه البرء.
- (4) تبثّر: ظهرت فيه البثور. في الأصل: «بمصر». وانظر ما سيأتي في ص 279 س 13.
- (5) كذا في الأصل، وهو هنا ل: «وأراها: «الفتح».
- (6) فيما عدل ل: «إذ لم يغسل ويكون نظيف البيت» تحريف.
- (7) كلمة: «ما» ثابتة في ط فقط.
- (8) القد، بالكسر: سير من جلد غير مدبوغ. فيما عدل ل: «أكلني».
- (9) الراقصات: الإبل تسرع في سيرها، رقص البعير يرقص رقصاً، بالتحريك: إذا أسرع في سيره. وثبير، كأثير: من أعظم جبال مكة، بينها وبين عرفة.
- (10) زحف، بضمّين: جمع زحوف، وهي الناقة أعيت فجرت فرسناها. الرواح، أي عند الرواح. والمنات: جمع منة، والمنة كالقوة وزنا ومعنى. والملبد: أراد به الحاج الملبد. ط، هـ: «وحف الرواح». ش: «وجف»، صوابه في ل. وفيما عدل ل: «تراقصت تمشي بهم».
- (11) عبد الله بن العجلان النهدي، شاعر جاهلي، أحد المتيمنين من الشعراء ومن قتله الحب منهم. وكان له زوجة يقال لها هند، فطلقها ثم ندم على ذلك، فتزوجت زوجاً غيره فمات أسفاً عليها. انظر أخباره في الأغاني 019: 102، 106 وتزيين الأسواق 76-78، ل: «عبد الله بن عجلان النهدي».

إني وما مارَ بالفريق وما قرَّرت بالجلهتين من سرب⁽¹⁾
 - [جماعة من القطا وغيره، واحدها سُرْبَة. وعبر بها هاهنا عن الحُجَّاج⁽²⁾]-
 من شَعَرٍ كالغليل يُلبَّدُ بالـ قَمَلٍ وما مارَ من دم سَرَبٍ⁽³⁾
 والعِترِ عتر النَّسيك يخفر بالـ بُذْنٍ لِحِلِّ الإحرام والنُّصْبِ⁽⁴⁾
 وقال أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ:

شاحينَ أباطَهُمْ لم ينزِعُوا تَفْشاً وَلَمْ يَسْلُوا لَهْمَ قَمَلاً وَصِيبَاناً⁽⁵⁾
 ويروى: «لم يقربوا تَفْشاً». قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ [الحج: 29]. وما
 أقلَّ ما ذَكَّرُوا التَّفَثَ في الأشعار⁽⁶⁾.

والتليد: أن يأخذ شيئاً من خُطْمِيٍّ وآسٍ وَسَدْرٍ⁽⁷⁾، وشيئاً من صَمْعٍ، فيجعله في أصول
 شعره⁽⁸⁾ وعلى رأسه، كي يتلبَّد شعره ولا يعرَّق⁽⁹⁾ ويدخله الغبار، ويخَمِّ قَمَلٍ.
 وكانوا يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل. فكان ذلك العمل⁽¹⁰⁾ يقلُّ معه القمل.
 وقد قال النبي ﷺ لكعب بن عُجْرَةَ⁽¹¹⁾: «هل آذاك هَوَامٌ رأسك؟!».

- (1) الفريق، بهيئة تصغير فرق: موضع بتهامة. وفيما عدا ط: «الغريف» ولم أجده. وفي المعجم: «الغريق»: واد لبني سليم. وقد أقسم بدماء الإبل التي تنحر فتمور دماؤها. ط، ه: «من شرب» ش: «شهب»، صوابهما في ل. والسرب بضمين وبإسكان الثاني، كما في تاج العروس (1: 296 س 39).
- (2) في الأصل - وهو هنا- ل: «الحمام». والصواب ما أثبت. وقد عنى بالقرقرة تلبية الحجيج ورفعهم أصواتهم بالدعاء.
- (3) الغليل: الفت والنوى والعجين تعلفه الإبل. ط: «كالليل» وفي ل، ه: «كالقليل»، وأثبت ما في ش. والسرب، بفتح الراء وكسرها: السائل.
- (4) العتر، بالكسر: ما عتر أي ذبح. والعتر أيضاً الصنم يعتر له. وفي اللسان والقاموس أن النسيكة الذبيحة. ولم أجد النسيك. و«يخفر» هي في ل: «يحفر». وفي ط، ه: «مجلئ الأحران» وفي ش: «مجلئ الأحران»، صوابهما في ل.
- (5) شاحين، من شحا الرجل فاه شحوا: فتحه. والآباط: جمع إبط. عنى بذلك رفع الحجاج أيديهم بالدعاء. فيما عدا ل: «ساحي أباطلهم» تحريف. والتفت: التشعث. وفي اللسان: «قال أبو منصور: لم يفسر أحد من اللغويين التفت كما فسره ابن شميل، جعل التفت التشعث». قلت: هذا البيت يشهد لتفسير ابن شميل.
- (6) البيت حجة على أبي عبيدة إذ يقول: «ولم يجيء فيه شعر يحتج به». انظر اللسان.
- (7) السدر: النبق البري. فيما عدا ل: «وسرو» تحريف. وفيما عدا ل أيضاً: «أن نأخذ».
- (8) ط فقط: «فتجعله في أصول شعره».
- (9) فيما عدا ل: «يفرق» بالغاء، محرف.
- (10) يعني تلبيد الشعر. ش: «وما كان» تحريف. ط، ه: «وكان» وأثبت ما في ل. وفيما عدا ل: «القتل» بدل «العمل» محرف.

(11) هو كعب بن عجرة بن عدي، وهو صحابي، وفيه نزلت الفدية، وقد أخرج ذلك في الصحيحين من طرق، منها رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة: «أن النبي ﷺ مر به وهو محرم يوقد تحت قدر والقمل يتهافت على وجهه. فقال له: احلق رأسك وأطعم فرقا بين ستة مساكين». مات بالمدينة سنة إحدى وخمسين، وقيل ثنتين، وقيل ثلاث، وله خمس أو سبع وسبعون سنة الإصابة 7413.

(تَعْيِيرُ هَوَازِنٍ وَأَسَدٍ بِأَكْلِ الْقَرَّةِ)

وقال ابنُ الكلبيِّ: عَيْرَتْ هَوَازِنُ وَأَسَدٌ بِأَكْلِ الْقَرَّةِ^(١). وهما بنو القملة^(٢). وذلك أن أهل اليمن كانوا إذا حلقوا رؤوسهم [بِمَيْئٍ وضع كل رجل منهم على رأسه قُبْضَةً من دقيق. فإذا حلقوا رؤوسهم] سقط^(٣) ذلك الشَّعْرُ مع ذلك الدقيق، ويجعلون الدقيق صدقةً، فكان ناسٌ من الضُّرَكَاءِ^(٤) وفيهم ناسٌ من قيس وأسد، يأخذون ذلك الشعر بدقيقه، فيرمُون بالشعر، ويتنفعون بالدقيق.

وأُشْدَ لمعاويةَ بن أبي معاويةَ الجرميِّ، في هجائهم:

ألم تر جَرْمًا أَنْجَدْتَ وَأَبوكم مع الشعر في قصِّ الملبِّدِ شارِعُ^(٥)
إذا قَرَّةٌ جاءت يقولُ أصبُ بها سِوى القملِ إني من هَوَازِنِ ضارِعُ^(٦)

(شعر في هجو القملين)

وقال بعضُ العُقيليِّين، ومَرَّ بأبي العلاء [العُقيليِّ] وهو يتفلى، فقال^(٧):

وإذا مررت به مررت بقانص متصيد في شَرْقَةٍ مَقْرورِ^(٨)
للقملِ حولَ أبي العلاء مَصارعُ من بين مقتول وبين عَقيرِ^(٩)

(١) القرّة، بالضم. وفيما عدل: «الهرة» تحريف.

(٢) أي هوازن وأسد، عنى أنهم كانوا يقال لهم: «بنو القملة». ط، ش: «وهو سويق القمل»، ه: «وهي شوء القمل»، وأثبت ما في ل.

(٣) فيما عدل: «سيط ذلك الشعر بدمك الدقيق» وهذه العبارة في ظاهرها تحتل الصحة، فإن معنى سيط: خلط. والدرمك: النقي من الدقيق. ولكن النظر إلى التكملة السابقة يقضي بأنها محرفة. وهي على الصواب الذي أثبت في اللسان (٦: 401).

(٤) الضركاء: جمع ضريك، وهو الفقير اليابس الهالك سوء حال. قال الكمي:

فغيث أنت للضركاء منا بسبك حين تنجد أو تغور

ويجمع أيضاً على ضرائك. فيما عدل: «الصوكاء» تحريف.

(٥) أنجدت: دخلت بلاد نجد. ط، ه: «وأمجدت» تحريف. وفيما عدل: «وابن بحزة» بدل: «وأبوكم». وما أثبت من ل يوافق رواية اللسان (٦: 401).

(٦) فيما عدل: «إذ امرأة جاءت لقول»، صوابه في ل واللسان. وفي ش: «شوا القمل». وه: «شواء» صوابهما في ل، ط واللسان.

(٧) انظر نهاية الأرب (١٠: ١٧٧) ومحاضرات الراغب (٢: ١٣٣) والحماسة ١٨٤٣ بشرح المرزوقي.

(٨) الشارقة: المكان الذي يتشرق فيه في الشتاء. والمقرور: الذي أصابه القر، بالضم، وهو البرد. فيما عدل: «في شرقه مغرور»، صوابه في ل والحماسة (٢: ٣٩٧) ونهاية الأرب (١٠: ١٧٧). وحق هذا البيت أن يكون ثاني الأبيات. لكن هكذا وردت الرواية.

(٩) العقير: المعقور. فيما عدل: «ما بين مقتول». وهذه ثابتة أيضاً في نهاية الأرب ومحاضرات الراغب (٢: ١٣٣). وما أثبت من ل هو رواية الحماسة وديوان المعاني.

- وكانهنَّ لدى حُبُونٍ قَمِيصِهِ فَذُّ وَتَوَامُ سَمْسِمٍ مَقْشُورٍ⁽¹⁾
 صَرَحَ الْأَنَامِلُ مِنْ دِمَاءٍ قَتِيلِهَا حَنَقَ عَلَى أُخْرَى الْعُدُوِّ مُغِيرٍ⁽²⁾
 وقال الحسنُ بنُ هانئٍ، في أيوبَ، وقد ذهب عني نسبُه، وطالما رأيته في المسجد:
 مَنْ يَنْأَى عَنْهُ مَصَادُهُ فَمَصَادُ أَيُوبَ ثِيَابُهُ
 تَكْفِيهِ فِيهَا نَظْرَةٌ فَتُعَلُّ مِنْ عَلَقِ حِرَابِهِ⁽³⁾
 يَارُبَّ مُحْتَرَسٍ بِخَبْءٍ نِ الدَّرَزِ تَكُنْفُهُ صُؤَابُهُ⁽⁴⁾
 فاشي النَّكَايَةِ غَيْرَ مَعْلُو م إِذَا دَبَّ انْسِيَابُهُ
 أَوْ طَامَمَرِيٍّ وَائْتَبِ لَمْ يُنَجِّهِ عَنْهُ وَثَابُهُ⁽⁵⁾
 [الطامريّ: البرغوث. ثم قال]:
 أَهْوَى لَهُ بِمَذْلَقِ الْـ غَزَبَيْنِ إِصْبَعُهُ نِصَابُهُ⁽⁶⁾
 لَلَّهِ دُرُّكَ مِنْ أَخِي قَنَصِ أَصَابِعِهِ كِلَابُهُ⁽⁷⁾

- (1) الخبون: جمع خبن، وأصل الخبن: خياطة الثوب لتقليصه. فيما عدل: «جيوب» والجيب: طوق القميص. وفي الحماسة: «لدى دروز قميصه». وفي ديوان المعاني ونهاية الأرب: «إذا علون قميصه». والفذ: الفرد. ديوان المعاني: «فرد». والتوأم: المزدوج، وأصله من جميع الحيوان المولود مع غيره في بطن، من الاثنين إلى ما زاد، ذكرًا كان أو أنثى، أو ذكرًا مع أنثى. ش: «معشور» محرف.
- (2) الضرح: المصبوغ بالحمرة. فيما عدل: «صرح» تحريف صوابه في سائر المصادر. وقد ضبط بالجر في ل والحماسة. إنما يستقيم هذا الضبط إذا روى البيت الأول بعد البيت الثاني فيكون صفة لقنص. والوجه الرفع. ومع الرفع الإقواء.
- (3) تعل: من العلل، وهو الشرب مرة بعد مرة. والعلق، بالتحريك: الدم. والحراب: جمع حربة. ش: «جراية» تحريف.
- (4) فيما عدل: «محترز» والمحترس والمحترز بمعنى. والخبن: خياطة الثوب لتقليصه وأراد به الموضع. والغرز: موضع الخياطة وفيه يختبئ القمل والصبيان، ولذلك يقال لهما «بنات الدروز». انظر شفاء الغليل. وفي اللسان أن الزئبر ما يظهر من درز الثوب. أي أن الزئبر هو الأهداب التي تظهر من موضع الخياطة. وقد نصت المعاجم أن «الدروز» فارسي معرب، وقالت إنه معروف، فحسب. ومعنى «دروز» في الفارسية: الشق الذي خيط من الثوب: *Arend in a garment which has been sewed up* انظر استينجاس 511 ومنه «دري» الفارسية بمعنى الخياط، وهي أصل: «ترزي» في العامية المصرية. ش: «يجير الرذن» ه: «بحير الرذن» ط: «جيب الرذن»، وأثبت ما في ل. وفي ش: «تكشفه صؤابه» تحريف.
- (5) ل فقط: «لم يغنه». والوثاب: الوثب. وقد سبق البيت في ص 147.
- (6) مذلق: حاد. والغريين: مثنى غرب، وهو حد السلاح. فيما عدل: «يزلق» تحريف. وفي ط فقط: «ما بين أصبعيه»، صوابه في سائر النسخ.
- (7) أخو قنص: صاحب صيد. فيما عدل: «من أبي قنص».

(أحاديث وأخبار في القمل)

وفي الحديث أن أكل التفاح، وسُوِّرَ الفأرة، وبَذَّ القملة يورث النسيان⁽¹⁾. وفي حديث آخر أن الذي يبنذ القملة لا يُكفى الهم.

والعامة تزعم أن لبس الثعال السود يورث [الغم] والنسيان.

وتناول أعرابي قملة دبَّت على عنقه، ففدغها⁽²⁾ ثم قتلها⁽³⁾ [بين] باطن إبهامه وسبَّابته، فقيل له: ما تصنع ويلك [بحضرة الأمير]؟! فقال: بأبي أنت وأمِّي، وهل بقي منها إلا خرشاؤها؟ يعني جلدتها وقشرتها. وكل وعاء [فهو] خرشاء.

(المأمون وسعيد بن جابر)

وحدثني [إبراهيم بن هانئ⁽⁴⁾، قال: حدثني سعيد بن جابر، قال: لما كادت الأجناد تحيط ببغداد⁽⁶⁾ من جوانبها، قال لنا المخلوع⁽⁷⁾: لو خرجنا هكذا إلى قُطْرُبُل⁽⁸⁾ على دوابنا، ثم رجعنا من قورنا، كان لنا في ذلك نُشْرة⁽⁹⁾، قال: فلما صرنا هناك هجمنا على موضع خمارين، فرأى أناساً قد تطافروا في بعض تلك الحانات⁽¹⁰⁾، فسأل عنهم، فإذا هم أصحاب قمار ونرْد [ونبيذ]، فبعث في آثارهم [فردوا] وقال لنا⁽¹¹⁾: أشتهي أن أسمع

(1) سبق هذا الحديث في ص 182.

(2) فدغها: شدخها. والفدغ: شدخ الشيء الأجوف. فيما عدل: «فنزعها».

(3) فيما عدل: «قتل» وفي ل: «قتلها» ووجهه بالفاء كما أثبت.

(4) إبراهيم بن هانئ أحد معاصري الجاحظ، قال فيه الجاحظ: وكان ماجناً خليعاً كثير العبث متمرداً. انظر البيان (93:1). وروى عنه خبراً في البخلاء 106، وذكره صاحب لسان الميزان (118:1).

(5) هذه التكملة من ل، ش.

(6) فيما عدل: «بغداد» بالمهملة في آخره. وهما لغتان. لكن قال ياقوت: «ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداد في آخره الذال المعجمة».

(7) المخلوع: هو الخليفة محمد الأمين.

(8) قُطْرُبُل، بضم فسكون ففتح فباء مشددة مضمومة: قرية بين بغداد وعكبرا، ينسب إليها الخمر، وقد ضبط في اللسان والقاموس بضم الراء، ولكنه ضبط قلم لا نص. وانظر المغرب 273.

(9) النشرة، هي في أصلها ضرب من الرقية والعلاج يعالج به المجنون والمريض، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء: أي يكشف ويزال. انظر اللسان (56:7). فيما عدل: «تنزه».

(10) تطافروا: تواتبوا. والطفروا: الوثوب. فيما عدل: «تظافروا» بالطاء المعجمة. تطافروا عليه وتظاهروا بمعنى. وليس مراداً. وفيما عدل: «فرأينا ناساً قد تطافروا في بعض تلك الحانات».

(11) ل، ش: «أنا».

حديثهم، وأرى مجلسهم وقمارهم. قال: فدخلنا إلى موضعهم، فإذا تخت⁽¹⁾ النرد قطعة لبند، وإذا فصوص النرد من طين، بعضه مسود وبعضه متروك، وإذا الكعبان من عروة كوز محككة، وإذا بعضهم يتكئ على دنّ خال⁽²⁾ وتحتهم بوار قد تنسرت⁽³⁾. قال: فبينما هو يضحك منهم إذ رأيت قملة تدب على ذيله، فتغفلته وأخذتها⁽⁴⁾ فرآني وقد تناولت شيئاً، فقال [لي]: أي شيء تناولت؟ فقلت: دويبة دبت على ذيلك من ثياب هؤلاء. قال: وأي دابة هي⁽⁵⁾؟ قلت: قملة. قال: أرينيها؛ فقد والله سمعت بها! قال: فتعجبت يومئذ من المقادير⁽⁶⁾ كيف ترفع رجلاً في السماء، وتحط آخرين⁽⁷⁾ في الثرى!

(معارف وخبر في القمل)

قال: والقرد يتفلى، فإذا أصاب قملة رمى بها إلى فيه⁽⁸⁾. ونساء العوام يعجبهن [صوت] قضع القمل على الأظفار⁽⁹⁾. ورأيت مرة أنا وجعفر بن سعيد⁽¹⁰⁾، بقالاً في العتيقة⁽¹¹⁾ وإذا امرأته جالسة بين يديه، وزوجها يحدثها وهي تفلي جيبتها⁽¹²⁾ وقد جمعت بين باطن إبهامها وسبابتها عدة قمل،

- (1) التخت، في المعاجم العربية: وعاء تصان فيه الثياب، فارسي معرب: لم يذكروا غير ذلك. ويعيد أن يكون الجاحظ قصد هذا المعنى. وإنما أراد بالتخت اللوح الذي يوضع فوقه النرد. وجاء في معجم استينجاس 1395 في تفسير (تخت نرد) أنه لوح يتخذ للعب النرد: A board for playing at nard، وأراد، جعلوا قطعة اللبد بدلاً من اللوح. فيما عدل: «تحت»: ظرف المكان.
- (2) الدن سبق تفسيره في ص 179، فيما عدل: «متكئ على دن حان» محرف.
- (3) البواري: جمع بارية بتشديد الباء، وهي الحصير المعمول من القصب، فارسيته (بوريا). انظر اللسان والمعرب واستينجاس 206، فيما عدل: «بواري» وهي لغة ضعيفة. انظر سيبويه (2: 288) والهمع (2: 205-206). تنسرت: انتشرت، يقال تنسر الحبل وانتسر طرفه: أي انتقض وذهب شيئاً بعد شيء. فيما عدل: «نشرت» تحريف.
- (4) فيما عدل: «فتعلقته فأخذتها» تحريف.
- (5) ل: «وأي دابة هذه».
- (6) المقادير: جمع مقدار، وهو القدر، فيما عدل: «الأيام».
- (7) ط، ش: كيف ترفع رجلاً في السماء وتحط آخر، ومثله في هـ، لكن فيها: «وتحط أخرى»، وأثبت ما في ل.
- (8) ط فقط: وإذا أصاب ط، هـ: «في فمه» ش: «في فيه»، وأثبت ما في ل.
- (9) قال أبو عبيد: القضع ضمك الشيء حتى تقتله أو تهشمه. قال: ومنه قضع القملة. فيما عدل: «وضع القمل» تحريف.
- (10) سبقت ترجمته في (3: 251).
- (11) البقال: بائع البقول، والبقل من النبات ما ليس بشجر. هـ: «بغلاً».
- (12) الجيب: جيب القميص ونحوه، وهو طوقه. ط، هـ: «تفلي ثوبها».

فوضعتها على ظفر إبهامها الأيسر⁽¹⁾، ثم قلبت عليها⁽²⁾ ظفرها الأيمن فشدَّخَتْها به، فسمعتُ لها فَرْقعة⁽³⁾، فقلت لجعفر: فما منعها أن تَضَعَهَا بين حَجَرَيْنِ⁽⁴⁾؟ قال: لها لذة في هذه الفرقعة، والمباشرة أبلغُ عندها في اللذة. قلت: فما تكرهُ مكانَ زوجها؟ قال: لولا أن زوجها يُحِبُّ بذلك لنهاها!

(شعر لابن ميادة)

وقال ابن ميادة⁽⁵⁾:

سَقَّتَنِي سُقَاةُ الْمَجْدِ مِنْ آلِ ظَالِمٍ بِأَرْشِيَةِ أَطْرَافُهَا فِي الْكَوَاكِبِ⁽⁶⁾
وإنَّ بِأَعْلَى ذِي النُّخِيلِ نَسِيَّةً يَسِيرُنَ أَعْيَاراً شَدَادَ الْمَنَاكِبِ⁽⁷⁾
يَشْلُنَ بِأَسْتَاهِ عَلَيْهِنَّ دُسْمَةً كَمَا شَالَ بِالْأَذْنَابِ سُمُرُ الْعُقَارِبِ⁽⁸⁾

باب (القول في البرغوث⁽⁹⁾)

والبرغوث أسودُّ أحَدُ نَزَاءٍ⁽¹⁰⁾، من الخلق الذي لا يمشي [صِرْفاً].
وبما قال بعضهم: ديبُّها من تحتي أشدُّ عَلَيَّ مِنْ عَضِّهَا.

(1) ط، هـ: «على ظهر إبهامها الأيسر» تحريف ما أثبت من ل، ش.

(2) فيما عدال: «لها». (3) ش: «وقعة».

(4) ل، ش: «ما منعها». . إلخ.

(5) هو الرماح بن أبرد؛ سبقت ترجمته في (4: 193). ومن أجداده ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غبظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، وكان يفخر بجده ظالم، كما في البيت الأول من الأبيات التالية. وكما في قوله (انظر الأغاني 2: 87):

أنا ابن أبي سلمى وجدي (ظالم) وأمي حصان أخلصتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى و(ظالم) بأكرم من نيطت عليه العمائم
لو أن جميع الناس كانوا بتلعة وجئت بجدي (ظالم) وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

وإنما سقت هذه الأبيات لأبين أن ما في ل: «وقال ابن منذر» تحريف، والصواب نسبتها لابن ميادة.

(6) الأرشية: جمع رشاء، وهو حبل الدلو. وانظر لكلمة «ظالم» التنبيه السابق.

(7) ذو النخيل، بهيئة التصغير: موضع قرب مكة. نسية: مصغر نسوة، وأراد بالتصغير تحقيرهن. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار أهلياً كان أو وحشياً؛ وهم يتهاجون برعي النساء الحمر، ومنه قول الراعي:

هن الحرائر لا ربات أحمرة سود المحاجر لا يقرآن بالسور

ط، ش: «أسنة» بدل: «نسية» وهي في هـ: «لسنه» تحريفان. ط، هـ: «فعرين» بدل: «يسيرين» ط: «شدد المناكب» محرفان. وفي ش: «سر راعياً أشداد المناكب» بهذا الإهمال والتحريف.

(8) شالت العقرب بذنبيها: رفعتها. والدسمة، بالضم، أصله ما يشد به خرق السقاء. وانظر لتفسير هذا المعنى شرح الأنباري للمفضليات ص 47-48 هـ: «دسمة» تحريف. وسمر: جمع سمراء. فيما عدال: «سم العقارب» تحريف.

(9) بدله في ل: «القول في البرغوث».

(10) نزاء: وثاب. نزاينزو: وثب.

وليس ذلك بدبيب. وكيف يمكنه الدبيب - وهو مُلَزَق على النُّطع⁽¹⁾ بجلد جنب النائم⁽²⁾؟! ولكن البرغوث خبيث، فمتى أراد الإنسان⁽³⁾ أن ينقلب من جنب إلى جنب، انقلب البرغوث واستلقى على ظهره، ورفع قوائمه فدغدغه [بها]، فيظن من لا علم عنده إنه إنما يمشي تحت جنبه⁽⁴⁾.

وقد ذكرنا من شأنه في مواضع، ولو كان الباب يكبر حتى يكون لك مجموعاً ولم تعرفه تكلفت لك جمعه⁽⁵⁾.

(شعر في البرغوث)

وقال بعض الأعراب:

ليل البراغيث عثاني وأنصَبني لا بارك الله في ليل البراغيث⁽⁶⁾

كأنهنَّ وجلدي إذ خلون به أيتام سوء أغاروا في مواريث⁽⁷⁾

وقال محبوب بن أبي العَشِطُ النهشلي⁽⁸⁾:

لروضة من رياض الحزن أو طَرف من القرية جرد غير محروث⁽⁹⁾

للنور فيه إذا مجَّ الندى أرج يشفي الصداع ويشفي كلَّ مُمغوث⁽¹⁰⁾

(1) النطع، بالكسر: بساط من الأديم، أي الجلد.

(2) ط، هـ: «يجنب جلد النائم» تحريف ما أثبت من ل، ش.

(3) فيما عدل: «الإنسان».

(4) ط، هـ: «أنها تمشي تحت جنبه» وبإسقاط «أنه» تحريف، وأثبت ما في ل. والكلام من: «انقلب البرغوث» إلى هنا ساقط من ش.

(5) ل: «ولو كان الباب يكثره حتى إن لم يكن مجموعاً لم تعرفه. فتكلفت لك جمعه».

(6) عناء: أنصبه وجشمه العناء. ش، هـ: «عياي» تحريف. وفي ط: «أعياي»، أعياه: أعجزه. وأثبت ما في ل، وهو رواية محاضرات الراغب (2: 306).

(7) أغاروا: فعلوا فعل المغير يهجم على القوم وينهب ما لهم. وأغاروا أيضاً: أسرعوا. ط، ش: «قضاة سوء» و: «أعاثوا» محرفان. فيما عدل: «المواريث»، وأثبت ما في ل مع ما فيه من صرف ما لا ينصرف للضرورة. ورواية ل تطابق رواية محاضرات الراغب.

(8) العَشِط، بفتح العين والشين وتشديد النون المفتوحة: معناه الطويل جداً، أو النار الطريف الحسن الجسم. ولم أجده ترجمته إلا نسبة هذا الشعر له. وفيما عدل: «محمد بن أبي القاسم النهشلي» تحريف، صوابه في ل واللسان (2: 322) ومعجم البلدان (7: 76) والخزانة (4: 504).

(9) الحزن، بالفتح: موضع. ش: «الحسن» تحريف. والطرف، بالتحريك: الناحية أو الطائفة من الشيء. في الأصل: «طرق» صوابه من الصمادر السابقة. والقرية قرية بني سدوس، وهي أخصب قرى اليمامة. وقد جعلها مصغرة، وأصلها: «القرية» انظر ياقوت. ش، هـ: «للفرية» تحريف. والجرد، بالفتح: الذي لا نبات فيه، عني أنه قليل النبات. فيما عدل: «جود» تحريف صوابه في واللسان والمعجم. وفي الخزانة: «حزن». وفيما عدل ل: «محدوث» بالبدال، محرفة.

(10) النور، بالفتح: الزهر. والممغوث: المحموم. فيما عدل: «وينفي كل مبعوث» تحريف. وفي المعجم واللسان: يشفي الصداع وينقي بالقاف.

أَمْلا وَأَحْلَى لَعَيْنِي إِنْ مَرَرْتُ بِهِ مِنْ كَرْخِ بَغْدَادَ ذِي الرُّمَانِ وَالتَّوْثِ⁽¹⁾
 اللَّيْلُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ لِلْهَمُومِ فَمَا أَقْضَى الرُّقَادَ، وَنِصْفٌ لِلْبَرَاغِيثِ
 أَبَيْتُ حِينَ تُسَامِينِي أَوَائِلُهَا أَنْزَوُ وَأَخْلَطُ تَبِيحاً بِتَغْوِيثِ⁽²⁾
 سُودَ مَدَالِيَجٍ فِي الظُّلَمَاءِ مُؤْذِيَةً وَلَيْسَ مُلْتَمَسٌ مِنْهَا بِمَشْبُوثِ⁽³⁾
 وَقَدْ جَعَلَ «التَّوْثَ» بِالثَّاءِ. وَوَجْهَ الْكَلَامِ بِالثَّاءِ. وَتَعْجِيمُهَا نَقْطَتَانِ [مِنْ فَوْقِهَا].

وَقَالَ آخِرُ:

لَقَدْ عَلِمَ الْبُرْغُوثُ حِينَ يَعْضُنِي بِبَغْدَادَ أَنِّي بِالْبِلَادِ غَرِيبُ
 وَقَالَ آخِرُ⁽⁴⁾:

وَإِنَّ أَمْرًا تُؤْذِي الْبَرَاغِيثُ جِلْدَهُ وَيُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ لِلذَّلِيلِ⁽⁵⁾
 أَلَا رُبَّ بَرِغُوثٍ تَرَكْتُ مَجْدَلًا بِأَبْيَضِ مَاضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ⁽⁶⁾
 وَقَالَ آخِرُ:

لَقِيتُ مِنَ الْبَرِغُوثِ جَهْدًا وَلَا أَرَى أَمِيرًا عَلَى الْبَرِغُوثِ يَقْضِي وَلَا يُعْذِي⁽⁷⁾
 يَقْلِبُنِي فَوْقَ الْفِرَاشِ دَبِيبُهُ وَتَصْبَحُ آثَارُ تَبَيُّنٍ فِي جِلْدِي⁽⁸⁾
 وَقَالَ آخِرُ⁽⁹⁾:

(1) أملا: تسهيل أملاً، أي أكثر ملئاً، أي أتم منظراً وحسناً، وهو مألوف العين إذا أعجبك حسنه وبهجته. فيما عدل: «أحلى وأملى» والمعجم: «أملى وأحلى» واللسان: «أحلى وأشهى» والخزانة: «أشهى وأحلى». والكرخ: موضع ببغداد، وفي اللسان: «الكرخ: سوق بغداد، نبطية». وانظر معجم البلدان.

(2) تساميني: تعاليني. فيما عدل: «حتى تساميني» تحريف صوابه في ل. والمعجم. وفي الخزانة: «حيث». أنزو: أثب وأقفر. والتغويث: أن يصيح: واغوثاه! استغاث وغوث بمعنى. ط: «أرود أخلط» ه: «أترود أخلط»، صوابه في ل، ش والمعجم واللسان.

(3) المداليج: جمع مدلاج، وهو كثير سفر الليالي بطولها. انظر المفضليات 29، 89، وفي المعجم: «مدالج». مؤذية: من الإيذاء. ورواية اللسان: «مؤذنة». قال ابن منظور: «المؤذن، بالهمز: القصير العنق، والمودن بغير الهمز: الذي يولد ضاوياً. نقلته من حواشي ابن بري». مشبوث: مأخوذ. شبت الشيء: علقه وأخذه. وفي اللسان: «بمنبوث». منبوث: مستخرج.

(4) فيما عدل: «وقال آخر».

(5) ل، ش: «إن أمراً» بالخرم. فيما عدل: «وتخرجه من بيته».

(6) مجدلاً: ملقياً عن الجدالة، وهي الأرض. والأبيض: السيف، وإنما عنى أظفاره. وانظر محاضرات الراغب (2: 306). وهذا البيت وما قبله متقدمان في ل، ش، على البيت السابق. وفي هذا البيت إقواء.

(7) أراد: ولا أميراً يعدي. أعداه الأمير على ظالمه: اقتص له منه، ونصره، وأعانه.

(8) الدبيب: المشي الضعيف على هيئة. فيما عدل: «وبينه»، تحريف.

(9) جعل الجاحظ البيتين التاليين في البراغيث، لكنه جعلهما فيما سيأتي ص 131 ساسي في القردان، وقال: «وبعضهم يجعلها في البراغيث. وهذا باطل!».

ألا يا عبادَ اللهَ مَنْ لِقْبيلة
فلا الدينَ ينهاها ولا هي تنتهي
وقال يزيد بن نُبَيْه الكَلابِيِّ (2):
أصبحتُ سالمَتُ البراغيثَ بعد ما
فياليت شعري هل أُرَوِّنَ بلدة
وهل أسمعَنَ الدهرَ أصواتَ ضَمَرٍ
وهل أريَنَ الدهرَ ناراً بأرضها
تَرَاظُنَ حَوْلِي كلما ذرَّ شارقٌ
وقال آخر:

لا بارك اللهُ في البرغوثِ، إن له
أقول والنجمُ قد غارت أوائله
لِبَرْقَةٍ مِنْ بَراقِ الحزنِ أَعْمَرُها
أشفى لِدائِي مِنْ دَرْبٍ به نَبَطٌ
مَنْ ينحرُ الشَّوْلُ لا يُخْطِي قوائمها
لذعاً شديداً كلذع الكيِّ بالنار
وَعَلَسَ المُذْلِجُ السَّاري بأسحار (8)
فيها الطِّباءُ تُراعي غِبَّ أَمطار (9)
وَمَنْزِلٍ بين حَجَّامٍ وَجَزَّار (10)
بمُذْيَةِ كَشَرارِ النارِ بَتَّار (11)

- (1) ط، هـ: «أي قبيلة» صوابه في ل، ش ومحاضرات الراغب (2: 306). وانظر نهاية الأرب (10: 173). وفي ديوان المعاني (2: 149): «فيا لعباد الله ما لقبيلة».
- (2) نبيه، كذا جاء مضبوطاً بهيئة التصغير في ل. وفي سائر النسخ: «شبية».
- (3) ط، هـ: «وأصبحت». وفيما عدل ل: «قليل رقودها».
- (4) الأوباش: الأخطا من الناس. والسند: الدعي. ط: «وسيدها» ش، هـ: «وسبيدها» بالباء، صوابهما في ل.
- (5) الضمر: الإبل الضامرة، صعرًا: جمع أصعر، وهو المائل.
- (6) الوفود: جمع وفد. ط، هـ: «ووقودها» وفي ل: «وعديدها»، وأثبت ما في ش.
- (7) تراطن: تتراطن، يحذف إحدى التاءين. والشارق: الشمس. ط: «كما ذر شارق» تحريف. ل: «ببغداد» بالذال في آخره. وانظر ما أسلفت ص 257.
- (8) غلس: سار في الغلس، وهو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.
- (9) البرقة، بالضم: غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة. والبراق، بالكسر: جمع برقة. أعمارها: أسكنها فيما عدا ل: «أعدها» تحريف تراعي: ترعى مع غيرها. غب أقطار: بعدها. فيما عدل ل: «نبت أقطار».
- (10) الدرب: باب السكة الواسع. والنبط: قوم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقيين، وهم السريانيون. وانظر التنبيه والإشراف ص 28، 33، 150، 156، 168، قال في ص 50: «والفرس إلى هذا الوقت تقارب الروم في هذا التسمية، فيسمون العراق والجزيرة والشأم سورستان إضافة إلى السريانيين، الذين هم الكلدانيون. ويسمون سريان، ولغتهم سورية، وتسميهم العرب النبط». ل: «به نمط» وفي سائر النسخ: «بها نبط»، والصواب ما أثبت. والحجّام: الذي يمتص الدماء بالمحجم. ل: «حمام» هـ: «حمام».
- (11) الشول: الإبل التي نقصت ألبانها. وكلمة: «من» ليست في ل. و«يخطي» مهموزة فيما عدل ل. والمدية: الشفرة. والبتار: القطاع. وقد ذكر الوصف، بتأويل المدية بالسكين، والسكين مذكر، وقد يؤنث.

وقال آخر :

إِنَّ هَذَا الْمَصْلُوبَ لَا شَكَّ فِيهِ
حَلٌّ مِنْ حَيْثُ لَيْسَ بِأَكْلِهِ الْبَـ
بَيْنَ حِنْوَى مَطِيَّةٍ إِنْ يَسْقُهَا
فَعَلِيهِ الدِّبَارُ وَالْخِزْيُ لَمَّا
وقال أبو الرماح الأسدي⁽³⁾ :

تَطَاوَلَ بِالْفَسْطَاطِ لَيْلِي وَلَمْ يَكُنْ
يُؤَرِّقُنِي حُدْبٌ صَغَارٌ أَذْلَةٌ
إِذَا جُلْتُ بَعْضَ اللَّيْلِ مِنْهُمْ جَوْلَةٌ
إِذَا مَا قَتَلْنَاهُمْ أَضْعَفْنَ كَثْرَةً
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
وقال أبو الشَّمَقْمَقِ :

يَا طَوَّلَ يَوْمِي وَطَوَّلَ لَيْلَتِيَّه⁽⁹⁾
فِيهِنَّ بُرْغَوْتَةٌ مُجَوَّعَةٌ
وقال آخر⁽¹¹⁾ :

إِنْ الْبِرَاغِيثَ قَدْ عَئِثْنَ بِئِهِ
قَدْ عَقَدَتْ بَنْدَهَا بِفَقْحَتِيَّه⁽¹⁰⁾

- (1) الحنو بالكسر : كل شيء فيه اعوجاج ، ومنه حنو الرجل والقتب والسرّج ، كل عود معوج من عيدانه . والسير المكث ، البطيء ، فيما عدل : « حثيث » ، والحثيث : السريع ، تحريف .
- (2) الدبار ، بالفتح : الهلاك ، مثل الدمار . وفي اللسان : « ويقال عليه الدبار أي العفاء ، إذا دعوا عليه بأن يدبر فلا يرجع » . فيما عدل : « الدمار » . وفي ط ، هـ : « فقتل لص خبيث » .
- (3) ل : « أخو الرماح » ، وفي سائر النسخ : « أبو الرياح » وفي ديوان المعاني 2 : 150 : « وقد شكاهن الرماح الأسدي » . وفي نهاية الأرب (10 : 303) : « فمن ذلك قول أبي الرماح الأسدي » . وقد جمعت بين ما في النسخ معتمداً ما في نهاية الأرب . وفي المؤتلف 124 من اسمه : « الرماح بن نهشل الأسدي » .
- (4) في نهاية الأرب : « لم أكن » وفي هـ ونهاية الأرب وديوان المعاني : « ليلي على يطول » .
- (5) في نهاية الأرب : « يوقظنه » بدل : « يؤذينه » .
- (6) جال : طاف ودار . وفيما عدل : « إذا جال » تحريف . وفي ط ، ش : « حول الناس فيهن » وهـ : « بعض الناس منهن » ، صوابهما ما أثبت من ل .
- (7) أضعفن ، بالبناء للفاعل : كثرون وصرن أضعافاً . وبالبناء للمفعول : أضعفن غيرهن جعلهن ضعفين .
- (8) في النهاية وديوان المعاني : « إني سبيل » .
- (9) ط ، هـ : « ليلته » صوابه في ل ، ش . والبيتان في محاضرات الراغب (2 : 306) مع تحريف ظاهر .
- (10) البند : العلم الكبير ، فارسي معرب . وأبو الشَّمَقْمَقِ يكثر من استعمال الألفاظ المعربة . وانظر الكامل 430 لببسك . فيما عدل : « كفها » محرف . وفي محاضرات الراغب : « قد عقدت بندها على جسدي » والقافية محرفة .
- (11) هو آدم بن عبد العزيز ، كما في تاريخ بغداد (7 : 26) .

هنيئاً لأهل الرِّي طيبُ بلادهم وأن أميرَ الرِّي يحيى بنَ خالد⁽¹⁾
تطاولَ في بغدادَ ليلي ومن يَكُنْ⁽²⁾
بلاداً إذا جُنَّ الظلامُ تَقافَزَتْ⁽³⁾
ديازجة سود الجلود كأنها⁽⁴⁾
وقال آخر:

أرَقَنِي الأسيود الأسكُ⁽⁵⁾ ليلة حَكَّ ليس فيها شكُّ⁽⁶⁾
أحكُّ حتى ماله محكُّ⁽⁷⁾ أحكُّ حتى مِرْفَقِي مُنْفَكَّ⁽⁸⁾
وقال آخر:

يا أُمَّ مَثْوَايَ عَدِمْتُ وَجْهَكَ أنقذني ربُّ العُلامن مِضْرَكِ⁽⁸⁾
ولذعِ برغوثُ أراه مُهْلِكِي أبيتُ ليلي دائم التحكُّكِ⁽⁹⁾
تحكُّكُ الأَجْرِبِ عند المِبرَكِ⁽¹⁰⁾
وقال آخر:

الحمد لله برغوث يُورِّقني أَحْيَلِكُ الجِلْدِ لا سَمْعٌ ولا بَصَرُ⁽¹¹⁾
وقال آخر:

قبيلة في طولها وعَرْضُهَا لم يُطْبِقُوا عينا لهم بَغْمُضِهَا⁽¹²⁾

- (1) في الأصل: «لأهل الريف»، والوجه ما أثبت من ديوان المعاني (2: 149).
- (2) «بغداد» بالذال المعجمة. وانظر ما سبق ص 257 وانظر رواية البيت في معجم البلدان (2: 243).
- (3) فيما عدل: «تناثرت»، وأثبت ما في ل موافقاً ما في ديوان المعاني وفي معجم البلدان: «تنافرت».
- (4) ديازجة: جمع ديزج، وهو الأخضر، كما في أدب الكاتب 105، وفي مبادئ اللغة: «والأخضر الأطخم المسمى بالفارسية الديزج» وهو معرب: «ديزة». ط، هـ: «زيارحة» ش: «ذيارقة» صوابه في ل وديوان المعاني ومعجم البلدان. وفي معجم البلدان: «شهب البطون». فيما عدل: «بغال بريد» صوابه في ل. والمعجم وديوان المعاني. «أرسلت في مذاود»: أي أطلقت في معالفها لتأكل. والمذاود: جمع مذود، كمنبر، وهو معلف الدابة. فيما عدل: «في موارد» وفي ل: «من مذاود» وأثبت ما في معجم البلدان. وفي ديوان المعاني: «في المزاد» صوابه بالذال. شهبها بتلك البغال القوية المختارة قد أرسلت في مذاودها فهي لا تألو قضمًا وخضمًا.
- (5) الأسيود: تصغير أسود. ش: «الأسود». والأسك: الأصم. قال ابن منظور (12: 324): «يعني البراغيث، وأفرده على إرادة الجنس». وروايته البيت: «أسهرني الأسيود الأشك».
- (6) ل فقط: «ليس فيها حك»، وما أثبت من شائر النسخ يوافق رواية اللسان.
- (7) ش، هـ: «منعك» تحريف. وفي اللسان: «حتى ساعدي منفك».
- (8) ل، هـ: «رب العلي».
- (9) في رسائل الجاحظ 59 ساسي: «دائب».
- (10) أي تحكك البعير الأجرب عند مبركه.
- (11) أحيلك: مصغر أحلك. والحلقة: شدة السواد.
- (12) فيما عدل: «لم تطعموا عيناً».

خَوْفَ الْبَرَاغِيثِ وَخَوْفَ عَضِّهَا كَأَنَّ فِي جُلُودِهَا مِنْ مَضِّهَا⁽¹⁾
 عَقَاباً تَرْفُضُ مِنْ مُرْفَضِّهَا⁽²⁾ إِنْ دَامَ هَذَا هَرَبْتَ مِنْ أَرْضِهَا⁽³⁾
يَا رَبِّ فَأَقْتُلْ بَعْضَهَا بِبَعْضِهَا

(معارف في البرغوث)

[قال: والبرغوث في صورة الفيل. وزعموا أنها تبيض وتفرخ، وأنهم رأوا بيضها رؤية العين. والبراغيث تَنَاقَحُ وهي مستديرة ومتعاطلة⁽⁴⁾، وهي من الجنس الذي تطول ساعة كَوْمِهَا.

(استقذار القمل)

وليس الناسُ لشيءٍ مما يعضُّهم ويؤذيهم، من الجرجس، والبق، والبراغيث والذَّبان - أشدَّ استقذاراً منهم للقمل. ومن العجب أنَّ قرابته أَمْسُ. فأما قملة التَّسر، وهي التي يقال لها بالفارسية: «دَدَه»⁽⁵⁾ وهي تكون بالجبل، فإنها إذا عَضَّت قتلت].

(القول في البعوض)

حدَّثني إبراهيم بن السَّندي⁽⁶⁾ قال: لما كان أبي بالشَّام واليًّا، أَحَبَّ أَنْ يَسْوِيَ بَيْنَ الْقَحْطَانِيِّ وَالْعَدْنَانِيِّ، وقال: لَسْنَا نَقْدُمُكُمْ إِلَّا عَلَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِلْخُلَفَاءِ⁽⁷⁾، وَكُلُّكُمْ إِخْوَةٌ. وَلَيْسَ لِلنَّزَارِيِّ [عندي] شَيْءٌ لَيْسَ لِلْيَمَانِيِّ مِثْلُهُ.

قال: وَكَانَ يَتَغَدَّى مَعَ جَمَلَةٍ مِنْ جَلَّةِ الْفَرِيقَيْنِ⁽⁸⁾، وَيَسْوِي بَيْنَهُمْ فِي الْإِذْنِ وَالْمَجْلِسِ. وَكَانَ شَيْخُ الْيَمَانِيَةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مَعْتَمًّا، وَقَدْ جَذِبَ كَوْرَ عِمَامَتِهِ⁽⁹⁾ حَتَّى غَطَى بِهَا حَاجِبَهُ⁽¹⁰⁾،

(1) المض: الحرقه والألم. يقال مضه الهم والجرح وأمضه: آلمه.

(2) ترفض: تفرق. والمرفض: اسم الموضع منه. فيما عدل: «ترقص» تحريف.

(3) أي هربت القبيلة فراراً من أذى البراغيث.

(4) متعاطلة: يركب بعضها فوق بعض.

(5) دده، بفتح الحاء: هي في أصلها بالفارسية اسم لكل حيوان مفترس. انظر استينجاس 505، 506، وانظر كذلك الاستدراكات.

(6) تقدمت ترجمته في (4: 252)، وفي الأصل: «إبراهيم السندي».

(7) ل: «لله والخلفاء».

(8) جملة: جماعة. فيما عدا ش: «جملة من جملة الفريقين». والجملة، بالكسر: العظماء ذوو الأخطار.

(9) الكور، بالفتح: الدارة من دارات العمامة. ه: «كورة» ش: «كرة»، صوابه ما أثبت من ل، ط، والواو من: «وقد» ليست في ل.

(10) ط فقط: «حاجبه» بالإنفراد.

وكان لا ينزعها في حر ولا برد، فأراد فتى من قيس - و[قد] كان أبي يستخليه ويقرّبه⁽¹⁾ - أن يُسقطه من عين أبي ويوحّشه منه، فقال له ذات يوم ووجد المجلس خالياً⁽²⁾ : إني أريد أن أقول شيئاً ليس يخرجني إلا الشكر والحرية⁽³⁾ ، وإلا المودة والنصيحة، ولولا ما أعرف من تقزّرك وتنطسك⁽⁴⁾ وأنك متى انتبهت على ما أنا مُلقّيه إليك⁽⁵⁾ لم آمن أن تستغشي⁽⁶⁾ ، وإن لم تُظهره لي. إن هذا اليماني إنما يعتم أبداً، ويمدّ طرّة العمامة⁽⁷⁾ حتى يغطّي بها حاجبيه؛ لأن به داء لو علّمت به لم تواكله!

قال: فقال أبي: فرماني والله بمعنى كاد ينقض [عليّ] جميع ما بيدي، وقلت: والله لئن أكلت معه وبه الذي به إن هذا لهو البلاء ولئن منعت الجميع مؤاكلتي لأوحّشهم جميعاً بعد المباشطة والمبائة⁽⁸⁾ والملابسة والمؤاكلة، ولئن خصّصتُه بالمنع [أ] وأقعدتُه على غير مائدتني⁽⁹⁾ ليغضبّ، ولئن غضب ليغضبّ مع كل قحطاني بالشام. فبتّ بلبلة طويلة. فلما كان الغدّ وجلست، ودخلوا للسلام، جرى⁽¹⁰⁾ شيء من ذكر السموم وغرائب أعمالها، فأقبل عليّ [ذلك] الشيخ فقال: عندي [من هذا] بالمعينة ما ليس عند أحد. خرجت مع ابن [أخي هذا، ومع ابن⁽¹¹⁾] عمّي هذا، ومع ابني هذا، أريد قرّيتي الفلانية، فإذا بقرب الجادة بعير قد نهشته أفعى، وإذا هو وافر اللحم، وكل شيء حوالَيْه من الطير والسباع ميت، فقمنا [منه] على قاب أرماح⁽¹²⁾ ننعجب⁽¹³⁾، وإذا عليه بعوض كثيرة⁽¹⁴⁾.

فبينما [أنا] أقول لأصحابي: [يا] هؤلاء، إنكم لترون العجب: أول ذلك أن بعيراً مثل هذا يتفسخ⁽¹⁵⁾ من غصة شيء لعله أن [لا] يكون في جسم عرق من عروقه، أو عَصَبَة من

(1) يستخليه، بالحاء المعجمة: يخلو به وينفرد. ل: «يستحليه» بالمهملة، تصحيف. وفي هـ، ش: «ويستقر به» بدل: «ويقرّبه».

(2) ط: «ووجه المجلس خال» ش، هـ: «ووجه المجلس خالياً» صوابه ما أثبت من ل.

(3) الشكر: عرفان الإحسان ونشوره.

(4) ط، هـ: «وإلا ما أعرف» تحريف. التقزّز: التنطس والتباعد من الدنس. والتنطس: التقزّز. ط: «تعزّزك وتنطسك» ش: «وتفدرك وتنطسك» هـ: «تعزّزك وتنطسك»، والصواب ما أثبت من ل. وكلمة: «تقدرك» في س صحيحة.

(5) فيما عدل ل: «وأنت متى انتبهت إلى ما أنا ملقيه عليك»، محرف.

(6) استغشيه واغشيه: ظن به الغش. وهو خلاف استنصحه. هـ: «تستغشي» وليس لها معنى إلا من استغث الرجل الجرح: أخرج غشّته أي قيحه. ولا وجه لهذا هنا.

(7) طرة الشيء: طرفه. فيما عدل ل: «صرة» تحريف.

(8) المبائة: مفاعلة من البث، وهو إظهار الحديث والخبر. ط: «الملاينة» ش، هـ: «المباينة» والأخيرة محرفة.

(9) المائدة: الخوان عليه الطعام. فيما عدل ل: «على غير ما يرى» تحريف.

(10) فيما عدل ل: «أجرى».

(11) كلمتا: «أخي هذا» تكملة من ل، ش، هـ. وكلمتا: «ومع ابن» تكملة من ش، هـ فقط.

(12) على قاب أرماح: على قدر طول أرماح. ط، ش: «على قاب أرماحنا» هـ: «رماحنا» تحريف.

(13) هذه التكملة من ل، ش، هـ. (14) فيما عدل ل: «كثير» بالتذكير، وكلاهما جائز.

(15) ش، هـ: «ينفسخ».

عَصَبِهِ، فما هذا الذي مَجَّه فيه، وقذفه إليه؟ ثم لم يرضَ بأن قتله وفَسَحَه حتى قَتَلَ كُلَّ طائر ذاق منه، وكلَّ سُبُعٍ عَضَّ عليه. وأعجب من هذا قتله لأكابر السباع والطير، وتركه قَتَلَ البعوضة، مع ضعفها ومهانتها!

فبينما نحن كذلك إذ هبَّت ريحٌ ⁽¹⁾ من تلقاء الجيفة، فطيرت البعوض إلى شقنا، وتسقط ⁽²⁾ بعوضة على جبهتي، فما هو إلا أن عضتني إذ اسمأد وجهي ⁽³⁾ وتورم رأسي، فكنت لا أضربُ بيدي إلى شيء أحكه من رأسي وحاجبي، إلا انتثر في يدي. فحملت إلى منزلي في محمل ⁽⁴⁾ وعولجت بأنواع العلاج، فبرأت ⁽⁵⁾ بعد دهر طويل. على أنه أبقى ⁽⁶⁾ علي من الشين أنه تركني أقرع الرأس، أمرط الحاجبين.

قال: والقوم يخوضون معه في ذلك الحديث، خوض قوم قد قتلوا ⁽⁷⁾ تلك القصة [يقيناً].

قال: فتبسمت، ونكس [الفتى] القيسي رأسه، فظن الشيخ أنه قد جرى بيننا في ذلك ذرء ⁽⁸⁾ من القول، فقال: إن هذا القيسي خبيث، ولعله أن يكون قد احتال [لك] بحيلة! قال إبراهيم: فلم أسمع في السموم بأعجب من هذا الحديث.

(طلسمات البعوض)

ويزعم أهل أنطاكية أنهم لا يُبعضون ⁽⁹⁾ لطلسم هناك. ولو ادعى أهل عقر الدير ⁽¹⁰⁾، المتوسطة ⁽¹¹⁾ لأجمة ما بين البصرة وكسكر لكان طلسمهم أعجب.

(1) فيما عدل: «فبينما أنا كذلك». وفي ط فقط: «إذا هبت ريح».

(2) ط فقط: «وسقطت». (3) أسمأد: ورم وانتفخ. فيما عدل: «إذ قد اسود وجهي».

(4) المحمل، كمجلس، وضبط في نسخ المحكم كمنبر وعليه علامة الصحة: شقان على البعير يحمل فيهما العديلان. وأول من اتخذها الحجاج بن يوسف الثقفي. وفيه يقول القائل:

أول خلق عمل المحاملا أخزاه ربي عاجلاً وأجلاً

انظر تاج العروس (7: 289) والحيوان (1: 83) والمعارف 241 واللسان (13: 189).

(5) في اللسان: «وأهل العالية يقولون برأت أبرأ برأ وبروءاً، وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح، وسائر العرب يقولون: برئت من المرض». وفيه أيضاً: «وغير أهل الحجاز يقولون برئت بالكسر برء بالضم». ش فقط: «برئت» وهما لغتان كما رأيت.

(6) فيما عدل: «بقي».

(7) قتله يقيناً: أحاط به علماً، وهو أحد تفسيري قول الله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: 157]، وفيما عدل: «قبلوا» من القبول محرف.

(8) في اللسان: «بلغني ذرء من خبر أي طرف منه ولم يتكامل، وقيل هو الشيء اليسير من القول». فيما عدل: «دور» تحريف. وفي اللسان: (18: 313): «ذرو من قول أي طرف منه ولم يتكامل. قال ابن الأثير: «الذرو من الحديث ما ارتفع إليك وترامي من حواشيه وأطرافه». فهما لغتان، يقال ذرء وذرو، بالهمزة والواو.

(9) فيما عدل: «وزعم أهل أنطاكية». وبعض القوم بالبناء للمفعول: آذاهم البعوض. وانظر ما سبق ص 135، ط، هـ: «يتبعضون» ش: «يتبعضون»، صوابه ما أثبت من ل.

(10) ط: «عقو الدير» هـ: «عقو الدبر» صوابه في ل، ش. (11) ش فقط: «المتوسط».

ويزعم أهل حِمص أن فيها طَلَسَمًا من أَجلِه لا تعيش فيها العقارب . وإن طُرَحَتْ فيها عقربٌ غريبةٌ ماتت من ساعتها .

ولعمري إنه ليجوز أن تكون [بلدة] تضادُّ ضرباً من الحيوان فلا يعيش فيها ذلك الجنس ، فيدعي كذابو أهلها أن ذلك بُرْقِيَّة^(١) ، أو دعوة ، أو طَلَسَم .

(ألم عضه البرغوث والقملة)

والبرغوث إذا عض ، وكذا^(٢) القملة ، فليس هناك من الحُرقة والألم ما له مدّة قصيرة ولا طويلة^(٣) .

وأما البعوض فأشهد أن بعوضةً عضت ظهر قدمي ، وأنا بقرب كاذّة والعوّاء^(٤) ، وذلك بعد أن صلى الناس المغرب ، فلم أزل منها في أكالٍ وحُرقة ، وأنا أسير في السفينة ، إلى أن سمعت أذان العشاء .

ولذلك^(٥) يقال : إن البعوضة لو ألحقت بمقدار جرم الجرّارة^(٦) - فإنها أصغر العقارب - ثم زيدت^(٧) من تضاعيف ما معها من السّم على حسب ذلك لكانت شرّاً من الدّويّة التي تسمى بالفارسية : «دذه»^(٨) وهي أكثر من القملة شيئاً ، وتكون بمهرجان قُدق^(٩) . فإنها مع صغر جسمها تفسخ الإنسان في أسرع من الإشارة باليد ، وهي تعضّ و[لا] تسع ، وهي من ذوات الأفواه ، وهي التي بزعمهم يقال لها^(١٠) [قملة] التّسر . وذلك أن التّسر في بعض الزمان ، إذا سقط بتلك الأرض سقطت منه قملة [تستحيل]^(١١) هذه الدابة الخبيثة .

(١) فيما عدل : «لرقية» .

(٢) فيما عدل : «وكذا» .

(٣) أراد أن ألم عضه البرغوث والقملة ليس له مدة تذكر لسرعة زواله .

(٤) كاذة ، بالذال المعجمة : قرية من قرى بغداد . والعوّاء : موضع . فيما عدل : «جادة العرجاء» تحريف .

(٥) ط ، هـ : «وكذلك» .

(٦) الجرارات : عقارب صغار تجرر أذنابها . فيما عدل : «الجرادة» بالذال ، تحريف ، وانظر ما سبق في (3: 189 س 16-18) . وفي ش : «جسم» بدل : «جرم» .

(٧) فيما عدل : «زادت» .

(٨) دذه ، بدالين مهملتين . انظر ما سبق ص 265 ، والكلمة محرفة في الأصل فهي في ط : «ذروه» وفي ش : «زره» وفي هـ : «ذرة» وفي ل : «دذه» .

(٩) قال ياقوت : «كورة حسنة ذات مدن وقرى ، قرب الصيمرة من نواحي الجبال ، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همدان في تلك الجبال» ، وهي مركبة من ثلاث كلمات : «مهر» بالكسر ، معناه الشمس أو المجدبة . و«جان» معناه النفس أو الروح و«قُدق» بقاف مفتوحة ، وقد تضم ، وذال معجمة وقاف ، قال ياقوت : أظنه اسم رجل . فيكون معناه : محبة ، أو شمس نفس قُدق» . ل : «بمهرجا نَقْدَف» وفي سائر النسخ : «بمهرجان فوق» صوابه ما أثبت من معجم البلدان .

(١٠) فيما عدل : «إنها» . والكلمة بعدها ساقطة من هـ .

(١١) فيما عدل : «استحالت» .

والبعوضة من ذوات الخراطيم .

وحدثني محمد بن هاشم السدري⁽¹⁾ قال: كنت بالزُّط⁽²⁾ . فكنت والله أرى البعوضة تطير عن ظهر الثور⁽³⁾ فتسقط على الغصن⁽⁴⁾ من الأغصان، فتقلس⁽⁵⁾ ما في بطنها، ثم تعود .
[و] البعوضة تغمس⁽⁶⁾ خرطومها في جلد الجاموس . كما يغمس الرجل أصابعه في الثريد .

[ومن العجب أن بين البصرة وواسط شطرين . فالشطر الذي يلي الطف وباب طنج يبيت أهله في عافية، وليس عندهم من البعوض ما يذكر، والشطر الذي يلي زقاق الهفة⁽⁷⁾ لا ينأى أهله من البعوض . فلو كان هذا ببلاد الشام أو بلاد مصر لادَّعوا الطلسم⁽⁸⁾ .]

وحدثني إبراهيم النظام قال: وردنا [فم] زقاق الهفة⁽⁹⁾ ، في أجمة البصرة، فأردنا النفوذ فمنعنا صاحب المسلحة⁽¹⁰⁾ ، فأردنا التأخر إلى الهور⁽¹¹⁾ الذي خرجنا منه، فأبى علينا . ووردنا عليه وهو سكران وأصحابه سكارى، فغضب على ملاح نبطي، فشده قِماطاً، ثم رمى به في الأجمة، على موضع أرض تتصل بموضع أكواخ صاحب المسلحة⁽¹²⁾ ، فصاح الملاح: اقتلني أي قتلة شئت وأرخصني! فأبى وطرحه، فصاح، ثم عاد صياحه إلى الأنين، ثم خفت وناموا في كلهم وهم سكارى⁽¹³⁾ . فجئت إلى المقموط، وما جاوز وقت عتمة⁽¹⁴⁾ ، فإذا هو

(1) ش: « فقط »: « السندي » .

(2) نهر الزط، بالضم: نهر قديم من أنهار البطيحة، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة ط، ش: « بالزلط » . ل: « بأعوط » ولعل صوابه ما أثبت من هـ .

(3) فيما عدل: « من على ظهر الثور » . (4) فيما عدل: « على غصن » .

(5) تقلس: تقى . والقلس، بالتحريك، وبالفتح: القى .

(6) فيما عدل: « فتغمس » .

(7) الهفة، ضبطت بالكسر في الأصل، وهو هنا ل . وضبطت في المعجم ضبط قلم بالفتح، وهي مدينة قديمة كانت في طرف سواد العراق .

(8) الطلسم: بكسر الطاء وتشديد اللام وسكون السين المهملة: لفظ يوناني قال الخفاجي: « لم يعربه من يوثق به » وقال: « وفي السر المكتوم: هو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها » . وقال صاحب كشف الظنون: « ومعنى الطلسم عقد لا ينحل » . وانظر استينجاس 818 .

(9) الزقاق: طريق نافذ أو غير نافذ، ضيق دون السكة . والهفة، هي في ط، ش: « الهبة » صوابه في ل، هـ . وقد ضبطت في ل . بالكسر . وانظر التنبيه السابع من هذه الصفحة .

(10) انظر لتفسير المسلحة ما سبق في ص 230 .

(11) الهور، بالفتح: من قولهم جرف هور أي واسع بعيد، وقولهم خرق هور أي واسع، فيما عدل: « الجوز » . وجوز الشيء: وسطه .

(12) المسلحة سبق تفسيرها في ص 230، والأكواخ: جمع كوخ بالضم، فارسي معرب، فارسيته (كوخ) بالضمه المائلة إلى الفتحة، وهو بيت من قصب بلا كوة . فيما عدل: « يتصل بموضع إخراج صاحب المسلحة » محرف .

(13) في اللسان: « خفت الصوت خفوتاً: سكن . ولهذا قيل للميت خفت إذا انقطع كلامه وسكت » . والكلة، بالكسر: ستر رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض . فيما عدل: « ثم سكت وقاموا كلهم سكارى » .

(14) العتمة، بالتحريك: ثلث الليل الأول بعد غيوبه الشفق، والعتمة أيضاً: مقدار أن ترضع السخلة أمها ثم تحتبس ثم تعود للرضاع . فيما عدل: « وما جاء وقت العتمة » تحريف .

[ميت، وإذا⁽¹⁾ هو] أشد سواداً من الزنجي، وأشد انتفاخاً من الزق المنفوخ، وذلك كله [بقدر] ما بين العشاء والمغرب. فقلت: إنها [لما] لسبته ولسعته من كل جانب لسعاً على لسع إن اجتماع سمومها [فيه] أربت على نهشة أفعى بعيداً⁽²⁾. فهي ضرر ومحنة⁽³⁾، ليس فيها شيء من المرافق.

(نفع العقرب)

والعقارب يأكلها مشوية من بعينه ريح السبل⁽⁴⁾، فيجدها صالحة. ويرمى بها في الزيت، حتى إذا تفسخت وامتص الزيت ما فيها من قواها فطلوأ بذلك الدهن الحصى التي فيها النفخ⁽⁵⁾ - فرق تلك الريح حتى تخمض⁽⁶⁾ الجلد، ويذهب الوجع. فإذا سمعت بدهن العقارب فإنما يعنون هذا الدهن.

باب⁽⁷⁾ في البق، والجرجس⁽⁸⁾

والشران⁽⁹⁾، والفراش، والأذى⁽¹⁰⁾

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26]، قال: يريد⁽¹¹⁾ فما دونها.

(1) ط، ه: «وإذا».

(2) أربت: زادت، أربى يربى. والنهش: العض. ط، ه: «لسعة» وهي صحيحة. وفي اللسان: «يقال لسعته الحية والعقرب». وبعض اللغويين يجعل اللسع خاصاً بذوات الإبر من العقارب والزناير، وأما الحيات فإنها تنهش بعيداً: أي إرباء بعيداً. بدلهما فيما عدل ل: «هذا».

(3) فيما عدل ل: وهي ضر ومحنة.

(4) في اللسان: «ريح السبل: داء يصيب في العين. الجوهرى: السبل داء في العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمراء». ط، ه: «من بعينه ريح السبل».

(5) فيما عدل ل: «الذي فيه النفخ» تحريف. والخصى: جمع خصية.

(6) خمض الجرح يخمض خموضاً، وانخمض بالخاء: ذهب ورمه، كخمض وانخمض بالحاء. ه: «ويخمض» وهي لغة صحيحة. ط، ش: «وتتمخمض» تحريف.

(7) بدلهما في ل: «أجناس البعوض» مع إسقاط كلمة: «في» التالية.

(8) الجرجس، بجيمين: لغة في القرقس، وهو البعوض الصغار. ط، ه: «الجرجس» تحريف.

(9) الشران، بوزن كتان: دواب مثل البعوض، واحداً شرانة، لغة لأهل السواد. وفي التهذيب: هو من كلام أهل السواد، وهو شيء تسميه العرب، الأذى، شبه البعوض يغشى وجه الإنسان ولا يعرض ل: «والشران» بالسين مع ضبطها بالضم. وفيما عدل ل: «السرار» وهما تحريف ما أثبت من القاموس واللسان (6: 69 س 23) والمخصص (8: 186 س 6-7). وانظر جنى الجنتين 7 س 14.

(10) فيما عدل ل: «الأذى» بالمهملة، صوابه في الموضعين السابقين من اللسان والمخصص.

(11) ط فقط: «يزيد» تحريف.

وهو قول القائل للرجل يقول⁽¹⁾: فلان أسفل الناس وأنذلهم! فيقول⁽²⁾: هو فوق ذلك! يضع⁽³⁾ قوله [فوق]، في موضع: هو شر من ذلك⁽⁴⁾.

قال: وضروب من الطير لا تلتمس [أرزاقها]⁽⁵⁾ إلا بالليل، منها الحُفَّاش، والبومة، والصَّدى، والضُّوع، وغرابُ الليل. وللبعوض بالنهار بعض الأذى⁽⁶⁾. وإنما سلطانها بالليل، وكذلك البراغيث. وأما القملُ فأمره في الحالات مستوٍ. وليس للذَّبان⁽⁷⁾ بالليل عملٌ. إلا أتى متى بيَّت معي في القبة⁽⁸⁾ ما صار إليها⁽⁹⁾، وسكن [فيها] من الذَّبان، ولم أطردها⁽¹⁰⁾ بالعشي [و] بعد العصر، فإني لا أجِدُ فيها بعوضة واحدة.

(شعر ورجز في البعوض)

وقال [الرَّاجز] في خرطوم البعوضة:

مثل السَّفَاة دائِم طَنِئُهَا⁽¹¹⁾ رُكِبَ فِي خُرْطُومِهَا سَكَّيْنَهَا

وقال الهذلي⁽¹²⁾:

كَأَنَّ وَغَى الْخُمُوشِ بِجَانِبَيْهِ وَغَى رُكِبِ أَمِيمِ ذَوِي هَيْطِ⁽¹³⁾

- (1) فيما عدل: «وهو كقول القائل للرجل يقال». وفيه تحريف.
- (2) أي القائل. فيما عدل: «فتقول»، تحريف.
- (3) فيما عدل: «تضع» تحريف.
- (4) ش: «في موضع ما هو شر من ذلك». وكلمة: «من» مقحمة.
- (5) هذه الكلمة ساقطة من ط، هـ. وبدلها في ش: «رزقها».
- (6) فيما عدل: «والبعوض بالنهار تؤذي بعض الأذى».
- (7) فيما عدل: «للذباب».
- (8) فيما عدل: «باتت معي في المنزل».
- (9) ط فقط: «إليه».
- (10) ل: «لم أطردها» بسقوط الواو.
- (11) السفاة: واحدة السفا: وهو شوك البهمن والسنبل، أو كل الشوك. فيما عدل: «السفاة» تحريف، صوابه في ل: وما سبق في (3: 171) والأماشي (3: 129). وانظر رواية الرجز في حياة الحيوان في مادة (البعوض).
- (12) هو المتنخل الهذلي كما في أشعار الهذليين (2: 93)، وكما في اللسان (2: 277). حيث أنشد مرتين، وفيه أيضاً (188) وقد أنشد مرتين.
- (13) الوغى: صوت النحل والبعوض ونحو ذلك إذا اجتمعت. وروى: «كأن وغى الخُمُوشِ بجانبيه وعى» بالعين المهملة. والوعى: العجلة والأصوات. والخُمُوش، بالفتح: البعوض في لغة هذيل، واحده خموشة، وقيل لا واحد له، وقيل واحده بقة من غير لفظه. فيما عدل: «الخنوش» صوابه في ل وأشعار الهذليين واللسان في الموضوعين السابقين والمقصود 114 والمخصص (8: 185). وأميم: منادى مرخم أميمة. والهياط، بالكسر: الصباح والعجلة، كالمهيطة، فيما عدل: «هباط» بالموحدة، تحريف. وفي ط، هـ: «ذي» بالإنفراد، تحريف أيضاً. وروى في اللسان مادة (لغط):

كَأَنَّ لُغَا الْخُمُوشِ بِجَانِبَيْهِ لُغَا رُكِبِ أَمِيمِ ذَوِي لُغَاطِ

ورواية الجوهري والأزهري، كما ذكر ابن منظور - وهي كذلك رواية الراغب في المحاضرات (2: 306):

كَأَنَّ وَغَى الْخُمُوشِ بِجَانِبَيْهِ مَاتَمَ يَلْتَمِدْنَ عَلَى قَتِيلِ

وقبل البيت:

وماء قد وردت أميم طام على أرجائه زجل الغطاط

والخמוש: أصناف البعوض⁽¹⁾ والوغى: أصوات الملتفة التي لا يُبين واحدُها عن معنى⁽²⁾، وهو كما تسمع من الأصوات الجيشين إذا التقيا على الحرب، وكما تسمع من ضجة السوق.

وقال الكميت [وهو] يذكر قانصاً وصاحب قُترَة⁽³⁾ - لأنه لا يبتني⁽⁴⁾ بيته إلا عند شريعة يتتابها الوحش⁽⁵⁾ - فقال وهو يصف البعوض⁽⁶⁾:

به حاضرٌ من غير جنّ ترّوعه ولا أنسٌ ذو أرونانٍ ودو زجل⁽⁷⁾
والحاضر: [الذي] لا يبرحه البعوض، لأن البعوض من الماء يتخلّق⁽⁸⁾ فكيف⁽⁹⁾
يفارقه، والماء الراكد لا يزال يولده؟! فإن صار نطافاً أو ضحّضاً⁽¹⁰⁾ استحال دعاميص،
وانسلخت الدعاميص فصارت فراشاً⁽¹¹⁾ وبعوضاً. وقال ذو الرّمة:

وأبقن أن القنّع صارت نطافه فراشاً وأن البقل ذاو وبابس⁽¹²⁾
وصف الصّيف⁽¹³⁾. وقال أبو وجزة⁽¹⁴⁾، وهو يصف القانص والشريعة والبعوض.

- (1) فيما عدل: «والحنوش» وفي ط مع ذلك: «أصناف البعوضة» تحريف.
- (2) فيما عدل: «عن معنى صاحبه» وكلمة «صاحبه» مقحمة.
- (3) القترَة، بالضم: ناموس الصائد. أبو عبيدة: القترَة البئر يحتفرها الصائد يكمن فيها.
- (4) فيما عدل: «يبني».
- (5) الشريعة: مورد الماء. يتتابها الوحش: يقصدها مرة بعد مرة. فيما عدل: «يغني بها الوحش». يقال غني بالمكان يغني: أقام وأطال الإقامة. وهي مع صحتها لا تلائم وجه الكلام.
- (6) فيما عدل: «فقال ووصف البعوض».
- (7) أي ليس به أنس ذو أرونان. والأنس، بالتحريك: السكان وأهل المحل. والأرونان: الصوت. والزجل، بالتحريك: الجلبة. ط، ش: «من كل جن» صوابه في ل، هـ واللسان (52: 17) ومحاضرات الراغب (306: 2) فيما عدل: «يروعه» وهما وجهان. ط: «إلا دوزيان» هـ: «دواديان» ش: «دواديان» بإهمال ما بعد الدال الأخيرة، تحريفات صوابها في ل واللسان. والشطر الأخير محرف في المحاضرات.
- (8) ش: «تخلق» وفي سائر النسخ: «يخلق» وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ.
- (9) فيما عدل: «وكيف» بالواو.
- (10) النطاف، بالكسر: جمع نطفة، وهي القليل الماء. ل: «رقراقاً» وليس في معناه من لفظه إلا الرقارق، بضم الراء الأولى وكسر الأخيرة، وكذا الرق، بالضم، وهو الماء الرقيق في البحر والوادي. والضحضح، بفتح الضادين، وكذا الضحضاح: الماء القليل يكون في الغدير وغيره. ل، ش: «ضحضاحاً».
- (11) الفراش، بالفتح: دواب مثل البعوض. فيما عدل: «حواساً» تحريف.
- (12) القنّع، بالكسر: الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء. فيما عدل: «القنّع» تحريف. وانظر ما سبق في (3: 187، 199). وتفسير الفراش في الموضع الأول من الجزء الثالث لا ريب أنه لغير الجاحظ فإنه مخالف للوجه الذي استشهد به، وهو تخلق الفراش من الماء، ولكنه أحد وجهي تفسير: «فراشاً»، وهو ثابت في اللسان (74: 10) حيث أنشد البيت وقال: «والقنعة من القنعان ما جرى بين الفف والسهل من التراب الكثير. فإذا نضب عنه الماء صار فراشاً يابساً، والجمع قنّع وقنعة». وقال في (8: 220): «والفراش أقل من الضحضاح» وأنشد البيت لذلك.
- (13) هذا فيما يتعلق بالنطاف والفراش. وإلا فهو في صفة حمر الوحش.
- (14) أبو وجزة، بالزاي، سبقت ترجمته في (90: 1)، وانظر (4: 122).

تَبَيْتُ جَارَتَهُ الْأَفْعَى وَسَامِرَهُ رُمْدٌ بِهِ عَاذِرٌ مِنْهُنَّ كَالْجَرَبِ⁽¹⁾
 رُمْدٌ⁽²⁾ فِي لَوْنِهَا، يَعْنِي الْبَعُوضُ، وَهِيَ الَّتِي تَسَامِرُ الْقَانِصَ وَتُسْهِرُهُ⁽³⁾
 وَالْعَاذِرُ⁽⁴⁾ : الْأَثَرُ. يَقُولُ : فِي جِلْدِهِ عَوَازِيرُ⁽⁵⁾ وَأَثَارٌ كَأَثَارِ الْجَرَبِ⁽⁶⁾ مِنْ لَسَعِ الْبَعُوضِ،
 وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ وَسْطَ الْأَفَاعِي.

وقال الراجز يصف البعوض :

وَلَيْلَةٍ لَمْ أَذْرِ مَا كَرَاهَا⁽⁷⁾ أَمَارِسُ الْبَعُوضِ فِي دُجَاهَا⁽⁸⁾
 كُلُّ زُجُولٍ خَفِقَ حَشَاهَا⁽⁹⁾ سِتٌّ لَدَى إِيْفَائِهَا شَوَاهَا⁽¹⁰⁾
 لَا يَطْرَبُ السَّامِعُ مِنْ غَنَاهَا حَنَانَةٌ أَعْظَمُهَا أَذَاهَا⁽¹¹⁾

(أرجل الجراداة والعقرب والنملة والسرطان)

وكذلك قوائم الجراداة، هي ست : يدان، ورجلان، والميشاران⁽¹²⁾ وبههما تعتمد إذ
 نَزَتْ⁽¹³⁾.

فأما العقرب فلها ثمان⁽¹⁴⁾ أرجل. وللنملة ست أرجل⁽¹⁵⁾.

- (1) فيما عدل : «بيت»، وأثبت ما في ل موافقاً للسان (167: 4) والحيوان (122: 4) ومحاضرات الراغب (2: 306).
 والرمد، بضم الراء وسكون الميم: ضرب من البعوض، مأخوذ من أرمد ورمداء، وهو ما لونه على لون الرماد.
 فيما عدل : «ريد» بالياء، تحريف. والعاذر: أثر الجرح. فيما عدل : «غادر» تصحيف. وفي ط: «كالجرب»
 صوابه بالجيم كما في سائر النسخ.
- (2) فيما عدل : «ريد» بالياء، تحريف.
- (3) فيما عدل : «وهي التي تنبه القانص وتسهره».
- (4) العاذر بالعين المهملة والذال المعجمة. فيما عدل : «الغادر» تحريف.
- (5) عواذير: جمع عاذر. وزيادة الياء في مثله جائزة في مذهب الكوفيين. فيما عدل : «غواد» تحريف.
- (6) ط، هـ: «الحرب» صوابه بالجيم، كما في ل، ش.
- (7) الكرى: النوم، كرى الرجل، بالكسر، يكرى: إذا نام. فيما عدل : «طواها» صوابه ما أثبت من ل موافقاً للسان
 (8: 389) ومحاضرات الراغب (2: 306).
- (8) المراس والممارسة: شدة العلاج. ورواية اللسان: «أسامر». وانظر بيت أبي وجزة السالف.
- (9) الزجول: الكثير الزجل، بالتحريك، وهو الجلبة ورفع الصوت. والخفق الحشا: المضطرب الأحشاء، وأصله
 في الفرس. وفي اللسان: «وربما كان الخفوق من خلقة الفرس، وربما كان من الضمور والجهد». فيما عدل :
 «زمول» تحريف. ورواية اللسان: «يتقي شذاها». والشذا: الشر والأذى.
- (10) الشوى: اليدان والرجلان، جمع شواة. إيفاءها: أراد إيفاء عددها. وأوفى الشيء: أتمه وأكملة. يقول: شواها
 ست عند إتمام عدها. ط: «بست أيدها بها سواها» صوابه ما أثبت من ل. وهذا البيت لم يرو في اللسان ولا في
 المحاضرات.
- (11) حنانة: ذات حنين، وأصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها. فيما عدل : «جناته» بالجيم تحريف.
- (12) في المخصص (8: 174): «للمخلبين اللذين تحت الساقين الميثاران». فيما عدل : «الحشاون» تحريف.
- (13) نزت: وثبت. فيما عدل : «تذب» محرف.
- (14) فيما عدل : «ثمان» وهما لغتان صحيحتان.
- (15) ط: «سته أرجل» صوابه في سائر النسخ، إذ الرجل مؤنثة.

وللسرطان ثمان أرجل، وهي في ذلك يستعين بأسنانه، فكأنه يمشي على عشر⁽¹⁾. وعينه في ظهره. وما أكثر من يشويه ويأكله للشهوة، لا للحاجة ولا للعلاج⁽²⁾.

(شعر ورجز في البعوض)

وقال الرّاجز، ووصف حاله وحال البعوض:

لم أر كالـيوم ولا مُذْقَطٌ أطول من ليالي بنهر بط⁽³⁾
 كأنما نجومه في رُبط⁽⁴⁾ أبيت بين خُطَّتِي مشطٌ
 من البعوض ومن التغطّي⁽⁵⁾ إذا تَغَنَّيْن غِنَاءَ الرُّط⁽⁶⁾
 وهنّ منّي بمكان المُرط فثِقْ بوقعٍ مثل وقعِ الشَّرط⁽⁷⁾
 وقال أيضاً:

إذا البعوض زجّلت أصواتها⁽⁸⁾ وأخذ اللحن مغنياتها
 [لم تطرب السامع خافضاتها⁽⁹⁾] [وأرق العينين رافعاتها⁽¹⁰⁾]
 كل زجول تتقي شذاتها⁽¹¹⁾ صغيرة، عظيمة أذاتها⁽¹²⁾
 تنقص عن بُغيثها بُغاتها⁽¹³⁾ ولا تصيبُ أبداً رُماتها⁽¹⁴⁾

(1) ل: «عشرة» وهو خطأ.

(2) ل: «الشهوة لا العلاج» وكلمة «لا» ساقطة من ش.

(3) نهر بط بالأهواز، قيل كان عند مراح للبط. فيما عدل ل: «لط» تحريف. وانظر ياقوت واللسان (بطط).

(4) في ربط: أي مربوطة. ويصح أن تقرأ بالضم جمعاً لرباط مع إسكان الباء للشعر. عنى أنها كالثابتة لطول الليل عليه. فيما عدل ل: «ربط» بالياء، تصحيف.

(5) التغطي: أن يغشي نفسه بغطاء. ش: «التغطي» ط، هـ: «التغطي» صوابهما في ل.

(6) الرط، بالضم: جبل من الهند، معرب «جت» بالفتح، قال صاحب القاموس: «والقياس يقتضي فتح معربه. وقال الخوارزمي في الكلام على طبقات الهند: «الرط هم حفاظ الطرق، وهم جنس من السند يقال لهم: جتان». انظر مفاتيح العلوم ص 74 وفي معجم استينجاس 356 أن «جت» اسم لجنس هندي حقير: Name of a despised rece called Jausts in Hindustan.

(7) ط، ش: «توقع مني» هـ: «يوقع مني»، صوابها في ل ومحاضرات الراغب (2: 306).

(8) زجّلت، بالكسر: رفعت الصوت وطربت. فيما عدل ل: «أرى البعوض» صوابه في ل ونهاية الأرب (10: 302) وديوان المعاني (2: 148) ومجموعة المعاني 196.

(9) أي خافضات الأصوات. البيت من ل والمصدرين السابقين.

(10) هذا البيت من نهاية الأرب وديوان المعاني فقط.

(11) الشذاة: الأذى والأشر، ومثله الشذا. ط: «حداتها» ش: «يتقي جداتها» هـ: «بالمهملة».

(12) ش: أداتها» بالمهملة.

(13) ط، ش: «تغيتها نعاتها» هـ: «تغيها نعاتها» صوابه في ل والمصادر السابقة.

(14) فيما عدل ل: «ولا تصاب». وفي نهاية الأرب وديوان المعاني: «ولا يصيب».

رامحة، خرطومها قناتها⁽¹⁾

وأنشدني جعفر بن سعيد⁽²⁾ :

- ظَلَلْتُ بِالْبَصْرَةِ فِي تَهْوَاشٍ⁽³⁾ وفي براغيث أذاها فاشي⁽⁴⁾
 من نافر منها وذو اهتمام⁽⁵⁾ يرفع جنبَيَّ عن الفراش
 فأنا في حَكٍّ وفي تخراش⁽⁶⁾ تترك في جنبَيَّ كالخراش⁽⁷⁾
 وزوجة دائمة الهراش⁽⁸⁾ تغلي كغلي المَرَجَلِ النَّشَّاشِ⁽⁹⁾
 تأكل ما جمعت من تهباشي⁽¹⁰⁾ بل أم معروف خموش ناشٍ⁽¹¹⁾

وقال رجل من [بني] حَمَّان، وقع في جُند الثغور :

- أَنْصُرُ أَهْلَ الشَّامِ مِمَّنْ يَكِيدُهُمْ وأهلي بَنَجْدٍ ساء ذلك من نصرٍ⁽¹²⁾
 براغيثُ تُرْذِنِي إِذَا النَّاسُ نَوُّمُوا وبَقَّ أَقاسيه على ساحل البحر⁽¹³⁾
 فَإِنْ يَكُ فَرَضٌ بَعْدَهَا لَا أَعْدُ لَهُ وإن بذلوا حُمَرَ الدنانير كالجَمَرِ⁽¹⁴⁾

(1) الرامحة: ذات الرمح، والرامح: ذو الرمح. القناة: الرمح.

(2) سبقت ترجمته في (3: 251).

(3) التهواش: تفعال من الهوش، وهو الاختلاط، عنى أنه في أمر مختلط. فيما عدل: «هراش». والهراش: القتال، وأصله هراش الكلاب.

(4) فاش: منتشر. ط: «اذاها» صوابه في سائر النسخ.

(5) يقال للناس إذا كثروا بمكان فأقبلوا وأدبروا واختلطوا: رأيتهم يحتشمون، وكذلك الجراد، وتقول إن البراغيث لتهتمش تحت جنبي فتؤذيني باهتمامها. انظر اللسان. فيما عدل: «احتماش». والاحتماش: أن يلتهب غضباً. ووجهه ما أثبت من ل.

(6) تخراش: تفعال من الخرش، والخرش كالخدش وزناً ومعنى، ومثلها الخمش، وهو مزق الجلد والتأثير فيه بالأطفار ونحوها. ط، ش: «في جد وفي تحراش» ه: «في جد وفي تحواش»، صوابهما في ل.

(7) الخراش: جمع خرش. وانظر التنبيه السابق. ط فقط: «كالخداش».

(8) الهراش: القتال، وأصله الكلاب كما سبق.

(9) المَرَجَل: القدر. والنشاش: الذي ينش، أي يصوت عند الغليان.

(10) التهباش: تفعال من الهيش، وهو الجمع والكسب. فيما عدل: «تهشاش» تحريف.

(11) الخموش: البعوض. وناش: ناشيء، شبهها بالبعوض. ل: «يا أم معروف خموش باش». وفيما عدل: «بأم معروف خموش ناش»، ولعل الصواب فيما أثبت.

(12) فيما عدل: «ذاك حرص على النصر» تحريف.

(13) أرذاه: هزله وأضعفه، وأرذاه المرض: ثقل عليه. ه: «يؤذوني»، تحريف. ط، ه: «تؤذيني»، وأثبت ما في ل. وفيما عدل: «على جانب البحر».

(14) الفرض: جند يفترضون فتكون لهم عطايا مفروضة. والفرض أيضاً: العطية المرسومة. فيما عدل: «فإن يك قرصاً بعده لانعه» محرف.

باب في العنكبوت

قال الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41]، ثم قال على إثر ذلك: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43]⁽¹⁾ يريد ذكره بالوهن. وكذلك هو. [و] لم يُردِّ إحكام الصنعة في الرِّقَّة والصِّفَاقَة⁽²⁾، واستواء الرقعة⁽³⁾، وطول البقاء، إذا كان لا يعمل فيه تعاوُرُ الأيام⁽⁴⁾، وسَلِمَ من جنابات الأيدي⁽⁵⁾.

(شعر في العنكبوت)

وقال الحداني⁽⁶⁾:

يزهّدني في وُدِّ هارونَ أنه عَذَّتْهُ بِأَطْبَاءِ مُلَعَّنَةٍ عُكْلُ
كأنَّ قَمًّا هَارُونَ إِذْ قَامَ مُدْبِرًا قَمًّا عَنْكَبُوتَ سَلٍّ مِنْ دُبْرَهَا عَزْلُ
ألا ليت هاروناً يسافرُ جائعاً وليس على هارون خَفٌّ وَلَا نَعْلُ⁽⁷⁾

وقال مزرَّد بن ضرار:

ولو أنَّ شيخاً ذا بَنِينَ كَانَمَا على رأسه من شَامِلِ الشَّيْبِ قَوْنُسُ⁽⁸⁾
ولم يَبْقَ من أَضْرَاسِهِ غيرَ واحدٍ إِذَا مَسَّهُ يَدْمَى مِرَاراً وَيَضْرُسُ⁽⁹⁾
تبيّت فيه العنكبوتُ بناتِها نواشئَ حَتَّى شَبَنَ أَوْهَنُ عُنْسُ⁽¹⁰⁾

(1) بين هذه الآية وسابقتها آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(2) الصفاقة: الكثافة. ل: «الدقة» بدل «الرقعة».

(3) ط، ه: «الرفعة» بالفاء. ش: «الرقعة» تحريف ما أثبت من ل.

(4) فيما عدا ل: «إذا كان لا يعمل فيه إلا تعاوُر الأيام» محرف.

(5) فيما عدا ل: «من جناة الأيدي» تحريف.

(6) الحداني، بضم الحاء - ويروى بفتحها - وتشديد الدال: نسبة إلى بني حدان، وهم بطن من قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وانظر اللسان والقاموس. والمعروف بهذه النسبة أوس بن مغراء القريعي السعدي، مخضرم شهد الفتوح وبقي إلى أيام معاوية. انظر الإصابة 495 وابن سلام 445 وابن قتيبة في الشعراء 668، وتاج العروس (2: 333) نقلاً عن الدارقطني والحافظ. فيما عدا ل: «الجذامي».

(7) فيما عدا ل: «يسافر حافياً».

(8) القونس: مقدم بيضة السلاح أو أعلاه. فيما عدا ل: «قرنس» تحريف.

(9) الضرس، بالتحريك: خور وكلال يصيب الضرس أو السن عند أكل الشيء الحامض. ش: «مدار» بدل: «مراراً» محرف.

(10) العانس: التي تجاوزت سن الفناء. جمعه عُنس وعنوس وعُنْس.

لَظَلَّ إِلَيْهَا رَانِيَا وَكَأَنَّهُ إِذَا كَشَّ ثَوْرٌ مِنْ كَرِيصٍ مُنَمَّسٍ⁽¹⁾ (أجناس العنكبوت ونسجها)

قال: ومن أجناس العنكبوت⁽²⁾ جنس رديء التدبير، لأنه ينسج ستره [على وجه] الأرض، والصخور⁽³⁾، ويجعله [على ظهر الأرض] خارجاً، وتكون الأطراف داخلة. فإذا وقع عليه شيء مما يعتدّيه من شكل الذبّان⁽⁴⁾ وما أشبه ذلك أخذه⁽⁵⁾.

وأما الدقيق الصنعة⁽⁶⁾ فإنه يصعد بيته ويمد الشعرة ناحية القرون والأوتاد⁽⁷⁾، ثم يسدي من الوسط، ثم يهيئ اللحمية، ويهيئ مصيدته في الوسط، فإذا وقع عليها ذباب وتحرك ما هناك ارتبط ونشبت به⁽⁸⁾، فيتركه على حاله حتى إذا وثق بوهنه وضعفه، غله⁽⁹⁾ وأدخله إلى خزانته. وإن كان جائعاً مصّ من رطوبته ورمى به. فإذا فرغ رمّ ماتشعث من نسجه.

وأكثر ما يقع على تلك المصيدة من الصيّد عند غيوبة الشمس وإنما تنسج الأنثى. فأما الذكر فإنه ينقض ويفسد. وولد العنكبوت أعجب من الفروج، الذي يظهر إلى الدنيا كاسباً⁽¹⁰⁾ محتالاً مكثفياً.

قال: وولد العنكبوت يقوم على النسج ساعة يولد.

قال: والذي ينسج به لا يخرج من جوفه، بل من خارج جسده. وقال الحداني⁽¹¹⁾:

كَأَنَّ قَفَا هَارُونَ إِذْ قَامَ مُدْبِرًا قَفَا عَنبُكُوتٍ سُلٍّ مِنْ دُبْرَهَا غَزْلٌ

(1) رانيا: من رنا يرنو: أدام النظر. كش: صوت، يقال كش الضب والورل والضفدع يكش كشيشاً: صوت، شبه ذلك الشيخ بصوت هذا الحيوان. والثور: القطعة من الأقط، وهو لبن جامد مستحجر. والكريص: الأقط المجموع المدقوق. والمنمس، كمحدث: الذي فسد وتغير وأنتن، شبه رائحة فم هذا الشيخ برائحة الأقط الفاسد. يقول: إنه مع شيخوخته ويأمن النساء منه ويأسه منهن، فإنه إذا رأى هذه المرأة فهو لا يزال يرنو إليها ويؤخذ بجمالها. ل: «لظل النهار آتياً». ش: «لظل إليها دانياً». وفيما عدل: «إذا كش نور من كريص منمس» تحريف. ونحو هذا البيت قول الطرماح يصف وعلاً:

وشاخص فاه الدهر حتى كأنه منمس ثيران الكريص الضوائن

(2) فيما عدل: «فذلك من أجناس العناكب» لكن في ه: «العناكب».

(3) فيما عدل: «ينسج شركه في الأرض والصخور». وانظر (4: 99 س7).

(4) ط فقط: «الذباب».

(5) فيما عدل: «أكله».

(6) ل: «الرقيق الصنعة» بالراء.

(7) فيما عدل: «ويمد الشعر ناحية العروق والأوتاد».

(8) في اللسان (9: 175): «ارتبط في الحبل: نشب، عن اللحياني». نشبت به: أي علفت المصيدة به. ط، ه:

«ونشبت فيه». ش: «وقنشب ما فيه»، وما في ش محرف. وأثبت ما في ل.

(9) غله: أوثقه وقيده. ل: «حمله».

(10) كاسباً: يكسب قوته بنفسه. فيما عدل: «كاسباً» تحريف.

(11) ط، ه: «الجدامي» ش: «الحدادي» وأثبت ما في ل. وانظر التنبيه السادس من ص 276.

فالنحل، والعنكبوت، ودود القز، تختلف من جهات ما يقال إنه يَخْرُجُ منها^(١).

(العنكبوت الذي يسمى الليث)

ومن العناكب جنسٌ يُصِيدُ الذُّبَابَ صَيْدَ الفهود، وهو الذي يسمى: «الليث» وله ستُّ عيون^(٢). وإذا رأى الذُّبَابَ لَطِيءً بالأرض، وسكَّنَ أطرافه، وإذا وثَّبَ لم يخطئ. وهو من آفات الذُّبَابِ^(٣)، ولا يصيدُ إلا ذَبَابَ الناس.

(ذَبَابُ الأسد والكلاب)

وَذَبَابُ^(٤) الْأَسَدِ عَلَى حِدَةٍ، [وَذَبَابُ الكلاب على حِدَةٍ]، وليس يقوم لها شيء. وهي أشدُّ من الزنابير، وأضرُّ من العقارب الطَّيَّارَةِ^(٥). وفيها من الأعاجيب أنها تعضُّ الأسدَ، كما يعضُّ الكلبُ^(٦) ذَبَابُ الْكَلْبِ.

وكذلك ذَبَابُ الْكَلْبِ، لِمَا يَغْشَى الْكَلْبَ من بعير^(٧) وغير ذلك. ولها عضُّ مُنْكَرٌ، ولا يبلغ مبلغَ ذَبَابِ الْأَسَدِ.

فمن أعاجيبها سوى شدةِ عضِّها وسَمِّها، أنها^(٨) مقصورة على الأسد، وإنها متى رأت بأسد دماً من جراح أو رمي^(٩)، ولو في مقدار الخدش^(١٠) [الصغير] فإنها تستجمع عليه، فلا^(١١) تقلع عنه حتى تقتله.

وهذا شبيه بما يُروى ويُخبر عن الدَّرِّ، فإن الدَّرَّ متى رأت بحية خدشاً لم تقلع عنه حتى تقتله، وحتى تأكله.

(١) فيما عدل: «في جهاتها يقال إنها» وبعد ذلك في ط: «تخرج منها» بالثناء، تحريف.

(٢) ط، ش: «وليست لعيون» ه: «وليست لعيون» صوابهما في ل ونهاية الأرب (١٠: ٢٩١) وزاد النويري: «وثماني أرجل».

(٣) فيما عدل: «الذباب». وفي ط بعد ذلك: «ولا يصيد إلا ذباب الناس».

(٤) ط: «وذباب».

(٥) فيما عدل: «الكلاب».

(٦) فيما عدل: «الأسد» تحريف. وكلمة «ذبان» حيثما وردت في ل فهي بهذا الرسم وأحياناً تتفق معها بعض النسخ. فاكتفيت إلى نهاية هذا الباب، بهذا التنبيه.

(٧) فيما عدل: «من بعد» محرف.

(٨) فيما عدل: «وأنها» والواو مقحمة.

(٩) فيما عدل: «متى رأت بالأسد دماً من خراج أو جرح».

(١٠) الخديش: مصغر الخدش. فيما عدل: «الخدش».

(١١) فيما عدل: «ولا».

(وَلَوْع النمل بالأراك)

ولقد أردتُ أن أغرسَ في داري أراكَةً، فقالوا لي: إن الأراكَةَ⁽¹⁾ إنما تنبت من حبِّ الأراكِ، [وفي نباتها عُسرٌ، وذلك أن حبَّ الأراكِ]⁽²⁾ يغرس⁽³⁾ في جوفِ طين، في قواصرَ⁽⁴⁾، ويُسقى الماءَ أياماً. فإذا نبتَ الحبُّ وظهر نباتُه فوق الطين، وُضِعَت القَوَصَرَةُ كما هي في جوف الأرض، ولكنها⁽⁵⁾ إلى أن تصيرَ في جوف الأرض، فإن الذرَّ يطالبها⁽⁶⁾ مطالبة شديدة. وإن لم تُحفظ⁽⁷⁾ منها بالليل والنهار أفسدتها.

فعمدْتُ إلى منارات من صُفر⁽⁸⁾ من هذه المسارج⁽⁹⁾، وهي في غاية الملاسة واللين، فكنْتُ أضَعُ القَوَصَرَةَ عَلَى الثَّرْسِ الذي فوق العمود الأملس⁽¹⁰⁾؛ فأجد فيها⁽¹¹⁾ الذرَّ الكثير، فكنْتُ أنقلُ المنارةَ من مكان إلى مكان، فما أفلَحَ ذلك الحبُّ.

(ضروب العناكب)

قال: والعناكب⁽¹²⁾ ضروبٌ: فمنها هذا الذي يقال له الليث، وهو الذي يصيد الذِّبان صيد الفهد⁽¹³⁾، وقد ذكرنا في صدر هذا الكلام⁽¹⁴⁾ حَذَقَه ورَفَقَه، وتَأَنَّى وحيلته⁽¹⁵⁾:
ومنها أجناس⁽¹⁶⁾ [طَوَالُ الأرجل، والواحدةُ منها] إذا مشت على جلد الإنسان تبثّر⁽¹⁷⁾.
ويقال إن العنكبوت الطويلة الأرجل، إنما⁽¹⁸⁾ اتخذت بيتاً وأعدَّت فيه المصايد⁽¹⁹⁾ والحبال،

(1) فيما عدل: «الأراك». والوجه الإفراد.

(2) هذه التكملة من ل، ش، هـ.

(4) القواصر: جمع قوصرة، بفتح القاف والصاد والراء، وهي لغة في القوصرة بتشديد الراء: وهي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.

(5) ط فقط: «وتكن». والكلام من هذه الكلمة إلى كلمة: «الأرض» ساقط من هـ.

(6) فيما عدل: «تطلبه». (7) فيما عدل: «تتحفظ» تحريف.

(8) الصفر بالضم، النحاس الأصفر، أو الجيد. هـ: «منكرات من صفر» محرف.

(9) المسارج: جمع مسرجة، وهي التي فيها الفتيل. فيما عدل: «المسارج»، تحريف.

(10) فيما عدل: «الذي فيه الأملس» تحريف.

(11) أي في القوصرة. فيما عدل: «فيه» والوجه ما أثبت.

(12) فيما عدل: «العناكب».

(13) فيما عدل: «الفهود».

(14) انظر ص 277-278، فيما عدل: «هذا الكتاب» تحريف.

(15) يقال تأتي لحاجته: إذا ترفق لها وأتاها من وجهها. ط فقط: «وتأني» وبعدها فيما عدل: «ختله». والختل: الخداع.

(16) فيما عدل: «جنس».

(17) تبثر: ظهرت فيه ثور. وفيما عدل: «إذا مشى على جلد الإنسان سم».

(18) ط فقط: «إذا» تحريف.

(19) هـ: «المصائد» بالهمز. وانظر (4: 25، 80 و5: 166). ل: «المسايد» محرفة.

والخيوط التي تلتفت على ما يدخل بيتها من أصناف الذُّبان وصغار الزنابير - لأنها حين علمت أنها لابد لها من قوت ⁽¹⁾، وعرفت ضعف قوائمها، وأنها ⁽²⁾ تعجز عما يقوى عليه الليث، احتالت بتلك الحيل ⁽³⁾.

فالعنكبوت، والفأر، والنحل، [والذَّر]، والنمل، من الأجناس التي تتقدم في إحكام شأن المعيشة.

[ومنها جنس رديء، مشنوء الصورة ⁽⁴⁾، غليظ الأرجل، كثيراً ما يكون في المكان الثَّرب من الصناديق والقماطر والأسفاط. وقد قيل: إنَّ بينه وبين الحيَّة، كما بين الخنفساء والعقرب ⁽⁵⁾].

وإنَّاث العناكب ⁽⁶⁾ هي العوامل: [تغزل وتنسج]. والذَّكر [أحرق] ينقض ولا ينسج. وإن كان [ما قال صاحب المنطق حقاً فما أغرب الأعجوبة في ذلك، وذلك أنه زعم أن العنكبوت تقوى] على النِّسج، وعلى التقدم في إحكام شأن المعاش حين تولد ⁽⁷⁾.

(الكاسب من أولاد الحيوان)

وقالوا: وأشياء من أولاد الحيوان تكون عالمةً بصناعتها، عارفة بما يعيشها ويصلحها، حتى تكون في ذلك كأمهاتها وآبائها، حين تخرج إلى الدنيا، كالفرَّوج من ولَد الدجاج، والحسَل من ولد الضُّباب، وفرخ العنكبوت.

وهذه الأجناس، مع الفأر والجرذان، [هي] التي من بين جميع الخلق تدخُر لنفسها ما تعيش به من الطَّعم ⁽⁸⁾.

(جملة القول في النحل ⁽⁹⁾)

زعم صاحب المنطق أن خليةً من خلايا النحل ⁽¹⁰⁾ فيما سلف من الزمان، اعتلت

(1) فيما عدل: «من القوت».

(2) فيما عدل: «وإنما» تحريف.

(3) ل: «تلك الحيل» بحذف الباء.

(4) المشنوء: البغيض المكروه.

(5) العقارب تأوي مع الخنافس وتسالمها. انظر (4: 123) وهذا الجزء ص 240.

(6) فيما عدل: «العناكب».

(7) فيما عدل: «يولد» تحريف. والكلام بعد ذلك إلى كلمة: «العنكبوت» ساقط من ل.

(8) الطعم، بالضم: الطعام. فيما عدل: «يدخُر لنفسه ما يعيشه من الطعم» محرف.

(9) ط، هـ: «باب في النحل» ش: «باب» فقط. وأثبت ما في ل.

(10) ل: «من خلايا العسل».

ومَرَضَ ما كان فيها من النحل، وجاء نحلٌ من خَلِيَّةٍ أخرى يقاتلُ هذا النحلَ حتى أخرجت العسل، وأقبلَ القِيَم على الخلايا يقتل ذلك النحلَ الذي جاء إلى خليته⁽¹⁾.
قال: فخرج النحلُ من الخلية يقاتلُ النحلَ الغريبَ، والرجل بينها⁽²⁾ يطردُ الغريبَ، فلم تلسعه نحل⁽³⁾ الخلية التي هو حافظُها؛ لدفعه المكروه عنها.
قال: وأجودُ العسل⁽⁴⁾ ما كان لونه لون الذهب.

(نظام النحل)

قال: والنحل تجتمع⁽⁵⁾ فتقسم الأعمال بينها، فبعضها يعملُ الشمعَ، وبعضها يَعْمَلُ العسلَ، وبعضها يبني البيوتَ، وبعضها يَسْتَقِي⁽⁶⁾ الماء ويصبُّه في الثقب⁽⁷⁾، ويلطخه بالعسل. ومنه ما يبكرُ إلى العمل. ومن النحل ما يَكْفُهُ⁽⁸⁾ حتى إذا نهضت واحدة طارت كلها. يقال: «بَكَرَ بُكَورُ اليعسوب»، يريد أمير النحل⁽⁹⁾ لأنها تتبعه غُدوةً إلى عملها. ومنها ما ينقل العسل من أطرافِ الشجر⁽¹⁰⁾، ومنها ما ينقل الشمعَ الذي تبني به، فلا تزالُ في عملها حتى إذا كان الليل آتٍ إلى مأبها⁽¹¹⁾.
قال: والأزْي: عمل العسل. يقال: أرت تأري أزيًا. والأزْي في غير هذا الموضع: القيء⁽¹²⁾. وقال أبو ذؤيب:

[بأري التي تأري إلى كل مغربٍ إذا اصفرَّ ليط الشمس حان انقلابها⁽¹³⁾

- (1) الكلام من: «أخرجت» إلى: «الذي» ساقط من ش. وفيما عدا: «فأقبل» بدل: «وأقبل» و: «يقاتل» بدل: «يقتل» خليته: أي خلية القيم. فيما عدا ل: «غير خليته»، أي غير خلية هذا النحل الطارئ. فالعبارتان سبان.
- (2) بينها: أي بين النحل جميعاً. فيما عدا ل: «بينهما» أي بين الطائفتين.
- (3) ط فقط: «نحلة»، تحريف.
- (4) فيما عدا ل: «فأجود العسل».
- (5) فيما عدا ل: «يجتمع»، والأوفق ما أثبت من ل.
- (6) يستقي: يأخذ الماء من النهر والبئر. فيما عدا ل: «يسقي» محرف.
- (7) الثقب، بالضم. ويقال أيضاً ثقب، بضم ففتح.
- (8) يكفه: يجمعه. وفي حديث الحسن: «كفه بخرقه»، أي اجمعها حوله. وفي الحديث: «المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته»، أي يجمع عليه معيشته ويضمها إليه. فيما عدا ل: «يكف».
- (9) الذي يعرفه العلماء أن للنحل أميرة أنثى. ولكن العرب وهمت في جعلها أميراً للنحل.
- (10) ط: «من الأطراف». ه: «من أطراف» بإسقاط كلمة «الشجر» فيهما. وأثبت ما في ل، ش.
- (11) ط، ه: «أنت إلى مأبها»، ش: «أنت إلى ما بها»، صوابهما في ل.
- (12) أي قيء النحل، وهو العسل الذي تلفظه من أجوافها. ط، ش: «الغنا» ه: «الفنا». صوابهما في ل.
- (13) ليط الشمس: لونها. وأصل الليط القشر اللازق بالشجر. انقلابها: رجوعها. وفي الكتاب: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: 31]، والبيت في اللسان (9: 273) وأشعار الهذليين (5: 1).

ومغارب: جمع مغرب وكل شيء وارك من شيء فهو مغرب، كما جعله أبو ذؤيب، والأصل مغرب الشمس. وقال أبو ذؤيب⁽¹⁾:

فباتَ بجمع ثمَّ تمَّ إلى منى فأصبح راداً يبتغي المزج بالسحل⁽²⁾
المزج⁽³⁾: العسل. والسحل: النقد⁽⁴⁾.

(ما له رئيس من الحيوان)

ومن الحيوان ما يكون لكل جماعة منها رأس وأمير، ومنها ما لا يكون ذلك له. فأما الحيوان الذي لا يجد بداً ولا مصلحة لشأنه إلا في اتخاذ رئيس ورفيق⁽⁵⁾ فمثل ما يصنع الناس⁽⁶⁾، ومثل ما تتخذ⁽⁷⁾ النحل والغرائق، والكرائي.

فأما الإبل والحمير والبقر، فإن الرئاسة لفحل الهجمة⁽⁸⁾، ولغير العانة⁽⁹⁾، ولثور الربرب⁽¹⁰⁾. وذكرتها لا تتخذ الرقباء من الذكورة.

وقد زعم ناس أن الكراكي لا ترى أبداً إلا فرداً⁽¹¹⁾ فكأن⁽¹²⁾ الذي يجمعها الذكر، ولا يجمعها⁽¹³⁾ إلا أزواجاً.

ولا أدري كيف هذا القول؟!

والنحل أيضاً تسير بسيرة الإبل⁽¹³⁾ والبقر والحمير، لأن الرئيس هو الذي يوردها

(1) يصف رجلاً حاجاً طلب عسلاً. انظر اللسان (4: 169 و 13: 350) وأشعار الهذليين (1: 11). وقبل هذا البيت:

فجاء بها كيما يوفي حجه نديم كرام غير نكس ولا غل

(2) ضمير «بات» التاجر. وفي الأصل: «فبات» تحريف. وجمع، بالفتح. وهو المزدلفة. وتم: بلغ. وفي اللسان (14: 334): «يقال تم إلى كذا وكذا أي بلغه». ط، هـ: تتم تحريف. ورواية اللسان في الموضع الثاني وكذا المخصص (2: 115، 12: 29): «ثم أب». راداً؛ من الرود، وأصله طلب الكلاء. أراد طالباً، كما في اللسان (رود). هـ: «زاد» ش: «زاخا». ط: «زارا» صوابه في ل وسائر المصادر. والمزج والسحل، سيفسرها الجاحظ. فيما عدل ل: «المرخ بالسحل» تحريف.

(3) فيما عدل ل: «المرخ» وإنما هو «المزج» بالزاي والجيم.

(4) السحل، بالمهملة، والنقد: واحد النقود. فيما عدل ل: «والسحل المنفرد» محرف.

(5) ط، هـ: «الذي لا تجد بدا» صوابه في ل، ش. وبعد ذلك فيما عدل ل: «ولا مصاحبة لشأنه إلا باتخاذ رئيس وريب» تحريف.

(6) هذه الكلمة ساقطة من ل. وفي الأصل: «مثل ما يصنع» والوجه إدخال الفاء لتكون في جواب «أما».

(7) فيما عدل ل: «يتخذ».

(8) الهجمة: القطعة الضخمة من الإبل، وقيل ما بين الثلاثين والمائة.

(9) العانة: جماعة حمر الوحش.

(10) الربرب: القطيع من بقر الوحش.

(11) ش: «لا تتخذ» بدل «لا ترى» محرف. ل: «فرداً» مكان «فرداً».

(12) فيما عدل ل: «وكان» بالواو، وبدون همز.

(13) فيما عدل ل: «والفحل رئيس يسير بسيرة الإبل» لكن في هـ: «بسيرة» تحريف.

وَيُضِدِرْهَا، وَتَنْهَضُ بِنَهْوِضِهِ، وَتَقَعُ بِوَقْوَعِهِ^(١). وَالْيَعْسُوبُ هُوَ فَحْلُهَا^(٢). فَتَرَى كَمَا تَرَى، سَائِرَ الْحَيَوَانِ الَّذِي يَتَّخِذُ رَئِيسًا^(٣) إِنَّمَا هِيَ إُنَاثُ الْأَجْنَاسِ، [إِلَّا النَّاسَ]؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ صِلَاحَهُمْ فِي اتِّخَاذِ أَمِيرٍ وَسَيِّدٍ، وَرَئِيسٍ.

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ رِيَاسَةَ الْيَعْسُوبِ، وَفَحْلَ الْهَجْمَةِ، وَالثَّوْرِ، وَالْعَيْرِ، لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: [أَحَدُهُمَا] لِقَدَارِ الذَّكَرِ عَلَى الْإُنَاثِ، وَالْآخَرُ لِمَا فِي طَبَاعِ الْإُنَاثِ مِنْ حُبِّ ذِكُورَتِهَا. وَلَوْ لَمْ تَتَأَمَّرْ [عَلَيْهَا] الْفَحُولُ لَكَانَتْ هِيَ لِحُبِّهَا الْفَحُولَ تَغْدُو بِغَدْوِهَا، وَتَرْوَحُ بِرَوَاحِهَا.

قَالُوا: وَكَذَلِكَ الْغَرَانِيقُ وَالْكَرَاكِي^(٤). فَأَمَّا مَا ذَكَرُوا مِنْ رُؤْسَاءِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْجَوَامِيسِ وَالْحَمِيرِ^(٥)؛ فَمَا أَبْعَدَهُمْ فِي ذَلِكَ عَنِ الصَّوَابِ.

وَأَمَّا [لِحَاقَهُمْ] الْغَرَانِيقُ وَالْكَرَاكِي بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ^(٦) فَلَيْسَ عَلَى مَا قَالُوا. وَعَلَى أَنَّا لَا نَجِدُ بُدًّا مِنْ أَنَّ نَعْلَمَ أَنَّ ذِكُورَتَهَا أَقْوَى عَلَى قَسْرِ الْإُنَاثِ وَجَمْعِهَا إِلَيْهَا^(٧) مِنَ الْإُنَاثِ.

وَعَلَى أَنَّهُ^(٨) لَا بَدَّ مِنْ أَنَّ يَكُونُ بَعْضُ طَاعَةِ الْإُنَاثِ لَهَا مِنْ جِهَةٍ مَا فِي طَبَاعِهَا مِنْ حُبِّ ذِكُورَتِهَا.

وَلَوْ كَانَ اتِّخَاذُ الْغَرَانِيقِ وَالْكَرَاكِي الرُّؤْسَاءِ وَالرُّقَبَاءِ^(٩) إِنَّمَا عِلَّتَهُ الْمَعْرِفَةُ - لَمْ يَكُنْ لِلْغَرَانِيقِ وَالْكَرَاكِي فِي الْمَعْرِفَةِ فَضْلٌ عَلَى الذَّرِّ وَالنَّمْلِ، وَعَلَى الذُّبِّ وَ[الْفِيلِ]، وَ[عَلَى] الثَّعْلَبِ وَالْحَمَامِ.

أَمَّا الْغَنَمُ فَهِيَ أَغْثَرُ وَأَمْوَقُ^(١٠) مِنْ أَنَّ تَجْرِي فِي بَابِ هَذَا الْقَوْلِ. وَقَدْ تَخَضَعُ الْحَيَاتُ لِلْحَيَّةِ، وَالْكَلَابُ لِلْكَلْبِ، وَالذُّيُوكُ لِلذِّكْرِ، حَتَّى لَا تَرَوْهُمْ^(١١) وَلَا تَحَاوِلُ مَدَافَعَتَهُ.

(١) فيما عدا ل: «ويقعن بوقوعه».

(٢) انظر التنبيه 9 من الصفحة 281.

(٣) فيما عدا ل: «جميع الحيوان الذي يتخذ رئيساً».

(٤) الكلام بعد هذه إلى كلمة: «الكرافي» التالية ساقط من ش.

(٥) كلمة: «والجواميس» ليست في ل. وفي ط، هـ: «والحمير والنحل». وكلمة: «النحل» مقحمة تفسد المعنى.

(٦) ل: «بهذه الرؤساء».

(٧) إليها: أي إلى الذكورة. وفي الأصل: «إليه».

(٨) ل: «ولأنه».

(٩) فيما عدا ل: «ولو كان اتخاذ الكراكي والغرائيق والرقباء الرؤساء»، لكن في ش: «والرؤساء» وفيه تحريف.

(١٠) أغثر: أي أشد حمقاً وجهلاً. ط «أغر»، من الغرارة وهي الغفلة وضعف التجربة. هـ: «أعثر» ش: «عشر» وهذا التحريف يؤيد صحة النص الذي أثبت من ل.

(١١) يقال رومه وروم به: جعله يطلب. عنى أنها تكفيه مؤونة الطلب.

(قصة في خنوع الكلاب)

ولقد خرجت في بعض الأسحار في طلب الحديث⁽¹⁾، فلما صرت في مربعة⁽²⁾ المحلّة، ثار إليّ عدّة من الكلاب⁽³⁾، من ضخامها، ومما يختارّه الحُرّاس. فبينما أنا في الاحتيال لهم⁽⁴⁾ [وقد غشيتني] إذ سكّتن⁽⁴⁾ سكتة واحدة معاً، ثم أخذ كل واحد في شق الكائنات المستخفي؛ وسمعت نغمة إنسان⁽⁵⁾، فانتهزت تلك الفرصة من إمساكهنّ عن الثّباح، [فقلت: إنّ ههنا لعلّة!] إذ أقبلَ رجلانٍ ومعهما كلبٌ أزبٌ⁽⁶⁾ ضخمٌ [دوسر⁽⁷⁾]، وهو في ساجور⁽⁸⁾، ولم أرَ كلباً قط أضخم منه، فقلت: إنهنّ إنما أمسكن عن الثّباح وتسترن⁽⁹⁾، من الهيبة له! وهي مع ذلك لا تتخذ رئيساً.

(سادة الحيوان)

وروي عن عبّاد بن صهيب⁽¹⁰⁾، عن عوف بن أبي جميلة⁽¹¹⁾، عن قسامة بن زهير قال: قال أبو موسى⁽¹²⁾: «إن لكل شيء سادة [حتى إن للنمل سادة⁽¹³⁾]. فقال⁽¹⁴⁾ بعضهم: سادة النمل: المتقدّمات.

وهذا تخريج⁽¹⁵⁾، ولا ندري ما معنى ما قال أبو موسى⁽¹⁶⁾ في هذا. ولو كان اتخاذ الرئيس من النحل، والكرائي، والغرائيق، والإبل والحمير، والثيران⁽¹⁷⁾،

(1) ش: «أطلب الحديث».

(2) المربعة: كأنه يراد به الموضع المربع. انظر ياقوت.

(3) فيما عدل: «ثار إلى من الدار عدة كلاب».

(4) فيما عدل: «سكتوا».

(5) النغم، محرّكة وتسكن: الكلام الخفي. الواحدة بهاء. ط: «نفحة» محرف.

(6) أزب: من الزب، وهو كثرة الشعر وطوله.

(7) دوسر: ضخم شديد.

(8) الساجور: القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب، يقال كلب مسوجر.

(9) فيما عدل: «فعلمت أنهنّ إنما سكّتن عن الثّباح واسترن».

(10) عبّاد بن صهيب البصري، أحد المتروكين، يروي عن هشام بن عروة، والأعمش، وكان قدرياً، روى عنه أحمد بن روح مائة ألف حديث. وكنيته أبو بكر. ومن الرواة من إذا روى عنه يقول: حدثنا أبو بكر الكليبي. مات قريباً من سنة اثنتي عشرة ومائتين. لسان الميزان (3: 230-231).

(11) عوف بن أبي جميلة، بفتح الجيم، تقدمت ترجمته في (11: 4).

(12) هو أبو موسى الأشعري، كما سبق في الحديث في (11: 4).

(13) هذه التكملة من ل ومما سبق (11: 4).

(14) فيما عدل: «وقال».

(15) تخريج: أي تأويل وتفسير. وفيما عدل: «يخرج» محرف.

(16) فيما عدل: «ولا يدري» وبعده في ش، هـ: «ما معنى أبي موسى».

(17) فيما عدل: «والبقر».

لكثرة ما معها من المعرفة - لكانت القروود، [والفيلة] والذّر، والثعالب، أولى بذلك. فلا بد من معرفة، ولا بد من طباع وصنعة.

والحمام يُزجلن من لؤلؤة⁽¹⁾، وهنّ بصريّات وبغداديّات⁽²⁾، وهنّ جُماع من هاهنا وهاهنا⁽³⁾، فلا تتخذ رئيساً.

(طعن ناس من الملحدين في آية النحل)

وقد طعن ناس من الملحدين، وبعض من لا علم له بوجوه اللغة وتوسّع العرب في لغتها، وفهم بعضها عن بعض، بالإشارة والوحي - فقالوا: قد علمنا أن الشمع شيء تنقله النحل⁽⁴⁾، ممّا يسقط على الشجر، فتبني بيوت العسل منه⁽⁵⁾، ثم تنقل⁽⁶⁾ من الأشجار العسل الساقط عليها، كما يسقط الترنجيبين والمن⁽⁷⁾، وغير ذلك. إلا أن مواضع الشمع وأبدانه⁽⁸⁾ [خفي وكذلك العسل] أخفى وأقل. فليس العسل بقيء ولا رجع⁽⁹⁾، ولا دخل للنحلة في بطن⁽¹⁰⁾ قط.

وفي القرآن قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 68-69].

ولو كان إنما ذهب إلى أنه شيء يلتقط من الأشجار، كالصمغ وما يتولد من طباع

(1) لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس. وانظر (3: 120 س 12). يزجلن: يرسلن على بعد. ط، هـ: «يُزجل» ش: «توحل» بالإهمال، صوابهما في ل.

(2) فيما عدل: «بغداديات» مهملتين. (3) فيما عدل: «من هاهنا ومن هاهنا».

(4) فيما عدل: «ينقله النحل» بالياء.

(5) فيما عدل: «فيبني بيوت النحل منه».

(6) فيما عدل: «ثم ينقل».

(7) الترنجيبين، بفتح التاء والراء وضم الجيم وفتحها، وفي ل فقط: «الطرنجيبين»: مادة تتجمع فوق بعض النبات شبيهة بالعسل. وهو بالفارسية: «ترنجيبين» تأويله العسل المندى، مركب من «تز» بمعنى مندى، و«انگيبين» بمعنى العسل. وهو مثل «المن» الذي جاء في قول الله: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّالْوٰ﴾ [طه: 80]، وقد فسر أبوحيان المن في الآية بأنه الترنجيبين، وقال: «وعليه أكثر المفسرين» وقد فسرت الكتب القديمة الترنجيبين والمن بأنهما طل يقع على الأشجار، وهو تفسير ساذج، وإنما هو إفراز صمغي حلو لبعض النبات. كما في معجم القرن العشرين: A sweet juice or gum got from many trees، والمن عبري الأصل، ولفظه في العبرية: «من». بفتح الميم. انظر سفر الخروج في النسختين العبرية والعربية (16: 13-36). وفيه أن المن شيء دقيق مثل قشور. دقيق كالجليد على الأرض و«هو كبزير الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق العسل» و«إذا حميت الشمس كان يذوب». ومنه أخذت العربية، والإنجليزية: Manna والفرنسية: Manne.

(8) ط، ش: «وأثاره». هـ: «وأثرائه» صوابهما ما أثبت من ل.

(9) الرجع: النجو والروث وذو البطن. ط فقط: «الرجيع» وهما بمعنى.

(10) إلى هنا ينتهي كلام الملحدين، وما بعده رد الجاحظ عليهم.

الأنداء والأجواء⁽¹⁾ والأشجار إذا تمازجت⁽²⁾ - لما كان في ذلك عجبٌ إلا بمقدار⁽³⁾ ما نجده في أمور كثيرة.

(دعوى ابن حائط في نبوة النحل)

قلنا: قد زعم ابن حائط⁽⁴⁾ وناسٌ من جُهالِ الصُوفيّة، أن في النحل أنبياء؛ لقوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾. وزعموا أن الحَوَارِيَّينَ كانوا أنبياء لقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة: 111].

[قلنا]: وما خالف [إلى] أن يكون في النحل أنبياء؟! بل يجب أن تكون النحل كلها أنبياء، لقوله عز وجل على المخرج العام: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، ولم يخص الأمهات والملوك واليعاسيب، بل أطلق القول إطلاقاً.

وبعد، فإن كنتم مسلمين فليس هذا قول أحد من المسلمين. وإلا تكونوا مسلمين فلم تجعلون⁽⁵⁾ الحجة على نبوة النحل كلاماً هو عندكم باطل!

(قول في المجاز)

وأما قوله عز وجل⁽⁶⁾: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ [النحل: 69] فالعسل ليس شراب⁽⁷⁾، وإنما [هو شيء] يحولُ بالماء شراباً، أو بالماء نبيذاً. فسماه كما ترى شراباً، إذ كان يجيء منه الشراب.

وقد جاء⁽⁸⁾ في كلام العرب أن يقولوا: جاءت السماء اليوم بأمر عظيم. وقد قال الشاعر⁽⁹⁾:

إذا سقط السماء بأرض قومٍ رعيناه وإن كانوا غضاباً
فزعموا أنهم يرعون السماء، وأن السماء تسقط⁽¹⁰⁾.

(1) الأجواء، جمع جو. ط، ش: «والأهواء» ه: «والأهواء» صوابهما في ل.

(2) فيما عدل: «إنما تمازجت» محرف.

(3) فيما عدل: «بقدر».

(4) هو أحمد بن حائط المترجم في (4: 167). فيما عدل: «ابن حائك» تحريف. وقد رسمت في ل: «حايط» بالتسهيل.

(5) فيما عدل: «فلم تجعلوا» تحريف.

(6) ل: «فأما قوله» فقط.

(7) كلمة: «وإنما» ساقطة من ه، ش.

(8) فيما عدل: «جاز».

(9) هو معاوية بن مالك، معود الحكماء، من قصيدة له في المفضليات، وهو البيت 23 من القصيدة 105 طبع المعارف. وانظر الخزانة (4: 174)، واللسان (19: 133) والرواية فيهما: «إذا نزل السماء».

(10) ش، ه: «تسقطه» صوابه في ل، ط.

ومتى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها [فقد خرج في اللغة من بطونها وأجوافها].

ومَنْ (١) حمل اللغة على هذا المركب، لم يفهم عن العرب قليلاً ولا كثيراً وهذا الباب هو مفتخر العرب في لغتهم، وبه وبأشباهه اتسعت (٢)، وقد خاطب بهذا الكلام أهل تهامة، وهذيل (٣)، وضواحي كنانة (٤)، وهؤلاء أصحاب العسل. والأعراب أعرف بكل صمغة سائلة، وعسلة ساقطة، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب (٥) أو طعن عليه من هذه الحجة؟! من هذه الحجة؟!

(أحاديث في العسل)

[حُدثَ عن] سفيان الثوري، قال حَدَّثَنَا أَبُو طُعْمَةَ (٦) عن بكر بن ماعز (٧)، عن ربيع بن خثيم (٨) قال: «ليس للمريض دواءٌ إلا العسل».

[وعن] هشام بن حسان، [عن الحسن] أنه كان يعجبه إذا استمشى الرجل (٩) أن يشرب اللبن والعسل.

إبراهيم بن أبي يحيى (١٠)، قال: بلغني عن ابن عباس: أن النبي ﷺ سئل: أيُّ الشراب أفضل؟ قال: الحُلُو البارد.

(١) فيما عدل: «ومتى» تحريف.

(٢) ط، هـ: «وبأسبابه» محرف. وقبلها فيما عدل: «وبه قال». و«قال» مقحمة.

(٣) فيما عدل: «وهذيل» والصرف ومنعه جائز.

(٤) ضواحي كنانة، أي أهل البادية منهم. وفي حديث أبي هريرة: «وضاحية مضر مخالفون لرسول الله ﷺ»، أي أهل البادية منهم. وجمع الضاحية ضواح. انظر اللسان (١٩: ١١٤ س ١٧-١٨). فيما عدل: «ضواحي نجد».

(٥) فيما عدل: «هذا البيان» محرف.

(٦) اسمه هلال، وهو أبو طعمة الشامي الأموي القاص، وكان مولى عمر بن عبد العزيز، حدث عن مولاة، وعنه ابن لهيعة وغيره. انظر لسان الميزان (٦: ١٠٨).

(٧) هو بكر بن ماعز بن مالك، ممن روى عن كبار التابعين وبعض الصحابة. روى عن الربيع بن خثيم وعبد الله بن يزيد الخطمي الصحابي، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي، ويونس بن أبي إسحاق، وسعيد بن مسروق. قال العجلي: تابعي ثقة. تهذيب التهذيب (١: ٤٨٦).

(٨) سبق ترحمته في (٢: ٩٣) و(٤: ١٧٠). و«خثيم» بالتصغير.

(٩) استمشى: شرب المشي، كغنى: الدواء المسهل.

(١٠) إبراهيم بن أبي يحيى المكي. قال الحاكم: اسمه إبراهيم، وكنيته أبو إسماعيل. واسم أبيه اليسع، وكنيته أبو يحيى، ولقبه أبو حية. قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ضعيف. وقال الدارقطني: متروك. انظر لسان الميزان (١: ١٢٤ ثم ٥٢).

و[سفيان] الثوري عن أبي إسحاق⁽¹⁾، عن أبي الأحوص⁽²⁾ [عن ابن مسعود⁽³⁾] قال: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل⁽⁴⁾».

[شعبة عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، قال⁽⁵⁾]: مضى رجل⁽⁶⁾ إلى ابن مسعود فقال⁽⁷⁾: إن أخي يشتكي بطنه، وقد نُعِتَ⁽⁸⁾ له الخمر. فقال: سبحان الله! ما كان الله ليجعل شفاءه⁽⁹⁾ في رجس، وإنما جعل الشفاء في اثنين: في القرآن والعسل.

سعيد بن أبي عروبة، [عن قتادة]، عن أبي المتوكل الناجي⁽¹⁰⁾، عن أبي سعيد الخدري⁽¹¹⁾: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال⁽¹²⁾ إن أخي يشتكي بطنه، فقال [عليه السلام]: اسقه عسلاً. ثم أتاه فقال: قد فعلت. قال⁽¹³⁾: اسقه عسلاً. ثم أتاه فقال: قد فعلت. فقال: اسقه عسلاً. ثم أتاه الرابعة، فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك. اسقه عسلاً! فسقاه فبراً الرجل⁽¹⁴⁾».

(1) هو أبو إسحاق السبيعي، واسمه عمرو بن عبد الله الهمداني، من بطن من همدان يقال لهم السبيع، بهيئة التصغير، روى عن جرير البجلي، وعدي بن حاتم، وجابر بن سمرة، وزيد بن أرقم، وعنه ابنه يونس، وقاتادة، وسليمان التيمي، وأبو الأحوص. ولد في سلطان عثمان لثلاث سنين بقين منه، ومات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة. لسان الميزان (6: 782) والمعارف 199 وتهذيب التهذيب (8: 63-67).

(2) هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي، أبو الأحوص الكوفي، روى عن أبيه، وعن علي، وابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري، وأبي موسى الأشعري وغيرهم. وروى عنه ابن أخيه أبو الزعراء الجشمي، وأبو إسحاق السبيعي، ومالك بن الحارث السلمي، وعطاء بن السائب. تاريخ بغداد 6733 وتهذيب التهذيب (8: 169).

(3) هذه التكملة من ل، ش.

(4) هذه التكملة من ل، ش. والحديث صحيح، رواه ابن ماجه، والحاكم في المستدرک عن ابن مسعود. الجامع الصغير 5534.

(5) هذه التكملة من ل، ش. لكن في ش: «عن ابن إسحاق عن ابن الأحوص قال». محرف.

(6) ل: «جاء رجل».

(7) فيما عدل ل: «قال» بدون فاء، في هذا الموضع والموضع التالي.

(8) ل: «نعت». (9) ط فقط: «شفاء».

(10) هو علي بن داود - ويقال دواد - أبو المتوكل الناجي الساجي البصري، روى عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عباس وجابر وعائشة. وعنه ثابت البناني وقاتادة وبكر بن عبد الله المزني وحמיד الطويل. مات سنة 108 أو 102، تهذيب التهذيب (7: 318) والناجي: نسبة إلى بني ناجية بن لؤي، القبيلة التي بالبصرة. انظر تاج العروس (10: 359) واللسان (20: 180-181).

(11) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر - وهو خذرة بضم الخاء - ابن عوف بن الحارث بن الخزرج، أبو سعيد الخدري، صحابي جليل، استصغر يوم أحد، واستشهد أبوه بها، وغزا هو فيما بعدها. روى حديثاً كثيراً، ولم يكن من أحداث الصحابة أفقه منه. مات سنة أربع وسبعين. وقيل سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين الإصابة 3189 والمعارف 116.

(12) فيما عدل ل: «قال».

(13) فيما عدل ل: «فقال».

(14) برأ: شفي. ومثله بريء. فيما عدل ل: «نبرئ». وهو حديث صحيح رواه البخاري (7: 123) ومسلم (2: 186) وأحمد (3: 92).

قال: والذي يدلُّ على صحّة تأويلنا لقول الله عز وجل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: 69]، أن المعجونات كلها إنما تكون بالعسل، وكذلك الأنبجات⁽¹⁾.

(نفع العسل)

وإذا ألقى في العسل اللحم الغريض⁽²⁾ فاحتاج صاحبه إليه بعد شهر أخرج طرياً لم يتغير⁽³⁾.

وإذا⁽⁴⁾ قطرت منه قطرةً على وجه الأرض، فإن استدار كما يستدير الزئبق، ولم يتفشّ⁽⁵⁾، ولم يختلط بالأرض [والتراب] فهو الصحيح. وأجوده الذهبي. ويزعم أصحاب الشراب أنهم لم يروا شراباً قطُّ ألذَّ ولا أحسنَ ولا أجمعَ لما يريدون، من شراب العسل الذي يُتَبَدُّ بمصر⁽⁶⁾. وليس في الأرض تجارُ شراب ولا غير ذلك أيسرَ منهم.

وفيه أعجوبة: وذلك أنهم لا يعملونه إلا بماء الثيل أكدر ما يكون. وكلما كان أكدر كان أضفى، وإن عملوه بالصافي فسد.

وقد يلقى العسل على الزبيب، وعلى عصير الكرم⁽⁷⁾ فيجودهما.

(التشبيه بالعسل)

وهو المثل⁽⁸⁾ في الأمور المرتفعة، فيقولون: ماء كأنه العسل. ويصفون كل شيء حلٍو، فيقولون: كأنه العسل⁽⁹⁾. ويقال: هو معسول اللسان⁽¹⁰⁾. وقال الشاعر:

(1) الأنبجات، هي المرببات. قال الخليل: «الأنبيج حمل شجرة بالهند يربب بالعسل على حلقة الخوخ، محرف الرأس، في جوفه نواة كنواة الخوخ، يجلب إلى العراق، فمن هناك تسمى الأنبجات وهي التي ربيت بالعسل، من الأترج والإهليلج ونحو ذلك». مفاتيح العلوم 104، والأنبيج معرب «أنبه». استينجاس 104 وأدي شير 140 وانظر المعرب 43.

(2) الغريض: الطري. فيما عدل: «ومتى» بدل: «وإذا».

(3) فيما عدل: «أخرجه بعد شهر طرياً لم يتغير».

(4) فيما عدل: «وأينما».

(5) لم يتفش من التفشي، يقال تفشى الحبر إذا كتب على كاغد رقيق فتمشى فيه. ل: «لم ينفش» وضبط بالنون الساكنة والشين المشددة. وإنما الانفشاش زوال الانتفاخ من نحو الزق والورم، فالوجه ما أثبت من شائر النسخ.

(6) ل: «ينبد» وهما صحيحتان. وسمي نبيداً لأنه ينبذ في وعاء أو سقاء، عليه الماء، ويترك حتى يفور فيصير مسكراً.

(7) فيما عدل: «الخمير».

(8) فيما عدل: «وبه يضربون المثل».

(9) الكلام من: «ويصفون» إلى هنا ساقط من ل، ش.

(10) ل: «ويقولون: هو معسل اللسان».

لسائِكَ معسولٌ ونفسُكَ شَحَّةٌ ودون الثُّرَيَّا مِن صديقِكَ مالكا⁽¹⁾

(التنويه بالعسل في القرآن)

وقال الله عز وجل في كتابه، وذكر أنهار الجنة⁽²⁾، فقال: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمَرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: 15]. فاستفتح⁽³⁾ الكلام بذكر الماء، وختمه بذكر العسل. وذكر الماء واللبن فلم يذكرهما في نعتهما ووصفهما⁽⁴⁾ إلا بالسلامة من الآسن والتغير وذكر الخمر والعسل فقال: ﴿مِنْ حَمَرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾، و: ﴿مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾، فكان هذا ضرباً من التفضيل⁽⁵⁾، وذكرها في مواضع آخر فنفى عنها عيوب حمر الدنيا. فقال عز وجل اسمه: ﴿لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ [الواقعة: 19]⁽⁷⁾. فكان هذا القول الأول أظهر دليل على التفضيل⁽⁸⁾.

باب القول في القراد

يقال: «أسمع من قُراد⁽⁹⁾» و: «ألزق من قُراد⁽¹⁰⁾»، و: «ما هو إلا قُراد [تقر⁽¹¹⁾]». وقال الشاعر⁽¹²⁾:

- (1) شحة: شحيحة، والشح: البخل. وقد ساق ابن منظور هذا البيت شاهداً في اللسان (3: 326) مع بيت تال، وهو: وأنت امرؤ خلط إذا هي أرسلت يمينك شيئاً أمسكته شمالكا وأنشده الجاحظ في البيان (1: 143). و«دون» هنا بمعنى فوق. انظر اللسان (17: 23 س 13).
- (2) ل: «في ذكر أنهار الجنة».
- (3) فيما عدل: «واستفتح».
- (4) «في نعتهما ووصفهما» ساقط من ل.
- (5) في الأصل: «فكان هذا ضرب» وفي هـ، ش بعده: «من التفضيل» تحريف. والكلام بعد ذلك إلى آخر هذا الباب ساقط من ل.
- (6) ذكرها، أي الخمر، وفي الأصل: «ذكرهما». والمواضع التي يشير إليها الجاحظ هي الآية 47 من الصفات و23 من الطور و18-19 من الواقعة و5-17 من الإنسان. وأما العسل، فلم يذكر صراحة إلا في الآية الشاهدة. وذكر بلفظ «شراب» في سورة النحل 69: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾.
- (7) قرئ: (ينزفون) بكسر الزاي، وبفتحها، مع ضم الياء فيهما.
- (8) هـ، ش: «التفضيل» بالصاد المهملة، تحريف.
- (9) وذلك أنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها. انظر الديرري والميداني (1: 319).
- (10) وذلك لأنه يعرض لاست الجميل فيلزم بها كما يلزم النمل بالحصى. الميداني (2: 179-180).
- (11) الثفر، بالتحريك، ويسكن: مؤخر السرج، وهو يشد تحت ذنب الدابة.
- (12) هو الحصين بن القعقاع، كما في اللسان (2: 452 و4: 348). والحصين: شاعر ذكره الآمدي في المؤلف 87، وفي النقااض 681 أنه الحصين بن القعقاع بن معبد الدارمي. وأنشد له شعراً ورجزاً في يوم زبالة، وكان لبني بكر على بني تميم. وقبل هذا البيت، في اللسان (2: 352):
جزئى الله عني بحترياً ورهطه بني عبد عمرو ما أعف وأمجدا

هم السمن بالسُّنُوتِ لا أَلْسَ فيهم وهم يمنعون جارههم أن يُقَرِّداً⁽¹⁾
[السُّنُوت، عند أهل مكة: العسل⁽²⁾. وعند آخرين: الكمُون⁽³⁾].
وقال الحطيئة⁽⁴⁾:

لَعَمْرُكَ ما قَرَادُ بَنِي كَلَيْبٍ إِذَا نُزِعَ الْقُرَادُ بِمُسْتَطَاعٍ⁽⁵⁾
قال: وذلك أن الفحلَ يَمْنَعُ أن يُخْطَمَ⁽⁶⁾. فإذا نزعوا من قُرَادَاتِهِ⁽⁷⁾ شيئاً لذَّ لذلك،
وسكَنَ إليه، ولأنَّ لصاحبه، فعند ذلك⁽⁸⁾ يلقي الخطامَ في رأسه.
قال: وأخبرني فراس بنُ خَنْدَقٍ⁽⁹⁾، وأبو بَرْزَةَ⁽¹⁰⁾ قال: كان جحدرٌ⁽¹¹⁾ إذا نزلت رُفْقَةً
قريباً منه، أخذ شَنَّةً⁽¹²⁾ فجعل فيها قِرْدَاناً، ثم نثرها بقرب الإبل⁽¹³⁾ فإذا وجدت الإبلَ مَسَّهَا
نهضت، وشدَّ الشَّنَّةَ في ذنب بعضِ الإبل، فإذا سمعت صوتَ الشَّنَّةِ، وعملت فيها القردانُ

(1) الألس: الخيانة، ومثله المؤالسة، قال صاحب اللسان: «وأصله الولس». وهذه المادة واوية وهمزية. هـ: «هو السمن» محرف. هـ، ش: «لا أنس» محرف أيضاً وروى في اللسان (2: 352) والمخصص (3: 84): «لا ألس بينهم». وفي المخصص (8: 122): «لا ألس عندهم». فيما عدل: «الجاران يتقردا» صوابه في ل وسائر المصادر.

(2) في اللسان: والسُنُوت قيل هو العسل، وقيل هو الرب. والسُنُوت كسَنُور لغة فيه.

(3) قيل الكمون يمانية، وقيل نبت يشبه الكمون، وقيل الرازيانج، وقيل الشبث.

(4) البيت من قصيدة له في الديوان 92-93 يمدح بها بني رياح وبني كليب من بني يربوع. وهو كذلك في اللسان (4: 348) قال: «ونسبه الأزهري للأخطل». وانظر العمدة (1: 219) والميداني (1: 25) والفصول والغايات 265.

(5) رواية الديوان: «بني رياح» وهم بنو كليب أولاد يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. انظر المعارف 35، فيما عدل: «بني كلاب» تحريف وروى المعري: «إذا ريم القردا». قال ابن رشيق: «فزعم الحطيئة أن هؤلاء لا يخذعون عن عزمه وإبائهم فيقدر عليهم».

(6) يخطم: يوضع على أنفه الخطام.

(7) فيما عدل: «نزع» محرف. وقرادات: جمع قرادة. ولم أجد هذا المفرد إلا في اللسان مادة (حلم ص 36 س 13، ففيها: «الحلمة بالتحريك: القرادة الكبيرة» ش «قردانه» محرف.

(8) فيما عدل: «حتى».

(9) فراس بن خندق، بالخاء المفتوحة وآخره قاف. أحد الرواة العارفين بأيام العرب. روى عنه أبو عبيدة بعض أيام العرب في النقائض 305، 639، 643، 644، وقال في الموضع الثاني: «حدثنا أبو المختار فراس بن خندق القيسي، قيس بن ثعلبة». فيما عدل: «خندف» بالفاء، تحريف.

(10) فيما عدل: «أبو بزرّة» تحريف.

(11) جحدر، هو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. وتجد هذا الخبر الذي ساقه الجاحظ على هذا النحو في شرح ديوان الأعشى 62، وجحدر هذا غير جحدر بن معاوية العكلي، أحد لصوص العرب الشعراء، كان لصاً مبرأ فأخذه الحجاج وحبسه، وله في ذلك قصيدة رواها القالي في الأمالي (1: 281-282). وانظر المؤلف 110 فيما عدا ل: «يلعل» تحريف.

(12) الشنة: القربة الخلق، وهي أيضاً الخلق من كل آنية صنعت من الجلد.

(13) أي نثر القردان. فيما عدل: «فنشرها» بدل: «ثم نثرها».

نفرت. ثم كان يشبُّ في ذروة ما ندّ منها⁽¹⁾، ويقول: ارحم الغارّة الضّعاف⁽²⁾! يعني القردان. قال أبو بَرزة⁽³⁾: ولم تكن هِمَّتُهُ تُجاوِزُ بعيراً.

(القراد في الهجو)

قال رُشيد بن رُمَيْض⁽⁴⁾:
لَنَا عِزٌّ وَمَأْوَانَا قَرِيبٌ وَمَوْلَى لَا يَدِبُ مَعَ الْقُرَادِ⁽⁵⁾
وَهَجَاهُمُ الْأَعَشَى فَقَالَ:
فَلَسْنَا لِبَاغِي الْمَهْمَلَاتِ بِقِرْفَةٍ إِذَا مَا طَمًا بِاللَّيْلِ مُنْتَشِرَاتِهَا⁽⁶⁾
أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصِرْ، فَإِنْ قَصِيدَةً مَتَى تَأْتِكُمْ تُلْحَقُ بِهَا أَخَوَاتِهَا⁽⁷⁾
وَهَجَاهُمُ حُضَيْنُ بْنُ الْمَنْذَرِ⁽⁸⁾ فَقَالَ:

- (1) ند: شرذ. فيما عدل: «ثم تبثت في ذروة وما ند منها» تحريف.
- (2) الغار: الغافل. ومما هو جدير بالذكر أن القراد يصبر على فقد الغذاء مدة طويلة حتى يهزل. قال ابن زياد الأعرابي: ربما رحل الناس عن دارهم بالبادية، وتركوها قفاراً، والقردان منتشرة في أعطان الإبل وأعقار الحياض، ثم لا يعودون إليها عشر سنين وعشرين سنة، ولا يخلفهم فيها أحد من سواهم، ثم يرجعون إليها فيجدون القردان في تلك المواضع أحياء، وقد أحست بروائح الإبل قبل أن توافي، فتحركت، قال ذو الرمة:
- بأعقاره القردان هزل كَأَنَّهَا نَوَادِرُ صِبْصَاءِ الْهَبِيدِ الْمَحْطَمِ
إِذَا سَمِعَتْ وَطءَ الرِّكَابِ تَنْغَشَّتْ حَشَاشَاتِهَا فِي غَيْرِ لَحْمٍ وَلَا دَمٍ
- انظر ديوان ذي الرمة 630 والميداني (319:1) واللسان (172:8، 249) ط: «العالَة العاف». والعالَة: جمع عيل، عن كراع. والعيل: من تعوله. ش، ه: «العادة» محرف.
- (3) ط: «وأبو قردة» ش، ه: «وأبو فودة» صوابهما في ل. وانظر التنبيه العاشر في الصفحة السابقة.
- (4) هو رشيد بن رميض العنزي، من بني عنز بن وائل، أو من بني عنزة. انظر تاج العروس (37:5). والأرجح أنه من بني عنزة. انظر التنبيه التالي. وقد ذكره بن حجر في الإصابة 2733 فيمن أدرك الرسول ﷺ. و«رشيد» و«رميض» بهيئة التصغير، كما في القاموس. فيما عدل: «أسيد بن رميض» تحريف.
- (5) الرواية في أمالي الفحالي (2: 126) والميداني (319:2) واللسان (357:1): «ومرمانا قريب». وفي الأمالي: «قوله: مرمانا قريب، قال: هؤلاء عنزة. يقول: إن رأينا منكم ما نكره، أو رابنا ريب، انتمينا إلى بني أسد بن خزيمة». ومثل هذا النص في اللسان.
- (6) المهملات: الإبل المرسلّة بغير رعاء. والقرفة، بالكسر: الظنة والتهمة، ويراد بها أيضاً المتهمة والظنين. وفي اللسان: «وبنو فلان قرفتي، أي الذين عندهم أظن طلبتي». وطما: ارتفع وعلا. ويقال طمى يطمى: إذا مر مسرعاً. فيما عدل: «بناعي المهملات بعرفة»، صوابه في ل والديوان 62 واللسان (241:19). وفي الديوان واللسان والمقاييس: «إذا ما طها». طهت تطهى طهواً: انتشرت وذهبت في الأرض» وفي شرح الديوان: «وطها وطحا - الأخيرة بالحاء: واحد، وهو تفرقه وذهابه».
- (7) في شرح الديوان: «أبو مسمع: جد المسامعة، وهو شيبان بن شهاب من بني قيس».
- (8) هو الحضيض بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي، أحد بني رقاش، فارس شاعر، وكانت معه راية علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة. وفيه يقول علي:
- لَمَنْ رَايَةَ سُودَاءَ يَخْفَقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدِمَهَا حُضَيْنٌ تَقْدَمَا
- وكان حضيض من كبار التابعين، مات على رأس المائة. انظر المؤلف 87 وتهذيب التهذيب (2: 395) والخزانة (2: 89-90 بولاق). و«حضيض» بالضاد المعجمة وبهيئة التصغير. وفي الأصل: «حضيض» بالمهملة محرف، وانظر المصادر السابقة والقاموس. قال العسكري: «ولا أعرف من يسمى حضيضاً بالضاد المعجمة غيره».

تنازعني ضبيعة أمر قومي وما كانت ضبيعة للأمور⁽¹⁾
 وهل كانت ضبيعة غير عبد ضمّناه إلى نسب شطير⁽²⁾
 وأوصاني أبي، فحفظت عنه بفك الغلّ عن عنق الأسير
 وأوصى جحدر فوقى بنيه بإرسال القراد على البعير⁽³⁾

قال: وفي القردان⁽⁴⁾ يقول الآخر - قال: [و] بعضهم يجعلها في البراغيث. وهذا باطل⁽⁵⁾ - :

ألا يا عباد الله من لقبيلة إذا ظهرت في الأرض شدّ مغيرها
 فلا الدين ينهاها ولا هي تنتهي ولا ذو سلاح من معدّ يضرها
 فمن أصناف القردان: الحمّنان⁽⁶⁾، والحلم⁽⁷⁾، والقرشام⁽⁸⁾، والعلّ⁽⁹⁾،
 والطلّح⁽¹⁰⁾.

(شعر ومثل في القراد)

وقال الطرمّاح:

لمّا وردت الطويّ والحوض كال صيرة دفن الإزاء ملتبده⁽¹¹⁾
 سافت قليلاً على نصائبه ثم استمرت في طامس تخذه⁽¹²⁾

- (1) ضبيعة، بهيئة التصغير، هم من بني قيس بن ثعلبة. والحضين من بني ذهل بن ثعلبة. ل: «والأمور» بالإقواء.
- (2) الشطير: البعيد والغريب. فيما عدا ل: «شكير» محرف.
- (3) كأنه فيما يرى قدوقى أبناءه من الفقر بوصيتهم هذه الوصاة. فيما عدا ل: «فوفى» وفي محاضرات الراغب (2: 81): «قدما». وانظر التنبيه الحادي عشر من ص 291.
- (4) القردان، بالكسر: جمع قراد، بالضم. ط فقط: «القراد».
- (5) انظر التنبيه 9 من ص 261، وقد سبق البيتان هناك.
- (6) الحمّنان، بفتح الحاء وسكون الميم: جمع حمّانة، وهي من صغار القردان.
- (7) الحلم، بالتحريك: جمع حلمة، وهي القراة الكبيرة.
- (8) القرشام، بكسر القاف، وآخره ميم: القراد الضخم، يقال قرشام وقرشوم، وقراشم، بضم القاف في الأخيرتين. ط: «الفرمان» ه: «الفرسان» ش: «الفرشان»، صوابه ما أثبت من ل.
- (9) العلّ، بالفتح: القراد الضخم. فيما عدا ل: «القمل» تحريف.
- (10) الطلّح، بالكسر: القراد المهزول، أو العظيم.
- (11) وردت: يعني ورد بناقته الماء. وضبط في ديوان الطرمّاح ص 118 بفتح الدال وكسر التاء، ولا يستقيم الوزن به، إذ أن البيت من المنسرح. والطوى: البئر المطوية. والصيرة، بالكسر: حظيرة من خشب وحجارة تبنى للغنم والقر. والدفن، بالفتح: المندفن. والإزاء بالكسر: مصب الماء من الدلو في الحوض. والملتبد: المتلبّد. يقول قد اندفن وتلبّد بعضه على بعض. فيما عدا ل: «كالصرم دفن الإزاء ملتتده»، صوابه في ل والديوان.
- (12) سافت: شمت، وفي الأصل: «سافت» بالقاف، تصحيحه من الديوان. ونصائب الحوض: ما نصب حوله من الحجارة وجعل كالحائط له. استمرت: مرت في سيرها. طامس: أراد طريقاً قد اندفن فيه الأثر. تخده، تسير فيه الوخذ، وهو ضرب من السير. فيما عدا ل: «تجده» صوابه في ل والديوان. وهذا البيت روى في ط، ه بعد البيت التالي، وقد رددته إلى موضعه الطبيعي معتمداً ما في ل، ش والديوان.

وقد لوى أنفَهُ بِمِشْفَرِهَا طَلَحُ قَرَاشِيمَ شاحِبْ جَسَدُهُ⁽¹⁾
عَلَّ طَوِيلُ الطَّوَى كِبَالِيَةِ السُّفْ عِ مَتَى يَلْقُ الْعُلُوَّ يَصْطَعِدُهُ⁽²⁾
وفي لزوق القراد يقول الراعي:

نبتت مرافقهنَّ فَوْقَ مَزَلَّةٍ لا يستطيعُ بها القَرَادُ مَقِيلًا⁽³⁾
والعربُ تقولُ: «أَلَزَقُ مِنَ الْبُرَامِ»⁽⁴⁾! كما تقول: «أَلَزَقُ مِنَ الْقَرَادِ!». وهما واحدٌ.

(شعر لأمية في الأرض والسماء)

وذكر أمية بن أبي الصلت، خَلَقَ السماء، وإنه ذكر من مَلَأَسَتْهَا⁽⁵⁾ أن القَرَادَ لا يَعْلُقُ بها، فقال:

والأَرْضُ مَعْقِلُنَا وَكَانَتْ أَمْنًا فِيهَا مَعَاقِلُنَا وَفِيهَا نُوْلُدُ
فِيهَا تَلَامِيذُ عَلَى قُدْفَاتِهَا حُبِسُوا قِيَامًا فَالْفَرَائِصُ تُرْعَدُ⁽⁶⁾
فَبَنَى إِلَهُ عَلَيْهِمْ مَخْصُوفَةً خَلَقَاءَ لَا تَبْلَى وَلَا تَتَأَوَّدُ⁽⁷⁾

(1) الطلح: القراد، وقيل القراد المهزول. والقراشيم: جمع قرشوم، كعصفور، وهو القراد الضخم، أو شجرة زعمت العرب أنها تنبت القردان، لأنها مأوى القردان. وانظر اللسان (طلح، قرشم).

(2) العِل، بالفتح: القراد المهزول: ويقال للضخم أيضاً. وفي الأصل: «على» صوابه في الديوان. والطوى: الجوع. كبالية السفن، يريد الحبة من الحنظل التي قد بليت فقد اسودت، فشبه القراد بها في قدرها، والسفع: السود. يصطعده: يصعده. ط، ش «كصالية» هـ: «كتالبة» صوابهما في ل والديوان. ط، هـ: «الشفع» تحريف. وفيما عدل بعده: «مع العلوتين تصطعده» محرف، أثبت صوابه من ل والديوان. لكن في ل: «علو» بدل: «العلو» وهو تحريف.

(3) المزلة: بكسر الزاي وفتحها: اسم موضع من زل يزل ويزل: إذا زلق. والمقيل: القيلولة، مصدر ميمي. أراد أن هذه النوق لمس الجلود لا يجد القراد فيهن موضعاً يثبت فيه لشدة املاسهن. ش: «ثبتت» هـ: «سنت» والأخيرة محرفة. ورواية البيت في سيبويه (247:2) والمخصص (9:55، 16، 122) واللسان (13:325): «نبتت». وفي أمالي المرتضى (6:2) «تبيت» وهذه محرفة. وفي ل فقط: «ما يستطيع».

(4) البرام، بضم الباء بعدها راء: القراد. فيما عدل: «ألزم» من اللزوم. وفي ط: «البوام»، وفي هـ، ش: «البوام» صوابه في ل والميداني (2:179) وأنشد:

فصَادَفَنَ ذَا قَتْرَةَ لاصِقًا لَصُوقِ الْبِرَامِ يَظُنُّ الظَّنُونَا

(5) فيما عدل: «ملاستها» تحريف.

(6) في اللسان: «التلاميذ: الخدم والأتباع، واحدهم تلميذ». ولم يذكره صاحب القاموس إلا في رسم (تلم). وذكره صاحب اللسان في الموضوعين. وفي المعرب 91: «التلام أعجمي معرب، قيل هم الصاغة، وقيل غلمان الصاغة، وقيل هم التلاميذ». وانظر رسالة التلميذ للبغدادي التي نشرتها في نوادر المخطوطات (1: 217-225) والقذفات: جمع قذفة بالضم، وهي النواحي والجوانب. فيما عدل: «تلامذ على قدمائها». محرف. ط، ش: «حسر قياماً» هـ: «خسرا» صوابهما في ل.

(7) مخصوفة: من قولهم خصف النعل يخصفها خصفاً: ظاهر بعضها على بعض وخرزها. وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف. عنى أنها ذات أطباق. خلقاء: ملساء. تتأود: تتثنى وتتزوج. فيما عدل: «مخصوفة خلقاً» محرفة. وفي ط، هـ: «فلا تبلى»، والوجه حذف الفاء كما في ل، ش.

فلو أنه تَحْدُو الْبُرَامَ بِمِثْنِهَا زَلَّ الْبُرَامُ عَنِ الَّتِي لَا تَقْرَدُ⁽¹⁾

(استطرد لغوي)

قال: الْقُرَادُ أَوَّلُ مَا يَكُونُ - وهو الذي لا يكاد يُرَى من صِغَرٍ⁽²⁾ - قَمَقَامَةٌ⁽³⁾، ثم يصير حَمَانَةً⁽⁴⁾، ثم يصير قَرَادًا، ثم يصير حَلْمَةً.

قال: ويقال الْقُرَاد: الْعَلَّ⁽⁵⁾، وَالطَّلَحُ، وَالْقَتِينُ⁽⁶⁾، وَالْبُرَامُ⁽⁷⁾، وَالْقِرْشَامُ.

قال: وَالْقَمْلُ [واحدتها] قَمْلَةٌ، وهي من جنس الْقِرْدَانِ، وهي أصغر منها.

(تخلق القراد القمل)

قال: وَالْقِرْدَانُ يَتَخَلَّقُ⁽⁸⁾ من عَرَقِ الْبَعِيرِ، ومن الْوَسَخِ والتَّلَطُّخِ بِالْثُلُوطِ⁽⁹⁾ والأبوال، كما يَتَخَلَّقُ⁽¹⁰⁾ [من جلد الكلب، وكما يَتَخَلَّقُ⁽¹¹⁾] الْقَمْلُ من عَرَقِ⁽¹²⁾ الإنسان ووسخه، إذا انطبق عليه ثوبٌ أو شعرٌ أو ريش. وَالْحَلَمُ يعرض لأذني الكلب⁽¹³⁾ أَكْثَرَ ذَلِكَ⁽¹⁴⁾.

(1) تحدو: تسوق. فيما عدل: «يحدو». والبرام، هي في ط، ش: «البوام» صوابه بالراء، كما سبق في التنبيه 4 ص 294، تقرد: يصيبها القراد، قرد يقرد من باب تعب. عنى أن السماء ملساء فهي لا يستطيعها القراد. فيما عدل: «لبنى وألفاها التي» تحريف.

(2) ل: «وهو لا يكاد أن يرى صغراً».

(3) القمقامة، بقافين مفتوحتين بينهما ميم ساكنة: واحدة القمقام، قيل هو القراد أول ما يكون صغيراً، لا يكاد يرى من صغره. ط، هـ: «فقام» ش: «مقامة» صوابهما في ل.

(4) الحمانة، بفتح الحاء بعدها ميم ساكنة ثم نونان بينهم ألف، جمعه حمانان، ومثله الحمئة، بالفتح، جمعها حمن. فيما عدل: «حمانة» تحريف.

(5) العل، بالفتح. وفيما عدل: «القمل» وهو بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة. وفي اللسان: «قال أبو عبيدة: القمل عند العرب الحمانان». وفيه أيضاً: «وقيل القمل دواب صغار من جنس القردان إلا أنه أصغر منها: واحدتها قملة، تركب البعير عند الهزال». لكن صواب النص ما أثبت من ل، فإن القمل سيتلو هذا قريباً.

(6) القتين، بفتح القاف وآخره نون، سمي بذلك لقلة دمه، أو لقلة طعمه، لأنه يقيم المدة الطويلة من الزمان لا يطعم شيئاً. فيما عدل: «القتير» تحريف.

(7) البرام، كغراب، سبق الحديث عنه في ص 294، فيما عدل: «البوام» تحريف.

(8) ل: «يخلق» بإهمال الحرف الأول. وفيما عدل: «يخلق» وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ.

(9) الثلوط: جمع ثلث، بالفتح، وهو الرقيق من الرجع والسلح. هـ: «بالبلوط» تحريف.

(10) ل: «يخلق» بإهمال الحرف الأول.

(11) في الأصل، وهو هنا ل: «يخلق» بإهمال الحرف الأول.

(12) فيما عدل: «درن». والدرن: الوسخ.

(13) ل: «لأذى الكلب»، والوجه ما أثبت من شائر النسخ.

(14) فيما عدل: «أكثر من ذلك».

(أمثال وأخبار في القراد)

قال: ويقال «أَقْطَفُ مِنْ حَلْمَةٍ»⁽¹⁾ و: «الزَّقُ مِنْ بُرَامٍ»⁽²⁾ و: «أَذُلُّ مِنْ قُرَادٍ». وقال الشاعر⁽³⁾:

يَكَادُ خَلِيلِي مِنْ تَقَارِبِ شَخْصِهِ يَعْضُ الْقُرَادُ بَاسْتِهِ وَهُوَ قَائِمٌ⁽⁴⁾
وقال أبو حنّس⁽⁵⁾ لقيس بن زهير: «والله لأنت بها أذلُّ من قُرَادٍ!»⁽⁶⁾، فقدّمه وضرب⁽⁷⁾ عُنُقَهُ.

وقال الراجز:

قِرْدَانُهُ فِي الْعَطَنِ الْحَوْلِيَّ⁽⁸⁾ بِيضٌ كَحَبِّ الْحَنْظَلِ الْمُقْلِي⁽⁹⁾
مِنَ الْخَلَاءِ وَمِنَ الْخُويِّ⁽¹⁰⁾
ويقال لحلمة الثدي: القراد. وقال [عدي] بن الرّقاع⁽¹¹⁾:

(1) أقطف: تفضيل من القطف، وهو تقارب الخطو وبطوّه.

(2) سبق هذا المثل في ص 294.

(3) هو الحزين الكناني يهجو كثيراً الشاعر. وللبيت قصة طريفة في الأغاني (8: 28-29). والبيت رواه أبو تمام في الحماسة (2: 421). والراغب في المحاضرات (2: 129).

(4) رواية الحماسة: «أظن خليلي»، والمحاضرات: «رأيت خليلي»، والأغاني: «قصير القميص فاحش عند بيته».

(5) أبو حنّس، هو عصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر، وكان من فرسان يوم الكلاب الأول، وهو قاتل شرحبيل بن الحارث. وأما قيس بن زهير بن جذيمة العبسي فهو صاحب داحس والغبراء. وترجمته في (4: 48). فيما عدل: «وأبو الحسن» صوابه في ل. وانظر النقائض 453-458 والمفضليات 212.

(6) يقال أيضاً: «أذل من قراد بمنسم»، كما في أمثال الميداني. قال الفرزدق:

هنالك لو تبغي كليباً وجدتها أذل من القردان تحت المناسم

(7) ل: «فضرب».

(8) العطن، بالتحريك: مبرك الإبل حول الحوض. الحولي: الذي أتى عليه الحول. فيما عدل: «الحول».

(9) بيض: جمع أبيض وبيضاء. ط: «بيض» تحريف. ط: «عب الحنظل» ش، ه: «يحب الحنظل» صوابهما في ل. وفيما عدل: «المقل» تحريف.

(10) الخوى، بضم الخاء وكسر الواو: الخلاء. فيما عدل: «من الخلاء ومن الحول». محرف.

(11) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرّقاع العاملي. ونسبه الناس إلى «الرّقاع» وهو جد جده لشهرته. وكان شاعراً مقدماً عند بني أمية، خاصاً بالوليد بن عبد الملك. وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الإسلام. وكان منزله بدمشق، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم. وقد تعرض لجريير وناقضه في مجلس الوليد. الأغاني (8: 172-177) وابن سلام 324 والمؤتلف 116 والمرزباني 253.

كَأَنَّ قُرَادِي صَدْرِهِ طَبَعَتْهُمَا بَطِينٍ مِنَ الْجَوْلَانِ كِتَابٌ أَعْجَمُ⁽¹⁾
وَالْقُرَادُ يَعْرِضُ لِاسْتِ الْجَمَلِ، وَالنَّمْلُ⁽²⁾ يَعْرِضُ لِلْخُصْيِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ⁽³⁾:
وَأَنْتَ مَكَائِكَ مِنْ وَائِلٍ مَكَانَ الْقُرَادِ مِنْ اسْتِ الْجَمَلِ⁽⁴⁾
وقال الممَزَّقُ:
وَتَنَاحُ طَلِيحاً مَا تُرَاعُ مِنَ الشَّدَا وَلَوْ ظَلَّ فِي أَوْصَالِهَا الْعَلُّ يَرْتَقِي⁽⁵⁾
[ويروى: «فَبَاتَتْ ثَلَاثًا لَا تُرَاعُ»]. يصف شدة جزعها من القردان⁽⁶⁾. وقال بَشَّارُ بْنُ
بُرْدٍ:

أُعَادِي الْهَمِّ مَنْفَرْدًا بِشَوْقٍ عَلَى كَبِدِي كَمَا لَزَقَ الْقُرَادُ⁽⁷⁾
وكانوا إذا خافوا الجَدْبَ والأزمة تقدموا في عمل العِلْهِز. والعِلْهِز: قِرْدَانٌ يُعَالِجُ⁽⁸⁾ بدم

(1) البيت لعدي يمدح به عمر بن هبيرة. وروى أيضاً لملحة الجرمي، كما في اللسان (4: 348) والمعرب 105 والحماسة (2: 351-352) من أبيات خمسة، وأشدّه في الاقتضاب 97 مسبوقة بكلمة: «وقال الجرمي». وهو بدون نسبة في المخصص (2: 148). وضمير: «صدره» عائد إلى الرجل الذي يمدحه. وروى في جميع المصادر التي أسلفت: «زوره». والزور، بالفتح: الصدر. والجولان، بالفتح: جبل من نواحي دمشق. قال التبريزي: «وطين الجولان إلى السواد». وروى صاحب الاقتضاب أن الجولان اسم للطين الذي يطبع به. قال: «ويقال للطين الذي يطبع به: ختام وجرجس وجولان». ش: «الحولان» تحريف. وخص كتاب العجم لأنهم كانوا أهل دواوين وكتابة. وفي اللسان: «أشدّ الأزهرى هذا البيت، ونسبه لابن ميادة يمدح بعض الخلفاء، وقال في آخره: كتاب أعجماً». ومبلغ الظن أنهما بيتان متشابهان.

(2) فيما عدل: «والقمل» بالقاف، تحريف. وعند الميداني (2: 180) «والقردا يعرض لاست الجمل فيلزم بها كما يلزم النمل بالخصي».

(3) هو الأخطل من قصيدة له يهجو فيها كعب بن جعيل. انظر ديوانه 335 وتنبهات البكري 119 والخزانة (1: 220 بولاق) والشعراء 151 والاشتقاق 203، وقبل البيت:

وسميت كعباً بشراً العظام وكان أبوك يسمى الجمل

(4) فيما عدل «رأيت» وأثبت ما في ل والخزانة والتنبهات. ورواية ابن قتيبة: «وكان محلك من وائل محل». وابن دريد: «وإن محلك من وائل محل».

(5) الطليح: المعيبة الحسيرة. والشذا: ذباب أزرق عظيم يقع على الدواب فيؤذيها، الواحدة شذاة. والأوصال: المفاصل والأعضاء، جمع وصل ووصل. والعل، بفتح العين: القرد الضخم، أو المهزول. وفي الأصل: «القمل» صوابه في الأصمعيات 47، وانظر تعقيب الجاحظ. ط: «تناحي طليحي» ش، هـ: «تناح طليحي» صوابهما في ل والأصمعيات. فيما عدل: «ما تراح»، و«في أوطانها»، صوابها في ل والأصمعيات.

(6) «شدة جزعها» كذا جاءت في الأصل. والذي يفهم من البيت هو صبرها وعدم جزعها. فيما عدل: «من القردان».

(7) ط، هـ: «أعاد» ل: «كما لصق». ولزق ولصق ولسق بمعنى.

(8) ط فقط: «تعالج». وفي اللسان: «العِلْهِز وير يخلط بدماء الحلم كانت العرب في الجاهلية تأكله. وفي دعاء الرسول ﷺ على مضر: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف!». فابتلوا بالجوع حتى أكلوا العِلْهِز. قال ابن الأثير: هو شيء يتخذونه في سنى المجاعة، يخلطون الدم بأوبار الإبل، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه. قال: وقيل كانوا يخلطون فيه القردان.

الْفَصْدُ مع شيء من وَبَر. فيدْخرون ذلك كما يدْخُرُ مَنْ خاف الحصار (1) الأكارع (2) والجاورس (3).

والشُعوبِيَّةُ تهجو العربَ بأكل (4) العِلْهَز، والْفَتْ (5)، والدُّعاع (6)، والهييد (7)، والمغافير (8)، وأشباه ذلك. وقال حسانُ بنُ ثابتٍ (9):

لَمْ يُعَلَّلْنَ بِالْمَغَافِيرِ وَالصَّمِّ غِ وَلَا شَرِي حَنْظَلِ الْخُطْبَانِ (10)
وقال الطَّرِمَّاح:

لَمْ تَأْكُلِ الْفَتْ وَالِدُعَاعَ وَلَمْ تَنْقِفْ هَبِيداً يَجْنِيهِ مُهْتَبِدُهُ (11)
وقال الأَصْمَعِيُّ: قال رجلٌ من أهل المدينة (12) لرجل: أيسُرُكَ أن تعيشَ حتى تجيء

(1) ط، هـ: «كما يدخرون حافر الحمار» وهو تحريف فكه عجيب. وفي ش: «كما يدخر من خافر الحمار» وهو أعجب. صوابهما في ل.

(2) الأكارع: جمع كراع، وهو مستدق الساق. فيما عدل: «والأكراع».

(3) الجاورس، يفتح الواو وسكون الراء: حب الدخن بالضم، وهو الذرة الدقيقة التي تسميها العامة في مصر: «الذرة العويجة» بضم العين وكسر الواو. وهو بالفارسية: «گورس» أو «گورسه» استينجاس 1023.

(4) فيما عدل: «يأكل» تحريف.

(5) الفَتْ، بفتح الفاء وآخره ثاء مثلية: حب يشبه الجاورس يختبئ ويؤكل. فيما عدل: «العب» محرفة.

(6) الدُّعاع: بالضم حب أسود يأكله فقراء البادية إذا أجذبوا. فيما عدل: «الزراع» تحريف.

(7) الهييد، يفتح الهاء وكسر الباء: حب الحنظل. كانوا يستخرجونه وينفقونه لتذهب مرارته، ويتخذ منه طيخ يؤكل عند الضرورة.

(8) المغافير: صمغ العرطف والرمث، حلو يؤكل. فيما عدل: «البرير»، والبرير: ثمر الأراك، له عجمة صغيرة صلبة أكبر من الحمص قليلاً، وعنقوده يملأ الكف. وفي الحديث: «مالنا طعام إلا البرير».

(9) البيت من قصيدة له في ديوانه 414-415 يمدح بها جيلة بن الأيهم. وقبله:

قد دنا الفصح فالولائد ينظم
من سراعاً أكله المرجان

يجتنين الجادي في نقب الري
ط عليها مجاسد الكتان.

وانظر الأغاني (6: 14) والعقد (190: 1) والأزمئة (303: 2).

(10) المغافير: جمع مغفور، وقد سبق شرحه. ل: «بالمغافير» تصحيف. وعلله بطعام: شغله به ليجزأ به عن غيره.

والشرى، بالفتح: الحنظل، أو شجره، أو ورقه. والخطبان، بالضم، وقد يكسر: الحنظل يصفر وتصير فيه خطوط

خضر فيما عدل: «الحطبان» تحريف. ورواية البيت على هذا النحو توافق رواية المرزوقي في الأزمئة. وفي الديوان

والأغاني والعقد: «ولا نقف حنظل الشريان». ونقف الحنظل: استخراج حبه. والشريان، بالكسر والفتح: موضع

بعينه، أو وادٍ. يقول: هن أهل حاضرة ونعمة، لسن كالبديوات في خشونة عيشهن، ورداءة طعمهن.

(11) البيت في صفة امرأة ينعتها أنها ليست من أهل البادية. الفَتْ والدُّعاع قد فسرا فيما سبق. فيما عدل: «القت

والرعا» تحريف. والهييد: الحنظل أو حبه. والنقف: استخراج حبه. والمهتبد: الذي يأخذه من شجرته. فيما

عدل: «بجنب» موضع «يجنيه» تحريف. ط: «مهتبد»، صوابه في سائر النسخ والديوان ص 116 واللسان

(2: 481)، وهو في الأزمئة للمرزوقي (303: 2) محرفاً. وقبله في الديوان:

فيهم لنا خلة نواصلها
في غير أسباب نائل تعده

إلا حديثاً رسلاً يضلل بالـ
عزها والمستنيع فيه دده

(12) فيما عدل: «البادية» تحريف.

حَلَمَةٌ^(١) من إفريقية مشياً؟ قال: فَأَنْتَ يَسْرُكُ ذَلِكَ؟ قال: أَخَافُ أَنْ يَقُولَ إِنْسَانٌ: إِنَّهَا بِمَخِيضٍ^(٢)، فَيُعْشَى عَلَيَّ!

ومخيض^(٣) على رأسٍ يريد من المدينة^(٤).

[ويقولون: أُمُّ الْقَرَادِ، للواحدة الكبيرة منها. ويتسمون بقَرَادٍ، ويكتنون بأبي قراد. وقد ذكر ذلك أبو النجم فقال:

لِلأَرْضِ مِنْ أُمِّ الْقَرَادِ الْأَطْحَلِ^(٥)

وفي العرب بنو قُرَاد^(٦)].

باب في الحبارى

ونقول في الحبارى يقول مُوجِزٌ، إن شاء الله تعالى.

قال ابن الأعرابي: قال أعرابي: «إنه ليقتل الحُبارى هَزْلاً^(٧) ظلمُ الناس بعضهم لبعض!». [قال] يقول: إذا كثرت الخطايا منع الله عز وجل دَرَّ السَّحَابِ. وإنما تصيب الطير من الحبِّ ومن الثمر^(٨) عَلَى قَدَرِ المطر.

وقال الشاعر^(٩):

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْحَبُّ بُّ وَتُعْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ^(١٠)

وهذا مثل قوله^(١١):

- (١) الحلمة: واحدة الحلم، وهي القردة الصغيرة. وهذه الكلمة ساقطة من ط.
- (٢) مخيض، على لفظ المخيض من اللبن، فسرّها الجاحظ وعينها. وانظر ياقوت وابن هشام 718 جوتنجن. ل:
- «هي» بدل: «إنها». ط «مخيص» ش، هـ: «مختص» صوابها في ل.
- (٣) ط: «مخيص» ش: «محبض» هـ: «مختص» صوابها في ل. وانظر التنبيه السابق.
- (٤) البريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال. والميل أربع آلاف ذراع. وكلمة: «رأس» ليست في ل.
- (٥) الطحلة: لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الماد.
- (٦) قراد، وردت في ل مضبوطة بالضم.
- (٧) الهزل، بالفتح ويضم: الهزال، وفي ش، هـ: «إنه ليقتل الحبارى هؤلاء ظلماً بظلم». وفي البيان (3: 161): «جوعاً».
- (٨) فيما عدا ل: «التمر» بالمشنة، محرف. وكلمة: من الأخيرة ليست في ل. وفي ل أيضاً: «يصيب» بالياء.
- (٩) هو بشار، من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم. وقبل البيت كما في الأغاني (3: 43):

إِنَّمَا لَذَةُ الْجَوَادِ ابْنُ سَلَمٍ فِي عَطَاءٍ وَمَرْكَبٍ لِلْعَطَاءِ
لَيْسَ يَعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْفِ وَلَكِنْ يَلْذُ طَعْمُ الْعَطَاءِ

(١٠) مثل هذه الرواية في البيان (1: 178)، وفي ش، هـ: «ويغشى» بالياء.

(١١) في البيان (1: 177): «وقال التميمي».

أَمَّا رَأَيْتَ الْأَلْسُنَ السَّلَاطَا⁽¹⁾ وَالْأُذْرَعَ الْوَاسِعَةَ السَّبَاطَا⁽²⁾
إِنْ النَّدَى حَيْثُ تَرَى الضَّغَاطَا⁽³⁾

(ما قيل من المثل في الجباري)

وقالوا في المثل: «مات فلان كَمَدَ الحُبَارَى⁽⁴⁾». [وقال أبو الأسود الدَّيْلِي:
وَزَيْدٌ مَيِّتٌ كَمَدَ الحُبَارَى إذا ظَعَنْتْ هُنَيْدَةً أَوْ تَلَمَّ⁽⁵⁾
ويروى: «ملَمَّ» وهو اسم امرأة⁽⁶⁾. وذلك أَنَّ الطيرَ تَحْسَرُ⁽⁷⁾ وتَحْسِرُ معها الحُبَارَى.
والحُبَارَى] إذا نُفِثَتْ أَوْ تَحْسَرَتْ أَبْطَأَ نَبَاتُ رِيشِهَا، فإذا طَارَ صُوبَ حَبَاتِهَا⁽⁸⁾ ماتت كَمَدًا.
وأما قوله: «أَوْ تَلَمَّ» يقول: [أَوْ] تَقَارِبُ أَنْ تَطْعَنَ⁽⁹⁾.
وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «كُلُّ [شيء] يَحِبُّ وَلَدَهُ حَتَّى الحُبَارَى⁽¹⁰⁾!».
يَضْرِبُ بِهَا المِثْلَ فِي المَوْقِ⁽¹¹⁾.

(سلاح الجباري وغيرها من الحيوان)

قال: وللحُبَارَى خِزَانَةٌ بَيْنَ دُبُرِهِ وَأَمْعَائِهِ، لَهُ فِيهَا أَبَدًا سَلْحٌ رَقِيقٌ [لِزَجٍ⁽¹²⁾]
فَمَتَى أَلَحَّ عَلَيْهَا الصَّقْرُ - وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ سُلَاحَهَا مِنْ أَجُودِ سِلَاحِهَا⁽¹³⁾، وَأَنَّهَا إِذَا
ذَرَقَتْهُ⁽¹⁴⁾ بَقِيَ كَالْمَكْتُوفِ، أَوْ الْمَدْبُوقِ⁽¹⁵⁾ [الْمَقِيدِ] - فَعِنْدَ ذَلِكَ تَجْتَمِعُ الحُبَارِيَّاتُ عَلَى

- (1) السلاط: جمع سليل، وهو الفصيح الحديد. وفي الأصل: «الماط»، ولم أجد له وجهًا. وأثبت ما في البيان.
- (2) السبط: الممتد المستوي. ويقال رجل سبط اليدين: سخي سمح. وفي ل: «والأذرع الطوال والسياط» وبدله في البيان: «والجاء والإقدام والنشاط».
- (3) الندي: الكرم. والضغاط، بالكسر: الزحام. وهو من القلب، أراد: إن الزحام حيث ترى الكرم. وهذا البيت رواه الجاحظ في البخلاء 203.
- (4) ش: «بجمر الجباري». وانظر الميداني (2: 105) وثمار القلوب (383).
- (5) الشعر قصة طريفة في الأغاني (11: 117) وفيه: «هلكت لطيفة» وذكر أنها مولاة لأبي الأسود. والبيت محرف في اللسان (حبر) وجمهرة الأمثال للعسكري 133.
- (6) الصواب أنه اسم عبد تاجر كان لمولاة أبي الأسود، وكانت قد ابتاعت للعبد أمة فأنكحته إياها. فجاءت بغلام سمته زيداً. وانظر المقاييس (حبر) ومحاضرات الراغب (2: 301).
- (7) تتحسر وتتحسر: تخرج من الريش العتيق إلى الحديث.
- (8) فيما عدل: «صواحباتها».
- (9) تطعن: ترحل. وفيما عدل: «يقارب أن يطعن» محرف.
- (10) انظر الجزء الأول ص 148.
- (11) الموق، بالضم، الحرق في غباوة.
- (12) الزيادة من ل ونهاية الأرب (10: 215).
- (13) السلاح، بالضم: النجو، وبالكسر: ما يدافع به. ط فقط: «فإن سلاحه» تحريف. وبعد ذلك في ط، ه: «أجود من سلاحها»، وأثبت ما في ل، ش.
- (14) فيما عدل: «وأنه إذا ذرقه به»، تحريف.
- (15) المدبق: الذي ألزق بالديق. والدبق، بالكسر: حمل شجر في جوفه كالغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به. دبق الطير ودبقه. فيما عدل: «المربوق» وهو المشدود في الرقبة، وهو خيط يثنى حلقة ثم يجعل رأس الشاة فيه ثم يشد.

الصقر فينتفن ريشه كله طاقةً طاقةً⁽¹⁾ وفي ذلك هلاكُ الصقر .
 قال : وإنما الحُبَارَى في سلاحِها كالطَّرَابِيّ في فُسائِها ، وكالثعلب في سُلَاحِه⁽²⁾ ،
 وكالعقرب في إبرتها ، والزنبور في شعرته⁽³⁾ ، والثور في قرنه⁽⁴⁾ ، والدِّيك في صِيصِيته⁽⁵⁾ ،
 والأفعى في نابها ، [والعقَاب في كفِّها] ، والتمساح في ذنبه .
 وكلُّ شيء معه سلاحٌ فهو أعلم بمكانه . وإذا عدم السلاح كان أبصر بوجوه الهرب⁽⁶⁾ ؛
 كالأرنب في إيثارها للصَّعداء⁽⁷⁾ ؛ لقصر يديها ، وكاستعمال الأرنب للتبوير⁽⁸⁾ والوطء على
 الزَّمعات⁽⁹⁾ ، واتخاذ اليرابيع القاصعاء والثَّافقاء ، والدَّامَاء ، والراهطاء⁽¹⁰⁾ .

(شعر في الحبارى)

وقال الشاعر⁽¹¹⁾ :

وهم تركوك أسلَحَ مِنْ حُبَارَى رأَت صقراً وأشردَ مِنْ نَعَامٍ⁽¹²⁾
 يريد : نعامة⁽¹³⁾ . وقال قيسُ بن زهير⁽¹⁴⁾ :
 متى تتحرَّم بالمناطق ظالماً لتجري إلى شأوٍ بعيد وتسبح⁽¹⁵⁾

- (1) الطاقة : شعبة من ربحان أو شعر ، أو قوة من الخيط أو نحو ذلك . وفيما عدل : «كافة» وبدون تكرير ، تحريف ، صوابه في ل و ثمار القلوب 383 .
- (2) السلاح بالضم : النجو . فيما عدل : «بوله» تحريف . وفي مباهج الفكر (الورقة 68 من المخطوطة رقم 324 طبيعيات) : «وهو من الحيوان الذي سلاحه سلاحه . وهو أنتن من سلاح الحبارى» . وسبق أيضاً في الجزء الأول من الحيوان ص 52 : «ومنه ما يكون سلاحه السلاح كالحبارى والثعلب» . وانظر التنبيه 13 من الصفحة السابقة .
- (3) فيما عدل : «شعرتها» تحريف . والزنبور مذكر . (4) فيما عدل : «قرنيه» .
- (5) صيصية الديك : الشوكة التي في رجله فيما عدل : «صنصئه» محرف .
- (6) فيما عدل : «وإذا عدم سلاحه صار يهرب بوجوه الهرب» .
- (7) ط ، ش : «وكالأرنب» بإقحام الواو . والصعداء ، بالفتح : من قولهم أكمة صعود وذات صعود يشدد صعودها على الراقي فيما عدل : «الصعداء» ، وفي مباهج الفكر : «وليس شيء قصير اليدين أسرع منها حضراً . ولقصيرهما يخف عليهما الصعود والتوقل» . الورقة 94 من مخطوطة دار الكتب رقم 324 .
- (8) التبوير : الوطء على مآخير كفها . فيما عدل : «النوبين» محرف . وانظر ص 188 .
- (9) الزمعات : جمع زمعة ، بالتحريك ، وهي الشعرة المدلاة في مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب .
- (10) فيما عدل : «والراهطاء والدماء» . وانظر ما سبق ص 187 .
- (11) هو أوس بن غلفاء الهجيمي يخاطب يزيد بن الصعق الكلابي . انظر المفضلية رقم 118 نم طبع المعارف ، وابن سلام 63 والكامل 275 .
- (12) فيما عدل : «وهم تركوك أشرد من نعام» . وهي أيضاً رواية ابن سلام ، وما أثبت من ل يوافق رواية الضبي والمبرد . وعند الميداني (1 : 354) : «وهم تركوك أشرد من ظليم» ولا تصح أن تكون رواية في البيت ، لاختلاف الردف ، فإن ردف القصيدة الألف ، ولا يجوز الإرداف بالألف مع الإرداف بسواها من واو أو ياء فلعله بيت آخر .
- (13) الكلمتان ليستا في ل .
- (14) قيس بن زهير شاعر جاهلي ، وهو صاحب داحس . المؤتلف 168-169 والمرزباني 322 ، وفي ل : «وقال زهير» . والبيتان ليسا في ديوانه .
- (15) المناطق : جمع منطقة ، وهي ما يشد به الوسط . والشأو : الغاية والأمد . يسبح : يسرع في جريه . ورواية البيت محرفة فيما عدل :

تَكُنْ كَالْحُبَارَى إِنْ أَصِيبَتْ فَمِثْلُهَا أُصِيبَ وَإِنْ تَفَلَّتْ مِنَ الصَّقَرِ تَسْلَحْ⁽¹⁾
 وقال ابن أبي فَنَنْ⁽²⁾، يَصِفُ نَاسًا مِنَ الْكُتَّابِ، فِي قَصِيدَةٍ [لَهُ] ذَكَرَ فِيهَا خِيَانَتَهُمْ، فَقَالَ:
 رَأَوْا مَالَ الْإِمَامِ لَهُمْ حَلَالًا وَقَالُوا الدِّينُ دِينُ بَنِي صَهَارَى⁽³⁾
 وَلَوْ كَانُوا يَحَاسِبُهُمْ أَمِينٌ لَقَدْ سَلَحُوا كَمَا سَلَحَ الْحُبَارَى⁽⁴⁾

(الخرَب والنهار)

والخرَب⁽⁵⁾: ذَكَرَ الْحُبَارَى. وَالنَّهَارُ: فَرْخُ الْحُبَارَى⁽⁶⁾. وَفَرَحَهَا حَارِضٌ⁽⁷⁾ سَاقِطٌ لَا خَيْرَ فِيهِ. وَقَالَ مَتَمُّ بْنُ نُورِيَّةَ⁽⁸⁾:
 وَضَيْفٌ إِذَا أَرغَى طَرَوْقًا بَعِيرَهُ وَعَانَ ثَوَى فِي الْقَدِّ حَتَّى تَكْتَعَا⁽⁹⁾
 وَأَرْمَلَةٌ تَمْشِي بِأَشْعَثِ مُحْتَلٍّ كَفَرَّخُ الْحُبَارَى رَأْسُهُ قَدْ تَصَوَّعَا⁽¹⁰⁾
 [وَقَالَ أَعْرَابِي:]

أَحِبُّ أَنْ أَصْطَادَ ضَبًّا سَحْبَلًا⁽¹¹⁾ وَخَرَبًا يَرعى رُبَيْعًا، أَرْمَلًا⁽¹²⁾

- مَتَى يَتَحَرَّكُ لِلْمَنَاطِقِ ظَالِمًا وَيَجْرِي إِلَى شَأْوٍ بَعِيدٍ وَمَسْمُوحٍ
- (1) فِيمَا عَدَا لَ: «يَكُنْ» وَالْوَجْهَ الْخَطَابُ، إِلَّا إِنْ أُرِيدَ الْإِلْتِفَاتُ. وَفِيمَا عَدَا لَ: سَفَانٌ تَفَلَّتْ مِنَ الصَّقَرِ.
 - (2) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي فَنَنْ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ. وَأَبُو فَنَنْ كُنْيَةُ أَبِيهِ، وَاسْمُ أَبِيهِ صَالِحُ بْنُ سَعِيدٍ كَمَا فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ (تَرْجُمَةُ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ). وَقَدْ مَدَحَ يَزِيدُ هَذَا، كَمَا مَدَحَ أَبَا دَلْفٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَيْسَى. وَانْظُرْ طَرَفًا مِنْ خَبْرِهِ فِي الْأَغَانِي (3: 173). فِيمَا عَدَا لَ: «وَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ».
 - (3) صَهَارَى، كَذَا وَرَدَتْ مَضْبُوطَةً بِالْفَتْحِ فِي ل. وَفِيمَا عَدَا لَ: «فَقَالُوا الدِّينُ» بِالْفَاءِ.
 - (4) فِيمَا عَدَا لَ: «وَلَوْ حَتَّى يَحَاسِبَهُمْ أَمِيرٌ»، تَحْرِيفٌ.
 - (5) الْخَرَبُ، بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةُ وَالتَّحْرِيكُ. فِيمَا عَدَا لَ: «الْحَرْبُ»، تَصْحِيفٌ.
 - (6) وَمِنْ شَعْرِ الْمَعَايَا فِيمَا أَنْشَدَهُ الْحَرِيرِيُّ، وَرَوَاهُ غَلَامٌ ثَعْلَبٌ فِي كِتَابِ الْمَدَاخِلِ:
 - (7) أَكَلْتُ النَّهَارَ بِنِصْفِ النَّهَارِ وَلَيْلًا أَكَلْتُ بَلِيلَ بَهِيمِ الْحَارِضِ، بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ: الضَّعِيفُ الْبَنِيَّةُ. فِيمَا عَدَا لَ: «حَارَفٌ» مُحَرَفٌ.
 - (8) يَرِثِي أَخَاهُ مَالِكُ بْنُ نُورِيَّةَ. مِنَ الْمَفْضَلِيَّةِ 67 طَبْعُ الْمَعَارِفِ.
 - (9) طَرَوْقًا، بِالضَّمِّ: لَيْلًا. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: «إِذَا ضَلَّ الرَّجُلُ أَرغَى بَعِيرَهُ: أَيَّ حَمَلَهُ عَلَى الرِّغَاءِ، لَتَجْبِيَهُ الْإِبِلُ بِرِغَائِهَا، أَوْ تَنْبَحَ لِرِغَائِهَا الْكِلَابُ فَيَقْصِدُ الْحَيَّ». وَالْعَانِي: الْأَسِيرُ. ثَوَى: أَقَامَ. الْقَدُّ: السِّيرُ مِنَ الْجِلْدِ، عَنِ الْقَيْدِ. تَكْنَعُ: تَقْبِضُ، أَرَادَ حَتَّى يَسِسَ الْقَيْدَ عَلَى جِلْدِهِ. فِيمَا عَدَا لَ: «إِذَا نَادَى». لَ: «إِذَا أَرغَى» صَوَابُهُ مِنَ الْمَفْضَلِيَّاتِ. شَ، طَ: «بَقْرَةٌ» هـ: «بَقْفَرَةٌ» صَوَابُهُمَا فِي لَ وَالْمَفْضَلِيَّاتِ. لَ: «تَوَافَى الْقَدُّ» وَفِيمَا عَدَا لَ: «نَعَاهُ الْقَدُّ» صَوَابُهُمَا فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ. وَفِيمَا عَدَا لَ: «تَكْنَعَا» بَتَاءً قَبْلَ الْعَيْنِ، صَوَابُهُ فِي لَ وَالْمَفْضَلِيَّاتِ.
 - (10) الْأَرْمَلَةُ: الَّتِي مَاتَ زَوْجُهَا. الْأَشْعَثُ: الْمَتَلَبِّدُ الشَّعْرَ، عَنِ وَلَدِهَا، الْمُحْتَلِّ، بِفَتْحِ الثَّاءِ: الَّذِي أَسَاءَ غِذَاؤَهُ. تَصَوَّعَ: تَقْبِضُ وَتَشْتَقُّ. فِيمَا عَدَا لَ: «رِيشُهُ قَدْ تَصَدَّعَا» وَأُثْبِتَ مَا فِي لَ. وَفِي الْمَفْضَلِيَّاتِ: «رَأْسُهُ قَدْ تَصَوَّعَا»، بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ.
 - (11) السَّحْبَلُ: الضَّخْمُ.
 - (12) أَرْمَلٌ، مِنَ الرَّمْلَةِ، بِالضَّمِّ، وَأَصْلُهَا الْخَطُّ الْأَسْوَدُ فِي الثَّوْرِ وَالْغَزَالِ وَنَحْوَهُمَا، أَرَادَ بِهِ طَرَائِقَ الرِّيشِ. وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ فِي اللِّسَانِ (13: 316، 353): «رعى الرَّبِيعَ وَالشِّتَاءَ أَرْمَلًا». وَقَدْ فُسِّرَ الْأَرْمَلُ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ بِأَنَّهُ الَّذِي لَا أُنْثَى لَهُ، لِيَكُونَ سَمِينًا.

فجعل الحَرْبَ أَرْمَلً ، لأن ريشه يكون أكثر . وقد ذكرنا ما في هذا الباب فيما قد سلف من كتابنا⁽¹⁾ .

(خبر فيه ذكر الحباري)

وقال أبو الحسن المدائني : قال سعيد النواء⁽²⁾ : قَدِمْتُ المدينةَ فَلَقِيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ، فقلت : يا ابنَ رسولِ الله ، متى يُبْعَثُ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالب؟ قال : إذا بَعَثَ الناسُ . قال : ثم تذاكرنا أَيَّامَ الجَمَلِ فقال : لَيْتَهُ كَانَ مَمْنُوعاً قَبْلَ ذَلِكَ بِعَشْرِينَ سَنَةً⁽³⁾ - أو كلمة غير هذه - قال : فَأَتَيْتُ حَسَنَ بْنَ حَسَنِ⁽⁴⁾ ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا قَالَ ، فَقَالَ : لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ كَانَ يُقَاتِلُهُمْ إِلَى الْيَوْمِ!

قال : فَخَرَجْتُ مِنْ فَوْرِي ذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَقَلِيلُ الْإِبْقَاءِ عَلَى أَبِيهِ .

قال : وَبَلَغَ الْخَبْرُ الْمُخْتَارَ فَقَالَ : أَيُضَرِّبُ⁽⁵⁾ بَيْنَ ابْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! لَا قَتْلَئِهِ! فَتَوَارَيْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ لَمْ أَشْعُرْ⁽⁶⁾ إِلَّا وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَنِي مِنْكَ! [قال] فقلت : أَنْتَ اسْتَمَكَنْتَ مِنِّي؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا رُؤْيَا رَأَيْتَهَا لَمَّا قَدَّرْتَ عَلَيَّ! قَالَ : وَمَا رَأَيْتُ؟ فَقُلْتُ : رَأَيْتُ عَثْمَانَ بْنَ عَفَانَ⁽⁷⁾ فَقُلْتُ : أَنْتَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ؟ فَقَالَ : أَنَا حُبَارِي ، تَرَكْتُ أَصْحَابِي حَيَّارِي ، لَا يَهُودَ وَلَا نَصَارِي!

فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ انظُرُوا إِلَى مَا أَرَى اللَّهُ عُدُوكُمْ! ثُمَّ خَلَّى سَبِيلِي .

[وقد رَوَى هَذَا الْكَلَامُ عَنْ شُتَيْرِ بْنِ شَكَلٍ⁽⁸⁾ ، أَنَّهُ رَأَى مُعَاوِيَةَ فِي النَّوْمِ فَقَالَ الْكَلَامَ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ عَثْمَانَ.]

- (1) لم أهتم إلى الموضوع الذي يشير إليه الجاحظ . ولعله مما سقط من الكتاب .
- (2) النواء ، هذه النسبة إلى بيع النواة . وجرى عادة أهل المدينة أنهم يبيعون النواة ويعلفون بها . انظر أنساب السمعاني 569 ، وفي التاج : النواء كشداد : من يبيع نوى التمر . واشتهر به جماعة من المحدثين . فيما عدال : «النوا» بطرح الهمزة .
- (3) ط : «ممنوعاً» بالتاء ، ولا وجه له . وفي ل : «بعشر سنين» . أراد : لَيْتَهُ كَانَ عاجزاً عن هذه المغامرات .
- (4) هو حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب . وفيه وفي أخيه زيد ينحصر عقب والدهما الحسن بن علي . ط ، ش :
- (5) «حسن بن حسين» تحريف . وانظر التنبيه والإشراف 258 والمعارف 92-93 .
- (6) يضرب ، من التضريب ، وهو التحريض . انظر اللسان (2 : 39 س 10) .
- (7) ل : «ثم لم يشعر» .
- (8) ل : «قلت رأيت عثمان» مع حذف «ابن عفان» في هذا الموضع وتاليه .
- (9) شتير ، بهيئة التصغير أوله شين وتاء وشكل بالتحريك . وهو محدث تابعي ، وذكر بعضهم أنه أدرك النبي ﷺ ، وفي الإصابة : «وهو وأبوه لا نظير لهما في الأسماء» . لكن ذكر صاحب القاموس «شتير بن نهار» من التابعين أيضاً . ولشتير رواية عن ابن مسعود وحذيفة وعلي وغيرهم . وكنيته أبو عيسى ، وروى عنه الشعبي وأبو الضحى وبلال بن يحيى وغيرهم . ومات في ولاية الزبير أو مصعب بن الزبير . انظر القاموس (شتر ، شكل) والإصابة 3947 ، وأما والده «شكل» فهو ابن حميد العبسي ، صحابي ممن نزل الكوفة . انظر الإصابة 3912 ، وفي الأصل : «وهو هنا ل : «شنير» بن شكل» تحريف .

ووجهُ كلام عليّ بن الحسين الذي رواه عنه سعيدُ النواء⁽¹⁾، إن كان صادقاً فإنه للذي كان يسمعُ من الغالية⁽²⁾، من الإفراط والغلوِّ والفُحش. فكأنه⁽³⁾ إنما أراد كسرهم، وأن يحطّهم عن الغلوِّ إلى القصد⁽⁴⁾؛ فإن دين الله عز وجل بين التقصير⁽⁵⁾ [والغلو]؛ وإلا فعليّ بن الحسين أفقه في الدين، وأعلمُ بمواضع الإمامة، من أن يخفى عليه [فضل⁽⁶⁾] ما بين عليّ و[بين] طلحة والزبير.

(شعر ومعرفة في الحباري)

وقال الكميت:

وعيدَ الحُبَارَى من بعيد تنفّشتْ لأزرقَ مغلُولِ الأظافيرِ بالخَضْبِ⁽⁷⁾

والحبارى طائرٌ حسن. وقد يتخذُ في الدور.

وناسٌ كثيرٌ من العرب وقریش يستطيعون محسّي⁽⁸⁾ الحُبَارَى جداً.

قال: والحُبَارَى [من⁽⁹⁾] أشدَّ الطير طيراناً، وأبعدها مسقطاً⁽¹⁰⁾، وأطولها شوطاً، وأقلّها عُرْجة⁽¹¹⁾. وذلك أنها تُصطاد⁽¹²⁾ بظهر البصرة عندنا، فيشقّق⁽¹³⁾ عن حواصلها، فيوجد فيه الحبة الخضراء⁽¹⁴⁾ غضة، لم تتغير ولم تفسد.

(1) انظر التنبيه 2 من الصفحة السابقة. فيما عدل: «النوا».

(2) الغالية والغلاة: الذي يغلون ويبالغون في شأن علي وآله.

(3) ل: «وكأنه».

(4) القصد: الاعتدال. والغلو: تجاوز الحد. ط: «العلو» تحريف.

(5) ط، هـ: «القصد» ش: «التقصّد» صوابهما ما أثبت من ل.

(6) الفضل، بالمعجمة: الزيادة. وهذا الإكمال من ل، ش.

(7) وعيد الحبارى، يضرب مثلاً للضعيف يتوعد القوي، ومن أمثال العرب: «وعيد الحبارى الصقر». انظر شمار القلوب 382 والميداني (2: 289). وذلك أن الحبارى تقف الصقر وتحاربه ولا سلاح لها، وربما ذرقت. تنفشت: نفشت ريشها. فيما عدل: «تنفست» تحريف. والأزرق: البازي، أو العقاب، أو الزرق. انظر ص 223، المغلول، من قولهم غل شعره بالطيب: أدخله فيه. فيما عدل: «مغلُول» عله: سقاه مرة بعد أخرى. والخضب: مصدر خضبه بالخضاب، عنى به دماء ما يقتنص من الحيوان. ل: «بالخضب».

(8) كذا في ل. وفيما عداها: «محشو». وانظر ما سبق في (1: 170).

(9) هذه الزيادة من ل، ش.

(10) المسقط، بفتح القاف: السقوط. ويفتحها وكسرهما: مسقط الرأس والمولد فيما عدل: «سقطا» تحريف.

(11) العرجة، بالضم والفتح، والتحريك: أن تعرج على المنزل وتحتبس.

(12) ط، ش: «تصاد».

(13) فيما عدل: «فيشق».

(14) ش: «حبة الخضراء» تحريف.

وأشجار البُطم ⁽¹⁾ وهي الحبة الخضراء ⁽²⁾ بعيدة المنابت [مِنًا]. وهي علوية أو ثغرية ⁽³⁾ ، أو جَلِيَّة. فقال الشاعر ⁽⁴⁾ :

ترتعي الصَّروَ من بَراقش أو هيلان أو يانعا من العُثم ⁽⁵⁾
[شجر الزيتون ⁽⁶⁾]. والضررو ⁽⁷⁾ شجر البُطم، وهي الحبة الخضراء ⁽⁸⁾ بالجبال
شجرتها ⁽⁹⁾. وقال الكَوْدَن العِجْلِي ⁽¹⁰⁾ ، [ويروى العُكْلِي]: «البطم لا يعرفه أهل الجلس ⁽¹¹⁾»
وبلاد نجد هي الجلس ⁽¹²⁾ ، [و] هو ما ارتفع. والغور هو ⁽¹³⁾ ما انخفض. وبراقش: واد

(1) البطم، بالضم وبضميتين. وفي اللسان: «وأهل اليمن يسمونها الضرو. والبطم: الحبة الخضراء عند أهل العالية». وهو شجر في حجم الفستق والبلوط، سبط الأوراق والحطب يكثر بالجبال، وحبه مفرطح في عناقيد الكافل، وعليه قشر أخضر داخله آخر خشبي يحوي اللب كالفستق.

(2) فيما عدل: «وهي حبة الخضراء» وفي اللسان (19: 218) س 13: «حبة الخضراء»، صوابهما ما أثبت من ل.

(3) علوية: نسبة إلى عالية نجد، وهو ما كان من جهة نجد من المدينة إلى تهامة. وما كان من دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة. وثغرية: نسبة إلى الثغر. وهو واحد ثغور الشام. وفي نهاية الأرب (10: 215): «ومنابتها جبال الثغور الشامية». فيما عدل: «عودية» تحريف.

(4) هو النابغة الجعدي، كما في الأغاني (6: 64-65) ومعجم البلدان (براقش، هيلان)، وإكليل الهمداني مطبوعة الأب أنستاس 125، واللسان (15: 276، 19: 218، 14: 240، 8: 153). وانظر رسالة الغفران 40 والقالبي (1: 173) وشمس العلوم 65، 112.

(5) ترتعي، كذا جاءت الرواية. وصوابها: «يَسْتَنُّ بالضررو» أي يستاك، كما في الأغاني وشمس العلوم في الموضوعين، أو «يُسُّ» أي يصفق ويسوك، في اللسان (14: 240) ورسالة الغفران. وذلك لأن قبله: كأن فاهها إذا تبسم عن طيب مشم وطيب مبتسم.

كما في الأغاني. وفي اللسان (14: 240) مثله برواية:

كأن فاهها إذا توسن من طيب مشم وحسن مبتسم

وفي سائر المصادر «تستن» وصحة هذه الرواية مبنية على رواية بيت بين البيتين وفيه خبر كأن، وهو كما في اللآلي 431 والألفاظ 631:

ركب في السام والزبيب أفا حى كثيب تندى من الرهم

والضرو، بفتح الضاد وكسرها. فيما ل: «الشري» تحريف. وفي سائر المصادر: «بالضرو». وبراقش، بالفتح وكسر القاف: محفد من محافد اليمن. وهيلان، بالفتح: جبل باليمن مطل على مأرب من المغرب وعلى براقش والجوف من اليمن. انظر شمس العلوم والإكليل. ويانعا: ناضراً، هي فيما عدل: «تابعاً» تحريف. وفي الأغاني ومعجم البلدان: «يانع» وفي سائر المصادر: «ناضر» والعتم، بضم أو بضميتين أو بالتحريك، الأخيرة عن اللسان، وهو الزيتون البري. وفي حديث أبي زيد الغافقي: «الأسوكة ثلاثة: أراك، فإن لم يكن فعتم أو بطم» فيما عدل: «الغنم» تحريف. وفي شمس العلوم: «السلم»، وفي الأغاني: «العتم» هذه محرفة. وفي اللسان (19: 218): «ويروى: «أو ضامر من العتم». أقول هي رواية المعري في رسالة الغفران.

(6) هذا تفسير للعتم. وهو وجه في تفسيره. والوجه الآخر ما أسلفت في التنبيه السابق.

(7) فيما عدل: «الشري» تحريف.

(8) فيما عدل: «حبة الخضراء». وانظر التنبيه الأول من هذه الصفحة.

(9) هذه الجملة ساقطة من ل. والكلام من: «وهي الحبة الخضراء» إلى كلمة: «البطم» التالية ساقطة من هـ.

(10) فيما عدل: «الكودن» بالذال المعجمة. والمعروف في أعلاهم بالمهملة. انظر اللسان.

(11) الجلس، بفتح الجيم. ش: «الحلس» تحريف.

(12) ط، هـ: «وبلاد نجد والجلس»، ش: «والحلس»، صوابهما في ل.

(13) هذه الكلمة ليست في ل.

باليمن، كان لقوم عاد. وبراقش: كلبه كانت تشاءم بها العرب⁽¹⁾. وقال حمزة بن بيض⁽²⁾:
بل جناها أخ عليّ كريمٌ وعلى أهلها براقش تجني⁽³⁾

(القول في الضأن والمعز)

قال صاحب الضأن: قال الله تبارك وتعالى: ﴿تَمَنِّيَ أَزْوَاجٌ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: 143]، فقدّم ذكر الضأن.

وقال عز وجل: ﴿وَقَدْ يَتَنَّهُ يَذْنِعُ عَظِيمٌ﴾ [الصفات: 107]⁽⁴⁾. وقد أجمعوا على أنه كبش. ولا شيء أعظم مما عظم الله عز وجل، [ومن شيء فدي به نبي].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَّ نَعْجَةً وَاحِدَةً﴾ [ص: 23]⁽⁵⁾ ولم يقل إن هذا أخي له تسع وتسعون عنزاً ولي عنزاً واحدة⁽⁶⁾؛ لأن الناس يقولون: كيف النعجة؟ يريدون الزوجة.

وتسمى المها من⁽⁷⁾ بقر الوحش ناعجاً⁽⁸⁾ ولم تسم بعنوز. وجعله⁽⁹⁾ الله عز وجل السّنة في الأضاحي. والكبش للعقيقة⁽¹⁰⁾ وهديّة العُرس وجعل الجذع من الضأن كالثني من المعز⁽¹¹⁾ في الأضحية.

- (1) انظر لخبر براقش إكليل الهمداني 126 وأمثالي الميداني (1: 422).
(2) حمزة بن بيض الحنفي، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كوفي خليف ماجن. وكان منقطعاً إلى المهلب ابن أبي صفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد، وبلال بن أبي بردة، واكتسب بشعره مالاً عظيماً بلغ ألف ألف درهم. ولم يدرك الدولة العباسية. الأغاني (15: 14-25) والمؤتلف 100، و«بيض» بكسر الباء، وضبطه الحافظ بالفتح، وقال الفراء: «البيض: جمع أبيض» وهو الصواب. انظر تاج العروس (5: 14-15). ويشهد لصحة الضبط بالكسر قول السحيمي له، كما في الأغاني (15: 17) والبيان (4: 47):

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره حقاً يقينا ولكن من أبو بيض
إن كنت أبضت لي قوساً لترميني فقد رميتك رمياً غير تنبيض

ط، هـ: «حمدة» صوابه بالزاي كما في ل، ش.

- (3) فيما عدل: «هل جناها» وهو تحريف، إذ أن قبله، كما في أمثال الميداني:

لم تكن عن جناية لحقتني لا يساري ولا يميني رمتني

- (4) انظر للذبيح ما كتبت في (4: 49).

- (5) كلمة «هذا» ساقطة من ط، ش.

- (6) كلمة: «هذا» ساقطة من ط، هـ. وفيما عدل: «واحد» بدل: «واحدة» تحريف.

- (7) هـ: «وتسمى المها» ش: «والمهاة»، وأثبت ما في ل، ط.

- (8) ط، هـ: «نعجة ونعاجاً»، ش: «نعجة ونعاج»، وفيهما إقحام وتحريف.

- (9) أي جعل الضأن. فيما عدل: «وجعل» تحريف.

- (10) العقيقة: ما يذبح يوم حلق الشعر الذي يولد به الطفل. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «في العقيقة عن

الغلام شاتان مثلان، وعن الجارية شاة». انظر اللسان. والشاة: الواحدة من الغنم، يكون للذكر والأنثى. وانظر

البخاري (7: 84) وجمع الفوائد (1: 210-212).

- (11) الجذع، بالتحريك: يكون إجذاعه من ستة أشهر إلى عشرة. والثني من المعز: ما كان في الثالثة.

وهذا ما فضل الله⁽¹⁾ به الضأن في الكتاب والسنة .

(فضل الضأن على المعز)

تولّد⁽²⁾ الضأن مرة في السنة، وتُفرد ولا تُتَم. والماعزة [قد] تولّد⁽³⁾ مرتين، وقد تضعُ الثلاث وأكثر وأقلّ.

والبركة والنماء والعدّد في الضأن، والخزيرة كثيرة الخنايص⁽⁴⁾ يقال إنها تلد⁽⁵⁾ عشرين خنوصاً. ولا نماء فيها⁽⁶⁾.

قال: وفضل الضأن على المعز أن الصوف أغلى وأثمن وأكثر قدراً من الشعر. والمثل السائر: «إنما فلان كبش من الكباش». وإذا هجّوه قالوا: «إنما هو تيس [من التيوس]». وإذا أرادوا التنن [أيضاً]. فإذا أرادوا الغاية في الغباوة قالوا: «ما هو إلا تيس في سفينة!»⁽⁷⁾.

والحُمْلان يلعبُ بها الصبيان، والجداء لا يلعبُ بها. ولبنُ الضأن أطيب وأخثر⁽⁸⁾ وأدسم، وزُبدُه أكثر. ورؤوس الضأن المشويّة هي الطيبة المفضلة، ورؤوس المعز ليس عندها طائل.

ويقال رؤوس الحُمْلان، ولا يقال رؤوس العرضان⁽⁹⁾.

ويقال للوطي⁽¹⁰⁾ الذي يلعب بالحُدّر⁽¹¹⁾ من أولاد الناس: هو يأكل رؤوس

(1) فيما عدل: «فهذا ما فضل الله عز وجل».

(2) ط: «تلد» تحريف، لا يقال ولدت الشاة بمعنى وضعت. وإنما يقال ولدتها وأولدت هي. انظر هذا الجزء ص 334 واللسان (4: 485 س 10). وإذا قالوا شاة والد أو الدة فإنهم يعنون أنها حامل، أو بيعة الولاد قد عرف منها كثرة التناج. وجاءت الكلمة على الصواب الذي يراه الجاحظ في سائر النسخ، وبالضبط الذي أثبت في ل فقط. فيصح أن تقرأ: «تولد»، أولدت هي. ويبدو لي أن هذا قول لبعض اللغويين، وإلا في اللسان (4: 483 س 15): «وكل حامل تلد». وانظر المخصص (7: 178-179).

(3) الخنايص: جمع خنوص، كسنور، وهو ولد الخنزير.

(4) فيما عدل: «تلد». وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة.

(5) أراد أنها مع كثرة ما تضع لا يبقى من ولدها إلا القليل. فيما عدل: «لها»، وفي العقد (4: 257): «ولا نماء فيها ولا بركة».

(6) انظر ما سبق في (2: 86). وقد سار المثل بهذا في شعر أبي الشمقمق يهجو بشاراً (انظر الأغاني 3: 46، 69):

إن بشار بن برد تيس أعمى في سفينه

(7) الخثورة: نقيض الرقة. ل: «أخثر وأطيب».

(8) العرضان، بالكسر: جمع العريض، وهو الجدي أتى عليه نحو سنة. والكلمة ليست في ل.

(9) فيما عدل: «للزطي» تحريف.

(10) الحدر، كركع: جمع حادر، وهو الغلام الجميل الصبيح، والسمين الغليظ. وفي اللسان (5: 244) أنه يجمع على حدره. فيما عدل: «الحرب» تحريف.

(11) في كنيات الثعالي 25: «فلان يحب الحملان ويغض النعاج». وأنشد لأبي نوس:

إنني امرؤ أبغض النعاج وقد يعجبني من نتاجها الحمل

الحُمْلان!؛ لمكان آلية الحمل، ولأنه أخذل وأرطب⁽¹⁾. ولم يقولوا في الكناية والتعريض: هو يأكل رؤوس العِرضان.

والشواء المنعوت شواء الضأن، وشحمه يصير كله إهالة⁽²⁾ أوَّلُه وآخرُه. والممَّز⁽³⁾ يبقى شحمه على حاله، وكذلك لحمه. ولذلك صار الخبَّازون⁽⁴⁾ الحُدَّاقُ قد تركوا الضأن؛ لأن الممَّز يبقى شحمه ولحمه، فيصلح لأن يسخن مرات⁽⁵⁾، فيكون أربح لأصحاب العُرس.

والكبَّاشُ للهدايا وللنطاح⁽⁶⁾. فتلك فضيلة في النجدة، و[في] الثقافة⁽⁷⁾. ومن الملوك من يُراهن عليها⁽⁸⁾، ويضع السَّبَقَ عليها⁽⁹⁾، كما يراهن على الخيل.

والكبش الكراز⁽¹⁰⁾ يحمل الراعي وأداة الراعي. وهو له كالحمار في الوقير⁽¹¹⁾. ويعيش [الكراز] عشرين سنة.

وإذا⁽¹²⁾ سَبَقَ الراعي واغتَلَمَ اختارَ النعجة على العنز. وإذا نعتوا شكلاً من أشكال مشي البراذين⁽¹³⁾ [الفُرَّه⁽¹⁴⁾] قالوا: هو يمشي مشي النعاج. وقال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ أَصْنَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ [النحل: 80]⁽¹⁵⁾ فقدم الصُوف.

(1) الخدل: العظيم الممتليء. فيما عدل: «أجل» محرف.

(2) الإهالة، بالكسر: ما أذيب من الألية والشحم. فيما عدل: «إهالة واحدة».

(3) ط فقط: «العنز»، صوابه في سائر النسخ.

(4) المراد بالخبازين هنا الطهاة الذين يجمعون بين الخبز والطهو. وسبق في (4: 44) قول الجاحظ: «والعرب تقول للرجل الصانع نجاراً. وتسميه خبازاً إذا كان يطبخ ويعجن». وفي البخلاء 123-124: «وقرب خباز أسد بن عبد الله إليه، وهو على خراسان، شواء قد نضجه نضجاً». وفي التاج للجاحظ 173: «ثم يأتيه الخباز بالبزماورد». وفي شعر أبي الشمقمق في البغال 367 بتحقيقي:

ذاك شخص به على هوان كهوان الخصي على الخباز

وانظر تحقيق العلامة أحمد زكي باشا في ص 209، وتحقيقي في (كيلة ودمنة) في مجلة الرسالة العدد 428.

(5) فيما عدل: «فيصلح أن يسمن مرات»، تحريف.

(6) النطاح، يشير به إلى اللعب بالكباش والتقامر بنطاحها. انظر (2: 215 س 1) فيما عدل: «النكاح» محرف.

(7) الثقافة: الحذق والفطنة والخفة.

(8) يراهن، من المراهنة. ط فقط: «براهن» بالباء الموحدة، تحريف.

(9) السبق بالتحريك: الخطر الذي يوضع بين أهل السباق. ل: «عنها».

(10) الكراز، كشداد: الذي يضع عليه الراعي كرز فيحمله، ويكون أمام القوم، ولا يكون إلا أجم، لأن الأقرن يشتغل بالنطاح. انظر اللسان. والكرز، بالضم: الخرج الكبير يحمل فيه الراعي زاده ومتاعه. فيما عدل: «الكراز» بزائين، محرف.

(11) الوقير، كأمير، قال الرمادي: «دخلت على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: يا أبا سعيد، ما الوقير؟ فأجابني بضعف صوت فقال: الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها، لا يكون وقيراً إلا كذلك». فيما عدل: «الرفق»، تحريف.

(12) فيما عدل: «فإذا» ووجهه بالواو.

(13) البراذين: جمع برذون، وهو من الخيل، ما كان من غير نتاج العراب. ط فقط: «البرازين» بالزاي، تحريف.

(14) الفره، بالضم وتشديد الراء المفتوحة: جمع فاره، هو النشيط الحاد القوي.

(15) لفظ: (وأشعارها) من ل فقط.

والبُخْت هي ضأن الإبل⁽¹⁾، منها الجمّازات⁽²⁾. والجواميس هي ضأن البقر. يقال للجاموس الفارسية: «كاوماش»⁽³⁾.

ولا يُذكر الماعزُ بفضيلة إلا ارتفاع⁽⁴⁾ ثمن جلده، وغَزَاة لبّنه فإذا صرّت إلى عددٍ كثرة النّعاج⁽⁵⁾ وجلود النّعاج والضأن كلّها أربى ذلك على ما يفضل به الماعزُ الضأن في ثمن الجلد، والغَزَر⁽⁶⁾ في اللبن.

(قول ابنة الخس ودغفل في المعز)

وقيل لابنه الخس: ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت: قنّى⁽⁷⁾!
 قيل: فمائة من الضأن⁽⁸⁾؟ قالت: غنّى⁽⁹⁾. قيل: فمائة من الإبل؟ قالت: منّى!

وسئل دغفل بن حنظلة⁽¹⁰⁾ عن بني مخزوم، فقال: معزى مطيرة⁽¹¹⁾، عليها قشعريرة، إلا بني المغيرة؛ فإن فيهم تشادق الكلام، ومصاهرة الكرام⁽¹²⁾.

(1) البخت، بالضم: الإبل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج. والفالج: البعير ذو السنامين. اختلف في عربيته، فقال بعضهم: «أعجمي معرب». ل: «من ضأن الإبل».

(2) الجمّازات: جمع جمّازة، وهي التي تجمز، أي تسرع في عدوها. وانظر (84:1) وما سيأتي في (7:158) وكتاب البغال ص 232.

(3) هي «كاوميش» بالكاف الفارسية. «كاو» بمعنى البقر. وميش، بكسر الميم كسر إمالة، ولذلك ساغ للجاحظ رسمها بالألف، ومعنى «ميش» الضأن: A sheed كما في معجم استينجاس 1362، وكما يفهم من عبارة الجاحظ. وانظر المعرب 104 ومقدمة المعرب 7، ومن ذلك تفهم أن العلامة الدكتور عزام قد شاركني عدم التوفيق في تخريج الكلمة، فلماذا ارتضى «النعجة» مع أن «الكباش» من الضأن كان أولى بأن يخرج عليه؟ ولا ريب أن الجاموس أشبه بالكباش منه بالنعاج، لكبر قرونيه وعظامه جثته.

(4) فيما عدل: «إلا بانتفاخ»، وهو تحريف فكه.

(5) كذا في الأصل.

(6) الغزر، بالضم والفتح: كثرة الدر.

(7) قنّى، بكسر ففتح: جمع قنية، بالكسر والضم، وهو ما اكتسب. ط، ش «فناء» هـ: «فناء»، صوابهما في ل وعيون الأخبار (3: 73-84) والعقد (4: 257).

(8) فيما عدل: «الضأن» مع إبدال كلمة: «الإبل» التالية بكلمة: «الضأن» تحريف صوابه في ل والمرجعين السابقين.

(9) ش فقط: «غنا» تحريف.

(10) سبقت ترجمته في (3: 267). ط: «عيل بن حنظلة» ش: «عيل» هـ: «دعبل»، صوابهما في ل والمرجعين

السالفين والبيان (1: 121) والعقد (6: 235).

(11) في القاموس: «والمعزى قد يؤنث وقد يمنع». مطيرة: أصابها المطر.

(12) ل فقط: «ومصاهرة الكتاب» تحريف.

(ما قيل من الأمثال في العنز)

وتقول العرب: «لهو أصرد من عنز جرباء»⁽¹⁾. وتقول العرب: «العنز تُبهي ولا تُبني»⁽²⁾ لأن العنز⁽³⁾ تصعد على ظهور الأخبية فتقطعها بأظلافها، والنعجة لا تفعل ذلك. هذا. وبيوت الأعراب إنما تُعمل من الصوف والوبر⁽⁴⁾، فليس للماعز فيها معونة، وهي تخرقها. وقال الأول⁽⁵⁾:

لونزل الغيث أنبين امرأً كانت له قبة، سحوق بجاد⁽⁶⁾
أبناه: إذا جعل له بناء⁽⁷⁾. وأبنية العرب: خيامهم؛ ولذلك يقولون: بني فلان على امرأته البارحة.

(1) أصرد، من الصرد، وهو البرد. وذلك أنها لا تدفأ لقلّة شعرها ورقة جلدها، فالبرد أضّر لها. فيما عدل: «من عين» تصحيف. ط، هـ: «حرباء» بالحاء، تصحيف أيضاً. والمثل على الصواب الذي أثبت في أمثال الميداني (377: 1) وعيون الأخبار (75: 2). وانظر في الأمثال ما قيل في: «أصرد من عين الحرباء» بالحاء. وسيأتي في (33: 6): «أصرد من حية جرباء».

(2) تبهي، من أبهى البيت: خرقة. وتبني من أبني أي أعان على البناء. وفي اللسان: «الأزهرى: والمعزى في بادية العرب ضربان: ضرب منها جرد لا شعر عليها، مثل معزى الحجاز والغور، والمعزى التي ترعى نجاد البلاد البعيدة من الريف كذلك. ومنها ضرب يألف الريف، ويرجن - لعله يدجن - حوالي القرى الكثيرة المياه يطول شعرها، مثل معزى الأكراد بناحية الجبل ونواحي خراسان. وكأن المثل لبادية الحجاز وعالية نجد. وفيه: «وقال القتيبي فيما رد على أبي عبيدة: رأيت بيوت الأعراب في كثير من المواضع مسواة من شعر المعزى». ونص المثل في اللسان (بني، بهو): «إن المعزى تبهي ولا تبني». وعند الميداني وكذا في البلغة 126-127 مثله مع حذف «إن». وانظر جمهرة العسكري 186 والخصائص (37: 1). و«تبهي» جاءت في ط محرفة برسم: «تهدم» وهـ: «تبني» وش: «تهمي». والمثل يضرب لمن يفسد ولا يصلح.

(3) ل: «لأنها» ش: «لأن المعز».

(4) انظر الرد على هذا في التنبيه رقم 2 من هذه الصفحة.

(5) انظر المخصص (122: 5) والخصائص (36: 1) وأمالي ابن الشجري (206: 2) واللسان (102: 18 و 4: 9). وهو لأبي مارد الشيباني، كما في الخصائص، وهو من مجزو الخفيف.

(6) الرواية في المراجع السالفة: «لو وصل الغيث»، أي لو اتصل وتتابع. والقبة: البيت من الأدم خاصة. السحق، بالفتح: الخلق. والبجاد، بالكسر: كساء مخطط. يقول: لو غشنا لأمرعنا وأخصبنا فأشربنا وأغرنا، فجعلت خيلنا هذا الرجل العزيز الذي كان يسكن في قبة من آدم، يأوي إلى خباء من سحق كساء، وذلك لشدة الإغارة وما يكون فيها من نهب. وقيل معناه: أن هذه الخيل لو سمنها الغيث بما ينبت لها لأغرت بها على ذوي القباب فأخذت قبابهم حتى تكون البجد أبنية لهم بعدها. ضمير: «أبنين» للخيول. و«سحق» مفعول ثانٍ لأبنين. ط: «لابني» هـ: «لأسى» ش: «لأبشي» صوابها في ل. وفي المراجع: «أبنين» بطرح اللام. هـ، ش: «وسحق» بإقحام الواو، تحريف. هـ: «نجاذ» تحريف أيضاً. والبيت من مجزو البسيط المذيل.

(7) ط، هـ: «إنما أراد لجعل له بناء»، صوابهما في ل.

(ضرر لحم الماعز)

وقال [لي] شمتون الطبيب⁽¹⁾: يا أبا عثمان، إياك ولحم الماعز؛ فإنه يورث الهم، ويحرك السوداء، ويورث النسيان، ويُفسد الدم، وهو والله يخبل الأولاد!

وقال الكلابي⁽²⁾: «العنوق بعد النوق⁽³⁾» ولم يقل: الحمل بعد الحمل.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه⁽⁴⁾ للشيخ الجهنّي المعترض عليه في شأن الحكمين: وما أنت والكلام⁽⁵⁾ يا تيس جهينة؟! [ولم يقل يا كبش جهينة]؛ لأن الكبش مدح⁽⁶⁾ والتيس زم.

وأما قوله: «إن الظلف لا يرى مع الخف»⁽⁷⁾ فالبقر والجواميس والضأن والمعز في ذلك سواء.

[قال]: وأني عبد الملك بن مروان في دخوله الكوفة على موائد الجداء⁽⁸⁾، فقال: فأين أنتم عن العماريس⁽⁹⁾؟ ف قيل له: عماريس الشام أطيب!

وفي المثل: «لهو أذل من النقد». والنقد هو المعز⁽¹⁰⁾. وقال الكذاب الجرمازي⁽¹¹⁾:

لو كنتم قولاً كنتم فنداً⁽¹²⁾ أو كنتم ماءً كنتم زبداً
أو كنتم شاءً كنتم نقداً [أو كنتم عوداً كنتم عقداً]

- (1) شمتون الطبيب، لم أجد له ترجمة إلا فيما يروي الجاحظ عنه. وقد سبقت رواية الجاحظ عنه في (3: 5). فيما عدل: «جشمون»، تحريف.
- (2) ط: «الكلاني» ه: «الكلاني» بالإهمال، صوابهما في ل، ش والبيان (1: 285)، واسمه «العلاء» كما في البيان.
- (3) العنوق، بالضم: جمع عناق بالفتح، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة. وهذا جمع نادر. ويجمع أيضاً علي أعنق وعنق والنوق: جمع ناقة. يضرب لمن كان له حال حسنة ثم ساءت. أي كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق. انظر الميداني (1: 420) واللسان (12: 148).
- (4) فيما عدل: «العاصي». وانظر ما أسلفت من تحقيق في التنبيه السابق ص 200.
- (5) فيما عدل: «والحكمين».
- (6) انظر المفضليات 95 س 14 و 207 س 1.
- (7) هذه العبارة من قول عمرو بن العاص فيما يظهر.
- (8) الجداء: جمع جدي. و«على موائد» ساقطتان من ل.
- (9) العماريس: جمع عمروس، بالضم، وهو الجدي، لغة شامية، كما في اللسان. وفيه أيضاً: «وفي حديث عبد الملك بن مروان: أين أنت من عمروس راضع!».
- (10) هذا التفسير انفرد به الجاحظ. وأعرف الأقوال في النقد أنه جنس من الغنم قصار الأوجه قباح الوجه تكون بالبحرين. انظر اللسان (4: 436) والميداني (2: 260).
- (11) سبق الرجز ومراجعته في (3: 262). وانظر أيضاً الأزمئة للمرزوقي (2: 277) وفيه نسبة الرجز للعين المنقري.
- (12) الفند، بالتحريك: الكذب.

(اشتقاق الأسماء من الكبش)

قال: والمرأة تسمى كَبْشَة، وكَيْشَة. والرجل يكنى أبا كَبْشَة، وقال أبو قردودة:

كَبِيشَة إِذْ حَاوَلْتُ أَنْ تَبِيَّ مَنْ يَسْتَبِقُ الدَّمْعَ مِنْهُ اسْتَبَاقاً⁽¹⁾
وَقَامَتْ تُرِيكَ غَدَاةَ الْفِرَا قِي كَشْحاً لَطِيفاً وَفَخْذاً وَسَاقاً⁽²⁾
وَمُنْسَدِلاً كَمَثَانِي الْحَبَا لِي تُوسِعَهُ زَنْبَقاً أَوْ خِلَاقاً⁽³⁾

[وأول هذه القصيدة:

كَبِيشَة عِرْسِي تَرِيدُ الطَّلَاقَ وَتَسْأَلُنِي بَعْدَ وَهْنٍ فِرَاقاً]

(قول القصاص في تفضيل الكبش على التيس)

وقال بعض القصّاص: ومما فضل الله عز وجل به الكبش أن جعله مستور العورة من قبل ومن دبر، ومما أهان الله تعالى به التيس أن جعله مهتوك الستر، مكشوف القبّل والدُّبُر⁽⁴⁾.

(التيس في الهجاء)

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري:

سَأَلْتُ قَرِيْشاً كُلَّهَا فَشَرَّارُهَا بَنُو عَابِدٍ شَاهَتْ وَجُوهُ الْأَعَابِدِ⁽⁵⁾

(1) ط، ه: «إذا حاولت تستبين» ش: «إذا حاولت تستيق يستيق»، صوابها في ل.
(2) الكشح: الخصر اللطيف الدقيق. ل: «كفا لطيفاً». واستعمال «الكف» مذكراً لغة ضعيفة. انظر ما أسلفت في ص 150.

(3) منسدلاً: مسترسلاً، عنى شعرها. والمثاني: جمع مثناة، وهو الحبل. والزنيق: دهن الياسمين، قال الأزهرى: «وأهل العراق يقولون لدهن الياسمين دهن الزنيق». مأخوذ من «زَنَبَه» الفارسية، بمعنى الورد الأبيض. انظر استينجاس 263: 264، ولم يتعرض أحد لهذا التأصيل في المعاجم وكتب المعرب. توسعه: تبالغ في دهنه. والأصل فيه: «أوسعه الشيء: جعله يسعه». قال امرؤ القيس:

فَتَوْسَعُ أَهْلَهَا أَقْطاً وَسَمْناً وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَبْعٍ وَرِي

والخلاق، بالكشر: ضرب من الطيب، وهو الخلق بالفتح. وروايته في اللسان (11: 379): «ومنسدلاً كقرون العروس». ط، ه: «ترشفه» ش: «ترشفه» صوابهما في ل واللسان. وفيما عدا ل: «حلاقاً» بالمهملة، صوابه بالمعجمة كما في ل، واللسان.

(4) فيما عدا ل: «الدبر والقبل»، وأثبت ما في ل والعقد (4: 258) وعيون الأخبار (2: 76).

(5) هم بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ل: «بنو عامر» ما عدا ل: «بنو عائد» صوابه ما أثبت من ديوان حسان 152، وانظر مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب 44 وما سيأتي في حواشي (6: 198). والأعابد: جمع أعبد، وأعبد جمع عبد. انظر اللسان (4: 260 س 5). فيما عدا: «الأعائد»، تحريف.

إذا جلسوا وسطَ النَّدِيِّ تجاوبوا تجاوبَ عِتْدَانِ الرِّبيعِ السَّوَادِ⁽¹⁾
وقال آخر⁽²⁾ :

أَعَثْمَانُ بْنُ حَيَّانَ بْنِ أَدَمَ عَتُودٌ فِي مَفَارِقِهِ يَبُولُ⁽³⁾
ولو أني أشاءُ قد أرفأْتُ نَعَامَتُهُ وَيَعْلَمُ مَا أَقُولُ⁽⁴⁾
وقال الشاعر :

سُمِّيتَ زَيْدًا كِي تَزِيدَ فَلَمْ تَزِدْ فَعَادَ لَكَ الْمَسْمَى فَسَمَّاكَ بِالْقَحْرِ⁽⁵⁾
وما القَحْرُ إِلَّا التَّيْسُ يَعْتكُ بَوْلُهُ عليه ويمذي في اللَّبَانِ وفي النَّحْرِ⁽⁶⁾

(نتن التُّيوس)

فالتَّيْسُ كالكلب؛ [لأنه] يَقْرُحُ ببوله⁽⁷⁾، فيريدُ به حاقَّ خَيْشُومِهِ⁽⁸⁾. وبول التَّيْسِ [من] أَحْثَرَ البَوْلِ وأتنته، وريحُ أبدانِ التُّيوس إليها ينتهي المثل. ولو كان هذا [العَرَضُ] في الكَبْشِ لكان⁽⁹⁾ أعذَرَ له؛ لأنَّ الخُمومَ [واللَّحْنَ]، والعَفْنَ والنَّثْنَ، لو عرض لجلدِ ذي الصُّوفِ

(1) الندى: النادي، وهو مجلس القوم. والعَتْدَان، بالكسر: جمع عتود، بالفتح، وهو الجدي الذي قد بلغ السفاد. ويدغم كثيراً فيقال: «عدان». وأنشد أبو زيد:

واذكر غدانة عدانا مزمنة من الحبلق تبني حولها الصير

ل: «عبدان» ش، هـ: «عidan»، صوابهما ما أثبت من ط.

(2) هو الممرار الفقعسي كما في اللسان (16: 62-9-10). وهو الممرار بن سعيد بن حبيب. شاعر إسلامي كثير الشعر. انظر المؤلف 176 والمرزباني 408.

(3) عثمان بن حيان، كان والياً على المدينة سنة 94 من قبل الوليد بن عبد الملك، ثم عزله سليمان بن عبد الملك سنة 96 انظر الطبري (8: 92، 102). وكان الممرار قد طرد طريدة فأخذ معها وهو يبيعها بوادي القرى، أو ببرمة، فرفع أمره إلى عثمان بن حيان فحبسه. الأغاني (9: 154).

(4) ارفأنت نعامة: سكنت بعد غضب. ويكونون بالنعامة عن الجهل، ويقولون: «شالت نعامة»، و: «ارفأنت نعامة»، أي سكن بعد غضبه. انظر اللسان (13: 400 س 3 و 16: 62 س 10). والرواية فيما عدا ل: «ولو أني أشفاهه لشالت». ورواية سائر البيت في اللسان: «وأبغض ما أقول». وقد سبق البيتان محرفين في (1: 167).

(5) القحر: البعير المسن. فيما عدا ل: «بالفجر» تحريف. ورواية صدر البيت فيما عدا ل: «تسمى يزيدكي يزيد فلم يزد». وسبق في 1: 167: «دعيت يزيد كي تزيد فلم تزد». وفي ط، ش: «فألك المسمى» هـ: «فقال: المسمى» صوابهما في ل.

(6) يعتك عليه: يغلبه، من قولهم: عتكت المرأة على أبيها: عصته وغلبته. فيما عدا ل: «وما العي إلا التيس بعبر» تحريف. ويمذي من المذي. فيما عدا ل: «يهذي في لبان وفي نحر»، محرف.

(7) يقرح بالقاف والزاي: أي يرمي به أو يرسله دفعاً. ل: «يقرح» وفيما عدا ل: «يفرح»، صوابها ما أثبت.

(8) الحاق، بتشديد القاف: وسط الشيء. انظر اللسان (11: 341). فيما عدا ل: «فيرد حاق خيشومه» تحريف.

(9) فيما عدا ل: «كان» بطرح اللام، وهما وجهان جائزان كما كتبت في ص 217.

المتراكم، الصَّفِيق الدقيق، والملتفَّ المستكثف؛ لأنَّ الرِّيح لا تتخلَّله، والنسيم لا يتخرَّقه⁽¹⁾ - لكان ذلك أشبه.

فقد علمنا الآن أن للتيس مع تخلخل شعره⁽²⁾، وبروز جلده⁽³⁾ وجُفوف عرقه، وتقطع بخار بدنه - فضلاً [ليس لشيء سواه]. والكلبُ يُوصَفُ بالتَّنُّ إذا بلَّه المطرُ⁽⁴⁾. والحيَّات توصفُ بالتَّنُّ⁽⁵⁾. ولعل ذلك أن يجده من وضع أنفه على جلودها.

[وبول التيس يخالط خيشومته. وليس لشيء من الحيوان ما يشبه هذا، إلا ما ذكرنا من الكلب، على أن صاحب الكلب قد أنكر هذا.

وجلود الثيوس⁽⁶⁾، وجلود آباط الزُّنَج، مُنْتَنَة العرق، وسائر ذلك سليم. والتيس إبْطُ كله⁽⁶⁾، ونتنه في الشتاء كتنه في الصيف. وإنا لندخل السكة وفي أقصاها تَيَّاس⁽⁷⁾، فنجد ننتها من أذناها، حتى لا يكاد أحداً⁽⁸⁾ يقطع تلك السكة إلا وهو مخمَّر الأنف. إلا ما كان مما طبع الله عز وجل عليه البلوي⁽⁹⁾ وعليَّ الأسواري⁽¹⁰⁾؛ فإن بعضهما⁽¹¹⁾ صادق بعضاً على استطابة ريح الثيوس⁽¹²⁾. وكان ربما جلسا على باب التَّيَّاس؛ ليستشقا تلك الرائحة، فإذا مرَّ بهما من يعرفهما⁽¹³⁾ وأنكر مكانهما، ادَّعيا أنهما ينتظران⁽¹⁴⁾ بعض من يخرج إليهما من بعض تلك الدُّور.

(1) يتخرقه: أراد يتخلله. ولم أجد نصاً على هذا الفعل إلا ما ورد في اللسان (11: 36): «قال أبو عدنان: المخارق الملاص يتخرقون الأرض، بينما هم بأرض إذا هم بأخرى». وإلا ما ورد في الحيوان (2: 189) من قوله: «يتخرق السنابير». فيما عدل: «لا يخرقه» من قولهم خرقت الأرض: جبتها وقطعتها.

(2) تخلخله: نفرقه. وانظر ما أسلفت في ص 34 وأساس البلاغة (خلل) والألفاظ لابن السكيت: 5، فيما عدل: «تخلل» تحريف.

(3) بروزه: أي ظهوره لخفة الشعر الذي يعلوه. فيما عدل: «بروق» محرف.

(4) انظر ما قبل من شعر في هذا المعنى في الجزء الأول ص 165.

(5) فيما عدل: «في التَّنُّ».

(6) عبارة جاحظية طريفة. عني أنه منتن البدن كله.

(7) التَّيَّاس: صاحب الثيوس وممسكها. فيما عدل: «التيوس».

(8) فيما عدل: «أحد منا».

(9) البلوي: نسبة إلى قبيلة «بلي» كغني. ل: «الملوي» بالميم.

(10) الأسواري: نسبة إلى الأسوار واحد الأساور من الفرس، كانوا نزلوا في بني تميم بالبصرة، واختطوا بها خطة وانتموا إليهم. وهناك نسبة أخرى إلى «أسوارية» بالفتح والضم، وهي قرية من قرى أصبهان. وعلى الأسواري كان من معاصري الجاحظ: وكان أكولاً، روى الجاحظ في البخلاء 63 أنه «نهش بضعة لحم تعرقاً فبلغ ضرره وهو لا يعلم» وكان من المحققين. وفي البيان (2: 261): «قال على الأسواري: عمر بن الخطاب رضي الله عنه معلق بشعرة! قلت: وما صيره إلى ذلك؟ قال: لما صنع بنصر بن سيار!! يريد: نصر بن الحجاج».

(11) ل، ش: «فإن بعضهم»، والوجه الثنية.

(12) ل: «استبطانه رائحة الثيوس»، تحريف.

(13) فيما عدل: «وإذ مر»، ط، هـ: «من ينكرهما»، وهذه محرفة.

(14) فيما عدل: «ادَّعوا أنهما منتظران»، وفيه تحريف.

(المکّیّ وجاریتہ)

فأما المكي فإنه تعشّق جاريةً يقال لها سُنْدَرَة⁽¹⁾، ثم تزوجها نهاريةً⁽²⁾ وقد دعاني إلى منزلها غير مرّة، وخبرني أنها كانت ذات صُنان⁽³⁾، وأنه كان معجباً بذلك منها، وأنها كانت تعالجه بالمرتك⁽⁴⁾، وأنه نهاها مراراً حتى غضب عليها في ذلك. قال: فلما عرّفت شهوتي كانت إذا سألتني حاجة ولم أقضها قالت: واللّه لأتمرّتكُن، ثم واللّه لأتمرّتكُن، ثم واللّه لأتمرّتكُن⁽⁵⁾! فلا أجدُ بداً من أن أقضى حاجتها⁽⁶⁾ [كائنًا ما كان].

(اشتہاء ریح الکریماس)

وحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، وَكَانَ هُوَ وَالْكَذِّبُ (7) لَا يَأْخُذَانِ فِي طَرِيقٍ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ فِي (8) الصَّدَقِ مَوْوَنَةً، لِإِثْبَارِهِ لَهُ حَتَّى كَانَ يَسْتَوِي عِنْدَهُ مَا يَضُرُّ وَمَا لَا يَضُرُّ (9) - قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يَشْتَهِي رِيحَ الْكُرْيَاسِ (10) لَا يَشْفِيهِ دُونُهُ شَيْءٌ، فَكَانَ قَدْ أَعَدَّ مَجُوبًا (11) أَوْ سَكَّةَ حَدِيدٍ (12) فِي صُورَةِ الْمِبْرَدِ، فَيَأْتِي الْكُرْيَاسِ (13) الَّتِي تَكُونُ فِي الْأَزْقَةِ الْقَلِيلَةِ الْمَارَةِ، فَيَخْرِقُ الْكُرْيَاسَ (14) [وَلَا يَبَالِي، أ] كَانَ مِنْ خَزَفٍ أَوْ مِنْ خَشَبٍ، ثُمَّ يَضَعُ مَنْخَرِيهَ عَلَيْهِ، حَتَّى يَقْضِيَ وَطَرَهُ.

قال: فلقي الناس من سَيِّلانٍ كرايسهم ⁽¹⁵⁾ شراً حتى عثروا عليه، فما منعهم من حبسه

- (1) سندرة ، بالراء : من أعلام النساء ، ومنه في المثل « كيل السندرة » ، كانت تبيع الفمح وتوفى الكيل . والسندرة أيضاً : شجرة يعمل منها القسي والسهام . فيما عدل ل : « سندوة » .
- (2) نهارية : نسبة إلى النهار . وانظر الاستدراكات .
- (3) ط ، هـ : « ذا صنان » تحريف .
- (4) انظر لتفسير « المرتك » التنبيه الثاني من 253 ، التاسع من 236 .
- (5) هذا الفعل صناعي لم تعرفه المعاجم .
- (6) فيما عدل ل : « من قضاء حاجتها » .
- (7) ش : « والكذاب » .
- (8) ل : « من » .
- (9) فيما عدل ل : « وما ينفع » .
- (10) الكرياس ، بالكسر وبياء مثناة ، قال أبو عبيد : هو الكنيف الذي يكون مشرفاً على سطح بقناة إلى الأرض . قال الأزهري : سمى كرياساً لما يعلق به من الأقدار فيركب بعضه بعضاً ويتكرس مثل كرس الدمن . وهو فعيال من الكرّس ، مثل جريال . وهو من الألفاظ المشتركة بين العربية والفارسية ، وتفسيره في الفارسية مثله في العربية . وفي معجم استينجاس 1026 : **A privy on the roof of house having communication with a subterraneous passage** ، ل ، ش : « الكرياس » بالباء ، تحريف . وانظر عيون الأخبار (3 : 230 س3) .
- (11) المجوب ، بالكسر : آلة الجوب ، وهو القطع . انظر اللسان (1 : 277 س11-12) . فيما عدل ل : « وتدأ » .
- (12) السكة : أراد بها القطعة من الحديد ، وأصل السكة حديدة المحراث . فيما عدل ل : « من حديد » .
- (13) ل فقط : « الكرابيس » بالباء ، تحريف . انظر التنبيه العاشر .
- (14) ل ، ش : « الكرياس » بالباء ، محرف . انظر التنبيه 10 .
- (15) ل ، ش ، هـ : « كرابيسهم » بالباء ، صوابه ما أثبت من ط .

إلا الرحمة [له] من تلك البليّة، مع الذي رأوا من حسن هيئته، [فقال لهم: يا هؤلاء، لو مررتم بي إلى السلطان كان يبلغ من عقابي أكثر مما أبلغ من نفسي؟ قالوا: لا والله! وتركوه].

(نتن العنز)

قالوا: وهذا شأن التيس، وهو أبو العنز. «ولا تلد الحيّة إلا حيّة⁽¹⁾». ولابد لذلك الثن عن ميراث [في ظاهر] أو باطن. وأنشدوا لابن أحمر:

إنني وجدت بني أعيا وجاملهم كالعنز تعطف روقيها فترتضع⁽²⁾
وهذا عيب لا يكون في النعاج.

(مثالب العنز)

والعنز هي التي ترتضع⁽³⁾ من خلفها وهي مُحفلة⁽⁴⁾، حتى تأتي على [أقصى] لبنها، وهي التي تنزع الود وتقلب المغلف، وتشر ما فيه⁽⁵⁾.

وإذا ارتعت الضائنة⁽⁶⁾ والماعزة في قصيل⁽⁷⁾، نبت ما تأكله الضائنة⁽⁸⁾، ولا ينبت ما تأكله الماعزة، لأن الضائنة تقرض بأسنانها وتقطع، والماعزة تقبض عليه فتشيره⁽⁹⁾ وتجذبه، وهي في ذلك تأكله. [ويضرب بها المثل بالموق⁽¹⁰⁾ في جلبها حتفها على نفسها].

(1) ط فقط: «وهل تلد الحية إلا حية».

(2) أعيا: أبو بطن من أسد، وهو أعيا أخو فقفس، ابنا طريف بن عمرو بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد. والجامل: قطع من الإبل معها رعيانها وأربابها. والروق، بالفتح: القرن. ط، هـ: «بني أهبان» ش: «وهبان»، وأثبت ما في ل وعيون الأخبار: (2: 75). ورواية اللسان (9: 484) والحيوان (1: 167، 244): «بني سهم» ل: «وحاملهم» وفيما عدل: «حاملهم». بإسقاط الواو، صوابه بالجيم وإثبات الواو. وفي اللسان: «وعزهم». والبيت محرف في العقد (4: 257).

(3) ط، هـ: «ترضع».

(4) المحفلة: التي ترك حلبها أياماً حتى يجتمع لبنها. فيما عدل: «مخلفة» صوابهما في ل وعيون الأخبار (2: 75) س (17) والعقد (4: 257).

(5) ط: «وتثير ما فيه» ش، هـ: «وتثير ما فيه» والأولى محرفة. وأثبت ما في ل.

(6) الضائنة: الشاة من الغنم، يقابلها الضائن، وهو الكيش من الغنم. ل، ش، هـ: «الضائية» وهي صحيحة، ولكنها ليست مرادة. والضائنة، بتقديم النون: الكثيرة الولد. وفي اللسان (1: 106): «الكسائي: امرأة ضائنة وماشية معانها أن يكثر ولدها». وأثبت صواب النص من ط وعيون الأخبار (2: 75) والعقد (4: 257).

(7) القصيل: ما اقتصل من الزرع أخضر، سمي قصيلاً لسرعة اقتصاله، من رخصته. فيما عدل: «فضل»، وكذا العقد، تحريف. وفي عيون الأخبار: «قصير»، صوابهما ما أثبت من ل.

(8) كذا على الصواب الذي أثبت في ط. وفي سائر النسخ: «الضائية» تحريف.

(9) ل: «فتشره» من النثر.

(10) الموق: الحمق. والأوفق: «في الموق» لكن جاءت هكذا. وانظر الميداني (2: 93).

وقال الفرزدق:

فكانت كعنز السوء قامت بظلفها إلى مُدْيَةٍ تحت التراب تُشبرها⁽¹⁾
(تيس بني حمان)

وقال الشاعر:

لعمرك ما تَدْرِي فَوَارِسُ مِنْقَرٍ أفي الرأس أم في الاست تُلقَى الشَّكائِمُ⁽²⁾
وَألهى بني حمانَ عَسْبُ عَتودِهِم عن المجد حتى أحرزته الأكارمُ⁽³⁾
وذلك أن [بني⁽⁴⁾] حمان تزعم أن تيسهم قرعَ شاةً بعد أن ذُبِحَ⁽⁵⁾، وأنه ألقها.

(أعجوبة الضأن)

قالوا: في الضأن أعجوبة؛ وذلك أن النعجة ربما عظمت أليتها حتى تسقط على الأرض، ويمنعها ذلك [من] المشي، فعند الكبش رفق في السفاد، وحذق لم يُسمع بأعجب منه، وذلك أنه يدنو منها⁽⁶⁾ ويقف [منها] موقفاً [يعرفه]، ثم يصك أحد جانبي الألية ب صدره⁽⁷⁾، بمقدار من الصك⁽⁸⁾ يعرفه، فيفرج عن حياها المقدار الذي لا يعرفه غيره⁽⁹⁾، ثم يسفدها في أسرع من اللمح.

(1) قال البحتري في حماسه ص 284: «يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة فأراد ذبحها، ولم يكن معه شيء يذبحها به. فبينما هو يفكر في ذلك، وأي شيء يصنع، إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض، فأبرزت عن سكين كانت مندفة في التراب فذبحها بها، وضرب العرب بها المثل». وروى ثمانية أشعار في هذا المعنى في الباب 115، وانظر جمهرة العسكري 95، والميداني (2: 178) ومعجم المرزباني 374 ص 16، والرواية فيما عدل: «وكانت». وفي ديوان الفرزدق 249: «وكان». وسيأتي البيت برواية الديوان في ص 320.

(2) منقر، هو ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. فيما عدل: «منقر» تحريف. والشكائم: جمع شكيمة، وهي الحديد المعتبرضة في فم الفرس. يقول: ليسوا فرساناً، إذ لا معرفة لهم بالخيول ولا عهد لهم بها. فيما عدل: «أفي الإست أم في الرأس».

(3) حمان، بكسر الحاء وتشديد الميم، وهم بنو حمان بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، والعسب، بالفتح: ضراب الفحل أو ماؤه أو كراء ضرابه. والعتود، بالفتح: الجدي قد بلغ السفاد. يقول: جعلوا فخرهم في هذا التيس فألهاهم ذلك عن المجد.

(4) هذه التكملة من ل، ش.

(5) فيما عدل: «بعد ما ذبح». وانظر ما سبق 149 وما سيأتي في ص 338.

(6) ل: «إليها». وحروف الجر يخلف بعضهن بعضاً. وفي اللسان (18: 297): «دنا عليه».

(7) فيما عدل: «ثم يصد إحدى ناحيتي الألية ب صدره»، وفيه تحريف.

(8) الصك: الضرب. فيما عدل: «السك» تحريف.

(9) الحيا: الفرج من ذوات الخف والظلف. فيما عدل: «فينفرج عن جانبها المقدار الذي لا يراه غيره»، تحريف.

(فضل الضأن على الماعز)

وقالوا: والضأن أحمل للبرد [والجمد⁽¹⁾] وللريح والمطر.

[قالوا]: ومن مفاخر الضأن على المعز أن التمثيل الذي كان عند كسرى والتخيير⁽²⁾، إنما كان بين النعجة والنخلة⁽³⁾، ولم يكن هناك للعنز ذكر وعلى ذلك الناس إلى اليوم.

والموت إلى المعزى أسرع، وأمراضها أكثر. وإنما معادن⁽⁴⁾ الغنم الكثير الذي عليه يعتمد الناس - الجبال، والمعز لا تعيش هناك. وأصواف الكباش أمنع للكباش من غلظ جلود المعز. ولولا أن أجواف الماعز أبرد، وكذلك كلالها، لما احتشت من الشحم كما تحتشي.

(جمال ذكورة الحيوان وقبح التيوس)

وذكورة كل جنس أتم حسناً من إناثها. وربما لم يكن للإناث شيء من الحسن، وتكون الذكورة في غاية الحسن؛ كالطواويس والتدارج⁽⁵⁾. وإناثها [لا تدانيها في الحسن، ولها من الحسن مقدار]، وربما كنّ دون الذكورة، ولهنّ من الحسن مقدار، كإناث الدرايح والقبج⁽⁶⁾ والدجاج والحمام، والوراشين، وأشباه ذلك.

[وإذا قال الناس: تياس، عُرف معناه واستفدّرت صناعته. وإذا قالوا: كبّاش، فإنما يعنون بيع الكباش واتخاذها للنطاح].

والتيوس قبيحة جداً. وزاد في قبحها حسن الصفايا⁽⁷⁾.

(التشبيه بالكباش والتفاؤل بها)

وإذا وصفوا أعذاق⁽⁸⁾ النخل العظام قالوا: كأنها كباش. وقال الشاعر:

(1) الجمد، بالتحريك: الثلج. والكلمة التي بعدها هي فيما عدل: «والريح».

(2) التخيير: التفضيل.

(3) فيما عدل: «النخلة» بالخاء المهملة، تحريف.

(4) المعادن: المواطن. عدن بالمكان: أقام، وعدنت البلد: توطنته.

(5) التدارج: جمع تدرج. انظر ص 142 فيما عدل: «التدريج».

(6) الدرايح: جمع دراج. انظر ص 142، والقبج، بالتحريك، فسر في (3: 96).

(7) الصفايا: جمع صفيه. انظر التنبيه الثالث ص 142.

(8) الأعذاق: جمع عذق، بالكسر، وهو العرجون بما فيه من الشماريح. ط فقط: «أعناق» تحريف.

كَأَنَّ كِبَاشَ السَّاجِسِيَّةِ عُلِّقَتْ دُوبَيْنَ الْخَوَافِي أَوْ غَرَائِرَ تَاجِرٍ⁽¹⁾
 [وَصَوَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، فِي زَقَاقِ قَصْرِهِ⁽²⁾، أَسْدًا، وَكَلْبًا، وَكِبْشًا. فَقَرَنَهُ مَعَ سَبْعِينَ
 عَظِيمِي الشَّانِ: وَحْشِيٍّ، وَأَهْلِيٍّ؛ تَفَاوُلًا بِهِ].

(شعر في ذم العنز)

ومما⁽³⁾ ذُمُّوا فِيهِ الْعَنْزُ دُونَ النَّعْجَةِ قَوْلُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ⁽⁴⁾ :
 وَلَسْتُ بِمَعْرَاضٍ إِذَا مَا لَقَيْتَهُ يَعْبَسُ كَالْغَضْبَانِ حِينَ يَقُولُ
 وَلَا بِسَبْسِ كَالْعَنْزِ أَطُولُ رِسْلَهَا وَرُئْمَانُهَا يَوْمَانِ ثُمَّ يَزُولُ⁽⁵⁾
 وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ أَيْضًا⁽⁶⁾ :
 وَمَنْ خَيْرٍ مَا يَتَعَاطَى الرِّجَالُ نَصِيحَةُ ذِي الرَّأْيِ لِلْمَجْتَبِيهَا⁽⁷⁾
 فَلَا تَكِ مِثْلَ الَّتِي اسْتَخْرَجَتْ بِأُظْلَافِهَا مُدْيَةً أَوْ بِفِيهَا⁽⁸⁾
 فَقَامَ إِلَيْهَا بِهَا ذَابِحَ وَمَنْ تَدْعُ يَوْمًا شَعُوبٌ يَجِيهَا⁽⁹⁾
 فَظَلَّتْ بِأَوْصَالِهَا قِدْرُهَا تَحْشُ الْوَلِيدَةَ أَوْ تَشْتَوِيهَا⁽¹⁰⁾
 وَقَالَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ⁽¹¹⁾ :

(1) الساجسية : ضأن حمر . قال أبو عارم الكلابي (اللسان 7 : 408) :

فالعنق مثل الساجس الحفضاع

- والخوافي : السعفات اللواتي يلين القلب، وهي لفظة نجدية . وهي في لغة أهل الحجاز : العواهن . والغراير : جمع غرارة، وهي الجوالق . فيما عدل : «كان الكباش» وفي ط، هـ : «دوين أجير» محرفة، وموضع كلمة : «الغراير» أبيض في ش . وفيما عدل : «غداثر» مكان «غرائر» تحريف .
- (2) الرقاق، بالضم : طريق ضيق درن السكة . وقد سبق هذا الخبر بتفصيل في (1 : 227) وبلغظ : «في دهليز قصره» . والدهليز، بالكسر : ما بين الباب والدار، فارسي معرب وانظر الخبر أيضا في عيون الأخبار (1 : 147) .
- (3) فيما عدل : «وما» .
- (4) هذه الكلمة ليست في ل، ش : «الدئلي» . وانظر اللسان (دأل) .
- (5) بسبس، كذا وردت . والرسل، بالكسر : اللين . والرئمان : العطف . وفيما عدل ط : «ثم تزول» .
- (6) يخاطب الحصين بن أبي الحر العنبري . انظر الأغاني (11 : 114) .
- (7) فيما عدل : «للمجتليها» . وفي الأغاني : «للمجتنيها» بالنون .
- (8) ط، هـ : «مثل الذي» ، تحريف . وانظر قصة المثل في التنبيه 1 ص 317 .
- (9) شعوب : علم للمنية، سميت شعوب لأنها تشعب أي تفرق . وشعوب، مؤنثة معرفة لا تنصرف . فيما عدل : «ومن يدع» ، وفيه أيضا : «شعوباً» تحريف . يجيها : يجيها . وفي المخصص (6 : 121 س 4) : «يجيها» من الإجابة، تحريف . والبيت كذلك محرفاً في حماسة البحري 285 .
- (10) الأوصال : الأعضاء، واحدها وصل بالكسر والضم . تحش : أي تحش النار : تجمع إليها ما تفرق من الحطب . ط، هـ : «يخش» ش : «يحس» بالإهمال ؛ محرفان عما أثبت من ل والأغاني . و«أو» هي في ط، ش : «أن» هـ : «إذ» محرفاً . وفي جميع نسخ الأصل : «تحويها» ، وأثبت ما في الأغاني .
- (11) روى البيت الثاني في حماسة البحري 286 منسوباً إلى الأعور الشني .

إِذَا صَبَّحْتَنِي مِنْ أَنْاسٍ ثَعَالِبٍ لَتَرْفَعَ مَا قَالُوا مَنَحْتَهُمْ حَقْرًا⁽¹⁾
فَكَانُوا كَعَنْزِ السُّوءِ تَتَغَوُّ لَحِينَهَا وَتَحْفِرُ بِالْأُظْلَافِ عَنْ حَتْفِهَا حَفْرًا⁽²⁾
[وقال الفرزدق:

وَكَانَ يُجِيرُ النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ فَأَصْبَحَ يَبْغِي نَفْسَهُ مِنْ يُجِيرُهَا
وَكَانَ كَعَنْزِ السُّوءِ قَامَتْ بِظْلَفِهَا إِلَى مُدْيَةٍ تَحْتَ التَّرَابِ تُشِيرُهَا⁽³⁾

(أمنية أبي شعيب القلال)

وقال رمضان⁽⁴⁾ لأبي شعيب القلال⁽⁵⁾ - وأبو الهذيل حاضر-: أي شيء تشتهي؟ وذلك [نصف النهار]، في يوم من صيف البصرة⁽⁶⁾. قال أبو شعيب: أشتهي أن أجيء إلى باب صاحب سَقَط⁽⁷⁾، وله على باب حانوته أليّة معلقة، من تلك المبرزة المشرّجة⁽⁸⁾، وقد اصفرّت، وودكها يقطر من حاقّ السمن⁽⁹⁾، فأخذ بحضنها⁽¹⁰⁾ ثم أفتح [لها] فمي. فلا أزال كدماً [كدماً]، ونهشاً [نهشاً]، وودكها يسيل على شدقي، حتى أبلغ عجب الذنب⁽¹¹⁾! قال أبو الهذيل: ويلك قتلتنى⁽¹²⁾ قتلتنى!! يعني من الشهوة.

- (1) الحقير، بالفتح: الاحتقار والاستصغار. ش، هـ: «تغالب» تحريف. وفيما عدل ل: «ليرفع». وفي الوساطة 263: «لأدفع».
- (2) تغو، من الثغاء، وهو صوت المعز والشاء وما شابههما. والحين: الهلاك. فيما عدل ل: «تبغي لحينها»، صوابه في ل وحماسة البحري. وصدّره فيها: «ولا كائنًا كالعنز».
- (3) انظر البيت، وقد سبق في ص 317.
- (4) رمضان، أحد معاصري الجاحظ. وقد أجرى له حديثاً في البخلاء 124.
- (5) القلال: الذي يصنع القلل، وهي جرار كبيرة. وكان أبو شعيب أديباً شاعراً. أخبار أبي نواس 41، وانظر خبره مع الرشيد في البيان (2: 261).
- (6) فيما عدل ل: «من الصيف بالبصرة».
- (7) السقط، بالتحريك: مالا خير فيه. لعله أراد به حشوة الذبيحة: أطرافها، كما يطلق اليوم هذا اللفظ في العامية المصرية.
- (8) المبرزة: التي وضع فيها البزر، وهو بالفتح والكسر: التابل، جمعه أبار، وفي اللسان: «بزر القدر: رمى فيها البزر». والمشرّجة: المشققة، أو التي خالط شحمها بعض اللحم. فيما عدل ل: «المشرّجة» بالحاء، وهي المقطعة قطعاً رقيقة.
- (9) حاقّ السمن: كماله وتمامه. فيما عدل ل: «جانب السمن». تحريف.
- (10) الحضن، بالكسر: جانب الشيء وناحيته. ط، هـ: «بخصيها» ش: «بخصيها» صوابهما ما أثبت من ل.
- (11) العجب، بالفتح: أصل الذنب.
- (12) فيما عدل ل: «فتنتني» من الفتنة.

باب في الماعز⁽¹⁾

قال صاحب الماعز: في أسماء الماعز وصفاتها، ومنافعها وأعمالها، دليل على فضلها. فمن ذلك أن الصنفية أحسن من النعجة⁽²⁾. وفي اسمها دليل على تفضيلها⁽³⁾. ولبنها أكثر أضعافاً، وأولادها أكثر أضعافاً⁽⁴⁾، وزُبدُها أكثر وأطيب.

وزعم أبو عبد الله العتبي⁽⁴⁾ أن التيس المشراطي⁽⁵⁾ قرع في يوم واحد نيفاً وثمانين قرعة. وكان قاطع الشهادة. وقد بيع⁽⁶⁾ من نسل المشراطي وغيره الجدي بثمانين درهماً⁽⁷⁾، والشاة بنحو من ذلك.

وتحلب خمسة مكايك⁽⁸⁾ وأكثر. وربما بيع [الجلد] جلد الماعز [فيشتريه] الباضوزكي⁽⁹⁾ بثمانين درهماً وأكثر.

والشاة إذا كانت كذلك فلها غلة نافعة تقوم بأهل البيت.

والنعال البقرية من السبب وغير السبب⁽¹⁰⁾ مقسوم نفعها بين الماعز والبقر، لأن للشرك⁽¹¹⁾ من جلودها خطراً، وكذلك القبال والشسع⁽¹²⁾. ووصف حميد بن ثور جلدًا من جلودها، فقال:

(1) هذا العنوان ساقط من ل. وبدله في ش: «باب في أسماء الماعز وصفاتها ومنافعها وأعمالها». كما أن الكلام من مبدأ: «قال صاحب الماعز» إلى: «وأعمالها» ليس في ش.

(2) يريد بالصنفية أنثى المعز، وانظر ما سبق ص 142، ط فقط: «أفضل» بدل: «أحسن».

(3) فيما عدل: «أسمائها» بدل «اسمها» وفي ط، هـ: «فضلها» مكان: «تفضيلها».

(4) ل: «الغنمي»، وانظر ما سبق ص 149.

(5) فيما عدل: «الشراطي» وانظر ما سبق ص 149، وهو هناك بدون ألف بعد الراء.

(6) ط فقط: «يباع»، تحريف.

(7) ل فقط: «ديناراً»، وبين التقديرين بون شاسع.

(8) المكوك، كسفود: مكبال معروف لأهل العراق، والجمع مكايك ومكاكي على البدل، كراهية التضعيف. وهو ثلاث كيلجات، والكيلجة منا وسبعة أثمان منا. والمنا: رطلان. فيما عدل: «مكاكي». وفي المصباح: «وربما قيل مكاكي على البدل. ومنعه ابن الأنباري وقال: لا يقال في جميع المكوك مكاكي، بل المكاكي جمع المكاء، وهو طائر».

(9) كذا ورد هذا اللفظ في ل. قال المحقق الكبير الأب أنستاس: «صوابها الباضوزكي براء مهملة، لا بالزاي». وانظر الاستدراكات.

(10) السبب، بالكسر: الجلد المدبوغ، أو جلود البقر.

(11) الشرك، بضمين: جمع شرك بالكسر، وهو سير النعل. ط، ش: «للشرط» هـ: «الشرط» بالطاء فيهما، تحريف صوابه في ل.

(12) قبال النعل، ككتاب: زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها. وقبلها كمنعها وقابلها وأقبلها: جعل لها قباليين. والشسع، بالكسر: هو السير الذي يدخل في الخرت، وهو الثقب الذي في صدر النعل. فيما عدل: «بدل» بدل «كذلك» تحريف.

تَتَابَعَ أَعْوَامٌ عَلَيْنَا أَطْبَنُهَا وَأَقْبَلَ عَامٌ أَصْلَحَ النَّاسَ وَاحِدٌ⁽¹⁾
وَجَاءَتْ بِذِي أُونَيْنِ مَازَالَ شَأْنُهُ تُعَمَّرُ حَتَّى قِيلَ هَلْ مَاتَ خَالِدٌ⁽²⁾
وقال راشد بن سَهَاب⁽³⁾ :

تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بَيوتِنَا كَمِغْرَى الْحِجَازِ أَعْوَزَتْهَا الزَّرَائِبُ⁽⁴⁾
(لحم الماعز والضأن)

ومن منافعها الانتفاعُ بشحم الثَّربِ والكلية، وهما فوق شحم الألية. وإذا مدحوا اللحم قالوا: لحم الماعز الحَصِيّ الثَّنيّ! وقال الشاعر⁽⁵⁾ :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشَّوْا لَحْمَ ضَأْنٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طَلَاهِمُ⁽⁶⁾
والممرورون الذين يصرعون، إذا أكلوا لحم الضأن اشتدَّ ما بهم، حتى يصرعهم ذلك في غير⁽⁷⁾ أوان الصرع.

- (1) كذا ورد البيت محرراً في ل، وفي سائر النسخ: «علينا لطيبها»، ووجه إنشاده كما في رسالة الغفران ص 62 :
- تتابع أعوام عليها هزلنها وأقبل عام ينعش الناس واحد
والبيت في صفة عجوز كان حميد نزل عليها، هو وصاحب له يدعى أبا الخشخاش. وقبل البيت:
- جلبانة ورهاء تخصي حمارها بغى من بغى خيراً إليها الجلامد
إزاء معاش لا يزال نطاقها شديداً وفيها سورة وهي قاعد
- (2) جاءت، أي العجوز، أحضرت وطب اللبن إلى حميد وصاحبه والأونان: الخاصرتان، كما في تاج العروس، عنى أن هذا الوطب عظيم صنع من جلد هذه الشاة المعمرة. وذلك أعظم له. فيما عدل ل: «بذي لونين» تحريف. وفيما عدل أيضاً: «قد مات خالد»، ورواية المعري:
- فجاء بذي أونين أعبر شأنه وعمر حتى قيل هل هو خالد
صواب صدره: «فجاءت بذي أونين أعبر شاته». أعبر الغنم: تركها عاماً لا تجز. والشاة: الواحد من الغنم، يكون للذكر والأنثى. وانظر لأبيات هذه القصيدة الشعراء 352-354 واللائي 969.
- (3) سَهَاب، بالسين المهملة المكسورة. وراشد بن سَهَاب شاعر جاهلي من بني يشكر؛ قال صاحب القاموس في ترجمة (س ه ب): «وليس لهم سَهَاب بالمهملة غيره». قال المرتضى في الشرح: هكذا ضبطه المفجع البصري وقال: من قاله بالمعجمة فقد أخطأ. فيما عدل ل: «وقال وأنشد ابن سَهَاب»، وأثبت الصواب من ل. ولراشد بن سَهَاب هذا المفضليتان 86، 87 طبع المعارف. على أن البيت الذي أنشده الجاحظ منسوباً إلى راشد، ليس له، بل هو وهم منه، فإنه للأخس بن سَهَاب التغلبي من المفضلية 41 وهو البيت التاسع عشر.
- (4) الرائدات، التي ترعى لا تعلف في البيوت، فهي تورد المراعي من كثرتها. أعوزتها الزرائب: لم تتسع لها لكثرتها. ط، ه: «زائرات» ش: «زيرات» صوابهما في ل والمفضليات. فيما عدل ل: «بيوتها»، و: «الفجار» صوابهما في ل والمفضليات. ورواية المفضليات: «أعجزتها الزرائب». وفي ش: «أعجبته» هذه محرفة. والحجاز معروفة بكثرة المعزى، ومنه قوله (انظر الفصول والغايات 292):
- ولا غرو إلا نزوهم من نبالننا كما اصغفرت معزي الحجاز من الشعف
- (5) هو ذو الرمة كما في اللسان (نعج)، ولم نرو في صلب ديوان ذي الرمة.
- (6) انظر لشرح هذا البيت وتحقيقه (4: 175). فيما عدل ل: «بعجون» تحريف.
- (7) هذه الكلمة ساقطة من ط.

وأوان الصُّرْع الأَهْلَّة وأنصاف الشهور⁽¹⁾. وهذان الوقتان [هما] وقت مد البحر وزيادة الماء. ولزيادة القمر إلى أن يصير بدرًا⁽²⁾ أثر بيّن في زيادة الدماء والأدمغة، و[زيادة]⁽³⁾ جميع الرطوبات.

(أمثال في المعز والضأن)

ويقال: «فلان ماعزٌ من الرجال»⁽⁴⁾، و: «فلان أمعزٌ من فلان»⁽⁵⁾. والعِتاق مَعَزُ الْخَيْلِ، والبراذين ضأنها.

وإذا وصفوا الرَّجُل بالضعف والموق قالوا: «ما هو إلا نعجةٌ من النعاج». ويقولون في التقديم والتأخير⁽⁶⁾: «ما له سَبَدٌ ولا لَبَدٌ».

وقال الشاعر:

نَشَبِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ صَفَدٍ	وَحَوَيْتُ مِنْ سَبَدٍ وَمِنْ لَبَدٍ ⁽⁷⁾
هَمِّمْ تَقَاذِفْتَ الْهَمُومُ بِهَا	فَنَزَعَنْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ
يَا رَوْحَ مَنْ حَسَمَتْ قَنَاعَتُهُ	سَبَبَ الْمَطَامِعِ مِنْ غَدٍ وَغَدٍ ⁽⁸⁾
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مَتَّهِمًا	لَمْ يُمَسِّ مُحْتَاجًا إِلَى أَحَدٍ ⁽⁹⁾

وهذا شعر رويته على وجه الدهر⁽¹⁰⁾.

(1) فيما عدل: «وانتصاف الشهور»: بلوغ النصف. وأثبت ما في ل و عيون الأخبار (2: 74).

(2) فيما عدل: «حتى يصير بدرًا».

(3) هذه الزيادة من ش.

(4) في اللسان: «رجل ماعز ومعز: معصوب شديد الخلق.. وفي حديث عمر رضي الله عنه: «تمعزوا واخشوشنوا». هكذا جاء في رواية. أي كونوا أشداء صبراً، من المعز، وهو الشدة.. قال الأزهري: رجل ماعز إذا كان حازماً مانعاً ما وراءه شهماً. ورجل ضائن إذا كان ضعيفاً أحمق». فيما عدل: «هو والله» بدل: «فلان». وفي ش: «لماعز» بدل: «ماعز».

(5) انظر التنبيه السابق.

(6) أي في تقديم السبد، وهو شعر المعز، على اللبد، وهو بالتحريك أيضاً: الصوف. انظر لهذا المعنى ص 352، وانظر للمثل جمهرة العسكري 191 والميداني (2: 200) واللسان (4: 392).

(7) النشب: المال. والصفد: العطية.

(8) الروح، بالفتح: الاستراحة والفرح والسرور. حسمت: قطعت. يقول: بالغبطة من ذهب به قناعته عن المطامع. ط، ش: «من حسنت» هـ: «حشت» صوابهما في ل وفي ط، ش: «سب المطامع» هـ: «سبب المطامع»، صوابهما في ل.

(9) أراد: من لم ييأس من روح الله. وفي ديوان أبي نواس 193:

لَوْلَمْ تَكُنْ لِلَّهِ مَتَّهِمًا لَمْ تَمَسِّ مُحْتَاجًا إِلَى أَحَدٍ

(10) فيما عدل: «وهذا الشعر» إلخ.. ووجه الدهر: أوله.

وزعم لي حُسَيْن بن الضَّحَّاك⁽¹⁾ أنه له . وما كان لِيَدَّعِي ما ليس له⁽²⁾ .
وقال لي سعدانُ المكفوف⁽³⁾ : لا يكون : « فَنَزَعَنَ من بلد إلى بلد » . بل كان ينبغي أن
يقول : « فَنَازَعَنَ »⁽⁴⁾ .

(فضل الماعز)

وقال : والماعزة قد تُؤلِّد⁽⁵⁾ [في السنة] مرتين ، إلا ما ألقى منها في الدَّيَّاس⁽⁶⁾ . و[لها
في الدَّيَّاس] نفع⁽⁷⁾ موقعه كبير . وربما باعوا عندنا بطنَ الماعز⁽⁸⁾ بثمنِ شاةٍ من الضَّأن .
قال : والأفِط⁽⁹⁾ للمعز . وقرونها هي المنتفع بها⁽¹⁰⁾ .
قال : والجديُّ أطيبُ من الحمل وأكرم . وربما قدموا على المائدةِ الحملَ مقطوعَ الألية
من أصلِ الذَّنْب ؛ ليوهموا أنه جدي .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وعقولُ الخلفاء فوقَ عقولِ الرعية ، وهم أبصرُ
بالعيش ، استعملوا ذلك أو تركوه - [فقال] : أَتَرَوْنَ أَنِّي لا أعْرِفُ الطيبات ؟ لبابُ البُرِّ بصغار
المعزي⁽¹¹⁾ !

- (1) حسين بن الضحاك : من شعراء الدولة العباسية ، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم ، وكان ماجناً مطبوعاً حسن التصرف في الشعر ، وكان أبو نواس يغير على معانيه في الخمر ، وعمر عمرأ طويلاً حتى قارب المائة ، ومات في خلافة المستعين سنة خمسين ومائتين . انظر الأغاني (6 : 165) وتاريخ بغداد 4120 والمؤتلف 113 وابن خلكان (1 : 154) . فيما عدل ل : « حسن بن الضحاك » ، تحريف .
- (2) فيما عدل ل : « وما كان يدعي ما ليس له » . أقول : البيت الأخير من زهدية عددها عشرون بيتاً . لأبي نواس في ديوانه 192-193 .
- (3) سبقت ترجمته في (1 : 125) .
- (4) المنازعة : المغالبة والمجادبة . ونزع من مكان إلى آخر : انتقل .
- (5) ط فقط : « تلد » . وانظر التنبيه 2 ص 307 .
- (6) الدياس ، بالكسر : دوس الطعام ودقه ليخرج الحب منه . ط ، ش : « الرماس » هـ : « الرياس » ، صوابهما في ل .
- (7) فيما عدل ل : « يقع » ، تحريف .
- (8) أراد ما في بطنها من الحمل ، وهو بيع فاسد . قال منلا مسكين : « وقد كانوا يعتادون ذلك في الجاهلية » .
- (9) الأقط ، ككتف ، وبالفتح والكسر والضم وبالتحريك ، وكرجل وإبل : شيء يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ ثم يترك حتى يمتص ، ولعل الجاحظ قد أراد أن أجود الأقط ما كان من لبن المعز ، ففي اللسان ، « قال ابن الأعرابي : هو من ألبان الإبل خاصة » . وهي دعوى من ابن الأعرابي يكذبها قول امرئ القيس في المعزى :

فتوسع أهلها أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شعب وري
وفي القاموس أن الأقط « شيء يتخذ من المخيض الغنمي » . وفي التاج : « وقال غيره : الأقط لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به » .
(10) كلمة : « قرونها » ساقطة من ط . وبدلها في هـ : « قدورنا » محرفة . وفي ش : « فيها » بدل : « منها » تحريف .
(11) فيما عدل ل : « وصغار المعزى » . وانظر رواية الخبر في البيان (1 : 18) .

وملوكنّا يُحْمَلُ⁽¹⁾ معهم في أسفارهم البعيدة الصفايا الحوامل، المعروفاتُ أزمانِ الحمل والوضع، ليكونَ لهم⁽²⁾ في كل منزلٍ جداءٌ مُعَدَّةٌ. وهم يقدرُون على الحُمْلانِ السَّمانِ بلا مؤونة⁽³⁾.

والعناق [الحمراء] والجداء، هي المثل في المعز والطيب. ويقولون: جداء البصرة، وجداء كسكر⁽⁴⁾.

وسلخ الماعز على القَصَّاب أهون. والتَّجار يذكر⁽⁵⁾ في خصال السَّاج⁽⁶⁾ سَلَسَهُ⁽⁷⁾ تحت القُدُوم والمتقب والميشار⁽⁸⁾.

(أمارات حمل الشاة)

وقيل لأعرابي: بأي شيء تعرف حمل شاتك؟ قال: إذا تورَّم حيَّها⁽⁹⁾ ودجَّتْ شَعْرَتها⁽¹⁰⁾ واستفاضت خاصرتها.

وللداجي⁽¹¹⁾ يقال: قد كان ذلك وقد دَجَا ثوبُ الإسلام⁽¹²⁾، وكان ذلك وثوبُ الإسلام داجٍ.

(المرعزي وقراءة الماعزة من الناس)

قال: وللماعز المرعزي⁽¹³⁾؛ وليس [للضأن إلا] الصوف.

- (1) فيما عدل: «تحمل» بالتاء.
- (2) فيما عدل: «لها».
- (3) ط: «وهم يقدرُون» تحريف. وكلمة: «السمان» ليست في ل.
- (4) كسكر: كورة من كور فارس. انظر (8:4) و(138:2).
- (5) فيما عدل: «يركز» تحريف.
- (6) الساج: شجر سبق الحديث عنه في ص 56.
- (7) السلس: بالتحريك: اللين والسهولة. فيما عدل: «سلسلة»، تحريف.
- (8) في اللسان: «المشَّار بالهمز هو المنشار بالنون. قال: وقد يترك الهمز». ط، ش: «والمنشار» وهي صحيحة. هـ: «والعسار» محرف. وقد يقال ما ذا أراد الجاحظ بالجمع بين الماعز والساج؟ فالجواب أنه أراد المقارنة بين سلخ جلد الماعز وقشر سطح الساج. وثقبه، ونحته. فكما أن الساج وهو من أنفُس أنواع الخشب، سهل لين في معالجته، كذلك تكون سهولة معالجة سلخ جلد الماعز دليلاً على نفاسته وعلوه.
- (9) الحيا: الفرج من ذوات الظلف والخف.
- (10) دجت شعرتها: طال شعرها وركب بعضه بعضاً. وعنز دجواء: سابعة الشعر. ط، هـ: «وخرجت» ش: «وخرجت» مع إسقاط الكلمة التي بعدها. والصواب ما أثبت من ل. وفي عيون الأخبار (75:2): «رجت شعرتها»، خطأ في النص والضبط وقد سبق هذا الخبر في (139:3).
- (11) فيما عدل: «والداجي».
- (12) المعروف: «دجا الإسلام» و«إسلام داج». لكن جاء في اللسان في تفسير قول القائل «أبي مذ دجا الإسلام لا يتحنف»: «قال: لج هذا الكافر أن يسلم بعد ما غطى الإسلام بثوبه كل شيء». وانظر (139:3).
- (13) المرعز والمرعزي ويمد إذا خفف، وقد تفتح الميم في الكل: شيء كالصوف يخلص من بين شعر العنز. انظر القاموس واللسان (رعز) والجواليق 307، وفي كتاب التبصر بالتجارة للجاحظ ص 21: «وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعزي القرمزي الأرمني المنير».

والكسَاء^(١) كلها صوفٌ ووبرٌ وريشٌ وشعرٌ، وليس الصوف إلا للضأن وذوات الوبر كالإبل والثعالب، والحُزَز^(٢) والأرنب، وكلاب الماء^(٣)، والسَّمُور، والفَنَك^(٤)، والقاقم^(٥)، والسَّنَجاب، والدَّبَاب^(٦).

[والتي] لها شعر^(٧) كالبقر والجواميس، والماعر، والظباء، والأسد، والنمور والدئاب، والبُور، والكلاب، والفهود، والضباع، والعِتاق، والبراذين، والبغال، والحمير، وما أشبه ذلك^(٨).

والإنسان الذي جعله الله تعالى فوق جميع الحيوان في الجمال والاعتدال، و[في] العقل والكرم، ذو شعر.

فالماعزة بقرباتها من الناس^(٩) بهذا المعنى أفخر وأكرم.

(١) الكساء، بالكسر: جمع كسوة بالضم، وهي الثوب الذي يلبس. انظر القاموس والتاج. قال الزبيدي: «نقله الصاغاني»، ومثله ببرمة وبرام، وبرقة وبراق. ش: «الكسا» وتقرأ بالضم. ل: «الكسي» وهو مذهب الكوفيين في الرسم. وفي المقصور 6: «وزعم قوم من أهل الكوفة أن ما كان من المقصور على ثلاثة أحرف، وكان الحرف الأول مكسوراً أو مضموماً فجائز أن يكتب بالياء وإن كان أصله الواو».

(٢) الحز: ذكر الأرنب، يراد به نوع كبير من الأرنب. انظر معجم المعلوم 150، وكثيراً ما تطلق المعاجم العربية كلمة: «الذكر» على الضرب الكبير من الحيوان. ه: «الخز» تحريف. ل: «الخز» بزي واحدة. وقد اختلف اللغويون والعلماء في «الخز» اختلافاً كبيراً؛ فذهبت المعاجم العربية إلى أنه ضرب من الثياب الحريرية. انظر اللسان والقاموس وشرحه ونهاية ابن الأثير والمخصص (4: 68). وانفرد صاحب المصباح فقال: إنه «اسم دابة ثم أطلق على الثوب المتخذ من وبرها». وقد رد داود صاحب التذكرة على اللغويين وقال: إن الخز دابة بحرية ذات قوائم أربع في حجر السنانير لونها إلى الخضرة». كما ذكر استينجاس 458 أنه شعر الدابة البحرية التي تسمى «كلب الماء»: A five hair of tge beaver.

(٣) كلب الماء: حيوان طويل الذنب، قصير القوام والأذنين، بين أصابعه غشاء يعينه على السباحة، ولونه أحمر قاتم: Beaver or Lutra vulgaris.

(٤) الفنك بالتحريك: ثعلب صغير ناعم الشعر أغبر اللون، كبير، يقال للنوع الإفريقي منه بالإنكليزية: Fennec وللأسيوي منه: Corsac بلفظه التركي. وهو فارسي معرب ولفظه في الفارسية كلفظه في العربية. استينجاس 940 وأدي شير 122 والمعرّب 248.

(٥) القاقم، بضم القاف الأخيرة: حيوان من فصيلة بنات عرس: Ermine، قال المعلوم: «تركيبته قاقم». قلت: «وهو بالفارسية «قاقم». استينجاس 498، ط: «الغمام» ه: «العمام» صوابهما في ل، ش.

(٦) الدباب: جمع دب، ويقال في جمعه أيضاً دببة، وهو من ذوات الوبر والفراء. ل: «والدنيا»، ه: «والديبا» ط: «والذي» ش: «والدب»، والوجه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص 17.

(٧) كلمة: «والتي» ليست في الأصل، وفي الأصل: «كلها» بدل: «لها».

(٨) ل: «وأشبه ذلك».

(٩) فيما عدا ل: «الماعزة لقرباتها من الناس».

(الماعز التي لا ترد)

وزعم الأصمعي أن لبني عُقِيلٍ ماعزًا لا ترد⁽¹⁾. فأحسبُ واديهم أخصبَ وادٍ وأرطبهُ⁽²⁾. أليس هذا من أعجب العجَب؟!

(جلود الماعز)

ومن جلودها تكون القربُ، والزَّقاقُ، وآلة المشاعِل⁽³⁾، وكلُّ نَجِي⁽⁴⁾، وسغن⁽⁵⁾، ووُطْبَ، وشُكِيَّة⁽⁶⁾، وسِقَاءٍ، ومَزَادَةٍ، مسطوحَةٌ كانت أو مثلوثة⁽⁷⁾، ومنها ما يكون الخون⁽⁸⁾، وعِكْمُ السِّلَفِ⁽⁹⁾، والبطائن⁽¹⁰⁾ والجُرْبُ. ومن الماعزة تكون أنطاخ البُسُط⁽¹¹⁾، وجِلَالُ الأثقال في الأسفار⁽¹²⁾، وجِلَالُ قِباب الملوك. وبِقِباب الأدم تتفاخر العرب⁽¹³⁾. وللقِبابِ الحمر قالوا: مضر الحمراء⁽¹⁴⁾. وقال عبيد بن الأبرص:

(1) ترد: من ورود الماء. ل: «ماعزة». والماعزة الواحدة من الماعز.

(2) انظر هذا الخبر في (6: 180).

(3) فيما عدل: «والمناكل» تحريف. والمشاعل: جمع مشعل، وهو شيء من جلود له أربع قوائم ينتبذ فيه. قال ذو الرمة:

أضعن مواقف الصلوات عمداً وحالفن المشاعل والجرازا

(4) النحي، بالكسر: الزق، وقيل ما كان للسمن خاصة. فيما عدل: «خرج».

(5) السغن، بالضم والفتح: قرية تقطع من أسفلها ويشد عنقها وتعلق إلى خشبة أو جذع نخلة ثم ينبذ فيها. وهو شبيه بدلو السفائين يصبون به في المزاييد. ط، ش: «ثغر» ه: «ثغر»، صوابهما في ل.

(6) الشكية: تصغير الشكوة، وهي بالفتح: وعاء كالدلو أو القربة الصغيرة. ل: «شكوة» ش: «شكة» ه: «شكنه»، والأخيرتان محرفتان.

(7) الجوهرى: المثلثة: المزايدة تكون من ثلاثة جلود. ل: «مثلثة» تحريف.

(8) الخون: بالضم: جمع خوان بالضم والكسر، وهي المائدة يوضع عليها الطعام. ل: «الحوز» ش: «بالحون» محرفتان. ط: «الخوان» وأثبت ما في ه. وقد تكون «الجون» بضم ففتح: جمع جونة، وهي سليلة مستديرة مغشاة أدمًا تكون مع العطارين.

(9) العكم والعكام، بالكسر فيهما: حبل يربط به. والسلف، بالفتح: الجراب، أو الضخم منه. وفي الأصل: «لكم السلف».

(10) ل: «الكيساني». وفي اللسان: «والكيسانية جلود حمر ليست بقرطية».

(11) النطع، بالكسر والفتح وبالتحريك وكعنب: بساط من الأديم. فيما عدل: «يكون».

(12) في اللسان (13: 126 س2): «وجلال كل شيء: غطاؤه، نحو الحجلة وما أشبهها». قلت: يبدو لي أنها جمع لا مفرد، وأن مفردها جل، وأصله غطاء الدابة.

(13) ط، ه: «يتفاخر العرب».

(14) قالوا: إن نزارًا لما حضرته الوفاة جمع أولاده وأوصى لكل منهم، فأوصى لمضر بقبة حمراء. وانظر حديث هذه الوصية في بلوغ الأرب (3: 264-266) والمفضليات القصيدة 96: 22 طبع المعارف. فيما عدل: «قيل» موضع: «قالوا».

فاذهب إليك فإني من بني أسد أهل القباب وأهل الجرد والنادي⁽¹⁾ (الفخر بالماعر)

وقالوا⁽²⁾: وفخرتم بكبشة وكبيشة وأبي كبشة، فمئنا عنز اليمامة⁽³⁾، وعنز وائل⁽⁴⁾، ومنا ماعز بن مالك، صاحب التوبة النصوح⁽⁵⁾.

[وقال صاحب الماعز: وطعنتم على الماعزة بحفرها عن حنفها، فقد قيل ذلك للضأن، من ذلك قول البكري⁽⁶⁾ للعنبرية، وهي «قيلة»⁽⁷⁾ وصار معها إلى النبي فسأله الدهناء⁽⁸⁾، فاعترضت عنه قيلة، فقال لها البكري: إني وإياك كما قال القائل: «عن حنفها تبحث ضأنًا بأظلافها»⁽⁹⁾!، فقالت له العنبرية: مهلاً، فإنك ما علمت: جواداً بذئ الرجل⁽¹⁰⁾، هادياً في الليلة الظلماء، عفيفاً عن الرفيقة! فقال: لازلت مصاحباً بعد أن أثبت علي بحضرة الرسول بهذا!].

(ضرر الضأن ونفع الماعز)

وقالوا: والنعجة حرب⁽¹¹⁾، واتخاذها خسران، إلا أن تكون في نعاج سائمة، لأنها لا

(1) الجرد: جمع أجرد، وهي الخيل القصيرة الشعر. فيما عدل: «الجود»، تحريف صوابه في ل والديوان ص 70 نقلاً عن مختارات ابن الشجري 100، وفي شرح المختارات: «أذهب إليك: زجر. إنما ذكر النادي لأن لهم سادات يجتمعون فيه ولا للقوم ناد إلا ولهم سيد».

(2) فيما عدل: «قال».

(3) عنز هي المعروفة بزرقاء اليمامة، كانت أبصر خلق الله على بعد. انظر الميداني: (أبصر من زرقاء اليمامة).

(4) هو عنز بن وائل بن قاسط.

(5) ماعز بن مالك، أحد الصحابة، كان قد زنى فأقر على نفسه، وانطلق إلى الرسول ﷺ يطلب إقامة الحد، وألح في ذلك إلحاحاً بيناً، فأمر الرسول ﷺ برجمه فرجم، فلما عضه مس الحجارة انطلق يسعى، فاستقبله رجل بلحي جزور، فضربه به فصصره وقال في شأنه رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي لأجزأت عنهم»، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة يتقمس فيها». انظر مسند أحمد (5: 217) والسنن الكبرى للبيهقي (8: 225-228) ومسلم (2: 33-35) ومجمع الزوائد للهيتمي (6: 9) والإصابة 7581 وتأويل مختلف الحديث 238-241 ومجالس ثعلب 591.

(6) هو الحارث، أو حريث بن حسان، وافد بكر بن وائل، كان صاحب قيلة في وفادة على الرسول ﷺ للمبايعة، فبايعه حريث على الإسلام وعلى قومه، ثم قال: يا رسول الله، اكتب بيننا وبين بني تميم بالدهناء لا يجاوزنها إلينا منهم إلا مسافر أو مجاور. فقال: اكتب له يا غلام بالدهناء. فاعترضت قيلة، فقال: أمسك يا غلام. وانظر القصة مفصلة في الإصابة 896 قسم النساء ومجمع الزوائد للهيتمي (6-9) وفيه تصحيحات قيمة كثيرة لما في الإصابة من التحريف. والفاثق للزمخشري (2: 128) والعقد (1: 183-185).

(7) هي قيلة بنت مخزومة التميمية العنبرية. ترجمتها في الإصابة.

(8) الدهناء: واد في بلاد بني تميم ببادية البصرة.

(9) نص المثل في مجمع الزوائد والعقد والميداني (2: 175): «حنفها تحمل ضأن بأظلافها».

(10) ذو الرجل، بكسر الراء: موضع في ديار كلب. ورواية المجمع والعقد: «لدي الرجل».

(11) الحرب، بالتحريك: أن يسلب الرجل ماله. فيما عدل: «جرب» تحريف.

ترفع رأسها من الأكل. والنعجة آكل من الكبش، والحجر آكل من الفحل، والرمكة آكل من البردؤن. والنعجة لا يقوم نفعها بمؤونتها⁽¹⁾. والعنز تمنع الحيّ الجلاء⁽²⁾، فإن العرب تقول: إن العنوق تمنع الحيّ الجلاء⁽³⁾.

والصنّية من العراب أغزر من بُختية⁽⁴⁾ [بعيداً⁽⁵⁾].

ويقال⁽⁶⁾: «أحمق من راعي ضأن ثمانين⁽⁷⁾!».

(كرم الماعز)

وأصناف أجناس الأظلاف وكرامها بالمعز أشبه، لأن الطباء والبقر من ذوات الأذنان والشعر⁽⁸⁾، وليست من ذوات الألايا والصوف⁽⁹⁾.

والشمل⁽¹⁰⁾، والتعاويد والقلائد⁽¹¹⁾، إنما تُتخذ للصفايا، ولا تُتخذ للنعاج، ولا يخاف على ضرورها⁽¹²⁾ العين والنفس.

والأشعار التي قيلت في الشاء إذا تأملتتها وجدت أكثرها في المعز: في صفاياها وفي حوها⁽¹³⁾، وفي تيوسها وفي عنوقها وجدائها⁽¹⁴⁾. وقال مخارق بن شهاب المازني⁽¹⁵⁾ - وكان سيّداً كريماً، وكان شاعراً - فقال يصف تيس غنمه:

(1) ش: «بمعونها»، تحريف.

(2) الجلاء: النزوح عن الوطن. فيما عدل ل: «الحلا» تحريف.

(3) العنوق: جمع عناق بالفتح، وهي أنثى المعزى إذا أتت عليها سنة. والكلمة محرفة في الأصل، فهي في ل: «القلوص»، وهي الفتية من أولاد الإبل والنعام، ولا وجه له. وفيما عدل ل: «العلوم» تحريف. وكلمة «الجلاء» هي فيما عدل ل: «الخلا» محرف.

(4) العراب، بالكسر: العربية. والبختية: الخراسانية تنتج بين عربية وفالج. ل: «الصفى» فيما عدل ل: «من نجية».

(5) هذه الزيادة من ل، هـ.

(6) ط فقط: «أو يقال» تحريف.

(7) وذلك لأن الضأن تنفر من كل شيء، فيحتاج راعيها إلى أن يجمعها في كل وقت. وروى الميداني في (1: 205) روايتين أخريين عن الجاحظ في هذا المثل: «أشقى من راعي ضأن ثمانين» و«أشغل من مرضع بهم ثمانين». وانظر البيان (1: 248).

(8) فيما عدل ل: «الأوبار والشعر» وكيف يصح ذلك؟!

(9) الألايا: جمع ألية، على غير قياس. وبدلها فيما عدل ل: «الأوبار» تحريف.

(10) الشمال، ككتاب: شبه مخلاة يغشى بها ضرع العنز إذا ثقل، وجمعه شمل.

(11) القلائد، جمع قلادة، وهي ما يجعل في عنق الدابة. ل: «والقلائد والتعاويد».

(12) أي ضرور العاج. فيما عدل ل: «ضروره».

(13) الحو: جمع حواء وأحوى. والحو: سواد إلى الخضرة. وفي الأصل: «حورها» تحريف. وانظر البيت السادس من الشعر التالي. ومما مدحوا به الحو من المعز قول أوس بن حجر:

يصوع عنوقها أحوى زنيم له ظأب كما صخب الغريم

(14) ل: «وجدائها».

(15) في الإصابة 8310: مخارق بن شهاب بن قيس التميمي، ذكره المرزباني، نقل عن دعبل أنه شاعر إسلامي.

- وراحت أَصِيلَانَا كَأَنَّ ضُرُوعَهَا
له رَعَثَات كَالشُّنُوفِ وَغُرَّةً
وَعَيْنَا أَحَمَّ الْمَقْلَتَيْنِ وَعُصْمَةً
إِذَا دَوَحَتْ مِنْ مُخْلِيفِ الضَّالِ أَرَبَلَتْ
تِلَادٌ رَقِيقُ الْخَدِّ إِنْ عُدَّ نَجْرُهُ
أَبُو الْغُرِّ وَالْحَوْ اللُّوَاتِي كَأَنَّهَا
إِذَا طَافَ فِيهَا الْحَالِبَانِ تَقَابَلَتْ
تَرَى ضَيْفَهَا فِيهَا يَبِيتُ بَغِيطَةً
- دِلَاءٌ وَفِيهَا وَاتِدُ الْقَرْنُ لِبَلْبٍ⁽¹⁾
شَدِيعٌ وَلَوْنٌ كَالْوَذِيلَةِ مُذْهَبٌ⁽²⁾
ثَنَى وَضَلُّهَا دَانَ مِنَ الظِّلْفِ مُكْثِبٌ⁽³⁾
عَطَاها كَمَا يَعْطُو ذُرَى الضَّالِ قَرْهَبٌ⁽⁴⁾
فَصَرْدَانِ نَعَمَ النَّجْرُ مِنْهُ وَأَشْعَبٌ⁽⁵⁾
مِنَ الْحُسْنِ فِي الْأَعْنَاقِ جَزْعٌ مَثْقَبٌ⁽⁶⁾
عَقَائِلُ فِي الْأَعْنَاقِ مِنْهَا تَحْلُبُ⁽⁷⁾
وَضَيْفُ ابْنِ قَيْسٍ جَائِعٌ يَتَحَوَّبُ⁽⁸⁾

قال: فوفد ابن قيس هذا، على الثُّعْمَانِ، فقال له: كيف المخارقُ فيكم⁽⁹⁾؟

قال: سيِّدٌ شريف، [مَنْ رَجُلٌ⁽¹⁰⁾] يمدح تيسَه⁽¹¹⁾، ويهجو ابنَ عمِّه!

- (1) واتد: ثابت. واللبب: ذو اللبلة، أي الشفقة على المعزى. ل، ش: «راحت» بالخرم هـ: «صروها» تحريف.
- (2) رعثتا الشاة: زنمتاها تحت الأذنين. والشنوف: جمع شنف وهو القرط. والغرة الشديخ: السائبة الطويلة. والوذيلة: المرأة، أو قطعة مجلوة من الفضة. ط، هـ: «رعنات» ش: «رعبات»، صوابه في ل، وعيون الأخبار (2: 77). وفيما عدل ل: «كالوذيلة» تحريف.
- (3) العصمة: بالضم: بياض في يديه. ثنى: اثنان، كما في اللسان (18: 127) مكثب: قريب. فيما عدل ل وكذا عيون الأخبار: «بواصلها»، تحريف. فيما عدل ل: «أعذب» موضع: «مكثب» تحريف.
- (4) المخلف: الذي أخرج الخلفة وهو الورق الذي يخرج بعد ورق. والضال: شجر. ط، هـ: «وفي محذف» ش: «من محذف» صوابهما في ل. وفي عيون الأخبار: «من مخرف». أربلت: كثر ربلها. والربل، بالفتح: ورق يتفطر في آخر القيظ يبرد الليل من غير مطر. فيما عدل ل: «أرجلت» تحريف. عطاها: تناولها متطاولاً إليها. فيما عدل ل: «عضاها» تحريف. والقرهب: الثور المسن الضخم.
- (5) التلاد: الذي ولد عندك. ل: «رفيق الخد». والنجر، بالفتح: الأصل والحسب و«صردان» كذا جاء مضبوطاً بالكسر في ل. ط، هـ: «سمي النجر» ش: «سم النجر» صوابهما ما أثبت من ل. فيما عدل ل: «أسغب» وهو وصردان من آباء هذا التيس. والبيت لم يروه ابن قتيبة.
- (6) الغر: جمع غراء، وهي ذات الغرة البيضاء في الجبهة. والحو: جمع حواء فيما عدل ل: «أبو القرز الحو» تحريف. وفي عيون الأخبار: «أبو الحور والغر». وقال مسعود بن خرشة في هجاء رجل (الأغاني 21: 166):
- له أعنز حو ثمان كأنما يراهن غر الخيل أو هن أنجب
- والجزع بالفتح والكسر: خرز فيه سواد وبياض. أراد كأنها جزع مثقب في أعناق الحسان.
- (7) الحالبان: مثنى حالب. وكان العرب يعتمدون الرعاة والعبيد للحلب، ويتهاجون بحلب النساء. وفي اللسان (137: 1): «وفي الحديث: أنه قال لقوم لا تسقوني حلب امرأة. وذلك أن حلب النساء عيب عند العرب يعيرون به. فلذلك تنزه عنه». والأعناق: الجماعات أو السادات. والتحلب: السيلان. عنى غزر لبنها. ل: «طاف منها» ط: «الحالبات» تحريف. وفيما عدل ل: «تقاذفت». والبيت لم يروه ابن قتيبة.
- (8) يتحوب: يتوجع. ل: «يتخوب» بالخاء، فإن صح كان من الخوبة وهي الجوع وفي اللسان أيضاً: «خاب يخوب خوباً: افتقر». وانظر العمدة (2: 32).
- (9) فيما عدل ل: «عندكم»، وأثبت ما في ل وعيون الأخبار والعمدة والبيان (4: 43).
- (10) التكملة من ل، هـ وعيون الأخبار. وفي العمدة: «حسبك من رجل».
- (11) فيما عدل ل: «نفسه»، صوابه في ل والعمدة وعيون الأخبار.

وقال الراجز :

أَنْعَتْ ضَاناً أَمْجَرَتْ غِثَاناً^(١)

والمَجَر: أن تشرب فلا تروى . وذلك من مثالبها .

وقال رجل لبعض ولد سليمان بن عبد الملك : « ماتت أمك بَعْرًا . وأبوك بِشْمًا^(٢) ! » .
وقال أعرابي^(٣) :

أَمْوَلِي بَنِي تَيْمٍ ، أَلَسْتَ مُؤَدِّبًا	مَنْيَحْتَنَا كَمَا تَوَدِّي الْمَنَائِحَ ^(٤)
فَإِنْكَ لَوْ أَدَيْتَ صَعْدَةً لَمْ تَزَلْ	بِعَلِيَاءٍ عِنْدِي ، مَا ابْتَغَى الرَّبْحَ رَابِحَ ^(٥)
لَهَا شَعْرٌ دَاجٍ وَجِيدٌ مُقْلَصٌ	وَخَلَقَ زُخَارِي وَضَرَعَ مُجَالِحَ ^(٦)
وَلَوْ أَشْلَيْتَ فِي لَيْلَةٍ رَجَبِيَّةٍ	لَأَرْوَقَهَا هَظْلٌ مِنَ الْمَاءِ سَافِحَ ^(٧)
لَجَاءَتْ أُمَامُ الْحَالِبِينَ وَضَرَعُهَا	أُمَامَ صَفَاقِيهَا مُبِدُّ مُضَارِحَ ^(٨)
وَوَيْلُ أُمَّهَا كَانَتْ نَتِيجَةً وَاحِدَ	تَرَامِي بِهَا بَيْدُ الْإِكَامِ الْقَرَاوِحَ ^(٩)

(١) غثا: جمع غثة ، وهي المهزولة . فيما عدا ل : « عيانًا » .

(٢) البعر ، بالتحريك ، هو المجر ، وقد مر تفسيره . فيما عدا ل : « مجرا » والبشم ، بالتحريك : تخمة عن الدسم .

(٣) هو جبيهاء الأشجعي المترجم في (4: 15) . وكان مولى من بني تيم بن معاوية قد استمنحه عنزاً وماطله في ردها ، فقال هذه الأبيات يتقاضاه المنيحة . انظر المفضلية 33 طبع المعارف والمؤتلف 78 والقالبي (2: 152 ، 253) وتنبيهات البكري 109 والأغاني (16: 142) .

(٤) أصل المنيحة الناقة يمنحها الرجل صاحبه ليحتلبها ثم يردها . فيما عدا ل : « كيما تؤدي » وفي المفضليات والمؤتلف والتنبيهات والأغاني : « فيما » .

(٥) صعدة : اسم العنز التي منحه إياها . ويروى : « غمرة » . العلياء : الرفعة .

(٦) شعر داج : سابع طويل . وهذه الرواية أيضاً في المؤتلف . وفي المفضليات والأغاني والتنبيهات . « ضاف » والمقلص ، بكسر اللام المشددة : الطويل . والزخاري ، بالضم : الكثير اللحم والشحم ، ط ، هـ : « رخاوي » ش : « رخاوي » صوابهما ما أثبت من ل والمفضليات والمؤتلف والأغاني . وفي الأمالي (2: 152 ، 253) والمخصص (12: 234) : « حداري » خطأ نبه عليه البكري . والمجالح : الذي يدر على الجوع والقر . وفي المفضليات والأغاني والمؤتلف : « وضرس مجالح » يجتلع الشجر أي يقشره . وإذا فعل ذلك الحيوان كان أكثر لبنه في الشتاء .

(٧) أشليت : دعيت ، أي للحلب رجبية : ليلة من ليالي الشتاء . لأرواقها : أراد لسحابها . وخص الشتاء لأن الألبان تقل فيه . هـ : « ولو أسبلت » ، ط : « لأروى بها هظل » ، ش : « لأردى بها » ، تحريفات .

(٨) الصفاقان : ما كنتف الضرع من عن يمين وشمال إلى السرة . مبد : يوسع ما بين رجليها لعظمه . مضارح : من الضرح وهو التنحية والدفع . ط : « وجيد » مكان « مبد » هـ : « وسد » تحريفان . وفي المفضليات : « مكواح » . كاوحه : قاتله فغلبه . ط ، ش : « مطارح » هـ : « مضادح » محرفان .

(٩) ويل أمها : تعجب منها . فيما عدا ل : « وما أمها » صوابه في المفضليات والمؤتلف . نتيجة ، كذا في ل . وفيما عدا ل : « منيحة » وفي المفضليات والمؤتلف : « غبوقه طارق » . البيد : جمع بيداء . فيما عدا ل : « بهاتيك » . والقراوح : جمع قرواح ، بالكسر ، وهو المنبسط من الأرض لا يستتر منه شيء . فيما عدا ل : « القوادح » تحريف .

(أصناف الظلف وأصناف الحافر)

ليس سبيلُ أصنافِ الظِّلْفِ في التشابهِ سبيلُ أصنافِ الحافرِ، والخفِّ .
[واسمُ النَّعَمِ⁽¹⁾] يشتمل على الإبل والبقر [والغنم⁽²⁾] . وبُعْدُ بعضِ الظلف من بعض، كبعده من الحافر والخف؛ لأن الظلف للضأن والمعز والبقر [والجواميس والظباء والخنازير وبقر الوحش، وليس بين هذه الأجناس تسافد⁽³⁾ ولا تلاقح، لا الغنم [في الغنم⁽⁴⁾] من الضأن والماعز، ولا الغنم في سائر الظلف⁽⁵⁾ ولا شيء من سائر تلك الأجناس تسافدُ غيرها أو تَلَاقِحُها⁽⁶⁾ . فهي تختلف في الصوف والشعر، وفي الأنس والوخشة، وفي عدم التلاقح والتسافد . وليس كذلك الحافر والخف .

(رجز في العنز)

وقال الراجز:

لهفي على عنزين لا أنساهما⁽⁷⁾ كأن ظلَّ حَجَرٍ صُغْرَاهُما

وصالغٌ مُعْطِرَةٌ كبراهما⁽⁸⁾

قوله: صالغٌ⁽⁹⁾، يريد انتهاء السنّ . والمعطرة: الحمراء؛ مأخوذة من العطر⁽¹⁰⁾ . وقوله: «كأن ظلَّ حَجَرٍ صُغْرَاهُما» يريد أنها كانت سوداء، لأن ظلَّ الحَجَرِ يكونُ أسوداً، وكلما كان الساتر أشدَّ اكتنازاً⁽¹¹⁾ كان الظلُّ أشدَّ سواداً .

(1) هذه التكملة من ل، ش . والكلمة التي بعدها هي في ط، هـ: «تشتمل» .

(2) هذه الكلمة من ل، ش . وسائر التكملة من ل .

(3) ط، هـ: «من تسافد»، والكلام بعده إلى كلمة: «غيرها» ساقط من هـ .

(4) هذه التكملة من ل، ش . وقبل ذلك فيما عدا ل: «ولا الغنم»، بإقحام الواو .

(5) ط، هـ: «الظفر»، صوابه في ل .

(6) فيما عدا ل: «من تسافد غيرها وتلاقحها» .

(7) فيما عدا ل: «عنزي»، وأثبت ما في ل ومحاضرات الراغب (2: 293) واللسان (6: 259) .

(8) فيما عدا ل: «ضالع»، وفي المحاضرات: «صانع»، صوابهما في ل واللسان .

(9) فيما عدا ل: «ضالع» تحريف . قال أبو عبيد: «ليس بعد الصالغ في الظلف سن» .

(10) العطر، بالكسر: الطيب . فيما عدا ل: «العطرة» تحريف .

(11) ط، هـ: «وكل ما»، والوجه الوصل . فيما عدا ل: «القائم» بدل: «الساتر»، والاكتناز: الاجتماع والامتلاء . وهذه الكلمة وجملة: «كان الظلُّ أشدَّ» ساقطتان من هـ .

(قولهم : أظل من حجر)

وتقول العرب : ليس شيءٌ أظلَّ من حجر⁽¹⁾ ، ولا أدفاً من شجر ، وليس يكون ظلُّ أبرَدَ ولا أشدَّ سواداً من ظلِّ جبل . وكلما كان أرفعَ سَمَكاً⁽²⁾ ، وكان مَسْقَطُ الشمس أبعد ، وكان أكثر عرضاً وأشدَّ اكتنازاً ، كان أشدَّ لسواد ظله⁽³⁾ .

ويزعم المنجمون أن الليلَ ظلُّ الأرض⁽⁴⁾ ، وإنما اشتدَّ جداً لأنه ظلُّ كُرَّةِ الأرض⁽⁵⁾ . وبقدر ما زاد بدنُّها⁽⁶⁾ في العَظَم ازدادَ سوادَ ظِلِّها .

وقال حميد بن ثور :

إلى شَجَرِ أَلْمَى الظلالِ كأنها رواهبٌ أحرَمَنَّ الشرابِ عَذُوبُ⁽⁷⁾
والشفَّةُ الحمَاءِ يقال لها لَمِيَاءُ⁽⁸⁾ يصفون بذلك اللثة . فجعل ظلَّ الأشجار الملتفة أَلْمَى .

(أقط الماعز)

وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

لَنَا عَنَّمْ نُسَوِّقُهَا غِزَارُ كَأَنَّ قُرُونَ جَلَّتْهَا الْعِصِي⁽⁹⁾

(1) في أمثال الميداني (1: 411) : «أظل من حجر» وذلك لكثافة ظله . قال الشعالي في ثمار القلوب 443 : «لأنه مصمت لا يتخلله خلل» . وأنشد :

كأنما وجهك ظل من حجر

انظر القالي (2: 12) والتنبيهات 90 وعيون الأخبار (4: 41) . قال الميداني : «ليس للظل فعل يتصرف في ثلاثيه فيبني منه أفعل التفضيل . وحقه : أشد إظلالاً» .

(2) السمك ، بالفتح : العلو والارتفاع . ط ، هـ : «وكل ما» بالفك . والوجه الوصل .

(3) فيما عدل : «محله» ، تحريف صوابه في ل وتاج العروس (7: 428 س 14) .

(4) كلمة : «الأرض» ليست في ل .

(5) هذه الكلمة ليست في ش .

(6) فيما عدل : «جرمها» .

(7) أَلْمَى : كثيف أسود ، الأنثى لمياء ، وضمير : «كأنها» يعود على : «ركاب» تقدم ذكرها في بيت قبله ، وهو كما في ديوان حميد 57 واللسان (20: 125) :

ظللنا إلى كهف وظلت ركابنا إلى مستكفات لهن غروب

وعندي أنها ضمير : «الشجر» . وفي المصباح 968 : «كل جمع يكون بينه وبين واحد الهاء نحو بقر وبقرة فإنه يذكر ويؤنث» . وانظر تفصيل اختلاف اللغويين في هذه المسألة ، في المخصص (16: 100-202) . شبه الشجر بالرواهب . قال أبو حنيفة : «اختار الرواهب في التشبيه لسواد ثيابهن» . أحرمن الشراب : جعله حراماً . عذوب : جمع عاذب ، وهو القائم يرفع رأسه فلا يأكل ولا يشرب . ط ، هـ : «أجرين» ط ، هـ ، ش : «السراب» صوابهما في ل . وفي ط ، ش : «غروب» هـ : «عزوب» صوابهما في ل . وانظر اللسان (15: 14 و 20: 125) .

(8) الحماء : السوداء . فيما عدل : «الحسنة» تحريف . ط : «يقول لها» محرف .

(9) ط ، هـ : «غزارا» . والجلة ، بالكسر : المسان . ورواية الصدر في الديوان 165 : «ألا إلا تكن إبل فمعزى» . وقال الوزير أبو بكر : «قال الأصمعي : امرؤ القيس لا يقول مثل هذا . وأحسبه للحطيئة» .

فدلّ بصفة القرون⁽¹⁾ [على] أنها كانت ماعزة. ثم قال⁽²⁾:

فتملاً بيتنا أقطاً وسَمْنَا وَحَسْبُكَ من غِنَى شَبَعٍ وري⁽³⁾
فدلّ [على] أن الأقط منها يكون.

(استطراد لغوي)

قال: ويقال لذوات الأظلاف: قد ولدت الشاة⁽⁴⁾ والبقر، مضمومة الواو مكسورة اللام مشدودة. يقال: هذه شاة تُحَلَبُ قفيزاً، ولا [يقال] تحلب، والصواب ضم التاء وفتح اللام. ويقال أيضاً: وضعت، في موضع ولدت. وهي شاة رُبِّي⁽⁵⁾، من حين تضع إلى خمسة عشر يوماً- وقال أبو زيد⁽⁶⁾: إلى شهرين - مِنْ غنم رُبَاب، مضمومة الرَاء على فُعال، كما قالوا: رَجُل ورُجال⁽⁷⁾، وظئر وظوار وهي رُبَّى بِنَةِ الرُبَاب والرَبَّة بكسر الرَاء، ويقال هي في ربابها. وأنشد:

حَنِينٌ أُمُّ البَوِّ في رِبَابِهَا⁽⁸⁾

والرَّبَاب مصدر. وفي الرُّبَى حديث عمر: «دَعِ الرُّبَّى والمَاخِض والأَكُولَةَ⁽⁹⁾». وقال

- (1) فيما عدل: «قوله» موضع: «فدل» تحريف. ط، ش: «يصف»، صوابه في ل، هـ.
- (2) فيما عدل: «فقال»، صوابه ما أثبت.
- (3) الأقط: مر تفسيره في ص 324 ورواية الديوان: «فتوسع أهلها».
- (4) ط، هـ: «السيلة» ش. «السيلة» صوابهما في ل.
- (5) ربى، على فعلي، وجمعها رباب بضم الراء فيهما.
- (6) فيما عدل: «أبو زيد» تحريف. وهو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، اللغوي الثقة، وكان من شيوخ الجاحظ. توفي سنة 215.
- (7) رجل بمعنى راجل يمشي على رجليه. ويفهم من صنع اللسان (285: 13) وتفسير أبي حيان (243: 1) أن رجلاً، بالضم وتخفيف الجيم: جمع راجل. لكن يؤيد صحة ما أثبت من ل، ش، هـ ما في تاج العروس (343: 7): «ورجال جمع رجل الراكب». وانظر لهذا الجمع العزيز (ليس في كلام العرب) ص 23 والتاج (3: 366، 7: 342). وجاء في ط: «رخل ورخال». والرخل بالكسر وككتف: الأنثى من أولاد الضأن. وهي صحيحة أيضاً.
- (8) البو: ولد الناقة، وهو أيضاً جلد ولدها يحشى تبناً أو نحوه لتعطف عليه فتدر. في ربابها: أراد في وقت ربابها، وهو منذ تضع إلى خمسة عشر يوماً أو شهرين، كما سبق. فيما عدل: «حين» ط، ش: «أم البرق» هـ: «أم البر»، محرفات صوابها في ل والمخصص (178: 7) والغريب المصنف 327 مخطوطة دار الكتب، واللسان (1: 389 س 17).
- (9) نصه في اللسان (387: 1): «لا تأخذ الأكولة ولا الربى ولا الماخض». لكن ورد بنص الجاحظ في (21: 13). الماخض: التي أخذها الماخض لتضع. فيما عدل: «الماخض» صوابه في ل واللسان (رب، مخض، أكل). والأكولة: التي تسمن للأكل، قال ابن منظور: «أمر المصدق بأن يعد على رب الغنم هذه الثلاث ولا يأخذها في الصدقة، لأنها خيار المال». اللسان (21: 13). وفي (2: 458): «وفي حديث الصدقة أن لا يؤخذ فيها الربى والماخض والرغوث».

أبو زيد: ومثل الرَبِّي من الضَّان الرَّغوث⁽¹⁾. قال طرفة:

فليت لنا مكان المَلِكِ عمرو رَغوثاً حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُور⁽²⁾
وقالوا⁽³⁾: إذا وضعت العنز ما في بطنها قيل سَلِيلٌ وَمَلِيطٌ. وقال أبو زيد: هي ساعة
تضعه⁽⁴⁾ من الضَّان والمعز جميعاً، ذكراً كان أو أنثى: سَخْلَةٌ، وجمعها سَخْلٌ⁽⁵⁾ وسَخَالٌ. فلا
يزال ذلك⁽⁶⁾ اسمه ما رضع اللبن، ثم هي البَهْمَةُ للذكر والأنثى، وجمعها بَهْمٌ. وقال الشاعر:

وليس يزجرُكم ما تُوعِظُونَ به والبَهْمُ يزجرُها الراعي فتنزجرُ
[ويروى: «يُزَجِرُ أحياناً»]. وإذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمهاتها، وأكلت من
البقل واجترت⁽⁷⁾، فما كان من أولاد المعز فهو جَفَرٌ، والأنثى جَفْرَةٌ، والجمع جِفَارٌ⁽⁸⁾، ومنه
حديث عمر رضي الله عنه، حين قضى في الأرنب يُصَيِّبُها المحرم بجَفَرٍ.
فإذا رَعَى وقوي وأتى عليه حَوْلٌ فهو عريضٌ، وجمعه عَرْضَانٌ⁽⁹⁾. والعَتُودُ نحو منه،
وجمعه أَعْتَدَةٌ وَعَتْدَانٌ⁽¹⁰⁾. وقال يونس: جمعه أَعْتَدَةٌ وَعَتْدٌ⁽¹¹⁾. وهو في ذلك [كله] جَدْيٌ،
والأنثى عناق. وقال الأخطل⁽¹²⁾:

واذكر عُدَانَةً عِتْدَاناً مُزَنَّمَةً من الحبْلَقِ يُبْنَى حولها الصَّيْرُ⁽¹³⁾

- (1) الرغوث: المرضع من الضَّان خاصة، واستعملها بعضهم في الإبل. وقيل الرغوث من الشاء التي قد ولدت فقط.
هـ، ش: «المرغوب» تحريف.
- (2) تخور: تصيح. والبيت من قصيدة له في ديوانه 5-9 يهجو بها عمرو بن هند. وانظر الشعراء 138، 141،
والميداني (1: 365) والكامل 86 والمخصص (7: 178). والألفاظ 71.
- (3) ط، هـ: «وقال».
- (4) فيما عدل: «هي ما تضعه». وفي اللسان: «المليط: الجدي أول ما تضعه العنز».
- (5) هـ: «سَخْلَةٌ»، وهي صحيحة بكسر ففتح. (6) فيما عدل: «كذلك».
- (7) اجترت: استخرجت من كرشها الطعام لتمضغه. ط فقط: «اجترت»، تحريف.
- (8) في اللسان والقاموس: «والجمع أجفار، وجفار، وجفرة». وضبطت: «جفرة» بالتحريك فيهما ضبط قلم. وفي
المخصص (7: 186): «هي الأجفار والجفرة» وضبطت بكسر ففتح ضبط قلم أيضاً، ومثله في جمهرة ابن دريد (2: 81).
- (9) فيما عدل: «عرض وجمعها عرضان»، تحريف.
- (10) فيما عدل: «أعند» صوابه بالهاء. ويقال في «عتدان» أيضاً: «عدان» بالإدغام.
- (11) ط، هـ: «جمعه أعند» صوابه في ل، ش. وأما «عند» فجمع قياسي لم تذكره المعاجم.
- (12) من قصيدته التي مطلعها (انظر الديوان 98-112):

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير

- (13) غدانة: ابن يربوع بن حنظلة. والمزئم: الذي له زمتان معلقتان تحت لحيه. والحبْلَق: غنم صغار. والصير، بكسر
ففتح: جمع صيرة، بالكسر، وهي حظيرة من خشب وحجر. ط، هـ: «عتاده» ش: «عدانه»، صوابهما في ل. ط، هـ:
«عتاداً» صوابه في ل. وفي ش: «عدانا» بالإدغام. وهي رواية الديوان واللسان (عتد. حبلق، صبر). ط: «ريمة» هـ:
«ريمة» صوابه في ل، ش والمصادر ط، هـ: «من العناق» صوابه في ل، ش، والمصادر. ط، هـ: «ساء حوها»
محرفة، ش: «شاء حولها» وأثبت ما في ل. «ويروى»: «تبني فوقها» في اللسان (6: 149) و: «تبني حولها» في الديوان
واللسان (4: 271) والمخصص (8: 11). ط، هـ: «الصبر» ش: «الصبر» صوابهما في ل والمصادر.

ويقال [له] إذا تبع أمه وفطم: تَلُو، والأنثى: تِلوة؛ لأنه يتلو أمه. (1)
 ويقال للجدي: إمّر والأنثى إمرة⁽¹⁾. وقالوا: هَلَع وهلعة⁽²⁾. والبدره: العناق أيضاً⁽³⁾.
 والعطعط: الجدي. فإذا أتى عليه الحول فالذكر تيس والأنثى عنز⁽⁴⁾. ثم يكون جذعاً في
 السنة الثانية، والأنثى جذعة، ثم ثنيّاً في الثالثة، والأنثى ثنية. ثم يكون رباعياً في الرابعة،
 والأنثى رباعية. ثم يكون سديساً، والأنثى سديس أيضاً مثل الذكر بغير هاء. ثم [يكون]
 صالغاً والأنثى صالغة⁽⁵⁾. والصالغ⁽⁶⁾ بمنزلة البازل من الإبل، والقارح من الخيل. ويقال: قد
 صلغ يصلغ صلوغاً، والجمع الصلغ⁽⁷⁾. [وقال رؤبة:

والحربُ شهباءُ الكباشِ الصلغ⁽⁸⁾]

وليس بعد الصالغ شيء.
 وقال الأصمعي: الحلام والحلان⁽⁹⁾ من أولاد المعز خاصة. وجاء في الحديث: «في
 الأرنب يصيها المحرم حلام⁽¹⁰⁾». قال ابن أحرر:
 تُهْدِي إليه ذراع البكر تكرمه إمّا ذكياً وإمّا كان حلاماً⁽¹¹⁾

- (1) الأمر، بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة. فيما عدل: «أمر» تحريف.
- (2) في القاموس: «ماله هلع ولا هلعه كإمر وإمرة: جدي ولا عناق».
- (3) الذي في المعاجم أن البدره بالفتح جلد السخلة. (4) ط، هـ: «عنزة»، خطأ صوابه في ل، ش.
- (5) فيما عدل: «ضالغاً والأنثى كذلك»، تحريف. انظر التنبيه 8 ص 332.
- (6) فيما عدل: «الضالع» تحريف.
- (7) فيما عدل: «ضلع يضلغ ضلوغاً والجمع الضلع» محرف.
- (8) البيت في اللسان (10: 124) قال: «الكباشي: الأبطال». وانظر المفضليات (17: 14 و 22: 119 طبع المعارف). جعل الأبطال شهباً لما عليهم من بياض الحديد والسلاح.
- (9) الحلام، بضم الحاء وتشديد اللام أو تخفيفها. ط فقط: «الجلام» تحريف. وهذه بكسر الجيم وتخفيف اللام: جمع جلم وهو الجدي، ولا وجه لها هنا. والحلان مثل الحلام بتشديد اللام. فيما عدل: «الحلاق» محرف.
- (10) في اللسان: «وفي حديث عمر أنه قضى في الأرنب يقتله المحرم بحلام». ط: «جلام» صوابه في سائر النسخ واللسان.
- (11) تهدي، بالبناء للفاعل. وضبط في اللسان (3: 204، 16: 283) وأمالي القالي (2: 90) والمخصص (7: 187): «تهدي» بالبناء للمفعول، وهو خطأ نبه عليه البكري في التنبيه 102، وذلك لأن فاعله: «عيط» في بيت بعده، وهو كما رواه البكري:

عيط عطابيل لثن الري وابندلت معاطفاً سابريات وكتاناً

يقول: تهدي إليه هؤلاء النساء الذراع تكرمه. يهزأ به، لأن الذراع لا تهدي إلا لمهين ساقط، لحقارتها وقتلها. البكر، كذا وردت الرواية في ل واللسان (2: 264) وضبطت في اللسان بفتح الباء. وأراه بكسر الباء، وهو أول ولد. والرواية في سائر النسخ والمصادر: «ذراع الجدي». حلاماً، هو في ط: «جلاماً» هـ، ش: «حلاباً» صوابهما في ل وسائر المصادر. وهو يعرض في هذا البيت برجل كان يشتمه ويعيبه، يقال له سفيان، يقول له في أول المقطوعة:

نبئت سفيان بلحاناً ويشتمنا واللّه يدفع عنا شر سفيان

وقبل البيت الشاهد، كما في اللسان (16: 283) وتنبيه البكري:

فذاك كل ضئيل الجسم مختشع وسط المقامة يرعى الضأن أحياناً

جعل فداء سفيان هذا الراعي الحقير، تهزؤاً به، واحتقاراً له.

[ويروى: «ذراع الجدي»] ويروى: «ذبيحاً»، والذبيح هو الذي أدرك أن يضحى به. وقال مهلهل [بن ربيعة]:

كل قتييل في كليب حلام حتى ينال القتل آل همام⁽¹⁾
وقالوا في الضأن كما قالوا في المعز⁽²⁾، إلا في مواضع. قال الكسائي: هو خروف، في [موضع] العريض⁽³⁾، والأنثى خروقة، ويقال له حمل، والأنثى من الحملان رخل والجمع رُخال⁽⁴⁾، كما يقال طعر وظوار⁽⁵⁾ وتؤام⁽⁶⁾ وتؤام. والبهمة: الضأن والمعز جميعاً. فلا يزال كذلك حتى يصيف. فإذا أكل واجتر فهو فريز وفُرارة وفُرفور⁽⁷⁾، وعمرؤس⁽⁸⁾. وهذا كله حين يسمُن ويجتر. والجلام، بكسر الجيم وتعجيم نقطة من تحت الجيم⁽⁹⁾. قال الأعشى⁽¹⁰⁾:
سواهم جذعانها كالجلام وأقرح منها القياد النسورا⁽¹¹⁾
[يعني الحوافر]. واليعر: الجدي، بإسكان العين. وقال البرقي الهذلي⁽¹²⁾:

(1) همام هذا، هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، أخو جساس بن مرة، وجساس هو الذي طعن كليب بن ربيعة، والمهلهل صاحب الشعر هو أخو كليب، وهو الذي طالب بدم أخيه. وروى أن مهلهلاً قال:

كل قتييل في كليب حلان حتى ينال القتل آل شيبان
انظر اللسان (182: 16) والكنز اللغوي 19، وفي الأغاني (144: 4):

كل قتييل في كليب غره حتى ينال القتل آل مره
وهذه الرواية أيضاً في اللسان (322: 6) وقد قتل همام بن مرة في يوم واردات. وفي أمالي القالي (90: 2): «يقول: كل قتييل صغير ليس هو بوفاء من كليب، بمنزلة الحلام الذي ليس بوفاء أن يذبح للنسك، حتى ينال القتل آل همام فإنهم وفاء به». وانظر المخصص (96: 6، 187: 7) والألفاظ 276.

(2) فيما عدل ل: «المعزي». (3) انظر التنبيه التاسع من ص 335، فيما عدل ل: «الأرض» تحريف.

(4) ش: «رجل والجمع رجال» وانظر ما سبق ص 334.

(5) الطثر: المرضعة لغير ولدها. ش: «طير وطوار» محرف.

(6) ه، ش: «توم» ط: «تؤم» تحريف، صوابه في ل. (7) فيما عدل ل: «قرقر وقرقار وقرقور» تحريف.

(8) عمروس، بضم العين. فيما عدل ل: «عمارس» تحريف. وعمرؤس يجمع على عمارس وعماريس.

(9) الجلام، بالكسر: جمع جلم، وهو الجدي. وقيل الجلام غنم من غنم الطائف صغار.

(10) من قصيدة له في ديوانه 67-72 يمدح بها هوزة بن علي الحنفي. وقبل البيت:

جياذك في الصيف في نعمة تصان الجلال وتعطى الشعيرا

(11) الساهم: الضامر أو المتغير. والجذعان بضم الجيم وكسرها: جمع جذع، وهو من الخيل ما استتم سنتين ودخل في الثالثة. والنسور: جمع نسر، وهو باطن الحافر. أقرح، هي في ط: «أقرع» ش: «أقرع» ه: «أقرع» صوابه في ل. وفيما عدل ل: «العتاد» بل «القياد» محرف. ط، ه: «السيورا» ش: «السنورا» وأثبت الصواب من ل. ويروى: «قد أقرح». ويروى: «قد أقرح القود» والقود. والقياد بمعنى. انظر اللسان (60: 7، 14، 370) والمخصص (145: 6، 187: 7).

(12) هو عياض بن خويلد الهذلي، يلقب بالبريق، حجازي مخضرم. وله مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حديث. انظر معجم المرزباني 268 والإصابة 6124، وقبل هذا الشطر، كما في بقية أشعار الهذليين (القصيدة 12) ومعجم البلدان واللسان (165: 7):

وإن أمس شيخاً بالرجيع وولدة ويصبح قومي دون دارهم مصر

أسائل عنهم كلما جاء راكب مقيماً بأملح كما ربط اليعر

قال ابن منظور: «كان قد توجه قومه إلى مصر في بعث فبكي على فقدهم».

مُقيماً بأملح كما رُبط اليعر⁽¹⁾

والبدج⁽²⁾ من أولاد الضأن خاصة . وقال الراجز⁽³⁾ :

قد هلكت جارتنا من الهمج⁽⁴⁾ فإن تجع تأكل عتوداً أو بدج⁽⁵⁾
والجمع بدجان⁽⁶⁾ .

(دعاء أعرابي)

وقال أعرابي: اللهم مينةً كمينّة أبي خارجة! قالوا: وما مينة أبي خارجة؟
قال: أكل بدجاً⁽⁷⁾، وشرب مشعلاً⁽⁸⁾، ونام في الشمس، فأنته المنيّة شعبان ريان
[دفان⁽⁹⁾]!

(تيس بني حمان)

وفي المثل: «أعلم من تيس بني حمان⁽¹⁰⁾» .

و[بنو] حمان تزعم أنه فقط⁽¹¹⁾ سبعين عنزاً وقد فريت أوداجه .
فهذا من الكذب الذي يدخل في باب الخرافة⁽¹²⁾ .

(1) أملح: موضع، قال ياقوت: «وقد تكرر ذكره في شعر هذيل، فلعله من بلادهم». واليعر، بالفتح: الشاة أو الجدي تشد عند زبية الذئب. ل: «البعير» تحريف، صوابه في سائر النسخ والمعجم والمخصص (187: 7) واللسان وبقية أشعار الهدلين.

(2) البدج، بالتحريك، آخره ذال معجمة وجيم: هو من الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز، وهو الذي بلغ السفاد. ط: «البدخ» ش: «البدح» ه: «البدح» صوابه في ل.

(3) هو أبو محرز المحاربي، واسمه عبيد، كما في اللسان (33: 3).

(4) الهمج، بالتحريك: الجوع. وهمج: جاع. ط: «البدخ» ه: «البدح» ش: «البدخ» صوابها في ل واللسان (33: 3، 216) والميداني (1: 261) والأضداد 279 ومجالس ثعلب 585 والمقاييس (بدج، همج).

(5) العتود: الجدي بلغ السفاد. ه: «عنوز» محرف. والبدج محرف فيما عدا ل. ففي ط: «بدخ» ش: «بدح» ه: «أوح».

(6) بدجان، بالكسر. ط: «بدخان» ش: «بدخان» ه: «بدحان» محرفات.

(7) ط: «بدخا» ش: «بدخا» ه: «بدحا» صوابه في ل وعيون الأخبار (3: 276). وفي ثمار القلوب 108: «ثرداً».

(8) المشعل، بالكسر: زق ينتبذ فيه. فيما عدا ل: «عسلأ»، وفي عيون الأخبار: «معسلأ» صوابهما ما أثبت من ل وثمار القلوب.

(9) هذه التكملة من عيون الأخبار وثمار القلوب.

(10) أغلم: من الغلطة. ه: «أعلم» تحريف. وانظر ص 149 و317.

(11) فقط، بتقديم القاف. والقفط: السفاد. ل: «فقط» تحريف.

(12) ل: «وهذا من الكذب في باب الخرافة».

(زعم لصاحب المنطق)

وقد ذكر أرسطوطاليس في كتاب الحيوان، أنه قد ظهر ثور⁽¹⁾ وثب بعد أن خُصي، فنزا على بقرة فأحبها. ولم يحك هذا عن مُعانيته⁽²⁾. والصدورُ تضيق بالردِّ على أصحاب النظر، وتضيق بتصديق هذا الشُّكل.

(أحاديث في الغنم)

قال: وحدَّثنا سعد بن طريف⁽³⁾، عن الأصبغ بن نباتة⁽⁴⁾ قال: سمعت علياً يقول: «ما أهل بيت لهم شاة إلا يقدِّسون كلَّ ليلة⁽⁵⁾».

و[قال: حدثنا] عنبسة القطان⁽⁶⁾، قال حدَّثنا [السكن بن] عبد الله بن عبد الأعلى القرشي⁽⁷⁾، عن رجل من الأنصار، أن رسول الله ﷺ قال: [«امسحوا رُعام الشاء⁽⁸⁾»، ونقوا مرائبها من الشوك والحجارة، فإنها في الجنة»].

وقال: «ما من مسلم له شاة إلا قدِّس كلَّ يوم مرة. فإن كانت له شاتان قدِّس في كل يوم مرتين».

قال: وحدَّثنا عنبسة القطان، بهذا الإسناد، أن رسول الله ﷺ قال: [«أوصيكم بالشاء خيراً، فنقوا مرائبها من الحجارة والشوك⁽⁹⁾ فإنها في الجنة»].

(1) فيما عدل: «وقد ذكر صاحب المنطق أنه قد أبصر ثوراً». وانظر 149.

(2) فيما عدل: «ولم نجد هذا من معاينة» لكن في ش: «عن معاينة».

(3) ط فقط: «وحدثني». وهو سعد بن طريف الإسكافي الحذاء الحنظلي الكوفي، روى عن الأصبغ بن نباتة، وأبي إسحاق السبيعي، وعكرمة. وعنه خلف بن خليفة، وعلي بن مسهر، وابن عيينة، مفرط في التشيع، ورمي بالضعف والوضع. تهذيب التهذيب (3: 473). وفي الأصل: «سعيد» تحريف.

(4) أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي الكوفي، يكنى أبا القاسم. متروك رمي بالرفض، وهو من التابعين، روى عن عمر، وعلي، والحسن بن علي، وعمار بن ياسر، وروى عنه سعد بن طريف، والأجلح، وثابت، وفطر بن خليفة، ومحمد بن السائب الكلبي. وكان شيعياً. تهذيب التهذيب (1: 363). ونباتة، بضم النون، كما في ل والخلاصة والقاموس مادة (صغ). فيما عدل: «ثباتة» بالثاء المثناة، تحريف.

(5) التقديس: التطهير والتبريك. ط فقط: «ما من أهل بيت» بزيادة «من».

(6) هو عنبسة بن سعيد القطان الواسطي، ويقال البصري. روى عن الحسن، وشهر بن حوشب، وهشام بن عروة، وعنه ابن أخيه سعيد بن أبي الربيع، وإسماعيل بن صبيح. تهذيب التهذيب (8: 157).

(7) لم أجد له ترجمة فيما لدي من المراجع.

(8) الرعام، بالضم والعين المهملة: ما يسيل من أنوفها.

(9) كلمة: «والشوك» ليست في ل.

وعن محمد بن عجلان⁽¹⁾، عن وهب بن كيسان⁽²⁾، عن [محمد بن عمرو بن عطاء العامري⁽³⁾] من بني عامر بن لؤي، أن رجلاً مرَّ على أبي هريرة رضي الله عنه، وهو بالعقيق، فقال: أين تريد؟ قال: أريد غُنيمة [لي⁽⁴⁾]. قال: امسح رُعامها⁽⁵⁾، وأطب مُراحها⁽⁶⁾، وصل في جانبِ مُراحها⁽⁷⁾؛ فإنها من دواب الجنة. و[عن] فرج بن فضالة⁽⁸⁾، عن معاوية بن صالح⁽⁹⁾، عن رجل من أصحاب أبي الدرداء، أنه عمِلَ طعاماً⁽¹⁰⁾ اجتهد فيه، ثم دعاه فأكل، فلما أكل قال: الحمد لله الذي أطعمنا الخميرَ، وألبسنا الحَبِيرَ⁽¹¹⁾، بعد الأسودين: الماء والتمر. [قال]: وعند [صاحبه] ضائنة له⁽¹²⁾، فقال⁽¹³⁾: هذه لك؟ قال: نعم. [قال]: أظب مُراحها⁽¹⁴⁾، واغسل رُعامها، فإنها من دواب الجنة⁽¹⁵⁾، وهي صفوة الله من البهائم.

- (1) ط، هـ: «حدثني محمد بن عجلان» وأثبت صوابه من ل؛ إذ أن محمد بن عجلان وقد ترجم في (2: 164) قد توفي سنة ثمان وأربعين ومائة. وليس في ش إلا «محمد بن عجلان» فقط.
- (2) وهب بن كيسان القرشي، مولى آل الزبير، المعلم، المكي. روى عن أسماء بنت أبي بكر، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، ومحمد بن عمرو بن عطاء. وعنه هشام بن عروة، وأيوب، وابن عجلان، وابن الماجشون. قال النسائي: ثقة. ووثقه ابن حبان توفي سنة سبع وعشرين ومائة. تهذيب التهذيب (11: 166).
- (3) هذه التكملة يقتضيها الكلام. وفي تهذيب التهذيب (9: 373): محمد بن عمرو بن عطاء بن عباس العامري. روى عن أبي حميد الساعدي، وابن عباس، وأبي هريرة وسعيد بن المسيب. وروى عنه أبو الزناد، وابن عجلان، وابن أبي ذئب. ثقة صالح الحديث.
- (4) هذه من ش فقط.
- (5) الرعام، سبق تفسيره في التنبيه الثامن من الصفحة السابقة. ش: «رغامها» تصحيف.
- (6) المراح: بالضم: الموضع الذي تراح إليه الماشية ليلاً. ط: «أطيب» ش، هـ: «أطب» صوابهما في ل.
- (7) هذه العبارة ساقطة من هـ. ط: «وأصلي» بدل: «وصل» تحريف.
- (8) فرج بن فضالة بن النعمان التنوخي، روى عن يحيى بن سعيد، ومسافر، وهشام بن عروة. وروى عنه ابنه محمد، وشعبة، ووكيع، والنضر بن شميل وغيرهم. سكن بغداد وكان على بيت المال بها. ولمولده سنة 88 حديث في تاريخ بغداد 6856، ومات ببغداد سنة 176، وانظر تهذيب التهذيب (8: 260). فيما عدل: «فرح» بالمهملة، صوابه بالجيم.
- (9) هو معاوية بن صالح بن حدير، أبو عبد الرحمن الحمصي، قاضي الأندلس. روى عن مكحول، وابن راهويه، وربيع بن يزيد، وعنه الثوري، والليث، وابن وهب. وسمع منه الناس حين حج سنة 154 فكتب عنه أهل مصر والمدينة. وتوفي سنة 158، تهذيب التهذيب (10: 209).
- (10) فيما عدل ل: «جعل طعاماً».
- (11) الخمير: الخبز قد خمر عجينه. ط: «الخبز» تحريف. والحبير من البرود: ما كان موشياً مخططاً. فيما عدل ل: «الحبر». وفي اللسان (5: 230) نسبة الكلام إلى: «أبي ذر»: وكذا في نهاية ابن الأثير.
- (12) فيما عدل ل: «عنز» مكان: «عند» تحريف. والضائنة: الأنثى من الضأن. ل: «ضائنة» ش، هـ: «ضانية» صوابهما ما أثبت من ط.
- (13) فيما عدل ل: «قال».
- (14) المراح، بالضم: الموضع الذي تراح إليه الماشية ليلاً. فيما عدل ل: «أطيب» تحريف.
- (15) الرعام، مر تفسيره. هـ: «رغامها» تحريف. وفيما عدل ل: «دواب الله» محرف.

[قال: وحدثنا] إبراهيم بن يحيى⁽¹⁾، عن رجل، عن عطاء بن أبي رباح⁽²⁾، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن الله عز وجل خلق الجنة بيضاء، [وخير الزبي البياض]». قال: وبعث إلى الرعيان: «من كانت له غنم سود فليخلطها بعُقر، فإن دم عفراء أزكى من دم سوداوين⁽³⁾».

وحدثنا أبو المقدم⁽⁴⁾ قال: حدثنا عبد الرحمن بن حبيب⁽⁵⁾، عن عطاء، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ دعا بالرعاة⁽⁶⁾ فجمعوا [له]، فقال: «من كان منكم يرعى غنماً سوداً فليخلط فيها بيضاً».

قال: وجاءته⁽⁷⁾ امرأة فقالت: يا رسول الله، إني اتخذت غنماً⁽⁸⁾ رجوت نسلها ورسلها⁽⁹⁾ وإني لا أراها تنمو⁽¹⁰⁾. قال: «فما ألوانها؟» قالت: سود. قال: «عفري». أي اخلطي فيها [بيضاً]⁽¹¹⁾.

قال: وحدثنا طلحة بن عمرو الحضرمي⁽¹²⁾، عن عطاء، أن رسول الله ﷺ قال: «الغنم بركة موضوعة، والإبل جمال لأهلها، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة⁽¹³⁾». حنظلة بن أبي سفيان المكي⁽¹⁴⁾ قال: سمعت طاووساً يقول: «من هاهنا أطلع الشيطان

(1) إبراهيم بن يحيى [بن] محمد بن عباد بن هانيء الشجري. روى عن أبيه. وعنه البخاري في غير الصحيح. قال أبو حاتم: ضعيف. تهذيب التهذيب (1: 176).

(2) عطاء بن أبي رباح القرشي المكي، من سادات التابعين علماً وفقهاً. روى عن ابن عباس وابن عمر ومعاوية وزيد بن أرقم وأبي هريرة وعائشة. مات سنة أربعة عشرة ومائة. ورياح، يفتح الراء بعدها باء موحدة. واسم أبي رباح أسلم. وكان عطاء من المعلمين. انظر تهذيب التهذيب (7: 199) والمعارف، 196، 238.

(3) العفراء: الخالصة البياض. فيما عدل: «أرجى من دم سوداوين». وأثبت ما في ل وعيون الأخبار (2: 76).

(4) هو هشام بن زياد بن أبي زيد القرشي، أبو المقدم المدني، روى عن أبيه، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، وهشام بن عروة، وعنه وكيع، وابن المبارك. رمى بالضعف تهذيب التهذيب (11: 38).

(5) عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك المدني، مولى بني مخزوم، روى عن علي بن الحسين وعطاء، وعنه سليمان بن بلال، وعبد الله بن جعفر بن نجيع، وأسامة بن زيد الليثي. ذكره ابن حبان في الثقات. وقال الحاكم: من ثقات المدنيين. انظر تهذيب التهذيب (6: 159).

(6) ش، هـ: «بالرعاة». يقال رعاة ورعاء: جمع راع. (7) فيما عدل: «وجاءت».

(8) ط، هـ: «عنزة» تحريف ما في ل وعيون الأخبار (2: 76). وموضع هذه الكلمة أبيض في ش.

(9) الرسل، بالكسر: اللبن، فيما عدل: «رسلها ونسلها».

(10) ش: «لأراها سواء» ط، هـ: «لا أراها سواء» صوابهما في ل. وفي عيون الأخبار (2: 76): «وإنها لا تنمو».

(11) هذه من ل، ش.

(12) هو طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي، من كبار أتباع التابعين، روى عن عطاء وأبي الزبير، وسعيد بن جبيرة، وعنه جرير بن حازم، والثوري، والطيالسي، ووكيع. روى أنه أُملى أكثر من أربعة آلاف حديث عن ظهر قلب. وقد ضعفه البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم. تهذيب التهذيب (5: 23).

(13) ش: «في نواصي الخير» بالراء.

(14) حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية الجمحي المكي. روى عن سالم بن عبد الله، وسعيد ابن ميناء، وطاوس، وعكرمة، ونافع، وعطاء. وعنه الثوري، وابن المبارك، ووكيع. ذكره ابن حبان في الثقات. وتوفي سنة 151، انظر تهذيب التهذيب (3: 60). ل: «قال: وحدثنا حنظلة» بإقحام: «قال: وحدثنا».

قرنية، من مطلع الشمس. والجفأ والكبر في أهل الخيل والإبل، في الفدادين أهل الوبر⁽¹⁾. والسكينة في أهل الغنم.

[قال] وحدثنا بكر بن خنيس⁽²⁾، عن يحيى [بن عبید الله] بن عبد الله بن موهب⁽³⁾، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأس الكفر قبل المشرق، والفخر والخيل في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر⁽⁴⁾. والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان، والحكمة يمانية⁽⁵⁾».

و[عن] عوف بن أبي جميلة⁽⁶⁾، عن الحسن، أن رسول الله ﷺ قال: «الفخر في أهل الخيل، والجفأ في أهل الإبل، والسكينة في أهل الغنم».

و[عن] عثمان بن مقسم⁽⁷⁾، عن نافع، أن ابن عمر حدثه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «السكينة في أهل الغنم».

والفداد: الجافي الصوت والكلام. وأنشدنا أبو الرُديني العكلي:

جاءت سليم ولها فديد⁽⁸⁾

(أخبار ونصوص في الغنم)

وكان من الأنبياء عليهم السلام من رعى الغنم. ولم يرع أحد منهم الإبل. وكان منهم شعيب⁽⁹⁾. وداود، وموسى، [ومحمد؛ عليهم السلام]. قال الله جل وعز: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْؤُوسٌ﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَمُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ أُخَرَى ﴿طه: 17-18﴾.

(1) الفدادون: أصحاب الإبل الكثيرة، الذين يملك أحدهم المائتين من الإبل إلى الألف وقيل هم الذين تعلق أصواتهم في حروثهم وأموالهم ومواشيهم وما يعالجون منها. فيما عدل ل: «والفداد في أهل الوبر» تحريف.
(2) بكر بن خنيس. بالخاء المعجمة والنون وآخره سين مهملة، مصغرة، كوفي سكن بغداد، صدوق له أغلاط.
(3) وكان يوصف بالزهد والعبادة. وأرخه الذهبي في حدود السبعين ومائة تهذيب التهذيب (1: 481). ط: «جيس» ش، هـ: «جيش» صوابهما في ل.

(4) يحيى بن عبید الله بن عبد الله بن موهب، بفتح الميم والهاء بينهما واو ساكنة، التيمي المدني. روى عن أبيه، وعنه ابن المبارك، وفضيل بن عياض، ويحيى بن سعيد القطان. كان يروى المناكير، ورمي بالضعف. انظر تهذيب التهذيب (11: 252). فيما عدل ل: «يحيى بن عبد الله، عن وهب»، تحريف.

(5) فيما عدل ل: «في أهل الإبل والخيل والفداد في أهل الوبر»، تحريف.

(6) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة. انظر الجامع الصغير 4372.

(7) تقدمت ترجمته في (4: 11).

(8) هو عثمان بن مقسم البري، أبو سلمة الكندي البصري، حدث عنه أبو سفيان، وأبو عاصم، وأدو داود، وشيبان ابن فروخ. وكان ينكر الميزان يوم القيامة، ويقول: إنما هو العدل. وقد رمي بالكذب والغلط. انظر لسان الميزان (4: 155). ومقسم، كمنبر. والبري، بضم الباء. انظر القاموس (برر) والمشتبه للذهبي 37.

(9) فيما عدا ط فقط: «جاءت سليمي».

(9) ل: «كان منهم شعيب». وكلمة: «وكان» ساقطة من ش.

وكان النبي ﷺ يرعى غنيمات خديجة .
 والمُعزبون بنزولهم البُعد من الناس، في طباع الوحش⁽¹⁾ .
 وجاء في الحديث: «من بدأ جفًا⁽²⁾» .
 ورِعاء الغنم وأربابها أرقُّ قلوباً، وأبعد من الفظاظ والغلظة⁽³⁾ .
 وراعي الغنم إنما يرعاها بقرب الناس، [و] لا يُعزَّب، ولا يبدو ولا ينتجع⁽⁴⁾ [قالوا:
 والغنم في النوم غُئمٌ] .
 وقالوا في الغنم: إذا أقبلتْ أقبلتْ، وإذا أدبرتْ أقبلتْ⁽⁵⁾ .

(الحامي والسائبة والوصيلة)

وكان لأصحاب الإبل مما يحرمونه على أنفسهم⁽⁶⁾: الحامي والسائبة⁽⁷⁾ ولأصحاب
 الشاء الوصيلة⁽⁸⁾ .

-
- (1) المعزبون: الذي أعزبوا: أي بعدوا بما شئتهم عن الناس في المرعى . وهذه الجملة ليست في ل .
 (2) حديث حسن رواه أحمد عن البراء، وكذا رواه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس . وزاد
 الطبراني: «ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن» . الجامع الصغير 8557، 8558، وانظر
 البيان (1: 29) .
 (3) فيما عدل: «من الغلظ والجفا» .
 (4) يبدو: يخرج إلى البادية . ط، هـ: «يبعد» تحريف . ش: «يبعد»، وأثبت ما في ل . ينتج: يطلب الكلأ في
 موضعه .
 (5) في عيون الأخبار (2: 76) والعقد (4: 258) أنه حديث . وبقيته فيهما: «والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا
 أقبلت أدبرت، ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم» . وفي الفائق للزمخشري (2: 95)، ومثله في اللسان
 والنهاية (عن): «سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الإبل فقال: أعنان الشياطين، لا تقبل إلا مولية، ولا
 تدبر إلا مولية، ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم» . قال الزمخشري: «إن الإبل لكثرة آفاتها فإن من
 شأنها أنها إذا أقبلت أن يعتقب إقبالها الإدبار، وإذا أدبرت أن يكون إدبارها ذهاباً وفناء مستأصلاً، ولا
 يأتي نفعها، يعني منفعة الركوب والحلب، إلا من جانبها الذي ديدن العرب أن يتشاءموا به، وهو جانب
 الشمال» .
 (6) ط، هـ: «مما يحرمون» ل: «ما يحرمونه» . وأثبت ما في ش .
 (7) الحامي: الفحل من الإبل يضرب الضراب المعداد - قيل عشرة أبطن - فإذا بلغ ذلك قالوا: هذا حام، أي حمى
 ظهره، فيترك فلا ينتفع منه بشيء، ولا يمنع من ماء ولا مرعى . والسائبة: كان الرجل في الجاهلية إذا قدم من سفر
 بعيد، أو برئ من علة، أو نجته دابة من مشقة أو حرب، قال: ناقتي سائبة، أي تسبب فلا ينتفع بظهرها، ولا
 تحلأ عن ماء ولا تمنع من كلأ، ولا تركب .
 (8) الوصيلة: كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن عناقين عناقين ثم ولدت في الثامنة جدباًو عناقاً قالوا:
 وصلت أخاها، فلا يذبحون أخاها من أجلها، ولا يشرب لبنها النساء وكان للرجال، وجرت مجرى
 السائبة . وبين المفسرين واللغويين خلاف في تحديد معاني الحامي والسائبة والوصيلة . انظر بلوغ
 الأرب (3: 36-41) .

(العتيرة والرجبية والغدوي)

والعتيرة أيضاً من الشاء^(١). [و] كان أحدهم إذا نذر أن يذبح من العتائر^(٢) والرجبية كذا وكذا شاة، فبلغ الذي كان يتمنى في نذره^(٣)، وشح على الشاء قال: [و] الطباء أيضاً شاء، وهي تُجْزَى إذا كانت شاء. فيجعل عتائره من صيد الطباء. وقال الحارث بن حلزة:

عَتَاءٌ بَاطِلًا وَظُلْمًا كَمَا تُفْ تَر عَنْ حَجَرَةِ الرَّيْضِ الطَّبَاءُ^(٤)
وقال الطرمّاح^(٥):

كَلُونِ الْغَرِيِّ الْفَرْدَ أَجْسَدَ رَأْسَهُ عَتَائِرُ مَظْلُومِ الْهَدِيِّ الْمَذْبَحِ^(٦)
ومنها الغدوي^(٧) [والغدوي جميعاً. و] قال الفرزدق^(٨):
وَمَهْوَرٌ نِسَوْتَهُمْ إِذَا مَا أَنْكَحُوا غَدَوِيٌّ كُلُّ هَبْنَقَعٍ تَنْبَالِ^(٩)

(١) كلمة «من الشاء» ليست في ط.

(٢) العتائر، كان العرب في الجاهلية إذا طلب أحدهم أمراً نذر لئن ظفر به ليدبحن من غنمه في رجب كذا وكذا. وفي الحديث: «هل تدرون ما العتيرة؟ هي التي يسمونها الرجبية». كانوا يذبحون في شهر رجب ذبيحة وينسبونها إليه. انظر اللسان (رجب). ل: «من الغنائم» تحريف.

(٣) فيما عدا ل: «قدرة» تحريف.

(٤) ل: «عتاء باطلاً» ش: «كما تعتري» تحريفان. وقد سبق البيت في 120.

(٥) ط، ش: «الرما» صوابه في ل، هـ. والبيت من قصيدة للطرمّاح في ديوانه 75.

(٦) الغري: حجر ينصب يلطخ بالدماء، كان ذلك في الجاهلية يفعل به. المجسد: المصبوغ بالجساد، وهو الزعفران. أراد لطح رأسه بالدم. والمظلوم: ما ذبح لغير علة. والهدي: ما أهدي إلى مكة من النعم، ومثله الهدي بفتح الهاء وسكون الدال وبهما قرئ: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [البقرة: 196]، وقال: «المذبح» ولم يقل: «المذبح» لأن الهدي في لفظ واحد، ومعناه معنى الجمع، فرد المذبح على الهدي. فيما عدا ل: «كأن الغوي» وفي ل: «كلون الغزي» صوابهما في الديوان. هـ: «الهدي المدلج» صوابه في الديوان وسائر النسخ. وهذا البيت في صفة ذئب. وقيله:

عَمَلَسَ غَارَاتِ كَأَنَّ مَسَافَهُ قَرَى حَنْظَبَ أَخْلَى لَهُ الْجَوِ مَقْمَحَ

(٧) الغدوي، بالغين المعجمة: كل ما في بطون الحوامل، وقوم يجعلونه في الشاء خاصة، فيما عدا ل: «الغدوي» بالمهملة، وهو تحريف نبه عليه الأزهري. انظر اللسان (19: 268).

(٨) من قصيدة له في النقائض 275-294 والديوان 725-734 يهجو بها جريراً.

(٩) يعني نسوة بني كليب. أنكحوا، رواه أبو عبيدة بفتح الهمزة والكاف. غدوي، بالذال المعجمة. وفيما عدا ل: «غدوي بكل» محرف. ويروي: «غدوي» بالذال المهملة. وفي اللسان (20: 355): «منسوب إلى غد، كأنهم يمتنونه، فيقولون: «تضع إبلنا غداً فتعطيك غداً». والهنقع: القصير الملز الخلق والتنبال، بالكسر: القصير. فيما عدا ل: «مثقال» صوابه في ل والنقائض والديوان واللسان (غدو، غدو، هبقع). وفي النقائض: «قال: مهوور نسوتهم الحملان ليس يمهون الإبل».

(ميل الحيوان على شقه الأيسر)

[و] قال أبو عتّاب: ليس في الأرض شاة ولا بعيّر ولا أسدّ ولا كلب يريد الرُّبوض إلا مال على شقه الأيسر، إبقاءً على ناحية كبده.

قال: ومتى تفقدتم الصفايا التي في البيوت⁽¹⁾، والنعاج، والجداء، والحُمْلان وجدتموها⁽²⁾ كذلك.

(معالجة العقاب الفريسة)

قال: والعقاب تستعمل كفها اليمنى إذا أصعدت بالأرانب والشعالب في الهواء، وإذا ضربت بمخالبها في بطون الطّباء والذئاب. فإذا اشتكت كبدها أحسّت بذلك⁽³⁾، فلا تزال إذا اصطادت شيئاً تأكل من كبده، [حتى تبرأ]. وإن لم تُعاین فريسة فربما جلّت⁽⁴⁾ على الحمار الوحشي فتتنقض عليه انقضاض الصخرة، فتقدّ بدابرتها⁽⁵⁾ ما بين عجب ذنبه إلى منسيجه. وقد ذكرنا من شأنها في باب القول فيها ما فيه كفاية⁽⁶⁾.

(أخذ الحيوان على يساره حين الهرب)

قال: وليس في الأرض هارب من حربٍ أو غيرها استعمل الحُضر⁽⁷⁾ إلا أخذ على يساره⁽⁸⁾، إذا ترك عزمه وسومَ طبيعته⁽⁹⁾ وأنشد:

تخامص عن وحشيّه وهو ذاهلٌ وفي الجوف نار ليس يخبو ضرامها⁽¹⁰⁾
وأنشد الأصمعي للأعشى⁽¹¹⁾:

(1) فيما عدل: «البيت».

(2) ط فقط: «وجدتموها» تحريف.

(3) فيما عدل: «واشتكت كبدها وأحسّت بذلك».

(4) جلى ببصره تجلية: أغمض عينيه ثم فتحهما، ليكون أبصر له. في الأصل: «وربما».

(5) الدابرة: الإصبع التي من وراء رجله، وبها يضرب الصيد. والعجب، بالفتح: الذنب. والمنسج، كمجلس: ما شخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق.

(6) انظر الجزء الثالث 100-102 والجزء الثاني 2: 182.

(7) فيما عدل: «فاستعمل الحضر». والحضر، بالضم: العدو.

(8) فيما عدل: «عن يساره».

(9) السوم: التكليف. ل: «وسوء طبيعته» تحريف، صوابه في سائر النسخ وعيون الأخبار (2: 68).

(10) تخامص عن الشيء: تجافى. ط، هـ: «تخامص». محرف والوحشي: الجانب الأيمن.

(11) ل: «وأنشد للأعشى».

وَيَسَّرَ سَهْمًا ذَا غِرَارٍ يَسُوقُهُ أَمِينُ الْقُوَى فِي ضَالَةِ الْمَتْرَمِ (1)
فَمَرَّ نَضِي السَّهْمِ تَحْتَ لَبَانِهِ وَحَالَ عَلَى وَحْشِيَّهِ لَمْ يَعْتَمِ (2)
قال: ووضع: «على» موضع: «عن».

(ميل شقشقة الجمل ولسان الثور)

وفي باب آخر يقول أوس بن حجر - وذلك أنه ليس في الأرض جملٌ هاج وأخرج (3)
شِقْشِقَتَهُ إِلَّا عَدَلَ بِهَا إِلَى أَحَدِ شِقِّي حَنَكِهِ. والثور إذا عدا (4) عدل بلسانه عن شِقِّ شماله [إلى
يمينه. . .] قال عبدة بن الطبيب:

مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَهْفُو وَهُوَ مُبْتَرِكٌ لِسَانُهُ عَنْ شِمَالِ الشَّدَقِ مَعْدُولٌ (5)
وقال أوس بن حجر:

أَوْ سَرَّكَمِ فِي جُمَادَى أَنْ نَصَالَحَكُم إِذَا الشَّقَاشِقُ مَعْدُولٌ بِهَا الْحَنُكُ (6)

(حال الثور عند الكر والفر)

قال: وإذا كَرَّ الكلبُ أو الثور [فهو] يَضْنَعُ (7) خلاف صَنِيعِهِ عند الفر (8). وقال الأعشى:
فلما أضاء الصبحُ قامَ مُبَادِرًا وحن انطلاقُ الشاةِ من حيثُ يمما (9)

(1) يسر: هيا. والضمير للمصائد الذي يبغى صيد هذه الحمر الوحشية. والغرار، بالكسر: حد السيف والرمح
والسهم. أمين القوى، يعني الوتر. الضالة: عنى بها قطعة الضال التي صنع منها القوس. والمترنم: القوس يترنم
عند الإنباض. والقوس يذكر ويؤنث. ط، هـ: «ولبس» ش: «وليس» موضع: «ويسر»، تحريفان، ط، هـ: ذا
عذار ش: «عزار» محرف. وفيما عدل أيضاً: «ف يحالة». وصواب كل ذلك في ل، وديوان الأعشى 93.

(2) النضي: نصل السهم. واللبان، بالفتح: الصدر، أو وسطه. حال: تحول. لم يعتنم: لم يبطن. ط: «فمرفئ»
ش، هـ: «يضيء» ط، هـ: «تحت عذاره» ش: «لباته»، تحريفات صوابها في ل والديوان واللسان (عتم، نضا،
ثمثم). هـ: ش: «وجال» بالحييم، ومثلها في المواضع من اللسان، تحريف صوابه في ل، ط. فيما عدل: «لم
يعتم» تحريف. ورواية الديوان واللسان في الموضع الأخير: «لم يثمثم» والثمثمة: التوقف.

(3) فيما عدل: «فأخرج». (4) فيما عدل: «إذا عدل» تحريف.

(5) يهفو: يسرع في خفة. المبتترك: المعتمد في سيره لا يترك جهداً. معدول: ممال. ط: «الشرق» ش، هـ:
«الشوق»، صوابهما في ل والمفضليات (26: 41) طبع المعارف.

(6) جمادى، هو الشتاء كله. ل: «أن يصالحكم». الشقاشق: جمع شقشقة، بكسر الشينين، وهي الجلد الحمر
التي يخرجها الجمل من حلقه. ط فقط: «الشقاشق» تحريف. وفي الديوان: «إذا الشقاشق». معدول: ممال.
وفي الحديث: «لا تعدل سارحتكم»، أي لا تصرف ماشيتكم وتمال عن المرعى. ط فقط: «بها الجنب» تحريف.
والبيت من أبيات أربعة في ديوان أوس، أولها:

زَعَمْتُمْ أَنْ غَوَلَا وَالرَّجَامَ لَكُمْ وَمَنْعَجًا فَاذْكُرُوا فَالْأَمْرَ مَشْتَرِكُ

(7) هذه الكلمة ساقطة من ش. وفي ط، هـ: «صنع».

(8) الفر: الفرار. ط: «العدو» مع إسقاط واو: «وقال»، تحريف.

(9) الشاة: الثور الوحشي. وفي الأصل: «الشاء»، صوابه في الديوان 202 واللسان (8: 404 و 15: 84). والرواية
فيهما: «من حيث خيما». خيم بالمكان: أقام. ويمم: قصد، وأحسبها تحريفاً.

فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشَّرِيقِ عُذَيَّةُ كَلَابُ الْفَتَى الْبَكْرِيِّ عَوْفِ بْنِ أَرْقَمًا⁽¹⁾
فَأُطْلِقَ عَنْ مَجْنُوبِهَا فَاتَّبَعْنَهُ كَمَا هَيَّجَ السَّامِي الْمَعْسَلُ خَشْرَمًا⁽²⁾
فَأَنْحَى عَلَى شَوْمَى يَدِيهِ فَذَاهَا بِأَظْمًا مِنْ فِرْعِ الذُّوَابَةِ أُسْحَمًا⁽³⁾
ثم قال :

وَأَدْبَرَ كَالشَّعْرَى وَضُوحًا وَنُقْبَةً يُوَاعِسُ مِنْ حُرِّ الصَّرِيمَةِ مُعْظَمًا⁽⁴⁾

(علة غزو العرب أعداءهم من شق اليمين)

قال : ولعلم العرب بأن طبع⁽⁵⁾ الإنسان داعية إلى الهرب من شق الشمال ، يحبون أن يأتوا أعداءهم من شق اليمين . قال : ولذلك قال شُتَيْمُ بْنُ خُوَيْلِدٍ⁽⁶⁾ :

فَجَنَّاهُمْ مِنْ أَيْمَنِ الشَّقِّ غُدْوَةً وَيَأْتِي الشَّقِّيَّ الْحَيْنَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
وَأَمَّا رِوَايَةُ أَصْحَابِنَا [فَهِىَ⁽⁷⁾] : «فَجَنَّاهُمْ مِنْ أَيْمَنِ الشَّقِّ عِنْدَهُمْ» .

(الأعسر من الناس واليسر)

وإذا كان أكثرُ عمل الرجل ييساره كان أعسر ، [فإذا استوى عملاً بهما قيل «أعسر يسر»⁽⁸⁾] ،

(1) يعني صبح الصائد هذا الثور بكلايه .

(2) المجنوب : الذي يقاد ؛ جنبه : قاده إلى جنبه . السامي : الذي يسمو في الجبل ليأخذ العسل . والمعسل : الذي يشتر العسل ويجمعه من الخلية . والخشرم ، بفتح الخاء والراء : جماعة النحل . يقول : أطلق هذا الصائد عن كلابه فهجن كما هاج النحل . في الأصل : «فأطرق» . و«حشرما» بالمهملة ، صوابهما في الديوان . ل ، ش : «السامي» بدل : «السامي» .

(3) أنحى : اعتمد . الشؤمى : نقيض اليمينى . الأظم : القرن الصلب . كذا في شرح الديوان . قلت : الأظمى الرمح الأسمر ، معتل . فهو قد شبه القرن به ثم همزه . وأما تفسير الديوان فلم يرد في معجم . يقول : زاد الثور الكلاب عنه بهذا القرن . فيما عدل : «فأضحى» و : «فزادها» صوابه في ل والديوان . ط : «بأضحاء» هـ : «بأضماء» صوابه في ل ، وش والديوان واللسان (15 : 208) . وقد روى البيت في اللسان منسوباً إلى القطامي وأوله : «فخر» . ومثل هذه النسبة في المخصص (2 : 3 ، 15 : 191) . وليس في صلب ديوان القطامي .

(4) أدبر : ولى . ط : «أبرز» محرف . والشعري : نجم . والنقبة ، بالضم : اللون . فيما عدل : «ونقبة» تحريف . يواعس : من المواءسة ، وهو ضرب من السير . ورواية الديوان : «يواعن» وفي شرحه : «يواعن» يدخل في الوعان . والوعان : خطوط في الجبال ، جمع وعنة ، وهو بياض في الأرض لا ينبت شيئاً . فيما عدل : «يدعس» تحريف . وصريمة الثور : رملته التي هو فيها . وحرها ، بالضم : وسطها وخيرها . والمعظم : العظيم . يقول : أدبر الثور ، بعد أن قتلها ، كالشعري في لونه .

(5) فيما عدل : «طباع» ، والتاء في داعية للمبالغة .

(6) سبقت ترجمته في (4 : 288) . ل : «شيبم» بياءين ، صوابه ما أثبت من شائر النسخ ، وهو ما نص عليه صاحب القاموس في ترجمة (شتم) . وفيما عدل : «ولذا بدل : «ولذلك» .

(7) ليست في الأصل .

(8) يسر ، بالتحريك . وفي الحديث : «كان عمر رضي الله عنه أعسر أيسر» . قال أبو عبيد : هكذا روي في الحديث . وأما كلام العرب فالصواب أنه أعسر يسر .

فإذا كان أعسر مُصَمَّتًا فليس بمستوي الخلق⁽¹⁾، وهو عندهم إذا كان كذلك فليس بميمون الخلق⁽²⁾. ويشتقون من اليد العسرى⁽³⁾ العُسر والعُسرة، فلما سمَّوها الشَّمال⁽⁴⁾ أجروها في الشؤم وفي المشؤوم على ذلك المعنى⁽⁵⁾. وسموها اليد اليسرى واليد اليسرى على نقي العسر والنكد، كما قالوا: سليم، ومفازة⁽⁶⁾. ثم أفصحوا بها في موضع فقالوا⁽⁷⁾ اليد الشؤمى⁽⁸⁾.

(مما قيل من الشعر في الشمال)

ومما قالوا في الشمال قول أبي ذؤيب:

أبالصَّرم من أسماء جدِّ بك الذي جَرى بيننا يوم استقلت رِكابها⁽⁸⁾
زجرت لها طير الشمال فإن يكن هَوَاك الذي تهوى تُصَبِّك اجتِئابها⁽⁹⁾
وقال شتيم بن خويلد⁽¹⁰⁾:

وقلت لسيدنا يا حلي م إنك لم تأس أسوأ رفيقا⁽¹¹⁾
[زحرت بها ليلة كلها فجئت بها مؤيدا خنفيقا⁽¹²⁾]
أعنت عديا على شأوها تُعادي فريقا وتبقى فريقا⁽¹³⁾

(1) في الأصل، وهو هنا ل: «يستوي الخلق»، وما أثبت أقرب تصحيح له.

(2) ل: «يسوى الخلقي»، فيكون تكراراً لما قبله.

(3) العسرى، بالضم والقصر: نقيض اليد اليسرى. ل: «العسراء» وهو وصف مؤنث الأعسر. وليس مراداً.

(4) فيما عدل ل: «بالشمال».

(5) ل: «في السوق» تحريف. وكلمة: «المشؤوم» ساقطة من ل، وبدلها في هـ: «المشوم» تحريف.

(6) السليم: اللديغ. والمفازة: البرية القفر.

(7) في الأصل، وهو هنا ل: «فقال».

(8) جده الأمر: اشتد. اللسان (4: 84 س 11). استقلت: ارتحلت. فيما عدل ل: «أبالصرم» صوابه في ل وأشعار

الهذليين (4: 1). وفي أشعار الهذليين وما عدل ل: «حدثك الذي».

(9) الزجر: التشاؤم والتميم بالطير. وفي اللسان (13: 388): «وجرى له غراب شمال أي ما يكره، كأن الطائر

إنما أتاه عن الشمال». وأنشد البيت. ط، ش: «زجرت» تصحيف. وفي أشعار الهذليين واللسان: «فإن تكش».

(10) ل: «شيم» بياءين. وانظر التنبيه السادس من الصفحة السابقة.

(11) فيما عدل ل: «أمراً رفيقا» تحريف صوابه في ل والبيان (1: 181)، والحيوان (3: 46) والأضداد 225، قال

الأنباري: «أراد يا حليم عند نفسك، فأما عندي فأنت سفيه».

(12) الزحر، بالحاء المهملة: إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة، ومنه زحرت المرأة عند الولادة.

وضمير «بها» للداهية التي عاها. والمؤيد، كمؤمن: الأمر العظيم والداهية. والخنفيق: الداهية. يقول: سهرت

للرأي ليلة كلها فجئت بدهية. في الأصل، وهو هنا ل وكذا في جمهرة العسكري ص 423: «زجرت» بالجيم،

صوابه في معجم المرزباني 392، والميداني (1: 57) والإنصاف 187 والخزانة (2: 358 بولاق). ويروى:

«مخضت» في المخخص (2: 89) و: «سهرت» في اللسان (11: 283). وروى: «به» فيما عدا المرزباني والميداني

والبيان والجمهرة. وروى: «مودنا» في الميداني والمخصص والخزانة واللسان.

(13) ل: «وتنفي فريقا».

- أَطَعْتَ عُرَيْبَ إِبْطَ الشَّمَالِ تُنَحِّي لِحْدَ الْمَوَاسِي الْحُلُوقِ⁽¹⁾
وقال آخر⁽²⁾ :
- وهوَنَ وَجَدِي أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ لَهُمْ غَرَابَ شِمَالٍ يَنْفُضُ الرِّيشَ حَاتِمًا⁽³⁾
وإذا مال شِقُّهُ قالوا: أَحَوْلَ شِقُّهُ⁽⁴⁾. وقال الأشتر بن عُمارة⁽⁵⁾ :
- عَشِيَّةً يَدْعُو مُعْتَرِّ يَالَ جَعْفَرٍ أَخُوكُمْ أَخُوكُمْ أَحْوَلُ الشَّقِّ مَائِلُهُ⁽⁶⁾
وقال آخر⁽⁷⁾ :
- أَيَّ أَخٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ⁽⁸⁾
حَتَّى إِذَا قَارَبَ الْحَوَادِثُ مِنْ خَطُوي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي⁽⁹⁾
أَحْوَلُ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي⁽¹⁰⁾

- (1) عريب، بالضم ففتح فياء مشددة مكسورة: لقب معاوية بن حذيفة بن بدر الفزاري، كما في معجم المرزباني 392، وقد ورد بهذا الضبط في ل، وهو ما يقتضيه وزن الشعر. فيما عدل ل: «عريب» تحريف. وكان معاوية يلقب أيضاً «إبط الشمال» لقب بهذا البيت. قال المرزباني في معجمه: «وكان مشوهاً» صوابه: «مشووماً». المواسي: جمع موسي، موسي الحلاق. والحلوق: جمع حلق. عنى أنه كان يعين على قتلهم واستئصالهم. فيما عدل ل: «بحد». وفي ط، ه: «الخلوق»، وهذه محرفة.
- (2) فيما عدل ل: «وقال آخر».
- (3) الحاتم: الغراب الأسود، وهو غراب البين. فيما عدل ل: «غراب الشمال ينفض الريش جاثماً»، وفيه تحريف.
- (4) احول: مال، وأصله في العين، يقال حولت واحولت. فيما عدل ل: «حول» وهما صحيحتان.
- (5) لم أعر له على ترجمة إلا أن شعره كان في حرب هراميت، وهي من الحروب الإسلامية، كانت في زمن عبد الملك بن مروان، في فتنة ابن الزبير، وكانت بين الضباب- وهم بنو معاوية بن كلاب- وبين إخوتهم بني جعفر بن كلاب، وفي هذه الحرب طعن الأجلح الضبابي «معتراً» الجعفري، ضربه ضربة أشرعت في شقه، فنادى معتراً: يا بني جعفر، إن شددتموني بثوب فلا بأس علي! فلم يلبث أن مات. فقال فيه الأشتر بن عماره الضبابي هذا البيت التالي. انظر النقائض 927-931 والعمدة (2: 167).
- (6) معتراً، بكسر الميم وفتح التاء وآخره راء مهملة، كما ضبطه في النقائض 930، ط، ش: «معسر» ل: «معتراً» صوابهما في ه والنقائض. فيما عدل ل: «جريح» صريح بدل: «أخوكم أخوكم»، صوابه في ل والنقائض. وفي النقائض: «أجل» بدل «أحول».
- (7) هو محمد بن حازم الباهلي، كما في العقد (1: 318). وسماه «ابن أبي حازم» تحريف. وهو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي كان من ساكني بغداد مولده ومنشؤه البصرة، وهو من شعراء الدولة العباسية، شاعر مطبوع، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس فاطرح، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون، وكان يقول المقطعات الصغيرة فيحسن. وعاتبه يحيى بن أكنم على اختصاره الشعر فأجابه بأبيات حسان. انظر الأغاني (12: 151-160) والمرزباني 429 وتاريخ بغداد 781.
- (8) ل: «أيا أخوا» وفي العقد والمحاسن والمساوي (2: 206): «وصاحب كان» وبعد هذا البيت في المحاسن بيتان، ثانيهما فقط في العقد، وهما:

- وكان لي مؤنساً وكنت له ليست بنا حاجة إلى أحد
كنا كساق تسعى بها قدم أو كذراع نيطت إلى عضد
- (9) في العقد: «دبت الحوادث في عظمي». وفي الأصل: «وشد الزمان من عقدي» والوجه ما أثبت من العقد والمحاسن والمساوي.
- (10) هذا البيت وحده في عيون الأخبار (3: 111). ورواية العقد: «ينظر من طريقي». وبعد هذا البيت في المحاسن:
- حتى إذا استرفدت يدي يده كنت كمسترفد يد الأسد

(الوقت الجيد في الحمل على الشاء)

قال الأصمعيّ: الوقت الجيّد في الحمل على الشاء أن تخلّى سبعة أشهر بعد ولادها^(١). ويكون حملها خمسة أشهر، فتولّد^(٢) في كل سنة مرة. فإن حُمِلَ عليها في كل سنة مرتين فذلك الإمغال، يقال: أمعل بنو فلان فهم مُمغلون، والشاء ممغل.

وإذا وُلدت الشاء ومضى لها أربعة أشهر فهي لجة^(٣)، والجميع اللجاب واللّجات^(٤)، وذلك حين يأخذ لبنها في النقصان.

(استطراد لغوي)

قال: والأير من البعير: المؤقلم، ومن الحافر الجردان، ومن الظلف كله: القضيب. ومن الفرس العتيق: النضيّ^(٥). زعم [ذلك] أبو عبيدة^(٦).

وما أراد من الحافر [الفحل] فهو الوداق، وهو من الإبل الضّبعة^(٧)، ومن الضأن الحنؤ. ويقال^(٨): حنت تحنو [حنؤاً]، وهي نعجة حان كما ترى، وما كان من المعز فهو الحرمة^(٩). ويقال: عنز حرّمي^(١٠). وأنكر بعضهم قولهم: «شاء صارف^(١١)» وزعم أنه مولد.

قال: وهو من السباع الإجمال، يقال: كلبّة مُجعل. فإذا عظم بطنها قيل أجمحت فهي مُجج^(١٢).

- (١) الولاد، بالكسر: الولادة. فيما عدا ش: «ولادتها».
- (٢) ط فقط: «قتلد» تحريف. وانظر التنبيه 3 ص 307 وص 334 س 5.
- (٣) اللجة، مثلة، وبالتحريك، وكعنية، وفرحة. فيما عدل: «لحية» بالحاء محرفة.
- (٤) ط، ه: «اللحاب واللّجات»، ش: «اللحاب واللّحبان»، صوابهما في ل.
- (٥) النضي، بفتح النون وكسر الضاد المعجمة. فيما عدل: «المضا» ل: «النصي»، صوابهما ما أثبت.
- (٦) فيما عدل: «وزعم أبو عبيد». وإنما هو أبو عبيدة. انظر اللسان (20: 205 س 16-17).
- (٧) في اللسان: «ضبعت الناقة بالكسر تضع ضَبْعاً وضَبْعَةً، وضبعت، وأضبعت بالألف، واستضبعت، وهي مضبعة: اشتتت الفحل».
- (٨) فيما عدل: «وقال».
- (٩) الحرمة بكسر الحاء بعدها راء. فيما عدل: «الحرمة» مصحف.
- (١٠) حرّمي، على وزان عجلّ: وجمعه حرام وحرامى، كعجالى وعجالى. في الأصل: «وقال» ووجهه ما أثبت.
- (١١) فيما عدل: «خزمي»، وصوابه في ل، لكن ضبطت فيها بتشديد الياء، والوجه القصر.
- (١٢) فيما عدل: «شاء» والوجه بالأفراد، وكلمة: «قولهم» ليست في ش.
- (١٢) بتقديم الجيم على الحاء، وفيما عدل: «أجمحت فهي مجج» تحريف.

وما كان من الخف فهو مَشْفَرٌ^(١) ، وما كان من الغنم فهو مِرْمَةٌ^(٢) ، وما كان من الحافر فهو جَحْفَلَةٌ^(٣) .

وإذا قلت لكل ذات حنبل وضعت، جاز. فإذا ميزت قلت للخف: نُتَجَتْ، وللظلف: ولدت^(٤) . والبقرة تجري هذا المجرى. وقلت للحافر: نِتَجَتْ.

ويقال للحافر من بين هذا كله إذا كان في بطنها ولد: نَتُوج. وإذا عظم بطن الحافر قيل قد أعقَّتْ فهي عَقُوق، والجماعُ عُقُقٌ^(٥) ، وبعضهم يقول: عَقَاتِق.

ويقال للبقرة الوحشية نعجة. والبقرة تجري مجرى الضائنة^(٦) في حالها.

وما كان من الخف فصوته بُغام. فإذا ضَجَّتْ فهو الرُغاء. فإذا طَرَبَتْ في إثر ولدها قيل حَنَّتْ. فإذا مدت الحنين قيل سَجَرَتْ^(٧) .

قال: والإلماغ في السباع وفي الخيل^(٨) ، دون البهائم، وهو أن تشرق ضروعها^(٩) .

[قال: والخروف في الخيل والضأن، دون البهائم كلها^(١٠) .

قال: ويقال للطير: قد قمطها يقمطها. ويقال للئيس والكلب: قد سَفَدَ يَسْفَدُ سِفَاداً^(١١) . ويقال في الخيل: كامها يَكُومُها كَوْمًا، وكذلك في الحافر كله. و[في] الحمار وحده: باكها يَبُوكها بَوَكًا^(١٢) .

(١) المشفر، بالكسر: واحد المشافر. ط: «مشر» ش، ه: «شفر» صوابهما في ل.

(٢) المرملة، بالكسر، وبالفتح لغة أيضاً، وضبطت في ل بفتح فكسر، وهو خطأ.

(٣) ه: «جحفلة» تحريف.

(٤) انظر التنبيه 2 ص 307 وص 334 س 5.

(٥) في اللسان: «جماع الشيء: جمعه، تقول جماع الخباء الأخبية؛ لأن الجماع ما جمع عدداً». ط، ه:

«والجمع». والعقق، بضمعين، كما في القاموس. وفيه أيضاً أن جمع الجمع عقاق، ككتاب.

(٦) ل، ه: «الضائنة»، وهو تحريف نهبت عليه في التنبيه السادس ص 316.

(٧) سجرت، بالسين المهملة، فيما عدل ل: «شجرت» تحريف.

(٨) ط: «من السباع ومن الخيل» ل: «في الحيل والسباع»، وأثبت ما في ش، ه.

(٩) في اللسان: «والإلماغ في ذوات المخلب والحافر: إشراق الضرع واسوداد الحلمة باللبين للحمل». ش:

«تشرف» تحريف.

(١٠) في ش تكملة تشبه هذه لكنها محرفة وهي: «والخروف في الحمل والضأن دون البهائم وهو أن تشرف ضروعها».

والخروف في الخيل: ولد الفرس إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة. ومنه قول القائل يصف طعنة:

ومستنة كاستنان الخرو ف قد قطع الحبل بالمروود

(١١) سفد، كضرب وعلم.

(١٢) هذان الفعلان ومصدرهما بالباء الموحدة. فيما عدل ل: «ناكها ينيكها نيكًا»، تحريف.

(قولهم: ما له سَبَدٌ ولا لَبَدٌ)

وتقول العرب: «ما له عندي سَبَدٌ ولا لَبَدٌ». فقدّموا السَّبَدَ⁽¹⁾. ففي هذا المعنى [أنهم] قدموا الشَّعر على الصوف⁽²⁾.

فإن قال قائل: فقد قدّموا⁽³⁾ في مواضع كثيرة ذكر ما هو أَحْسَنُ⁽⁴⁾ فقالوا: «ما له عندي قليلٌ ولا كثير⁽⁵⁾»، [و: «الغير والنَّفير⁽⁶⁾» حتى قالوا: الخلّ والزيت]، وقالوا: ربيعة ومُضَر، وسُلَيم وعامر، والأوس والخزرج. [وقال الله: ﴿لَا بُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (الكهف: 49)⁽⁷⁾].

والذي يدلُّ على أن ذلك الذي قلنا كما قلنا⁽⁸⁾ قول الراعي:

حتى إذا هَبَطَ الْغَيْطَانُ وانقطعت
لأقَى أَطِيلَسَ مَشَاءً بِأَكْلِبِهِ
عنه سلاسل رَمَلٍ بينها عُقْدُ⁽⁹⁾
إثر الأوابد ما يَنْمِي له سَبَدُ⁽¹⁰⁾
فَقَدَّمَ السَّبَدَ. ثم قال:

يُشْلِي سَلْوَقِيَّةً رُلًّا جَوَاعِرُهَا
مِثْلَ الْعَاسِيبِ فِي أَصْلَابِهَا أَوْدُ⁽¹¹⁾
وقال الراعي:

أما الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حُلُوبُهُ
وَفَقَّ الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ له سَبَدُ⁽¹²⁾

(1) انظر ما سبق ص 323 س 8.

(2) فيما عدل ل: «ومنها ذا المعنى قدموا الشعر على الصوف»، محرف.

(3) ط، هـ: «قدّموا»، صوابه ما أثبت من ل، ش.

(4) أحسن، من الخساسة، وهي الدناءة والحقارة. فيما عدل ل: «أحسن» تحريف.

(5) فيما عدل ل: «كثير ولا قليل» وهو عكس ما يراد.

(6) الغير، بالكسر: كل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال. والنفير: الجماعة من الناس. أو الغير ما كان من قریش مع أبي سفيان، والنفير ما كان منهم مع عتبة بن ربيعة، يوم بدر.

(7) بعد هذه الآية في الأصل: «والغير والنفير» وهو تكرار لما أثبت في التكملة السابقة من ل.

(8) ل: «فالذي يدل على أن الذي قلنا كما قلنا».

(9) الغيطان، جمع غائط، وهو المظمئن من الأرض الواسع. ل: «فانقطعت».

(10) أطيلس: مصغر أطلس، وهو من الرجال الدنس الثياب الوسخ. وقد عنى به الصائد. فيما عدل ل: «بأكلته أمر الأوابد» بتحريف الكلمتين الأوليين، صوابه في ل واللسان (7: 431). ورواية صدره في اللسان: «صادفت أطلس». صوابه: «صادف» والأوابد: الوحش.

(11) الزل: جمع أزل وزلاء، وهو الخفيف الوركين، أو الأرسح. والجاعرة: رأس أعلى الفخذ. واليعسوب: طائر أصغر من الجراد، أو أعظم، طويل الذنب، لا يضم جناحيه إذا وقع، تشبه به الخيل في الضمر. والأود: العوج. هـ: «ولا» ش: «دلاً» ل: «ولي» بدل: «زلاً» محرف.

(12) وفق العيال: أي لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه. انظر اللسان (12: 263) والمخصص (12: 285) وأدب الكاتب 32.

وهو لو قال: لم يُترك له لَبَدٌ، و[لو] قال: ما ينمى له لَبَدٌ - لقام الوزن، ولكان له معنى. فدلَّ [ذلك] على أنه إنما أراد تقديم المقدم.

(مفاخرة بين صاحب الضأن وصاحب الماعز)

قال صاحب الضأن: فخرتم على الضأن بأن الإنسان ذو شعر، وأنه بالماعز أشبه، فالإنسان ذو ألية، وليس بذئ ذنب؛ فهو من هذا الوجه بالضأن أشبه.

[قال صاحب الماعز: كما فخرتم بقوله: ﴿ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: 143] وقلتم: فقد قدمها، فقال الله: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الرحمن: 33]⁽¹⁾. فإن وجب لضأنك التقديم على الماعز بتقديم هذه الآية - وجب للجن التقديم بتلك الآية].

(القول في الضفادع)

[علّمك الله علماً نافعاً، وجعل لك من نفسك سامعاً، وأعاذك من العُجب، وعرفك لباس التقوى، وجعلك من الفائزين].

اعلم، رحمك الله تعالى، أن الله جل وعز⁽²⁾ قد أضاف ست سور من كتابه إلى أشكال من أجناس الحيوان الثلاثة، منها مما⁽³⁾ يسمونها باسم البهيمة، وهي سورة البقرة، وسورة الأنعام، وسورة الفيل. وثلاثة [منها] مما يعدون اثنتين منها من الهمج، وواحدة من الحشرات⁽⁴⁾.

فلو كان موقع ذكر هذه البهائم، وهذه الحشرات والهمج، من الحكمة والتدبير، موقعها من قلوب الذين لا يعتبرون ولا يفكرون، ولا يميزون ولا يحصلون الأمور ولا يفهمون الأقدار - لما أضاف هذه السور العظام الخطيرة، و[الشريفة الجليلة، إلى هذه الأمور المحقرة المسخفة]⁽⁵⁾، والمغمورة المقهورة.

ولأمر ما وضعها في هذا المكان، ونوّه بأسمائها هذا التنويه. [فافهم، فإن الأديب الفهم⁽⁶⁾، لا يعود قلبه الاسترسال. وحُذْ نفسك بالفكرة، وقلبك بالعبارة].

(1) هي أول الآية 130 من سورة الأنعام والآية 33 من سورة الرحمن. وفي الكتاب أيضاً: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ فَلَرِ اسْتَكْرَرْتُ﴾ في الآية 128 من سورة الأنعام. لم يرد غيرهن بهذا النداء في الكتاب.

(2) فيما عدل: «عز وجل».

(3) ل: «ما».

(4) ل: «اثنتين منها من الهمج وواحدة من الحشرات». ويشير بالهمج إلى سورتي النحل والعنكبوت. وبالحشرات إلى سورة النمل.

(5) هو من قولهم أرض مسخفة، كمحسنة: قليلة الكلاء. فيما عدل: «السخيفة».

(6) الفهم، ككتف: السريع الفهم.

وأنا ذاكرٌ من شأن الضفدع من القول ما يحضر مثلي. وهو قليلٌ في جنب ما عند علمائنا. والذي عند علمائنا لا يحسُّ⁽¹⁾ في جنب [ما عند غيرهم]⁽²⁾ من العلماء. والذي عند العلماء قليل في جنب ما عند الأنبياء، والذي عند الأنبياء قليل في جنب [ما عند الله تبارك وتعالى].

من ذلك الضفدع، لا يصيح ولا يمكنه الصباح حتى يدخل حنكه الأسفل [في] الماء. فإذا صار في فمه⁽³⁾ بعض الماء صاح. ولذلك لا تسمع للضفادع نقيقاً إذا كنَّ خارجاتٍ [من] الماء.

والضفادع من الحيوان الذي يعيش في الماء، ويبيض في الشط⁽⁴⁾، مثل الرق⁽⁵⁾ والسُلحفاة، وأشباه ذلك.

والضفادع تنق، فإذا أبصرت النار أمسكت⁽⁶⁾.

(زعم في الضفادع)

والضفادع من الحيوان الذي يُخلق في أرحام الحيوان، وفي أرحام الأرضين⁽⁷⁾، إذا ألقتها المياه⁽⁸⁾، لأنَّ اليخ⁽⁹⁾ بخراسان يُكبس في الآزاج⁽¹⁰⁾، ويحال بينه وبين الريح والهواء والشمس، بأحكم ما يقدرون عليه وأوثقه⁽¹¹⁾. ومتى انخرق في [تلك] الخزانة خرق في مقدار منخر الثور حتى تدخله الريح، استحال ذلك اليخ⁽¹²⁾ كله ضفادع.

ولم نعرف⁽¹³⁾ حقَّ هذا وصدقَه من [طريق] حديث الرجل والرجلين، بل نجدُ الخبرَ عنه كالإطباق، وكالخبر المستفيض الذي لا معارضَ له.

(1) فيما عدال: «لا يحسن» تحريف.

(2) في الأصل: «غيري».

(3) فيما عدال: «صار فيه».

(4) الشط: الشاطئ. فيما عدال: «ويستوطن في الشط»، تحريف.

(5) الرق، بالفتح: السلحفاة المائية. فيما عدال: «الزق» بالزاي، تصحيف. وانظر (2/53:1)؛ 4/73:26، (58).

(6) انظر: «(4:298)».

(7) ل: «من» بدل: «في» في الموضعين. وفي ش، هـ: «من» في الثاني فقط.

(8) فيما عدال: «ألقتها المياه».

(9) اليخ، بفتح الياء وتشديد الخاء المعجمة: الثلج، مأخوذة من الفارسية: «يخ». انظر استينجاس 1528، ولم تتعرض له معاجم اللغة ولا كتب المعربات. ط، هـ: «البح» ش: «اليخ» بالإهمال، صوابهما في ل.

(10) الأزاج: جمع أزج بالتحريك، وهو بيت يبني طولاً. وفي اللسان: «ويقال له بالفارسية أوستان». ويجمع أيضاً على أزج وإزجة، كقبيلة. وانظر ما سبق في (3:199). ط: «الأبراج» ش، هـ: «الأراج» صوابهما في ل.

(11) فيما عدال: «وأوثق»

(12) ط، هـ: «البح» ش: «اليخ» بالإهمال، صوابهما في ل.

(13) ش: «لو لم يعرف».

(أعجوبة في الضفادع)

وفيها أعجوبة أخرى: وذلك أنا نجد، من كبارها وصغارها، الذي لا يحصى في غبّ المطر⁽¹⁾، إذا كان المطر ديمة⁽²⁾، ثم نجد⁽³⁾ها في المواضع التي ليس بقربها بحر ولا نهر، ولا حوض، ولا غدير، ولا واد، ولا بير⁽⁴⁾. ونجد⁽⁵⁾ها في الصّحاح الأماليس⁽⁵⁾، وفوق ظهور مساجد الجماعة حتى زعم كثير من المتكلمين، ومن أهل الخسارة⁽⁶⁾ وممن لا يحتفل بسوء الحال عند العلماء، ولا يكثر⁽⁷⁾ للشكّ - أنها كانت في السحاب. ولذلك طمع بعض الكذّابين⁽⁷⁾ ممن نكره اسمه، فذكر أن أهل أيّذج⁽⁸⁾ مطّروا [مرة] أكبر شبّابيط في الأرض، وأسمّنها [وأعذبها] وأعظمها⁽⁹⁾، وأنهم اشتوّوا، وملّحوا، وقرّسوا⁽¹⁰⁾، وتزوّد منه مسافرهم⁽¹¹⁾. وإنما تلك الضفادع شيء يخلّق في تلك الحال بمزاوجة الزمان، وتلك المطرة، وتلك الأرض، وذلك الهواء.

(معارف في الضفدع)

والضفادع من الخلق الذي لا عظام له. ويزعم أصحاب الغرائب⁽¹¹⁾ أن العلاجيّ منها الذكورة السود⁽¹²⁾. ويقال: أرسح من ضفدع⁽¹³⁾!. وتزعّم الأعراب أن الضفدع كان ذا ذنب، وأن الضبّ سلبه إياه⁽¹⁴⁾ وذلك في خرافة من

-
- (1) غب المطر، بالكسر: أي بعده.
 (2) الديمة، بالكسر: المطر يدوم.
 (3) فيما عدل: «لم ونجدها» تحريف.
 (4) كذا بالتسهيل فيما عدا ش.
 (5) الصّحاح: جمع صحصح، وهو الأرض الجرداء المستوية. والأماليس: التي ليس بها شجر ولا يبيس ولا كالأ ولا نبات ولا يكون فيها وحش. الواحد إمليس. فيما عدل: «وتجدها في الضحاح الأملس»، محرف.
 (6) الخسارة: الضلال والهلاك. فيما عدل: «الجسارة»، والواو بعدها ليست في ل.
 (7) فيما عدل: «أكثر الكذابين»، تحريف. واسم هذا الرجل «حريث» كما مضى في (1: 122 س7).
 (8) أيذج؛ آخره جيم، وعلى وزن أحمد: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان. ط، ش: «أبذخ» هـ: «أيذج»، صوابهما في ل ومعجم البلدان والقاموس.
 (9) انظر لمطر الشبّابيط ما مضى في (1: 122).
 (10) قرّسوا: أراد صنعوا القريس، وهو السمك يطبخ، ثم يتخذ له صباغ، فيترك فيد حتى يجمد.
 (11) هـ، ش: «الغريب».
 (12) ل: «الذكور والسود». قال المعلوف: «ولا شبهة أنهم أرادوا في قولهم الضفدع الذكر أنه جنس من الضفادع الكبار». وانظر مادة: Male، ففيها تحقيق جيد. وانظر لتأييده ما ذكر الجاحظ في القنفذ والدلدل (6: 240).
 (13) الرسح: خفة لحم العجز والفخذين. فيما عدل: «أرشح» بالشين، تصحيف صوابه في ل وأمثال الميداني (1: 288-289).
 (14) هذه الكلمة ثابتة في ط فقط. وانظر هذه الخرافة في أمثال الميداني وفيما سيأتي (6: 79-80).

خرافات الأعراب. [ويقول آخرون: إن الضفدع إذا كان صغيراً كان ذا ذنب، فإذا خرجت له يدان أو رجلان سقط⁽¹⁾].

(جملة من الأمثال)

[وتقول العرب⁽²⁾]: «لا يكون ذلك حتى يُجمع بين الأروى والنعام⁽³⁾». و: «حتى يُجمع بين الماء والنار»، و: «حتى يشيب الغراب» و: «حتى يبيض القار» و: «حتى تقع السماء على الأرض».

ومن حديث الأمثال: «حتى يجيء نسيط من مَرُو⁽⁴⁾». وهو لأهل البصرة. و: «حتى يجيء مصقلة من طبرستان⁽⁵⁾»، وهو لأهل الكوفة.

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40].

وتقول العرب: «لا يكون ذلك حتى يُجمع بين الضب والنون» و: «حتى يُجمع بين الضفدع والضب!». وقال الكميت:

يؤْلَفُ بَيْنَ ضِفْدَعَةٍ وَضَبٍّ وَيَعَجُّبُ أَنْ نَبَرَ بَنِي أَبِينَا
وقال في النون والضب:

ولو أنهم جاءوا بشيءٍ مُقَارِبٍ لشيءٍ وبالشكل الموافق للشكل
ولكنهم جاءوا بحيتانٍ لُجَّةٍ قوامس، والمكنى فينا أبا الحسل⁽⁶⁾

(1) أي سقط الذنب. والمراد ضموره وتحوره.

(2) هذه التكملة من ل بدلها في ش، هـ: «تقول الأعراب».

(3) الأروى، بالفتح والقصر: جمع أروية بالضم وتشديد الياء. ويروى: تكلم فجمع بين الأروى والنعام. و: «ولا تجمع بين الأروى والنعام». انظر الميداني (1: 126) واللسان (19: 70). وذلك لأن الأروى تسكن شعف الجبال، وهي شاء الوحش، والنعام تسكن الفيافي، فلا يجتمعان. وسيأتي المثل في (7: 155).

(4) كان نسيط غلاماً لزيد بن أبي سفيان، وكان بناء، هرب قبل أن يشرف وجه دار زياد، وكان لا يرضى إلا عمله، فقيل له: لم لا تشرف دارك؟ فقال: حتى يجيء نسيط من مرو! فصار مثلاً لكل ما لا يتم. انظر الميداني (1: 198) والمعارف 177 وثمار القلوب 30، ط فقط: «نسيط» تحريف. فيما عدل: «مرد» صوابه ما أثبت.

(5) هو مصقلة بن هبيرة، أحد بني ثعلبة بن شيبان، كان معاوية وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه، وكان عشرين ألف رجل، فأخذهم العدو وأهلك أكثرهم، وهلك مصقلة، ف ضرب الناس به المثل، وفيما عدل: «من سجستان» وصوابه ما أثبت من () ومعجم البلدان (6: 20) والمعارف 177 والطبري (8: 120 س 19-22)، وانظر ثمار القلوب 30 والحيوان (2: 181) وفيهما: «سجستان».

(6) قوامس: جمع قامس، والقمس: الغوص. ط، هـ: «أوامس» ش: «أدامس» تحريف صوابه في ل. وأبو الحسل: كنية الضب. والحسل، بالكسر: ولام النسب «فيما عدل: «أبو الحسل» محرف.

(معارف في الضفدع)

وهو من الخلق الذي لا يصاب له عَظْم ⁽¹⁾ . والضفدعُ أَجْحَظُ الخلقِ عِيناً .
والأسدُ تتأبها في الشرائع ، وفي مَنَاقِعِ المياه ، والآجام والغياضِ ، فتأكلها أكلاً شديداً .
وهي من الخلق المائي الذي يصبرُ عن الماء أياماً سالحة .
والضفادعُ تعظم ولا تسمَن ، كالذَّراج والأرنب ، فإنَّ سمنهما أن يحتملا اللحم ⁽²⁾ .
وفي سواحل فارس [ناس] يأكلونها .

(قول مسيلمة في الضفدع)

ولا أدري ما هيَّجَ مسيلمة على ذكِّرها ، ولمَّ ساء رأيُّه فيها ، حيثُ ⁽³⁾ جعلَ بزعمه فيما
نزل عليه من قرآنه : يا ضِفْدَعُ [نقي ⁽⁴⁾] كَمْ تَنْقِيْن ! نصفك في الماء ونصفك في الطين ! لا الماء
تُكَدِّرِين ، ولا الشارب تمنعِين ⁽⁵⁾ .

(معيشة الضفادع مع السمك)

والضفادعُ من الخلق الذي يعيشُ مع السمك في الماء . وليس كل شيء يعيشُ في الماء
فهو سَمَك . وقد قال الصَّلْتانُ العبديّ ، في [القضاء الذي قضى بين جرير والفرزدق ⁽⁶⁾] ،
و[الفصل ⁽⁷⁾] الذي [بينهما :
فإن يك بحرُ الحنظليِّين زاخراً فما تستوي حيتانه والضفادعُ ⁽⁸⁾

(1) فيما عدل ل : «عظام» . وهذه العبارة تكرر لما سبق ص 355 س 12 .

(2) ط : «فإنهما لا يحسلان لحمًا» ش ، هـ : «فإن سمنًا لا يحسلان لحمًا» صوابهما ما أثبت من ل .

(3) فيما عدل ل : «حتى» .

(4) هذه الزيادة من اللسان (12 : 238) .

(5) ل : «الشارب» بدل : «الشارب» .

(6) الصلطان . لقب له . واسمه قثم بن خبيبة ، أحد بني محارب بن عمرو بن وداعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . قالوا : ادعى أن جريراً والفرزدق حكماه بينهما ، ففضى بشرف الفرزدق على جرير ، وبني مجاشع قوم الفرزدق على بني كليب رهط جرير ، وقضى لجرير بأنه أشعرهما ، وقال في ذلك قصيدة مطولة . انظر الخزانة (1 : 305-308 بولاق) والشعراء 475-479 وأمالى الفالي (2 : 141) والمؤتلف 145 والمرزباني 229 والنقائض 1050 .

(7) فيما عدل ل : «الفرق» .

(8) الحنظليين ، هما جرير والفرزدق ، لأن جريراً من كليب بن يربوع بن حنظلة ، والفرزدق من مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة . انظر الخزانة (1 : 307 بولاق) . وضبط في النقائض بضبط الجمع : «الحنظليين» . والرواية في الخزانة وفي الأمالي والشعراء : «واحدًا» موضع : «زاخراً» .

(طلب الحيات والضفادع)

والحيات تأتي مناقع الماء⁽¹⁾، تطلب الضفادع، والفأر تكون بقرب المياه كثيرة⁽²⁾، فلذلك تأتي الحيات تلك المواضع. ولأن صيدها من أسهل الصيد [عليها]، وهي تعرف صيدها. ألا تراها تحيد عن ابن عرس، وإن رأَتْ جُرْذاً أكبر منه لم تنهيه دون أن تبتلعه^{(3)؟} وترى الورل فتفر منه، وترى الوحرة⁽⁴⁾ فتشد عليها، وترى القنفذ - وإن صغر - فلا تجترئ أن تمر به خاطفة، وترى الوبرة⁽⁵⁾، وهي مثل ذلك القنفذ مرتين فتأكلها.

ولطلبها الضفادع بالليل⁽⁶⁾ في الشرائع يقول الأخطل:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر⁽⁷⁾
[وقد سرق معناه بعض الشعراء⁽⁸⁾]، فقال - وهو يذكر الضفدع، وأنه لا ينق حتى يدخل حنكه الماء -:

يُدخل في الأشداق ماء ينصفه كيما ينق والنقيق يتلفه

(شعر في الضفادع)

وقال زهير⁽⁹⁾:

وقابل يتغنى كلما قدرت على العراقي يدها قائماً دفقا⁽¹⁰⁾

(1) فيما عدل: «والحيات في مناقع الماء».

(2) فيما عدل: «يكون بقرب المياه كثيراً».

(3) لم تنهيه: لم تكفه. لكنه أراد: لم تمهله. وكمة «رأت» ساقطة من هـ. وبدلها في ط، ش: «رأي» تحريف.

(4) الوحرة، بالتحريك: ضرب من العطاء، وهي صغيرة حمراء تعدو في الجبابين، لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت. فيما عدل: «الوكرة» بالكاف، تحريف.

(5) الوبرة، بالفتح: دويبة على قدر السنور، غبراء أو بيضاء، من دواب الصحراء، حسنة العينين، شديدة الحياء، وهي من ذوات الحافر. وهي في لغة العلماء الأوربيين: Hyrax.

(6) فيما عدل: «في الليل».

(7) انظر ما سبق في شرح (148:3).

(8) هو الذكواني، كما مضى في (147:3).

(9) يصف ناقة يستقي عليها من السانية. وقيل البيت الأول، كما في الديوان 37:

وخلفها سائق يحدو، إذا خشيت منه اللحاق تمد الصلب والعنقا

(10) القابل: الذي يقبل الدلو، أي يتلقاها ويأخذها فيصب ما فيها. وفي الأصل: «قابل»، صوابه في الديوان واللسان (59:14). والعراقي: جمع عرقوة، وهي خشبتان تجعلان في فم الدلو يشد فيهما الحبل. وقدرت: أي وصلت وقبضت. دق: صب الماء في الجدول. ل: «دقفا» ش، هـ: «وفقا» صوابهما في ط والديوان واللسان.

يُحِيلُ فِي جَدُولٍ تَحْبُو ضَفَادِعُهُ حَبُو الْجَوَارِي تَرَى فِي مَائِهِ نَطْقًا⁽¹⁾
يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ مَأْوَاهَا طَحْلٌ عَلَى الْجَذُوعِ يَخْفَنُ الْغَمُّ وَالْغَرَقَا⁽²⁾
وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ:

فَبَاكَرْنَ جَوْنًا لِلْعَلَاجِيمِ فَوْقَهُ مَجَالِسُ غَرْقَى لَا يُحَلَّا نَاهِلَهُ⁽³⁾
جون⁽⁴⁾ [قال]: يريد غديرًا كثيرَ الماء. [قال: وإذا كثر الماء] وكثر عُمْقُهُ⁽⁵⁾ اسودَّ في العين. والعلاجيم: الضفادع السود؛ وجعلها غرقى، يقول: هي فيما شاءت من الماء؛ كقولك: فلان في خير غامر⁽⁶⁾ من قِبَلِ فلان. وجعل لها مجالس حول الماء وفوقه، لأن هذه الأجناس - التي تعيش مع السمك في الماء وليست بسمك⁽⁷⁾ - أكثرُ حالاتهن إذ لم تكن سمكًا خالصًا⁽⁸⁾ أن تظهر على سُطُوطِ المياه، وفي المواضع التي تبيض فيها من الدَّغْل⁽⁹⁾ وذلك كالسُّرطان والسُّلْحَفَة، والرُّق، والضفدع⁽¹⁰⁾، وكلب الماء، وأشباه ذلك.

(استطراد لغوي)

ويُقال⁽¹¹⁾: نَقَّ الضفدع يتقُّ نقيقًا، وأنقض ينقضُ إنقاضًا⁽¹²⁾ وقال رؤبه:

- (1) يحيل في جدول: أي يصب ماء الغرب في جدول، وهو النهر الصغير. وذكر الضفادع ليخبر أن الجدول دائم الماء، لكثرة ما تمده هذه الناقة، والنطق بضميتين: جمع نطاق، عنى الطرائق التي تعلق الماء، وإنما يكون ذلك مع كثرة الماء وهبوب الرياح عليه. ل: «يحتل» وفي سائر النسخ: «يظل» صوابهما في الديوان واللسان (204: 13 / 234: 12). هـ، ش: «تجنو» صوابه في ل، ط والديوان واللسان.
- (2) الشرابات، بفتحيتين: جمع شربة بفتحيتين أيضًا، وهي كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملاً ماء، فيكون ريهما فتتروى منه. طحل: كدر، أو كثير الطحلب. فيما عدا ل: «كحل» صوابه في ل والديوان واللسان (472: 1).
- (3) 424: 13. والعمدة (195: 2) والموشح 47، وقد عاب كثير من النقاد هذا البيت، قالوا: كيف والضفادع لا تخشى الغرق؟! فأجاب ابن رشيق: «لم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة، ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء، فكأنه مبالغه في التشبيه. مع أننا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا تقربها دابة خوفًا على نفسها من الهلكة، فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشرابات». ومثل هذا القول للشتنمري في شرح ديوان زهير.
- (4) جونا، بالنون. فيما عدا ل: «جوبا» تحريف. يحلا: يمنع من ورود الماء. «يخا» محرف. ل فقط: «نائه».
- وأثبت ما في سائر النسخ والديوان، والعمدة (195: 2).
- (5) فيما عدا ل: «جوب» بالباء، تحريف.
- (6) ط، هـ: «ولكثرة عمقه» ش: «وكراعه» صوابهما في ل.
- (7) فيما عدا ل: «في غم عامر».
- (8) ط، هـ: «ولبن بسمك».
- (9) فيما عدا ل: «إذا» وفي ط: «لم يكن».
- (10) الدغل: بالتحريك: ما استترت به. وأصله الشجر الكثير الملتف.
- (11) ل: «وذلك السرطان» بطرح الكاف. والرق: سبق تفسيره في ص 354، ط، هـ: «الرق» صوابه في ل، ش. فيما عدا ل: «والضفادع»، وللتساوق يقتضي ما أثبت من ل.
- (12) فيما عدا ل: «وقال».
- (12) أنقض، بالقاف. وفي ط: «أنقض ينقض إنقاضًا»، بالفاء. وفي ش، هـ بالغين المعجمة، صوابهما في ل.

إذا دنا منهم إنقاض النُقُق⁽¹⁾ في الماء والساحل خضخاض البَثْق⁽²⁾

(سمع الضفدع)

وقد زعم ناسٌ أن أبا الأخزر الجماني⁽³⁾ حيث قال:

تسمُّع القِنَقِن⁽⁴⁾ [صوت القنقن]

إنما⁽⁵⁾ أراد الضفدع. قالوا: وكذلك الطرماح حيث يقول:

يخافن بعض المضع من خشية الردى ويُصنن للصوت انتصات القناقن⁽⁶⁾
قالوا: لأن الضفدع جيد السمع إذا ترك النقيق وكان خارجاً من الماء. وهو في ذلك الوقت أحذر من الغراب والعصفور والعقّق، [وأسمع من فرس وأسمع من قُراد⁽⁷⁾]، وأسمع من عُقاب. وبكل هذا جاء الشعر.

ذكر ما جاء في الضفادع من الآثار

إبراهيم بن [أبي] يحيى⁽⁸⁾، عن سعيد بن أبي خالد بن فارض⁽⁹⁾، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي⁽¹⁰⁾: «أن النبي ﷺ نهى عن قتل الضفدع⁽¹¹⁾».

- (1) النُقُق: يروى بضمّتين ويضم ففتح، وهما جمع نقوق بالفتح، وهو الضفدع تنق. ش، هـ: «إنعاص» تحريف.
- (2) الخضخاض، عنى به الكثير الماء والشجر. وفي اللسان: «ومكان خضيض وخضاخض: مبلول بالماء. وقيل: هو الكثير الماء والشجر». والبثق: منبعث الماء حيث يتفجر. وأصله بإسكان التاء. انظر اللسان (بثق). وقد أراد به الزرع نفسه. فيما عدا ل: «ضحضاح البثق»، صوابه في ل وديوان روبة 108.
- (3) أبو الأخزر، بتقديم الزاي على الراء، سبقت ترجمته في (2: 158، 3: 85). ط، هـ: «الأخرز» بتقديم الراء، تصحيف.
- (4) القنقن والقناقن: الذي يعرف الماء تحت الأرض، وقيل: الذي يسمع فيعرف مقدار الماء في البئر قريباً أو بعيداً. وانظر المعرب 261 وقد أتى به الجاحظ شاهداً لجعله بمعنى الضفدع. فيما عدا ل: «تسمتع النقنق».
- (5) ط: «فإنما» هـ: «وإنما»، صوابه في ل، ش.
- (6) يخافن: يخفين الصوت. فيما عدا ل: «تجافين» صوابه في ل وديوان 169، واللسان (2، 404، 7.1: 230). ينصتن: من الإنصات، وهو السكوت للاستماع. ط، هـ: «ينصبن» صوابهما في ل والمراجع السابقة، والانتصات: الإنصات. والقناقن: بفتح القاف الأولى وكسر الثانية: جمع القناقن يضم الأولى وكسر الثانية، والقنقن بكسرهما، انظر التنبيه 4 من هذه الصفحة. ل: «انصبات القناقن» وفيما عدا ل: «انتصاب القناقن»، صوابهما في المراجع السابقة. والبيت في صفة بقر الوحش.
- (7) المثل الأول، تكملة من ل فقط. والثاني: من ل، ش.
- (8) سبقت ترجمته في 287.
- (9) كذا في الأصل. وفي التهذيب (4: 20): سعيد بن خالد بن عبد الله بن قارظ القارظي الكنانى المدنى حليف بنى زهرة. روى عن عمه إبراهيم، وربيعة بن عباد وأبي سلمة، وأبي عبيد مولى ابن أزهري، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، وعنه الزهري، وابن أبي ذئب، وابن إسحاق، قال ابن سعد: توفي في آخر سلطان بني أمية.
- (10) هو عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي، نسبة إلى تيم بن مرة، وأبوه أخو طلحة بن عبيد الله. وعبد الرحمن صحابي قتل مع ابن الزبير بمكة سنة ثلاث وسبعين. وكان يلقب: «شارب الذهب». انظر الإصابة 5151 وتهذيب التهذيب (6: 227). ل: «الليثي» تحريف.
- (11) فيما عدا ل: «الضفادع». وفي الضفدع لغات: كزبرج، وجعفر، وجندب، ودرهم وهذا أقل، أو مردود.

قال: وحدثنا سعيد عن قتادة⁽¹⁾ قال: سمعت زُرارة⁽²⁾ يحدث أنه سمع عبد الله بن عمرو⁽³⁾ يقول: «لا تسبوا الضفادع فإن أصواتها تسبيح».

قال: وحدثنا هشام صاحب الدستوائي⁽⁴⁾، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفى، عن عبد الله بن عمرو⁽⁵⁾ أنه قال: «لا تقتلوا الضفادع، فإن نقيقهنَّ تسبيح»⁽⁶⁾، ولا تقتلوا الخفاش⁽⁷⁾، [فإنه إذا خرب بيت المقدس قال: يا رب سلطني على البحر حتى أغرقهم].

وعن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن زُرارة، قال: قال عبد الله بن عمرو⁽⁸⁾: «لا تقتلوا الخفاش»، [فإنه استأذن البحر⁽⁹⁾ أن يأخذ من مائه فيطفيئ بيت المقدس حيث حرق⁽¹⁰⁾]. ولا تقتلوا الضفادع، فإن نقيقها تسبيح».

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب⁽¹¹⁾، وفي إسناده: «أن طيباً ذكر الضفدع عند النبي ﷺ، ليُجعل في دواء»⁽¹²⁾، فنهى النبي ﷺ عن قتل الضفدع⁽¹³⁾.

(1) سعيد هذا، هو سعيد بن أبي عروبة، بفتح العين، المترجم في (4: 170) قال ابن أبي خثيمة: «أثبت الناس في قتادة سعيد بن أبي عروبة، وهشام الدستوائي». وقال أبو داود الطيالسي: «كان أحفظ أصحاب قتادة». ومات سنة 156، انظر تهذيب التهذيب (5: 63). وترجمة قتادة سبقت في (3: 118) وانظر لها أيضاً تهذيب التهذيب (8: 351). ل: «شعبة عن قتادة» وروايته عن قتادة صحيحة؛ فإن شعبة هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولا هم، أبو بسطام الواسطي ثم البصري، وقد روى عن أكثر من ثلثمائة رجل عدهم ابن حجر. ومنهم قتادة. انظر تهذيب التهذيب (4: 338).

(2) هو زُرارة بن أوفى العامري الحرشي، أبو حاجب، البصري القاضي. روى عن أبي هريرة، وعبد الله بن سلام، وابن عباس، وعائشة، وعنه قتادة وداود بن هند، وعوف، وبهز بن حكيم، وغيرهم. قال ابن سعد: «مات فجأة سنة 93». انظر تهذيب التهذيب (3: 322).

(3) هو عبد الله بن عمرو بن العاص، صحابي جليل، أسلم قبل أبيه، وكان من أكثر الصحابة حديثاً، ومات بالشام سنة خمس وستين. انظر الإصابة 4838، فيما عدل: «عبد الله بن محمد».

(4) تقدمت ترجمته في (3: 302). ل: «صاحب الدستواي» هـ: «صاحب الدستوائي» صوابه في ط، ش.

(5) فيما عدل: «عبد الله بن عمر». وانظر التنبيه الثالث.

(6) هذا الحديث رواه النسائي، عن ابن عمرو: وهو حديث ضعيف. الجامع الصغير 9843.

(7) ط، هـ: «وقال لا تقتلوا الخفاش». والكلام بعده إلى: «أغرقهم» ساقط من ش.

(8) فيما عدل: «عبد الله بن عمر».

(9) سبق في (3: 302): «استأذن في البحر».

(10) كذا في ل وفيما سبق (3: 302)، وفي سائر النسخ: «احترق».

(11) سبقت ترجمته في (1: 138). فيما عدل: «أبي ذؤيب» تحريف. وكلمة: «عبد الرحمن بن» ساقط من ل.

(12) ط، هـ: «في الدواء» ش: «في الرواء»: وهذه محرفة. وأثبت ما في ل.

(13) فيما عدل: «الضفادع».

(ما يوصف بجودة الحراسة وشدة الحذر)

[و] العربُ تصف هذه الأصناف التي ذكرناها⁽¹⁾ بجودة الحراسة، وبشدة الحذر⁽²⁾، وأعطوا الثعلبَ والدُّبَّ أموراً لا يبلغها كثيرٌ من الناس.

(قول صاحب المنطق في الغرائيق)

وقال صاحبُ المنطق في الغرائيق⁽³⁾ قولاً عجيباً. فزعم أن الغرائيق من الطيور القواطع⁽⁴⁾، وليست من الأوبد. وأنها إذا أَحَسَّت بتغيُّر الزمان اعتزمت⁽⁵⁾ على الرجوع إلى بلادها وأوكارها. وذكر أنها بعيدةٌ سحيقة. قال: فعند ذلك تتخذ قائداً [وحارساً، ثم تنهض معاً، فإذا طارت] ترفعت في الجواء جدّاً⁽⁶⁾، كي لا يعرض لها شيء من سباع الطير⁽⁷⁾، أو يبلغها سهمٌ أو بُنْدُق. وإن عايَنتْ غيماً [أو مطراً، أو خافتْ مطراً، أو سقطتْ لطلبِ مالا بدَّ لها منه من طعام⁽⁸⁾، أو هجم عليها الليل - أمسكتْ عن الصياح، وضمتْ إليها أجنحتها. فإذا أرادت النوم⁽⁹⁾ أدخل كل واحد منها⁽¹⁰⁾ رأسه تحت جناحه، لأنه يرى أن الجناحَ أَحْمَلُ لما يَرِدُ عليه من رأسه⁽¹¹⁾، أو بعض ما في رأسه: من العين وغير ذلك. ويعلم أنه ليس بعد ذهابِ الرأس حياة. ثم ينام كل واحد منها وهو قائم⁽¹²⁾ على رجليه، لأنه يظن أنه إن مكَّنهما ما نام إن كان لا يحب النوم⁽¹³⁾، أو نام نوماً ثقیلاً إن كان يحب أن يكون نومه غراراً⁽¹⁴⁾. فأما قائدها وسائقها وحارسها، فإنه لا ينَامُ إلا [وهو] مكشوفُ الرأس. وإن نام فإن نومه يكونُ أَقْلَ من الغشاش⁽¹⁵⁾. وينظرُ في جميع النواحي، فإن أَحَسَّ شيئاً صاحَ بأعلى صوته.

(1) فيما عدل: «ذكرنا».

(2) فيما عدل: «وشدة الحذر».

(3) الغرائيق، سبق تفسيرها في (3: 178)، وهو نوع من الكراكي، واسمه العلمي الأوربي: *Balearica*

. *pavonina*

(4) القواطع: التي تقطع إلى الناس، أي ترحل إليهم، وذلك في أوقات معينة. وانظر (4: 57-58).

(5) فيما عدل: «اعترضت»، تحريف.

(6) ترافعت: ارتفعت في الجو. ط، هـ: «وتصعد» ش: «ويصعد» صوابهما في ل.

(7) فيما عدل: «حتى لا». وفي ش: «له شيء» وهذه محرفة.

(8) الطعام، بالضم: الطعام. ل: «لما لا بد منه من طعام».

(9) ط، ش: «فإن رأت النوم» وأثبت ما في ل، هـ.

(10) فيما عدل: «منهم». وقد يجعل ضمير للعاقل لغيره.

(11) أي أن جناحه أكثر تحملاً من رأسه. فيما عدل: «من المكروه».

(12) فيما عدل: «لأنه ينام كل منها قائماً» وفيه تحريف.

(13) فيما عدل: «وإن كان لا يحب النوم».

(14) غراراً: أي قليلاً خفياً. فيما عدل: «وإن كان يحب» إلخ بإقحام الواو.

(15) الغشاش، بالكسر: القليل. ط، ش: «العشاش» صوابه في ل، هـ.

(صيد طير الماء)

وسألت بعض من اصطادَ في يوم واحد مائة طائر⁽¹⁾ من طير الماء، فقلت له: كيف تصنعون؟ قال: إن هذا الذي تراه⁽²⁾ ليس من صيد يوم واحد، وإن كلَّ صيدٍ [في] ساعة واحدة. [قلت له: وكيف ذاك؟ قال]: وذلك أنا نأتي مناقع الماء ومواضع الطير، فنأخذ قرعةً يابسةً صحيحة⁽³⁾، فنرمي بها في ذلك الماء، فإذا أبصرها الطير⁽⁴⁾ تدنو منه بدفع⁽⁵⁾ الريح لها في جهته، مرة أو مرتين⁽⁶⁾ فزع. فإذا كثر ذلك عليه أنس⁽⁷⁾. وإنما ذلك الطير طير الماء والسّمك⁽⁸⁾، فهي أبداً على وجه الماء. فلا تزال الريح تقربها وتباعد⁽⁹⁾، وتزداد [هي] بها أنساً، حتى ربما سَقَط الطائر عليها، والقرعة في ذلك إما واقفة في مكان، وإما ذاهبة وجائية. فإذا لم نرها تنفر منها أخذنا قرعة أخرى، أو أخذناها بعينها، وقطعنا موضع الإبريق منها⁽¹⁰⁾، وحرّفنا فيها موضع عينين، ثم أخذها [أحدنا] فأدخل رأسه فيها، ثم دخل الماء ومشى فيه إليها⁽¹¹⁾ مشياً رويداً، فكلما دنا من طائر⁽¹²⁾ قبض على رجله ثم غمسه في الماء⁽¹³⁾، ودق جناحه وخلاه⁽¹⁴⁾، فبقى طافياً فوق الماء⁽¹⁵⁾ يسبح برجليه، ولا يطيق الطيران، وسائر الطير لا ينكر انغماسه⁽¹⁶⁾، ولا يزال كذلك حتى يأتي⁽¹⁷⁾ على آخر الطير. فإذا لم يبق منها شيء رمى بالقرعة عن رأسه، ثم نلقطها ونجمعها ونحملها⁽¹⁸⁾.

(علاج الملسوع)

قال: ومن جيّد ما يُعالج به الملسوع، أن يُشقّ بطن الضفدع ثم يرفد⁽¹⁹⁾ به موضع اللسعة⁽²⁰⁾، ولسنا نعني لدغة الحية، وإنما نعني لسعة العقرب.

(1) فيما عدل: «طير». ولها وجه، فإن قطرباً زعم أن الطير يقع للواحد، وأجاز ذلك أبو عبيدة. انظر اللسان (6): 181 س2-4 هذا إلى أنه قد تميز المائة بالجمع، نحو مائة رجال. انظر شرح الرضي للكافية (2: 144). وغير ذلك من مطولات النحو.

(2) فيما عدل: «تري». (3) ل: «ضخمة».

(4) فيما عدل: «الطائر». (5) ط فقط: يدفع «بالياء، تحريف».

(6) ط: «ومرتين». (7) فيما عدل: «عليها» بدل: «عليه» تحريف.

(8) أي طير السمك، الذي يغتذي بالسمك. (9) فيما عدل: «وتبعدها».

(10) كذا. وأراد به طرفها الدقيق. (11) ط: «فيها بينها» ش، ه: «فيما بينها»، صوابه في ل.

(12) فيما عدل: «كلما أتى إلى طائر». (13) ش، ه: «فقبض» ل: «رجله فغمسه».

(14) ل: «ثم دق جناحه ثم خلاه». (15) ط فقط: «بين الماء».

(16) ل: «لا تنكر انغماسه».

(17) كلمة: ولا يزال ليست في ل. وفي ل: «نأتي» بدل: «يأتي».

(18) فيما عدل: «ثم لقطها وجمعها وحملها».

(19) الرفد: وضع الرفادة على الجرح، وهي الخرقه.

(20) فيما عدل: «لسعة». والأصح أن اللسع لذوات الإبر من العقارب والزنابير.

[والضفدع إذا رأى النار أمسك عن النقيق، وإذا رأى الفجر. والأسد إذا رأت النار أحجمت عن الإقدام، وإذا اشتد الأصوات].

(استطراد لغوي)

قال: ويقال للضفدع^(١): [نقّ] ينقّ، و[هدر] يهدر. وقال الراعي:
فأوردُهُنَّ قَبِيلَ الصَّبَا حَ عَيْنَا ضَفَادُعَهَا تَهْدِرُ

(قول صاحب المنطق)

(في الضفادع والسمك)

وأما قول صاحب المنطق في أن الضفادع لا تنقّ حتى تُدخَلَ فكها الأسفل في الماء؛ لأن الصوت لا يجيئها حتى يكون في فكها ماء^(٢) - فقد قال ذلك، و[قد] وافقة عليه ناس من العلماء، وادعوا في ذلك العيان.

فأما زعمه أن السمكة^(٣) لا تتبلع شيئاً من الطعام إلا ببعض الماء، فأئى عيان دلّ على هذا؟! وهذا عسير^(٤).

(القول في الجراد^(٥))

أحضرنى^(٦) على اسم الله ذهنك، وفرغ لما ألقيه إليك قلبك، فربّ حرف من حروف الحكم الشريفة^(٧)، والأمثال الكريمة - قد عفا أثره، ودثر ذكره، ونبا الطرف عنه^(٨)، ولم يُشغل ذهن بالوقوف عليه. وربّ بيت هذا سبيله، وخطبة^(٩) هذه حالها.

ومدار الأمر على فهم المعاني لا الألفاظ، والحقائق لا العبارات. فكم من دارس كتاباً خرج غفلاً كما دخل، وكم من متفهم لم يفهم؟! ولن يستطيع الفهم^(١٠) إلا من فرغ قلبه للتفهم؛ كما لا يستطيع الإفهام إلا من صحت نيته في التعليم.

(١) ط، هـ: «للضفادع»، تحريف.

(٢) فيما عدل ل: «في فيها ماء».

(٣) ط: «وإنما زعمه بأن السمكة». ش، هـ: «وإنما زعمه بأن السمكة»، وأثبت ما في ل.

(٤) فيما عدل ل: «عسير».

(٥) التكملة التالية من ل، س فقط، وبينهما تخالف سأنبه عليه.

(٦) ش: «أحضر».

(٧) ش: «فرب حروف من حروف الكلم الشريفة».

(٨) ل: «نبا» بإسقاط الواو قبلها.

(٩) ش: «وخطبة»، ووجه ما أثبت من ل.

(١٠) الكلام بعد هذا إلى كلمة: «الإفهام» شاقط من ش.

(فضل الإنسان)

على سائر الحيوان

فأقول: إن الفرق [الذي] بين الإنسان والبهيمة، والإنسان والسَّبُع [والحشرة⁽¹⁾]، والذي صَيَّرَ الإنسان إلى استحقاق قول الله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الباقية: 13]⁽²⁾ ليس هو الصورة، وأنه خُلِقَ من نطفة وأن أباه خُلِقَ من تراب، و[لا] أنه يمشي على رجليه، ويتناول حوائجه بيديه⁽³⁾؛ لأن هذه الخصال كلها مجموعة في البُله والمجانين، والأطفال والمنقوصين.

والفرق الذي هو الفرق إنما هو الاستطاعة والتمكين. [و] في وجود الاستطاعة وجود العقل والمعرفة⁽⁴⁾. وليس يوجب وجودهما وجود الاستطاعة⁽⁵⁾.

وقد شَرَفَ الله تعالى الجانَّ وفضَّله على السَّبُع والبهيمة؛ بالذي أعطاه⁽⁶⁾ من الاستطاعة الدالة على وجود العقل والمعرفة⁽⁷⁾.

وقد شَرَفَ [الله] الملائكة وفضلهم على الجانَّ، وقدمهم على الإنسان وألزمهم من التكليف على حسب⁽⁸⁾ ماخولهم من النعمة. وليست له صورة الإنسان ولم يُخلَقوا من التُّطَف⁽⁹⁾، ولا خُلِقَ أبوهم من التراب، وإنما الشأن⁽¹⁰⁾ في العقل، والمعرفة، والاستطاعة.

أفتظنُّ أن الله عز وجل يخصُّ بهذه الخصال بعض خلقه دون بعض، ثم لا يطالبهم إلا كما يطالب بعض من أعدمه ذلك، وأغراه منه⁽¹¹⁾؟! فلم أعطاه العقل، إلا للاعتبار والتفكير؟! ولم أعطاه المعرفة، إلا ليؤثر الحق على هواه؟! ولم أعطاه الاستطاعة؛ إلا للإلزام بالحجة؟!!

(1) كلمة: «إن» و«الذي» و«الحشرة» ثابتة في ل فقط، وليست في ش.

(2) تمام الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

(3) حوائج: صحيحة. وانظر التفصيل في تحقيقها في اللسان (3: 68).

(4) ط، هـ: «وجود العقل والمعرفة» والكلام من: «والتمكين» إلى كلمة: «الاستطاعة» التالية ليس في ش.

(5) وجودهما، أي وجود العقل والمعرفة. ل: «وجوب الاستطاعة».

(6) فيما عدا ل: «من الذي أعطاه».

(7) فيما عدا ل: «على الوجود والمعرفة».

(8) فيما عدا ل: «على قدر».

(9) فيما عدا ل: «وليست لهما صورة الإنسان وما يخلقا من النطف».

(10) فيما عدا ل: «فأشبهها الإنسان».

(11) ل: «وعراه منه».

فهل فَكَّرْتَ قَطُّ في فصل⁽¹⁾ ما بينك وبين [الخلق] المسخَّر لك، [وبين الخلق الذي جُعِلَ لك والخلق المسلط عليك]؟! وهل فَكَّرْتَ قَطُّ في فصل ما⁽²⁾ بين ما جعله عليك عادياً، و[بين ما جعله لك غاذياً]⁽³⁾؟! وهل فَكَّرْتَ قَطُّ في فصل ما بين الخلق الذي جُعِلَ لك عذاباً، والخلق الذي جُعِلَ لك قاتلاً، وبين ما أَنَسَهُ بِكَ⁽⁴⁾ وبين ما أَوْحَشَهُ مِنْكَ، وبين ما صَغَّرَهُ في عينك وعَظَّمَهُ في نفسك⁽⁵⁾، و[بين ما عَظَّمَهُ في عينك و⁽⁶⁾ صَغَّرَهُ في نفسك؟! بل هل فَكَّرْتَ⁽⁷⁾ في النحلة والعنكبوت والنملة، وأنت ترى الله تَقَدَّسَ وعز⁽⁸⁾ كيف نوَّهَ بذكرها [ورفع من قدرها، وأضاف إليها السُّورَ العظامَ، والآياتِ الجسمَ]، و[كيفَ] جعل الإخبارَ عنها قرآناً [وفرقاناً]⁽⁹⁾، حيث يقول: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: 68]. فَقَفَّ عَلَى صِغَرِ النحلة وَضَعَفَ أَيُّدَهَا⁽¹⁰⁾، ثُمَّ ارْمَ بِعَقْلِكَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا﴾ [النحل: 69]⁽¹¹⁾ فَإِنَّكَ تَجِدُهَا أَكْبَرَ مِنَ الطُّودِ، وَأَوْسَعَ مِنَ الْفُضَاءِ. ثُمَّ انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنْوَا عَلَىٰ وَادٍ مُّتَمَلٍّ﴾ [التَّمَل: 18]. فما ترى في مقدار النملة في عقل الغبيِّ، وغير الذَّكِيِّ؟! فانْظُرْ كيف أَضَافَ الْوَادِيَّ إِلَيْهَا، وَخَبَرَ عَنْ حَذَرِهَا وَنَصَحِهَا لِأَصْحَابِهَا، وَخَوْفِهَا مِمَّنْ قَدْ مُكِّنَ، فَإِنَّكَ تَجِدُهَا عَظِيمَةَ الْقَدْرِ، رَفِيعَةَ الذِّكْرِ، قَدْ عَظَّمَهَا فِي عَقْلِكَ، بَعْدَ أَنْ صَغَّرَهَا فِي عَيْنِكَ.

(1) الفصل بالصاد: الفرق. فيما عدل ل: «فضل» والكلام بعده إلى كلمة: «فصل» التالية ليس في هـ.

(2) هذه الجملة ساقطة من ل. وفي الأصل: «فضل» بالصاد، تحريف.

(3) كلمة «ما» الأولى ساقطة من ش، هـ. وفيما عدل ل: «جعل» بدل: «جعله» في الموضوعين. غاذياً: من الغذاء.

فيما عدل ل: «عادياً» في الموضوعين.

(4) فيما عدل ل: «لك» باللام.

(5) ط، هـ: «في عينك». وفيما عدل ل: «وما عظمه» بإقحام «ما».

(6) هذه الزيادة من ل، ش.

(7) فيما عدل ل: «وكيف لم تفكر».

(8) فيما عدل ل: «تبارك وتعالى».

(9) بعد هذه الكلمة فيما عدل ل: «وكيف أضاف إليها السور الطوال وكيف».

(10) الأيد بالفتح: القوة. ومنه: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾.

(11) في الأصل: «ثم اسلكي سبل ربك ذللاً». وهو تحريف شنيع نبهت على أمثاله في (4: 4، 89، 225، 63، 93).

(عجز الإنسان وصغر قدره)

وخبرني عن الله تعالى، أما كان قادراً⁽¹⁾ أن يعذب الكنعانيين، والجبابرة، والفراعنة، وأبناء العمالة: من نسل عاد وشمود، وأهل العتو والعنود⁽²⁾ - بالشياطين ثم بالمردة، ثم بالعفاريت⁽³⁾، ثم بالملائكة الذين وكلهم الله تعالى بسوق السحاب، وبالمدم والجزر، وبقبض أرواح الخلق، وبقلب الأرضين، وبالماء والريح⁽⁴⁾، وبالكواكب والنيران، وبالأسد والنمور [والببور] وبالفيلة والإبل [وبالجواميس]، وبالأفاعي والثعابين [وبالعقارب والجرارات]، وبالعقبان والنسور⁽⁵⁾، وبالتماسيح⁽⁶⁾، وباللحم⁽⁷⁾ [والدلفين⁽⁸⁾].

فلم عذبهم بالجراد والقمل⁽⁹⁾ والضفادع؟! وهل يتلقى⁽¹⁰⁾ عقلك قبل التفكير إلا أنه أراد أن يعرفهم عجزهم، ويذكرهم صغر أقدارهم، ويدلهم على ذلك بأذل خلقه، ويعرفهم أن له في كل شيء جنداً⁽¹¹⁾، وأن القوي من قواه [وأعانه]، والضعيف من ضعفه⁽¹²⁾، والمنصور من نصره، والمخدول⁽¹³⁾ من خلاه وخذله؛ وأنه متى شاء أن يقتل بالعسل الماذي والماء الزلال⁽¹⁴⁾ [كما يقتل بالسم الساري، والسيف الماضي] قتل؟

(1) فيما عدل: «يقدر».

(2) عند الرجل يعند عنداً وعنوداً وعنداً: عتا وطغى. ط: «العتود»، تحريف.

(3) فيما عدل: «وبالعفاريت».

(4) فيما عدل: «وقبض أرواح الخلق وتقلب الأرضين والماء والريح».

(5) بدلها في ط: «والجرذان» وفي ش: «والجرارات»، وه: «والجرادات».

(6) ط، ش: «والتماسيح» ه: «والتماسح» وهذه جمع تمسح، بكسر التاء وفتح السين.

(7) اللحم، بالضم: سمك بحري يقال له الكوسج، وهو من السمك الغضروفي كبير يخشى شره، وهو بالإنكليزية:

Shark، ط: «والرخم» ش، ه: «واللحم» صوابهما في ل.

(8) الدلفين، بالضم: ضرب من الحيتان، زعم القدماء أنه ينجي الغريق. والكلمة معربة عن اليونانية. انظر

استينجاس 532.

(9) القمل، بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة. انظر التنبيه 5 ص 295 وس 6 من ص 295.

(10) فيما عدل: «تلقى» تحريف.

(11) فيما عدل: «جهداً» محرف.

(12) أضعفه وضعفه: صيره ضعيفاً. اللسان (11: 106).

(13) في الأصل: «المقتول»، والمقابلة تقتضي ما أثبت.

(14) الزلال، بالضم: الصافي الخالص.

وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى عَلَى جَسَدِهِ الْبُتْرَةَ ابْتَهَلَ فِي الدُّعَاءِ وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْظُمَ صَغِيرًا عَظْمَهُ»؟!

ولم قال لنا: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ [الأعراف: 133]؟! فافهم عنه تعالى ذكره، وتقدست أسماؤه قوله: «آيات» ثم قال: «مُفَصَّلَاتٍ». فهل وقفت [قط] عَلَى هذه الآيات؟! وهل توهّمت [تأويل] قوله ⁽¹⁾: هذا [آية وغير آية]؟! وهل وقفت عَلَى فصل ما بين الآية وغير الآية ⁽²⁾، وإذا كانت مفصّلات كان ماذا، وإذا لم تكن مفصّلات كان ماذا.

فافهم قوله: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾ [الأعراف: 133]. وما في الأرض أنقص معرفة وعلماء، ولا أضعف قوة وبطشاً، ولا أَوْهَنُ رُكْنًا وَعَظْمًا مِنْ ضِفْدَعٍ. [فقد قال - كما ترى - : ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ﴾، فقد جعله - كما ترى - أفضل آياته، والعذاب الذي أرسله عَلَى أعدائه].

وقد قال جل وعز: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ [المؤمنون: 27] ⁽³⁾ فأظهر الماء [جل] ثناؤه [من أبعد مواضع الماء من ظنونهم] ⁽⁴⁾، وَخَبَرْنَا بِذَلِكَ كَيْ لَا نَخْلِي ⁽⁵⁾ أَنْفُسَنَا مِنَ الْحَذَرِ والإشفاق، [ولنكون علماء بالعلم الذي أعطانا، ولنكون راجعين خائفين، ليصح الاختيار، ويحسن الاختبار. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]. ما أحسن ما قَدَّرَ، وأتقن ما برأ!]

وكان السبب ⁽⁶⁾ الذي سلطه الله تعالى عَلَى الْعَرَمِ، وهو مُسْنَأَةٌ جَنَّتِي بِلَادٍ سِبَاءً، جُرْدًا، فهو ⁽⁷⁾ الذي خَرَقَهُ، وبَدَّلَ نِعْمَتَهُمْ بُؤْسًا، وَمُلْكَهُمْ [يَبَابًا وَعِزَّهُمْ ذَلًّا، إِلَى] أَنْ عَادُوا فَقَرَاءَ.

(1) ط فقط: توهمت قوله.

(2) هذه الجملة ليست في ل. وفي الأصل: «فضل» بالضاد، تحريف.

(3) مثلها الآية 40 من سورة هود: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ وليس غيرهما في الكتاب، وقد وقعت الآية محرفة في الأصل، ففي ل: «فلما جاء» وفيها عداها: «ولما جاء». وأثنى على الله الخير لما وفق إلى إصلاح أمثال هذا التحريف. انظر (4: 4، 89، 5: 22، 63، 93، 366).

(4) فيما عدل ل: «من أبعد المواضع من ظنونهم».

(5) ل: «تخلوا».

(6) ط، هـ: «السليل» تحريف.

(7) فيما عدل ل: «وهو».

فقال الله ⁽¹⁾: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: 16]. هذا بعد أن قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ⁽²⁾ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ ⁽³⁾ [سبأ: 15-16].

(شعر في سد مأرب)

وقال الأعشى:

ففي ذاك للمؤتسي أسوة ومأرب قفّي عليه العرم ⁽⁴⁾
 رُخام بنته لهم حمير إذا جاء مأوهم لم يرم ⁽⁵⁾
 وأنشد أبو عمرو بن العلاء ⁽⁶⁾:
 من سبأ الحاضرين مأرب إذا يبئنون من دون سيله العرما ⁽⁷⁾

(1) فيما عدل ل: «وقال الله عز وجل».

(2) ط، هـ: «مسكنهم» وهذه قراءة حفص وحمزة، بفتح الكاف. وقراءة الكسائي وخلف والأعمش بكسر الكاف. وما أثبت من ل، ش هي قراءة الباقيين، بفتح السين وألف وكسر الكاف على الجمع. انظر إتحاف فضلاء البشر 358-359.

(3) فيما عدل زيادة: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ﴾.

(4) الأسوة: ما يأتسي به الحزين، أي يتعزى. قفي: عفى ودرس. فيما عدل ل: «أعفى» تحريف. وروى: «عفى» في معجم البلدان ومروج الذهب (1: 343). وما أثبت من ل هو رواية الديوان 34 والإكليل للهمداني 54، 135، واللسان (20: 56 س4).

(5) الرخام، بالضم: حجر أبيض معروف. ط، هـ: «رجام» صخور عظام ولم أجد ما يصحح هذه الرواية. ل، ط: «له حمير». وفي الإكليل: «بناه له» و«بناها لهم». وما أثبت من ش، هـ يوافق رواية الديوان وياقوت. لم يرم: لم يفارق ولم يبرح.

(6) البيت للنابغة الجعدي، كما في الكامل 611 من قصيدة له في الشعراء 253 أولها:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وينسب أيضاً إلى أمية بن أبي الصلت. السيرة 9 وخواشي الاشتقاق 287 جوتجن.

(7) في المخصص (17: 42): «وكان أبو عمرو لا يصرف سبأ يجعله اسماً للقبيلة». وأنشد البيت. قلت: وبها قرأ هو والبزي في: (لقد كان لسبأ). وجمهرة القراء على قراءة الصرف، بجعلها اسماً للحي.

(معارف في الجراد)

ثم انظر إلى الجراد وهذا باب القول فيه .

قال: فأول⁽¹⁾ ما يبدو الجراد إذا باض سرءً، وسرؤه: بيضه⁽²⁾. يقال: سرأت تسراً سرءاً.

فانظر الآن، فكم ترى فيه⁽³⁾ من أعجوبة، [ومن آية بليغة]. فأول ذلك التماسها لبيضها الموضع الصلد⁽⁴⁾، والصخور [الصم] الملس؛ ثقة بأنها إذا ضربت بأذناها فيها انفرجت لها⁽⁵⁾.

(ذب الجراد)

(وإبادة العقرب)

ومعلوم أن ذب الجراد ليس في خلفة المسمار⁽⁶⁾، ولا طرف ذنبها⁽⁷⁾ كحد السنان، ولا لها من قوة الأسر⁽⁸⁾، ولذنبها من الصلابة ما إذا اعتمدت به على الكدية والكذانة⁽⁹⁾ جرح فيهما⁽¹⁰⁾، فكيف⁽¹¹⁾ وهي تتعدى إلى ما هو أصلب من ذلك، وليس في طرف ذنبها كإبرة العقرب؟!

-
- (1) فيما عدل ل: «وأول». وكلمة: «قال» ليست في ل.
 - (2) السراء؛ بالفتح ويكسر. ويقال أيضاً سرو، وأصله الهمزة. ل: «إذا باض سره وسره وبيضه». وفيما عدل ل: «إذا باض يكن سروا وسروه بيضه». وقد جمعت بينهما بما أثبت.
 - (3) ففيما عدل ل: «كم في الجراد».
 - (4) الصلد، بالفتح: الصلب الشديد. فيما عدل ل: «الصلب».
 - (5) فيما عدل ل: «انفجرت».
 - (6) ابن أبي الحديد (3: 203): «المنشار».
 - (7) فيما عدل ل: «ذنبه» محرف.
 - (8) الأسر، الفتح: الخلق، يقال فلان شديد الأسر، إذا كان معصوب الخلق غير مسترخ. فيما عدل ل: «الأسود» تحريف.
 - (9) الكدية، بالضم: الصفة العظيمة الشديدة. والكذانة، بالفتح: واحدة الكذان، وهي حجارة كأنها المدر فيها رخاوة. فيما عدل ل: «في» بدل «على». ط، ش: «والكدية» ه: «والكدانة» صوابهما في ل.
 - (10) ط: «خرق فيها» ش، ه: «خرج فيهما» صوابهما في ل. وانظر (4: 183).
 - (11) فيما عدل ل: «وكيف».

وعَلَى أَنْ الْعَقْرَبَ لَيْسَ تَخْرُقُ الْقَمْقَمَ⁽¹⁾ مِنْ جِهَةِ الْأَيْدِ وَقُوَّةَ الْبَدَنِ⁽²⁾، بَلْ إِنَّمَا يَنْفَرُجُ بِطَبْعٍ مَجْعُولٍ هُنَاكَ. وَكَذَلِكَ انْفِرَاجُ الصَّخُورِ لِأَذْنَابِ الْجَرَادِ. وَلَوْ أَنَّ عُقَابًا أَرَادَتْ أَنْ تَخْرُقَ فِي جِلْدِ الْجَامُوسِ⁽³⁾ لَمَا انْخَرَقَ لَهَا إِلَّا بِالتَّكْلُفِ الشَّدِيدِ؛ وَالْعُقَابُ هِيَ الَّتِي تُنْكَدِرُ⁽⁴⁾ عَلَى الذَّبِّ [الْأُطْلَس] فَتَقْدُّ بِدَابِرَتِهَا مَا بَيْنَ صَلَاةٍ إِلَى مَوْضِعِ الْكَاهِلِ⁽⁵⁾.

فَإِذَا غَرَزَتْ الْجَرَادَةُ⁽⁶⁾ وَأَلْقَتْ بَيْضَهَا، وَانْضَمَّتْ عَلَيْهَا تِلْكَ الْأَخَادِيدُ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا، وَصَارَتْ كَالْأَفَاحِيصِ لَهَا، وَصَارَتْ حَافِظَةً⁽⁷⁾ لَهَا وَمَرْيِيَّةً، وَصَائِنَةً وَوَاقِيَةً، حَتَّى إِذَا جَاءَ⁽⁸⁾ وَقْتُ دَبِيبِ الرُّوحِ فِيهَا أَحْدَثَ اللَّهُ فِي أَمْرِهَا عَجَبًا آخَرَ⁽⁹⁾. [فَسَبْحَانَ مَنْ اسْتَخْزَنَهَا حِكْمَتَهُ، وَحَشَاهَا بِالْأَدْلَةِ عَلَيْهِ، وَأَنْطَقَهَا بِأَنْهَا مَدْبِرَةٌ، وَمُذَلَّلَةٌ⁽¹⁰⁾ مَيْسِرَةً؛ يَفْكَرُ مَفْكَرًا، وَيَعْتَبِرُ مَعْتَبِرًا! ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ⁽¹¹⁾!]

(مراتب الجراد)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: [يُقَالُ: قَدْ سَرَأَتِ الْجَرَادَةُ تَسْرَأَ سَرَاءً]. فَإِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْضِهِ فَهُوَ دَبَّابٌ وَالْوَاحِدَةُ دَبَابَةٌ. وَيَخْرُجُ أَصْهَبَ إِلَى الْبَيَاضِ؛ فَإِذَا اصْفَرَّ وَتَلَوَّنَتْ فِيهِ خُطُوطٌ وَاسْوَدَّ فَهُوَ

-
- (1) القمقم، بضم القاف: ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ويكون ضيق الرأس. فيما عدل ل: «ليست تخرق اللحم» تحريف. وانظر مثل هذا الكلام في (4: 184).
 - (2) الأيد: القوة. فيما عدل ل: «من جهة الأيد في قوة البدن»، محرف.
 - (3) ط فقط: «في جلدة الجاموس»، صوابه ما أثبت.
 - (4) تنكدر: تنقض. ط: «تنكدر» ش، هـ: «تنكدر»، والوجه ما أثبت من ل وابن أبي الحديد.
 - (5) تقد: تقطع. والدابة: الأصبع التي من وراء رجلها. فيما عدل ل: «بدانثرتها» تحريف. وانظر ص 140، والصلا: بالفتح: وسط الظهر. والكاهل: مقدم أعلى الظهر.
 - (6) ابن أبي الحديد: «حاضنة».
 - (7) غرزت الجرادة وغرزت، بالتشديد: أثبتت ذنبها في الأرض لتبيض.
 - (8) فيما عدل ل: «كان».
 - (9) فيما عدل ل: «حدث عجب آخر».
 - (10) المذلة: الميسرة. وفي الأصل، وهو هنا ل: «مذلة» محرف.
 - (11) ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: 64]، ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]، ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: 9]. فما جاء به الجاحظ هو تحميد وتزيه فحسب.

بُرْقَان^(١). يقال رأيت دَبًّا بُرْقَانًا، والواحدة بُرْقَانَةٌ؛ فإذا بدت فيه خطوطٌ سُودٌ وبيضٌ وصُفَرٌ فهو المَسِيحُ^(٢). فإذا بدا حِجْمُ جناحِه فذلك الكتِفَانُ^(٣)؛ لأنه حينئذٍ يكتف المشي^(٤)؛ واحده كتفانة. قال ابن كنانة^(٥):

يكتِفُ المشي كالذي يتخطى طُنْبًا أو يشكُّ كالتمادي^(٦)

يصف فرساً^(٧). فإذا ظهرت أجنحته وصار أحمر إلى الغبرة فهو الغَوَاءُ والواحدة غوغاء^(٨)، وذلك^(٩) [حين] يستقل ويموج بعضه في بعضه ولا يتوجّه جهةً. ولذلك قيل^(١٠) لرعاع الناس غوغاء.

فإذا بدت في لونه الحمرة والصفرة، وبقي بعض الحمرة، واختلف في ألوانه، فهو الخيفان، والواحدة خيفانة. ومن ثمة قيل للفرس خيفانة^(١١).
فإذا اصفرّت الذكورة واسودت الإناث ذهبته عنه أسماء [غير^(١٢)] الجراد. فإذا باض قيل قد عَزَزَ الجراد^(١٣)، وقد رَزَّ^(١٤).

(١) البرقان، بالضم. فيما عدل: «وتلوت فيه خطوط واسود فهو»، صوابه في ل. وانظر نهاية الأرب (293: 10).

(٢) المسيح، بتشديد الياء المفتوحة، وأصل المسيح المخطط. فيما عدل: «فإذا صار فيه خطوط صفر وبيض وسود فهو السلاح» تحريف صوابه في ل واللسان (324: 3) حيث نقل رواية الجاحظ عن الأصمعي. وانظر نهاية الأرب (293: 10).

(٣) الكتفان، بضم الكاف وفتحها. ط، ش: «فإذا بدأ» بالهمزة، تحريف. وفي ل: «فهو» بدل: «فذلك».

(٤) كذا وردت هذه العبارة هنا وفي أصل نهاية الأرب وفي اللسان، لكن ضبطت في اللسان بتشديد التاء. وانظر الشعر التالي. وفي المخصص (172: 8): «وقيل سمي كتفاناً لأنه يكتف المشي، أي إذا مشى حرك كتفيه».

(٥) سبقت ترجمته في ص 90 من هذا الجزء.

(٦) الطنب: حبل الخباء والسرادق ونحوهما. يشك: يطلع ويغمر في جريه. والتمادي اللجوج. فيما عدل: «أو يشتد للمتباري».

(٧) هذه الجملة ليست في ل.

(٨) هذه التكملة من ل ونهاية الأرب واللسان.

(٩) فيما عدل: «ولذلك».

(١٠) فيما عدل: «يقال».

(١١) وهي الفرس الخفيفة المتوثبة. ل: «ثم» بدل: «ومن ثمة»، وفي المخصص: «ومن ثم قيل للفرس خيفانة».

(١٢) هذه الكلمة ليست في الأصل. وبدونها لا يستقيم المعنى. وفي نهاية الأرب: فإذا اصفرّت الذكور واسودت الإناث سمي حينئذ جراداً. وفي المخصص: «أبو حنيفة: فإذا طار سقطت عنه هذه الأسماء وسمي جراداً».

(١٣) غرز، بالتخفيف والتشديد. انظر التنبيه 7 ص 371.

(١٤) يقال أيضاً أرز. ومعناها أثبت ذنبه في الأرض ليبيض.

فإذا كثر الجراد في السماء وكثف فذلك السُدُّ. ويقال: رأيت سُداً مِنْ جَرادٍ، ورأيت رجلاً مِنْ جَرادٍ، للكثير منه. وقال العجاج:

سَيْرَ الجراد السُدُّ يرتاد الخَضِرُ⁽¹⁾

(مثل في الجراد)

و[مما] تقول العرب: «أُصِرِدَ مِنْ جَرادة⁽²⁾!». وإنما يُصْطاد⁽³⁾ الجراد بالسَّحَر. إذا وقع عليه الندى طلب مكاناً أرفع من موضعه⁽⁴⁾، فإن كان مع الندى بَرْدٌ لَبَدَ في موضعه. ولذلك قال الشاعر:

وكتيبة لبستها بكتيبة كالنائر الحيران أشرف للندى
النائر: الجراد. أشرف: أتى على شَرَف. للندى: أي من أجل الندى.

(استطراد لغوي)

ويقال: سَخَّتِ الجَرادة تسخُّ سَخًّا⁽⁵⁾، ورَزَّت وأرَزَّت، وجرادة⁽⁶⁾ [رَزَّاء] وارزَّ ومُرَزَّ: إذا غمزت⁽⁷⁾ ذنبها في الأرض. وإذا أَلْقَتْ بيضها قيل سَرَأَتْ تَسْرَأُ سَرْءاً⁽⁸⁾.

ويقال: قد بَشَرَ الجرادُ الأرضَ فهو يبشرها بشراً: إذا حَلَقَهَا⁽⁹⁾ فأكل ما عليها. [ويقال: جَرَدَ الجرادُ: إذا وقع على شيء فجرده]. وأنشدني ابن الأعرابي⁽¹⁰⁾:

(1) في ديوان العجاج 19 وكذا في اللسان (4: 192): «سيل الجراد». قال ابن منظور في كلمة: «السد»: «إما أن يكون من الجراد فيكون اسماً، وإما أن يكون جمع سدود، وهو الذي يسد الأفق، فيكون صفة». والبيت في صفة جيش عمر بن عبد الله بن معمر، ممدوح العجاج، وانظر نظام الغريب 184.

(2) انظر الميداني (1: 378).

(3) ط: «تصاد» ه: «تصطاد»، وأثبت ما في ل، ش.

(4) فيما عدل: «إذا وقع عليها الندا تطلب مكاناً أرفع من موضعها»، تحريف.

(5) فيما عدل: «ويقال سبحت تسبيح تسبيحاً»، تحريف صوابه في ل واللسان والقاموس.

(6) فيما عدل: «وجراد».

(7) ل: «غمزت» بالراء.

(8) ل: «ويقال سرأت تسراً سرءاً: إذا أَلْقَتْ بيضها».

(9) حلقتها، بالحاء المهملة والقاف. فيما عدل: «خلفها» تحريف.

(10) فيما عدل: «وأنشدني ابن الأعرابي».

كما جَرَدَ الجارودُ بَكَرَ بْنَ وائل⁽¹⁾

ولهذا البيت سُمِّيَ الجارود⁽²⁾.

وأنشدني آخر:

يقول أَمِيرٌ: ها جَرادٌ وَضَبَةٌ فقد جَرَدَتِ بيتي وبيت عيالي

وهذا من الاشتقاق⁽³⁾.

ومنه قيل ثوب جرْدٌ، بإسكان الراء، إذا كان قد انجرد وأُخْلِقَ. قالت سَعْدَى بنت الشَّمْرَدَل⁽⁴⁾:

سَبَّاءٌ عَادِيَةٌ وَهَادِي سُرْبَةٍ وَمُقَاتِلٌ بَطْلٌ وَلَيْثٌ مِسْلَعٌ⁽⁵⁾
أَجْعَلْتُ أَسْعَدَ لِلرَّمَّاحِ دَرِيئَةً هَبْلَتِكَ أُمُكُ أَيَّ جَرْدٍ تَرْقَعُ⁽⁶⁾

(تَطْيِيرُ النَّابِغَةِ)

ويدخلُ في هذا الباب ما حَدَّثَنَا⁽⁷⁾ به الأَصْمَعِيُّ، قال: تجهز النابغةُ

(1) أنشده في اللسان والتاج (جرْد). وصدر البيت كما في الروض الأنف (2: 340):

* ودسناهم بالخيل من كل جانب *

(2) الجارود، صحابي جليل، وفد على الرسول ﷺ في وفد عبد القيس، وكان نصرانياً، فأسلم وحسن إسلامه، وكان له موقف حسن في الردة والجارود لقب له، واسمه بشر بن عمرو بن حنش بن المعلّى، العبدى؛ من عبد القيس. انظر المعارف 147 والسيرة 944-945 جوتنجن، والاشتقاق 197، ولقب الجارود لأنه فر بإبله إلى أخواله بني شيبان، من بكر بن وائل، وبإبله داء، ففشا ذلك الداء في إبل أخواله، فأهلكها. انظر المعارف، والاشتقاق، والميداني (1: 173) واللسان (4: 87) ورواية عجز البيت فيه محرفة.

(3) يريد: اشتق جرْدَت من الجراد. وهذا الاشتقاق الذي عنى الجاحظ، باب عظيم من أبواب الطيرة والتفاؤل عند العرب، وهو أصل من أصول هذا الفن لديهم. انظر (3: 233-12 س 235 س 13، 236 س 4، / 237 س 10/ 238 س 12).

(4) ل فقط: «السموئل» تحريف. والبيتان من قصيدة لها في الأصمعيّات ص 101-104 وحامسة ابن الشجري 81-82، ترثي بها أخاها أسعد بن مجدعة، قتلته بنو بهز بن سليم بن منصور.

(5) سباء: مبالغة من السبي، وهو الأسر. والعادية: أول من يحمل من الرجالة دون الفرسان. والسربة، بالضم: الجماعة من الخيل. والمسلع، بالكسر: الذي يشق الفلاة. فيما عدل: «شما عالية وهاد مشرف»، و: «يلسع» بدل: «مسلع» تحريف. ويروى: «سباق عارية وهادي سربة».

(6) الدريئة: الحلقة يتعلم عليها الطعن. والجرْد، بالفتح الثوب الخلق. تقول لقاتله: أَلَمْ تجد غيره تروّز به نفسك وتختبرها؟! وتقول له: لقد طلبت ما لا نفع لك فيه! فيما عدل: «أجعلت سعدي» تحريف. وانظر المخصص (3: 31-16، 94) وأمثال الميداني (1: 140) في: «تكلتك أمك أي جرد ترقع!». وقد فسر البيت صاحب اللسان (4: 86) تفسيراً لا خير فيه.

(7) ل: «خبرنا» وقد سبق هذا الخبر في (3: 239).

الذبياني مع زَبَّانَ بن سَيَّارِ الفزاري؛ للغزو. فلما أراد الرحيل نظرَ إلى جرادة قد سقطت عليه، فقال: «جرادةٌ تجرُّ، وذات لونين»⁽¹⁾. غيري من خرج في هذا الوجه: «ولم يلتفت زَبَّانُ إلى طيرته وزجره، ونفذ لوجهه فلما رجع إلى موضعه الذي كان النابغةُ فارقه فيه، وذكر ما نال من السلامة والغنيمة، أنشأ يذكر شأن النابغة فقال»⁽²⁾:

تخبر طيرةً فيها زيادٌ	لتخبره وما فيها خبيرٌ ⁽³⁾
أقام كأنَّ لَقَمَانِ بنَ عادٍ	أشارَ له بحكمته مُشيرٌ
تعلَّم أنه لا طيرَ إلا	على متطير وهو الثُّبورُ ⁽⁴⁾
بلى، شيءٌ يوافقُ بعضَ شيءٍ	أحاييناً، وباطله كثيرٌ

واسم النابغة زياد بن عمرو، [وكنيته أبو ثمامة⁽⁵⁾]. وأنشدني أبو عبيدة⁽⁶⁾:

وقائلة، مَنْ أمَّها واهتدى لها زيادُ بنُ عمرو أمَّها واهتدى لها⁽⁷⁾

(استطرد لغوي)

قال: ويقال أبشرت الأرض إشاراً⁽⁸⁾: إذا بُذِرَتْ فخرج منها بذرها. فعند ذلك يقال: ما أحسنَ بَشْرَةَ الأرض⁽⁹⁾.

وقال الكميت - وكنية الجراد عندهم: أم عوف. وجناحها: بُرْذَها - ولذا قال:

-
- (1) في الثالث من الحيوان: «ذات ألوان» وبطرح الواو.
 - (2) انظر مراجع الشعر التالي فيما سبق في الجزء الثالث.
 - (3) «تخبر» بالباء الموحدة. وفي الأصل: «طيرة» بالطاء. وفي ل: «ليخبره» وفي هـ: «لتخبرها».
 - (4) الطير، بالفتح: اسم من التطير. والثبور: الهلاك.
 - (5) في الشعراء 108: «ويكنى أبا أمامة، ويقال أبا ثمامة». وسماء زياد بن معاوية.
 - (6) فيما عدا ل: «وأنشد أبو عبيدة».
 - (7) كذا روى الجاحظ عن أبي عبيدة. لكن في الحماسة نسبة هذا البيت إلى يزيد بن عمرو الطائي، من أبيات أربعة، برواية:

وقائلة من أمها طال ليله يزيد بن عمرو أمها فاهتدى لها

(8) بالباء. وفيما عدا ل: «أنشرت الأرض إنشاراً»، تحريف.

(9) بشرة، على لفظ بشرة الجسم.

تَنْفُضُ بُرْدِي أُمَّ عَوْفٍ وَلَمْ تَطْرُ لَنَا بَارِقَ، بَخٌ لِلْعَوِيدِ وَلِلرَّهَبِ⁽¹⁾
وَأُنْشَدْنَا أَبُو زَيْدٌ⁽²⁾ :

كَأَنَّ رَجُلِيهِ رَجُلًا مُقْطِفٍ عَجَلٍ إِذَا تَجَاوَبَ مِنْ بُرْدِيهِ تَرْنِيمُ
يقول: كَأَنَّ رَجُلِي الْجَنْدَبَ، حِينَ يَضْرِبُ بِهِمَا الْأَرْضَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ
وَالرَّمْضَاءِ، رَجُلًا رَجُلٌ مُقْطِفٌ. وَالْمُقْطِفُ: الَّذِي تَحْتَهُ دَابَّةٌ قَطُوفٌ⁽³⁾، فَهُوَ
يَهْمُزُهَا⁽⁴⁾ بِرَجْلِيهِ.

(شعر في الجندب والجراد)

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ الطَّائِي، وَوَصَفَ الْحَرَّ⁽⁵⁾ [وَشَدَّتْهُ، وَعَمَلَ الْجَنْدَبُ بِكَرَاعِيهِ]:
أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شَرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجُوزَاءُ⁽⁶⁾
وَاسْتَكَنَّ الْعُصْفُورُ كَرْهَاً مَعَ الضَّ بَّ وَأَوْفَى فِي عَوْدِهِ الْحَرْبَاءُ⁽⁷⁾
وَنَفَى الْجَنْدَبُ الْحَصَى بِكَرَاعِيهِ هِ وَأَذَكَّتْ نِيَارَتُهَا الْمَعْرَاءُ
وَأُنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ، لِعَوْفِ بْنِ ذِرْوَةَ⁽⁸⁾، فِي صِفَةِ الْجَرَادِ:

(1) بردا الجرا والجندب: جناحاه. وبارق: قبيلة من الأزد، وبارق هو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء. انظر النقائض 659 وفيهم يقول جرير (ديوانه 301 والأغاني 42: 7):

قَدْ كَانَ حَقِّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقَ يَا آلَ بَارِقَ فِيمَ سَبَّ جَرِيرَ
وبخ: كلمة للتعظيم والتعجب من الشيء، جعلها للتهكم والسخرية. والرهب بالفتح والضم: الخوف. يقول: إن بارقا كهذه الجرادة فهي تنفض جناحيها ولا تطير، وتتوعد ولا تفعل! ل: «تنفض» ه: «تنقض» صوابهما في ط، ش والمخصص (8: 174) واللسان (4: 54) والغريب المصنف 139 فيما عدا ل: «أم عمرو»، صوابه في ل والمراجع. وفي اللسان والمخصص: «ولم يطر» محرف. ط، ش: «لنا نار ويح» ه: «لنا نار ولح» ل: «لنا باذق يخ»، صوابهما ما أثبت. ط، ش: «المذهب» ه: «وللذهب» صوابهما في ل والمراجع.

(2) فيما عدا ل: «وأنشدني أبو زيد». والبيت لذي الرمة، كما في اللسان (1: 250-4: 54-11: 194) والديوان 578، يصف به الجندب في الرمضاء، ويشبهه بالمقطف، وهو صاحب الجمل القطوف في السير، فهو ينحزه لا يفتري عنه. وانظر جنى الجنتين ص 33.

(3) القطوف: المتقارب الخطو البطيء.

(4) الهمز: الغمز والضرب والدفع. ل: «يضر بها».

(5) فيما عدا ل: «يصف الحر».

(6) سبق هذا البيت مشروحا في 157 مع البيتين بعده، وبعدها رابع. ه: «للصائح» محرف.

(7) مضى شرح هذا البيت في 157 ط: «في عود» تحريف.

(8) الرجز في نوادر أبي زيد 48 ومحاضرات الراغب (2: 304).

- قد خفت أن يحدّرنا للمصريين⁽¹⁾ ويتركّ الدين علينا والدين⁽²⁾
 زحف من الخيفان بعد الرّحفين⁽³⁾ من كلّ سفعاء القفا والخدين⁽⁴⁾
 ملمعونة تسلخ لونا عن لون⁽⁵⁾ كأنها ملتفة في بردين⁽⁶⁾
 تنحي على الشّمراخ مثل الفأسين⁽⁷⁾ أو مثل مئشار غليظ الحرفين⁽⁸⁾
 أنصبه منصبه في قحفين⁽⁹⁾

وعلى معنى قوله :

تُنحى على الشّمراخ مثل الفأسين أو مثل مئشار غليظ الحرفين
 قال حماد لأبي عطاء⁽¹⁰⁾ :

- (1) يقال حدرتهم السنة : جاءت بهم إلى الحضر . ومنه قول الحطيئة :
 جاءت به من بلاد الطور تحدره حصاء لم تترك دون العصا شذبا
 والمصران : البصرة والكوفة . فهو يخشى أن تحدره الأزمة إليهما . ل : «تحدّر المصري» . فيما عدل :
 «يحدث لي بالمصريين» صوابهما في النوادر واللسان (11 : 28) .
 (2) الدين والدين ، أراد بهما الديون الكثيرة . فيما عدل : «ترك» تحريف . وفاعله كلمة : «زحف» في البيت التالي .
 فيما عدل : «وترك الدين على» تحريف .
 (3) الخيفان بالفتح : جمع خيفانة . وانظر ص 372 ، والزحف : الجماعة . وفي المخصص (8 : 174) : «أبو حنيفة : إذا
 كانت قطعة من جراد قدر ميل سميت الرجل . وإذا كان أكثر من ذلك فهو زحف» . قال ابن منظور : «أراد بعد
 زحفين ، لكنه كره الزحاف فأدخل الألف واللام لإكمال الجزء» . فيما عدل : «من الخيفين» . صوابه في ل
 والنوادر واللسان .
 (4) السفعاء : السوداء . ش : «سفعاء» محرفة .
 (5) فيما عدل : «لوتين» وقد سبقت هذه الرواية في (4 : 128) ، وأثبت ما في ل والنوادر .
 (6) ط ، ش : «متلفة» صوابهما في ل ، ه والنوادر .
 (7) يقال أنحى على حلقة السكين : عرضها . الشّمراخ : العتكال الذي عليه البسر ، وقد يكون في العنب ، ولعله عنى
 به السنبال .
 (8) المئشار ، بالهمزة : المنشار . فيما عدل : «مئشار» . «غليظ» كذا جاءت روايته في الأصل ومحاضرات الراغب .
 والرواية في النوادر : «حديد» بمعنى حاد .
 (9) أنصبه : جعله في نصاب . والنصاب ، بالكسر : المقبض . فيما عدل : «منصبه» تحريف . والقحف ، بالكسر :
 الفلقة من القصعة إذا انثلمت .
 (10) حماد هذا ، هو حماد الراوية ، وأبو عطاء ، لقب لشاعر من مخضرمي الدولتين ، واسمه أفلح بن يسار ، وكان أبو
 يسار سندياً أعجمياً لا يفصح ، وكان في لسان أبي عطاء لكثرة شديدة ولثغة . ومات في آخر أيام المنصور . انظر
 الأغاني (16 : 78-84) . وانظر للخبر الخزانة (4 : 170 بولاق) والشعراء 743 والشرطي (2 : 132) والعقد
 (6 : 471) . فيما عدل : «لأبي العطاء» ، تحريف .

فما صفراء تكنى أم عوف كأن رُجِلَتِيهَا مِنْجَلَانِ⁽¹⁾

(تشبيه الفرس بالجرادة)

ويُوصَفُ الفرسُ فيشبه بالجرادة، ولذا قال الشاعر⁽²⁾ :

فإذا أتيت أباك فاشترِ مثلها إنَّ الرِّدَافَ عن الأَحَبَّةِ يَشْغَلُ⁽³⁾

فإذا رفعت عنائها فجرادة وإذا وضعت عنائها لا تفشل

ولم يرض بشر بن أبي خازم بأن يشبهه⁽⁴⁾ بالجرادة حتى جعله ذكراً، حيث يقول :

بكل قيادٍ مُسْنِفَةٍ عُنُودٍ أَضْرَبَهَا الْمَسَالِحَ وَالْعَوَارُ⁽⁵⁾

مُهَارِشَةَ الْعِنَانِ كَأَنَّ فِيهَا جَرَادَةً هَبُوءَ فِيهَا أَصْفَرَارُ⁽⁶⁾

فوصفها⁽⁷⁾ بالصفرة؛ لأن الصفرة هي للذكورة⁽⁸⁾، [وهي] أخفُّ أبداناً، وتكونُ لخفة الأبدانِ أشدَّ طيراناً.

(1) عند الشريشي وابن عبد ربه : «كأن سويقيتها». وقد أجاب أبو عطاء حماداً بقوله :

أردت زراة وأزن زناً بأنك ما أردت سوي لسانني

أي أردت جرادة وأظن ظناً أنك لن تقصد إلا أن تستخرج رطانتني .

(2) ل : «ويشبه بالجرادة ولذلك قال الشاعر» .

(3) فيما عدل : «فإذا أبيت الردف فاسترسلتها» . وهذا البيت مؤخر عن التالي فيما عدل ل .

(4) فيما عدل ل : «شبهه» .

(5) المسنفة، بكسر النون : المتقدمة؛ وفتحتها : التي شد عليها السناف، وهو ليب يشد من وراء السرج إلى صدر الفرس لئلا يتأخر السرج . والعنود : التي تعاند الطريق من مرحها ونشاطها . والمسالح : المراقب والثغور . والعوار، بكسر العين المهملة : مصدر عاور . والمعاورة : المداولة، وأراد معاورة الطعن والضرب . فيما عدل ل : «فكل» و : «مسبقه» وفي ط، ش : «عتود» وهـ : «عمود» صواب ذلك من ل والمفضليات (98 : 43 طبع المعارف) . ل فقط : «المسايح» . وفيما عدل ل : «العوار» صوابه في ل . ورواية المفضليات : «الغوار» وهو مصدر غاور، كالمغاورة .

(6) المهارشة : المقاتلة . أي تجاذب العنان من شدة المرح . والهبة : الغبار . وخص جرادة الهبة لأنها أشد طيراناً .

(7) أي وصف فرسه . والفرس يذكر ويؤنث .

(8) فيما عدل ل : «لأن الصفر الذكورة» .

(تشبيه مسامير الدرع بحدق الجراد)

- ويوصف قَتِيرُ الدَّرْعِ ومساميرُها [فيشَبَّه⁽¹⁾] بِحَدَقِ الجَرَادِ⁽²⁾. وقال قيس بن الخطيم:
- ولما رأيت الحرب حرباً تجرَّدتْ لبست مع البردَيْنِ ثوبَ المحاربِ⁽³⁾
مضاعفةً يغشى الأناملَ فضلها كأنَّ قَتِيرَها عيونُ الجنادِ⁽⁴⁾
- وقال المقنَّع الكِنْدِيُّ⁽⁵⁾:
- ولي نثرةٌ ما أبصرتْ عينُ ناظر كصنع لها صنعاً ولا سردها سرِّداً⁽⁶⁾
تلاحمَ منها سردها فكأنما عيونُ الدِّبَا في الأرضِ تجرُّها جرِّداً⁽⁷⁾
- وقال عمرو بن معد يكرب⁽⁸⁾:
- تمناني ليلقاني أبِي ودَدْتُ وأين ما مِنِّي ودادي⁽⁹⁾
تمناني وسابغتي دِلاص خروسِ الحِجْسِ مُحكمةُ السِّرادِ⁽¹⁰⁾
مضاعفةً تخيرها سَلِيم كأنَّ سِكاكها حَدَقُ الجَرادِ⁽¹¹⁾

- (1) ليست في الأصل وبها يلتئم الكلام. وانظر 3 من الصفحة السابقة.
- (2) القتير: رءوس مسامير الدرع. وحديقة العين: سوادها الأعظم.
- (3) تجرَّدت، يقال تجرَّد للامرء: جد فيه ومضى. ط: «تحدرت» ش، هـ: «تحددت» صوابهما في ل وديوان قيس 12 لبيسك وحماسة البحري 40، ط فقط: «من البردين» تحريف.
- (4) مضاعفة: درع نسج حلقتين حلقتين. فضلها: زيادتها. ط: «قتيرها» هـ: «قترها»، صوابهما في ل والديوان.
- (5) سبقت ترجمته في (3: 80).
- (6) النثرة، بالفتح: الدرع الواسعة. والسرد: نسج الدرع.
- (7) تجردها: تأكل نبتها وتحلقه. ط، هـ: «تجراها» صوابه في ل، ش.
- (8) كان عمرو قد غزا هو وأبي المرادي، فأصابا غنائم، فادعى أبي أنه كان مسانداً، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً، وبلغ عمراً أنه توعدده، فقال في ذلك هذا الشعر. انظر الأغاني (14: 32).
- (9) ما، في: «أين ما» زائدة. أراد: أين مني ما أوده من لقاءه؟! ورسمت الكلمة متصلة في الأغاني وفيما عدل.
- (10) السابعة: الدرع الفضفاضة. وعجز هذا البيت وصدر تاليه ليسا في ل والأغاني، وفيهما صدر هذا البيت مع عجز البيت التالي. ش: «خروس الحِجْس» هـ: «خروس الحِجْس»، وأثبت ما في ط.
- (11) سليم: أراد به سليمان بن داود. فاضطره الشعر. وقد أخطأ أيضاً في نسبة الدرع إلى سليمان، وإنما أراد داود أبا سليمان، انظر المعرب 191 والعمدة (باب الإحالة والتغيير) والسكاك، بالكسر: جمع سك، بالفتح، وهو المسمار. قال دريد:

بيضاء لا ترندي إلا إلى فزع من نسج داود فيها السك مقتور
فيما عدل وكذا في الأغاني: «قتيرها». وفي ل: «شكاكها» بالشين، صواب هذه ما أثبت.

(تشبيه وسط الفرس بوسط الجرادة)

[ويوصفُ وسطَ الفرسِ بوسطِ الجرادة. قال رجلٌ من عبد القيس⁽¹⁾ يصف فرساً:
أما إذا ما استُدبرت فنعمامة تنفي سناكبُها رضيعُ الجنْدِل⁽²⁾]

(تشبيه الحباب بحدق الجراد)

ويوصفُ حبابَ الشرابِ بحدقِ الجراد. قال المتلمّس:
كأنني شاربٌ يومَ استَبَدّوا وحثّ بهم وراءَ البِيدِ حادي⁽³⁾
عُقاراً عُنُقَت في الدنّ حتى كأنَّ حبابَها حدَقُ الجراد⁽⁴⁾

(لعاب الجندب)

وإذا صفّا الشرابُ وراقَ شَبَّهوه بلُعبابِ الجندب. ولذا قال [الشاعر⁽⁵⁾]:
صفراء من حَلَبِ الكرومِ كأنَّها ماءُ المفاصلِ أو لُعبابُ الجنْدُبِ⁽⁶⁾
ولُعبابِ الجندب سَمٌّ على الأشجار، لا يقع على شيء إلا أحرقه.

(1) هو ابن سنان العبدي، كما سبق في (1: 198).

(2) صدره في الأصل، وهو هنا ل: «إذا استدبرت فنعمامة». وقد أتممت بكلمتي: «أما» و«ما». وروايته في الجزء الأول:

أما إذا تشتد فهي نعمامة تنفي سناكبها صلاب الجنْدِل
(3) استبد فلان بأمره وبرأيه: انفرد به. وقال ابن الشجري في الحماسة 249: «استبدوا: مضوا برأيهم. وراء البِيد: حال دونهم البِيد». ط: «وحثهم» صوابه في سائر النسخ وحماسة ابن الشجري والخزانة (3: 71 بولاق).

(4) العقار، بالضم: التي عاقرت الدن، أطالت المكث فيه. والحباب، بالفتح: النفاخات والفقايع التي تطفو كأنها القوارير.

(5) هذه من ل، ش.

(6) المفاصل: ماء بين السهل والجبل. انظر (2: 202-203) وثمار القلوب 446.

(زعم في الدُّبَا)

ولا يزالُ بعضُ من يدَّعي العِلْمَ يزعمُ أن الدُّبَا يُريدُ الخُضْرَةَ، ودونها النهر الجاري ⁽¹⁾، فيصيرُ بعضه جسراً لبعض، حتى يعبرُ إلى الخُضْرَةَ، وأن تلك حيلة منها. وليس [ذلك] كما قال: ولكنَّ الزَّحْفَ ⁽²⁾ الأول من الدُّبَا يريد الخُضْرَةَ، فلا يستطيعها إلا بالعبور إليها، فإذا صارت تلك القطعة فوق الماء طافيةً صارت تلك ⁽³⁾ لعمري أرضاً للزحف الثاني الذي يريد الخُضْرَةَ. فإن ⁽⁴⁾ سمَّوا ذلك جسراً استقام. فأما أن يكون الزحف الأول مهَّدً للثاني [ومكَّن ⁽⁵⁾] له، وآثره بالكفاية - فهذا ما لا يُعرف. ولو أن الزحفين جميعاً أشرفا على النهر، وأمسك أحدهما عن تكلف العبور إلى أن يمهد له الآخر - كان ذلك قولاً.

(استطراد لغوي)

ويقال في الجراد: خِرقة من جراد، والجميع خِرَق ⁽⁶⁾. وقال الشاعر:
كَأَنَّهَا خِرَقُ الْجَرَا دِيشُورُ يَوْمَ غِبَارِ ⁽⁷⁾

(1) ل: «بريد الخُضْرَةَ» تحريف. وفي ل أيضاً: «ودونه الماء الجاري».

(2) الزحف، بالفتح: الجماعة تزحف.

(3) هذه الكلمة ليست في ل.

(4) ط فقط: «فإذا».

(5) هذه من ل، ش، هـ وابن أبي الحديد (3: 203).

(6) الخِرقة: بكسر الخاء المعجمة، وجمعها خِرَق بكسر ففتح. ل: «خِرقة» و«خِرَق» بالحاء المهملة والزاي، وهي صحيحة بمعنى الأولى. ش، هـ: «حِرقة» و«خِرَق» تصحيف. وفيما عدا ل: «الجمع» موضع: «الجميع» وهما بمعنى وينشدون في الخِرقة قول الراجز (اللسان خِرَق والمخصص 8: 174 وابن دريد 2: 213):

قد نزلت بساحة ابن واصل خِرقة رجل من جراد نازل

(7) هذا بيت من مجزوء الكامل، وقد أنشده أيضاً صاحب نظام الغريب 184، ط فقط: «وكأنها» بزيادة واو، وبذلك تسلم التفعيلة الأولى من الوقص. وأثبت ما في سائر النسخ ونظام الغريب.

ويقال للقطعة الكثيرة منها رَجُلُ جراد، ورجلٌ من جراد. والثَّوْلُ^(١): القطعة من النحل.

وتوصف كثرة الثَّبَلِ^(٢)، ومروورها، وسرعة ذلك بالجراد. [وقال أبو النجم^(٣):

كأَما المَعزَاءُ من نِضالِها^(٤) رَجُلُ جرادٍ طار عن حَدالِها^(٥)

وإذا جاء منه ما يسدُّ الأفق قالوا: رأينا سُدًّا من جراد. وقال المفضل النُّكْرِيُّ^(٦):

كَأَنَّ الثَّبَلَ بَيْنَهُمُ جَرادٌ تُهَيِّجُهُ شَامِيَةٌ خَرِيقٌ^(٧)

والمرتجل: الذي [قد] أصاب رَجُلُ جرادٍ، فهو يشويه.

وقال بعضُ الرُّجَّازِ، وهو يصف خيلاً قد أقبلت إلى الحي^(٨):

حتى رأينا كُدْخانَ المرتجلِ أو شَبَهَ الحَفانِ في سَفْحِ الجَبَلِ^(٩)

(١) الثول، بفتح الثاء، وآخره لام. وفي اللسان: «الثول جماعة النحل، يقال لها الثول والدبر ولا واحد لشيء من هذا من لفظه». فيما عدل: «الثور» بالراء، تحريف.

(٢) الثبل، بالفتح: السهام. ط، هـ: «السهام» لكن في ش: «الجراد» محرف.

(٣) يصف الحمر في عدوها وتطايير الحصى عن حوافرها. انظر اللسان (13: 289 س17).

(٤) المعزاء والأمعز: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة.

(٥) الحدال، بكسر الحاء المهملة: مصدر حادلت الأتن العير أي راوغته. قال ذو الرمة:

من العض بالأفخاذ أو حجباتها إذا رابه استعصاؤها وحدالها

في الأصل، وهو هنا ل: «خدالها» بالخاء المعجمة والبدال. وفي اللسان والفائق (1: 333): «خذاها» بالخاء والذال المعجمتين، صوابهما ما أثبت. والرجل من الجراد تذكر وتؤنث. قال الزمخشري في الفائق: «وقد جمعهما أبو النجم في قوله» وأنشد البيت.

(٦) هو المفضل بن عامر النكري، بضم النون، نسبة إلى نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس. فهو نكري عبيدي، وهو صاحب القصيدة المنصفة. وهي في الأصمعيات 199، ومنها البيت الذي أنشده الجاحظ. انظر المعارف 42 س2 والعيني (2: 235)، وفي الأصل: «البكري» بالباء، تحريف.

(٧) شامية: ريح من قبل الشام. والخريق: الباردة الشديدة الهبوب. ش: «يهيج» ط: «خريق»، صوابه في سائر النسخ والأصمعيات والعيني.

(٨) فيما عدل: «مقبلة إلى الحي».

(٩) مما جاء في دخان المرتجل أيضاً قول لبيد في معلقته:

فتنازعا سبطاً يطير ظلاله كدخان مرتجل يشب ضرامها

و[لأن] الحفان^(١) أتمها أبداناً، قال ابن الزبيري^(٢):

ليت أشياخي ببدر شهدوا جَزَع الخَزْج من وَقَع الأَسْل
حينَ أَلَقْتُ بِقُبَاءٍ بَرَكْهَا واستَحَرَّ القَتْلُ في عبدِ الأَسْل^(٣)
ساعةً ثم استخفوا رَقْصاً رَقَصَ الحَفَّانِ في سَفْح الجَبَلِ^(٤)
وقتلنا الضَّعَف من ساداتهم وعدلنا مِيلَ بدرٍ فاعتدل^(٥)

(طيب الجراد الأعرابي)

والجرادُ الأعرابيُّ لا يتقدمه في الطَّيب شيء . وما أَحْصِي كم سَمِعْتُ من الأعراب مَنْ يقول : ما سَمِعْتُ منه قط ! وما أدْعُهُ إلا خوفاً من عاقبته أو لأنِّي أعيا فأتركه !

(أكل الجراد)

والجرادُ يطيب حارّاً وبارداً، ومشوياً ومطبوخاً، ومنظوماً في خيط، ومجعولاً في المِلَّة^(٦).

والبيض الذي يتقدَّم في الطيب ثلاثة أجناس : بيض الأسبور^(٧) وبيض الدجاج^(٨)،

- (١) الحفان، بفتح الحاء وتشديد الفاء : أولاد النعام، الواحدة حفانة . وهذا البيت الأخير ليس في ل .
- (٢) أي أتم أولاد النعام أبداناً . وفيما عدال ل : « وقال ابن الزبيري » . وهو عبد الله بن الزبيري بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم القرشي . والزبيري أبوه، وهو يكسر الزاي وفتح الباء، مقصور، وهو في اللغة السيئ الخلق والغليظ . كان من أشعر قريش وكان شديداً على المسلمين ثم أسلم في الفتح سنة ثمان، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول ﷺ، الإصابة 4670 والمؤتلف 132 والاشتقاق والشعر التالي قاله في يوم أحد قبل أن يسلم، من قصيدة في السيرة 616 جوتنجن وشرح شواهد المغني للسيوطي 187 .
- (٣) قباء، بضم القاف : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . والبرك، بالفتح : الإبل الكثيرة . استحر : اشتد . فيما عدال ل : « بفناء » . تحريف . وفي السيرة : « حين حكى » . وأراد بعبد الأشل عبد الأشهل، وهم قبيلة من الأنصار . انظر الاشتقاق 263 واللسان (شهل) .
- (٤) الرفص، بالتحريك : ضرب من الخبب .
- (٥) الضعف، أي ضعف ما قتلوا منا في يوم بدر . والميل : الفضل والزيادة . يقول : اعتدل ميل بدر ؛ إذ قتلنا مثلهم يوم أحد . انظر أمالي القالي (١ : 142) . فيما عدال ل : « وقتلنا الصعب » ، وأثبت ما في ل والسيرة .
- (٦) الملة، بالفتح : الرماد الحار، والجمر . ط فقط : « في أكلة » ، تحريف .
- (٧) الأسبور : سمك بحري سبق الحديث عنه في (٣ : 143) . فيما عدال ل : « الأسبور » تصحيف . ولعله معرب عن اللاتينية : Sparidae، وفي ط فقط : « وبيض » بإقحام الواو .
- (٨) ط، هـ : « فوق بيض الدجاج » محرف . والتكملة التالية مأخوذة من الجمع بين ما في ل، ش .

[وبيضُ الجراد. وبيضُ الجراد فوق بيض الأسبور في الطيب⁽¹⁾. وبيضُ الأسبور فوق بيض الدجاج⁽²⁾].

وجاء في الأثر، أن الجراد ذكرَ عندَ عمر فقال: ليت لنا منه قفعةً أو قفعتين⁽³⁾.

وهو يؤكل يابساً وغير يابس، ويجعل أدماً ونقلاً⁽⁴⁾.

والجرادُ المأكولُ ضروبٌ؛ فمنه الأهوازي، ومنه المذنب⁽⁵⁾، وأطيئه الأعرابي، وأهل خراسان لا يأكلونه⁽⁶⁾.

(قصة في الولوع بأكل الجراد)

وحدثني رتبيل بن عمرو بن رتبيل⁽⁷⁾ قال: واللّه إني لجالس⁽⁸⁾ على باب داري في بني صبير؛ إذا أقبلت امرأة لم أر قط أتم حسناً وملحاً⁽⁹⁾ وجسماً منها، ورأيت في مشيها تأوداً، ورأيتها تتلفت. فلم ألبث أن طلعت أخرى لا⁽¹⁰⁾ أدري أيتها أقدم، إذا قالت التي رأيتها بدياً⁽¹¹⁾ للأخرى: ما لك لا تلحقيني⁽¹²⁾؟

(1) الكلام من: «وبيض الجراد» الأخيرة إلى هنا، من ش فقط.

(2) هذه العبارة مشتركة بين ل، ش لكن في ش: «الأسبور» في هذا الموضع وسابقه.

(3) القفعة، بفتح القاف بعدها فاء ساكنة: شيء كالقفة واسع الأسفل ضيق الأعلى. ل: «قفعة أو قفعتان» وفيما عدا ل: «قفعة أو قفعتين»، صوابهما ما أثبت من اللسان (163: 10) والفائق (179: 2).

(4) الأدم، بالضم: ما يؤكل بالخبز. والنقل، بالفتح: ما يعث الشارب على شرايه ويتنقل به، ويقال أيضاً بالضم، وقيل الضم عامية. وفي جمهرة ابن دريد (3: 164): «النقل: الذي يتنقل به على الشراب، مفتوح النون».

(5) فيما عدا ل: «منه الأهوازي»، ط، ش: «وهو المذنب» والعبارة الأخيرة ساقطة من هـ.

(6) سبق مثل هذا الكلام في (4: 26 س5).

(7) كذا وردت هذه الكلمة في ل مضبوطة في هذا الموضع والذي قبله. وفي القاموس: «رتبيل» بضم الراء. فيما عدا ل: «زبيل» في الموضعين. وفي هـ، ش: فقط «بن عمرو بن عمرو» بالتكرار.

(8) فيما عدا ل: «جالس».

(9) الملح، بالكسر: الملاحه والطيب.

(10) ط، ش: «فلا».

(11) بدياً. بدءاً. فيما عدا ل: «بدءاً». وانظر هذا الجزء ص 10.

(12) «لا تلحقيني»، بنون واحدة قبل الياء. وهو أحد مذاهب ثلاثة في نحو: (تأمروني) والمذهب الثاني إثبات النونين مع الفك، والثالث إدغام النونين. وقد قرئ بهن في السبع، انظر المغني (حرف النون) وإتحاف فضلاء البشر 376، فيما عدا ل: «تلحقين».

قالت: أنا منذ أيام [كثيرة] أكلُ هذا الجراد^(١)، فقد أضعفني! فقالت: وإنك لتحبيته حباً تحتملين له مثل ما أرى بك من الضعف^(٢)؟ قالت: والله إنه لأحب إلي من الحبل!

(طرفة في الجراد)

وقال الأصمعي: قال رجل من أهل المدينة لامرأته: لاجزأك الله خيراً، فإنك غير مُرعية ولا مبقية^(٣)! قالت: لأنا والله أرعى وأبقى من التي كانت قبلي^(٤)! قال: فأنت طالق! إن لم أكن كنتُ آتيها بجرادة فتطبخ منها أربعة ألوان، وتشوي جنبها^(٥)! فرفعته إلى القاضي^(٦) فجعل القاضي يفكر ويطلب له المخرج. فقال للقاضي: أصلحك الله أشكلت^(٧) عليك [المسألة]؟ هي طالق عشرين^(٨)!

(تشبيه الجيش بالدبا)

ووصف الراجز حرباً، فوصف دنو الرّجالة من الرّجالة^(٩)، فقال:

أو كالدّبا دبّ ضحاً إلى الدّبا^(١٠)

(قول أبي إسحاق)

(في آية الضفادع)

وقرأ بعض أصحابنا بحضرة أبي إسحاق^(١١): ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ

(١) ل: «أكل الجراد»، بحذف: «هذا».

(٢) ل: «مثل الذي بك». وكلمة: «من الضعف» ليست في ل.

(٣) الإبقاء: الرحمة والشفقة، ومثله الإرعاء.

(٤) فيما عدل ل: «والله إني لأرعى وأبقى من التي كانت قبلي».

(٥) فيما عدل ل: «جنبها» بالإنفراد.

(٦) رفعته: قربه وقدمته إليه ليحاكمه. فيما عدل ل: «رفعت».

(٧) ل: «أشكلت» بحذف حرف الاستفهام.

(٨) فيما عدل ل: «فهي طالق عشرين».

(٩) الرّجالة، بفتح الراء وتشديد الجيم: جمع راجل، الذي ليس له ظهر يركبه.

(١٠) ط، هـ: «أتوا كالدّبا» صوابه في ل، ش. وفي ش: «دب ضحى إلى الرّبا» محرف.

(١١) هو إبراهيم بن سيار النظام، شيخ الجاحظ. هـ: «بحضر» تحريف.

لَكَ يَمُومِينَكَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴿١٣٢﴾ [الأعراف : 132-133] فقال رجلٌ لأبي إسحاق : انظر كيف قرَنَ الضفادعَ مع ضعفها إلى الطوفان ، مع قوة الطوفان وغلبته . قال أبو إسحاق : الضفادعُ أعجبُ في هذا الموضع ^(١) من الطوفان ، وإذا ^(٢) أراد الله تعالى أن يصيِّر الضفادعَ أضرباً من الطوفان فعل .

(شعر في تشبيهه بالجراد)

وقال أبو الهندي ^(٣) :

لَمَّا سَمِعْتُ الدَّيْكَ صَاحَ بِسُخْرَةٍ	وَتَوَسَّطَ النَّسْرَانِ بَطْنَ الْعَقْرَبِ
وَتَتَابَعَتْ عُصَبَ النُّجُومِ كَأَنَّهَا	عُفْرُ الطُّبَاءِ عَلَى فُرُوعِ الْمَرْقَبِ ^(٤)
وَبَدَأَ سُهَيْلٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ	ثَوْرٌ وَعَارِضُهُ هِجَانُ الرَّبْرِ ^(٥)
نَبْهَتْ نَدْمَانِي فَقُلْتُ لَهُ : اصْطَبِخْ	يَا ابْنَ الْكِرَامِ مِنَ الشَّرَابِ الْأَضْهَبِ ^(٦)
صَفْرَاءَ تَنْزُؤٍ فِي الْإِنَاءِ كَأَنَّهَا	عَيْنُ الْجَرَادَةِ أَوْ لُعَابُ الْجُنْدِ ^(٧)
نَزُو الدَّبَابِ مِنْ حَرِّ كُلِّ ظَهِيرَةٍ	وَقَادَةٍ، حَرْبَاؤُهَا يَتَقَلَّبُ ^(٧)

وقال أبو الهندي أيضاً :

(١) ل : « في هذا الموضع » .

(٢) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٣) اسمه غالب بن عبد القدوس بن شبيب بن ربعي . وقد أدرك الدولتين ، وكان جزل الشعر ، لطيف المعاني ، وإنما أخمله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب ، ومقامه بسجستان وبخراسان . قالوا : وهو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام فجعل وصفها وكده . انظر الأغاني (21 : 177-180) .

(٤) ل : « حزق الوحش » . والحزق : الجماعات .

(٥) الهجان : البيض . والربرب : القطع من بقر الوحش . ل : « كأنه ثوب » ، وفي الأغاني : « نور » ، صوابهما ما في سائر النسخ .

(٦) الندمان ، بالفتح ، النديم . فيما عدا ل : « مع الشراب » ، صوابه في ل والأغاني .

(٧) فيما عدا ل : « تتقلب » .

فإنَّ هذا الوُطْبَ لي ضائرٌ في ظاهر الأمر وفي الغامض⁽¹⁾
 إن كنت تسقيني فَمِنْ قهوة صفراء مثل المَهْرَةِ الناهض⁽²⁾
 [تنزُّو الفقاقيعُ إذا شُعِشِعَتْ نَزَوْ جَرَادِ الْبَلَدِ الرَّامِضِ]⁽³⁾
 وقال الأَفُوهُ:

بمناقب بيض، كأن وجوههم زَهْرُ قَبِيلَ تَرْجُلِ الشَّمْسِ⁽⁴⁾
 دَبُّوا كمنتشر الجرادِ هَوَتْ بالبطن، في درع وفي تُرْسِ⁽⁵⁾
 وكأنها آجالٌ عادية حَطَّتْ إلى إجلٍ من الخُنْسِ⁽⁶⁾

(أقوال فيما يضر من الأشياء)

وروى⁽⁷⁾ الأصمعي، وأبو الحسن، عن بعض المشايخ قال: ثلاثة أشياء ربما صرعت أهل البيت عن آخرهم: أكل الجراد، ولحوم الإبل، والفُطْر من الكمأة⁽⁸⁾.

وقال غيرهما: [شرب الماء في الليل يورث الخبل، والنظر إلى المحتضر يُورث ضعف القلب، والاطلاع في الآبار العادية ينقض التركيب⁽⁹⁾، ويُسول مصارعَ السَّوء]. فأما الفُطْر

- (1) الوطْب: سقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه. يقول: لا تسقني اللبن. وغامض الأمر: باطنه. فيما عدا ل: «وفي العارض» تحريف.
- (2) فيما عدا ل: «إن كنت ساقينا». والفهوة: الخمر.
- (3) تنزو: تتوثب. شعشت: مزجت بالماء. والبلد من الأرض: ما كان مأوى للحيوان وإن لم يكن فيه بناء. والرامض: الشديد الحر.
- (4) المناقب: جمع منقبة، وهي كريم الفعل. وترجل الشمس: ارتفاعها. قال: وهاج به لما ترجلت الضحى عصائب شتى من كلاب ونابل فيما عدا ل: «وكان وجوها» تحريف. ش، ه: «ترحل» بالحاء، صوابه في ل، ط.
- (5) البطن: بطن الوادي. والدرع والترس من السلاح، أي في دروعهم وتروسهم. فيما عدا ل: «رفوا»، وفي ش: «لمنتشر»، تحريف. فيما عدا ل: «البطن»، ط، ش: «في درع وفي برس» ل: «في زرع وفي برس». والبرس: القطن. وأثبت ما في ه.
- (6) الآجال: جمع إجل بالكسر، وهو القطيع من بقر الوحش. والعادية: التي تعدو. والخنس: جمع أخنس وخساء، وهو الذي قصرت قصبته وارتدت أرنبته إلى قصبته. والبقر كلها خنس. فيما عدا ل: «إقبال غادية حطت إلى حل من الحبس»، تحريف.
- (7) هذه الكلمة ليست في ل، ش.
- (8) الفطر، بالضم: جنس من الكمأة أبيض عظام. ه، ش: «الفطير»، تحريف.
- (9) العادية: القديمة، كالمنسوبة إلى عاد. ينقض، بالضاد المعجمة: يفسد.

الذي يُخلَق⁽¹⁾ في ظلّ شجر الزيتون [فإنما هو حتفٌ قاض، وسمٌ نافع. وكل شيء يخلق تحت ظلال الشجر يكون رديئاً، وأردؤه شجر الزيتون]، وربما⁽²⁾ قتل، وإن كان مما اجتنبه من أوساط الصحاري⁽³⁾.

قالوا: ومما يقتلُ الحمّامُ على الملاءة⁽⁴⁾، والجماع على البطنة، و[الإكثار من] القديد اليابس⁽⁵⁾.

وقال الآخر: شربُ الماء البارد على⁽⁶⁾ [الظمأ الشديد - إذا عجل الكُرْع، وعظم الجرع، ولم يقطع النفس - يقتل].

قالوا⁽⁷⁾: وثلاثُ تورثُ الهُزال: شرب الماء على الرّيق، والنوم على غير وطاء⁽⁸⁾، وكثرة الكلام برفع الصوت، والجماعُ على الامتلاء من الطعام ودخوله. وربما⁽⁹⁾ خيف عليه أن يكون قاتل نفسه].

[و]قالوا: وأربعةُ أشياء تسرعُ⁽¹⁰⁾ إلى العقل بالإفساد: الإكثار من البصل⁽¹¹⁾، والباقلَى، والجماع، والخُمَار⁽¹²⁾.

وأما ما يذكرون في هذا الباب من الهمّ والوحدة والفكرة⁽¹³⁾، فجميع الناس يعرفون ذلك.

(1) ط، هـ: «وأما». والفطر، سبق تفسيره، هـ فقط: «الفطير» محرف. فيما عدا ل: «يتخلق».

(2) ط فقط: «فربما».

(3) أوساط: جمع وسط. ط، هـ: «أوسط».

(4) الملاءة، بالكسر: الامتلاء. ل: «الملئية»، وفيما عدا ل: «الملية»، صوابهما ما أثبت.

(5) القديد: ما قطع من اللحم وشرر، أي بسط في الشمس، واللحم المملوح المجفف في الشمس.

(6) فيما عدا ل: «على الرّيق». وكلمة: «البارد» ليس في ل. وانظر عيون الأخبار (3: 271).

(7) ل فقط: «قال».

(8) الوطاء، بالكسر، والفتح عن الكسائي: خلاف الغطاء. وانظر عيون الأخبار (3: 271).

(9) هذه الكلمة ليست في الأصل، وهو هنا ل.

(10) فيما عدا ل، وكذا في عيون الأخبار (3: 272): «تقصّد».

(11) فيما عدا ل: «من أكل البصل».

(12) الباقلّي بتشديد اللام مع القصر ويخفف، ومثله الباقلَاء بتخفيف اللام مع المد: الفول. انظر

(3: 191). فيما عدا ل: «الباقلا» تحريف. وكلمة: «الجماع» ساقطة من ش. والخمار،

بالضم: صداع الخمر وأذاها.

(13) ل: «فأما» و: «الكثرة» بدل: «الفكرة» تحريف.

وأما الذي لا يعرفه إلا الخاصة فالكفاية التامة⁽¹⁾، والتعظيم الدائم، وإهمال الفكر، والآنف من التعلم. هذا قول أبي إسحاق.

[وقال أبو إسحاق]: ثلاثة أشياء تخلق العقل، وتفسد الذهن: طول النظر في المرأة، والاستغراق في الضحك، ودوام⁽²⁾ النظر إلى البحر.

وقال مُعَمَّر⁽³⁾: قُطعت في ثلاثة مجالس⁽⁴⁾، ولم أَجدْ لذلك علة؛ إلا أنني أَكثرتُ في [أحد] تلك الأيام من أكل الباذنجان، وفي اليوم الآخر⁽⁵⁾ من [أكل] الزيتون، وفي اليوم الثالث من الباقل⁽⁶⁾.

وزعم أنه كلم رجلاً من الملحدين في بعض العشايا، وأنه علاه علوًّا ظاهراً قاهراً، وأنه بَكَرَ على بقية ما في مسألته من التخريج، فأَجْبَلَ وأَصْفَى⁽⁷⁾، فقال له خصمه: ما أحدثت بعدي؟ قال: قلت: ما أَتَيْتُم إلا إكثاري الباردة من الباذنجان! فقال [لي]- وما خالف إلى التهمة-: ما⁽⁸⁾ أشك أنك لم تُؤت إلا منه!

وقال لي مَنْ أَثَقُ به: ما أخذت قط شيئاً من البلاذر⁽⁹⁾ فنازعت أحداً إلا ظَهَرْتُ عليه⁽¹⁰⁾.

وقال أبو ناضرة⁽¹¹⁾: ما أعرف وجه انتفاع الناس بالبلاذر إلا أن يؤخذ للعصب. قلت: فأَي شيء بقي بعد صلاح العصب، وأنتم بأجمعكم تزعمون أن الحس للعصب خاصة؟

(1) ل، ش: «فزما». ط فقط: «بالكفاية» وهذه محرفة.

(2) كذا في ل وعيون الأخبار (3: 272). فيما عدل ل: «وطول».

(3) هو معمر بن عباد السلمي، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة. انظر الملل (1: 83 و2: 16) والمواقف 623 والفرق بين الفرق 136، وقد سبق بعض ترجمته في (3: 192) ومعمر بتشديد الميم، كما هو في ل ولسان الميزان (6: 71).

(4) قطعه قطعاً: بكتبه بالحق فانتقطعت حجته.

(5) فيما عدل ل: «وفي يوم آخر».

(6) فيما عدل ل: «وفي يوم آخر من الباقلاء». لكن في ش: «الباقلاء»، وهذه محرفة.

(7) أجبل: صعب عليه القول، كأنه انتهى إلى جبل منه، وأصفى الرجل من المال والأدب أي خلا.

(8) فيما عدل ل: «وما»، بإقحام الواو.

(9) البلاذر، ويقال البلادر: ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب، وفي داخلها مادة إسفنجية بها شيء شبيه بالدم، ومن أسمائه تمر الفؤاد. انظر (3: 193). فيما عدل ل: «البلادر» بالبدال المهملة في هذا الموضع وتاليه.

(10) ظهرت عليه: غلبته. فيما عدل ل: «فنازعت فيه» بإقحام: «فيه».

(11) فيما عدل ل: «أبو ناضرة» وقد سبق في (4: 53 و54): «أبو ناضرة» بالصاد المهملة.

(القول في القطا)

تقول العرب: «أُصدّق من قطاة⁽¹⁾» و: «أهدى من قطاة⁽²⁾». وفي القطا⁽³⁾ أعجوبة، وذلك أنها لا تضع بيضها أبداً إلا أفراداً، ولا يكون بيضها أزواجاً أبداً. وقال أبو وجزة⁽⁴⁾:

وهنَّ يَنْسُبْنَ وهنَّ كلَّ صادقةٍ باتت تُبَاشِرُ عُرْماً غيرَ أزواجٍ⁽⁵⁾

والعُرم [التي عني⁽⁶⁾]: بيض القطا؛ لأنها منقطة. وقال الأخطل:

شَفَى النفسَ قَتْلِي مِنْ سُلَيْمٍ وعامرٍ ولم يَشْفِها قَتْلِي غَنِيٍّ ولا جَسِرٍ⁽⁷⁾

ولا جَشَمٍ شرَّ القبائلِ إنهم كبَيضِ القطا ليسوا بسودٍ ولا حُمْرٍ⁽⁸⁾

وقال معقل بن خويلد⁽⁹⁾:

أبا مَعْقِلٍ لا توطئَنَّكم بغاضتي رؤوسَ الأفاعي في مَراصِدِها العُرمِ⁽¹⁰⁾

يريد: الأفاعي العُرم في مراصدها. وهي منقطة الظهر. وما أكثر⁽¹¹⁾ ما تبيض العقاب

(1) ط، هـ: «قطا». وصدقها أن لها صوتاً واحداً لا تغييره، وصوتها حكاية لاسمها تقول: قطا

قطا. انظر أمثال الميداني (1: 386) وثمار القلوب 381.

(2) أهدى، من الهداية، وذلك أنها تهدي في المجاهل وتعرف مواضع الماء. انظر ثمار القلوب

382، وتقول العرب أيضاً: «أنسب من قطاة»؛ لأنها تنتسب حين تصوت باسم نفسها. ثمار

القلوب 382، وتقول العرب أيضاً: «أقصر من إبهام القطا»، كما في ثمار القلوب.

(3) فيما عدل: «القطاة».

(4) أبو وجزة، سبقت ترجمته في (1: 90) ش، هـ: «أبو وجرة» تصحيف.

(5) وهنا: نحو نصف الليل. ط: «مازلن» ل: «وهل ينسبن» وما في ل تحريف، وأثبت ما في

ش، هـ. ورواية ط توافق رواية اللسان (14: 289).

(6) هذه التكملة من ل، ش، وفي هـ: «والعرم التي عن بيض»، وبترك فراغ بين:

«التي»، «عن».

(7) ط: «في قتلتي»، وفي سائر النسخ: «من قتلتي»، صوابهما في الديوان 132 والكمال 475،

وغني، هم غني بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان. وجسر، بالفتح، هم من بني منبه بن

أعصر بن سعد. انظر المعارف 36.

(8) هم جشم بن معاوية بن بكر. ورواية الديوان والكمال: «إنها».

(9) تقدمت ترجمته في (4: 120). ط، هـ: «مقبل». ش: «معد» صوابهما في ل.

(10) انظر لشرح البيت (4: 121). هـ: «لا يوطئَنَّكم تقاصي» ش: «لا حينكم بعاصي» محرفان.

(11) ط، هـ: «وإن أكثر».

ثلاث بيضات، [إلا أنها لا تُلحم ثلاثة⁽¹⁾، بل تخرج منهنّ واحدة⁽²⁾]. وربما باضت الحمامة ثلاث بيضات⁽³⁾، إلا أن واحدة تفسد لا محالة. وقال الآخر⁽³⁾ في صفة البيض⁽⁴⁾:

وبيضاء لا تنحاش مِنّا وأُمُّها إذا ما رأَتنا زالَ منها زَويلُها⁽⁵⁾
نتوج ولم تقرفِ لِمَا يمتنى له إذا أنتَجَتْ ماتَتْ وَحَيَّ سَليلُها⁽⁶⁾

يعني البيضة نتوج⁽⁷⁾، [حامل]: ولم تُقَرَفِ⁽⁸⁾: [لم تُدَانِ] لما يمتنى: أي للضراب⁽⁹⁾. والامتناء: انتظارك الناقة إذا ضُربت ألاقح هي أم لا. وقال ابن أحرر:

بتيهاء قَفَرٍ والمطِي كَأَها قَطَا الحَزَنُ قد كانت فِرَاحاً بُيُوضُها⁽¹⁰⁾

- (1) ألحمه: أطعمه اللحم. ثلاثة، أي من فراخها.
- (2) كذا في الأصل بالتأنيث، وهو هنا ل. أراد واحدة من البيض.
- (3) هو ذو الرمة. ديوانه 454 واللسان (8: 180، 13: 337، 20: 165).
- (4) أي بيض النعام.
- (5) تنحاش: تنفر. يقول: هذه البيضاء لا تنفر، على حين البيض الحسان ينفرن من الطالب ويتأبين. زال زويلها: ذهب قلبها من الفزع. وفي اللسان والديوان 554: «زيل منها زويلها» ط، هـ: «لا ينحاش منها وإنها»، صوابه في ل، ش واللسان والمقاييس (حوش، زول).
- (6) ط، هـ: «تنوج»: ش: «تنوج» صوابهما في واللسان (11: 188، 20: 165) والديوان. ط: «بمتني» والرواية ما أثبت من شائر النسخ والديوان واللسان. أنتجت، بالبناء للفاعل: وضعت. وهذه لغة ضعيفة. وإنما يقال نتجت بالبناء للمفعول وبدون همز. وهي رواية اللسان والديوان. ش: «ويحي نتيجها» ط، هـ: «وعاش نتيجها»، وهو تحريف ظاهر صوابه في ل واللسان والديوان.
- (7) ط، هـ: «تنوج» بقاءين صوابه في ل، ش.
- (8) تقرف، بكسر الراء وآخره فاء، من أقرف. فيما عدا ل: «تقرب» تحريف.
- (9) فيما عدا ل: «أي لم تتمن للضراب»، تحريف.
- (10) التيهاء: الأرض التي لا يهتدي فيها، والحزن، بالفتح: ما غلظ من الأرض، وأضاف القطا إليه؛ لأنه يكون قليل الماء، فيكون قطاه أكثر عطشاً، فإذا أراد الماء كان سريع الطيران. «كانت» هنا، بمعنى صارت. وفي المخصص (8: 125). «قد طارت». وهذا البيت من شواهد الرضي. وانظر الخزانة (4: 31 بولاق) اللسان (17: 249) والأشمونى (1: 244). والبيوض، بالضم: جمع بيض. ط: «فبتنا بقفر». ش: «بنيها بقفر». هـ: «فبيتها بقفر». تحريف صوابه في ل والمصادر السابقة. وقبل البيت كما في الخزانة:

ألا ليت شعري هل أبیتن ليلة صحیح السرى والعيس تجري غروضها

وذلك أنها [قد] كانت قبل ذلك [الوقت] تشرب من العُدر، فلما⁽¹⁾ أفرخت صافت، فاحتاجت إلى طلب الماء من مكان بعيد، فذلك أسرع لها.

(تشبيه مشي المرأة بمشي القطاة)

ويشبه مشي المرأة إذا كانت سميكة غير خراجة طوافة بمشي القطاة في القرمطة والدَّل⁽²⁾.

وقال ابن ميادة:

إذا الطَّوال سَدَوْنَ المشي في حَطلٍ قامت تريك قَواماً غير ذي أود⁽³⁾
تمشي ككدرية في الجَوِّ فاردة تهدي سُروب قطاً يشربن بالثمد⁽⁴⁾
وقال جرّان العود:

فلما رأين الصُّبحَ بادرنَ ضوئه رسيمَ قطا البطحاء، أو هنَّ أقطف⁽⁵⁾
وقال الكميت:

يمشين مشيَ قطا البطاحِ تأوداً قَبَّ البُطونِ رَواجِحَ الأكفال⁽⁶⁾

- (1) ط، هـ: «وكلما» تحريف. وفي الخزانة: «قال الأصمعي ونقله ابن قتيبة في كتاب أبيات المعاني: أراد أنها شربت من الغدر في الربيع، فإذا فرخت ودخلت في الصيف احتاجت إلى طلب الماء على بعد، فيكون أسرع لطيرانها. وإنما تفرخ بيضها إذا جاء الحر».
- (2) ل، ش: «بمشي القطاة». والقرمطة: تقارب الخطو. والدل، بالفتح: السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة. في ش إقحام: «ولا» بعد: «القطا».
- (3) السدو: التدرع في المشي واتساع الخطو. ط، هـ: «شرن» ش: «شردن»، صوابهما في ل. الأود: العوج. ش: «أمد» محرف.
- (4) الكدري بالضم: ضرب من القطا قصار الأذنان، غير الألوان، رقص الظهور والبطون، صفر الحلق، وهي ألطف من الجونية. انظر نهاية الأرب (10: 261). فاردة: منقطة عن أخواتها، وذلك بسرعتها. فيما عدا ل: «واردة». سرّوب: جمع سرب. والثمد: الماء القليل. يشربن به: أي منه. وفي الكتاب: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: 6]، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمَرْئُونَ﴾ [المطففين: 28] أي منها.
- (5) ضمير بادرن، للنسوة التي زارهن ليلاً في رحالهن. والرسيم: ضرب من السير سريع مؤثر في الأرض. ورواية الديوان 22: «دبيب». أقطف: تفضيل من القطف، وهو تقارب الخطو.
- (6) سبق القول في هذا البيت ص 148 من هذا الجزء.

(شعر في التشبيه بالقطاة)

وقال الآخر⁽¹⁾ في غير هذا المعنى :

كأن القلب ليلة قيل يغدى بلىلى العامرية أو يراخ
قطاة غرها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح⁽²⁾
وقال آخر⁽³⁾ :

وكنا كزوج من قطاً بمفازة لدى خفص عيش مونق مورك رعد⁽⁴⁾
فخانهما ريب الزمان فأفردا ولم ترعين قط أقبح من فرد⁽⁵⁾

(شعر في صدق القطاة)

وفي صدق القطاة يقول الشاعر⁽⁶⁾ :

وصادقة ما خبرت قد بعثتها طروقاً وباقي الليل في الأرض مسدفة⁽⁷⁾

(1) هو المجنون، كما في الأغاني (3:2) والأماي (61:2) والموشح 250 ورواهما العسكري في ديوان المعاني (1:270) منسوبين إلى قيس بن ذريح. وفي الحماسة 1313 بشرح المروزقي أنه «نصيب». ويروى أبو الفرج من حديث الشعر، أن المجنون سمع رجلاً من قوم ليلى يقول لآخر: أنت ممن يشيع ليلى؟ قال: ومتى تخرج؟ قال: غداً ضحوة أو الليلة! فبكى وأنشد الشعر.

(2) ط، وكذا في أمالي القالي وديوان المعاني: «عزها» بمعنى غلبها. وفي ل فقط: «فأضحت». وانظر تعليق العسكري على البيتين.

(3) هو أبو دلامة. وفي الأغاني (9:135): «دخل أبو دلامة على المهدي، وهو يبكي، فقال له: مالك؟ قال: ماتت أم دلامة! وأنشده لنفسه فيها- وذكر البيتين - فأمر له بثياب وطيب ودنانير، وخرج. فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات، فأعطتها مثل ذلك وخرجت. فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما فجعلتا يضحكان لذلك ويعجبان منه. وانظر محاضرات الراغب (1:263) وأمالي القالي (2:21) وبدائع البدائة 49.

(4) ط: «حسن رعد» ه: «مورد عد» وهذه محرفة. وفي الأغاني: «عيش ناعم» مؤنق» والأماي: «عيش معجب مؤنق» والمحاضرات: «عيش مورك ناضر».

(5) في الأماي: «أصابهما» والأغاني: «فأفردني ريب الزمان بصرفه». وفي الأماي والمحاضرات: «ولم نر شيئاً قط أوحش» والأغاني: «ولم أر شيئاً قط أوحش».

(6) هو الفرزدق، كما في اللسان (عشش). وليس في ديوانه.

(7) سبق هذا البيت برواية أخرى في ص 194، ط: «ما خبرت بعد بعثها». ط، ه: «مشرف» وفي طرة ه: «خ مسدف» أي يروى: «مسدف» في نسخة أخرى.

ولو تركت نامت، ولكن أعشها أذى من قلاص كالحنى المَعْطَفِ⁽¹⁾
وتقول العرب: «لو ترك القطا⁽²⁾ لنام». ويقال⁽³⁾: أعششت القوم إعشاشاً⁽⁴⁾: إذا نزلت بهم وهم كارهون [لك] فتحولوا عن منزلهم.
وقال الكميت:

لا تكذب القول إن قالت قَطَا صدقت إذ كل ذي نسبة لا بد ينتحل⁽⁵⁾
وقال مُزاحم العقيلي⁽⁶⁾، في تجاوب القطاة وفرخها:

فنادت ونادها، وما اعوج صدرها بمثل الذي قالت له لم يُبدل⁽⁷⁾
والقطاة لم تُرد اسم نفسها، ولكن الناس سموها بالحروف التي تخرج من فيها⁽⁸⁾، وزاد في ذلك أنها على أبنية كلام العرب⁽⁹⁾، فجعلوها صادقةً ومُخبرة، ومُريدة [واقصدة].

(استطراد لغوي)

ويقال سِرْبُ نساءٍ، [وسِرْبُ قَطَا⁽¹⁰⁾]، وسِرْبُ ظباء. كل ذلك بكسر السين وإسكان

-
- (1) أعشها: من أعش القوم إذا نزل بهم على كره حتى يتحولوا من أجله. ل: «أعشها» تحريف. والقلاص: جمع قلوص، وهي الفتية من الإبل. والحنى بالفتح: جمع حنية، وهي القوس، لأنها محنية. قال ابن منظور: «ويروى كالحنى» بكسر الحاء. وهو جمع حنو بالكسر والفتح، وهو عود معوج، ل فقط: «يعطف» لكن ورد في سواها وفي اللسان بهذا الإقواء.
 - (2) انظر قصة المثل في الميداني (2: 110).
 - (3) ط فقط: «ويقول» تحريف.
 - (4) ل فقط: «عشاشا»، صوابه في سائر النسخ.
 - (5) ط، هـ: «وإن» ش: «وقد» بدل: «قطا». فيما عدا ل: «منتحل».
 - (6) سبقت ترجمته في (4: 249).
 - (7) أي نادها بمثل نداءها إياه لم يبدل منه. ش: «فنادت ونادا» محرف.
 - (8) فيما عدا ل: «خرجت». وفي ط: «من فمها».
 - (9) ش: «وزادوا في ذلك على أبنية كلام العرب». وليس بشيء.
 - (10) هذه التكملة من ل، ش.

الراء. فإذا كان من الطريق والمذهب [قالوا⁽¹⁾]: خَلَّ سَرْبُهُ⁽²⁾. و: فلانٌ خَلِيَّ السَّرْبِ⁽³⁾ بفتح السين⁽⁴⁾ [وإسكان الراء]. وهذا عن يونس بن حبيب. وقال الشاعر⁽⁵⁾:

أما القطأة فإني سوف أنعتُّها نعتاً يوافقُ نعتي بعضَ ما فيها⁽⁶⁾
سكاءً مخطوفةً في ريشها طَرَقُ سُودٌ قوادمها صُهبٌ خوافيها⁽⁷⁾

ويقال في ريشها فَتَخَ، وهو اللَّين⁽⁸⁾. ويقال في جناحه طَرَقَ⁽⁹⁾: إذا غطى الريشُ الأعلى الأسفل. وقال ذو الرُّمَّة⁽¹⁰⁾:

طراقُ الخوافي واقعٌ فوقَ رِيعَةٍ ندَى ليلِهِ في ريشِهِ يترقرقُ⁽¹¹⁾

ويقال: اطَّرَقَتِ الأرض: إذا ركب الترابُ بعضُه بعضاً، [ولزمَ بعضُه بعضاً]، فصار كطراق النعال طَبَقاً طَبَقاً⁽¹²⁾. وقال العجاج:

(1) هذه الكلمة من ل، ش فقط.

(2) بدلها في هـ، ش: «خلا سربه». وانظر اللسان (1: 447 س 2-6).

(3) هذه من ل، ش، هـ باتفاق.

(4) ط فقط: «فهو بفتح السين» بإقحام: «فهو».

(5) في الأغاني (7: 151): الشعر مختلف في قائله. ينسب إلى أوس بن غلفاء الهجيمي، وإلى مزاحم العقيلي، وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكندي، وإلى العجير السلولي، وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي، وهو أصح الأقوال.. وقد روى أيضاً أن الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات، فقال كل واحد منهم بعضاً.

(6) بعد هذا البيت في ل: «وما ينبغي لصاحب هذا البيت أن يقول شعراً أبداً ثم قال». وبعد هذا البيت فيما عدا ل: «وقال مزاحم العقيلي»، وهما عبارتان دخيلتان.

(7) السكاء: التي لا أذن لها. مخطوفة: ضامرة. فيما عدا ل: «شكاء مخطومة» تحريف. وفي الأغاني: «سكاء مخطوطة»، وفي اللسان (طرق): «مخطومة».

(8) الفتخ، بالتحريك وآخره خاء معجمة. فيما عدا ل: «فتح» تحريف. ط: «زهر» هـ: «ذهر» صوابه في ل، ش. وفي ط فقط: «اللبن» محرف.

(9) الطرق، بالتحريك. فيما عدا ل: «طراق».

(10) يصف صقراً أو بازياً، كما في الكامل 90 والديوان ص 30 واللسان (12: 89) وقبله:

نظرت كما جلي على رأس رهوة من الطير أُننى ينفض الطل أزرق

(11) في اللسان: «طائر طراق الريش: إذا ركب بعضه بعضاً». وفي شرح الديوان: «يريد مطارق، من مطارقة النعل». والريعة والريع، بكسر أولهما: المكان المرتفع. ط، هـ: «ريعة» ل، ش: «ريعه» صوابهما ما أثبت. ويروى: «ريعه» بالإضافة، كما في اللسان. فيما عدا ل: «لدى». ط، ش: «ليلة» تحريفان صوابهما في المراجع.

(12) ل: «كطراق النعل». والطراق، بالكسر: النعل يطبق على النعل.

فَاطَرَقْتُ إِلَّا ثَلَاثاً دُخْساً⁽¹⁾

والطَّرَقُ، بإسكان الراء: الضرب بالحصي، وهو من فعال الحَزَاة والعائفين⁽²⁾: وقال [ليبد، أو] البعيث:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصي ولا زاجرات الطير ما الله صانع⁽³⁾

قال: ويقال طَرَقَتِ القطةُ بيضُها: إذا حان خروجه وتعضّلت به شيئاً⁽⁴⁾. قال [أبو عبيد⁽⁵⁾] ولا يقال ذلك في غير القطة⁽⁶⁾. وعَرَّه قولُ العبدِيّ⁽⁷⁾:

وقد تخذت رجلي لدى جنبِ عَرَزِها نسيفاً كأفحوصِ القطةِ المطرقِ⁽⁸⁾

وهذا الشاعر لم يقل إن التطريق لا يكون إلا للقطة، بل يكون لكل بيّاضة، ولكل ذات ولد. وكيف يقول ذلك وهم يروون عن قابلة البادية⁽⁹⁾ أنها قالت لجارية تسمى «سحابة»، وقد ضربها المخاض وهي تُطلق على يدها⁽¹⁰⁾:

أيَا سَحَابُ طَرَّقِي بخيرِ وطَرَّقِي بخُصِيّةٍ وأيرِ

(1) اطرقت: تليد ترابها بالمطر. والدخس: الأثافي كما في اللسان (7: 380 س19) جمع داخس.

دخس: اندس. وهي تندس في الرماد، كما في القاموس. ط، هـ: «ثلاثا» صوابه في ل، ش والديوان ص 31 ش: «دحساً» تصحيف. وجاء مثله للعجاج أيضاً في ديوانه 82:

فَاطَرَقْتُ إِلَّا ثَلَاثاً عَكْفاً دَوَاخِصاً فِي الْأَرْضِ إِلَّا شَعْفَا

(2) الحزاة: جمع حاز، وهو الكاهن. والعائف: الذي يجر الطير. فيما عدا ل: «وهو من عمل أهل الزجر».

(3) البيت في ملحقات ديوان ليبد ص 55، وبعده:

سلوهن إن كذبتُموني متى الفتى يذوق المنايا أو متى الغيث واقع

(4) تعضّلت، أراد نشب بيضها وتعسر خروجه. والذي في المعاجم: «عضل» و«أعضل». فيما عدا ل: «تعطّلت» بالطاء، تحريف.

(5) هذه التكملة من اللسان (12: 93 س11) وفيه هذا النص.

(6) ط، هـ: «ويقال طرقت القطة»، وأثبت صواب النص من ل، ش، واللسان.

(7) هو الممزق العبدِي، كما في اللسان (11: 242-93)، والمخصص (17: 22)- والأصمعيّات 165 من قصيدة أبياتها عشرون وانظر المخصص (1: 21 / 12: 272 / 16: 97، 134). فيما عدا ل: «ونحوه قال العبدِي» تحريف.

(8) الغرز، بالفتح: هو للجمل مثل الركاب للبعل، وهو ما يدخل فيه قدم الركاب. والنسيف: أثر ركض الرجل بجنبِي البعير إذا انحصر عنه الوبر. ش: «رحل» محرف. فيما عدا ل: «إلى جنب»، وهي رواية الأصمعيّات والمخصص واللسان في الموضع الأول.

(9) القابلة: التي تقبل الولد عند الولادة. ل: «خاتنة».

(10) الطلق، بالفتح: وجع الولادة. وفي اللسان: «وقد طلقت المرأة تطلق طلقاً على ما لم يسم فاعله، وطلقت بضم اللام» والأخيرة لغية، كما في التاج.

ولا تريننا طرف البُظير⁽¹⁾

وقال أوسُ بنُ حجرٍ :

بكلِّ مكانٍ ترى شطْبَةً مولّيةً، ربها مسبِطَر⁽²⁾
وأحمر جعداً عليه النسورُ وفي ضَبْنه ثعلبٌ منكسر⁽³⁾
وفي صدره مثلُ جيب الفتاة تشهق حيناً وحيناً تهر⁽⁴⁾
فإنّا وإخوتنا عامراً على مثل ما بيننا نأتمر⁽⁵⁾
لنا صرخةٌ ثم إسكاته كما طرقتُ بنفاسٍ بكر⁽⁶⁾
فهذا كما ترى يردُّ عليه .

(ولادة البكر)

وإنما ذكر أوسُ بن حجرٍ البكرَ دون غيرها؛ لأنّ الولاد⁽⁷⁾ على البكر أشدّ، وخروج الولد أعسر، والمخرج أكزّ وأضيق. ولولا أنّ البكر أكثر ما تلد⁽⁸⁾ أصغرُ جثّةً وألطفُ جسماً، إلى أن تتسع الرحم بتمطّي الأولاد فيها⁽⁹⁾ - لكان أعسر وأشقّ⁽¹⁰⁾ .

(1) ط والحامسة 1851 بشرح المرزوقي: «ولا تريني» .

(2) الشطبة، بالفتح: الفرس الطويلة الحسنة الخلق. ربها: صاحبها وفارسها. مسبطر: ممتد، ومنه قولهم؛ اسبطرت الذبيحة إذا امتدت للموت بعد الذبح. فيما عدا ل: «مولبة» بالباء، تحريف .

(3) أحمر، أي رجلاً أبيض. انظر الأضداد 303 والجعد: المجتمع الشديد. عليه النسور: سقطت عليه لثنان منه. والضبن، بالكسر: الجنب، أو الإبط وما يليه. والثعلب: ما دخل من طرف الرمح في جبة السنان. ط: «صلبه» هـ: «صبه» ش: «صه» بالإهمال، تحريف صوابه في ل والأضداد، وديوان أوس، واللسان (ضبن) والمقاييس (بض) .

(4) الجيب: جيب القميص والدرع. أراد: وفي صدره طعنة في اتساعها كجيب الفتاة. وشهيق الطعنة: أن تدخل الريح فيها فتصوت. وهريرها: قبقتها. ط، هـ: «جنب» ش: «حنب» تحريف. فيما عدا ش: «القنا». ل: «تشقق حيناً وحيناً تهر» محرف. وفيما عدا ل: «يشهق حيناً وحيناً تهر». ومثله في الديوان .

(5) الائتمار: المشاورة. فيما عدا ل: «واني» محرف. وفي الديوان: «وإنّا» .

(6) فيما عدا: «لها»، صوابه في ل والديوان .

(7) ط فقط: «الولادة» بالهاء، وهما سيان .

(8) ل: «ما تكون»، صوابه في سائر النسخ .

(9) الرحم، مؤنث وقد يذكر. فيما عدا ل: «يتسع الرحم بتمطره الأولاد فيها»، تحريف .

(10) فيما عدا ل: «وأضيق» .

(أجود قصيدة في القطا)

وقال [المرار، أو العكب⁽¹⁾] التغلبي، وهي أجود قصيدة قيلت في القطا:

بلاذ مَرَوْرَة يحارُّ بها القطا	ترى الفَرْخ في حافاتِها يتحرَّقُ ⁽²⁾
يظلُّ بها فَرْخ القطاة كأنه	يتيمٌ جفا عنه موالیه مُطرق ⁽³⁾
بديمومة قد مات فيها وعينه	على موته تغضى مِراراً وترمُقُ ⁽⁴⁾
شبيهٌ بلا شيء هنالك شَخْصه	يواريه قَيْضٌ حولَه متفلُّق ⁽⁵⁾
له مَحْجَرٌ ناب وعين مريضة	وشِدْقٌ بمثل الزَّعفرانِ مخلَّق ⁽⁶⁾
تُعاجيه كَحَلَاء المدامع حُرَّة	لها ذنبٌ وَخَفٌ وَجيدٌ مطوَّق ⁽⁷⁾
سِمَاكِيَّة كُذْرِيَّة عُرْعَرِيَّة	سكاكِيَّة غبراء سمرَاء عَسْلَق ⁽⁸⁾

- (1) في شعراء العرب كثيرون ممن يدعي «المرار». وأما العكب، فهو بكسر العين وفتح الكاف وتشديد الباء، كما جاء مضبوطاً في ل. وفي اللسان: «والعكب العجلي شاعر».
- (2) البلد: كل موضع أو قطعة مستحيزة، عامرة كانت أو غير عامرة، والمروراة: الأرض التي لا يهتدي فيها إلا الخريت. يتحرق: أراد يتضرم جوعاً. انظر اللسان (11: 326 س24). فيما عدا ل وكذا في نهاية الأرب (10: 263): «ثلاث ممرورات يجاذبها»، صوابه في ل.
- (3) فيما عدا ل: «يناجيه موالیه»، محرف.
- (4) الديمومة: الفلاة البعيدة الأرجاء. الإغضاء: إدناء الجفون. يقول: تخاله ميتاً لضعفه، وهو مع ذلك يغمض عينيه ويفتحهما. فيما عدا ل: «قد بات»، والمقابلة تقتضي ما أثبت من ل.
- (5) القَيْض، بالفتح: قشرة البيضة العليا اليابسة. فيما عدا ل: «فك» محرف.
- (6) المحجر كمجلس ومنبر: ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن. ناب: مرتفع، نبا ينبو. مخلق، من الخلق، بالفتح، وهو الزعفران. ل: «له ممثلات منه» محرف.
- (7) أصل المعاجاة ألا يكون للأم لبن يروى صبيها فتعاجيه بشيء تعلله به ساعة. ط: «تناجيه» ش: «نعاجية» هـ: «تعاجية» صوابه في ل. والوحف من النبات والشعر: ما غزر وأثت أصوله واسود. فيما عدا ل: «ساج».
- (8) سماكِيَّة: نسبة إلى السمك أحد السماكين: الأعزل والرامح. أراد أنها علوية. والعورعية: نسبة إلى العرعة، بضم العينين، وهي أعلى الجبل وأعلى كل شيء والسكاكية، بالضم: نسبة إلى السكاك، وهو الجو والهواء بين السماء والأرض. والعسلق: الخفيف، والأنثى بهاء، لكنه جعله للأنثى، ووزنه كجعفر وزبرج. ط: «شكالية عفراء» ش، هـ: «سكلية عفراء» صوابهما في ل. وفيما عدا ل: «سملق».

- إذا غادرته تبتغي ما يُعيشه كفاها رزاياها النجاء الهينق⁽¹⁾
 غدت تستقي من منهل ليس دونه، مسيرة شهر للقطا، متعلق⁽²⁾
 لأزغب مطروح، بجوز تنوفة تلظى سموماً قيظه، فهو أورك⁽³⁾
 تراه إذا أمسى وقد كاد جلده من الحر عن أوصاله يتمزق⁽⁴⁾
 غدت فاستقلت ثم ولت مغيرة بها حين يزهاها الجناحان أولق⁽⁵⁾
 تيمم ضحاحاً من الماء قد بدت دعاميصه فالماء أطحل أورك⁽⁶⁾
 فلما أتنه مقدحراً تغوئت تغوث مخنوق فيطفو ويغرق⁽⁷⁾
 تُحير وتلقي في سقاء كأنه من الحنظل العامي جرو مفلق⁽⁸⁾
 فلما ارتوت من مائه لم يكن لها أناة وقد كادت من الرّي تبصق⁽⁹⁾

- (1) الرذايا: جمع رذي ورذية، وهو الضعيف، عنى فراخها. والنجاء: السرعة. والهنق: الأحمق. يقول: يكفيها مؤونة صغارها تلك السرعة الحمقاء التي تحصل بها على طعامهن وشيكاً. ط فقط: «رزاياها» تحريف. وفي اللسان (244:12) مع نسبته إلى ذي الرمة:
 إذا فارقت تبتغي ما تعيشه كفاها رذاياها الرقيق الهينق
 وقال: «قل أراد بالرقيع الهينق القمري، وقيل بل هو الكروان، وهو يوصف بالحمق، لتركه بيضه واحتضانه بيض غيره».
- (2) يقول: ليس دون هذا المنهل متعلق للقطا، مسيرة شهر، تظل طائفة لا تجد ما تتعلق به. ط فقط: «عدت» بالمهملة، تحريف.
- (3) الأزغب: فرخها. جوز: وسط. التنوفة: الفلاة. السموم، بالفتح: الريح الحارة والأورق: الذي لونه بين السواد والغبرة.
- (4) الأوصال: المفاصل والأعضاء، جمع وصل بالكسر والضم.
- (5) استقلت: نهضت للطيران وارتفعت في الهواء. والأولق: شبه الجنون. فيما عدا ل: «بها حين تزهاها» محرف.
- (6) تيمم: تقصد. والدعاميص: دويبات صغيرة تكون في مستنقع الماء. أطحل: رمادي اللون، ومثله الأورق. ش: «قد غدت» ط فقط: «في الماء»، صوابه في سائر النسخ. فيما عدا ل: «أطرق» تحريف.
- (7) المقدح والمقدحر: المتهيب للشر تراه الدهر منتفخاً شبه الغضب، وقد شبه به الماء الثائر. فيما عدا ل: «مقدحراً» وهما لغتان. تغوئت: أراد صاحته، والمعروف غوث واستغاث: صاح واغوثاه! ط: «تقربت تقرب مجنون» ه: «تعربت لعرب مجنون» ش: «تعرب مجنون» وجهه في ل. وفيما عدا ل: «فتطفو وتغرق».
- (8) أحر: رد وأرجع. فيما عدا ل: «تجر». وقد عنى بالسقاء هنا حوصلتها تملؤها بالماء لتروي صغارها. والعامي: اليابس أتى عليه عام. والجرو: الصغير من كل شيء حتى الحنظل، والبطيخ، والقثاء. ط، ه: «جزء» ش: «جزء» صوابه ما أثبت من ل. ل: «مفلق» وله وجه. انظر البيت الرابع من المقطوعة التالية. وقد سبق البيت في (2:117) محرفاً منسوباً إلى النمر بن تولب.
- (9) من مائه: من ماء الضحاح. فيما عدا ل: «من مائها».

طَمَتْ طَمْوَةً ضُعْدًا وَمَدَّتْ جِرَانَهَا وَطَارَتْ كَمَا طَارَ السَّحَابُ الْمَحْلَقُ^(١)
(شعر البعيث في القطا)

وقال البعيث^(٢):

نَجَتْ بِطُؤَالَاتٍ كَأَنَّ نَجَاءَهَا هُوِيَّ الْقَطَا تَعْرُو الْمَنَاهِلَ جُونَهَا^(٣)
طَوَيْنَ سِقَاءَ الْخَمْسِ ثُمَّتْ قَلَصَتْ لَوَرْدَ الْمِيَاهِ وَاسْتَبَّتْ قَرُونَهَا^(٤)
إِذَا مَا وَرَدَنَّ الْمَاءَ فِي غَلَسِ الضُّحَى بَلَلْنَ أَدَاوَى لَيْسَ خَرَزٌ يَشِينُهَا^(٥)
أَدَاوَى خَفِيفَاتِ الْمَحَامِلِ أَشْنَقَتْ إِلَى ثَغْرِ اللَّبَاتِ مِنْهَا حَصِينَهَا^(٦)
جَعَلْنَ حَبَابَ الْمَاءِ حِينَ حَمَلْنَهُ إِلَى غُصَصٍ قَدْ ضَاقَ عَنْهَا وَتِينَهَا
إِذَا شِئْنَ أَنْ يَسْمَعَنَّ وَاللَّيْلُ وَاضِعٌ هَذَا لَيْلَهُ وَالرَّيْحُ تَجْرِي فَنُونَهَا^(٧)
تَنَاوَمَ سَرَبٌ فِي أَفَاحِيصِهِ السَّفَا وَمَيِّتَةُ الْخِرْشَاءِ حَيٌّ جَنِينَهَا^(٨)

(١) طمت: ارتفعت. والجران: باطن العنق. والمحلق: المرتفع. ل: «كما طار الشهاب».

(٢) نسب البيت الأخير إلى القطامي في المقاييس (عكم)، ولم يرد الشعر في ديوان القطامي.

(٣) نجت: أسرع. والطوالات، بالضم: جمع طولة، وهي الطويلة، وفي اللسان: «هوت الناقة والأتان وغيرهما تهوي هويًا فهي هاوية إذا عدت عدوًا شديدًا أرفع العدو». فيما عدا ل: «يعلو المناهل»، تحريف.

(٤) قلصت: ارتفعت وزهبت. والقرون، بالفتح: النفس.

(٥) الغلس: أول الصبح، وهو وقت الورود عند القطا والحرر وغيرها. فيما عدا ل: «في رونق الضحى». ورونق الضحى: أوله. والأدواي: جمع إداوة، بالكسر، وهو إناء صغير من الجلد يتخذ للماء. يشينها: يعيبها. وقد عنى بالأدواي حواصلهن ط فقط: «ليس» تحريف.

(٦) ط: «أدوى» تحريف. أشنقت: علفت. ط، ش: «أسقمت» ه: «أسمقت» صوابهما في ل. والثغر: جمع ثغرة بالضم، وهي نفرة النحر. واللبات: جمع لبة بالفتح، وهي وسط الصدر والمنحر. ش: «ثغر اللبات» ل: «ثغد» بالذال، صوابهما في ط، ه.

(٧) فيما عدا ل: «واضح» ط، ش: «هدى ليلة» ه: «هدى ليله» وأثبت ما في ل والهذليل: التلال الصغار، جمع هذلول. وقد عنى بها الظلمات المتراكمة.

(٨) الأفحوص: حيث تبيض القطاة. والسفا: شوك البهمي أو أطرافها. والخرشاء، بالكسر: قشرة البيضة العليا اليابسة، فيما عدا ل: «ومبيته الحرشاء حن حنينها». محرف.

يروين زُغباً [بالفلاة كأنها بقايا أفاني الصَّيف، حُمراً بطونها⁽¹⁾
 «يروين» من قولك: روَّيت: أي حملت في راوية⁽²⁾].

[إذا ملأت منها] قطاة سقاءها فلا تُعكم الأخرى ولا تستعينها⁽³⁾

ذكر نواذر وأحاديث

وأشعار وكلام يختم بها هذا الجزء⁽⁴⁾

قالوا: خرف التَّمْرُ بن تولب⁽⁵⁾، فكان هَجِيرَاهُ⁽⁶⁾: اصْبَحُوا⁽⁷⁾ الرُّكْب، اغْبِقُوا الرُّكْب.

وخرفت امرأة من العرب فكان هَجِيرَاهَا: زَوْجُونِي، زَوْجُونِي! فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَمَّا لهج به أخو عُكل خيرٌ مما لهجت به صاحبتكم⁽⁸⁾!.

وحدثني عبد الله بن إبراهيم بن قدامة الجمحي⁽⁹⁾ قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى رجلاً يَضْرِبُ في كلامه⁽¹⁰⁾ قال: أشهدُ أن الذي خَلَقَكَ وخلقَ عَمْرُو بنِ العاص واحدًا!

-
- (1) الأفاني: جمع أفانية، كثمانية، وهو عنب الثعلب. فيما عدا ل: «يروين زغباناً». محرف.
 - (2) الراوية: المزادة فيها الماء. وفي اللسان (19: 66): «روى معناه استقى على الراوية».
 - (3) فيما عدا ل: «سقاؤها» محرف. ويقال أعكمه، إذا أعانه على حمل عكمه. فيما عدا ل: «فلا تعكم ولا تستعينها» وإكماله من ل والمقاييس (عكم).
 - (4) فيما عدا ل: «ذكر نواذر من أشعار وأحاديث وكلام»، وبعده في ط: «نتم به هذا الجزء».
 - وفي ش، هـ: «يتم به هذا الجزء».
 - (5) سبقت ترجمته في (1: 48): والنمر بن تولب عكلي، من بني عكل بن عبد مناف.
 - (6) هجيراه، بكسر الهاء والجيم المشددة المكسورة: دأبه، وشأنه، وعادته، وكلامه.
 - (7) صبحه يصبحه وصبغه يصبغه، بالتشديد: سقاه الصبوح، وهو من اللبن ما حلب بالغداة. وغبقه يغبقه ويغبقه، بضم باء المضارع وكسرها: سقاه الغبوق، وهو اللبن يشرب بالعشي. ط فقط: الراكب» في الموضوعين، محرف. وانظر محاضرات الراغب (2: 322). والخبر أكثر بسطاً في الأغاني (19: 160).
 - (8) انظر تفصيل الخبر في الأغاني (19: 160).
 - (9) كلمة: «الجمحي» ليست في ل. ونسبت رواية الخبر إلى محمد بن سلام في عيون الأخبار (2: 171) والبيان (1: 39).
 - (10) الضرب: الخلط. فيما عدا ل: «إذا رأى».

وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه، لصعصعة بن صُوحان⁽¹⁾ في المنذر بن الجارود⁽²⁾: ما وجدنا عند صاحبك [شيئاً]! قال: إن قلتَ ذاك إنه لنظَّارٌ في عِطفيه، تَقَالُ في شِرَاكيه⁽³⁾، تُعجبه حُمْرَةُ برديه⁽⁴⁾.

قال: وحَدَّثنا جريرٌ بنُ حازم القَطْعِيّ⁽⁵⁾ قال: قال الحسن: لو كان الرجلُ كلما [قال] أصاب، وكلما عمل أحسن⁽⁶⁾، لأوشك أن يُجَنَّ من العُجْب⁽⁷⁾.

[عن أبان بن عثمان] قال: سمعتُ أبا بلال⁽⁸⁾ في جنازةٍ وهو يقول: كلُّ ميتةٍ ظَنُونٌ⁽⁹⁾ إلا ميتةَ الشَّجَاءِ⁽¹⁰⁾ قالوا: وما ميتةُ الشَّجَاءِ؟ قال: أخذها زيادٌ فقطع يديها ورجليها، فقيل لها: كيف تَرَيْنَ يا شَجَاء؟ فقالت: قد شغلني هَوَلُ الْمُطَّلَعِ عن بَرْدِ حَدِيدِكُم هذا⁽¹¹⁾!

(1) هو صعصعة بن صوحان العبدي، كان مسلماً في عهد الرسول ﷺ ولم يره. روى عن عثمان وعلي رضي الله عنهما، وشهد صفين مع علي، وكان خطيباً فصيحاً. ومات بالكوفة في خلافة معاوية. الإصابة 4125 و«صوحان» بضم الصاد. انظر الاشتقاق 199.

(2) سبقت ترجمته في (1: 228) ط، هـ: «المنذرين» تحريف.

(3) ط فقط: «مغال» بدل: «تقال» محرف. والخبر في البيان (1: 99).

(4) فيما عدا ل: «يجبه».

(5) هو جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدي البصري، وروى عن أبي الطفيل، وأبي رجاء العطارى، والحسن، وابن سيرين، وقتادة، وأيوب، والأعمش، وعنه الأعمش وأيوب شيخاه، وابن المبارك، ووكيع. مات سنة 175، انظر تهذيب التهذيب (2: 69). فيما عدا ل: «العطفي». والقطعي: نسبة إلى القطيعة واحدة القطائع.

(6) فيما عدا ل: «كلما أصاب وكلما تجمل أحسن» تحريف.

(7) فيما عدا ل: «أوشك أن يتزيد من العجب»، صوابه في ل.

(8) هو أبو بلال مرداس بن أدية، المترجم في ص 16 من هذا الجزء.

(9) الظنون: المتهم وكل ما لا يوثق به، فعول، بمعنى مفعول. وقد ورد هذا الخبر في اللسان (146: 17): «وقول أبي بلال مرداس، وقد حضر جنازة فلما دفنت جلس على مكان مرتفع ثم تنفس الصعداء وقال: كل منية ظنون إلا القتل في سبيل الله، لم يفسر ابن الأعرابي ظنوناً هنا. قال: وعندي أنها القليلة الخير والجدوى». وفي أصل اللسان: «أبي بلال بن مرداس» محرف.

(10) هي الشجاء الخارجية. ولها خبر مع زياد في الأمالي (3: 174). وانظر ما سبق في (1: 133). ل: «الشجاء»، فيما عدا ل: «السجا» صوابهما ما أثبت. وقد تكرر هذا الخطأ على النحو الذي ذكرت في سائر المواضع التالية، فاكتفيت بهذا التنبيه.

(11) في اللسان: «وفي حديث عمر أنه قال عند موته: لو أن لي ما في الأرض جميعاً لافتديت به من هول المطلع، يريد به الموقف يوم القيامة، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت. فشبهه بالمطلع الذي يشرف عليه من مكان عال». والبرد: الموت، برد يبرد برداً: مات. فيما عدا ل: «حديثكم».

قال: وقيل لرابعة القيسية: لو أذنت لنا كلُّنا قومك فجمعوا لك ثمن خادم، وكان لك في ذلك مرفق⁽¹⁾ وكفتك الخدمة⁽²⁾ وتفرغت للعبادة. فقالت: والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا⁽³⁾، فكيف أسأل الدنيا من⁽⁴⁾ لا يملكها؟!

والناسكات المتزهديات من النساء المذكورات في الزهد والرياسة، من نساء الجماعة [وأصحاب الأهواء⁽⁵⁾]. [فمن نساء الجماعة]: أم الدرداء⁽⁶⁾، ومُعَاذَةُ العدوية⁽⁷⁾، ورابعة القيسية⁽⁸⁾.

ومن نساء الخوارج: الشجاء، وحمادة الصُفْرية⁽⁹⁾ وغزالة الشَّيبانية⁽¹⁰⁾ قُتِلْنَ جميعاً، وصُلبت الشجاء وحمادة، وقَتَلَ خالد بن عتاب⁽¹¹⁾ غَزَالَه، وكانت امرأة صالح بن مُسَرِّح⁽¹²⁾.

(1) المرفق، كمنبر ومسجد ومقعد: ما ارتفعت وانتفعت به. . فيما عدل: «وكان لك فيها مرفق».

(2) فيما عدل: «المؤنة». وهذا الخبر في أول كتاب الزهد من البيان (127:3).

(3) يقال استحي منه واستحياه. فيما عدل: «لأستحي». ط، ش: «ممن» بدل: «من».

(4) فيما عدل: «ممن».

(5) هذه التكملة من ل، ش، هـ.

(6) أم الدرداء، هي زوج أبي الدرداء. واختلف علماء التراجم في أم الدرداء، فبعضهم يجعلها شخصين: أم الدرداء الصغرى، وأم الدرداء الكبرى، وبعضهم يقول: «هما واحدة، ويختلفون في ذلك اختلافاً. انظر الإصابة 384 قسم النساء وتهذيب التهذيب (12: 465-467).

(7) معاذة، بضم الميم، بنت عبد الله العدوية البصرية، امرأة صلة بن أشيم، روت عن عائشة، وعلي، وهشام بن عامر، وعنهما أبو قلابة، وقتادة، وأيوب، وعاصم الأحول، وكانت من العابدات. وزوجها صلة بن أشيم كان من نساك البصرة وزهادها.

(8) جعلها الجاحظ في البيان (3: 193) من نساك البصرة وزهادها.

(9) فيما عدل: «الصفوية»، تحريف. والصفرية، بالضم ويكسر: قوم من الحورية الخوارج.

(10) هي زوج شبيب بن يزيد الخارجي الشيباني، وكانت من الشجاعة والفروسة بالموضع العظيم. وكان الحجاج قد هرب في بعض الوقائع منها، فغيره أسامة بن سفيان البجلي بقوله (انظر الحماسة البحتري 392):

أسد علي وفي الحروب نعمة فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الضحى بل كان قلبك في جناحي طائر

وانظر ترجمة شبيب في وفيات الأعيان، والمعارف 180، وشرح الحيوان (3: 21). ل: «الشائية» تحريف.

(11) هو خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي، وانظر خبر قتل غزالة في الطبري (7: 253).

(12) صالح بن مسرح التميمي الخارجي، كان يرى رأي الصفرية، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية، وكان ناسكاً مخبتاً مصفر الوجه صاحب عبادة، وكان زعيماً لشبيب الخارجي، وبعد مصرع صالح آل أمر أصحابه إليه وبايعوه على الخروج. انظر الطبري (7: 221-222). ويفهم من قول الجاحظ أن غزالة كانت تحت صالح بن مسرح ثم خلفها عليه شبيب، وهذا نص نادر. فيما عدل: «صالح بن نوح» تحريف. ومسرح، بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة. ابن الأثير (4: 164).

ومن نساء الغالية: الميلاء⁽¹⁾، وحُميدة⁽²⁾، وليلى الناعظية⁽³⁾.

محمد بن سلام عن ابن جُعْدبة⁽⁴⁾ قال: ما أبرم عُمر بن الخطاب رضي الله عنه أمراً قط إلا تمثل ببيت شعر⁽⁵⁾.

وعن أبان بن عثمان، قال عبد الملك: لقد كنت أمشي في الزُّرْع فاتَّقِي الجُنْدَبَ أن أقتله، وإن الحجاج ليكتب إليَّ في قتلِ فئامٍ من الناس⁽⁶⁾ فما أحفلُ بذلك.

[وقيل له - وقد أمر بضرب أعناق الأسراء-: أفسَتَكَ الخلافةُ يا أمير المؤمنين، وقد كنت رؤوفاً! قال: كلا، ما أفسَنتُني، ولكن أقساني احتمالَ الضغن على الضغن].

قالوا: ومات يونسُ النحويُّ سنة اثنتين وثمانين [ومائة] وهو ابن ثمان وثمانين سنة⁽⁷⁾.
[و] قال يونس: ما أكلت شيئاً قط في الشتاء إلا وقد برد، ولا في الصيف إلا وقد سخن.

وحدثني محمد بن يسير⁽⁸⁾ قال: قال أبو عمرو المديني⁽⁹⁾: لو كانت البُلايا بالحِصص ما نالني كل ما نالني: اختلفت جارياتي بالشاة إلى التَّيَّاس [وبي إلى حملها حاجة]، فرجعت جاريتي حاملاً، والشاة حائلاً⁽¹⁰⁾.

محمد بن القاسم قال: قال جرير: أنا لا أبتدي، ولكني أعْتدي⁽¹¹⁾.

وقال القيني⁽¹²⁾: أنا مثل العقرب، أضرب ولا أنفع.

(1) الميلاء: حاضنة أبي منصور صاحب المنصورية، الذي كان يلقب بالكسف. انظر الحيوان (2: 148-250: 6).

(2) حميدة، من أصحاب ليلى الناعظية، ولها رياسة في الغالية. انظر الحيوان (6: 250) ل: «حمدة» صوابه في النسخ. وانظر البيت الثالث من الشعر الذي سبق في (2: 148).

(3) بنو ناعظ، بالطاء المعجمة: بطن من العرب. انظر القاموس واللسان، والجمهرة (3: 121).

(4) جعدبة، بضم الجيم والدال. ط، ش: «أبي جعدة» ل: «أبي جعدبة»، والوجه ما أثبت. واسمه يزيد بن عياض. انظر لسان الميزان (6: 774) وتاريخ بغداد (14: 329). وطبقات ابن سلام 180، 181، 200، 203، 213، 214، 461.

(5) فيما عدا ل: «إلا تمثل به ببيت شعر».

(6) فئام: جماعات كثيرة. لا واحد له من لفظه. فيما عدا ل: «بقتل».

(7) تقدمت ترجمته في (1: 230). كما في الخبر في (3: 251).

(8) ترجمته في (1: 69). فيما عدا ل: «محمد بن بشير» محرف.

(9) فيما عدا ل: «المداثي». وقد سبق الخبر في (3: 251).

(10) الحائل: التي لم تحمل. فيما عدا ل: «فرجعت الشاة حائلاً والجارية حاملاً».

(11) فيما عدا ل: «ولكن أعْتدي». وقد سبق الخبر في (3: 56).

(12) فيما عدا ل: «العتي». والخبر سبق في ص 238 وفي (4: 124).

[وقال القيني⁽¹⁾: أنا أصدُق في صغار ما يضرُّني؛ لأكذب في كبار ما ينفعني.
وقال أبو إسحاق: استراح فلانٌ من حيث تعب الكرام].
وقال الحجاج: أنا حديدٌ حقود حسود⁽²⁾.
وحدثني نُفيع قال: قال لي القيني⁽³⁾: أنا لا أصدُق ما دام كذبي يخفى.
قال: ودُّكر شبيب بن شيبه⁽⁴⁾ عند خالد بن صفوان⁽⁵⁾ فقال خالد⁽⁶⁾: ليس له صديق في السر، ولا عدوٌّ في العلانية!

وقال أبو نخيلة⁽⁷⁾ في شبيب بن شيبه:
إِذَا غَدَتْ سَعْدٌ عَلَى شَبِيبِهَا عَلَى فَتَاهَا وَعَلَى خَطِيبِهَا
مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغِيبِهَا عَجِبْتَ مِنْ كَثَرَتِهَا وَطِيبِهَا
وقال حسين⁽⁸⁾ بن أبي علي الكرخي: أنا إنسان لا أبالي⁽⁹⁾ ما استقبلت به الأحرار.

- (1) الخبر ساقه المبرد في الكامل 356 ليسك بلفظ آخر، عقبه بقول الأعشى:
فَصَدَقْتَهُمْ وَكَذَبْتَهُمْ وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ
وجاء برواية ثالثة في عيون الأخبار (28: 2) س 10.
(2) سبق الخبر في (3: 252). وانظر البيان (1: 255).
(3) فيما عدل ل: «خبرني» و«العتبي».
(4) شبيب بن شيبه، من رهط خالد بن صفوان، وكان بينهما منافسة شديدة، وكان من الخطباء المصافح الفصحاء. وهو شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عبد الله بن الأهمم. البيان (1: 228).
(5) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهمم. وكان قريباً لشبيب وعلماً من أعلام الخطابة، وقد وفد إلى هشام، وكان من سمار أبي العباس. وكان مطلقاً، وكان يقول: «ما من ليلة أحب إلي من ليلة قد طلقت فيها نسائي، فأرجع والستور قد قلعت، ومتاع البيت قد نقل، فتبعث إلي بنتي بسليلة فيها طعامي، وتبعث إلي الأخرى بفراش أنام عليه». انظر المعارف 177، ط فقط: «عن» موضع: «عنده» تحريف.
(6) فيما عدل ل: «خله»، صوابه ما أثبت من ل. وهذا الخبر أورده الجاحظ في البيان (1: 47، 340) وعقب عليه تعقيب إعجاب. وانظر عيون الأخبار (2: 73).
(7) سبقت ترجمته في (2: 59)، فيما عدل ل: «أبو بجيلة» تحريف. والرجز في البيان (1: 90). والأغاني (18: 139). ويروى أبو الفرج من سبب الرجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته فسأله إياها، فوعده ومطله، فقال فيه:

يَا قَوْمَ لَا تَسْوَدُوا شَبِيباً الْخَائِنُ ابْنُ الْخَائِنِ الْكَذُوبِ
هَلْ تَلَدَ الذِّبَابُ إِلَّا الذِّبَابُ

- قال: فبلغه ذلك فبعث إليه بها، فمدحه بهذا الرجز.
(8) ط، ش: «يحيى» هـ: «حي»، وأثبت ما في ل. على أن الخبر روى منسوباً إلى القيني في عيون الأخبار (2: 28).
(9) فيما عدل ل: «ما أبالي».

وقال عمرو بن القاسم: إنما قويت على خصمي بأني لم أَسْتَرَّ قُطُّ عن شيء من القبيح⁽¹⁾! [فقال أبو إسحاق: نلت اللذة، وهتكت المروءة، وغلبتك النفس الدنية، فأرتك⁽²⁾ مكروه عملك محبوباً وسيئ قولك حسناً. ومن كان على هذا السبيل لم يلتفت إلى خير يكون منه، ولم يكثر بشراً يفعله].

وقال الفرزدق:

وكان يُجيرُ الناس من سيفِ مالكٍ فأصبحَ يبغي نفسه من يُجيرُها⁽³⁾

ومن هذا الباب قول [الثَّوت⁽⁴⁾] اليماني:

عَلَى أَيِّ بابٍ أَطْلُبُ الإِذْنَ بعد ما حُجِبْتُ عن الباب الذي أنا حاجِبُه

ومن هذا الشكل قولُ عديّ بن زيد:

لو بغير الماءِ حلَّقِي شَرِقُ كنت كالغَصَّانِ بالماءِ اعتصاري⁽⁵⁾

وقال زهير:

فلما وَرَدَنَ الماءَ زُرْقاً جمأه وَضَعَنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المتخيمِ

وكتب سُويد بن منجوف⁽⁶⁾ إلى مُصعب بن الزبير:

فأبلغَ مُضْعَباً عني رسولاً وهل يُلفَى النصيحُ بكلِّ وادٍ⁽⁷⁾

تعلَّمُ أنَّ أَكْثَرَ مَنْ تواخي وإن ضحكوا إليك هم الأعداي⁽⁸⁾

(1) فيما عدا ل: «إنما خصموني لأنني لم استتر قط بشيء من القبيح»، تحريف.

(2) في الأصل، وهو هنا ل: «فأدتك».

(3) انظر الديوان ص 249 والبيان (3: 259).

(4) في البيان (2: 359): «ويروى التوب بالباء والتوت هو الصواب. وهو المعروف بتويت». وفي

الأغاني (20: 79): «نوب» بالنون في أوله والباء في آخره. «اليمامي» نسبة إلى اليمامة. قال

أبو الفرج: «نوب لقب له، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز السلولي... أحد الشعراء

اليماميين، من طبقة يحيى بن طالب وبني أبي حفصة وذويهم. ولم يند إلى خليفة، ولا

وجدت له مديحاً في الأكابر والرؤساء، فأحمد ذلك ذكره، وكان شاعراً فصيحاً، نشأ باليمامة

وتوفى بها».

(5) انظر شرح البيت وتحقيقه في ص 94 من هذا الجزء.

(6) سبقت ترجمته في ص 110، من هذا الجزء.

(7) ل: «يلقى» بالقف، وهذه الكلمة ساقطة من ش.

(8) تعلم: اعلم. ل: «تناجي».

وحدثني إبراهيم بن عبد الوهاب، قال: كتب شيخ من أهل الري على باب داره:
«جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيراً. فأما أصدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم الله خيراً»⁽¹⁾؛ فإننا
لم نُؤتَ قط إلا منهم!».

وأنشدني النهشلي⁽²⁾ لأعرابي يصف نخلاً⁽³⁾:

[تري مخارفها ثنيي جوانبها كأن جاني بيض النحل جانيها]⁽⁴⁾
ووصف آخر نخلاً فقال:

إذا علأ قممتها الرأقي أهلاً⁽⁵⁾

وقال الشاعر⁽⁶⁾:

ومن تقلل حلوبته وينكل عن الأعداء يغبقه القراح⁽⁷⁾
رأيت معاشرأئثنى عليهم إذا شبعوا وأوجههم قباح⁽⁸⁾
يظل المصرمون لهم سجوداً وإن لم يسق عندهم ضياح⁽⁹⁾
وقال الشاعر:

البائتين قريباً من بيوتهم ولو يشاءون أبوا الحي أو طرقوا⁽¹⁰⁾

(1) فيما عدل: «فلا جزاهم الله عنا خيراً». وانظر البيان (280:3).

(2) فيما عدل: «وأنشدنا النهشلي».

(3) ل: «نحلاً»، وفيما عدل: «فحلاً»، صوابهما ما أثبت.

(4) المخارف: جمع مخرف، بفتح الميم والراء. وهو الرطب يخرف، أي يجنى من النخل وشبه جانيها بجاني بيض النحل لبعد مرقاها وعلوه، إذ أن مواطن النحل شعف الجبال عندهم. ومنه قول القائل (انظر المخصص 178:8):

رباه شماء لا يأوي لقلتها إلا السحاب وإلا الأوب والسبل

والأوب: جماعة النحل، واحدها آتب.

(5) الراقي: الذي يعتليها. وفي الأصل، وهو هنال. «الراقي». أهل: رفع صوته؛ وذلك لشدة إعجابه بجناها.

(6) هو مالك بن الحارث الهذلي، كما في الشعراء 649، وقد نسب البيت الأخير في اللسان (359:3) إلى خالد بن مالك الهذلي، والأول فيه (155:12) إلى أبي سهم الهذلي.

(7) ل: «ومن يقري»، وفيما عدل: «ومن يعري»، وأثبت ما في اللسان (155:12). والشعراء 650، وجاء في شرح البيت في اللسان: «أي يغبقه الماء البارد نفسه». فيما عدل: «يعتقه» تحريف.

(8) في الشعراء: «إذا ذكروا».

(9) المصرم: القليل الماء السيئ الحال؛ أصرم: افتقر. والضياح، كسحاب، أوله ضاد معجمة ثم ياء مثناة: اللبن الرقيق الكثير الماء فيما عدل: «صباح» صوابه في ل واللسان (359:3) والشعراء وعيون الأخبار (241:1).

(10) أبوا الحي: رجعوا إليهم. وآب يتعدى بنفسه وبالحرّف. فيما عدل:

النائمون قريباً من بيوتهم ولو يشاءون أي الحي إذ طرقوا

لكن في هـ: «أتى الحي».

يقول: لَرَغْبَتِهِ فِي الْقِرَى، و[في] طعام الناس⁽¹⁾، يبيت بهم⁽²⁾، ويدعُ أهله. ولو شاء أن يبيت عندهم لفعل.

وقال آخر، يمدحُ ضدَّ هؤلاء:

تَقْرِي قَدُورُهُمْ سُرَّاءَ لَيْلِهِمْ وَلَا يَبِيتُونَ دُونَ الْحَيِّ أَضْيَافاً⁽³⁾
وقال جرير:

وَإِنِّي لِأُسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ عَلِيٍّ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَرَى لِيَا
قال: أستحي أن يكون له عندي يدٌ⁽⁴⁾ ولا يرى لي عنده مثلها.
وقال امرؤ القيس:

وَهَلْ يَنْعَمَنَّ إِلَّا خَلِيٍّ مَنْعَمٌ قَلِيلُ الْهَمُومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ⁽⁵⁾
قال: وهو كقوله⁽⁶⁾: «استراح من لا عقل له!». وأنشد مع هذا البيت [قول عمر بن أبي ربيعة - ويحكى أن المنصور كان يعجبه النصف الأخير من البيت الثاني جداً، ويتمثل به كثيراً، حتى انتقده بعض من قضى به عليه أن المعنى قدّمه دهرًا، وكان استحسانه عن فضل معرفته بإحقاقه فيه⁽⁷⁾، وصواب قوله]-:

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرَيَّانُ مُلْتَفِّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ⁽⁸⁾
وَوَالِ كَفَّاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخَرَ الدَّهْرِ تَسْهَرُ⁽⁹⁾
وأنشد:

إِذَا ابْتَدَرَ النَّاسَ الْمَعَالِي رَأَيْتَهُمْ وَقُوفًا، بِأَيْدِيهِمْ مُسُوكَ الْأَرَانِبِ⁽¹⁰⁾

- (1) ش، هـ: «يقول لرغبتهم»، تحريف. فيما عدل ل: «إطعام الناس»، محرف.
- (2) بهم: أي عندهم. هـ: «عندهم»، ط، ش: «عندي»، وهذه محرفة.
- (3) السراء: جمع سار، وهو من يسير ليلاً. وهذا من الجمع النادر، ومثله غاز وغزاء. ط فقط: «وقد ودهم»، وفيما عدل ل: «مراء ليلهم» و: «أضعافاً» محرفات.
- (4) اليد: المعروف والنعمة. فيما عدل ل: «أستحي أن تكون له عندي يد».
- (5) نعم، كسمح ونصر وضرب، فيما عدل ل: «وهل يعمن». وفي الديوان 50: «وهل ينعمن إلا سعيد مخلص».
- (6) فيما عدل ل: «كقوله». وفي شرح البطليوسي لديوان امرئ القيس: «وقد أنشد الأصمعي هذا البيت فقال: هذا كما يقول: استراح من لا عقل له».
- (7) الإحقاق: الإحكام. وفي اللسان (11: 333): «ويقال أحققت الأمر إحقاقاً إذا أحكمته وصحته». وفي الأصل، وهو هنا ل: «إخفاقه فيه»، تحريف. على أن في هذه التكملة التي أثبتنا من ل اضطراباً ونقصاً.
- (8) فيما عدل ل: «كل غرفة»، صوابه في ل وديوان عمر ص 3.
- (9) الدهر: مدة الحياة. ط فقط: «الدهم»، صوابه في سائر النسخ. وفي الديوان: «الليل».
- (10) المسوك: الجلود، جمع مسك، بالفتح.

هجاهم بأنهم إنما يعيشون من الصيد . وأنشد :

إذا ابتدرَ الناسَ المكارمَ والعُلا (1)
أقاموا رُتوباً في الثُهجِ اللَّهْجِ
يُخبرُ أنهم يسألون الناس . والنهج واللَّهْج (2) : الطريق الواسع .
وقال الآخر (3) :

لنا إبلٌ يروين يوماً عيالنا (4)
نمدهمُ بالماء لا من هوانهم
ولكن إذا ما قلَّ شيءٌ يوسّع (5)
وقال الآخر :

من المُهْدِيَّاتِ الماء بالماء بعدما (6)
رمى بالمقادي كلُّ قاذٍ ومُعْتَمِ
وقال الآخر :

وداع دعا والليل مُرخٍ سُدولَه (7)
دعاً جُعلاً لا يهتدي لمَبيته
رجاء القرى يا مُسلمَ بنَ حِمَارِ (8)
من اللُّوم حتى يهتدي ابنُ وبارِ
وقال الحسن بن هانئ :

أضمرتُ للنَّيلِ هَجْراناً ومَقْلِيَةً (9)
فمن رأى النَّيلَ رأى العَيْنِ من كَثَبِ
إذا قيل لي إنما التَّمساحُ في النَّيلِ (10)
فما أرى النَّيلَ إلا في البواقيلِ
وقال ابن ميادة (11) :

(1) الرتوب : الثبات والإقامة ، فيما عدل : «وقوفاً» .

(2) ط فقط : «والهجم» تحريف .

(3) ط ، هـ : «وقال الشاعر» .

(4) يروين عيالنا ، بما تدره من اللبن . والعيال : جميع عيل ، وهو من تعوله .

(5) نمدهم بالماء ، عنى أنهم يمزجون لهم اللبن بالماء ليكثر ويتسع لهم . فيما عدل : «لا من هواهم» ، تحريف .

(6) القادي : القادم من السفر . والمعتمى : القاصد ، وحقه أن يكتب بياء بعد الميم .

(7) السدول : السطور ، وزناً ومعنى . عنى بها الظلمات . والبيتان في (137:6) .

(8) الجعل : دويبة سوداء كالخنفساء كنيها أبو جعران ، وهو بالإنكليزية : Scarb ، والجعل مثل عند العرب في

الحقارة والدناءة . أراد : دعا بدعائه مسلم بن حمار رجلاً ساقط القدر من لؤمه . ط : «جعل» تحريف . وفي

(137:6) : «يهتدي لوبار» .

(9) المقلية : الغض . ش : «مذ قيل» .

(10) من كَثَب : من قرب . والكلمتان ساقطتان من ش ، هـ . والبواقيل : جمع بوقال ، بضم الباء ، وهو كوز بلا عروة .

وقد عبر بذلك عن خوفه من تماسيح النيل ومن قربان النيل لذلك .

(11) فيما عدل : «ابن أحمر» . وانظر ما سبق في (3:46) .

أَتَيْتُ ابْنَ قَشْرَاءِ الْعِجَانِ فَلَمْ أَجِدْ لَدَى بَابِهِ إِذْنًا يَسِيرًا وَلَا نُزْلًا⁽¹⁾
فَإِنَّ الَّذِي وَلَّاكَ أَمْرَ جَمَاعَةٍ لَأَنْقُصُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ عَقْلًا⁽²⁾
ومن هذا الباب قوله :

إِنِّي رَأَيْتُ أَبَا الْعَوْرَاءِ مُرْتَفِقًا بِشَطِّ دِجْلَةٍ يَشْرِي التَّمْرَ وَالسَّمَكَا⁽³⁾
كَشِرَّةَ الْخَيْلِ تَبْقَى عِنْدَ مِذْوَدِهَا وَالْمَوْتُ أَعْلَمُ إِذْ قَفَى بِمَنْ تَرَكََا⁽⁴⁾
هَٰذِي مَسَاعِيكَ فِي آثَارِ سَادَتِنَا وَمَنْ تَكُنْ أَنْتَ سَاعِيهِ فَقَدْ هَلَكَا⁽⁵⁾
ومن هذا الباب قوله⁽⁶⁾ :

وَرِثْنَا الْمَجْدَ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ أَسَانَا فِي دِيَارِهِمُ الصَّنِيعَا⁽⁷⁾
إِذَا الْمَجْدُ الرَّفِيعُ تَعَاوَرَتْهُ وَلَاةُ السُّوءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا⁽⁸⁾
وقال جِرَانُ الْعَوْدِ :

[أَرَأَيْتَ لِمَحَاً مِنْ سُهَيْلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَا فِي دُجْيَةِ اللَّيْلِ يَطْرُفُ⁽⁸⁾
وقال] :

وَلَمْ أَجِدِ الْمَوْقُودَ تُرْجَى حَيَاتُهُ إِذَا لَمْ يَرْغِهَ الْمَاءُ سَاعَةً يُنْضَحُ⁽⁹⁾

وكان أبو عبادٍ الثُمَيْرِيُّ أتى باب بعض العمال، يسأله شيئاً من عمل السلطان، فبعثه إلى أُسْتَقَانَا⁽¹⁰⁾ فسرَقوا كل شيء في البيدر وهو لا يشعر، فعاتبه في ذلك، فكتب إليه أبو عباد :

(1) سبق شرح البيت في (46:3). فيما عدل، «حمراء العجان». وفي ش، هـ: «أدنى» وهذه محرفة عن «إذنا». وفي ش: «يسير» تحريف.

(2) فيما عدل: «ولاه». وأثبت ما سبق في (46:3).

(3) ل: «أبا العورات» وفي ط، ش: «مرتفعاً»، تحريف.

(4) الشرة، بالكسر: النشاط. ط فقط: «تبغي»، تحريف. وفي ط، ش: «أعلم من يدني» هـ: «من يعني»، صوابهما ما أثبت من ل ومما سبق في (46:3).

(5) ل: «تلك» بدل: «هذي».

(6) هو معن بن أوس المزني، كما في الأغاني (10: 158). والبيتان في عيون الأخبار (4: 113)، وقد سبقا في (46:3).

(7) ط: «بنات السوء»، تحريف. وفي ش، هـ: «بناة السوء»: جمع بان. ط، هـ: «يوشك».

(8) سبق الكلام على هذا البيت في (28:3).

(9) الموقود: المضروب ضرباً شديداً، والشديد المرض الذي أشرف على الموت فيما. عدل ل: «ولم أجد الموقود يرجى جنبه»، تحريف. وفي هـ: «ينضح» مصحفة بالجيم.

(10) استقانا، كذا وردت مضبوطة في ل. وكلمة: «إلى» قبلها ليست في الأصل. وفيما عدل ل: «فتبعه أسفار»: وفي محاضرات الراغب (1: 87): «فولاه أمانة قرية فسرق ما في البيدر».

كُنْتُ بَاذَا أَضْرِبُ الْكُرَّ كَيِّ وَالطَّيْرَ الْعِظَامَا
فَتَقَنَّصْتُ بِي الصَّعْوَ وَفَأَوْهَنْتُ الْقُدَامَى⁽¹⁾
وَإِذَا مَا أُرْسِلُ الْبَا زِي عَلَى الصَّعْوَ تَعَامَى⁽²⁾
أَرَادَ قَوْلَ أَبِي النِّجْمِ فِي الرَّاعِي :

يَمْرُ بَيْنَ الْغَانِيَاتِ الْجَهْلِ⁽³⁾ كَالصَّقْرِ يَجْفَو عَنْ طِرَادِ الدُّخْلِ⁽⁴⁾
وَبَاتَ أَبُو عَبَّادٍ⁽⁵⁾ مَعَ أَبِي بَكْرِ الْغِفَارِيِّ، فِي لِيَالِي [شهر] رَمَضَانَ، فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ؛
فَدَبَّ إِلَيْهِ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا لَيْلَةَ لِي بَتْ أَلْهُوبَهَا مَعَ الْغِفَارِيِّ أَبِي بَكْرٍ
قَمْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ مَا قَدْ مَضَى ثُلْتُ مِنَ اللَّيْلِ عَلَى قَدْرِ
[فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَيَا مَنْ رَأَى] أَدَبَ مَنْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ⁽⁶⁾
مَا قَامَ حَمْدَانُ أَبُو بَكْرٍ إِلَّا وَقَدْ أَفْرَعَهُ نَخْرِي⁽⁶⁾
وَقَالَ فِي قُلْبَانٍ صَدِيقَتِهِ⁽⁷⁾ :

إِنْ قُلْبَانٌ قَدْ بَغَتْ لَشَقَائِي وَقَدْ طَغَتْ⁽⁸⁾
وَإِذَا لَمْ تُنْكُ بِأَيِّ رِ عَظِيمِ الْقَوَى بِكَثْ⁽⁹⁾
وَقَالَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ :

(1) التقنص: الصيد. والصعو: طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس، وهي بلغة العلم الأوروبي: **Regulus**، ومنه ما يسمى: **Goldcrest or Kinglet**، والقدامى: القوادم، وهي ريشات أربع في مقدم الجناح. فيما عدال: «بني الصقر»، محرف.

(2) فيما عدال: «على الصقر»، تحريف.

(3) ط فقط: «القانيات» بالقاف.

(4) الدخل، بضم الدال وتشديد الخاء المفتوحة: طير صغار أمثال العصفور تأوى الشجر الملتف، وهي أنواع كثيرة كلها غريد، يعرف كثير منها عند عامة أهل مصر بالزريقة وهو بالإنجليزية: **Sylvia or warbler**، فيما عدال: «تجفو» بالتاء محرفة.

(5) هو أبو عباد النيمري، تقدمت ترجمته في (2: 109). ه: فقط: «أبو بكر عباد».

(6) النخر، عنى به النخير، وهو صوت الأنف. ط: «أقرعه» ش: «أفرعه» ه: «أفرغه» ط، ش: «نحري» ه: «بحري» صواب هذه التصحيحات ما أثبت من ل.

(7) الصديقة: مؤنث الصديق، كما في اللسان (22: 63 س4). والأفصح أن يكون لفظ المؤنث كلفظ المذكر.

(8) ط: «صفت»، ش، ه: «صغت»، صوابهما ما أثبت من ل.

(9) ل: «فتى كافر بكت».

- إليك أمير المؤمنين رحلتها
لدى كل قرموص كأن فرائحه
وقال أبو الأسود الدَّيْلِي (3)، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان (4):
- أمنت على السرَّ امرأ غير كاتم
أذاع به في الناس حتى كأنه
و كنت متى لم ترع سرك تنتشر
وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد
وقال أيضاً:
- إذا كنت مظلوماً فلا تُلَفَ راضياً
وإن كنت أنت الظالم القوم فاطرح
وقارب بذي جهل، وباعد بعالم
فإن حذبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا
ولا تدعنن للحق واصبر على التي
[فإنني امرؤ أخشى إلهي وأتقي
- تثير القطا ليلاً وهن هجود (1)
كلى غير أن كانت لهن جلود (2)
ولكنه في النصح غير مريب (5)
بعلياء ناراً أوقدت بثقوب (6)
قوارعه من مخطئ ومصيب (7)
وما كل مؤت نصحه بلبيب
فحق له من طاعة بنصيب (8)
- عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب (9)
مقاتلهم وأشغب بهم كل مشغب (10)
جلوب عليك الحق من كل مجلب
ليستمسكوا مما وراءك فاحذب (11)
بها كنت أفضي للبعيد على أبي (12)
معادي وقد جربت ما لم تجرب

- (1) يقوله لمعاوية بن أبي سفيان كما في الشعراء 526، وهو من قصيدة سياسية أمره يزيد بن معاوية أن يصنعها ويؤيد بها ترشيحه للخلافة بعد أبيه. انظر الأغاني (18: 71-72).
- (2) القرموص: وكر الطائر حيث يفحص في الأرض. والكلبي: جمع كلبة، شبه الفراع بها لعري أبدانهم من الريش.
- (3) ط، ش: «الدولي». وانظر ما أسلفت في ص 319 وما سبق في (26: 3).
- (4) ط، ش: «وهو ظالم» وما بعد كلمة: «ظالم» ساقط من ش. وكان من قصة هذا الشعر أن أبا الأسود خطب امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد، فأسر أمرها إلى صديق له من الأزد، فحدث به ابن عم لها كان يخطبها، فدفعه ذلك أن يحتال ويتعجل في زواجه بها، وضاعت من أبي الأسود. انظر الأغاني (11: 104-105).
- (5) ط، هـ: «امراً حارماً»، تحريف. وفي ش: «غير حازم» بالعين المهملة، صوابها بالمعجمة، وأثبت ما في ل. ورواية الأغاني: «أمنت امرأ في السر لم يك حازماً».
- (6) الثقوب، بالفتح: ما أثبت به النار وأشعلتها من دقاق العيدان، كالثقاب، بالكسر. فيما عدل ل: «لثقوب»، صوابه ما أثبت من ل والأغاني.
- (7) فيما عدل «ينتشر»، وفي الأغاني: «تلتبس». والقوارع: الدواهي والنوازل. أراد ينشرها المخطئ والمصيب.
- (8) استجمعا، أي اللب والنصح. فيما عدل ل: «من ساعة»، صوابه في ل والأغاني.
- (9) النصف، ويثالث: الانتصاف وأخذ الحق.
- (10) فيما عدل ل: «فإن كنت». الشغب: تهيج الشر والفتنة والخصام، وترك القصد إلى العنود. فيما عدل ل: «على كل مشغب»، صوابه في ل والأغاني.
- (11) الحذب: خروج الظهر ودخول البطن والصدر، وفعله من باب فرح. والقعس: نقيضه، وهو خروج الصدر ودخول الظهر، وفعله من باب فرح أيضاً.
- (12) في الأغاني: «ولا تدعني للجور».

وقال مَسْلَمَةُ بن عبد الملك :

إني إذا الأصوات في القوم عَلَتْ
مَوْطِنُ نفسي على ما خَيْلَتْ⁽¹⁾
في مَوْطِنٍ يَخْشَى به القومُ العَنَتَ
بالصَّبْرِ حَتَّى تنجلي عَمَّا انجَلَتْ

وقال الكميت :

وبيض رِقاقٍ خفاف المُتُون
تُشَبِّهُ في الهامِ آثارها
تسمعُ للبيض منها صريراً⁽²⁾
مَشافِرَ قَرَحَى أَكَلْنَ البَرِيرَا⁽³⁾

وأنشدني أبو عبيدة :

نُصِبِحُهَا قيساً بلا استبقائها
من كلِّ عَضْبٍ عَلٍّ من دِمَائِهَا
رونقه أو قد في حِرْبَائِهَا⁽⁴⁾
صفائحاً فيها فضولُ مائِهَا
إذا علا البيضةُ في استوائِهَا
ناراً وقد أمخض من ورائِهَا

وأنشدني لرجُل من طَيِّء :

لم أَر فتیانَ صباحَ أَصْبَرَ⁽⁵⁾
سُفَعِ الخدودِ دُرْعاً وَحُسْرَا⁽⁷⁾
منهم إذا كان الرماحُ كِسْراً⁽⁶⁾
لا يشتَهون الأجلَ المؤخِّرا

وقال ابن مفرَّغ :

قُبُّ البطون والهوادي قُودُ⁽⁸⁾
إذا رجعنَّاهُنَّ قالت عودوا
إن حادتِ الأبطالُ لا تحيدُ
كأنما يَعْلَمَنَّ ما نريدُ

ومن المجهولات :

عليك سلام اللّٰه من مَنْزِلٍ قَفَرٍ
عهدتك من شهرٍ جديداً ولم أَخلُ
فقد هَجَّتْ لي شوقاً قديماً وما تدري
صُرُوفُ النَّوَى تُبلى مغانيك في شهر

(1) على ما خيلت : أي على كل حال . خيلت : شبهت .

(2) البيض ، بالكسر : السيوف . والبيض ، بالفتح : جمع بيضة السلاح .

(3) سبق البيت وشرحه في (3: 168) .

(4) رونق السيف : ماؤه وصفائه وحسنه . وحرباء البيضة : ظهرها . وفي اللسان : «الحرباء : الظهر» وفيه : «الحرباء مسمار الدرع» .

(5) فتیان الصباح : الذين يصبحون العدو ، يغيرون عليهم صباحاً .

(6) الكسر : جمع كسرة ، بالكسر ؛ وهي القطعة المكسورة من الشيء .

(7) درع : جمع دارع ، وهو لابس الدرع . والحسر : جمع حاسر ، وهو الذي لا درع عليه ولا بيضة على رأسه . وفي حديث فتح مكة ، أن أبا عبيدة كان يوم الفتح على الحسر . وهم الذين لا دروع لهم .

(8) قب : جمع قباء ، وهي الضامرة البطن مع دقة في الخصر . والهوادي : الأعناق . قود : جمع قوداء ، وهي الطويلة .

الخريميُّ أبو يعقوب :

لعمرك ما أخلقتُ وجهاً بذلته إليك ولا عَرَضْتَه للمعايرِ - أي لا أعيرُ لقصدك - .

فتى وفرتُ أيدي المحامدِ عرضه وقال مطيع بن إياس :

قد كلفتني طويلة العُنُق أقلق من بعدها فإن قربت وقال سهل بن هارون :

إذا امرؤ ضاق عني لم يضق خلقي ولا يراني إذا لم يرع أصرتي لا أطلب المالَ كي أغني بفضله وقال ليحيى بن خالد :

عدوّ تلاد المال فيما ينوبه فسئان حالاه، له فضل منعه مذلّل نفس قد أبث غير أن ترى وقال أبو الأسود لزباد :

لعمرك ما حشاك الله رُوحاً به جشع ولا نفساً شريره⁽⁵⁾

(1) الياس: اليأس، بتسهيل الهمزة.

(2) الأصرة: ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف. الاستمراء: الاستخراج والاستدرا، والمعروف المري والامتراء. الدرر: جمع درة بالكسر، وأصلها في الأمطار أن يتبع بعضها بعضاً. والإبسas: صويت الراعي تسكن به الناقة عند الحلب.

(3) في البخلاء 152 وزهر الآداب (2: 256): «كي أغني». ولكل منهما وجه.

(4) الأبيات في البيان (3: 352).

(5) الروح: النفس؛ يذكر ويؤنث. فيما عدا ل: «نفسا بها».

ولكن أنت لا شرس غليظ ولا هش تنازعه خؤوره⁽¹⁾
 كأننا إذ أتينا نزلنا بجانب روضة ريامطيره

تم المصحف الخامس بحمد الله وعونه،
 يثله المصحف السادس من كتاب الحيوان⁽²⁾

(1) الذي في المعاجم: «الخؤور» بطرح التاء، وهو الخور والضعف. لكن جاء في شعر جرير
 (انظر اللسان 20: 247):

ومجاشع قصب هوت أجوافه لو ينفخون من الخؤورة طاروا
 (2) هذه هي عبارة ش. وفي ط: «تم الجزء الخامس من كتاب الحيوان ويليه الجزء السادس أوله
 باب». وليس في ل، ه عبارة فاصلة بين هذا الجزء والذي يليه.

تذييل واستدراك

- صفحة سطر
- 57 30 ش من أقدم النصوص العربية التي ورد فيها ذكر «البركان» قول المسعودي في التنبيه والإشراف 52 س 21: «وجزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان. ومنه تخرج عين النار التي تعرف بأطمة صقلية».
- 159 14 ش «نور له». في اللسان (7: 104): «هو ينور عليه أي يخيل. وليس بعربي صحيح. الأزهري: فلان ينور على فلان إذا شبه عليه أمراً. قال: وليست هذه الكلمة عربية. وأصلها أن امرأة كانت تسمى نورة، وكانت ساحرة، فقيل لمن فعل فعلها قد نور فهو منور».
- 171 24 ش هذا ما بدا لي في تحقيق هاتين الكلمتين. وكتب إليّ حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملّي: «صوابها كنك كنك، ولال لال، وكلتاها بمعنى الأبك. أي أن هذه الدويبات صم بكم لا تسمع ولا تتكلم لحسن طعمها، فطعمها شاهد على لذيد ما فيه، فهي في غنى عن الكلام على نفسها. والكلمتان فارسيتان. وأهل عمان وخليج فارس يدخلون ألفاظاً فارسية كثيرة في كلامهم إلى عهدنا هذا، ويدخلون تلك الكلم في جميع مرافق حياتهم».
- 219 12 «سوراسب». كتب إليّ حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملّي: «الصواب: وإلى إقامة سور للسنّاب. وهما كلمتان فارسيتان معناهما عيد (=سور) للحنّض (=للسنّاب). وذلك أن نساء المجوس - ويسمى المجوس اليوم في الهند: پارسي Parsis- يقمن حفلة أو عيداً في يوم تطهير المرأة. وفي يوم آخر يُكرّم صاحب الحائض في أول يوم من حدوث الطمث لابنته البالغ؛ لأنه أصبح أباً مستعداً لزيادة البشر. ولهذا ترى المرأة معززة ومكرمة غاية الإكرام عند أهله هذه النحلة».
- 229 6 كانت التجارة في السنانير من المألوف عندهم، ولكنها كانت تجارة مستهجنة، وفي البيان (1: 219): قال أبو إسحاق: بل كذبت، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمه عن رجل، فقال: هو يبيع الدواب! فلما نظروا في أمره وجدوه يبيع السنانير، فلما سئل عن ذلك قال: ما كذبت، لأن السنور دابة».
- وفي الأغاني (12: 155): حدثنا أحمد بن يحيى، قال: آخر ما فارقت محمد بن حازم أنه قال: لم يبق شيء من اللذات إلا يبيع السنانير». وانظر بقية الخبر فيه.
- 265 11 وكذلك 268 س 3، كتب إليّ حضرة العلامة الجليل الأب أنستاس ماري الكرملّي تعليّقاً قيماً جاء فيه: «قلت: صواب الرواية: (دذ) أو (دده) بدالين مهملتين، ثم بدالين مهملتين يلي الأخيرة هاء محضة ساكنة، كلمتان فارسيتان، معناهما الأول الحيوان

المفترس أو الضاري، أو الوحش المؤذي، ثم أطلق على دودة أو قملة تضر الإنسان ضرراً عظيماً أعظم من ضرر الوحش له .
وقد ذكرها الأقدمون بأسماء مختلفة منها هذا الاسم الفارسي بلغتيه، ومنهم من عربها بصورة (دذه) وهي الواردة في كتب الفصحاء .
وذكرها ابن سينا في القانون المطبوع في رومة (2: 148) : فصل في قملة النسر المسماة دذه بالفارسية، وصملوكي باليونانية، وطغانوس بالهندية .
وهذه هامة كالقملة أو كأصغر الديدان . قال جالينوس : هي صغيرة لا يتوقى منها .
وتكاد لا تبصر لسعتها، وهي مما تفجر الدم بولاً ورُعاقاً، ومن المقعدة، ومن المعدة بالقيء، ومن الصدر والرئة، ومن أصول الأسنان . وربما عظم الخطب فيها فلم تقبل الدواء .

وقال ياقوت الحموي، في معجم الأدباء، في ترجمة علي بن منصور الحلبي (5: 427 من طبعة مرجليوث) : وافق أن الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة، وهي التي تسمى التراقي، ويقال لها قملة النسر أيضاً، فمات منها . اهـ .
وفي حياة الحيوان (2: 299 بولاق) : وأما قملة النسر فهي التي تكون في بلاد الجبل، وتسمى بالفارسية دره (كذا والصواب دده أو دذه) وهي إذا عضت قتلت، وهي أعظم من القملة، وإنما سميت قملة النسر لأنها تخرج منه . قلنا : وهذا خطأ أيضاً .
والصواب أنها سميت قملة النسر لأنها تفتك بالناس فتك النسر بالطير والدواب، إذ لا يفلت من منسريه شيء البتة . أما أنها في النسر فليست فيه إلا شذوذاً أو يكاد .

الزواج النهاري، يفهم من لفظه أن كلا من الزوجين لا يلقي صاحبه إلا على نهار، ويفرغ كل منهما في الليل لما هو بسبيله، وجاء في البخلاء 104 في قصة تمام بن جعفر : «وقالت له امرأة : ويحك يا أبا القماقم . إني قد تزوجت زوجاً نهاريًا، والساعة وقته، ولست على هيئة، فاشتر لي بهذا الرغيف آسًا، وبهذا الفلس دهناً، فإنك توجر . فعسى الله أن يلقي محبتي في قلبه، فيرزقني على يدك شيئاً أعيش به» .

كتب إليّ حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملّي : صوابها الباضوركي، براء مهملة لا بالزاي، وهذه من خطأ الناسخ . والباضوركي لغة في البازركان . والكلمة فارسية . ويراد به المشتط في السوم والبيع، والعراقيون يسمونه اليوم المغلواني، زنة القلقلاني، ويقول بعضهم المغلواني - أي بضم الميم والغين وإسكان اللام . ويسمى بالفرنسية : **Ecorcheur** وبالإنكليزية : **Fleecer** . وأما العرب الفصحاء فكانوا يسمونه في صدر الإسلام : الوغال . قال الأخطل في ص 161 من ديوانه :

فوضعت غير غبيطه أثقاله بسباء لا حصر ولا وغل

قال شارحه : الحصر : البخل . والوغال هاهنا : البيع الذي يبالغ في الثمن .
وجعل الزاي ضاداً من لغة بعضهم في قديم الزمان . وقد أشار إلى ذلك صاحب التاج في مادة (ش ر ض) .

ثم إن بعض فقهاء اللغتين الفارسية والعربية يرون أن الألف والنون الكاسعتين لبعض الكلم الفارسية كما في البازركان، هي بمنزلة ياء النسب في الآخر عند العرب، ولهذا

315 2 ش

321 8 ش

عربوها بقولهم: بازركي. وهكذا عرفنا معناها. والأفصح أن يقال الوغال، أو البازركان، أو البازركي. وأما (الباضركي) فقيح. هذا ما بدا لنا وعلمه فوق كل ذي علم.

كتبه

عبد السلام هارون

مصر الجديدة في

أول صفر سنة 1386

22م من مايو سنة 1966

أبواب الكتاب

- الكلام عَلَى النار 3
- باب آخر ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا ﴾ 17
- جملة القول في الضد والخلاف والوفاق 38
- باب آخر أن الصفرة متى اشتدت صارت حمرة 39
- جملة من القول في الماء 60
- رجع إلى القول في الناء 81
- باب في مديح النصارى واليهود والمجوس والأنذال وصغار الناس 106
- باب من أراد أن يمدح فهجا 109
- باب مما قالوا في السر 123
- باب في ذكر المُنَى 129
- أجناس الطير التي تألف دُور الناس 137
- القول في العقارب والفأر والجرذان 166
- باب آخر للسنور ، فيه فضله على جميع أصناف الحيوان ما خلا الإنسان 193
- باب آخر يدعونه للفأر 205
- القول في العقرب 238
- باب القول في القمل والصُّوَاب 249
- باب والبرغوث 259
- باب في البق والجرجس والشَّرَّان والفراش والأذى 270
- باب في العنكبوت 276
- جملة القول في النحل 280
- باب القول في القراد 290
- باب القول في الحُبَارَى 299
- باب القول في الضأن والمعز 306
- باب في الماعز 321

353	 القول في الضفادع
360	 ذكر ما جاء في الضفادع من الآثار
364	 القول في الجراد
386	 القول في القطا
396	 ذكر نوادر من أشعار وأحاديث